كشف الحجاب

عمن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب

للعلامة الأديب اللوذعى الأريب المشارك فى جملة من الفنون

سيدى الحاج أحمد بن الحاج العياشى سكيرج

القاضى بالمغرب الأقصى

جعل الله مقره فى عليين

١٣٨١ — ١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذى توج بتاج القبول من اجتباه للعبادة من العباد وسلك بهم سبيل الرشاد حتى نال كل مريد منهم كل مراد وحباهم من غير منّ بمحض فضله وامتنانه بالأمان كل الأمانى وسقاهم بكأس الوداد فى بساط الأنس به بعد ما شرفهم بالتدانى حمد عبد معترف بالعجز عن الوفاء بشكر النعم التى لا تحصى بعدد وكيف لا أعجز عن حصرها وهى دائما مترادفة علىّ وعلى الخلائق طول الأبد ونصلى ونسلم على الواسطة فيها للأنام شمس المعرفة البازغة فى أفق المكونات لاستنارة كل ظلام سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع أصحابه الهادين المهتدين إلى يوم الدين ورضى الله عن سيدنا وسندنا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والقطب المكتوم والختم المعلوم .

سيدنا أحمد التجانى شمس الهدى ملجأ الأنام
من حاز فى ذروة المعالى برفع شأن أعلى مقام

جعلنا الله ممن سقاهم من فيض معارفه بأعظم الأوانى وحبانا منه بالمحبة الخصوصية التى لا تنحل عقدتها الموصولة بحبل التدانى . وأن يجعلنا من المصطفين الأخيار ويتفضل علينا بالقبول المنوط برفع الأقدار فى هذه الدار وفى تلك الدار ورضى الله عن جميع أصحابه وكل من تشبث بأذياله وانتمى لأبوابه وعلى بقية المحبين ومن انتحى نهجهم من المنتسبين .

وبعد فيقول العبد الفقير الذى لا يزال على أبواب فضل ربه يعرج أحمد بن الحاج العياشى سكيرج غفر الله زلله وتقبل بمحض فضله عمله . قد حملتنى سيادتك أيها الأخ فى الله ما لا أقدر على حمله من هذا الاقتراح الذى لست أنا من أهله حيث كلفتنى أن أذكر لك بعض أصحاب سيدنا رضى الله عنه المعاصرين له ممن أخذ

عنه مشافهة أو بواسطة من مقدميه لكنه اجتمع به وتبرك بالنظر إليه فلم يسعنى إلا امتثال أمرك لما أعلمه من صدق محبتك فى هذا الجناب مع انشراح صدرك حتى طلبت منى ألا أذكر اسمك فى الجواب طلبا للخمول بين الأصحاب فهأنا ذا اذكر لك من ثبتت عندى صحبته لسيدنا رضى الله عنه واجتماعه به على وجه التبرك بأسماء الجميع قدس الله أرواحهم فى الجنان لما قيل :

اسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

ولم أسلك فى هذا التقييد المسمى : بكشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب ، مسلك المؤرخين فى ذكر تاريخ الولادة أو الوفاة فان ذلك وإن كان من أحسن الأمور وآكدها فى تواريخ الدهور لكن لعدم المعين على ذلك فى هذا الزمان ولسوء الحظ فى عدم ملاقاتى بعد تمييزى لواحد من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أو لأحد من معاصريه حتى أتلقى ذلك على لسانه ولكنى إسعافا لك ولمثلك من الاخوان ذكرت بعض ما قدرت على جمعه مع التثبت فى النقل رجاء دعوة صالحة من أخ صالح والأعمال بالنيات .

وليعلم الواقف على هذه التراجم انى لم أذكر إلا أقل القليل منهم ولم آت بما اختص به كل واحد منهم من المزايا إلا بالنسبة اليسير فان سيدنا رضى الله عنه لم يخرج من الدنيا حتى ملأ البسيطة بأصحابه رضى الله عنهم ولا يوجد مكان شرقا وغربا خاليا منهم كما يشهد بذلك تواتر الأخبار .

وقد تلقينا عن بعض الخاصة من أهل الفتح فى الطريقة أن سيدنا رضى الله عنه ترك من أصحابه عند وفاته عدد الصحابة الكرام لأنه محمدى الطريق ومقام الخلافة المحمدية يقتضى ذلك وهذا من الأمر المكتوم على غير أصحاب سيدنا رضى الله عنه على أن من فيه رائحة التسليم لا يستبعد هذا ونحوه ، ولولا أن هذا التأليف يقع فى يد بعض من لا إلمام لهم بالاطلاع على ما خص الله به الأكابر من أصفيائه لذكرنا عن أخذ عن سيدنا رضى الله عنه ما يقتضى العجب أو يسارع إلى إنكاره المؤدى به إلى العطب .

وقد وقفنا فى مشاهد الخليفة الأكبر أبى الحسن سيدى الحاج على حرازم

رضى الله عنه على من أخذ عن سيدنا رضى الله عنه من الخلائق ماتقف عن الخوض فيه العقول وتعجز عن ادراك حقيقته الفحول فلذلك رأيت أولا عدم الخوض في جمعهم هو الأولى . لكن ما لا يمكن كله لاينبغى أن يترك بعضه أوجله فلذلك أجبتك أيها الأخ فى الله إلى هذا المقصود بجمع بعض المشهورين منهم على انى لا أخلو عمن ينظر ماجمعته شزرا ولا يستطيع الطعن فيما أذكره صبراً ولكن الكلام مع أهل التسليم الجميل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا وقد استعنت فى ذكر بعض أصحاب سيدنا رضى الله عنه بأخبار بعض المقدمين وبعض المسنين الأكابر المتقين وتقاييد وجدتها بخط بعض الإخوان فى الله جزى الله الجميع عنا صالحا ونحن نطالب من كل من وقف عليه من الإخوان أصلح الله لى ولهم الشأن دعاء خير مع الاغضاء عن الزلات إلا اننا فوضنا له الامر ان رأى القلم قد طغى وسلك غيرالصواب أن يبين ذلك بطرقه والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

مقدمة

اعلم انه لابد أن نقدم قبل المقصود بعض كلام فى سيدنا رضى الله عنه وفى طريقته وفى فضلها على سبيل الاختصار، وهذا عندى هو المقصود بالذات

فان لى مهجة بذكره شغفت ... وليس ينعشها إلا فضائله

وليس يعجبنى شىء أسر به ... إلا استماعى لما تحوى شمائله

فأقول لايخفى على الخواص والعوام من سائر الانام شفوف مرتبة سيدنا الشيخ رضى الله عنه على سائر المراتب وظهوره فى الوجود ظهور البدر المنير فى الغياهب فقد بلغ رضى الله عنه الغاية التى لاتدرك فى الفضائل برسوخ قدم فى سبيل الرشاد بين الاواخر والاوائل وماذا أقول فى من ختم الله به الولاية الخاصة واستمد بوساطته من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم العامة والخاصة .

قال رضى‌الله عنه : ان الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الانبياء وكل مافاض وبرز من ذوات الانبياء تتلقاها ذاتى ومنى تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه إلىّ مشافهة لايعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة وتحاور بعض أصحابه رضى الله عنه مع بعض الناس فى قوله رضى الله عنه كل الشيوخ أخذوا عنى فى الغيب فحكى له ذلك فقال رضى الله عنه مشيراً بأصبعيه السبابة والوسطى روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحى تمد الاقطاب والعارفين والاولياء من الأزل إلى الأبد . أقول وكل من كشف الله عنه الغطاء يرى على يد سيدنا رضى الله عنه ما يأتيه من الامداد والعطاء [1]

(١) هذاخاص بالنشأة الروحية وقد بيّن سيدى عمر بن سعيد الفوتى أن ذلك عام مخصوص فلا يدخل فى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال سيدنا رضى الله عنه عن الصحابة رضوان الله عليهم عملنا معهم كالنملة مع القطاة .

حدثني سيدي ومولاي العارف بالله أحمد العبدلاوي نفعني الله به أنه تلاقى مع بعض العارفين من ذوي الكشف الصريح والفتح الصحيح بنواحي تونس وكان شاذلي الطريقة وتكلم معه في شأن المعارف والاسرار والفيوضات والانوار حتى قال له أنا شاذلي ومع ذلك فاني أرى المدد الذي يأتيني إنما هو بواسطة سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وكل من كشف الله له الغطاء يرى ذلك عيانا .وفي هذا المقام أقول مرتجلا :

ياطالب الاسرار من أربابها ويريد بين الخلق ان يحظى بها
اقبل فديتك كي تنال المرتجى وائت البيوت أخيّ من أبوابها
هذا التجاني من تمسك في الورى بحباله يحظى بما يرضى بها
هذا التجاني المقصد المقصود في نيل المنى حقـا لدى طلابها
هذا التجاني الكوثر المورود في سبل الهدى إن كنت من أصحابها
هذا التجاني الكوكب الوهاج في أفق المعـلى يختال في أثوابها
هذا التجاني منه يقتبس السنا وبه العلا افتخرت على أقطابها
هذا التجاني فضله متواتر وعلاه لست ترى به متشابها
هذا التجاني ماله بين الورى في المكرمات يرى الانام مشابها
هذا التجاني كل منتسب له يحوى المنى في الكون من وهابها
هذا التجاني لايضام محبه وطريقه الفتح المبين يرى بها
هذا التجاني من يؤم رحابه يحظى بما يرجوه من أعتابها
ما أمه أحد لنيل سعادة إلا غدا في الحين من أربابها
لازالت الامداد منه لنا تفي حتى تفوز نفوسنا بثوابها

قال سيدنا رضي الله عنه قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك وهذا أحد الاسباب في تصدر سيدنا رضي الله عنه لاعطاء الطريق فقد ذكر في الرماح انه رضي الله عنه ماتنزل لإفادة الخلق بعد ما أمره جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك إلا بعد قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: ان كنت بابا لنجـاة كل عاص مسرف على نفسه تعلق بي فنعم وإلا فأي فضل لي فقال له صلى الله عليه وسلم ذلك .

ولما رأى رضى الله عنه شدة محبة النبي صلى الله عليه وسلم له رضى الله عنه وصرح له بها تذكر المتعلقين به والمنتسبين إليه بمحبة أو قرابة حسية أو معنوية فكتب كتاباً وطلب فيه من النبي صلى الله عليه وسلم ضمان مطالب شتى وجعله فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلاقى معه وذلك فى اليقظة لا فى المنام فأجابه صلى الله عليه وسلم بضمانها .

وزبدة السؤال : اسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لى جميع هؤلاء أن أموت أنا وكل حى منهم على الإيمان والإسلام ، وأن يؤمننا الله تعالى وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر فى الجنة ، وأن يغفر لى ولجميعهم جميع ما تقدم وما تأخر وأن يؤدى عنا وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم وجميع مظالمنا ومظالمهم ، من خزائن الله عز وجل لا من حسناتنا وحسناتهم ، وأن يقينا عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته ، وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة ، وأن يظلنى الله تعالى وجميعهم فى ظل عرشه يوم القيامة ، وان يجيزنى ربى وكل واحد من المذكورين على الصراط اسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة ، وان يسقينى الله تعـــالى وإياهم من حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وان يدخلنى ربى وجميعهم الجنة بلا حساب ولا عقاب فى أول الزمرة الأولى ، وأن يجعلنى ربى وجميعهم مستقرين فى الجنة فى عليين من جنة الفردوس من جنة عدن . واسأل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى ان يضمن لى ولجميع الذين ذكرتهم فى هذا الكتاب جميع ماطلبت من الله لى ولهم فى هذا الكتاب بكماله كله ضمانا يوصلنى وجميع الذين ذكرتهم لكل ماطلبت من الله لى ولهم والسلام .

فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف : كل ما فى هذا الكتاب ضمنته لك ضمانا لا يتخلف عنك وعنهم أبدا ، إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرتهم فى جوارى فى أعلى عليين ، وضمنت لك جميع ماطلبت ضمانا لا يتخلف عليك الوعد فيه والسلام .

فانظر رحمك الله بفكرك السليم إلى اعتناء النبى الكريم بهذا الشيخ العظيم وبمن

تعلق بأذياله وانتسب إليه من اصحابه وآله وفي ذلك اقول مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم ·

يامصطفى من سائر الأكوان ... يامن به قد لاذت الثقلان
سبحان من أعطاك فضلا كاملا ... واجل مرقاك الرفيع الشان
من بحر جودك يستمير ذووالهدى ... مددا يخص به من المنان
فالانبيا والاوليــاء جميعهم ... منك استفادوا مشرب العرفان
لاسيما قطب العــوالم كلها ... مولاى احمد شيخنا التجانى
أوليتـه ما لم ينـله مقرب ... وجعلته للنـاس كهف أمان
وأقتـه للعــالمين وسيلة ... من جاء منها نال كل أمانى
فيَدٌ لكل الناس منك سموا بها ... ولديه منكم فى الأنام يدان
وكسـونه من نسج فضلك حلة ... ما نالهـا أحد مدى الأزمان
ولقد سرى منه لكل موحد ... مدد وفضلك ظاهر البرهان
حتى لقد شمل العطاء محبــه ... ومريده لازال فى رضوان
فطريقه وهى المحجـة للورى ... من أمهــا أفضت به لجنان
لم يخش سالكها العدو وحزبه ... وينال كل مراده بضمان
وصحابه فى ذروة العليا سموا ... كل له من ربه لطفان
لطف خفى خصهم ومع الورى ... لطف لهم فى السر والإعلان
فاذا بقلب موفق حل الهـدى ... يأتى لحضرته بغير توان
وإذا أراد الله أخذ يد امرىء ... حقا حباه طريقه النورانى
فالحمـد لله الذى بطريقـه ... قد خصنا فى العالم الروحانى
وعلى محبته وحب محبه ... منا الحشا والجسم ممتلئان
يا أيها القطب الذى ختمت به ... رتب الولاية من ذوى العرفان
وهو الذى أسراره كتمت فلم ... يدر الفحول مقامه الصمدانى
ادعو الإله بجـاه قدرك عنده ... أن يرفعن بين العوالم شانى
وعلىّ يسدل ستره فيصير فى ... كنف الإله مكانتى ومكانى
حاشاك من منا إليك انحاش أن ... لايحرزن منك المنى بأمان

فعليك مني بالدوام تحية تغشى جميع الصحب والاخوان
وعلى الرسول وآله وصحابه أزكى سلام الله كل أوان

مولده رضي الله عنه :

واعلم أن سيدنا رضي الله عنه ولد سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضي وإليه أشار في المنية بقوله : سنة ١١٥٠ م

حصل مفخر العلا حين ولد بعين ماضي ذا بفضلها شهد

ومن ألطف ما تضمن هذا التاريخ الدال على تخصيص سيدنا رضي الله عنه بالختمية والكتمية ما تفطن له أخونا وشيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس وذلك جملة قوله مولد الختم بحساب الجمل من غير مراعاة الألف لعدم ظهورها في اللفظ وقد أشرت له بقولي :

مولد الختم مشير الكمالات التجاني
ضمنه معنى بليغ قاله أهل المعاني

وقد أشرت له أيضا على طريق التاريخ المتوج بقولي :

م مولاي أنت المرتجى لي في الورى وسواك لا أرجوه طول حياتي
و وجهت آمالي إليك وحاش لا ألقى مرادي في جميع جهاتي
ل لم أخش من بين الورى كيد العدا مادمت عندي سائرا عوراتي
د دنياي تصلح بالمحبة فيك وال سيئات ترجع لي بكم حسنات
ل لله ماقد نلته بين الورى من رفعة يا صفوة السادات
خ ختمت برتبتك الولاية وانتهت فيك السيادة في كمال صفات
ت تعنو لك القطباء والأغواث وال أبدال كلهم مدى الأوقات
م مولاي جد لي بالأمان وبالرضى فعلى النبي وعليك خير صلاة

ومن ألطفها أيضا ما أشرت له بقولي : مولد القطب المكتوم يحق بعين ماضي ومن ألطفها أيضا ما أشار له الشريف الأصيل سيدي العربي المحب الجليل بقوله : أحمد التجاني سيد الأولياء وأحدهم لله أزلا . وقد دعاني لسان المحبة لأتوج أبيات قصيدة بهذه الحروف فأجبته امتثالا لأمره قائلا في مدح سيدنا رضي الله عنه .

ا　انى من الحب عانى　　وبالتشوق فانى
ح　حرمت نوم جفونى　　لما حبيبى جفانى
م　ملكته النفس منى　　وباللحاظ رمانى
د　دهشت لما تبدى　　وحسنه قد سبانى
ا　اضر جسمى هواه　　ولو بهجرى كفانى
ل　لا لا أحب سواه　　وطاب فيه هوانى
ت　تبت يدا كل لاح　　فى حبه قد لحانى
ج　جفوت كل عذول　　وكل واش وشانى
ا　ان لامنى زدت فيه　　صبابة فى تفان
ن　نثرت فيه دموعا　　نظمتها كالجمان
ى　يكاد جسمى غراما　　يذوب فى كل آن
س　سهرت طول الليالى　　من أجل ماقد دهانى
ى　ياقوم هل من مجير　　لى [illegible] فى التدانى
د　دانى عضالى وقلبى　　من شدة الشوق فانى
ا　انا عبيد ولكن　　مولاى شيخى التجانى
ل　لله مولى تسامى　　فينا لأعلى مكان
ا　أرى له عند ربى　　والخلق أرفع [illegible]
و　وفضله شاع حقا　　مابين [illegible] ودانى
ل　له الفضائل تعزى　　على اختلاف المعانى
ى　يرى بأوج المعالى　　بدراً بدا للعيان
ا　أبان للخلق نهج الـهدى [illegible] بيان
ء　إن هو إلا ملاذ　　نؤمه للأمان
و　ومن أتى لحماه　　ينال كل الأمانى
ا　اجل [illegible] فينا　　من يقتدى بالتجانى
ح　[illegible] له كل [illegible]　　[illegible] الأنام [illegible]
[illegible]

د دعاء من قد دعاه يقضى بغير توانى
ه هو المدد بسر من بحر فيض امتنان
م من أمه نال فوزا بين الورى بضمان
ل ليس له من نظير ولا له من يدانى
ل لايدركن علاه بعد الصحابة ثانى
ه هو الذى جل قدرا فى حضرات التدانى
آ أقامه الله ينجى كل مطيع وجانى
ز زره تنل كل قصد على ممر الزمان
ل لأنه بحر جود به امتلاء الأوانى
ا ادم عليه الحى تحية كل آن

وتربى رضى الله عنه فى حجر والديه الكريمين أما والده فهو العالم الكبير الولى الشهير سيدى محمد فتحا بن المختار بن احمد بن محمد فتحا بن سالم وأما أمه فهى الولية الصالحة ذات التجارة الرابحة السيدة عائشة بنت الولى الجليل أبى عبد الله سيدى محمد بن السنوسى التجانى المضارى رضى الله عن الجميع وإلى ذلك أشار صاحب المنية بقوله :

ما انجبت خود من الغوانى فى كل مامضى من الزمان
كمثل أم شيخنا الربانى عائشة الطاهرة الحصان
فما لحوائية فخر كما لها بشيخنا إمام العلما
سوى اللواتى جئن بالمختار وحزبه وصحبه الأخيار
إذ أنجبت به رضى مسددا مهذبا ممجدا مسوداً
من بعلها ذى الشرف الطينى والشرف العلوى والدينى
محمد نجل الفتى المختار نجل الرضى أحمد ذى الفخار
نجل المفخم الامام العالم سيدنا محمد بن سالم

وفاة أبويه رضى الله عنه :

توفيت أم سيدنا رضى الله عنه مع زوجها والد سيدنا رضى الله عن الجميع فى يوم واحد بالطاعون ودفنا معاً رضى الله عنهما بعين ماضى سنة ست وستين ومائة

وألف ولها رضي الله عنهما أولاد غير سيدنا رضي الله عنه ذكورا وأناثا وماتوا كلهم قبل موتهما رحمهم الله .

ولم يبق بعدهما مع سيدنا رضي الله عنه إلا أخوه سيدي محمد المكنى بابن عمر وأخته السيدة رقية وكانت أكبر سنا من سيدنا رضي الله عنه وكانت تأتيه إلى منزله ويكرمها ويواسيها ويرضيها حتى يبعثها إلى مكانها بعين ماضي وقد توفيت رحمها الله هناك في حياة سيدنا رضي الله عنه .

سيدي عبد الله المضاوي :

وتركت أخته رضي الله عنه ولدها العالم الجليل والعامل بالعلم الجميل من له المحبوبية الخاصة عند سيدنا رضي الله عنه بين خاصة الخاصة أبا محمد سيدي عبد الله المضاوي كان رحمه الله من أفاضل الجلة الذين طهرت قلوبهم من كل علة قد تخلق بالأخلاق المرضية واجتنب كل طريق للشر والخروج عن الطاعة مفضية ، وقد أخذ عن سيدنا رضي الله عنه طريقته ونال منها العلم اللدني وحقيقته ، وقد بلغ في العلوم الغاية حتى صار في المعارف بين الخلق آية . كيف لا ، وهو ابن اخت سيدنا رضي الله عنه التي كان يقربها إليه ويلحظها بعين التعظيم لديه كما تقدم . وبعد أن تكلم في جواهر المعاني عليها قال وتركت ولدا اسمه عبد الله حافظا للقرآن ومشاركا في بعض العلوم وله باع في علم الحساب وهو من أصحاب سيدنا وأخذ عنه وهو الآن بقيد الحياة بعين ماضي . اهـ

وأما أخ سيدنا رضي الله عنه المذكور فانه رحمه الله من جملة حملة العلم الشريف المتصفين بالأخلاق المحمدية الجامعين للفضائل المرضية ، وكان ذا همة لا يرضى بسفساف الأمور منزها نفسه عن الرذائل والشرور معظما عند الخاصة والعامة وحاصل القول فيه أن صفاته وذاته كاملة تامة . قال في جواهر المعاني فيه رحمه الله كان حافظا للقرآن العزيز ومشاركا في علوم الشريعة ، مبالغا في علوم الفرائض والحساب . مات رحمة الله بعين ماضي . اهـ

وبالجملة فإخوة سيدنا رضي الله عنه كلهم متصفون بمكارم الأخلاق قد طار صيت علومهم في سائر الآفاق . قال في الجواهر فيهم: وبالجملة فكل أولاد سيدي محمد رضي الله عنه يعني والد سيدنا رضي الله عنه نشئوا على أحسن حال وأكرم فعال

وأطيب خليقة وأمثل طريقة ذاهبون على مقتضى تربيته رضى الله عنه من الخروج عن العوائد والمألوفات والزوائد والتكلفات والتواضع فى أنفسهم ورفع الهمة عن أبناء جنسهم قد أخذوا بأشياء من سيرة والدهم وتخلقوا بها ودرسوا على سنتها وتحققوا بها (والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) والله تعالى يجازى العباد على قدر أعمالهم ونياتهم . زادهم الله من فضله وكان لهم بمنه وطوله اه

بداية سيدنا رضى الله عنه وأزواجه وأولاده :

واعلم أيضا أن سيدنا رضى الله عنه نشأ فى عفاف وصيانة وتقوى وديانة محروسا بالعناية محفوفا بالرعاية مقبلا على الجد والاجتهاد مائلا إلى الرشد والانفراد متطلبا للدين وسنن المهتدين ، مشتغلا بالقراءة ، معتادا للتلاوة .

حفظ رضى الله عنه القرآن حفظا متقنا فى سبعة أعوام على الأستاذ أبى عبد الله سيدى محمد بن احمد التجانى

ثم اشتغل بقراءة العلم الشريف فقرأ على جماعة من العلماء الجلة من فحول هذه الملة بعين ماضى وغيرها إلى أن تبحر رضى الله عنه فى علم الشريعة

ثم مال رضى الله عنه إلى طريق الصوفية والبحث عن المعارف الإلهية والأسرار الخفية وسافر فى طلب ذلك من بلد إلى بلد حتى بلغ غاية ماقصد بعد أن تلاقى مع جمع من العارفين والأولياء والصالحين رضى الله عن الجميع .

وقد كان زوجه والداه قبل موتهما لما بلغ الحلم رضى الله عنه من غير تراخ منهما فى ذلك اعتناء بشأنه وحفظا له من الشيطان وحزبه وصونا لأمره مراعاة للسنة المطهرة بالمبادرة بذلك ، وكان تزويجه سنة ثم طلقها سيدنا رضى الله عنه حيث رآها شغلته عن مقصوده الأهم من الجد والاجتهاد وحيث لم توافقه فيما رامه من العبادة وسلوك سبيل الرشاد .

ولما حصل سيدنا رضى الله عنه مقصوده وعلم أن التزويج مطلوب منه بمقتضى الاقتداء بالسنة اشترى رضى الله عنه أمتين مباركتين وتزوج بهما بعد عتقهما ونالتا منه رضى الله عنه الحظ الوافر من المودة التامة التى نالتا بها منه الفتح المبين والمقام المكين فى الدين مايبهر العقول ولايدركه الأكابر من الفحول .

فالأولى هى الدرة المكنونة واللؤلؤة المصونة السيدة مبروكة ذات الحزم

الشديد والرأى السديد . كانت رحمها الله شديدة السرور بسيدنا رضي‌الله عنه سامعة له ومطيعة وكان يحبها محبة خاصة لشدة اعتنائها به . لاسيما حين رزقها الله منه الخليفة الكبير والعارف الشهير سيدنا محمد الكبير رضي الله عنه ، ولازالت معه على أحسن مايكون إلى أن توفى سيدنا رضي الله عنه وتوفيت بعده رحمها الله .

والثانية هي السيدة الغالية المتصفة بالهمة العالية السيدة مباركة ذات القلب السليم والفضل العميم والمآثر الفاخرة والكرامات الظاهرة قد اختارها سيدنا رضي الله عنه لنفسه ، وطابت له بها أوقات أنسه وكان يحبها رضي الله عنه محبة خاصة لاسيما حين أكرمها الله منه بخليفته الأعظم الجامع بين مقامات العرفان الشائع فضله بالتواتر في سائر البلدان سيدنا محمد الحبيب رضي‌الله عنه . ولازالت مجدة بالإسراع في كل مايجلب السرور لسيدنا رضي الله عنه إلى أن توفى سيدنا رضي الله عنه وتوفيت بعده وكانت مع ضرتها السيدة مبروكة في أحسن عشرة مع اتصافهما معا بحسن المعاشرة مع أقارب سيدنا رضي‌الله عنه ومع من انضم إليهما في داره المباركة على طول الاجتماع ، وكذلك كل ما عنده من الخدم والعبيد كانوا على قلب واحد وذلك لشدة اعتناء سيدنا رضي الله عنه بالجميع الاعتناء الشديد مع سر تربيته السارى في الأحرار والعبيد وإذا رأى من لايؤثر فيه الأدب ولا يتخلق بأخلاق ذوى الحسب يخرجه من داره ولا يقربه وينبه على أفعاله لمن يصحبه .

وقد قال مرة لأصحابه رضي الله عنه كما في إفادة المقدم البركة سيدى الطيب السفياني رحمه الله : انظروا لى من أعطيه خادما ويكون يقدر على القيام بها وقولوا له تتخاصم مع الخدم وأنا البيع اليوم لم نبع والعتق لم تعتق لأمر فأتاه رجل أخبر بأمرها وقبلها فدفعها له بصندوق حوائجها وحليها وثيابها وأوانيها وكانت عادة سيدنا رضي الله عنه أن يعطى لعبيده من الأكسية والأطعمة مالا يعطيه لنفسه .

ورأى يوما بعض خدم بعض الناس مفرطين في كسوتهم ضائعين في أبدانهم مشوهين في لباسهم في زمن الشتاء فقال لأصحابه حاشا الله أرباب هؤلاء المماليك ان يشموا رائحة الإسلام .

وكان لايحب أن يترك تحت يده أو يد غيره من الناس خدما بلا تزويج ويقول لأصحابه من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها لغيره أو يبيعها بهذا

الشرط فليحط سبحتي ما بيني وبينه شيء وإليه أشار في المنية بقوله :

وصح عن هذا الامام ماترى من بعد ذا البيت أنى مسطرا
فتاركٌ إماءه في الضر من غير تزويج ولا تسرى
أو بيعها بأحد الشرطين فليس شيء بينـه وبينى

وهذه الأبيات الثلاثة سقطت من نسخة البغية المطبوعة مع بيتين قبلها وهما :

وسكر القالب شيخنا أمر بتركه وعن شرابه زجر
لكونه بأعظم الحمير يصنع والميتة والخنزير

وكان سيدنا رضي الله عنه يقول من كانت لزوجته خادم فليأمرها بتزويجها أو بيعها بالشرط المذكور وإن أبت يقول لها إن لم تفعلي طلقتك .

كذلك لايحب أن يترك العبد بلا تزويج. وأهدى إليه بعض أصحابه عبداً سباعياً جميلا فأمر رضي الله عنه بعض أصحابه أن يرده إليه وقال معتذرا له قل له لايمكنني تركه داخل الدار وفي خارجها يتضرر . إشارة منه رضي الله عنه إلى التحرز عن إدخال العبيد للدور لئلا يقع فاعل ذلك في مهواة الشرور ومما قيل :

لا ترج من أسود خيرا فإن بني حام إذا شبعت بطونهم فسقوا
وإن أنالهم الأيام مخمصة لابارك الله في أعمارهم سرقوا
ماساد منهم فتى إلا إذا قطعت منه الخصي أوذوى من عوده الورق

لكن كان سيدنا رضي الله عنه يخالفهم ويخالف قول بعض الشيوخ الجاري على الألسنة الدار المباركة ليس فيها مبارك ولامباركة وحين يسمعه ، يقول: الدار المباركة هي التي فيها مبارك ومباركة .

وكان كثيرا مايوصي أولاد الإماء على أمهاتهم وقال يوما لأحد ولديه رضي الله عنهما قل أمي حين جاء يشتكي بأمه وسماها باسمها فقيل له إن أولاد الإماء لايقولون أمي لأمهاتهم فقال رضي الله عنه ذلك عقوق .

وكان رضي الله عنه كثيرا مايشترى العبيد ويعتقهم في سبيل الله حتى إنه اشترى يوما نحو الخمس والعشرين نفسا وأعتقهم كلهم كما بلغني ذلك عن الثقات ممن خالط أكابر أصحاب سيدنا رضي الله عنه .

وإذا جاءه عبد أو أمة يطلب منه الشراء والعتق يفعل ذلك به ، وجاءته يوما أمة وقالت له اشترني لله ولم يكن له حاضرا ما يخلصها به فدفع قطعـــا لبعض أصحابه وقال له بعهم وشاورني فيهم لأخلص بثمنهم خادما أتتني وقالت لي اشترني لله وأنا ما عندي شيء نشتريها به لأن ماله رضي الله عنه كله مصرفه معين فلا يترك عنده شيئا مجانا بل كل شيء بنية شيء وقصده كما في الافادة .

وكان رضي الله عنه يقف بنفسه في مهمات خدامه ولا يتغافل عنهم فيما لا يرضاه الشرع حتى أنه كان لا ينام حتى يسد البيوت على عبيده كلهم ويجعل مفاتيح البيوت عنده في صندوق وفي الصبح يقوم بنفسه لحلهـا كل ذلك حرصا على أداء حقوق المملوك على مالكه .

وكذلك رضي الله عنه كان يفعل بنجليه الكريمين رضي الله عنهما فكان يسـد عليهما البيت الذي هما فيـه عند نومهما إلى طلوع الفجر قال البركة المقـدم سيدي الطيب السفياني في إفادته حين أراد سيدنا رضي الله عنـه تزويج ولديه رضي الله عنهما أمر بإصلاح بيتين من الدار واستعمال قفلين عليهما جيدين وأمر باستعمال صندوق ليستعمل فيه مفاتيح البيتين حين يسدهما على ولديه وأزواجهما من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ويفتح عليهما كما هي عادته الكريمة مع خدامه كل يوم يسـد عليهم مع الخـدم من بعـد صلاة العشـاء إلى الفجر ، ويقف إلى أن يخرجو ليصلوا كل ذلك حزم منه رضي الله عنه .

وبعد سبع سنين أو ثمان أخرجهما من الدار وأمر أمهاتهما إذا دخلوا الدار كل واحدة تقوم مع ابنها حتى يخرج من الدار وحين أخرجهما قام بأمرهما صاحبه الذي كان بالدار الصغرى وجعل لهما فراشين واحد من هـذه الناحية والآخر من الناحية الأخرى وجعل بيتا بينهما إلى أن توفي رحمه الله وقرب وفاته تزوجا معا يعني ما مات سيدنا رضي الله عنه حتى زوجهما .

ومن الغرائب أن اليوم الأخير من عرس أولاد سيدنا رضي الله عنه اجتمع الإخوان عنده رضي الله عنه وطلبوا منه الفاتحة فلما فرغ منها سقطت خصة من خصات الدار عن مكانها حتى ذاع ماؤها فكان ذلك الجمع آخر عهـــد بين سيدنا رضي الله عنه وبينهم ، ولما عزم سيدنا رضي الله عنه على تزويج أولاده رضي الله

عنه صار الاخوان يتسارعون فى إهداء بناتهم لأولاده رضى الله عنه وعرضهن عليه فقال معتذراً لهم أولادى لاتليق بهم إلا الصحراء ففيها يصلحون ويعيشون والبنت لاتليق بها إلا الحاضرة فما تمت السنة حتى كانوا قاطنين بها .

وقال رضى الله عنه لبعض خاصة الخاصة من أصحابه حين أراد تزويج ولديه رضى الله عنهما كما فى الإفادة ونصها: أحضر أصحابنا غدا إن شاء الله واعقد لمحمد الكبير على فاطمة بنت أخى ونب عنى من الطرفين واحضر احمد بن موسى يكمل لأخته حسناء واعقد لمحمد الصغير عليها وكانت يومئذ فى كفالته وافرض لها صداقا قدره لكل واحدة منهما خمسون ريالا روميا وزوج قفاطن أحدهما حرير والآخر ملف وزوج مناصر كتان وأربع محارم حرير كبارا وقطيفة وحايك كبير للغطاء اه

ولما زوج رضى الله عنه ولديه الأكرمين بهاتين الزوجتين المباركتين أزمع على الانتقال عن فاس حفظها الله من كل باس وعزم على الارتحال إلى القطر الشامى بجميع ما معه من الأهل والعيال بقصد الاستيطان به لما ورد فى فضله من الأحاديث عن سيد الأكوان عليه الصلاة والسلام فبينما هو رضى الله عنه قد أخذ أهبة السفر ولم يبق له إلا الخروج لهذا الوطن وقد نزل بأصحابه بسبب هذا الأمر من الحيرة والنكد مايذهل الوالد عن الولد حتى كادت أن تفتت أكبادهم وتنصرع أفئدتهم وتذوب أجسادهم وصاروا يرتقبون توديعه الذى هو فى الحقيقة توديع أرواحهم وتشييعه الذى هو تشييع مادة حياة أشباحهم إذ أشرق عليهم نور غرته وطلع عليهم بهاء محياه الكريم وسنى طلعته فبشرهم بما هو الشفاء مما دهاهم والترياق لما عراهم وأخبرهم بما نفخ به فى رميم أحوالهم الحياة الهنية فى حالهم ومآلهم وذلك بأن قال لهم رضى الله عنه وأرضاه: إن أولياء الغرب أبوا أن يفقدوا من بين ظهرانيهم نوره وسناه فطلبوا من حضرة سيد الوجود ورغبوا إليه صلى الله عليه وسلم فى بقاء وجوده العينى وشخصه المشهود بين الأغوار من قطرهم المبارك والنجود لأنه صلى الله عليه وسلم مربيه وكفيله وإليه يستند من أمره كثيره وقليله فأجابهم صلى الله عليه وسلم لمطلبهم ، وأسعفهم بمرغبهم فأذن له صلى الله عليه وسلم فى المقام وعدم الترحال فلم يمكنه إلا الانقياد والامتثال فعند ذلك قرت به فى الحضرة

الفاسية المباركة الدار وألقى من يده عصى التسيار وزال عن جميع الكرام ما كان قد روعهم بين الأنام .

وكان رضى الله عنه يقول حين يضيق خاطره من أمور الخلق ويرى إعراضهم عن الحق : والله لولا خوف الله حتى ندعو على أولياء المغرب لأنهم تسببوا له في سكنى فاس بعد أن كان قصده أن يسكن الشام كما تقدم .

وفاته رضى الله عنه :

ثم بعد كان العرس المبارك السعيد ، وطرح عصى السفر بين القريب والبعيد أحس سيدنا رضى الله عنه بذاته وازدياد حرارته الملازمة له طول أوقاته من السر الذي ناله في المقام الذي ارتقى له وفي الليلة التي توفى فيها رضى الله عنه قال لبعض الإخوان أنظر لى خمسة من أصحابنا يبيتون معى الليلة . ثم أمره رضى الله عنه بترك ذلك كما في الإفادة ، وقال أنا لا أستغنى عن الخدم في الليل والرجال والنساء لا يمكن جمعهم ، وصبيحة تلك الليلة عند الفجر قبضه الله تعالى إليه ، وذلك صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال عام ثلاثين ومائتين وألف وعدد سنى عمره ثمانون سنة رضى الله عنه وحضر خروج روحه جماعة من الإخوان وذلك بعد أن صلى الصبح اضطجع على جنبه الأيمن رضى الله عنه ثم دعا بماء فشرب منه ، ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته ، فطلعت روحه الكريمة من ساعته ، وصعدت إلى مقرها الأقدس .

وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وأمرائها . ولو لم يكن صاحبه أمير المؤمنين مولانا سليمان قدس الله سره بالحضرة المراكشية ، لحضر بنفسه جنازته مع من حضر وصلى عليه إماما العلامة الأوحد والمفتى الماهر الأمجد أبوعبد الله سيدى محمد بن ابراهيم الدكالى ، نسبة إلى الإمام التونسى الشهير وازدحم الناس على حمل نعشه المبارك الميمون وكسروه بأثر دفنه أعواداً صغاراً ادخروها للتبرك بما حل فيه من السر المصون ، ثم وضع في ضريحه والقلوب منفطرة لفقده وكل حاضر دموعه جارية على خده ، وذلك بموضعه المعلوم بزاويته المباركة رضى الله عنه .

وبالجملة بعد هذا — كما في البغية — فقد أجمع من حضر موته على أن ذلك

اليوم ، يوم مشهود ، تساوى به فى الازدحام على تشييع جنازته وحملها وحضور الصلاة عليه المعتقد والمنتقد ، والمقر والجحود ، فهنيئا لتلكم الحضرات الشريفة المنورة بما ضمنته من أعظامه الطيبة الزاهرة المطهرة ، ثم هنيئا فهنيئا لاينحصر تعداده وتكراره ، لمن ضمه جواره وإن نزحت به فى المشاهد داره ، وشمله عنايته وأنواره وإن شط به مزاره ، جعلنا الله بمحض فضله فى جواره الذى لا يضام ، فى هذه الدار وفى دار المقام ، بجاه ماله عند ربه سبحانه من أكيد الذمم وعظيم الحرم آمين . اه

وإلى تاريخ وفاة سيدنا رضى الله عنه أشار صاحب المنية بجمل حروف عجز هذا البيت :

وحين مات شيخنا ذو الشان ... مات الإمام العارف الربانى

ورمزت له بقولى (قطن الختم) وبقولى أيضا (دفن القطب المكتوم جلا بفاس) وفى هذا الاخير الإشارة إلى موضع دفنه وهو فاس حرسها الله من كل باس

ولنتكلم هنا على الزاوية المباركة تتميما للفائدة ولمناسبة المقام وعلى الله الصلة والعائدة .

بيان أصل الزاوية وما صارت عليه الآن وذكر بعض فضلها

إعلم أنه كان قبل إنشاء الزاوية المباركة يجتمع أصحاب سيدنا رضى الله عنه لذكر الوظيفة بباب داره رضى الله عنه غالبا بمدينة فاس ، وتارة فى بعض مساجدها إلى أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا رضى الله عنه ببناء الزاوية المباركة ، وأن يختار لها أحسن البقاع وأطيبها فاختار رضى الله عنه ، بإشارة منه ، الموضع الذى بنيت فيه ، بحومة الدرداس ، المعروفة اليوم بالبليدة ، فاشترى رضى الله عنه من ماله الطيب الحلال ذلك الموضع — وكان خربة منهدمة — من ملك أولاد أقوى وكانت فيها كرمة كبيرة ، وبموضعها دفن سيدنا رضى الله عنه ، وكانت تلك الخربة مهيبة لا يقدر أحد أن يدخلها وحده . وقد بلغنى على لسان الثقة أنه كان يسمع فيها فى بعض الأحيان كأن جماعة يذكرون فيها وكان يقصدها غالب مجاذيب فاس .

وكان قبل بنائها يأتى إلى تلك الخربة المجذوب المشهور سيدى اللهى ويجعل أذنه

على بابها ويقول للمارين ائتوا لهذا الموضع تستمعوا الذكر . فلما أنشئت الزاوية هناك ، صار يقول فى الزقاق على عادة المجاذيب ، تحصنت فاس خصوصا الدَّرداس — وكانت حومة البليدة تسمى بالدرداس —

ثم اشترى سيدنا رضي الله عنه ماجاورها ، وكان من جملة ما أضافه إليها ، بيت محبس على امرأة ، وقد أرضاها سيدنا رضى الله عنه فى ثمنه ، وكان يغريها على عدم بيعه حساد وقته ، وكان إرضاؤها بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : ذلك مكانى لا أحب أن تبقى فيه تبباعة لمخلوق . كما حدثنى بذلك سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به .

ولما أراد سيدنا رضى الله عنه بناءها ، تعصب أهل فاس وصارت كلمة مبغضيه واحدة على عدم بنائها ، وبلغ الأمر للجناب العالى أمير المؤمنين مولانا سليمان قدس الله روحه فى الجنان ، فأجبر عليهم فى البناء ، لما شاهده من كرامات سيدنا رضى الله عنه ، وأرسل إلى سيدنا رضى الله عنه صرة مال إعانة على بنائها ، ونفذ له كل مايحتاج إليه . فرد سيدنا ذلك كله عليه ، وقال لست أحتاج إلى شيء مما أمرت به لنا ، والزاوية أمرها قائم بالله.

وكان أول إنشائها وبنائها عام خمسة عشر ومائتين وألف . سنة 1215 إنشاء الزاوية بفاس

واعلم أن هذه الزاوية المباركة لها من المزايا ما افتخرت به على جميع الزوايا ، حتى إن سيدنا رضى الله عنه كان يتكلم يوما فى فضلها فقال : لو علم أكابر العارفين ما فى الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم . وكان رضى الله عنه كثيراً ماينوه بقدرها ، ويحض على الصلاة فيها ويقول : الصلاة فى الزاوية مقبولة قطعا . وإلى هذا أشار صاحب المنية بقوله :

وما بزاويته يصلى قطعا يكون للقبول أهلا

وقد بسط القول على هذه المزية ، صاحب البغية ، بما يزداد به الموفق الرشيد تسليما وإيقانا ، رغما على أنف المنتقد الذى نال باعتراضه وإعراضه خسرانا . وقد أشرت إلى هذه المزايا وزيادة فى بعض القصائد التى مدحت بها هذا المقام ، الذى لايخيب من قصده من الآنام على ممر الدوام . فمن ذلك قولى من قصيدة قلتها فى مبادىء النظم .

ألا وأنيخن في روضة بها قبره ترق مع من سعد
فأكرم بها بقعة شرفت جديراً بها ينجلي كل إد
بزاوية بالتقى أسست ورضوان رب ونيل الرشد
وزاوية سرها فائض فعم أريجـــه كل بلد
وزاوية أصلها ثابت ونور بها للسماء صعد
فأر لها قائم بالالـــه بشرى لمن أمها وقصد
بها للصلاة قبول بـلا مرى يالها كم بها من مدد
لذلك الاقطاب لو علمت فضائلها استوطنوها بجد
بها للشفيع حضور مع الـــصحابة في كل يوم شهد

وهي طويلة إلا أنها اشتملت على السناد الذي هو من عيوب الشعر ، لكن وقعت والحمد لله في عين القبول عند سيدنا رضي الله عنه وقد رأيته بعد تمامها في رؤيا واستحسنها ودعا لنا بما نرجو من الله قبوله . ومن هذه القصيدة قولي بعد ذكر بعض فضل هذه الطريقة المحمدية وأهلها ببركته رضي الله عنه .

وكم من فضائل قد خبئت ليوم المعاد بها نستبد
بفضل الإله منحنا بذا على رغم أنف الذي قد حسد

وقلت من قصيدة كاملة دالية :

إن التجاني في الأنام طريقه مثلي على نهج السبيل الأحمدي
فاسأل به المولى فإن سؤال من به قد توسل لم يخب في المقصد
واقصده بالتأديب تكس جلالة ومهابة عند العدا والحسد
من حل ساحة مجده حلت به الـــبشرى ونال رضى بعيش أرغد
فمقامه كمقام ابراهيم من يلجئنه يأمن وهو أفضل مسجد
إن الصلاة قبولها فيه بلا شك لكل موفق متعبد
في كل يوم فيه يحضر خير من وطيء الثرى والصحب خير الزهد
زاوية حوت الفضائل كلها وعلى التقى قد أسست بتزهد
زاوية فيها مزايا جمة وبها علت فاس فويق الفرقد
يافاس إنك في ضمان المصطفى حيث التجاني حل فيك بمرقد

فضريحه الأنوار فيه تلألأت والسر منه يفيض للمستمدد
ظهرت لكل سليم صدر شمسه والنور لم تنظره مقلة أرمد

وقلت فى الهمزية فى مدحه رضى الله عنه :

شافهه المصطفى فأعطاه وردا وهو يقظان ما بهذا افتراء
وله قال أنت عندى حبيب مع من كان منه فيك انتماء
لم أفارق زاوية أنت فيها كل يوم تأتى معى الخلفاء
فسنى أنوارى يلوح عليها وبشأو العلا لديها سناء
روضة أسست على طاعة الله وفيها للقاصدين الشفاء
صانها الله فاكتست من جمال وعليها من الوقار رداء
لجج السر عندها فى طفو وذنوب الوراد فيها انطفاء
لو درى الأقطاب الذى قد حوته من مزايا حبوا إليها وجاءوا
ولحلوا فيها لكسب المعالى ولكانت بالباب منهم خباء
فقبول الصلاة فيها حقيق وخليق بها يجاب الدعاء
أمرها بالإله قد قام حقا وبسكنى الأخيار يسمو البناء
فقضايا الهدى يدوم علاها فى حماها والريب فيه انمحاء
قد علا فى العلاء منها ضريح بسنى منه تشرق الأرجاء
لم يزل سره يعم البرايا من أتاه تحفه السراء
يا له من قبر حوى كل فخر شرفت منه البلدة الغراء
حيث فاس كانت على الحق تبقى فأمان منه لديها الثواء
فبأمر من الرسول أتاها مذ سعى منه ذلك الأولياء

إلى غير ذلك

ومن خصائص هذه الزاوية المباركة ، أن أرضها لايدفن فيها أحد ، تطهيراً لها وتعظيما. وقد شدد سيدنا رضى الله عنه فى ذلك ، حتى قال : من يدفن فى الزاوية تأكله النار لامحالة .. وقد وقفت على رسالة من ابن سيدنا رضى الله عنه وخليفته ، سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه ، إلى بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنهم ، يأمرهم بما نصه منها :

وأما ماأؤكد به عليك ياسيدى الطيب ، وياسيدى موسى ، وياسيدى بوعزه والحاج المكى بن عبد الله ، والحاج الكبير الحلو ، بوصول كتابنا هذا إليكم ، تشتروا رخامة وتكتبوا فيها بالنقش كما هوصنعة المغرب ، والكتابة التى تكتبونها فى الرخامة هوأن تقولوا : وأن من يدفن فى هذه الزاوية تأكله النارلامحالة ، بوعد صادق منه صلى الله عليه وسلم كما سمعتم أنتم من أستاذنا فى حياته ، وهو فى علمكم إلا أن تجهلوه ، وحين تكتبونه تجعلونه تجاه وجه سيدنا فى الحائط لئلا تندرس أبداً ، وتجعلون فيها : فمن بدل أوغير فالله حسيبه ومتوليه ، (وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون) افعلوا ما أمرتكم به من غير تراخ ولا توان .

وأما نحن ، فما خوفنا من هذه الساعة التى أنتم فيها ، لخوفنا من ساعة أخرى تندرسون أنتم ويأتى قوم بعدكم . حدثاء الأسنان ، فيضلون من بعدهم ويهلكونهم وإياهم ، ونحن لانرضى بأحد من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تأكله النار . وهذا بوعد صادق منه صلى الله عليه وسلم ، فمن بدل أوغير فالله حسيبه ، وأما أنتم إن لم تفعلوا ما أمرتكم به فتخافون على أنفسكم من الجانب الذى تعلمونه إلى آخرها . وقد امتثلوا الأمر وهى الرخامة التى فى وسط الحائط المقابل لباب الزاوية القديم ، مطوقة بنظم مضمن فيه هذا المعنى ، يقول فيه ناظمه ، وهو الشريف الأصيل البركة الجليل المقدم سيدى الطيب السفيانى رضى الله عنه على لسان الزاوية ذاكرا فيه تاريخ ذلك ومشيرا لمن أمر بذلك رضى الله عنه :

انظر بديع جمالى	يسبى العقول السليمة
واخضع له وتذلل	عسى يراك خديمه
ولا تمار بقولى	تك ابن أم كريمة
إن حرامى حرام	تدفن فيه رميمة
تاج المعالى التجانى	طهر أرضى الوسيمة
أشهد بما جذا	شهادة مستقيمة
والنجل دام علاه	أمضى بصدق العزيمة
تاريخ رمز شريف	فاق العقود النظيمة

وفى هـذا المعنى يقول صاحب سيدنا رضى الله عنه الأديب الأريب ، سيدى الحاج الطالب اللبان رحمه الله :

هـذا ضريح كريم ... يشرق فى القلب شمسا
أساسه مستقيم ... فى السعد ماشام نحسا
بإذن خير البرايا ... للشيخ مأوى ودسا
على التقى والتصافى ... لم يجد لوثا ونكسا
فيه المعارف تجلو ... فيه الفيوضات تحسى
فيه الشفاعة دأبا ... لـكل من فيه أمسى
صدق وعظم ثراه ... ولابه تبـغ رمسا
نهى النبى وأبدى ... نصحا لكونه بخسا
والشيخ أوعد حقا ... من رام خلفا ورجسا
ونجله زاد حصنا ... خشية قوله ينسى
فاحذر تخالف ماقد ... يحييك واجعله مرسا
للذكر تحيى سعيدا ... فى الروح ذاتا ونفسا

وقال رحمه الله على لسان الزاوية :

يامصلى بشراك نلت قبولا ... مرتضى للصلاة فى أى حال
خصنى الحق وارتضانى فناء ... لفريد المقام غوث الـكمال
صاحب الختم فى الأنام مربى ... قدما بالوفا لخول الرجال
صل فرضا بمنزلى وتنفل ... مطمئنا تفز بخير وصال

وقال فى مدح سيدنا رضى الله عنه ومدح زاويته المباركة .

هذا ضريح الشفا لمن يشاهده ... وروض من يتمنى الروح والرغدا
بشرى لداخله حبـسا بميسرة ... وبالأمان لدى الهول العظيم غدا
يامن هنا ذكر المولى وعظمه ... لك الهنا بالأمان فاشكر الصمدا
رجعت بالفوز شاهد فيك منته ... واعلم بأنك نلت فى الـكمال مدا
أرضاك دهرك إسعافا بزورته ... فالزمه دأبا تنل كنه الرضا وهدى
وقل أيا أحمد التجـان خذ بيدى ... تجده أحمد من أنجى ومن حمدا

عليه من ربه الرضوان تكفله   على النبي صلاة تملأ الأبدا
والله والله ما نطقت مفتريا   وإن أحمد فى الأكوان بحر ندا

وقال أيضا فى مدحه رضى الله عنه من بحر هذه الأبيات ورويها :

هذا الهلال الذى أضا العوالم فاهتدى بنوره كل سالك وهدى
ودت تسايره النجوم فاعتريت   خسفا وأنسّق فى سماه منفردا
لما انثنى بعد أن أحيا الثرى كملت   منه الأمانى وأضحى النهجُ متحدا
دمت جوارحه ففاض عنصرُ   وطاب للخلق موردا وملتحدا
يحكى السما زينة وشمسها صفة   والأرض إن أبهجت تجملا وندا
تجاننا المنتق للختم من عجزت   عن وصفه مهج النهى ومن رصدا
قطب الأكابر منبع الفيوض على   جميعهم غوث من أسدى ومن صعدا
سماه غوث الورى المكتوم فهو له   تجل حق خليفة تق وهـــدى
قل ما تشا فيه من غير النبوءة دع   واعلم بأنه فرد دهرنا وفدا
هو المعين الذى ساغت موارده   عذوبة وصفا ولذة وغذا
منجى اللجى، مغيث الحب ري صيد   هدى الضلول غنى من كان معتقدا
عنيت أحمد فيض القدس فى زمن   كلاه رقيا عدا من صار منتقدا
أثنى عليه تجـــديا وكل فتى   يثنى عليه بجدوى ان جدا وجدا
عسى ينظمنى فى سلك شيعته   فأغتدى فى صحابه الالى وعدا
مولاى فيك ذهبت وفيّ معتقدى   واصفح ولاتعدُ عن مهجة ويدا
أهوى لقاك وفى الرضوان أمنيتى   فنبْ على الموت فىْ ودّنني أبدا
ونب على العيش فى جميع دائرتى   وحيّ حي فلم يذهب نداى سدى
قد جل ما نال منك الصحب من أرب   وإنما أرتجى أعلى الجوار غدا
بحق مجدك نب عنى بكل ثنا   على الشفيع الذى به الوجود بدا

وسيأتى لنا إن شاء الله فى ترجمة هذا السيد بعض قصائده التى مدح بها سيدنا رضى الله عنه .

وللعارف بالله ، العالى فى رتبة الكمال علاه . الولى الصالح والنور اللائح ، أبى المواهب سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه هذه القصيدة على لسان الزاوية

لك البشرى فقد نلت الأماني وحفتك المسرة والتهاني
غداة وفيت بابي ذا خضوع لربك بالجوارح والجنان
فطه المصطفى خير البرايا تكفل بالسعادة والأمان
لمن يأوي إلى بابي محبا لمن بعلاه أعلا الله شاني
وبهَّى منظري بين الزوايا فصرت يشار نحوي بالبنان
وألبسني من التكريم تاجا يجل سناه عن وصف اللسان
أبو العباس أحمد من تحلى بنعت الختم فردا دون ثاني
فريد الدهر في علم وهدى سليل المصطفى الغوث التجاني
فأرقاني بذكر الله ملاي وتكثير الصلاة بلا تواني
على الهادي حبيب الله من قد حظيت بذكره في كل آن
ومن يلجا إلى كنفي مريداً يكون قراره أعلا الجنان
بهذا بشر الأستاذ حقا وأكدت البشارة بالضمان
لذا أمسيت في شرف ونيه ومن دوني السها والفرقدان
وصلى خالق في كل حين على من خص بالسبع المثاني
صلاة مثل صوب الغيث تترى وتشمل آله طول الزمان

وله رضى الله عنه في بعض المرات التي زار فيها سيدنا رضى الله عنه يقول مخاطباً له :

يا فرحتي إني على باب الكريم مخيم
والضيف حقا إن أتى باب الأكارم يكرم
ونبينا خير الورى وهو الرسول الأعظم
قد قال من يك مؤمنا فالضيف حتما يكرم
ولأنت أولى سيد يدعى لديه تكرم
والعبد ضيفك لا يرى لسواك منه توسم
... لم يكن أهلا لأن يولى القبول ويرحم
... عظم أوزار له فلعفو ربي أعظم
والـ... أنت ومن رقى باب الكريم يكرم

يا زائرا قد خصه بالختم رب أكرم
وكذا الختام غدا به دون الأكابر يعلم
اقبل عبيدا ماله إلا ببابك مجثم
والحظه منك بنظرة تغنى فلحظك أعظم
تشفى بها أسقامه فهو العليل الأسقم
ولدى علاك دواؤه وبه الشفاء محتم
من فضل مولاك الذى حفتك منه الأنعم
فعليك خير تحية تروى ثراك فتفعم
أزكى الصلاة على النبي بشذا العبير تختتم
والآل طرا ما ارتقى لذوى المكارم سلم

وللشريف الأديب الغطريف الأريب ، سيدى محمد غيلان الوزانى رحمه الله تعالى فى الزاوية المباركة رمادحاً جناب سيدنا رضى الله عنه :

هذى مطالع أنوار السعادات أم ذى حدائق أزهار الكمالات
أم ذى مرابع قوم لاح فضلهم شرقا وغربا على كل البريات
أم ذا سبيل نجاح السالكين إلى مغنى الرشاد وأشرف المقامات
أم المقام الذى تزكوا الصلاة به ويحصل القطع فى أجر العبادات
نعم ضريح أبى العباس أحمد من مقامه قد علا فوق السماوات
وروضة سطعت أنوار ساكنها على الشموس بإبراز السعادات
إذ سيد الثقلين خصه شرفا بقربه وبأسرار منيرات
فعفر الخد فى ساحاته أدبا وقبل الأرض من بعد التحيات
واغنم بوقت أتاك السعد طالعه وانهل فهذى ينابيع الكرامات
ولذ بجاهه عند الله واسع فقد أتيت أعظم أبواب الشفاعات
فما تحير ذو خطب ولاذ به إلا تبختر فى برد السلامات
ولا أتاه بشوق مدنف وجل إلا وأصبح فى روح وراحات
فيا محب أبى العباس زد شغفا بحبه واسع فى صدق الطويات
إنى علقت بتاج الأولياء ومن أرجو بجاهه أن تقضى لباناتى

يا ملجئى يا أبا العباس ياسندى ويامغيث الورى لدى الملمات
أوصافك الغر لانحصى وأين لنا عن حصرها قصرت كل العبارات
ماوى الغريب أغث ضيفا بحيكم حلف الأسى بخطوب مدلهمات
يرجو بذلك أن تصفو مشاربه وأن تلاحظه عين العنايات
ما اسود ذنبى وأنتم آية طلعت يمحوه إن للغفران آيات
صلى الإله على خير البرية ما نظم الدر فى سلك القلادات
وآله وعلى أصحابه وعلى الـ قطب التجانى وأرباب الهدايات

وله هذه القصيدة المشهورة وقد استعملها قرب وفاته رحمه الله .

إن ترم نيل الأمانى فالزم القطب التجانى
إن تفز منه بقرب لك بشرى وتهانى
كيف لا وهو إمام قطب أقطاب الزمان
قد حباه الله فضلا ماله فى الكون ثانى
ورقى أعلا مقام جل عن وصف اللسان
خص بالفاتح ورداً وبقرب وتدانى
وبأنوار وسكنى الـ صحب فى أعلا الجنان
سيد الكونين أهدى لهُ ياقوت المعانى
وحباه القرب إذلا أحد منه يدانى
لم ينل قط ولى ما حوى القطب التجانى
يا أبا العباس يامن باسمه طاب جنانى
يا أبا العباس أشكو فانك الخطب دهانى
يا أبا العباس أرجو ظل يمن وأمان
يا أبا العباس فافتح فتح فضل وامتنان
أنت غياث البرايا أنت منجى كل عان
أنا ضيف وجزاء الـ ضيف تعجيل الأمانى
صل يارب على من خص بالسبع المثانى
وعلى آل وصحب وعلى القطب التجانى

وقد تذكرت هنا قصيدة دالية فى هذا البحر كنت استعملتها قبالة ضريح سيدنا رضى الله عنه فى مدحه وهى :

سيدى أنت مرادى ... وملاذى واعتمادى
لم يمل جسمى لغير ... لا ولا مال فؤادى
لارعى الله فؤادا ... غره لوم الأعادى
ولحا الله عذولا ... لذوى العشق معادى
ورعى الله محبا ... ليس يمتر بمادى
جد بوصل ياحبيبى ... واتركن عنك بعادى
يا أبا العباس شيخى ... وإمامى واستنادى
أنت والله إمام ... لطريق الفوز هادى
أنت فى الأكوان قطب ... لم يزل فضلك باد
أنت غوث فى البرايا ... منقذ كل مناد
أنت بدر قد تسامى ... فى العلا فى كل ناد
أنت شمس أشرقت فى ... سبل طلاب الرشاد
أنت بحر فاض منه ... مدد بين العباد
وأنا عبدك يامن ... جوده دون نفاد
كن مجيرى كل وقت ... وقنى شر الأعادى
وأنلنى كل قصد ... ومرام ومراد
حاش أن يرجع ظنى ... خائبا بعد انقياد
والتحيات عليكم ... من إلهى الجواد

ومما هو مرسوم فى الزاوية المباركة من الأمداح الشعرية قول صاحب سيدنا رضى الله عنه أبى العباس أحمد الودانى الشنجيطى بالقنطرة المقابلة للباب القديم :

إلى أحمد التجانى وجهت رغبتى ... وما ضاق من أمرى وماقل من صبرى
وللمصطفى وجهته وبوجهه ... تشفعت كى أعطى السلامة من ضرى
فمن فضله أرجوه يعطف عطفة ... ويدفع عنى الضر من حيث لا أدرى

ويدفع عنى العسر باليسر عاجلا ويفتح لى قلبي ويشرح لى صدرى

وبحذا البـاب القديم قوله أيضا :

باب السعادة والأمان والظفر لداخليه جميع السؤل والوطر

وحاج من حج ذا المقام قدقضيت وصب فيه عليه الخير كالمطر

ثم زيد فى الزاوية عام ١٣٠٢ ما هو من جهة المحراب الجديد ونقش بداخل المحراب فى الزليج الأسود هذه الأبيات ، وهى من نظم الشريف الأديب سيدى الفاطمى الصقلى رحمه الله .

زر ذا الضريح وصل فى محرابه فقبول أعمال الورى أحرى به

واذكر به مولاك واتل كتابه واعمل بما قد نص فى إعرابه

وبه فصل على النبى وآله أهل العلا وكذا على أصحابه

واجعل وسيلتك التى يسمو علا هذا الضريح بها على أضرابه

ذاك التجانى أحمد قطب الهدى بحر الندى الوفد من طلابه

وبجاهه فاسأل تنل ما تبتغى إذ جئت باب الفضل من أبوابه

واجعل عكوفك ما حييت مؤرخا حسن التعبد فى منى محرابه

ومن نظم صاحب هذه الأبيات رحمه الله هذه القصيدة :

فؤادى مل لأرباب المعانى وقصر من هواك وما تمانى

وحى أهيل ذاك الحى من قد سموا بسما المعارف والمعانى

وفازوا من إلههم بقرب فما نام من المولى كدانى

هم أهل التخلى والتحلى هم أهل التجلى والعيان

وكلهم من المختار نالوا وما رشف كتعمير سيان

بجاههم أنادى عند تادبــهم الله السميع لما عرانى

خصوصا فى ضريح القطب أعنى أبا العباس أحمد التجانى

عريق الأصل نجل أبى على حفيد المصطفى كهف الأمانى

هو البدر المنير لذى ضلال هو المجلى لكل صدى ورانى

هو النحرير فى الإتقان فرد بمنطقه يفصل للجنان

فكم أبدى بآثار وماى معانى لاتبيد مدى الزمان

وكم جاءت لحانته وفود　　فآب الكل بملوء الأوانى
مناقبه بحور وابل همع　　نجوم لايحيط بها جنانى
لبابك قد أتى ذا العبد يرجو　　قضاء لبانة وفق الأمانى
أيا قطب المعالى والعوالى　　ويافرد الأعاصر والأوان
تفضل بالحباء على محب　　صقلى بموصول التدانى
بحرمة جدك المختار طه　　إمام الأنبياء ذوى التهانى
صلاة الله رب الخلق طرا　　وتسليم دواما بافيـــان
لأحمدنا وآل ثم صحب　　أولى العرفان أصحاب البيان
على مر الدهور وما تناهت　　فؤادى مل لأرباب المعانى

وعلى خارجه فى الجبص هذه الأبيـات منقوشة وهى من نظم الشريف البركة سيدى أحمد السمياتى الحسنى رحمه الله .

بشرى لمن أم فى المحراب بشراه　　إن كان محتسبا لله يشراه
أقام وجهته لله خالصة　　وكان فى سره مايرتضى الله
أحيا طريقة من أحيا الظلام ومن　　تورمت فى رضى الإله رجلاه
صلى عليه إله العرش منه له　　والآل والصحب تنوبها لعلياه
إن الصلاة على النبى موجبة　　لكل خير من الرحمن ترضاه
عمر بها الوقت لاتبغى بها بدلا　　تعطى من الله ماترجو وتهواه

وله أيضا رحمه الله :

هذا ضريح أبى العباس أحمد من　　عمت فضائله من فضل مولاه
فاخضع له وتأدب دائما معه　　عسى يجود بفضل منه ترضاه
بيت النبوءة بحر الجود مركزه　　من عظم الله شأنه وأرضاه
هذا ابن فاطمة الزهراء من عظمت　　عليه نعمة مولاه فأولاه
أعنى التجانى تاج العارفين ومن　　بالختم أكرمه المولى وولاه
هو اعتمادى فلا أبغى به بدلا　　وحبه خير ما يلقى به الله

ولشيخنا العلامة النحرير سيدي الحاج محمد فتحا فنون من قصيدة مثلها في الوزن

يا زائرا لحمى ذا الشيخ مبتهلا … بشراك بشراك قد نلت ما ترجاه
بالله بالله لا تنفك قاصده … واضرع إليه ولازم رحب مثواه
نور الهداية من فاضت معارفه … فالعارفون استقوا من بحر معناه
ساد الأنام سوى صحب النبي فلا … تنكر مقاما به قد خصه الله
إن النبي بسر الختم بشره … صدق ولا تعترض فالله أعطاه
أعني التجاني أبا العباس سيدنا … خليفة المصطفى فالله أولاه
حب الرسول الذي ما إن يفارقه في … يوم العروبة والاثنين مغناه
خديمه في جنان الخلد مسكنه … مع والده وذرية ومن تبناه
له مع الناس ألطاف تعمهم … وألطاف الخاص خصه به الله
يوم القيامة يرقى الشيخ منبره … وينظر الكل أين منه مرقاه

وهي طويلة ، وله هذه القصيدة لا عدمنا الله فاه ، ومن كل ضر شفاه :

إن شئت أن تحظى بكل مؤمل … وتفوز بالإسعاد والإيناس
وتجار من ضير الزمان وضيقه … ومن المضرة والبلا والباس
فعليك بالحبر الإمام المتقي … قطب الورى أعني أبا العباس
ذاك التجاني حاز كل فضيلة … بالختم مسنده إله الناس
تالله ما حاز امرؤ كمقامه … وكماله جلت عن المقياس
أوراده مروية عن أحمد … خير الورى يقظان دون نعاس
من بحره الأقطاب طرا تستقي … نهر المدد لهم بأطيب كاس
لا فرق بين قديمهم وحديثهم … صدق وألغ مقالة الوسواس
أصحابه مغفورة زلاتهم … سيان في ذا عامد والناسي
ومقامهم أعلى وأعظم مفخرا … من رتبة الأقطاب والأحراس
وأجور طاعة غيرهم تكتب لهم … أضعافها وهم حسان نماس
خير الورى المختار يحضر موتهم … ووظيفة مع حضرة الأكياس
قد بشر الهادي النبي المصطفى … بجميع ذا الشيخ الهمام الآسي
فاعلق به لا تعد عن أعتابه … تظفر بفضل لم يقس بقياس

واحطط رحالك كلها بفنائه تنل المرام ولاترى من باس
وإذا تصبك خصاصة فبه استغث مستصرخاً ينجيك من إفلاس
واهتف به مستعطفا ومناديا إنى ببابك يا أبا العباس
أنقذ غريقا فى بحار ذنوبه وأنله منكم عطفة ياءاسى
ياسيد السادات ياقطب الورى عالج بفضل منك قلبى القاسى
وأنل عبيدك نفحة تجلو الصدى لاتتركنه عرضة الأنجاس
أزكى سلام طيب عطر ند يزرى شذاه بعنبر وبآس
يغشى ضريحك كلما هبت صباً بل يستمر على مدى الأنفاس
ثم الصلاة على النبى وآله وصحابه أهل التقى والباس

ثم زيد فى الزاوية ما هو من جهة السقاية مع الباب الجديد بتاريخ ١٣١٦ ومن الأمداح المرقومة فى ذلك ماهو فى خشب قنطرة الباب الخارجة منقوش هذه الأبيات الأربعة من قصيدة الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه :

هذا المقام على تقوى من الله قامت دعائمه بالله لله
تاج المعالى التجانى زان بهجته بإذن طه ، إمام صفوة الله
فارتع رعاك الله إن مررت به فى روضة من جنان الأنس بالله
واحضر به ذاكرا لله فى أدب واشكر لمولاك واشهد منة الله

وتمامها :

مع فتية أخلصوا لله وجهتهم وطهروا سرهم مما سوى الله
والحظ وساطة من لولاه ما اتضحت سبل الهدى لمريد حضرة الله
كلا ولا خلقت نفس تدين بما جاءت به الرسل من أوامر الله
وقف بباب علاه واسترد مددا فى كل حين تزد قربا من الله
والشيخ همته قدم أمامك فى كل الأمور تفز بعصمة الله
واعلم بأنك إذ حللت حضرته من كل غائلة فى ذمة الله
ونزه الفكر منك أن تدنسه فى ذا المقام بما يلهى عن الله
لحضرة القرب حقا لايناسبها إلا التجافى لما يقصى عن الله
لذا أتتنا عن الأستاذ موعظة قرت بها عين من أناب لله

فشدد الزجر للأصحاب كلهم ... عن كل فعل ينافى حرمة الله
وقال من قبرت به رميمته ... فالنار مثواه غيرة من الله
وجاء أن نحى المولى محارمه ... فاسرد حديثا صحيحا لبس بالواهى
نعوذ بالله من عصيان قدوتنا ... بما يجر إلى سخط من الله
فسخطة الشيخ عمن قد يبوء بها ... على مخالفة من سخطة الله
ثم رضاه عن الراضى إشارته ... فيما به قد أشار من رضى الله
والله أسأل لى عفوا ومغفرة ... والوالدين مع الأحباب فى الله
والختم لى ولإخوانى بأسرهم ... بخير خاتمة فضلا من الله
بجاه من ليس لى سوى شفاعته ... ذخرا أرجيه دائما لدى الله
دامت عليه صلاة الله يصحبها ... منه السلام دوام الملك لله
وآله الغر والأصحاب أجمعهم ... وكل من ينتمى لجناب الله

وبدائرة الباب فى الجبص قول الأديب الفقيه السيد علال بن شقرون رحمه الله وفيه التاريخ .

مقام الخير مفتاح الفلاح ... وباب الرشد ينبوع الصلاح
مقام الخاتم المولى التجانى ... أبو العباس ذو الشرف الصراح
سليل المصطفى مولاى أحمد ... إمام الأوليا بحر السماح
تأدب إن دخلت إليه واخضع ... لتاج العارفين بلا جناح
فباب الخير مفتوح ينادى ... إلى القربات فى روح وراح
وقد برزت متوجة بعام ... لما شرف يتيه على الملاح

ومن مديحه لجناب سيدنا رضى الله عنه قوله :

خلاى هيجتما شوقى وبلبالى ... من حيث أزمعتما الترحال بالبال
إن تظعنا فأسير الروح بعدكما ... فى حالة البعد لايلوى على آل
خلاى مهلا فما اقتنى خلالكما ... سرا وجهرا بأقوال وأفعال
ياجامعا الخير والأسرار إنكما ... أهل النهى والسنا والمقصد العالى
هداكما سائق الإله موهبة ... إلى حلول الحمى بغير ترحال
ونلتما أملا أولاكماه قرا ... قطب الكمال وشمس السبق والتالى

أبو الفيوض أبو العباس تجمّعنا　　من ليس ينعته تعداد أقوال

وفزتما بجوار منه آونة　　في عز أمن ويمن كامل غال

لله در زمان قد رشفت به　　سلاف أنس بكم بكل جريال

فلا خلا الربع من مسناكما أبداً　　ولا ونى ذكركم والذكر أحلى لي

وله لما رودت القبة (١) الدوزنية لضريح سيدنا رضي الله عنه في التاريخ المذكور

يا أبا العباس ياعين المنى　　يامليك الختم يا كل الهنا

قد علا مثواك ضريح منتقى　　عز شكلا ورواء وسنا

فعلى رونقه السر الذي　　وعلى حسن بهاه أثنى

وغدت أنواره مشرقة　　فهي ليلا ونهاراً تقتنى

لو بدت شمس الضحى في سيرها　　عند مرآه لعادت سكنا

أو سرى في شرفه بدر الدجى　　فرأى حسن سناه افتتنا

ماله في الغرب شبه وكذا　　مارأى مثله من يخبرنا

حبذا صنع بديع حبذا　　حبذا فضل أتاه الفطنا

وفي عضدي الباب الجديد هذان البيتان المنقوشان في الزليج :

زوايا التجاني المعظم قدره　　بإذن رسول الله خير البرية

فيعمرها من كان لله ذاكرا　　وصلى على الهادي بإخلاص نية

وبعدهما في الخشب الداخلين على الترتيبة ، من نظم شيخنا الأديب سيدي الحاج عبد الكريم بنيس :

هذي الزوايا قد حليت بسدادها　　يمنا وذا المسجد الإبريز واتاها

ببقعة شرفت بالختم قدوتنا　　مولاي أحمد غوث شيخنه طه

وبساريتي السقاية منقوش في الزليج أيضا له :

رد المشرب الصافي الزلال مبادرا　　فهذى ينابيع القبول تجلت

وشاهد رعاك الله طالع أسعد　　بأفق بهيج باهر بملاحة

وأبشر بنيل الفتح والسعد والمنى　　سقاك التجاني في حماه براحة

---

(١) هي الدربوز وهو السياج النحاس المحيط بالضريح

يقول لسان الحال منه مترجما   مقامى سما بالله فوق المجرة

وفى الدائرة التى الموضحة فى جدار السقاية بنقش مذهب فى الزليج له أيضا :

نزه لحاظك فى بديع جمالى   واشف غليلك من معين زلالى

واطلب من المولى الكريم أمانيك   وتواصل رحمى إلى آمالى

وفى الثانية من جهة اليسار قول البردة :

ومن تكن برسول الله نصرته   إن تلقه الأسد فى آجامها تجم

من يعتصم بك ياخير الورى شرفا   الله حافظه من كل منتقم

وبدائرة السقاية فى الجبص هذه الأبيات وهى لبعض أدباء الوقت :

أجل المنى إبصار حسن بوارق   وإمعان فكر فى معانى دقائق

وورد شهى من زلالى على الظما   وحمد وشكر بعد هذا لخالق

فشاهد جمالا كيف أشرق سره   فلمح لألاء أضحى تجاه المشارق

ورد منهلا يجرى من الكوثر الذى   غدا شربه يشفى سعيد الخلائق

وكن حامدا رب البرية شاكرا   لتبقى لك النعمى بقاء البوارق

فمن نال من ذا المنهل العذب غرفة   ينل كل إقبال وكشف الحقائق

ألم تره يجرى بزاوية بها   سلوك طريق الحق أجلا الطرائق

طريقة سبط المصطفى التاج أحمد   إمام الهدى بدر التقى فى الغواسق

رفيع عماد قد سما البدر رفعة   وقد بهرت أنواره كل طارق

إليه فلذ تظفر بقصدك جملة   وتغد كتاج حل فوق المفارق

وواظب على استنشاق نفحته فمن   تهب عليه كان أعلى السوابق

وأرخ معناه الزمان كما غدا   يؤرخ تجديدى بهاء شوارق

ولصاحب هذه الأبيات الدالة على ذكاء قريحته قصيدة فى مدح سيدنا رضي الله عنه يتشوق فيها للدخول فى طريقته وهى هذه :

حب الأحبة بالغرام عنانى   وبذكرهم حادى الهوى غنانى

فتوقدت نيران شوقى فى الحشا   وغدوت لم أملك هوى بجنانى

وشربت من راح المحبة أكؤسا   طربا للغرام والخضوع دعانى

وأبيت إلا حبهم وحديثهم   فهم المنى يا عاذلى دعانى

أصبحت أعصى اليوم فى شرع الهوى ... قول الوشاة مغمضا أجفانى
لا أبتغى وأطيع إلا من يديـ ... ـر حديثهم لوغير ذاك جفانى
إنى لسرد حديثهم متشوق ... إن هب يوما نشره أحيانى
عندى من الشوق العظيم مآثر ... ملأت على إجمالها أحيانى
فأطارت الركبان ذكر صبابتى ... لى فى إطارتهم رفيع الشان
وهمُ وإن حسبوا الغرام لعلة ... نسبوا المحب إلى المقام السانى
هب أنهم أبدوا إلىّ نصيحة ... فكلامهم عن ذاك ما أقصانى
كيف استماعى قولهم مع إننى ... يُنعَتْ بسرد حديثهم أغصانى
يا عاذلى دع النصيحة إننى ... أصبحت عن تلك النصيحة عانى
من صارعين الشوق ليس بمنثن ... فلأنت من نصح المتيم عانى
إنى مقيم فى ربوع أحبتى ... حتى ترى لى فى المراد يدان
وأكون عندهم متوج مفرق ... ويناولونى من رحيق تدانى
وأنال وردهم الزلال فإننى ... ظمىء ومن حر الصبابة فانى
فمتى أرانى كارعا من بحرهم ... أبكى على هذا بدمع قان
ومتى أرانى من نجوم سمائهم ... فيحق لى إذ ذاك كل تهانى
ومتى أطوق سمط جوهرة سمت ... فأغيظ من قد لامنى ونهانى
ومتى أرى تاج الأحبة أحمدا ... يسقى فؤادى من صفىّ لبان
ومتى يجود بنفحة يغدو بها ... من قد رآنى عاجلا لبانى
إنى أنخت رحال شوقى فى الحمى ... فأنل رضى يا أحمد التيجانى
واسق المتيم خمر عطف خالص ... حتى تراه متوج التيجان
إذ كل سر فى حماك مخيم ... فاسمح به يانخبة الإنسان
لِمَ لا وأنت ابن الرسول حقيقة ... فالغير عن ذا القصد ما أنسانى
من حط رحلا فى فناء أفاضل ... خضعت إليه رقاب كل زمان
وأنا أنخت القلب فى أبوابكم ... من بعد ماسيف البعاد رمانى
أرجو قبولا منكم أهل الحمى ... حتى الجميع بسركم يهوانى
مالى بغير نوال أحمد رغبة ... إن جاد تلق الكون قد حيانى

ويهابنى أسد هصور فى اللقا وترى الجميع أجلنى وحبانى
لمَ لا وأحمد قطب هذا الكون قد لاحت عظائمه بكل أوان
وغدا سنىُّ مقامه متكفلا بمراد ظمآن بغــير توانى
وأنار أفئدة بنور المصطفى بمعارف فغدا لها شكران
وأثارها نشطا لحسن عبادة فغدا تصول كصولة السكران
لله ما أبداه من سر وكم أحيا بعذب الورد كل جنان
فاستمنحت كل العوالم غرفة فأنالهـا فاخضر كل جنان
وأبان فى طرق الرشاد طريقة تحمى الذمار بهمة وسنان
هذا لعمرى أوضح الطرق التى عضت عليها سائر الأسنان
فلهى خير وساطة بين الورى والمصطفى المختار من عدنان
تاج النبوءة من سما نجم السما إن رمت قرب جنابه أدنانى
من خص بالتصدير والتفضيل فى يوم المعاد ومن إلحه دانى
أبغى اقترابه والشفاعة فى الذنو ب فأحسن الأشياء عندى ذان
فإذا ظفرت بذين فقت أهلة ودنا إلىّ من المنا شيئان
إن الحبيب إذا دنت نفحاته فنوى سواه وقربه سيان
وأجل حب عندى المختار من قد حاز كل علا وأعظم شان
دامت صلاة الله تحملها الصبا له ماتلا القرآن كل لسان
والسادة الغر الأفاضل آله من حبهم يأتى بكل أمانى
والصحب وراث المكارم والندا من قد أنالوا الكون كل أمان

وقد أجاب جماعة من أدباء الطريقة ، صاحب هذه القصيدة الرقيقة ، تحريضا له على العزم فى الأخذ ، فمنهم نابغة زمانه وفريد أوانه ، شيخنا العلامة الرئيس ، سيدى الحاج عبد الكريم بنيس ، رعاه الله . بقوله :

اركب جواد العزم خلف توانى واربح فديتك نفحة المنان
وادخل حمى الختم ابن سالم الذى أمنت به فاس من الحدثان
تنل المنى والأمن والإقبال وال فتح المبين وغاية الإحسان
وأسف على زمن مضى لك دونه واغنم بقية عمرك المتدانى

أحرز ضمانة خير من وطىء الثرى   واشدد يديك بعروة الإتقان
وانبذ مقـالة لائم أو عاذل   أوشامت وامنحه بالهجران
لولا السعادة هيأت لمن اهتدى   سبل [illegible] بالخسران
لله در ذوى النجابة إذ سمت   همم العلا [illegible] لأرفع [illegible]
من بيده المولى فذاك المهتدى   حكم جرى فى محكم القرآن
فلك الثنا مولاى والحمد الذى   لاينتهى بتكرر الأزمان
سبقت عنايتك التى من نالها   لم يخش قط غواية الشيطان
نلنـا بها جودا وغاية مطلب   وسلوك نهج واضح البرهان
نلنـا بها عزا وأشرف نسبة   وفضيـلة لم تدر بالحسبان
نلنـا بها وصلا بمن فتحت له   وبه خزانة رحـمة الرحمن
ورأى بعينيـه النبى بيقظة   وبها غدا عينـا بكل أوان
ناجاه أن دع للشيوخ فأنت لى   وأنا المربى الشيخ ذو التبيان
ولدى المحقق أنت حى وارثى   ياما أحيلى قولة العـدنان
أذن النبى له فلقن ورده   وحباه ترتيبا بحسن بيان
هذا وحقك ورد أشرف مرسل   لا ما تلفق للشيوخ يدان
فلذا انجلت أنواره وتنفقت   أسراره وأفاض بالعرفان
وأتاك بالعلم اللدن وكم له   فى محكم القرآن من فرقان
وكذا أحاديث الرسول وإن غدت   فى غامض المستور بالكتمان
وبكل مشكلة له الفتح الذى   لاتنثنى من بعده للثانى
هو كعبة السر التى لطائفها   همم الغداة سمت على الأعيان
سعد السعود لنا وشمس هداية   فى غربنا والشرق بحر أمان
غيث أتى بمعارف وعوارف   ولطائف وطرائف الاحسان
ما أمه ذو نيـة فى حاجة   إلا هما كالصيِّب الهتان
فسق خليفته على حرازم   وأتى لنا بجواهر التيجان
سماه طـه الهاشمى كتابه   فغدا بنسبتـه رفيع الشان
فالزمه واعكف بكل أونة على   لقط الفنون به برغم الشانى

نزه لحاظك فى مآثر سيد ... عظمت وفيها قوته كل جنان

تلق البحار الزاخرات تلاطمت ... ولها العناية منبع الجريان

قامت على نهج الشريعة طرقه ... يحلى عن المختار بالإعلان

فى عصره أولاه خير شماعة ... مولاه بل وحباه سر مثانى

قال النبي له مقال عناية ... أنفق بلالُ لجاد بالفيضان

وكذاك قيل له فهذا عطاؤنا ... فامنن لآخر آية القرءان

وحوى جميع منال كل ولاية ... ورقى لأرفع رتبة العرفان

وعلى رقاب الأولياء علت له ... فضلا بكل زمان القدمان

ومتى تعدّ مناقب الختم الذى ... جلت عن الإدراك بالأذهان

اقصر أخىّ فما لنا من طاقة ... لا والذى تعنو له الثقلان

أيعد موج البحر وهو غطمطم ... أينال شأو النجم بالطيران

فاعرف بحق عطية الإلهام أن ... هياك للأمداح بالأوزان

فلك البشارة قد ذكرت بحبه ... وحوتك عطفة موئل اللهفان

ما خاب من أم الكرام بمدحة ... ومحبة من داخل الأكنان

فارفض فديتك قول كل معاند ... يرمى حصون الحسن بالبهتان

ماضر شمسا فى الظهيرة شعشعت ... عِثيارُ أُفقٍ سماتها بدخان

فاصدق بوردك واتبعه وكن به ... مستمسكا واعضده بالسلطان

وإذا اعتراك تردد فى شرطه ... فبغية تنزاح حجب الران

والحق سلطان وما لخلافه ... أبداً سبيل صح فى الوجدان

ها قد نصحتك والقريحة ساجلت ... وأخو ارتجال سيم بالنقصان

فأنا المتيم فى محبة أحمد ... وأنا المقصب فيه بالظمآن

لا أرتوى والفيض منه مسلسل ... لا أنثوى عنه ولو لفلان

حركت يا ابن الأكرمين مُشاشتى ... ولقد تقاصر عن ثناه لسانى

فمتى أوفى مظهر المختار ما ... لمقامه من شاهق الأركان

دامت عليه وآله وصحابه ... والتابعين بمنهج الإحسان

أزكى صلاة الله تعدل قدره ... ثم السلام بألسن الأكوان.

ما غرد التـــاريخ فى أرجائها   لذ بالهمام العـــالم الربانى

وأجابه بعض الأدباء بقوله :

فى غاية الإحسان والإتقان   نظم القوانى مدحة التجانى

بشرى لمن مدح الكرام محبة   بشرى له من مادح حسانى

فوزا وحاز كرامة وعناية   وولاية وسيادة وأمانى

فمن احتمى بحماية الختم الذى   منه استقى أهل النهى بأوانى

فهو الغياث فمن أتى لمقامه   بمحبة يضحى رفيع الشان

فادخل أخى فى حزبه تبلغ به   كل المراد وغاية الرضوان

وتفوز عندهم بعز شامخ   وتنال حرزا مانعا بضمان

ودع الوشاة وقولهم واتبع طريـــق الختم تحظى منه بالعرفان

فطريقه مختومة مكتومة   محفوظـــة برعاية الرحمن

لله ما أحلى شمائل سيد   جلت فضائله عن التبيان

فاحببه نور الهدى وأتاله   وردا وسرا واضح البرهان

ووظيفة فإذا تكن لازمتها   ظهرت لك الأسرار بالإعلان

يكفيك من أسرارها وكمالها   تشريفها فى سردها بمكان

صلى عليه الله مع أصحابه   مادام حور خالد بجنان

وتلا مريد ورد أحمد جهرة   فى غاية الإحسان والإتقان

وأجابه الفقيه الأديب السيد هلال بن شقرون رحمه الله بقوله :

تلك العناية قد أتتك ركابها   فاعلق بها عزما بغير توانى

فالختم شمس طلوعه مكتومة   ومحكم [illegible] إدراكها الوانى

والحب منه فإن بدت أعلامه   فلك البشارة يا أخا الإخوان

والقلب فيه فراسة تهدى الفتى   بضيائها وجه الرضى بعيان

فإذا تكن ذاك اللبيب فعنده   حط الرحال تفز بكنز أمانى

إن كنت ذا حب أتتك ولاية   مختـــومة بصيانة العدنان

وإذا ظفرت بورده ووظيفه   زفت إليك طرائف الاحسان

وسبحت فى بحر الرضى والفضل من   دون اقتحـــام تقشف وتعانى

وعلمت أن الله جل كماله من فضله أرضى حمى التجانى
وأناله ختم الولاية ليس ذا لسواه دون الصحب من أعيان
وكذا مقام الكتم خص به لذا جلت مكانتـــه بكل زمان
وأحبه نور الهـــداية جده حبا ترى مصداقه العينان
صلى عليه الله ما لاحت شما ئله وأشرق نوره وغشانى
والآل والأصحاب أعلام الهدى فبحقهم جاه الهـــدى أدنانى

وأجبته بقولى غفر الله لى :

داعى السعادة للفلاح دعانى فإليـــكما يا عاذلىّ دعانى
لاتحسبا أنى الغـــرور لديكما . باللوم مثل غرورِ حلف توانى
مالى وقولكما إذا ما نلت ما نلتماه على عمـــى زمان
ماذقتما ماذقت من كأس الهوى إن الهوى قد طاب فيه هوانى
فأنا خلعت عذار نفسى فى الورى فغدا لعقلى فى النهى سكران
سكر الصبابة فيه مع سكر الصبا إن الملام إذن من الهذيان
قد كنت قبلكما ألوم ذوى الهوى والآن لا أرضى بمن يلحانى
الله أكبر قد تبين لى الهدى بعد الضلال بصحبة التجانى
شيخى الذى كل المشايخ قد رووا من بحره من عالم الروحانى
شيخى الذى منه استمد ذوو الهدى أسرارهم فى سائر الأزمان
شيخى الذى كل الأكابر أذعنت لعلاه من جن ومن إنسان
شيخى الذى كل الضراغم قد عنت لجلاله ومقامه الصمـــدانى
شيخى الذى نسبت له بين الورى كل الفضائل دون ما نقصان
شيخى الذى لم يحو رتبته امرؤ دنيا وفى الأخرى رفيع الشان
شيخى الذى لم يدر ما قد ناله إلا نبى الله من عرفان
شيخى الذى حقا على أهل العلا فى الأولياء علت له القدمان
شيخى الذى هو خاتم الأوليا حقـــا ولم يدرك علاه ثان
شيخى الذى لم يختلف فى فضله فى الخلق بين ذوى الكمال اثنان
قل للمكابر فى فضائله اتئد لاتعترض تنجو من الخسران

واترك مقال العاذلين ونهجهم　　واسلك طريق الحق بالإيقان
إن رمت ويحك فى السلوك سلامة　　وتنال فى الدارين كل أمان
ودع الأراذل يلعبون وقل لهم　　إن البيـــادق ليس كالفـرزان
ولئن غدا يوما كفرزنَ بيدق　　فالحكم للأصل الرفيـع الشان
واعلم بأن الشيخ آيتـه بدت　　وبها أقر محبـه والشانى
وعليك إن رمت النجاة بورده　　فهو الطريق لنيل كل أمانى
فاسلك محجته تنل ماشئتـــه　　من عاجل أو آجل بعيان
فالمرء إن ظهرت له سبل الهدى　　ونوى المقـــام فإنه متوانى
وإذا اعتراك الشك فيما قلتـه　　فاختر لنفسك راحة الأبدان
ودعن طلاب المكرمات لأمها　　وادرج فهذا عش غير الوانى
فالمرء لايرضى لنفس بالردى　　من بعد دوك الحق بالبرهان
هذا مقالى والنصيحة دأبها　　عند النفوس ثقيلة الأوزان
وعلى الرسول القائل الدين النصيح　　تحية خير تسليم مدى الأزمان
وعلى جميع الآل أصحاب العلا　　والصحب والأتباع كل أوان

وفى سنة ١٣٢٢ رصع بالترابيج والزوق العجيب الصنع وجه الجدار المقابل لضريح سيدنا رضى الله عنه ماسيتلى عليك فمن ذلك قول شيخنا العلامة الرئيس سيدى الحاج عبد الكريم بنيس حفظه الله وقد ضمنه التاريخ :

شاهد رعاك الله طالع أسعد　　فى أفق مرداى البهيج التـــاج
فى روضة الختم ابن سالم الرضى　　بحر المعارف واضح المنهاج
البرزخ المكترم أحمد نور من　　يغشاه ساطع نوره الوهاج
أقبل بوجهك نحوه متأدبا　　تحظ الهنى من غيثه الثجاج
وإذا ظفرت بورده فابشر فقد　　ظفرت يمينك منه بالمعراج
فاعكف على أعتابه متعلقـــا　　تحظ الضعيف رعاية المحتاج
أو ماترى التاريخ قال مشافها　　من النجاة دائم الأمواج

وقول بعض الشرفاء أيضا :

توجه للضريح بقلب مضنى　　تفز بالفيض من بحر المعانى

وسل مولاك واطلب ماتريد من الخيرات فى نيل الأمانى
بذاك الغوث والختم المسمى وباب الله سيدنا التجانى
إمام الأولياء ضياء فجر وتاج الأولياء بغير ثانى
وسبط المصطفى خير البرايا ونجل الأصفياء ذوى التهانى
عليه وآله أزكى صـــلاة تدوم مع السلام مدا الزمان

وبعده منقوش على لسان صانع ذلك :

وقفت ببابك ياذا الغنى ولذت بحرمة خير الأنام
وحرمة سبطيه والختم ذا أرجى حضورهم فى الختام
ويستودع الحسن المنتمى إليهم شهـــادته فى التمام

وقد كنت استعملت أبياتا لترسم هناك لكنها لم ترسم وهى هذه على لسان هذا الجدار المقابل للضريح الشريف :

قف هاهنا وتأمل صنعة البارى وانظر إلى بهجتى ونور أسرارى
واستقبلنّ ضريحا لانظير له قد استنارت به جميع الاقطار
فالسر لا للمبانى بل لساكنها من فاته أهلها ينظر للاثار
هذا مقام به العليا قد ابتهجت من حله لم يخف من شر جبار
إن الصلاة به مقبولة وكذا فيه الدعا مستجاب دون إنكار
فإنه جنــــة للناظرين بلا شك وللداخلين جُنة النار

ومما هو مرسوم فى وجه ذلك الجدار قول صاحبنا الأديب الأريب ، الفقيه الكاتب اللبيب أبى بكر سيدى محمد الغالى السنتيسى المكناسى حفظه الله وهو :

هذا المزار فخذ للقلب مثواه وابشر بنيلك ماترجو وتهواه
وابسط يمينك والأخرى قبالة من مقامه منزل المختـــار مأواه
ذاك التجانى أبو العباس سيدنا ملاذنا أحمد بشرى بلقياه
ختم الولاية سر الحق مظهـــره بحر المعارف بدء الخلق رؤياه
كذا الصلاة لديك بالقبول سمت فالله أكرمه حقا وأرضـــاه
رد ورده وتضمخ من عواطره واملأ بفاتحة وقتــا ليرضاه

ومن نظم صاحب هذه الأبيات فى مدح سيدنا رضى الله عنه هذا التوشيح اللطيف الذى اشتمل على الأذكار اللازمة فى هذه الطريقة المحمدية ذات القدر المنيف مع ذكر بعض الآداب النفسانية التى بها المريد ينال المقامات العرفانية وهو.

هل لداء النفس مع ران القلوب ... من طبيب كاشف غم الكروب
هل لها من ماهر ذا نظر ... بدواء أضرمت نار الحروب
ليت شعرى أى شىء ينجلى ... به ماقد شانها من درن
قد أبت إلا نفورا دائما ... وركونا بدواعى البدن
يا ترى عن غيها راجعة ... لرشاد بين أهل الزمن
قلت لما استحكمت علتها ... وهى من نهج نجاح فى الهروب
ليس المرء وإن طالت به ... علة منها تجى كل الخطوب
غير طرح لعناداها جملة ... والسلاح عن رداها النحس
واقتصاص الروح منها عاجلا ... وابتذال للضحى من عبس
وانتساخ اظلام بمعنى ... نور روح قد بدا كالقبس
قال حالى ذا دواء نافع ... من ردى النفس ومكر ولغوب
أين آس وحكيم بيده ... أحرزت من حسن هذى الضروب
يقلب الأعيان حينا فترى ... لنحاس النفس لونا للنضار
تصحب الأقوام منه همة ... قد علت فوق سماء فى اعتبار
يسلك الأقرب من طرق الهدى ... بمريد وله منه انتصار
قلت شيخى وإمامى سيدى ... عمدتى من تمتلى منه القلوب
من غدا نور عيون وضيا ... لفؤادى وغدا ورد الجيوب
وارث سر مقام نبوى ... أحمدى جل قدراً وعلا
ذا أبو العباس شيخى أحمد ... لم يزل يمنح فضلا وعَلا
خصه الله تعالى كرما ... بمزايا وعطايا وحُلا
يرتوى من عذب بحر المصطفى ... وكذا يسبح فى بحر الغيوب
لم تواجه همة منه فتى ... غادرت فيه توان وعيوب
فصلاح منه كلتا يده ... بمريديه إذا ما صدقوا

كم له فى الفتح من ناس وفوا لذوى الإحسان شوقا سبقوا
صمتـــوا صونا لسر نالهم وبفضل الشيخ فخرا نطقوا
صاح هذا ورده العــــذب فلذ به إن رمت نجاحاً بذؤوب
والزم الإخلاص واحفظ شرطه وتنشق منه سرا ذا هبـــوب
ان الاستغفار كنس للحشا وصلاة بعــــده غسل فشا
فلهذا التهليـــل بالبيت ثوى وبه السر على القلب مشا
سيما إن أدب الذكر غدا ديدنا قوتا لقلب وعشا
إن للورد لسراً ســاريا فانتشق منه شمالا أو جنوب
واملأن منه إذا ما ظفرت به يمناك إناء أو ذنوب
ولما وظف شيخى فاعتقد أنه توظيف خير الرسل
والزمها واحضرن زاوية بحضور وبحسن العمل
وارع آدابا وشرطا لازماً تحظ فيها أبداً بالأمل
إن تشا تتـــلو عشيا دائما أو تشا من بعد صبح وغروب
واصحب القصد بذكر سرمداً إنما القصد كبذر من حبوب
وليكن منك على الفاتح ما عشت إقبال باكثار عدد
إنها للوصل حبل لم تزل تكسب الذاكر فيضا ومدد
قد حبا الهادى بها الشيخ ومن جد فى طرق الهدى قطعا وجد
واعن بالمفروض جمعا أبدا وانبذن أخبار فند وشعوب
وبمولاك فعـــلق أينما كنت قلبا باكيا حوب ذنوب
ولتواجه جهة الشيخ وقل يا تجانيا غدا باب الرسول
إننى بالباب أرجو كرما عطفة فأذن لعبد بالدخول
بعـــلا علياك يدنو أملى وأنال القرب منكم والوصول
واهجر النوم بليل كلما طال واعمل ماترى حين تؤوب
مفردا أو مع رجال قد جفت منهم النوم عيون وجنوب
ذى طريق الشيخ ما إن برحت بسماها أنجم الهدى تنير
أخذت فى سيرها قرب المدى بمريديها فيانعم المسير

كيف لا والمصطفى مرشدها | وهو أقصى مقصد وهو البشير
صل يارب على خير الورى | من بقلبي حبه العــذب مشروب
أحمـــد نور الوجود المرتجى | لخلاص الخلق من هول ينوب
وعلى أصحابه الغر كذا | من تلاهم فى فعال وحروب
وعلى الشيخ التجانى أحمد | فارض وامنح صحبه كشف الكروب
وتدارك بلطيف اللطف من | كاد شوقا قلبــه منه يذوب
طالما اقترفت منه يــد | لذنوب زاعما منها يتوب
قائلا ياسيدى يا أمــلى | مَن لداء النفس مع ران القلوب

وفى أوائل سنة ١٣٢٤ زيد فى الزاوية المباركة المزارة التى بين البابين ورسم حولها من خارج من الأمداح قول شيخنا الأديب سيدى الحاج عبد الكريم بنيس حفظه الله .

هذا مزار الخاتم المفضال | بحر المكارم شامخ الإجلال
زر قبره متادبا واسأل به | مولاك نيل المبتغى فى الحال
فالله يقبل من أتى لحبيبه | متوسلا مستشفعا بالآل
فعليهم أزكى التحية دائما | فى الحال والماضى والاستقبال
وبديع صنعى منشد ومؤرخ | هذا مزار راصد الآمال

وقول بعض الأدباء على لسانها وهو منقوش من أسفل المزارة .

كمال السر من سر الكمال | حوته بهجتى وسنا جمالى
وبى فضل وفخر ياحبيبى | بختم الأوليا شمس المعالى
فصل ورده تظفر بكنز | وتسعد بالرضى من ذى الجلال
ومتع ناظريك بحسن صنعى | وأعلا شأننا بالختم عالى

وقول الآخر وهو من أعلا

كن خاضعا متأدبا متضرعا | مهما وقفت قبالة التجـــانى
واطلب حوائجك المهمة كلها | من يقصدنه يفوز بالرضوان (1)

---

(1) وقع فى نقش هذين البيتين تحريف وزيادة حتى سقط وزنهما بسبب ذلك اه المؤلف رعاه الله .

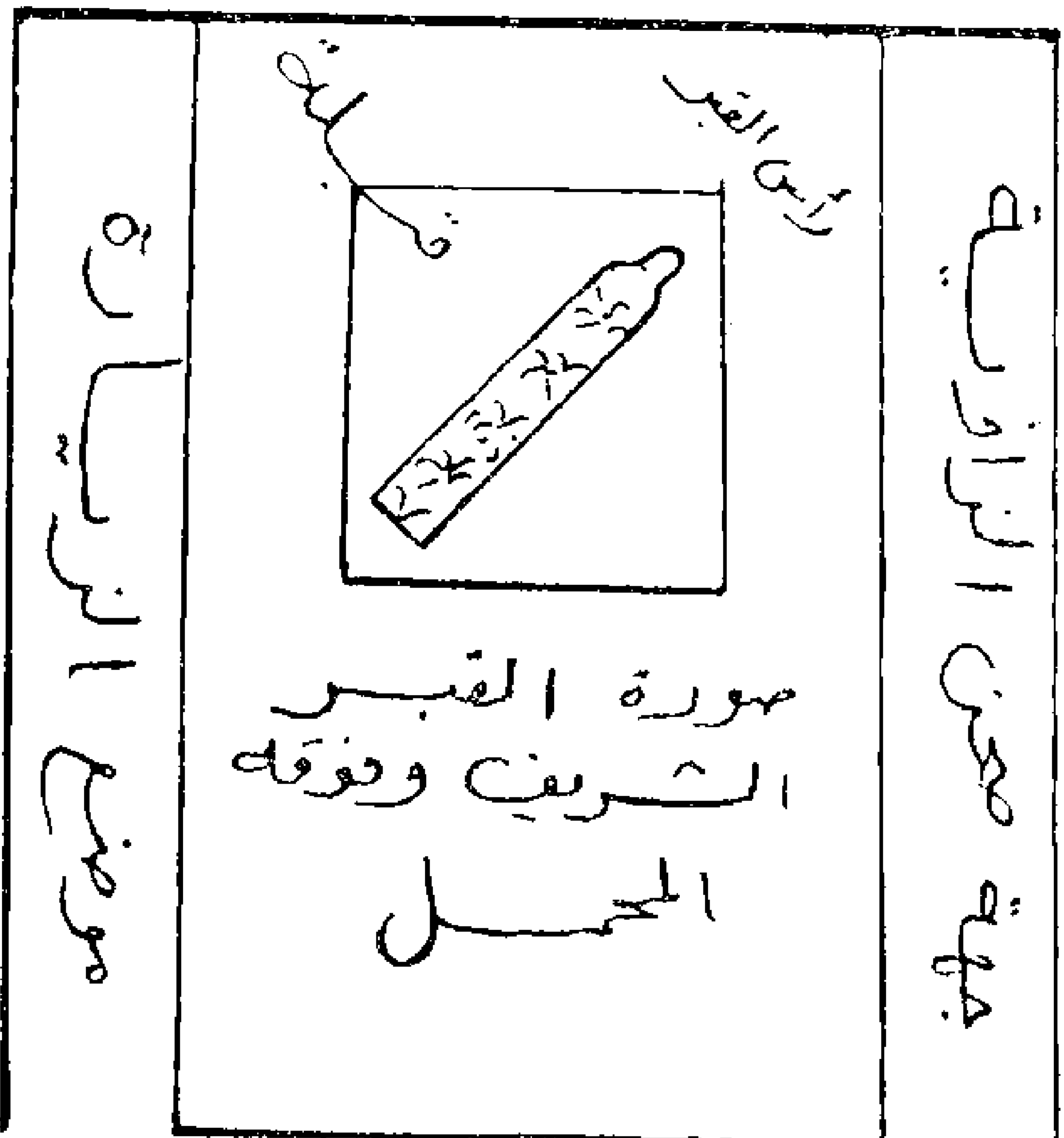
ومن داخل الزاوية منقوش على باب هذه المزارة قولى غفر الله لى .

ياطالب الفوز أقبل   إن رمت نيل الأمانى
فذا المقـــام لختم   ينجو به كل عانى
ما خاب من قد أتاه   على مر الزمان
لذاك تاريخ صنعى   يقول فى كل آن
اقصـــد لكل مراد   درب الأمانى التجانى

ولازالت الزاوية المباركة أمرها قائم بالله مصداقا لما أخبر به سيدنا رضى الله عنه إلى الآن ولازال الناس يدخلون فى طريقته أفواجاً أفواجاً .

وليس يصح فى الأذهان شيء   إذا احتاج النهـــار إلى دليل

وحيث بلغنا فى الكلام على هذه الزاوية المباركة وبعض ما اشتملت عليه من الأمداح والفضائل هذا المبلغ فلنختمه بصورة قبر سيدنا رضى الله عنه والموضع الذى يزار منه وكيفية زيارته وذلك هكذا .



فالقبر الشريف تحت المحمل السعيد كما تراه من القطر إلى القطر والقطر العالى هو من جهة يمين الناظر إليه هنا هو رأسه الشريف رضى الله عنه وموضع الزيارة من جهة رجليه المباركتين قبالة وجهه رضى الله عنه .

وكيفية زيارته رضى الله عنه كما بلغنا عن صاحب سيدنا رضى الله عنه الولى الكبير والعارف الشهير العالى مقامه إلى أرفع المراتب أبى عبد الله سيدى الغالى أبو طالب رحمه الله وذلك أن تقابل الضريح وأنت تقرأ التحيات لله إلى وروحة الله سبع مرات وفى الثامنة إلى ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم تقول السلام عليك ياخليفة الله السلام عليك ياخليفة رسول الله السلام عليك يأيها القطب المكتوم السلام عليك ياسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجانى ثم تقرأ الفاتحة أربع مرات وصلاة الفاتح أزيد من ١١ مرة وتهدى ثواب ذلك للشيخ رضى الله عنه . ثم تقول اللهم بحق عبادك الذين إذا نظرت إليهم سكن غضبك وبحق الحافين من حول العرش وبحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحق سيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجانى افعل لى كذا وكذا ويسمى حاجته فإنها تقضى إن شاء الله ا هـ *

وقد وجدت مقيداً عن صاحب سيدنا رضى الله عنه العارف الكبير مولانا محمد بن أبى النصر أن من قرأ سورة يس وأهدى ثوابها لسيدنا رضى الله عنه وقرأ هذه الأبيات ودعا بما أراد فإن الإجابة تقع له بحول الله وقوته وهى :

أيضام عبد فى حماكم قد نزل ... ياسادة لهم السيادة فى الأزل
إنى أتيت لبابكم مستصرخا ... يامن لهم كل الأمانى والأمل
أنتم ولاة الأمر ياغيث الورى ... عونا لنا نصرا عيانا عن عجل

واعلم أن الزيارة هى قصد المزور لأمر دنيوى أو أخروى . أو لله عز وجل خالصا ، أما الأخير فلا يعرفه إلا أهل الفتح ، وأما أهل الحجاب فلا يعرفونه كما قال سيدنا رضى الله عنه : العامة لايعرفون العمل لله تعالى .

قال البركة الأجل الشريف المبجل سيدى الطيب السفيانى رحمه الله فى إفادته

---

* بحق عبادك الذين إذا نظرت إليهم سكن غضبك من يصح لأهل الخاصة التبرك بهم . وليس لمخلوق على الله حق واجب ولكن هذا تفضل من الله ووعد لايخلف فضلا منه لاوجوبا عليه .

يعنى أعمالهم كلها معلولة مدخولة وإن العمل لله تعالى لا يعلمـــه إلا صاحب الفتح وصدق رضى الله عنه ، ويعنى بالعامة أهل الحجاب الذين ليس عندهم فتح انتهى .

وأما قصد المزور لأمر دنيوى فالأولياء رضى الله عنهم ، لاينبغى أن يقصدوا لهذا ، ومن قصدهم لأجل هذا الأمر ، فهو على خطر عظيم وهو السعيد إن سلم منهم كما قاله الشعرانى رضى الله عنه .

وأما القصد الولى لأمر أخروى ، فهو لا بأس به لمن لم يتقيد بطريقة شيخ كامل ، وإلا ينقطع عنـه إن قصد التعلق والاستمداد ، كما هو ممنوع فى طريقتنـا المحمدية التجـانية ، ومن تأمل بعين بصيرته السليمة من كدر الهوى علم يقينـا أن الثواب الحاصل للزائر للأوليـاء الذى توفرت له شروط الإباحة ، حاصل لكل فرد من أفراد هذه الطريقة وذلك أننا مشروط علينا فى هـــذه الطريق ، تعظيم ساداتنا الأولياء ، قدس الله أرواحهم فى الجنان ، سواء فى ذلك الأحياء والأموات ، مع احترامهم الاحترام التام ، ونظرهم بعين الإجلال والإعظام . وهذا كله لا لغرض ولا لقصد عوض ، وإنمـا هو لتعظيم الله لهم خاصة . وأما من يزورهم لأغراضه ، ويظن أنه يعظمهم فدعواه باطلة عند من أنصف ، ونظر بعين الحقيقة حتى عرف وجه الصواب وعلى الحق وقف وقد بسطت الكلام فى الزيارة فى كتابنا ، الكوكب الوهاج ، فلينظره من أراده والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وسيأتى لنـا فى بعض تراجم هذا الكتاب أيضا إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح وبيان يتبين بها الصواب بالدليل والبرهان لكل إنسان .

واعلم أن هذه الزاوية المباركة ، قد صانها الله والحمد لله من البدع التى عمت بها البلوى ، ولم تفد فيها لمن كلامهم مسموع شكوى ، من نحو لعب الصبيان فى المساجد والزوايا ، واختلاط الرجال بالنساء ، كما يفعله من لاخلاق لهم من الهمج والرعايا لاسيما فى مواسم الخيرات ، مثل ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم . فلا تسأل يا أخى عما يقع فى المساجد الكبار من المنكر ، فضلا عن غيرها ، وقليل من أهل الخير من يسلم من أهلها فى الغالب ، ورضى الله عن سيدنا الشيخ التجانى ، الذى طهرت زاويتـه من هذا البلاء العظيم .

وقد بلغنا عن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رحمه الله أنه كان يشدد النكير على من يذهب للمساجد التى هى على هذه الحالة ، فى هذه الليلة المباركة ، ويقول قال لى سيدى الطيب السفيانى رضى الله عنه ، كنا غسلنا المصابيح نهارا ، وهيأنا مانحتاج إليه مما يستعمله أهل المساجد فى ليلة السابع والعشرين من رمضان ثم مشينا لدار الشيخ رضى الله عنه ونحن جماعة ، فخرج لنا من داره طعام فأكلنا ، ثم خرج لنا الشيخ رضى الله عنه ، وجعل يتكلم معنا فأراد واحد منا أن يمشى للزاوية ، وقال هذا هو الوقت ، أى وقت شعل المصابيح ، فقال لنا الشيخ رضى الله عنه إلى أين تريدون ، فقلنا ياسيدى للزاوية ، فقال لأى شىء تمشون إليها فقلنا ياسيدى هذه الليلة ليلة القدر ليلة السابع والعشرين وقد شعلنا المصابيح ، فقال لنا رضى الله عنه أطفئوها وشدوا الزاوية ، وأتونى بالمفتاح ، فمن يصلى بها فقيل له ياسيدى أنا وفلان نصلى بها ، فقال رضى الله عنه من أراد أن يصلى منكم فى هذه الليلة فليصل بداره ، فاطفئوا المصابيح وشدوا الزاوية وأتونى بالمفتاح ، ما فى هذه الليلة فى هذا الزمان إلا المنكر وكثرة اللعب فمشى الأصحاب للزاوية وأطفؤوا المصابيح وأتوا بالمفتاح ، فوجدوا الشيخ رضى الله عنه ينتظرهم بباب الدار حتى حاز منهم المفتاح اهـ (١)

---

(١) قال سيدى الطيب السفيانى فى الإفادة الأحمدية إنه ذكر بين يدى الشيخ رضى الله عنه فى ليلة السابع والعشرين من رمضان أن النساء يبتن فى مسجد القرويين بفاس ويزغردن عند ختم القرآن ، فسأل كم يبتن فقيل ثلاثمائة أو أقل فقال . أكلهن يكن طاهرات وليس فيهن مرضعات ؟ فقيل له ، إنهن يأتين معهن بما يستعملن فيه غائط الصبيان فقال : هذا مسجد مهان يجب علينا هجره . ثم قطع الصلاة فيه وأصحابه نحوا من أربعة أشهر ثم ألهم الله تعالى قائد البلد وأمر بتجصيصه وتجديد فراشه فلما سمع ذلك جعل ينزل يصلى فيه الجمعة على عادته رضى الله عنه .

فلما تأكد رضى الله عنه أنه لن يحصل فى زاويته مثل مايحصل فى المواضع الأخرى أمرهم بالاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فى الزاوية مع اجتناب مالايليق بمواطن العبادة

ومن فوائد سيدى العربى بن السائح رحمه الله أيضا ما وجدته فى بعض الكنانيش منسوبا إليه ، أنه قال ليلة القدر عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى قدس سره ، ليلة جمعة بعد النصف من ليلة الوتر ونظمه بما معناه .

وليلتنا الغراء ليـلة جمعـــة   توافيك بعد النصف من ليلة الوتر

ويحتمل أن يريد بذلك فى الشهر الذى كان فيه من رمضان تلك السنة ، وإلا فهى لا تعرف ، مجهولة فى يوم من السنة ، فتكون سنة فى شهر ، وسنة أخرى فى شهر ، وعليه جماعة من العارفين الكبار .

وقد أخبر بها سيدنا الشيخ التجانى رضى الله عنه فى غير رمضان ، وذلك أنه كان بعد صلاة العصر يوم التاسع عشر من شعبان ، بعد ما سلم من صلاته ، بقى يذكر وهو مستقبل على عادته من أنه لا يلتفت من صلاته بعد السلام حتى يقرأ آية الكرسى عشر مرات ، فلما أتم قراءتها ، التفت إلى أصحابه وقال لهم مر من هنا شخص (١) ولم يسمه ، وأخبرنى أن هذه الليلة ليلة القدر ، فقوموا إليها ، فقاموا وباتوا تلك الليلة ناسكين فى دورهم رضى الله عنهم اهـ

قلت وقد وقفت على نظم ابن عربى الذى أشار له السيد رحمه الله فى نفح الطيب ، ونصه :

وإنا جميعا إن نصم يوم جمعة   ففى تاسع العشرين خذ ليلة القدر

وإن كان يوم السبت أول صومنا   بحادى وعشرين اعتمده بلا عسر

وإن كان صوم الشهر فى أحد لخذ   ففى سابع العشرين ماشئت فاستقر

وإن هل بالاثنين فاعلم بأنه   يوافيك نيل المجد فى تاسع العشر

= وحيث قد زال منع قيام ليلة القدر فى زاويته رضى الله عنه فقد استمر العمل على قيام ليلة القدر فيها وتناوب الأئمة فى الصلاة حتى يختموا القرءان كله فى تلك الليلة قائمين فى المحراب والأحباب مجتهدون فى الوقوف بين يدى المولى عز وجل بالخشوع فى أكمل حال .

(١) الشخص الذى مر هو الخضر عليه السلام اهـ المؤلف

ويوم الثلاثا . إن بدا الشهر فاعتمد على خامس العشرين فاعمل بها تدرى
وفى الاربعا إن هل يامن يرومها فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس إن بدا الشهر فاعتمد فى ثالث العشرين تظفر بالنصر
وضابطها بالقول ليلة جمعة توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر

قال فى النفح قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم إلى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه أعلى من هذا النظم ولكنى ذكرته لما فيه من الفائدة ولأن بعض الناس قد نسبه إليه فالله أعلم بحقيقة ذلك اه

الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فى الزاوية

وأما ليلة المولد الشريف فقد استحسنها سيدنا رضى الله عنه لأصحابه وحضهم على قيامها ، وقد بلغنى على لسان الثقة ، ووجدته مقيداً عن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رحمه الله أنه قال حدثنى سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر رضى الله عنه ، قال مشينا لدار مولانا الشيخ التجانى ليلة العيد النبوى الأشرف ، على عادتنا فى ليالى الأعياد والمواسم ، عشية النهار ننظر مايأمرنا به الشيخ من العمل به فى هذه الليلة المباركة ، ولم نهيء من أمور الزاوية شيئا من المصابيح والشموع وغير ذلك ، لأنا كنا هيأنا ذلك فى ليلة السابع والعشرين من رمضان بعد ماشعلنا المصابيح أمر بإطفائها وشد الزاوية ، فخفنا أن يفعل معنا مثل ذلك فى هذه الليلة ، فلذلك نهيء من أمور الليلة شيئا ، ثم لما أردنا الخروج من عند سيدنا رضى الله عنه ، قال أين تريدون ؟ فقلنا لمحلنا ، فقال هل تمشون للزاوية ؟ فقلنا لأى شيء ياسيدى ؟ فقال هذه ليلة العيد الشريف ، فسيروا وأحيوا ليلتكم هذه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومدحه ، واقرءوا همزية البوصيرى ، فقال سيدى عبد الوهاب بن الأحمر للشيخ رضى الله عنه ، ياسيدى نقرأ الهمزية بالنشيد أوغيره مما يستعمله المادحون له صلى الله عليه وسلم بها ، وغيرها من الأمداح ، فقال له الشيخ رضى الله عنه ، اقرؤوها كذلك ثم قال ياسيدى فإذا كملنا هل نذكر شيئاً أم لا ، أى على هيئة ذكر الجمعة ، فقال له سيدنا رضى الله عنه لاتذكروا إنما هى ليلة يصلى فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ويمدح فيها لاغير ، ولامحل الذكر فى

الليلة . هذا معنى ماحدثني به رضي‌الله عنه في شأن هذه الليلة المباركة اه إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره

حفر الاسم الأعظم بالزاوية المباركة

واعلم أن سيدنا رضي‌الله عنه لما شرع في بناء الزاوية المباركة ، أمر بحجر فصنع على هيئة مخصوصة ، ثم نقش فيه اسم الله العظيم الأعظم . ثم كتب معه : اللهم إني أسألك يامولاي بحق اسمك العظيم الأعظم أن تحفظ أصحابي من قاف إلى قاف . ثم أمر به فدفن في أساس جدار الزاوية المباركة ، وقيل فوق حائط هناك .

وممن حضر نقشه ودفنه بالزاوية ، الشريف البركة ، المقدم في صدر المكرمات في السكون والحركة ، سيدي عمر حفيد القطب الكبير والعارف الشهير ، سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ، وأفراد من أمثال الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه .

ولعل الموضع الذي دفن فيه هذا الاسم العظيم هو السارية الثانية ، عن يمين المقابل للضريح الشريف ، المعروفة عند الخاصة بسارية الذهب . وسمعتها يوما من البركة الجليل الشريف الأصيل ، صاحب الأحوال العجيبة والمناقب الغريبة ، من لاشك عندي في ولايته ، مولاي الطاهر بن مولاي محمد بن أبي النصر العلوي ، خزانة سر سيدنا رضي‌الله عنه في حال صحوه ، وكثيراً مايرى سيدنا رضي الله عنه جالسا عندها في مرائي الأفاضل من الإخوان أصلح الله لي ولهم الشأن وفي هذا القدر كفاية .

الكلام على أولاد الشيخ رضي الله عنهم

واعلم أن سيدنا رضي الله عنه بعد وفاته ، لم يترك من الأولاد إلا نجليه الكبيرين البدرين المنيرين ، اللذين قال في حقهما سيدنا رضي الله عنه : أوصاني صلى الله عليه وسلم على ولدي سيدي محمد الكبير ، وأخيه سيدي محمد الحبيب ، وضمن لهما المعرفة بالله تعالى ، وضمن لهما خيرا كثيرا كما في الإفاده وقال في المنية :

وترك الشيخ من الأولاد ... من بعده لرحمة العباد
نجلين منهلين للوراد ... كلاهما كالكوكب الوقاد
كلاهما سبق كل سابق ... وفاق بالتحقيق كل فائق

تراهما كفرسى رهان | للسبق فى المضمر يجريان
كلاهما ضمن طه المعرفه | بربه له فيالها صفـــه
ولهما ضمن خيرا جمـــا | ماخاب من أتاهما وأما
وكل من أدرك من ذريتـه | يعطى مقاماً ساميا كبغيته
على يد الرسول سيد العرب | جذبا بلاشرط برى ولاسبب
وما لمفتاح الكنوز خردلة | فى كورة العالم بالنسبة له
ومن ضمان المصطفى المختار | لهم غنـــاهم بهذى الدار
خادمهم تسبح البحـار | له وما فيها كذا الأشجار
ويدخل الجنة من حيث انتق | لأجل خدمة بنى ذا المنتق

قال فى البغية عند شرح هـذه الأبيات يقول وخلف سيدنا رضى الله عنه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ، ولدين جليلين كريمين أحدهما العارف بالله تعالى سيدى محمد الملقب بالكبير ، والثانى صنوه سيدى محمـد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير ، خلفاه من بعـده فى الهداية والارشاد والنفع العميم للعباد كلاهما بما حازه من سنى المفاخر ، يضىء فى سماء مجده وسؤدده كالكوكب الزاهر ، قد سما فى ارتقائه لمدارج المعالى ، كل مقسام للرتب العوالى ، فكانا فى تسابقهما لمقـامات العرفان كمثل فرسى رهان كيف وقد ضمن لهما جدهما سيد الوجود كمال المعرفة بالملك المعبود . كما ضمن لهما الخير العظيم والمدد الجسيم ، وكل من أدرك الاحتلام من ذرية هذا الامام ، يمنح من رب الأنام أسمى مرتبة وأسنى مقـــام ، بالاستفاضة من الحضرة المصطفوية من طريق الاجتبـــائية والاصطفائية ، من غير علة ولاسبب فى ذلك بل بمحض الوهب من الرب المالك ويفاض على كل واحد منهم من حضرة رب العباد ، ما تكون فيوضات رؤوس الأفراد بالنسبة إليه كنسبة الخردلة مما يفاض على سائر العوالم من الإمداد ، ومما ضمنه لهم جدهم سيد الإرسال الغنى التـام الذى لايخشى معـــه الفقر بحال . ومن كراماتهم ومزاياهم العزاز أن كل من كان فى خدمتهم يكتب له ثواب تسبيح البحار ومافيها من الحيتان والدواب وكذلك ثواب تسبيح الأشجار ، ويوم القيامة يدخل الجنة من أى باب شاء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الخ .

وقد نطق هنا لسان القلم بقصيدتين بمدح هذين الإمامين الكريمين الأولى فى مدح سيدنا محمد الكبير رضى الله عنه وأرضاه ونصها :

كفانى ما لقيت من الغرام ... فدعنى ياعذولى من ملام
فلومك لى به يزداد عشقى ... وتغدو نار شوقى فى ضرام
أنا والله لا أسلو حبيبى ... ولو ذابت بزفراتى عظامى
وهل من دون وصل الحب عيش ... يلذ لمن تدين بالغرام
أنا والله مملوك ولكن ... لنجل إمامنا الختم الهمام
خليفته الذى شهدت عداه ... له بالفضل من بين الأنام
محمد الكبير بن التجانى ... إمام ذوى المكارم فى الكرام
هو الغوث المجير من الدواهى ... وملجأنا على طول الدوام
ترقى فى العلوم إلى علاها ... وفى العليا إلى أعلا مقام
إذا ما الأوليا ذكروا تراه ... بجمعهم إماماً فى الأمام
به تقضى مطالب من دعاه ... ويحرز منه غايات المرام
فلذ بجاه تحظى بالأمانى ... وتظفر بالسعادة باغتنام
فحاشا أن يخيب مؤملوه ... وبحر يديه بالخيرات طامى
فلازالت إلى مثواه تسرى ... تحيات من الله السلام

والثانية فى مدح سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه وأرضاه وهى :

فؤادى بالصبابة فيك عانى ... فداركنى فإنى فيك فانى
وقصر من جفاك ولا تزدنى ... عذابا ليس يحمله جنانى
أما يكفيك ما كابدت فيه ... من الشوق الذى فيه امتحانى
أما والله ما لسواك ميلى ... يكون سوى لمدح ابن التجانى
محمد الحبيب أخى المعالى ... ومن هو فى العلا قطب الزمان
ومن هو مفرد بين البرايا ... تفرد فى الكمال برفع شان
ومن هو معدن للخير حقا ... وليس له يرى فى الفضل ثانى
ومن هو ملجأ فى كل خطب ... ومن هو فى الورى كهف الأمان
هو القطب الذى دارت عليه ... دوائر كل خير وامتنان

هو الغوث الذى تنمى إليه | جميع المكرمات بلا توانى
لقد نال الخلافة من أبيه | كما حاز التصرف بالعيان
ونال مكانة فى العز تعلو | فصار مقامه أعلا مكان
فإن ناديته فى نيل قصد | فإنك منه تحظى بالأمانى
إليك بجاهه يارب أدعو | أجرنى من زمان قد دهانى
وخذ بيدى واستر لى عيوبى | ولا تجعل رجائى فى امتهان
وجاه المصطفى خير البرايا | وجاه ذويه أصحاب التدانى
عليه مع الجميع بلا انتهاء | سلام الله يترى كل آن

وقد وقفت على قصيدتين طنانتين فى مدح سيدنا الحبيب بن سيدنا رضى الله عنه نذكرهما هنا لمناسبة المقام وإن كانتا طويلتين أولها للأديب الألمعى والأريب اللوذعى صاحب سيدنا رضى الله عنه سيدى الحاج الطالب بن العربى اللبار وهى :

طيف ألم على وجد بنا سحرا | ألبابنا فى السكرى لما سرى سحرا
أفاد بارقه والدجو معتكر | ما لم يفده الضيا إذ لاح مبتكرا
كأنه والسوى للصب حيث بدا | فجر لدا غسق أخفاه واشتهرا
خرت له سجدا جوارحى وبكت | ملاحى لأفول بارق بهرا
عذرى لمن لامنى ما كنت مرتقبا | فقدا ولما ارتقبت صرت معتذرا
لقد تعاظم حزنى والجوى سكنى | آوى ولولا النوى ما استصعب الوطرا
آه على فقد طيف بعد زورته | آه على ما اعترى منه الحجا وطرا
شكوت ما نابنى الدهر قال أسى | تحسرى لقد حيرت شكواك لى الفكرا
صبراً أخا حزن عسى الفوات لما | ترى وحسبك أن ترثى وتعتبرا
مادام بون ولاضرم لحلف هوى | ولا ابتلى لمحب كان مختبرا
أما ترى البرق إن يغب منه سنى | تلاه ورق سحاب أسكب المطرا
والشمس إن غربت عن عين ناظرها | سارت تدور لكى تساجل القمرا
راقب هلالا تبدى إثر بازغة | تراه خلفتها إن تمعن النظرا
وإن يصد النهار عنك فى شغل | فالليل ليل لمن صلاه أو شكرا
نفسى دعى اليأس واخلصى عبادته | ولا تراعى مقنطا إذا احتكرا

إن طال حزنك من مصير شيخك للــرضوان حيا فقد أطلت ما قصرا

ألم يوف ألم يحلى وظائفـــه ألم يربى ألم يربى الذى صغرا
ألم يولى ألم تبـدو مكارمه ألم ينجّى ألم ينحّ ما بسرا
ألم يبين بشائرا لزائره ألم يفض فى الورى الأسرار والبشرا
ألم يكن عمداً مابين أظهرنا يرى ويسمع سل من كان منتظرا
ألم يخلف أناساً فى نيابته حتى بدا نجله الكريم كيف ترى
طود فريد له اقتفاء بوالده قلبا وقالبـه الميمون مشتهرا
كان وجهته والحق كائله إرادة الحق فى امتثال ما أمرا
لا عجب فى مثله بل لامثيل له خلقا ومرتبة إن كنت معتبرا
يلين للفقرا وإن جنوا علنـا ويلتقى النظـا بسطوة الأمرا
كالبحر أمواجه تهول سامعها وإن يغصه أريب يجتبى الدررا
راحت لغايته نيلا ملازمتى كى اقتنى من علاه مقتنى الشعرا
قالت بجادته وقد شغفت بها خذ ما تبدى ولا تثر لما استترا
نعم لدى أنيس منه فى شغفى دأبا يحدثنى فأكسب الخبرا
ولست عن وصفه أسلو ومازعمت منى الدواعى بأن أبلغ العشرا
لكن لفكرى به لو كنت ذا لكن زهو يحملنى الالقا لما افتكرا
فلا ترب سامعى رواف معتقدا فالريب إن حل قلبا يحرم الوطرا
وول وجهك المرى تشمه ولا تنم فشأن المنام يغفل البصرا
دع ما يصدك عن هذا الجناب وخذ مضيّشا باعتقاد القلب منه عرى
تستوعب الدين والدنيا وضرتها وترتقى فى العـلا مراقيا كبرا
فاجمع لنفسك والأهلين كل منى وعش أخا رغد باللطف مستترا
واملك بحبــه ذمة الولاية من خير الورى وشفاعة تق الضررا
هذا بتلك فبل سمعت من ظمأ يرويه من نفس والرى ليس يرى
أوهل رأيت سبيلا يوم سالكها كالحقب مشيا ولكن ماحوت وعرا
لا تعجبن لعظيم فالعطـا منن والمن فضل وفضل الله ما انحصرا
أو تعجبن لسماح فى كبير هفا فالله مهما يعظم الهفـا غفرا

فانهض بهمة صدق إن وفاك قضا وإن عجزت فلا تقنط تراك ورا
بل بالضراعة رم باب الكريم ولا تبرح فهذا المجيب القابل الفقرا
واسلك على يد مضمون النتائج من هو الخبير إذا السلوك قد عسرا
هو الإمام الذى أحييت إمامته من الهدى والتقى والعلم ما اندثرا
وبين الرشد فى طى البرور وقد ربى بخلقه من طغى ومن لجرا
يرى المسيء فتجتبيه نظرته ولم يؤاخذ محبا جاء معتذرا
يعفو ويصفح لم يحقد على بشر وإن يشر لمليم عاثر سترا
له فهوم عن المراد يأنس ما بدا من الخلق فعلا وافق القدرا
منه النصيحة دأبا للورى علنا وشأنه الحلم عن زل أو عثرا
يلقى الوفود بإقبال ومرحمة ويتقى نزلهم مكانة وقرا
لا تحك نيلا به ولا فرات إذا جبا ولا سلسبيلا جاد منهمرا
بل كوثر الجود من فيوض شافعنا عذب المذاق مسلسلا لنا انفجرا
أو نفحة من جزيل الفضل ضوعها على الأنام استوت وعرفها انتشرا
تلقى لمنتشق فى كل جارحة روحا ولذتها تروحن البشرا
لم يكترث بالدنا مالا وماحلت حطامها فى يديه لو نما صغرا
هو المعيل خلق الله آنسهم مظاهر الحق آواهم وما نفرا
يرى الرئيس مع المرؤوس من جهة سوا ومن جهة الترتيب ما حقرا
ويبذل النفس فى تأليف شيمته مع الحبا ويجنب الورى الحذرا
يصغى لمن قال خيراً فهو قابله ومن ترامى لهزل سيء زجرا
كأنه متبسما بشاشته ورد كساه الندا مفتحا عطرا
إذا تكلم لان قلب سامعه ونال زهواً من التكلم وافتخرا
وإن رأته العيون وهو فى خجل تكاد تهدى له فتورها السحرا
وإن يمر بمقل زهو فى بدد بث السكينة والتأييد والظفرا
لله قرم بحله الركوب متى دنا وإن ما استوى استقام واقتدرا
وللقنا فى يديه وهى هينة عن الدماء سماع تحكه شررا
إن هم شاور وابتدا وإن عزمت منه العزائم للمقاصد استخرا

لم يخل عن إذن خير الخلق فى أمد — من الزمان على إتيان ما كبرا
يجاهد النفس واثقا بخالقه — ما نام سر ويوفق ليله السهرا
كأنه مبتدى والفيض غامره — ونهضة الحق مكنته حيث يرى
لانت مقاصده عليه إذ رقمت — فى كتبه وأتت ترضى متى ذكرا
حتى غدا والمراد مسمفا وضحا — والدهر طوعاً وبحر الفضل منفجرا
وفى القديم اعتلا ذكرا وكان له — فى قلب كافله التبجيل مشتهرا
فذاع منه له الرضوان تكملة — لما قضاه المراد واصطفى وبرا
سلالة من عناصر الفخار بدت — مكبولة المجد غرة تُرى غررا
طابت فلا الزهر فى الأكام يشبهها — ولا نسيم الصبا إذا شذا سحرا
سارت محبتها فى كل جارحة — وعاينت فى سناها الأعين النذرا
وأوبقت كل طاغ فى حبالتها — فنال مايعترى إبليس من عمرا
تبا لجاحده وخيبتين لقد — جنت أنامله بعد الردى سقرا
وخولته من الأوهان أوهنها — بئس الجزاء وما استلذ أوظفرا
لا تعد عن حسن خلقه وسيرته — ولا على ذكره وصن به السيرا
ولا تشبه به فى عصره أحداً — واستسقين باسمه ألن به الحجرا
محمد منية القلب الحبيب لنا — يحبه الفخر فيمن ساد وافتخرا
خلف القطب والغوث الذى انفردت — علياه فى الدهر واعتلا على الكبرا
خزن سر له ارتقى مراتبه — بجيب قول ونفى منه ماصدرا
هو البقية بعد الكل من سلف — مضى ومن خلف أجاب واذكرا
نمت أياديه مانفسى بناسية — جدواه حينا ولاعنه الحجا اصطبرا
قد هام قلبى به والعين هائمة — من فقد حسن وطال البون ماقصرا
والحال جل به الهوان من وله — بما دنا وبما بث الهوى وعرى
فقدت غيرا للدوا وكم أحد — يسومنى له بالدعوى فما قدرا
ياسيدى ولك العتبى فهل لفتى — عن الوسيلة ميل أو سواه عُثرا
إنى وتفديك روحى والبنون فما — رمت النجا للسوى عمرى ولاوزرا
عمرتم مهجتى بكم وكنت إذاً — طفلا فحاشاكم أن تهملوا الكبرا

فالرأس مشتعل شيبا وحرت لما ... جرى ولم أدر ماشأنى وكيف جرى

كم أمتلت مهجتى مما يروق بها ... من مرتضى قدما واستيقنت صغرا

وشاهدت من لذاذ فى تواصلها ... يوما بليل مفجّرا ومبتكرا

وكم تمنيت من سرى إلى رتب ... عزت بقصد حميد أن أفى وأرى

ناضلت أمارتى حتى ظننت بها ... خيرا وخلت الفتى يصوّر الصورا

حتى وصلت لحين جاح واصله ... إن لم ينب فأبت نفسى عدا النكرا

عمرت مايتذكر المذكر فى ... مقداره واستوى النذير وابتدرا

ولم أزد غير حرص وارتكاب هفا ... وسوء حال وتفريط وحب كرا

وفى شتات حجا وغرقة وعنا ... مقطّع الرحم المستوجب الشرا

والآن لا يأس لكن همت من فرق ... وخمت أن هواى ضيّع العمرا

من لى برد شباب ضاع فى لعب ... كلا لقد صد معرضا وما اعتبرا

إن ما(١) تداركت عمرى بالمتاب فقد ... نلت المفاز وإلا نيله عسرا

قد التجأت لكم والذنب قارننى ... وجاهكم واسع لكل من عثرا

أنلتمونى الوفا فكيف أفرق من ... ذم ولى ذمة تسهل الوعرا

وحسن ظن وميل مهجة وولا ... وشوق نفس وإطراء وصدق شرا

وليس فى غيركم قصدى ولا جنحت ... إلى سواكم جوارحى وإن كبرا

منوا بجذبى ولا تخيبوا أملى ... وواصلونى فقد وافيت منكسرا

أخاف مما جنت نفسى فتقترنى ... نما وعظمى تلاشى والوطا انحدرا

وقد أماطت يدى الردى على جسدى ... فذاع سرى وكان الأمر مستطرا

نعم توجهت نحوكم مريد غنى ... بكم على من علا أوجاد أو مكرا

منوا بما منكم لغربتى وخذوا ... لجدكم بيدى واسدلوا السترا

ونظمونى بسلك عقدكم ومتى ... ناديتكم بادروا واستقربوا الوطرا

مولاى راع توجهى لدى حضر ... وإن تنقلت حينا فاكلأ السفرا

هذا اقتراحى فيكم فارحموا جسدى ... بوصلكم واكتبوا لى بالسماح برا

---

(١) ما زائدة إذ المعنى على الاثبات

محررا من أذا الحقوق مصطفيا ... فى ودكم وسط العبيد والفقرا
مع البنين وشيعة بكم علقت ... وبالأمان من الخذلان مغتفرا
أحيا بعزكم فى عزة وغنى ... مرقى برتبتكم جارا ولاجورا
لحبلكم واثق والجاه متسع ... وفضلكم غامر وبذلكم كثرا
منى عليكم وإن نأت محاولتى ... تحية تعمر الأطواق والدورا
ويرتضيها جنابكم يدوم لها ... شأن الصلاة على المختار من مضرا
محمـــد ولآله الألى كملت ... فى الكون نجدتهم وصحبه النظرا
وبالرضى عن أبيكم يستقيم لنا ... أمر الحياتين معلنا ومستترا
ياسيدى وحي من يلوذ بكم ... والمنتمى للحمى ودًّا ومن حضرا
ياربنا انشر حبا الوفا يصون لنا ... عدا رقى المنتهى أ كمل لنا العمرا

والثانية للعلامة الجليل الدراكة المثيل أبى العباس سيدى أحمد بن بابا السودانى العلوى الشنجيطى صاحب المنية وهى :

انبت بين سعاد اليوم وانصرما ... وذاك لما رمانى البين حين رمى
لحبلها بعد ما شدت تحملجـــه ... أيدى المطايا المتاق انجاب وانخرما
فالوصل منفصل والفصل متصل ... والبرم نكث ونكث الناكث انبرما
يالهف نفسى وما يغنى تلهفها ... عنى والجلجلان بالجوى اضطرما
على فراقى لها وهى التى صلوا ... ت من يصلى بها مقبولة كرما
وهى التى لودرت أقطاب أمتنا ... تفضيلها فى ذراها خيموا الخيما
وضمت افضل من يمشى على قدم ... بعد النبيين والصحابة الكرما
حب النبي وتلميذ النبي وورا ... رث النبي ونجل بالنبي سما
وهو الممد جميع العارفين على ... تأخيره عنهم لكنه كتما
ولا تقل كيف ذا إذ كان آخرهم ... فالمصطفى وقت عيسى كان منعدما *
ولا تقس فضله يوما بفضلهم ... إذ فضله منه فضل العارفين نما
فالطل يبدو أمام الوبل مبتدرا ... والفضل للوبل لا للطل حين هما

---

* لوقال منكتما كان أليق اه مصححه

لا تعجبن لثقف غير مكترث ... بالدين ينكر ضبّا ٭ فضله العلما
أو نكس قوم جهول ليس يعرفه ... وراح ينكر ظنا كونه فهما
فالمصطفى كانت اليهود تعرفه ... وانكرت كونه بالحق متسما
ورب جلف من الأعراب كذبه ... وصدق الفاجر الكذاب إذ نجما
لكن تسلى بما يعطى لشانئه ... من موته كافراً جزاء ما اجترما
واجن المحبة إذ فاتتك رؤيته ... فإنها عصمة لمن بها اعتصما
وحمداً الله إذ أعطى زيارته ... إياك فضلا وأعطى ورده الشيما
عسى مفيض الأيادى أن يمن على ... صب بكنف إبنه من يخجل الديما
محيي التقى بعد ما آثاره درست ... والحلم عمن جنا والعلم والكرما
لا يشتكى هفوات من يجالسه ... لا يشتكي ضيفه جوعاً ولا قرما
بل ربما يشتكى والناس فى لسق ... إن كان ذا شره من أكله البشما
لعمر رب الورى إنى أنزهه ... عن قول ذا القطب فاق العرب والعجما
وهو الذى جده المختار من مضر ... وصى عليه أباه العالم الفهما
وهو الذى ضمن الهدى له فخر ... بعد ضمانته أن يعرف الحكما
يا نجل خير نبي جاء مرتسلا ... ونجل خير ولى جاء منكتما
لا تسلبنى لما أتت يدى بطرا ... من ترك واجب أو من فعل ما حرما
فإننى ليس عندى من ألوذ به ... سواك أو أبويك إن أتى الخصما
واجعل قبولك هذا الشعر جائزة ... فلست أبغى به تبراً ولا نعما
إلا إذا جدت لى والجود طبعكم ... بدعوة تكشف الأحزان والنقما
ثم الصلاة على المختار جدك من ... به النبوءة والإرسال قد ختما

وله رحمه الله أيضا هذه الأبيات لما بنى سيدى أحمد بن سيدى محمد الحبيب بن سيدنا رضى الله عنه بابنة عمه سيدى محمد الكبير رضى الله عن الجميع نصها :

بشرى لنا زمن الأفراح كر على ... دهر الشوائب والأحزان والدنف
وذاك أذ نكح الإبريز فضته ... والجوهر اللؤلؤ المكنون فى صدف

٭ ضبا أى حقدا . والنكس بالكسر الضعيف

زفت له وسواها ليس يكفؤه ... أنى يساوى جنيب التمر بالحشف
الحاصل الكف، معدوما لها وله ... من غير بعضهما للبعض فى الخلف
إن قلت ما كان ذا هذا الزمان وهل ... قد كان قلت نعم فى صالح السلف
فأصبح الدهر بعد المحل ذا خصب ... وبعد بغضى له أصبحت ذا شغف

ووقفت على أبيات خاطب بها سيدنا إبراهيم الرياحى رضى الله عنه ابن سيدنا رضى الله عنه ونصها :

يهنيك ياذا الطرس كف محمـــد ... وكماك لثم الترب من أقدامه
فإذا شممت المسك من إقباله ... وتمى سرورك حين كشف لثامه
فقل السلام عليك يا ابن المصطفى ... يا ابن الختام الغوث فى أيامه
ذاك المشوق إليك إبراهيم قد ... قصـــد المشيب به إلى أسقامه
فلذاك عن أقدامه نابت له ... عرب كساها الحسن من أقلامه
ينهى اشتياقا بالفؤاد ملخصا ... لا تستطيع الكتب شرح غرامه
ويدوم منك رضى به أرواحنا ... ماء المزون ممازج بمـــدامه
دامت علاك ودام سر طريقنا ... كأس الرحيق وأنت سر ختامه

توفى سيدنا ومولانا محمـــد الكبير رضى الله عنه سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف أو بعد ذلك بيسير وتوفى أخوه سيدنا ومولانا محمد الحبيب رضى الله عنه فى آخر جمادى الأولى من عام تسعة وستين ومائتين وألف كما أخبرنى بذلك سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه . ولم يخلف سيدنا محمد الكبير رضى الله عنه ذكرا وأما سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه فخلف بعده سيدنا ومولانا أحمـــد وسيدنا محمد البشير رضى الله عن جميعهم آمين.

ولابأس هنا بذكر قصيدتين يكونان لهذا المقصد مكملتين أولاهما قصيدة من نظم الشاعر المطبوع والأديب الماجد السيد إدريس بن على السنانى المعروف بالحنش رحمه الله ، استعملها قرب وفاته ، وأنشدها عند ضريح سيدنا رضى الله عنه ، وتوسل له فيها بسيدنا محمد الحبيب وابنه سيدى محمد البشير فى قضاء مطلوبه ونيل مرغوبه ، وقد شطرها بعض الأدباء ونصها مع التشطير :

(ببابكم ياأهل الفضل والفخر) ينال أقصى مناه مبتغي الوطر

فها أنا فيه محتـــاجا ومرتجيا (أنخت راحلتي مؤملا وطري)

(فانظر لنحوي بعين عطفة ورضى) واسدل عليّ ردا أمن من الضرر

مالي على غير هـذا الباب متكل (فأنت معتمدي ومنتهى نظري)

(ياصاحب الهمة التي لرفعتها) عنت لها هامة من كل ذي خطر

ياحائز الرتبـــة التي لعزتها (علت على زحل والشمس والقمر)

(ياواحد الأوليا ممد جملتهم) إرثا لمرتبة المختـــار من مضر

ما واحد منهم إلا ونال بـكم (من أول الدهر حتى منتهى العصر)

(يامن له في بساط القرب منزلة) علياء فضل علاها غير منحصر

فأنت من نال من رب الورى رتبا (تحار فيها ذوو الأفهام والفكر)

(ياسيدا ساد أهل الله في أزل) فضلا من الله لايحصى لمفتكر

يامن له الفخر والمجد الذي عجزت (عن نيله القوم في بدو وفي حضر)

(ذاك التجانيّ أحمد الهمام فلذ) به لما ترتجي تصبح أخا ظفر

وإن تخوفت من شر يحيق فعذ (بجاهه من صروف الدهر والغير)

(ياسيدي يا أبا العباس ياسندي) يامنجدي عندما أدعوه في خطر

ياعمدتي في صلاح الحال أجمعه (وعدتي والذي يشفي به ضرري)

(ومن إذا ماهممت أن أخاطبه) عجزت عن أدب يليق بالقدر

وكلما رمتـــه يوما لأمدحه (رميت من مجده بالعيّ والحصر)

(هذا خديمك بل عبيد ساحتكم) يرجو الشفا عاجلا في الجسم والبصر

فحيث ضاقت عليه الأرض مارحبت (وأتى ضريحك في ضيق وفي ضجر)

(نفس همو ما أذاب القلب أيسرها) فالهم للقلب مثل الجمر للوضر

واعطف على والهٍ قد جاء مبتهلا (واكشف بجودك ما في الصدر من كدر)

(كم عالجت كفكم من علة وأذى) كان المصاب به يوما على غرر

فهـــا أنا جئتكم أرجو نوالكم (فامسح على جسدي وانفل على بصري)

(إني تشفعت بالحبيب نجلكم) فإنه لمنـــالي منكم وزري

به أسائلكم ما أبتغي عجلا (وبالبشير الحفيد غرة الغرر)

(والغر أصحابك الأفراد قاطبة) من هم بصحبتكم كالأنجم الزهر
أنالهم ربنا عزا ومكرمة (كذا المحبون أهل الفوز والظفر)

والقصيدة الثانية كنت استعملتها فى مدح سيدنا محمد البشير بن سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا الشيخ رضى الله عنهم وهى هذه :

حر الصبابة فى الأحشاء موقود والصبر من خلدى بالشوق مفقود
لولا انسكاب دموع بالدما مزجت لذاب قلبى الذى بالبين مقدود
ترعى النجوم جفونى فى مطالعها وما جفانى مدا الأيام تسهيد
وكل كلٌّ رقيب كاشح ورثى لحالى عاذل فى اللوم مجهود
ما ضرنى لوم عاذلى إذا سمحت لى بالوصال فتاة جيدها الغيد
جادت علىَّ بوصل عندما علمت بأننى عبدها بالحب مصفود
هى الفريدة فى حسن كما انفرد الـ ـمولى البشير بفضل فيه موجود
كنز الفضائل مقصود الأفاضل فى كل المهمات من بالخير مشهود
خليفة الختم بل سليل وارثه لحبـذا والد منعم مولود
سبط التجانى الذى سمت مكانته فى المجد وهو لكل الخير معدود
هو الهمام الذى طابت سريرته بحسن سيرته للدين تشييد
قطب الرحى كوثر العرفان من نبعت منه المعارف وهو الحوض مورود
شمس الضحى كوكب الأكوان من كشفت دجى الغموم به والشك مطرود
غوث الخلائق من بفضله شهدت له الأعادى وهل فى الحق ترديد
غيث الندا العابد الأواه من خضعت له الرقاب وفيه الخير محشود
قد استبد ببذل الوفر منشرحا فكان منه لجيش الفقر تبديد
ياسيدى عطفة أرجو أفوز بها دنيا وأخرى لحبل الحب معقود
حاشا يخيب وقوف عند بابك أن يغدوا بلا وطر ودأبك الجود
لازلت كوكب سعد فى سماء هدى وكوثراً لنوال السر مقصود

ثم نرجع إلى المقصود من هذا التقييد فنقول ومن الله أسأل العون والتسديد

ترجمة الخليفة الأكبر سيدى الحاج على حرازم براده رضى الله عنه

فنهم الولى الكامل ، والعارف الواصل الخليفة العظمى ذو المقام الأسمى الجامع لأشتات المعارف والأسرار ، والراقى فى أوج المعالى بين الأخيار ، شمس السعادة التى أشرقت فى أفق المعالى الذى لم يصل إلى أدنى مرتبة منها اليوم عالى أبو الحسن سيدى الحاج على بن العربى برادة المغربى الفاسى أكبر خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه .

كان رحمه الله من العارفين الواصلين والأولياء الكاملين الجامعين لأشتات اللطائف والطرائف الخائضين فى بحور المعارف حتى بلغ الذروة العليا وامتاز بالفتح الربانى بين أهل الدين والدنيا ، وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عظيمة فكان يعظمه غاية التعظيم . وينوه بين أصحابه بمقامه العظيم حتى كان يغار من ذلك البعيد والقريب ، وكان يقول فى حقه قال لى صلى الله عليه وسلم : هو منك بمنزلة أبى بكر منى ، وفى بعض المشاهد التى وقفت عليها يخاطب فيه النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا رضى الله عنه بما نصه :

يا أحمد استوص بخديمك الأكبر وحبيبك الأشهر على حرازم فانه منك بمنزلة هورن من موسى فالله أكبر وأجل وأعظم ولا وصية أوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية والسلام اه

وسبب أخذه عن سيدنا رضى الله عنه رؤيا رآها قبل الاجتماع به ونسيها حتى ذكره بها سيدنا رضى الله عنه عند ملاقاته به فى مدينة وجدة سنة إحدى وتسعين ومائة وألف حين خرج من تلمسان قاصداً زيارة الولى الكامل الذى افتخر به المغرب على المشرق مولانا إدريس رضى الله عنه كما قال فى المنية [بعد أن بين أنه جاء تلسان فى العام التالى لحجه]

حَلَّ فيها مدة وزارا ... بفاسَ إدريس الرضا مرارا
فى عام واحد وتسعين وفى ... هذا التقى مع خله الخل الوفى
تلميذه صاحبه حرازم ... صاحب سره الإمام الحازم
ولم تكن معرفة من قبل ... ذاك له بشيخنا ذى الفضل

حتى تعرف له فكاشفه يوما برؤيا سلفت مكاشفه
دلت على صحبته وذكّره وقد نسى وبالمعالى بشره

قال فى البغية : فلما توجه يعنى سيدنا رضى الله عنه للحضرة المذكورة ، بقصد الزيارة المسطورة ، وذلك فى عام واحد وتسعين من المائة قبله ، لقى بمدينة وجده والخير لايزال يرصد إبّانه وأهله ، حبيبه الأخص ومطمح بصره وخله الصديق الأكبر والخليفة الاشهر ، أبا الحسن سيدى على حرازم الفاسى الأطهر ، وهو جامع كتاب جواهر المعانى والمخصوص من سيدنا رضى الله عنه بأخص مراتب القرب والتدانى ، ولما لقيه هناك ولم يكن له قبلها بسيدنا رضى الله عنه تقدم معرفة تعرف له سيدنا رضى الله عنه وذكر له رؤيا سلفت له تدل على صحبته إياه ، وقد كان أنسيها حتى ذكّره سيدنا إياها من طريق المكاشفة ، فلما تذكرها وتحقق أن سيدنا رضى الله عنه أخبره صدقا ، علم يقينا أن قد جعلها ربى حقا ، فعند ذلك قال له سيدنا رضى الله عنه ، أما تخاف من الله تعبنى من مكانى إليك فلاحاجة لى إلا ملاقاتك ، فاحمد الله على ذلك قال: فحمدت الله وشكرته وعلمت أن الله تعالى تفضل علىّ وأنه رضى الله عنه هو الكفيل لى والمتولى جميع أمورى بتصريح منه بذلك إلىّ .

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء

فتوجه معه إلى الحضرة الفاسية فلما وصلها أقام بها مدة لقضاء وطره من زيارة الروضة الإدريسية ، ثم لقنه الطريق الخلوتيه وألقى إليه ماقسمه الله له على يده من العلوم والأسرار السنية ، وحين عزم على الرجوع إلى حضرة تلمسان أخبره بأن حاله لم يستقم بها ، وأنه لابد له من الانتقال إلى غيرها مما يختاره الله له من البلدان وحين التشييع والموادعة قال له : الزم العهد والمحبة حتى يأتى الفتح إن شاء الله تعالى ا ﻫ

وقال أيضا عند قول المنية فى تعداد المريدين الذين نالوا الولاية التامة بصحبتهم لسيدنا رضى الله عنه .

وكخديمه الرضى على حرازم ذى المنصب العلى

مانصه : وأما سيدى على حرازم فالمراد به خليفة الشيخ رضى [illegible] حياته

حسبما صرح بذلك رضي الله عنه عن إذن الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه وهو العارف بالله تعالى أبو الحسن سيدي علي حرازم بن العربي برادة الفاسي رضي الله عنه وقد تقدم لقيه بالشيخ بوجدة وما خاطبه به أول ملاقاته معه مما يدل على كمال خصوصيته وعناية الله به وهو مؤلف جواهر المعاني ، مع كونه لا يد له في العلوم الرسمية وله مناقب كثيرة منها أن الشيخ رضي الله عنه أخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة تفوق محبة الأولاد .

ومنها أنه رضي الله عنه قال فيه ، ماقاله فأنا قلته .

ومنها وهي من أعظمها أن الشيخ رضي الله عنه قال : لا يصل إلى أحد مني شيء إلا على يد سيدي الحاج علي حرازم ورأيت بعض أهل البصائر بل كافة الأصحاب المتبرين في أذواق أسرار الطريق يعتقدون أن ذلك في حياته وبعد مماته ، وكان بعض أهل الفتح من أصحاب الشيخ رضي الله عنه ربما أشار إلى نفسه بهذه الخصوصية ويذكر ما يفهم منه أنه أقيم مقـــام سيدي الحاج علي في ذلك بعد مماته ، ويمكن التوفيق بأن المدد الجاري من حضرة الشيخ رضي الله عنه عموما وخصوصا لا يتلقى إلا بواسطة سيدي علي حرازم غيبا وأن السيد المذكور ناب منابه في عالم الشهادة والحس بعد وفاته ، وعليه فلا مانع من أن يخلف هذا السيد غيره أيضا فافهم * والله أعلم وبهذا يحصل الاعتقاد الكامل فيهما معا وينتفع بملاحظة وساطة الأول غيبا والثاني أو غيره ممن عسى أن يقام ذلك المقام مشهدا وفضل الله واسع والله أعلم

والأخبار المتعلقة بهذا السيد الجليل لا يمكن استيفاؤها هنا . ومما حدثني به بعض العلماء الأفاضل أن امرأة من أرباب التصرف كانت بمكناسة الزيتون ، وكانت ولايتها وتصرفها بين الخاص والعام مما لا ارتياب فيه فاتفق أن قدم سيدي علي حرازم رضي الله عنه مكناسة فسأل عنها ، وعن المحل الذي تكون فيه ، فرافقه بعض الخاصة إلى محلها . فلما قربوا منها قامت من محلها وجعلت تستغيث بالشرع منه ، وتسميه بولد لالته فلانة تعني سيدتي فلانة ، وكان الحاضرون معه لا يعرفون اسم أمه فسألوه أهي التي تعني فقال نعم ، ثم انصرف عنها وخلى سبيلها رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته اهـ

* قوله فافهم فهمنا منه بحسب اقتضاء الوارد أنه يشير إلى نفسه اهـ مؤلف

ومن فضائل صاحب الترجمة وهى من أعظم كراماته أنه تلاقى مع القاضى أبى محمد شمهروش الصحابى المعروف رضى الله عنه . فهو من جملة التابعين حقيقة لاجتماعه بالصحابى المذكور . وقد تلقى منه بإذن سيدنا رضى الله عنه الحزب السيفى مشافهة كما هو معروف عند الخاصة من الأصحاب وذكر ذلك صاحب البغية ومن خصوصياته الدالة على شفوف مرتبته تأليفه المسمى بجواهر المعانى الذى قال فى حقـــه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه : كتابى هو وأنا ألفته ولم يؤلفه رضى الله عنه إلا بعـد إذنه صلى الله عليه وسلم له فيه بعـد أن أمر سيدنا رضى الله عنه صاحب الترجـة بحرق ماقيده من كل ماسمعه رضى الله عنه وإلى ذلك مع بيان تاريخ ذلك أشار فى المنية بقوله :

ثم إلى فاس مدينة الفخر ظعنَ فى عامِ ثلاثة عشر
وزينت بهجـة التجانى . فى العام سادس ربيع الثانى
وبعد ذا بنحو شهرين أمر تلميذه الرضى عليا الأبر
بجمعـــه جواهر المعانى عن إذن سيد بنى عدنان
صلى عليه منزل القرآن والآل والصحب مدا الأزمان
عليكم معاشر الأحباب ماعشتم الدهر بذا الكتاب
عن إذن طه جمعه وأمره وقدر الامام حق قدره
ومن يطالعه بإنصاف يرى أن خلال الشيخ ليست فى الورى
وليس فى ذلك عندى شك وخالق وليس فيـه إفك

قال شارحها الولى الصالح سيدى العربى بن السائح يقول ، وبعـد ما استقرت بسيدنا رضى الله عنه فى هذه الحضرة المحروسة الدار ، واطمأن به المنزل منها والقرار ، ومضى نحو الشهرين من مقدمه وحلوله واستقراره ، أمر عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تلميذه الأخص الذى هو عيبة علومه وخزانة أسراره ، سيدنا على حرازم رضى الله عنه ، بجمع كتاب جواهر المعانى ونظمه لفرائد فوائده ، وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده ، وذلك بعد أن كان أمر أولا بتمزيق ماجمع منه من المسائل الجليلة السنية لأمر اقتضته فى ذلك الوقت أحواله الجلالية التى هى نتائج همه العلية ودلائل صدقه مع الله تعالى فى توجهاته الكمالية المرضية فامتثل

لأمره المطاع بعد التحير الكثير والإلحاح عليه بالمراجعة فى ذلك من خاصة الأصحاب والأتباع فلم يقبل منهم رضى الله عنه لقوة الباعث الحامل له على ذلك فى ذلك الوقت إلا المحو والإتلاف والضياع ولم يبق منه إلا تقاييد بيد البعض من أصحابه فلما من الله تعالى بصدور الإذن فى جمعه انتفع بتلك التقاييد فى كثير من فصوله وأبوابه وكان شروع مؤلفه رضى الله عنه فى جمعه وترتيبه وتأليف مسائله وتبويبه بفاس أوائل شعبان الأبرك من العام قبله وسحاب الخير لها مطر، ترصد به إبانه وفصله وفرغ منه فى أواسط ذى القعدة الحرام من السنة الموالية لذلك العام وذلك قيد حياة سيدنا قدس الله سره ووالى عليه سحائب الرضوان وبعد أن فرغ منه أحضره بين يديه وأجازه فى سائر مافيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك فى مسجد الديوان، فجاء بحمد الله محفوفا باليمن والإسعاد، منتشر الذكر، سنى الفخر، عميم النفع فى جميع الأصقاع والبلاد فلهذا يقول الناظم هنا مرشداً إخوانه إليه، وحاضا لهم عليه، مخاطبا إياهم بما يقتضى التحنن والعطف والرفق فى الخطاب، جريا منه فى ذلك على سنن الحلماء الرحماء من أولى الألباب .

عليكم يامعشر الإخوان وجماعة الأحباب مدة حياتكم بالدوام على مطالعة هذا الكتاب، فانه كفيل بفضل الملك الوهاب، للمثابر عليه من طريق المحبة الخالصة بالوصول إلى معرفة رب الأرباب، واستجلاء عرائس الحقائق ونفائس اللطائف والرقائق، والولوج إلى حضراتها المنيعة من كل باب، فمن جد وجد لامحالة فى يومه مالم يجده أمسه، ومن قصر فلايلومن إلا نفسه، ويكفى الأريب من شرف هذا الكتاب العجيب صدور تأليفه عن إذن طه الحبيب، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، مع ما اشتمل عليه من التنويه بضخامة شأن سيدنا رضى الله عنه، وفخامة أمره، وقدره إياه جهد استطاعته من قدره، ومن طالعه ونظر فيما تضمنه بعين الإنصاف، علم يقينا ما فاق به سيدنا رضى الله عنه غيره من سنى النعوت وكمال الأوصاف، ولايتطرق إلى هذا الرجم بالغيب إلا من أحرم بركته وخيره من أهل الغفلة والتية فى مهامه التردد والريب .

وإقسام الناظم رحمه الله فى هذا المقام بالرب الخالق دليل واضح لما خص به فى أحوال محبته من الصدق الفائق رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وما ذكرته فى سبك

هـذه الأبيات هو مضمون ما اشتمل عليه كتاب الجامع وكذلك كتاب الجواهر إلا النزر منه فما حققناه عن الثقاة الأثبات ومما بلغنا فى فضل هـذا الكتاب عن سيدنا رضى الله عنه أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم نسبه إليه فقال فيه : كتابى هو وأنا ألفته وقد ظهر بحمد الله تعالى مصداق هـذه المقالة الشريفة فى حصول القبول التام له وتطاير الركبان به وعموم النفع للخاص والعام بعلومه السنية وأسراره المنيفة ، مع أن مؤلفه رضى الله عنه كان مزجى البضاعة فى العلوم الرسمية عما لابد له فيما يحتاج إليه فى الصناعة التأليفية ، فهو لامحالة من كراماته الشاهدة له بالخصوصية ، وهذا أدخل فى الكرامة مما وقع لبعض العارفين الموصوفين بالأمية من تأليف بعض مهرة العلماء فى مآثرهم وأذواقهم الوهبية .

ومن بركات هذا الكتاب الشائعة بين الأصحاب والإخوان فى سائر الأمصار والبلدان كثرة من دخل فى هذه الطريقة المحمدية بسبب مطالعته والنظر فيه ، وهذا شىء لايكاد النظر يحصى ما اتفق منه ولا يستوفيه ، وكنت كثيراً ما أسمع بعض أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو من العلماء الفضلاء والسراة الاجلة النبلاء ، يقول قد شوهد لهذا الكتاب فى المكان الذى يكون فيه من الحفظ وسعة الأرزاق وكثرة السعادة وتحسين الأخلاق ما لايجحده ويكابر فيه إلاغبى أوذو شقاق ، ومن بركاته الظاهرة وكراماته الباهرة ما ذكره مؤلفه رضى الله عنه من أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا رضى الله عنه بعد ما أمره بجمعه بأن قال له تحفظ عليه لينتفع من بعدك من الأولياء به اهـ

وقد ظهر مصداق ذلك والحمد لله فانتفع به كثير من الأولياء وسلك على ما تضمنه من الطرق عدة من الأصفياء واستنبطوا منه عدة طرائق كلها لمن سلك عليها من أهل هذه الطريقة الأحمدية إلى حضرة الخالق ٥ ولو لم يكن إلا ماوقع لأصحاب

---

٥ طرق التربية فى طريقة الشيخ رضى الله عنه الشرط فيها أن لاتحدث شيئا يغير معالمها فلا تخالف أصولها وقواعدها ولايبيح مامنعه الشيخ رضى الله عنه كما فعل صاحب الميزاب فإنه بين منازل السير وجعل أورادا من أوراد الشيخ لكل منزل وآخر ينظم تلاوة القرءان والصيام والقيام وغير ذلك مع تمسك الكل بما أذن الشيخ رضى الله عنه به فالكل مشترك فى الأوراد اللازمة على شروطها المعلومة

كتاب ميزاب الرحمة الربانية لكان كافيا فى هذا الذى ذكرناه بالمشاهدة العيانية ، فليتنبه لما أشرنا إليه فى هذا المقام وليعرف منه ماحام الشيخ حوله فى قوله الثابت عنه تتفرع عن هـذه الطريق عدة طرق كلها كفيلة من فضل الله تعالى بنيل المرام ولايذهب بك الوهم إلى ماتخيله فى هذه المقالة بعض من لاعلم عنده - وحسب من لم يطرب للأغاريد أن يلزم حده ، ولا يتجاذب مع ذى وجد صحيح وجده - وقد قال بعض أهل الطريق من لم يعرف مصطلحنا لايجوز له الخوض فى طريقتنا . وبالجملة فقد شوهد من تواتر البركات والخيرات لهذا الكتاب الجليل ما لا يفى به قلم التعبير ولا يأتى به عايه القيل ، والله تعالى المستعان وعليه سبحانه قصد السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل اه

وقد وقفت على أبيات لبعض الأدباء فى مدح هذا الكتاب لا بأس بذكرها وهى

أصاح إذا رمت المفاز فبادر ... لفهم الذى يملى كتاب الجواهر
كتاب بدا فى طالع السعد نوره ... فأرشد أرباب النهى والبصائر
وفتح أكمام القلوب نسيمه ... فطابت بعرف من شذا الشوق عاطر
وهز إلى نحو الحما كل عاشق ... كما اهتز مشمول بتغريد طائر
ودل على نهج الوصول مريده ... فمن مدلج سار وآخر سائر
وضم من العلم العزيز مناله ... ومن كل سر كل زاه وزاهر
حقائق علم بثها الشيخ لا أرى ... لعزتها تشبيهها بالنظائر
معارف لم تخطر نفائس درها ... لكل فى العرفان يوما بخاطر
كتاب كريم مستنير مبارك ... يمد بهام من ندى السر هامر
كفاه علا أن النبى أضافه ... إلى نفسه رغما لأنف المكابر
جزى الله من أبدى جزيل نظامه ... بروح وريحان من الخلد وافر
وصلى على روح الوجود وآله ... وأصحابه أولى النهى والمآثر
وسلم تسليما بقدر كماله ... على شيخنا قطب الهدى والمفاخر

أقول وقد هبت فى بعض الأوقات نفحة من النفحات على أن أنظم كتاب جواهر المعانى فلم أشعر بنفسى حتى شرعت فى ذلك ، فلم يمض يوم أو يومان ، حتى رأيت نظم خطبة الكتاب كاد أن يستبان ، ثم دعانى أيضا داعى الكف عن هذا

الأمر ، فعلمت أن هذا كله من سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، بعد أن أظهرت ما نظمته لغير واحد فاستحسنه ، حتى رآه سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به فسره غاية السرور وبشرني والحمد لله بشارة تذهب عني جميع الشرور ، إلا أنه أمرني رضي الله عنه أن أترك هذا الأمر الآن حتى يقع فيه الإذن ولو بعد زمان ، وما منعني رضي الله عنه من ذلك إلا من أجل خوفه عليّ خوف الوالد الشفيق على ولده الصديق جازاه الله عني أفضل ما جازى به أولياءه.

ولا بأس أن أذكر هنا ما نظمته باللفظ رجاء دعوة صالحة من أخ صالح وعلى الله قصد السبيل . ونص ما نظمته بعد البسملة .

الحمد لله على الإنعـــام .	بنعمة الإيمان والإسلام
حمـدا يوافي سائر الآلاء	في حالة السراء والضراء
والشكر دائما على إحسانه	وجوده وجوده امتنانه
شكراً يليق بجنابه الجليل	ومنه نستوجب فضله الجميل
ثم على خير الورى صلاته	مع سلام عطرت صلاته
وآله وصحبه الكـرام	والمقتدي بهم مدى الدوام
ورضي الله عن الخليفة	المصطفى في سائر الخليقة
وارث سره العظيم في الوجود	من في البرايا بحر عرفان وجود
من فضله بين الورى لا يجحد	ختم الولاية التجاني أحمد
ورضي الله عن أصحابه	ومن له انتسب مع أحبابه
من في رداء الأولياء رفلوا	والمراتب العلا قد وصلوا
ولهم خير الورى قد ضمنا	نيل الأماني والغنى بلا عنا
جعلنا الإله منهم بالدوام	وفي كفالة النبي خير الأنام
وأسبل الله علينا ستره	وفي حياتنا سقانا سره
وفي المعاد معــه حشرنا	وفي زمام السعدا أدخلنا
وبعد فالقصد بهذا النظم	جمع جواهر معـاني العلم
تآليف من به الزمان باهى	والفضل في رتبته تناهى
خليفة الختم التجاني التاج	كهف الغني وملجأ المحتاج

الجامع الأسرار فى حياته والمجتدى الأنوار من مشكاته
من يده واسطة فى الخير من بحر سر شيخنا للغير
بعد مماته وفى الحياة عن رغم أنف سائر العداة
العالم العامل ذى المكارم سيدنا الأرضى على حرازم
كتابه جواهر المعانى ألف بالإذن من العدنانى
وبالتحفظ عليه قد أمر شيخى التجانى النبى خير البشر
وقال للشيخ أنا أحببته وكل ماقال أنا قد قلته
ناهيك من ذى الرتبة المنيفة بين الورى مزية شريفة
دلت على رفعة من قد ألفا هذا الكتاب باصطفاء المصطفى
فهى شذور ذهب قد سبكت فيها جواهر المعانى نظمت
والتبر والإبريز من مبناها والدر والياقوت من معناها
جامعها شمس الهدى برادة ونظمنا من شذرها برادة
وليس نظمى مثلها فى الثمن بل هى أغلا عند كل فطن
لكننى نظمتها تطفلا على موائد الكرام الفضلا
لعلنى أحسب من زمرة من خصهم النبى بمن دون من
وأن أفوز منهم بنظرة نكـ.ـو فمالى فى الوجود نضرة
وأن أحوز فى الأنام دعوة عمن رآه جلوة أو خلوة
وأننى فيه ذكرت كلما ذكره بالنقل إلا كلما
فربما أجملت فيما طوله قصداً للاختصار فيما نقله
وربما أشرت فى نظمى إلى ماكان بالتكرار فيه قد جلا
وربما استغنيت بالإشاره لآية قد فاقت العباره
وربما نقلت بالمعنى الذى ذكره باللفظ عند المأخذ
وإن على نظم عثرت فيه ذكرت معناه الذى يحويه
وإن يكن على حديث اشتمل أو آية بينة لمن عقل
والله أسأل السداد فى الخطاب والرشد فى سبل الخطا إلى الصواب
وأسأله على نيل المرام عونا منوطا بالهدى إلى التمام

نظم الخطبة

الحمد لله الذى أفاضا	على جميع الأوليا حياضا
تدفقت فى معدن الأنوار	وكوثر العرفان والأسرار
واختارهم من سره المكنون	وكنز در عابه المصون
حلاهم بحلة السناء	وحلل الجمال والبهاء
وفى العلا أطلعهم أقمارا	بهم سبيل الحق قد أنارا
بنورهم من الهدى طريقه	قد استضاءت سبل الحقيقه
تبوؤا منه قراراً ووطن	فقلبهم بذكره حقا سكن
فلجميع السالكين صاروا	هداية ومنهجاً يختار
وبرزوا حقا لكل سالك	منار حق لاهتدا الخلائق
لولاهم ما سلكت فجاج	سبل الهدى ولم يكن علاج
ولا تبين الهدى استبصارا	حقا لأنفس الورى إقرارا
سبحان من خصهم بالحكمة	والنور بين سائر البرية
وشرح القلوب والصدورا	بهم وقد جعلهم صدورا
فإنه جعلهم للدين	خير نصير فى الورى معين
وبعد فاعلم أن من أحسن ما	إليه يصرف اهتمام من سما
طول لياليه وطول يومه	لأجل أن يسمو به فى قومه
ويعمل الفكر والقلم فيه	وذكره بين الأنام يصطفيه
ويأخذنه أبداً إمامه	يجعله بقصده أمامه
ويتقيه للمعاده ذخرا	ويجتلى الحسن به والأجرا
ويجتدى من شمسه مقتبسا	بضوء نوره ينير الحندسا
ويرتق فى ربعه وروضه	ويكرعن من عذبه وحوضه
ويتضمخن بأذكى عرف طيب	ويذكرن به منازل الحبيب
هو محاسن أهيل الله	الأوليا أولى العلى والجاه
حزب إلهنا وأهل حضرته	الفائزين بشهود نظرته
إليه من بين الورى مجذوبون	وهم لديه كلهم محبوبون

الواقفون فى الدجى بين يديه والعاكفون فى العبادة عليه
ساجدة قلوبهم على الدوام له بحفظ عهده على الأنام
هم المظاهر لآى المصطفى حقا نوابه أكرام الخلفا
الواردون منه أروى منهل والشاربون منه أصفى عسل
تخلقوا منه بخلق وخلال واتبعوه فى المقال والفعال
بذكرهم قلوبنا ترتاح حقا وتشتاق به الأرواح
ومن عقالها النفوس تنشط لفعل طاعة بذاك مرتبط
فإن من هذا الورى كثيراً أثار منهم ذلك التشميرا
فباهوا بذلك العزم الكبير أن حاسبوا أنفسهم على النقير
وفى معالى العزم لم يرضوا سوى بنيل أعلا رتبة على السوى
ولم يزالوا مسرعين فى الأمور لنيل ما يحمد فى دار السرور
ونزهوا عن دنس المخالفات جوارحا لهم بترك السيئات
وبوظائف الهدى والدين قاموا جميعهم بكل حين
قد فعلوا ما أمر الله به واجتنبوا المنهى كالمشتبه
وفى رضى الإله جادوا بالنفوس وما أتى عنه تلقوا بالرؤس
لذلك الأخبار منهم تتلى حقا وفى الطروس صارت تملى
فقد أتى عن بعضهم مقاله وهى له تشهد بالجلاله
فقال والله الإله ربى لأفعلن مثل خير الصحب
ولأزاحمنهم فى فعلهم بين الذين قد أتوا من بعدهم
ليعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم قوما كما قد وصفوا
فانظر إلى ذى الهمة العلية كيف سمت للرتب السنية
وذاك حين سمعت بفعل من سبقها تاقت إلى الفعل الحسن
صحبها تنافس لجدت فى طلب الذى به قد همت
وقد أتى الأمر بذا التنافس فى محكم القرآن وهو مانسى
نسألك اللهم أن ترزقنا بين الأنام همة تعلو بنا
فنبلغ المنى بها من كل ما يحمد فى الأخرى وفى الدنيا سما

ونيـــة صادقة تحرزنا عن كل ما يوجب منك صدنا
وهاهنا ذكر ماقد قيلا فكن لحفظه فتى نبيلا
إن شئت أن تظفر بالحب فكن في الحب صادقا وسر العشق صن
وشمرن عن ساق عزمك ودع كل العلائق تفز بالمجتمع
سر الموالى ليس يبدو إلا على محب عاشق للدولى
فهـــذه يأيهـــا المحب لازلت يرعاك الإله الرب
فائدة الوجود والظهـــور لهم لدى الورى مدى الدهور
كذا سماع الناس الأخبار لهم على سبيل الاختصـــار
وليس يعلم جنود ربنا سواه والعجز يرى لكلنا
هـذا وبالجمـــلة فالآلاء من ربنا ليس لها إحصاء
وما علمنا فى الورى إلا القليل وما خفا عنا فأكثر جليل
فالإله الحمد حتى يرضى على الذى عم السما والأرضا
فلو تتبعنـــا الذى للقوم من المحاسن وكل علم
لكان لا يسعنا ذا الوقت عن بسط الكلام فيه من ضيق الزمن
فانقبض العنان عن تتبع أحوال من بحرهم ذو منبع
فإنهم من بحر الامتنان يغترفون جوهر العرفان
ومن غصون السر والمعارف يقتطفون زهرة اللطائف
وكيف لا وهم عباد عبدوا ربهم حقا إلى أن شهدوا
قد اصطفاهم فى الورى لخدمته وجعلوا فى الخلق أهل حضرته
فشهدوا منه جليل كرمه وجلسوا على بساط نعمه
هم الأولى قد شربوا من كأسه فالكل غائب به عن حسه
قد شربوا من حبه فغابوا وبشهود عزه قد غابوا
نالوا من الإله ماقد طلبوا والوقت قد ساعد فيما رغبوا
فهم لدينا سادة وأمرا وهم سلاطين بزى الفقرا
قد صلحوا لأن يكونوا قاده لخلقـــه فى سبل العباده
ركابهم ميسر لعمـــله على وفاق حكمه فى أزله

فليس إلا بهم تصفو الحياة ... وذكرهم يشفى الحشا بلا افتيات
وحين هاجت القريحة بهم ... وافتخرت بين الورى بقربهم
وأفصحت عن حبها وصاحت ... فى حبهم من الأنام قالت
والله ما طاب الزمان إلا ... بهم فلولاهم طلبت القتلا
فالعيش إلا بينهم فى ظلهم ... فراحتى بودهم ووصلهم
قد سكنوا قلبى فمالى غيرهم ... عليهم أزكى سلام عمهم
فلتحمدن حبك فى إجلالهم ... يا أيها العاشق فى جمالهم
وقر عينـا بهم والله ولا ... تلتفتن إلى الذى فيه فلا
ينال شىء بصدك مدى ... دهرك عن جنابهم نلت الهدى
واحتفظ بما إليك أرسمه ... فى ذا الكتاب المحكمات حكمه
من الشمائل التى تشفى السقيم ... مما تعلق بهذا الشيخ العظيم
هو الذى لم يسمح الدهر بمن ... ماثله إلا بسالف الزمن
يلائمه در من قال وفى ... نظمى معانى ذلك الشعر نفى
جلت عن [illegible] ذوى العرفان ... وقصبات السبق للتجانى
[illegible] ربه وفى ... حور وولدان بجنة نفى
[illegible] النعيم مقعد ... صدق ومأواه الرفيع يقصد
وقال غيره كهذا المعنى ... وجمع معناه بهذا المبنى
أبيت [illegible] قطعا قصمى ... ماسمح الدهر به فى الأمم
وقال [illegible] به إتقان ... ما ولدت مثله النسوان
[illegible] ذى الكرامة ... والله فى رتبتها أقامه
[illegible] بين الخلق أعلا مرتبه ... والله أولاه أجل منقبه
[illegible] فى مربعها الخصيب ... أكبر حظ وعلا نصيب
سيدنا الشيخ الإمام الواصل ... وقدوة الخلق الهمام الكامل
من هو فى العلوم طود شامخ ... وعارف بالله حقا راسخ
وجبل السنة والدين المتين ... وعلم الحق لكل المهتدين
العالم [illegible] العلامة ... المرتضى المشارك الفهامة

بجمع بحر الشرع والحقيقة الفائض النور على الخليقة
الواضح الآيات والأسرار ومعدن الجود والافتخار
بحر العلوم والفنون الطامى فالخاص يدرى فضله كالعام
نادرة الزمان ملجأ الأنام والكوكب الوهاج مصباح الظلام
ذاك الشريف الأفضل العفيف من قدره بين الورى منيف
هو أبو العباس شيخى أحمد من وصفه مثل سُماه أحمد
نجل الولى العلم الشهير بدر المعالى العالم الكبير
القدوة المدرس النفاع النبوى الخلق والاتباع
محمد نجل رفيع الشان بين الورى المختار ذا التجانى
عن الجميع رضى الرحمن ومعهم يشملنا الرضوان
وإننى لما على منا ربى بمعرفة هذا الأسنى
والانحياش لجناب حزبه وصرت حقائق الورى من صحبه
ومن شمائله قد رأيت ومن معارفه قد رويت
من المحاسن التى لاتحصى ولا يفى الحد بها باستقصا
مما يعز فى الورى وجوده وجوده عم الورى وروده
وفى البرايا عدمت أمثاله وفى الخبايا فقدت أشكاله
مما يحق أن يرام ويراد ويستفاد فى العباد ويفاد
وترسمنه فى الطروس الأقلام وفى الدواوين تعيه الأعلام
طلب منى صادق الإخوان وأفضل الأحباب والأعيان
أن أجمعن ماتيسر لدىّ وساقه الله المهيمن إلى
من التعرف بذا الشيخ العظيم وبطريقه الصراط المستقيم
وعلمه وخُلقه وشيمته وخلقه ونشئه وسيرته
وقوله الفصيح مع إشارته وكشفه الصحيح مع كرامته
وغير ذلك من المآثر مما به تعنو له الأكابر
فصرت أجمع الذى استحضرته فى ذا التوليف الذى دونته
من بعض ماهنالك إسعافاً لمن طلبه وتحفة لمن فطن

أعانة لكل ذى اعتبار … إنابة لكل ذى استبصار
إفادة لسائر الأحباب … هداية لكل ذى انتساب
إذ التعلق بأهل الله … تعلق بجانب الإله
ومن يرى يقف فى أبوابهم … يكتب فى الأكوان من أحبابهم
والانحياش لعلاهم العظيم … تعرض لفضل ربنا الكريم
وفى حديث الطبرانى المنبى … تعرضوا لنفحات الرب
فإنها منه بهذا الدهر … تغشى جميع الخلق دون نكر
ومن وفته نفحة منها سعد … وليس يشقى بعدها مدا الأمد
يافوز من حقا إليها نهضا … وفى الورى منها لما تعرضا
فنال منها فى الوجود مددا … به ينال فى العلا ماقصدا
ثم إذا كان لدى ذكرهم … وسرد أخبار ترى عندهم
كما أتى فى أثر موقوف … وفى مقول خبر معروف
تنزل من عند الإله الرحمات … مع عواطف لطيف النسمات
حقا فما بالك بانتشار … محاسن لهم مع المختار
وذكر سيرتهم النبوية … وسرد أخبارهم المختارية
تلك التى هى هدى ونور … ورحمة تشفى بها الصدور
وهى دواء للقلوب وجلا … لكل كرب حيث ماقد نزلا
وهى لكل سالك وسائر … هدى ونفع يفتح البصائر
يطرب كل سامع حديثها … وللحضور حثه حثيثها
ولم تفه ألسنة المحابر … ولم تع سرائر الدفاتر
بعد شمائل النبى وسيره … وخُلقه وخَلقه وأثره
حقا بأعلا وأجل من خبر … لهم ومن مكارم ومن أثر
إذ لهم صحبته المعنوية … ولهم الكرامة السرمدية
ولله در من يقول … وقوله فى نظمنا يجول
ياسادتى يا أفضل السادات … بذكركم قد زينت أوقاتى
ياخير صحب المصطفى فى الآتى … يا أفضل الأحياء والأموات

ونحن إن لم نك ذا اتباع ولامن الأشياع والأتباع
نحول نفحة لهم نحوم والبركات منهم نروم
خذ مادنا إن فاتك الأجل إن لم يصبها وابل فطل
حقا لمن ردد من أخبارهم واستمع الكثير من آثارهم
وأكثر الترداد من حديثهم بالحب فى القديم مع حديثهم
أن يدخلن معهم فى سربهم وأن ينال جملة من برهم
أو يقفلن منهم بفـــائدة لهـا منافع عليـه عائدة
وههنا قد قيل فى معنى ما ذكرته لجز به إكراما
حدثبهم سمعك فى كل جلوس إن حديثهم نديم للنفوس
فإن سقيت منهم بكاس دفع عنك به كل باس
جعلنا الإله ممن حبهم ومن قفا طريقهم وحزبهم
وفى الورى تلذذا أولانا بذكرهم لنحـــرز الأمانا

ولما حصل الفتح الكبير لصاحب الترجمة رضى الله عنه أمره سيدنا رضى الله عنه بالسفر وخروجه من البلد الذى هو فيه . كما أمر رضى الله عنه بذلك كل من يحصل له ذلك المقام ، قال فى الجامع سمعته رضى الله عنه يقول يوما إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك فقال له بعض أصحابه منك أو من الله فأجابه بقوله من الله تعالى من غير اختيار منى ثم قال بعده الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابه فى التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلاخوف عليه من جانبى اه

قال فى البغية بعده: قلت وكنا نرى أن خروج الخليفة المعظم سيدى على حرازم رضى الله عنه من فاس وتوجهه إلى الحجاز إلى أن توفى هنالك من أجل الذى ذكرنا هنا والقرائن الشاهدة لذلك كثيرة منها مابلغنا عنه من أن الشيخ رضى الله عنه أمره إذا وصل إلى مصر بتربية بعض من كان فيها إذ ذاك من أصحابه إلى غير ذلك مما يطاول جلبه اه

وبلغنى على لسان بعض الأفاضل أن سيدنا رضى الله عنه كان أخبر صاحب الترجمة بنيل مرتبة عظيمة ومنقبة جسيمة لكن ذلك مشروط بمقابلة القبر الشريف

فاشتاقت نفسه لذلك حتى احترقت كبده من شدة الشوق فبمجرد قربه المقام الشريف على نحو المرحلة ذكر بعض الأسماء العظام التى لقنه سيدنا رضى الله عنه واشترط عليه أن لايذكرها إلا بعد المواجهة والوصول لذلك المقام السعيد فرأى مارأى وغاب عن حسه حتى ظن من معه أنه توفى فدفنوه حيا فبقى فى قبره ٧ أيام حيا ثم توفى بعد ذالك . وقد أخبر سيدنا رضى الله عنه بذلك فقال كما فى الإفادة الأحمدية سيدى الحاج على حرازم وقعت له غيبة فتخيله أصحابه أنه توفى فدفنوه اه

قال لى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به قال سيدنا رضى الله عنه بعد ماذكر : ولو لم يدفنوه لسمعوا منه علوماً ومعارف وأسراراً مما لايخطر لهم ببال ولايجدونه فى ديوان ثم حدثنى نفعنى الله به أن سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر وهو من جملة من كان معه فى سفره رضى الله عنه حتى توفى حدثه أنه لما ذكر الاسم الأعظم الذى لقنه له سيدنا رضى الله عنه واشترط عليه أن لايذكره إلا فى تلك البقعة الشريفة سقطت قواه واندكت ذاته حتى إنه سقاه حليباً لبنا فخرج من مسامه عرق وهو لبن كما شربه اه

ومن الوقت الذى أمره سيدنا رضى الله عنه بالسفر وهو ينفق على أهله وأولاده إلى أن توفى سيدنا رضى الله عنه .

وقد وقفت على رسالة منقولة من خط صاحب الترجمة يطلب من سيدنا رضى الله عنه أموراً تشهد له بالفضل العظيم ووقفت على جواب سيدنا رضى الله عنه على حسب السؤال وقد أردت إثباتهما معا هنا تتميما للفائدة .

ونص الرسالة بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها والصلاة والسلام على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها وعلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا أبى العباس السلام التام والقرب العام من حضرة ربها . أما بعد : فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذى أسدى الله فضلا ورحمة ومدداً إلينا أن يتفضل علينا سيدنا بما وعدنا بخط يديه الكريمتين إلينا كما هو معهود من فضل سيدنا من غير استحقاق منا بل محض فضل وإكرام وامتنان علينا من سورة .:. ┼ حى ┬ ┼ ┬ ╤ ┼ ┐ .:. بما لها من الأسرار والعلوم والوقت وما لها من اللزوم ودفع عوارضها من الشرور والهموم وإعطاء مالديها من

الأسرار والعلوم ، وأن يدي عليها بحول الله على عدد الدهر والعموم ، وكذلك
الكتاب أيضا على مايليق بالحال ويزيل الإشكال
وإن ظهر لسيدنا أمر آخر فهو أدرى بحالنا ولا نستحق شيئا على سيدنا إنما ذلك فضل منه علينا ، وأطلب منك سيدى الضمان الذى ضمنت لى بخط يديك من مقام مولانا الهمام الشيخ الأكبر أبى عبد الله سيدى محمد بن العربى الحاتمى بماله من العلوم والأسرار والأحوال وسائر المقامات وأن نكون وارثا له فى جميع ذلك على كمال الأحوال مع حفظ الشريعة المطهرة ، وبشريتى محفوظة علىّ ضمانا لازما عند وصول المقـام ، وأن تفرغ علىّ من جلابيب الحكمة الإلهية والأسرار الربانية وعلوم الشريعة وكنوز الحقيقة عند وصول المقام دفعـة واحدة من غير مشقة ولا تعب ، ولاطلبت مقام ابن العربى حتى عرفت وتحققت ان مقامك أعلا منه ولا مطمع لى فيه ، ولاينبغى أن أحوم حوله ، وأطلب منك سيدى أيضا أن يدفع الله عنى جميع العوارض التى تقطعنى عن جميع الخيرات ، فإنى إن حاولت أمراً قطعتنى عنه العوائق ولاطاقة لى برفعها ودفعها عنى ، وهذا الأمر عندى محقق الوقوع ، وأنا عبد الله سألتك سيدى بوجه الله وذاته العليـة وجاه رسول الله وجاهـه عند الله إلا مارحمت غربتى وتوجهت إلى الله فى دفع ملتى التى حالت بينى وبين حقيقتى ، فإنى تحققت أن الفتح الأكبر لايقع إلا بعد وصول المقام ولامطمع لى فيه الآن .

وأما تنوير باطنى واستقامته وإظهـار فضلك ومددك علىّ وحصول الخيرات لدى ظاهراً وباطنا فلا أقبل فيه عذراً من سيدى من الآن إلى حصول المقام وبعد حصول المقـام ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، وأن تقبلنى قبولا تاماً عاما شاملا جامعاً لأحوالى الظاهرة والباطنة مع أولادى وإخوانى وأحبابى وكل من أخذ عنى وردك قبولا لاينقطع عنى إلى دخولى معك فى أعـلا عليين فى جوار النبى ﷺ .

وأطلب منك الضمان لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظـة ضمانا لازما لاينفك عنى إلى دخول الجنة وأطلب منك الضمان أيضا أن كل ما أحاوله ينتج لى من أمر الدنيـا والآخرة وأطلب من الله جلت قدرته ثم من كمال فضلك ومددك

الساري إليّ أن أكون في جميع ذلك على بصيرة نافذة من ربي وأن لا يدخلني خلل في طريق ولا في حقيقتي وأن تكون شريعتي كاملة وحقيقتي جامعة وأن لا يتصرف في مخلوق دونك وأن أكون مأمونا من السلب إلى دخولي منزلي في الجنة وأن تعاهدني أن لا تضرني ولا يحصل لي ضرر من جنابك لتقصيري وتفريطي وعدم معرفتي لحرمتك وعلو منصبك فإني لا أقدر أن أقدر قدرك ولا أعرف أدبا تأدب به معك إلا أني ملق بين يديك ، وأسلمت قيادي لك ظاهرا وباطنا فأنت أولى بي من نفسي فلا أعرف ماينفعني ولا يضرني ، ولا كتبت هذه الحروف إلا جهلا مني (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

وأطلب منك سيدي الضمان في كل مايصدر مني من الاسباب المرضيـــة . وفيمن طلب مني الدعاء اوحاجة من حوائج الدنيا والآخرة ماعدا الأمور المخزنية فإني بريء منها ، وإن طلب مني أحد شيئا فإني أتوجه إليك بهمتي إليك فأطلبه منك ، فما أجابني به تأتي فعلته إما بالترك أوالفعل ولا أفعل فعلا إلا بالله تعالى ، ثم بك وأحوالي الظاهرة والباطنة كلها موقوفة عليك وتحت حكمك وطوع يديك من الآن إلى حين وقوفي بين يدي الله وهذي شهادتي بين يدي الله فإني تحت حكمك وطاعتك ولا أخالفك بحول الله وقوته في سرك وجهرك إلى دخول جنتك * فأنا ولدك وعبدك وخديمك ومريدك فلا مفر لي من بابك ، وإن طردتني عن جنابك فأنا ملازم الباب أعفر خدي في باب الأعتاب ، ومتشفع إليك بحبيب الأحباب سيدنا محمد عليه من الله الصلاة والسلام ، فاقبل طلبتي وجاوب عما في كتابي ليطمئن قلبي ، ولا يخفى عليك حالي كيف خرجت من داري ولا رجوع لي إليها إلا بهذا الضمان .

وحين أفارقك يظهر عليّ خيرك ومددك الساري ، فقد عاقني الدهر وفارقني النوم وضاع عمري هملا ، وأطلب منك سيدي أن أكون منك على بال ولا تنسني سيدي وراع أحوالي الظاهرة والباطنة ، ولا نقطع عني مددك لمحة وا[illegible]دة سيدي

---

* جنتك أي الجنة التي تكون فيها فأكون معك قال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت »

لوجه الله وأسألك سيدى بوجه الله العظيم ونبيه الكريم أن تبشرنى ببشارة إن كان لى نصيب فى هذه الطريق العظيمة أولا نصيب لى فيها، وهذا سوء أدبى وجهلى فسامحنى سيدى واعذرنى لما حل بى من الهجران والقطيعة عن حضرة ذى الجلال والإكرام

والأهم عندى هو رفع العوارض عنى جميعا ولا أقبل فيها عذراً لله تعالى ؛ وهذه العوارض والعلائق والعوائق هى المانع لى من جميع الخيرات . فإن صرفت سيدى همتك إليها صارت هباء منثوراً وانزاحت عنى ، فإن اتكلت على عمل أعمله ضاعت أوقاتى ولاينتج له شيئا فإن توجهت بهمتك العلية انزاحت عنى الهموم والغموم وزفت إلىّ الأسرار والعلوم وربحت ربحا عاجلا وآجلا من فيض علام الغيوب ، فالله الله الله سيدى لوجه الذات العلية وجه وجهتك إلىّ وقلبك لدى لحظة واحدة تزاح عنى هذى العوارض والعوائق وتنكشف لدى جميع الحقائق ، فإن قبلتنى قبولا تاما فبخ بخ وإلا كنت من الهالكين . وكلا ومعاذ الله أن تردنى خائبا خاسئا حسيراً . فأنت سيدى بحر زاخر لاتكدرك الدلاء ولاينقص جودك الإنفاق ، وفى كل لحظة تأتيك من فيض الله الارزاق ، واقتصر المنان ونطلب منك تطهير الجنان ، وأستغفر الله مما كتبت يدى وإساءة الادب فى حضرة سيدى فأسألك العفو والتجاوز والصفح والقبول كما هو معروف منك متداول ، ولولا جهلى ما كتبت حرفا واحدا ، إلا لضعف حالى وقلة بضاعتى ولكن علمت وتحققت أنى خديمك وحبيبك وولدك ، أسألك وأطلب منك بأنى حبيبك ومحبوبك فى الدنيا والآخرة وهذه لا أقبل فيها عذرا والسلام عليكم ورضى الله عنكم وأدام حياتكم لنا وجعل نفع المسلمين كافة على أيديكم .

واطلب منك أن يميتنى الله على محبتك وأولادى وأحبابى وتضمنه لى والسلام من عبدكم وخديمكم أفقر الورى إليكم والغنى بكم على حرازم برادة لطف الله به آمين

والجواب بما يقر الله به العين ويطمئن له القلب وتسكن إليه الجوارح والسلام من الله عليكم ورحمة الله لديكم فى كل لمحة آمين اه ما كتبه رضى الله عنه .

ونص جواب سيدنا رضى الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وعليكم السلام . أما ما ذكرت من العوارض الحائلة بينك وبين ما تقصده من

عمل الآخرة فاعلم أن سببه ماتمكن من نفسك من الميل إلى الراحات واقتحـــام ماتقدر عليه من الشهوات ، فإنها سمعت أن مقام المعرفة بالله حاصل لها بلا تعب ، فمالت إلى مايقتضيه دواها من الراحات ، فلو أنهـا علمت أن مقصودها من المعرفة لايحصل لها إلا إذا جدت فيما هو من الطريق معروف وفارقت كل مألوف لأجابت إلى مايراد منها من المجاهدة ، لأنها تريد الظفر بمطلوبها ، فلما سمعت أنه يحصل لهـا بلاتعب لم تجب إلى مايراد منها من المجاهدة ومفارقة الحظوظ ، فكل عارض لابد له من ظهور حكمه ، فمن ظن أن قيام العارض بالقلب على حاله يمكن معه نقيض حكمه فقد جهل أمر الله عز وجل ولم يحصل له من ظنه إلا التعب لاغير .

ومثل العارض كالسحـاب فى السماء ومثال ما وراءه من المجاهدة كالشمس فإذا صحا السماء من السحاب طلعت الشمس ، وإذا وقع السحاب دونها حال بيننا وبينها فلايمكن وقوع السحاب فى السماء وطلوع الشمس ضاحية من ورائه ، وتعقل هذا وتأمله تستفد منه علمـا عظيما ، وحيث قامت العوارض بالقلب من الميل إلى الراحات واقتحام ماتقـدر عليه من الشهوات امتلأ القلب بصور الأكوان والميل إليها وحيث وقع ذلك تمكن تخليط القلب فى أمر الهوى والبعد عن حضرة القدس وعن جميع مقتضياتها فلا تزول منه هذه الأمور إلابوادرالفتح الأكبرالذى يفيض معه بحر المعرفة بالله وإلا فلا تطمع أن يخلو قلبك من الظلام والكدر مادامت فى قلبك هذه العوارض ، وحضرة الحق جارية على النسب لا تخرج عن نسبها .

واعلم أن مراد الله منك فى هذا الوقت ما أنت فيه ، فوقوفك بعبوديتك فيما أقامك الله فيه فى وقتك هو أولى بك وأمكن من رمى فكرك إلى مطلب قطعتك دونه العوارض ولم تحصل منه على طائل فسلم الأمر إلى الله .

واعلم أن ماتطلبه له أجل ومقدار إذا جاء وقته جاء ولايتعجل بطلب تعجيلك ، ولورمت الخروج عما أنت فيه إلى تنوير القلب وصفائه فاذهب وانقطع عما سوى الله فى مكان لاترى فيـه أحداً والزم نفسـك إخراج مرادك من كل ماسوى الله واستغرق أوقاتك فى الذكر المفرد تر العجب من تمكين الصفا ، فإن لم تساعفك نفسك على هذا فاعلم أن مرادالله منك ما ذكرنا واترك عنك مايتقلقل فى قلبك من

خواطر السوء المفضية إلى سوء الأدب مع الله ، ومعنا بطلبك أموراً لا نسبة لها فيك بل ليس فيك إلا نسبة نقائضها :

لقد رمت الحصاد بغير حرث … يغوص البحر من طلب اللآلى

وهذا القدر كاف إن فهمت .

وأما ضمان المعرفة بالله من مقام محي الدين فإنه أضمنه لك إلا اطلبانيته فلا أعلم فيها أمراً ولا غيره ولا أضمنها وهى موكولة إلى مشيئة الله وعلمه . وأما محبتك لنا فأنا أضمنها لك أن تموت عليها إن فارقك ماتخوفته عليك ، وإنى تخوفت عليك من طلبك الأغراض منا أن تنقطع عنا ، وليس ذلك من جهتى وإنما هو من جهة إكثارك منها ، فإذا طال أمرك ولم تر شيئاً من أغراضك قال لك الوسواس ليس ثم شيء يرجى ولا فائدة تجتنى فانهدم قصر اقتصارك علينا برغبتك فى غيرنا فتقطع المحبة من أصلها وتقع فيما لاقدرة لك على حله من الضرر ولا أذكره لك لعدم إمكانه وإن انقطعت عنا رأيته ولو بعد حين فتندم حيث لاينفع الندم ؛ بل اذهب والزم والتزم ماقلنا لك من الأوراد مسلما قيادك الله فى الرضى بما أقامك فيه حتى يأذن الله لنا ولك بالفتح فقط ودع عنك ماعدا هذا .

وأما ماطلبت من الضمان فى المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس ممزوجة حقيقتها بالشريعة فإن أمرها لايكون إلا كذلك لاغير فلا تحتاج إلى ضمانة وأنا ضامن لك أن لا تسلب مادمت فى محبتنا وكل مادونه من دخول الجنة بلاحساب إلى ماوراءه وماقبله ، وسامحتك فيما لاتعلمه مما مقتضاه سوء الأدب . وأما السورة فتداومها ١١٠٠ كل يوم أوكل ليلة مختليا وحدك وقت ذكرها فقط ، وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مرة وتهدى ثوابها لأهل النوبة فى ذلك اليوم من الأولياء الأحياء ثم تقوم وتقف مستقبلا وتنادى ح دستور يا أهل النوبة جبهتى تحت نعالكم ح ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدى ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعى وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدى ثوابها لروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم تسأل المدد فى سر السورة وفى قضاء الحاجة التى تريدها تناديه ثلاث مرات فى كل مرة تناديه ثلاث مرات وتسأل المدد منه صلى الله عليه وسلم ، ثم تسأل المدد من جميع الشيوخ الحاضرين أعنى الأحياء

تناديهم ثلاث مرات ثم تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ١١ مرة بالفاتح لما أغلق ثم تشرع فى ذكر الورد المذكور إذا إذا لم يك فى حاجة فإذا فرغت منه صل على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق ١١ مرة ، وإن كان لحاجة تنوى الحاجة قبل الورد وبعد الصلاة ١١ مرة تذكر الورد بقيتها فإذا فرغت فارفع يديك وسل الحاجة منه ثلاث مرات وصل على النبي صلى الله عليه وسلم فى أول كل مرة وبعدها ثم اقرأ الفاتح لما أغلق ١١ مرة ولاتقطع الورد عدد أيام الحاجة ١١ مرة فإن استجيب فذاك وإلاأعد ١١ يوماحتى تجاب والسلام اه ما كتبه سيدنا رضى الله عنه

التقاؤه بشيخ الإسلام بتونس

ومن جملة من لقيه فى هذا السفر صاحب الترجمة العارف بالله أبا إسحق سيدنا ابراهيم الرياحى بتونس ولقنه الطريقة التجانية وقد وقفت على قصيدة من نظم هذا العلامة الجليل فى مدح صاحب الترجمة بعد كلام نذكر المقصود منه هنا ونصه الحمد لله الذى من علينا بالاجتماع مع شيخنا العالم الهمام رأس العارفين بلانزاع وقطب الواصلين بلا دفاع ولى الله الذى هو فى مراقبة الله وعبادته ومعرفته حازم مولانا ووسيلتنا إلى الله وعمدتنا لديه سيدى على حرازم أبقى الله نوره لائح الأسرار ، وسره المشهور ساطع الأنوار ، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، إلى أن قال بعد أن ذكر أنه أخذ عنه الطريقة وسبب معرفته به مانصه :

ولما اشتد به وجدى ، ولم يطق حمل إخفاء شوقى وحبى به جهدى ، أنجدت فى مديحه بركته إنشاد الهائم وأنشأت له قصيدة مطرزة ببعض شمائله ولم أخف فيه لومة لائم فقلت وعلى فيض سره عولت

كرم الزمان ولم يكن بكريم	وصفا فكان على الصفاء نديمى
وأفاض من نعم على سوابغا	لله يشكرها فمى وصميمى
عظمت على الشمس البليغ وربما	عجز الثناء عن الوفا بعظيم
وأجلها نظرى إلى ابن حرازم	وتمتعى من وجهه بنعيم
والتذى من خلقه بمحاسن	وتمتعى من خلقه بنسيم

وتمرني من عرفه بعوارف ... ومعارف ولطائف وفهوم
وتعززى بتذللى لجلاله ... وتشرفي من نعله المخدوم
ذاك الذى حملت خزائن سره ... ما لو بدا لارتاب كل حليم
وهو الذى منح المعارف فارتقى ... منها لأرفع سرها المكتوم
وهو الذى نال الرضى من ربه ... وينيله إن شاء غير ملوم
وهو الذى أذن الرسول بوصله ... وأمده من عنده بعلوم
وهو الذى التجانى أودع سره ... فيه وخص مقامه بعموم
وهو الذى وهو الذى وهو الذى ... وهو الذى معناه غير مروم
عظمت لديه مواهب أضحت لها ... همم الورى تسعى بكل سليم
وسعت محبته إلى أرواحهم ... فهى الغذاء لراحل ومقيم
ياسيدى ولكم دعوت لسيد ... حتى عرفتك فاستبنت رجوى
وعلمت أنى كنت أرقم فى الهوى ... وأسير خلق والشقاء نديمى
ياموئلى وكفى بفضلك موئلا ... ومؤملى عند التهاب سمومى
هل أنت كاشف كربتى فلقد سطت ... وطغت علىّ وساوسى وهمومى
هل أنت راحم شقوتى فتريحنى ... نخيار أهل الله خير رحيم
هل منقذ من قد تحير لم يجد ... من مسعد يجلى الهموم زعيم
فارحم دموعاً قد رأتك عيونها ... فتكرمت باللؤلؤ المنظوم
وجوانحا جعلتك فى سودائها ... وقد اصطلت وتكاملت بكلوم
وجوارحا ضرعت إليك بقودها ... أصل عظيم الشأن غير هضيم
وسرائر ألوانها بليت لما ... وجدوا سوى شوق إليك أليم
ومتيما لولا التذكر لم يكن ... بتجرد الأشواق غير رميم
لايقطعن أملى وقد وجهته ... يسعى إليك وأنت خير كريم
وقد اتخذتك فى الأنام وسيلة ... وتوسلى بعلاك غير فصيم
ورجوت من ربى بفضلك ما أنا ... أصبحت من معناه غير عديم
يامسندى يامقصدى ياسيدى ... يامنجدى ياموئلى وحميمى
أنت الذى ربى اصطفاك لسره ... وحباك من فضل عليك عميم

فلك الهناء فأنت سلطان الورى ولى الهناء بأن تقول خديمى

ورسوله أولاك ما اعترفت به لك أهل سر الله بالتقـــديم

فسلام ربك كلما هبت صبـــا يغشاك طيب مزاجه المختوم

ثم قال رحمه الله تعالى فلما أنشدتها بين يديه وقد اعتراه من الحال مالا يذكر وأسيل من الدمع ماهو من الوبل أغزر ، قال على بمحبرة وقرطاس ووقع بخطه المشرف والناس جلاس مانصه ، يقول لك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عنى خيرا وعن نفسك خيرا ولك منى المحبوبية التامة ومن الله جل جلاله واتصال حبالك بعروة لا انفصام لها ولك من الله ومنى الرضى التام ولك بذلك معارف وأسرار وسرور والسلام عليك ورحمة الله اه

ثم قال صاحب القصيدة فانظر رحمك الله هذه النعمـــة ما أكبرها ، وتأمل بفكرك هاته العظيمة ما أكثرها فلله الحمد كما ينبغى لجلاله وعظيم سلطانه ، وله الشكر على ما أسدى من جزيل نواله وجليل إحسانه ، فهذا هو الكرم وهكذا يكون الجود أبيات من الشعر فى عصر كســاده تستحق التسليم من أفضل الخلق والرضى التام والمحبوبية من الله تعالى ومن رسوله لقائلها وذلك أمر دون نيله خرط القتاد وتفتت الأكباد وذوب الأجساد ولامطمع فيه ببذل الاموال والأولاد ، لولا فضل الله الواسع وكرمه الذاتى الذى ليس عليه مانع اه

ولما وصل صاحب الترجمة لتونس تزوج بشريفة عملا بما بلغنا عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره وكان يخبر بذلك قبل سفره من هذه الحضرة ثم طلقها بعد ذلك لأمر اقتضاه الحال ، وقد ذكر صاحب الترجمة هذه القضية فى معرض الكرامة لسيدنا رضى الله عنه ونصه .

ومن هذا المعنى ماحدثنى به الخاص المذكور وهو أن الخليفة المعظم سيدى على حرازم رضى الله عنه كان حين أراد الوجه لبيت الله الحرام يذكر لبعض الخاصة من يجاوره بالامور أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه بينت بتونس وكان يصفها وربما ذكر اسمها واسم أبيها ثم لما سافر لتونس حرسها الله كان ما أخبر به . قال المخبر فلم نلبث أن سمعنا الخبر أنه طلقها . قال فكان يقع فى باطنى شىء من جهة تطليقه إياها وهو أخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه بها . قال وكان الشيطان

لعنه الله كثيراً ما يكدر عليه وقته بالوسوسة فى ذلك وخصوصا حين يطيب وقته قال لى لجلست يوما مع الشيخ رضى الله عنه ولم يحضر معنا ثالث فطاب لى الوقت بمحادثة الشيخ رضى الله عنه ولان القلب وخشعت الجوارح فلم أشعر حتى ألقى ذلك الخاطر ببالى واشتغل به فكرى وكسر علىّ منوى فرفع رضى الله عنه بصره إلىّ وأدنى رأسه منى وقال لى كانت لاتصلى ولم يزد رضى الله عنه على ذلك شيئا ، قال فعلمت أن ذلك موجب لطلاقه إياها وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقره معها على ذلك اه .

ثم قال قلت : ثم بعد ماحدثنى هذا السيد رحمه الله تعالى بهذه الكرامة بمدة وقع بيدى ورقات بخط سيدى على حرازم رضى الله عنه فإذا هى مشتملة على مطالب عديدة لنفسه ولخاصته وقرابته وإذا من جملتها الدعاء لتلك الزوجة بأن تحبب إليها الصلاة ، وهذا موافق لما أجاب به الشيخ رضى الله من طريق الكشف الخ

ووقفت على رسالة فى شأن صاحب الترجمة وكان قاصدا الحرمين الشريفين بعثها سيدنا رضى الله عنه للإخوان القاطنين بتلمسان ونصها :

بعد حمد الله مثل جميع ماحمد به نفسه جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه ، يصل الكتاب إلى أيدى كافة أحبابنا بتلمسان عموما وخصوصا السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجانى وبعد نسأل الله عز وجل أن يعاملكم فى الدنيا والآخرة بفضله ورضاه آمين ... يليه تروني بعثت سيدى الحاج على حرازم نائبا عنى فى أمور توجهت علىّ فى مكة والمدينة ، وشغلنى العذر عنها ، فبعثته نائبا عنى ليقضيها فى فى مكة والمدينة ، وليس له مراد فيها إلا هذا والذى أطلب من فضل الله وفضلكم إذا ورد عليكم أن تقوموا بمؤنته بماتقدرون عليه من البرور بلامشقة عظمت ، وأن تكونوا له عونا مادام عندكم فيما يحتاج إليه ، وما ذكر لكم من طريقتنا فخذوه عنه ولاتكذبوه ومن لم يأخذ عنا قبل وأراد الأخذ فليأخذ عنه الورد وهو عوض نفسى وخليفتى وقد أقمته مقام نفسى فى تلقين أورادى وإعطاء طريقتى وكذا علومى وما انطوت عليه حقيقتى فهو منى وأنا منه ، ومن عظمه فقد عظمنى ومن أطاعه فقد أطاعنى ومن أطاعنى فقد أطاع الله فخذوا عنه جميع أورادكم

ووظائفكم ومن أراد منكم العلم بسند طريقتي فإن سند طريقتي أخذتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في المنام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولنذكر هنا إجازة سيدنا رضي الله عنه لصاحب الترجمة وهي من إملاء سيدنا رضي الله عنه عليه وهو يكتب ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ. الحمد لله عز جلاله وعز كماله وتقدست صفاته وأسماؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه. وأصلي وأسلم على أشرف مخلوقاته سيدنا محمد وآله وبعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني المجيد أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله وكرمه في الدارين.

أجزت وأذنت لحبيبنا وصفينا ومحل ودنا وأنسنا، ومن له المحبة الكاملة الذاتية السارية من سويداء قلوبنا وسرنا كاتب الحروف علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي داراً ومنشأً وقراراً إجازة عامة مطلقة خالدة تالدة قلبا وقالبا وحالاودواما واصباغاً بما لدينا من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار والفيوضات والتجليات والترقيات والفتوحات والأنوار، وفي مدارج المقامات والإرادات والأحوال والأطوار، وفي جميع ما أخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا منه ومشافهة من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار، والخواص والأحوال والأذكار وفي الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وإملائه الشريف، وقدره المنيف، في الطريقة المحمدية وبما اشتملت عليه من الأسرار والأنوار الأحمدية، وفي جميع الطرق والأذكار والصلوات والأسماء والآيات والسور، وجميع الأسماء والمسميات، والاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي جميع تراكيبه وأسراره وعلومه وفيوضاته وأنواره، وجميع تصرفاته عموما وخصوصا تقيدا وإطلاقا إجازة وإذنا عاما تاما وكاملا لأنواع التصرفات بأسرها والدعوات بأنواعها وأسرارها وعلومها وتصرفاتها أبداً سرمدا خالدا تالداً إلى يوم الدين. وقد أقمناه مقامنا بدلا عن أنفسنا وعن روحنا ومقام قدسنا، فهو القائم عنا في حضرتنا وفي غيبتنا وفي حياتنا وبعد مماتنا فمن أخذ عنه فكأنما أخذ عنا مشافهة سواء بسواء لافرق، ومن عظمه فقد عظمنا

ومن احترمه فقد احترمنا ، ومن أطاعه فقد أطاعنا ، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله ، ومن خالفه فقد خالفنا ، ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الاستطاعة .

وقد أجزنا وأذنا له في جميع مالنا مقروء ومسموع ، ومفرق ومجموع ، وإجازة ورحلة ، ومشيخة ، وإفادة ، ومروى من حديث وغيره ، وقد أذنا له أن يأذن للغير ويلقن جميع ما أخذه عنا من العلوم الظاهرة والباطنة ، والطرق والأذكار والخواص والأسرار ، والترقى فى مدارج الأنوار ، فى جميع ما أمليناه عليه من حفظنا ولفظنا ، وفى جميع العلوم الظاهرة والباطنة ويلقن أورادنا ويعطى طريقتنا بما لها ، ويلقن جميع ماسمعه منا ، أو رواه عنا ، أو أمليناه عليه بشرطه المعروف المذكور المقرر فى محله .

هذا الإذن منا عام له فى حياتى وبعد مماتى .

وأذنت له وأجزت أن يقدم الغير فى إعطاء وردنا المعلوم ، بالشرط المذكور المحتوم ، مدة حياته وبعد وفاته ، فله الإذن منا فى إعطاء طريقنا وورد نا من الآن إلى الأبد ، يأذن لمن رآه أهلا لذلك ، ويأذن له أن يأذن للغير ، وهكذا أبدا سرمدا فى مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فله الإذن الخاص عموما وخصوصا تقيداً وإطلاقا ، قلبا وقالبا ، وحالا ومقاما ، وانصباغا خالداً تالداً إلى يوم الدين .

وقد سامحته وتجاوزت عنه فى جميع ما أكل وأخذ من متاعى ، بعلمه أو بغير علمه ، ظاهراً وباطنا ، وفى جميع مخالفته لنا ظاهرا وباطنا ، وفى جميع الأحوال الظاهرة والباطنة ، المتقدمة والمتأخرة ، مسامحة تامة عامة خالدة تالدة قلبا وقالبا وحالا ومآلا إلى الخلود الأبدى وله منا الرضى التام الأكبر العام رضى لاسخط بعده أبدا ، بطريق المحبوبية من الله ورسوله ، وعاملته معاملة المحبوبين الخلفاء الأوداء ، أبدا سرمدا إلى الخلود الأبدى .

وقد جعلناه الخليفة عنا ، وأقمنــــاه مقامنا فى العلوم والأحوال والدرجات والترقيات وأن يكون أحد الآمنين والسلام .

وكتب الخديم الجانى خديم حضرة التجانى ـــ القطب الربانى والفرد الصمدانى

مولانا أحمد بن محمد التجانى الحسنى على حرازم بن العربى برادة كان الله له وليا وبه حفيا بتاريخ ٨ ذى الحجة متم عام ١٢١٤ والسلام .

وبعدها بخط سيدنا رضى الله عنه ماصورته ، يقول كاتبه عفا الله عنه .

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه أجزت لحبيبنا وصفينا سيدى الحاج على حرازم فى كل ما كتب فى هذه الفهرسة على صورة ما كتب فيها من أولها إلى آخرها عينا عينا وحرفا حرفا إجازة عامة تامة مطلقة شاملة خالدة تالدة وكتب مجيزا أحمد بن محمد التجانى عامله الله بفضله وكرمه ورضاه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم اه

وفضائل هذا السيد رضى الله عنه لاتحصى ، ولايفى بها استقصاء ، وقد وقفت والحمد لله على غالب الأسرار التى تلقاها عن سيدنا رضى الله عنه مما تحير فيه الأفكار مما يرجع للطريقة المحمدية وغيرها فى كناشين عظيمين بخط يمينه المباركة لاينبغى إذاعتها لمن لايستحقها ووقفت فى الكناش الكبير بخطه رضى الله عنه مما يرجع للطريق غالب ماهو مذكور فى كتابه جواهر المعانى .

ولنذكر هنا طرف رسالة ذكرها فى الجواهر ولم يذكر من كتبت له وقد كتبها سيدنا رضى الله عنه لصاحب الترجمة ونصها : ومما كتب به سيدنا رضى الله عنه إلينا بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: وأما ما ذكرت من الإخبار لك ببعض الأمور ليطمئن قلبك وتزيد محبتك ويدوم سرورك فأقول لك الأولى من ذلك الكرامة التى شاعت وذاعت عند المعتقد على رغم المنتقد وهى أعظم خير يرجى وأفضل موعدة للعاقل ترتجى هو أن من أخذ وردنا ودام عليه إلى الممات يدخل الجنة بغير حساب ولاعقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته إن سلم الجميع من الانتقاد وأما من كان محبا ولم يأخذ الورد فإنه لايخرج من الدنيا حتى يكون وليا ، وكذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولاعقاب إن لم يصدر منه سب فى جانبنا ولابغض ولا إذاية ؛ ومن حصل له النظر فى غير هذين اليومين فهو من الآمنين بأن يموت على الإيمان وإن سبق أنه يحصل له العذاب فى الآخرة فلا يموت إلا كافرا .

فهذا ما يمكن به إعلامكم فى هذا الوقت وفى وقت آخر يفعل الله مايشاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اه من خط صاحب الترجمة مباشرة وفيها بعض مخالفة لما فى الجواهر وفى هذا القدر كفاية ولنختم هذه الترجمة بقصيدة فى مدحه رضى الله عنه وهى :

صفوا لحبيبى ما ألاقيه فى الهوى ... فإن فؤادى كاد يفنى من الجوى
عساه عساه أن يجود بعطفة ... ويقصر ما قد مده بيد النوى
وقولوا له لازال للعهد راعيا ... ولم يلتفت بعد الغرام إلى سوى
وماخان عهدا لا ولا خان موثقا ... ولا غره لوم العواذل فى الهوى
ومازال فى قيد الغرام موثقا ... حليف سقام ليس يلفى له دوا
يؤرقه تذكاره طول ليله ... وأشواقه نزاعة منه للشوى
حنانيك فاكشف عنه بالوصل رانه ... فإن له قلبا بنار الجوى انكوى
وليس له إلا الرضى ابن حرازم ... شفيع لما يبغيه منك من الروا
خليفتك العظمى الذى جل قدره ... ونال مقاما ليس يبلغه السوى
إذا ذكر الكمال كان مقدما ... بما منك من سر المحبة قد حوى
بفضلك قد ألبسته حلة الرضى ... وفينا على عرش المعالى بها استوى
فصار بصدر المكرمات مصدراً ... وفى مجمع الاقطاب فى يده اللوا
وغذيته ألبان سر وحكمة ... ومن حوضك المورود حقا قد ارتوى
هو الكنز إلا أن فيه عجائبا ... ولكن على سر العلوم قد احتوى
فمن بحره در المعارف يقتنى ... وفى صدره العلم اللدنى قد انطوى
وإنى به أدعوك ياخير منقذ ... لخذ بيدى إنى سقطت من الهوى
عليك سلام يعبق الكون عرفه ... ويشمل من فى منهج الحق قد ثوى

سيدى محمد بن العربى التازى الدمراوى :

ومنهم الولى الكبير والعارف الشهير ذو الكرامات الظاهرة والمناقب الفاخرة الشريف الجليل ذو المجد الأصيل من تطهر من كدرات النفس بالتخلق بالأخلاق السنية وتحلى بحلى المعارف القدسية السنية المشهور بالولاية العظمى ، والمشهود له بالحلول فى المقام الأسمى ، أبوعبد الله سيدى محمد ابن العربى التازى داراً الدمراوى أصلا . هذا السيد الجليل من أكبر خاصة الخاصة

من أصحاب سيدنا رضى الله عنه وقد كان واسطة بين سيدنا رضى الله عنه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر أن يطلبه منه مشافهة لشدة الحياء كما هى عادة أكابر الأفراد المحمديين فى كونهم يستعملون وسائط بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فى طلب ما يريدونه منه ولا يقدرون أن يخاطبوه من شدة حيائهم منه صلى الله عليه وسلم واستغراقهم فى محاسنه عند الاجتماع به ونسيان أنفسهم وجميع مطالبهم بين يديه صلى الله عليه وسلم كما قلت .

إنى لأضمر فى نفسى مطالب لى ... إذا رأيت حبيب القلب أذكرها
حتى إذا ما اجتمعنا صرت ناسيها ... كأنني لم أكن من قبل أضمرها

وقد كان رضى الله عنه مع صغر سنه كثير الاجتماع بالنبى ﷺ يقظة .

حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أنه كان فى يوم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين مرة ، وقد وصى عليه النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا رضى الله عنه فكان معتنيا به غاية الاعتناء حتى إنه كان يسافر إلى الاجتماع به فى بعض الأحيان لأمر اقتضاه حاله وإلى هذا أشار فى المنية بقوله :

كذاك سافر إلى ابن العربى ... تلميذه الحب الرفيع المنصب
وهو الذى وصى عليه المصطفى ... صلى عليه الله من له اصطفى

قال فى البغية بعد كلام : وفى هذه المدة التى أقامها بأبى سمغون أيضا سافر إلى تازه بقصد ملاقاة صاحبه وتلميذه العارف الأكبر الواسطة المعظم الأشهر سيدى محمد بن العربى الدمراوى التازى لأنه كان فى ذلك الوقت من أكبر أصحابه وخاصته من أحبابه ، وكان لسيدنا مزيد اعتناء بشأنه لأن النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه به فكان رضى الله عنه يزوره فى حياته وبعد مماته فى قبره إلى أن قال : ولم يتعرض فى الجواهر لسفر الشيخ لتازه بقصد ملاقاة تلميذه ابن العربى المذكور . وذكر ذلك صاحب الجامع ولم يتعرضا معا رحمهما الله تعالى لذكر الوصية من النبى صلى الله عليه وسلم وهى مما ثبت بالتواتر عن الشيخ رضى الله عنه بلا ريب والله المستعان اهـ .

وممن ذكر الوصية بلفظ سيدنا رضى الله عنه المقدم البركة سيدى الطيب السفيانى فى إفادته ، ونصها : أوصانى صلى الله عليه وسلم على سيدى محمد بن العربى

وقال لى له حق علىّ ، ثم قال فى الإفادة شريف من إدمي دَشرة بناحية تازة توفى رحمه الله بعين ماضى ولم يعقب سوى بنتين بها اه .

وقال فى البغية عند قول ناظم المنية فى سيدنا وأصحابه رضى الله عنه :

وكم مريد نال فوق منيته — من الولاية لأجل صحبته

كحب طه المصطفى ابن العربى — من نال من مولاه أعلى الرتب

فأما ابن العربى بفتح الراء فالمراد به العارف بالله تعالى خزانة الأسرار ومظهر الأنوار الواسطة المعظم أبو عبد الله سيدى محمد بن العربى الدمراوى التازى رضى الله عنه ، وقد تقدم لنا عند قول الناظم رحمه الله : كذاك سافر إلى ابن العربى الخ البيتين ، أن الشيخ رضى الله عنه كان له مزيد اعتناء به ، وأنه كان يزوره فى حياته وبعد مماته لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه به ، وتوفى بشهيرات قبل أن يرتحل سيدنا رضى الله عنه إلى فاس وذلك سنة أربع ومائتين وألف وقبره بعين ماضى مشهور يقصد للزيارة والتبرك ، وله مناقب عديدة ويكفى أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح له بأنه يحبه . ولذلك وصفه الناظم بذلك فى قوله كحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وإنه كان يتوسط بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الشيخ رضى الله عنه وذلك بإذن منه صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه اه

وأخبرنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أنه لما توفى رحمه الله جعل سيدنا رضى الله عنه مكانه الخليفة الأعظم سيدنا الحاج على حرازم رضى الله عنه بأمر منه صلى الله عليه وسلم أيضا ، ومن طالع المشاهد علم تحقيق ما قلناه ، ثم ذكر لى أن صاحب الترجمة رحمه الله شريف من الشرفاء الطاهرين وقد توفى مقتولا وذلك أنه لما استوطن بعين ماضى وظهرت له مناقب شتى حتى صار نساء الوطن كله يتحدثن بها ، ويعيرن رجالهن به ، حصل من الحسد لبعض أعدائه أن أغروا عليه من يقتله ، وكان كثيراً مايتردد إليه قبل ذلك ويسأل منه الدعاء فيزجره ويدافعه ويقول له : اذهب عنى يافاعل ابن الفاعل ، إن الأعداء سيواجرونك على قتلى . فكان كما ذكر رحمه الله ، فأتاه يوما على حين غفلة وضربه برصاصة خرّ بها إلى الأرض وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان رحمه الله عازماً على أن يتصرف فى أهل عين ماضى لأجل مايعلم من فعل أعدائه به بطريق المكاشفة

فلما توفى رحمه الله أراد بعض الأولياء المعاصرين له القاطنين بتونس أن يأخذ ثأره منهم ولم يكن من طريق سيدنا رضى الله عنه ، فكتب له سيدنا رضى الله عنه كتابا يحذره من التعرض لهذا الأمر وإلا يسلبه ، وأرسلها له مع جماعة من أصحابه منهم العلامة سيدى محمد بن المشرى رحمه الله ، فلم يسعه إلا امتثال الأمر بإلقاء السلاح ، وقد أخذ الله أعداءه المتسببين فى قتله مع قاتله أخذا وبيلا ، وتشتت جمعهم وتبدد شملهم وقد كاد أن ينقرض نسلهم ولم يبق من نسلهم الآن بتلك النواحى إلا المفلسون القليلون ، وكلهم هناك ملحوظون بعين المقت ، وماذاك إلا لفرط البلاء الذى دها آباءهم قد سرى إليهم . حفظنا الله من الوقوع فى ساداتنا الأولياء المؤدى إلى الخسران المبين .

وكان صاحب الترجمة رضى الله عنه أعجوبة الزمان فيما يبديه من الأسرار والعرفان وكان يتلقى من النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام واليقظة مايدهش العقول ولايدركه إلا أكابر الفحول . وقد وقفت والحمد لله على ذخيرة عظيمة ومفخرة جسيمة بخط يمينه المباركة وهى رسالة كتبها إلى سيدنا رضى الله عنه أخبره فيها على أنه أخذ له الإجازة من النبى صلى الله عليه وسلم فى سر من الأسرار وهو دور الأنوار الذى لاينـاله إلا من سبق عند الله أنه من الاخيار وذكر له فيها من خواصه العظام أموراً لاينبغى أن تذكر هنا لئلا يقف عليها سفهاء الأحلام .

وقد تكلمت على هذا الدور النورانى فى غير هذا التأليف ، وذكر فى جواهر المعانى مقطعة من النظم تلقاها صاحب الترجمة من النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يدفعها بشرحها لسيدنا رضى الله عنه بعد أن سأله عن معناها ونص الجواهر .

وهذه الأبيات التى نذكرها بعد علمها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى المنام للولى الصالح محمد بن العربى التـازى داراً الدمراوى أصلا المتوفى بعين ماضى سنة ١٢١٤ فلما استيقظ وجدها فى فيه يذكرها فحفظها فبعد ذلك لقى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة وكان يلاقيه كثيرا فسأله عن معنى الأبيات وطلب منه شرح الأبيات فأجابه لذلك مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحبته فى شيخنا وأستاذنا مولانا أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وهو تلميذ له وصرح له سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن قال له لولا محبتك فى التجانى ما رأيتنى قط أو كما

قال له بما هذا معناه وقال له أعط ... ح هذه الأبيات للتجانى وهذا نص الأبيات

فبالجد والتحميد به تتجلى د ... بالقصد كان المنع لى وحدى

وبحق الحق بالحق ترى حقيقته ... وبالحق لا بالحق احتجب عنى زندى

وفى تدبير أمره آيات قدرته

وبالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخذى

فاغرق فى بحر الوحدة ترى وحدته

ترتفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد

انتهت الابيات وانظر شرحها هناك فى الفصل الثالث من الباب الخامس والله الموفق . ومن جملة الأسرار التى أجراها المولى على لسان صاحب الترجمة الصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم المرتبة على حروف المعجم التى سماها بياقوتة المحتاج فى الصلاة على صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم وقد سنح لى أن أذكرها هنا ولنذكر أولا سبب تلقى شارحها العلامه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله من صاحب الترجمة هذه الياقوتة مع بعض الفوائد من شرحه لمناسبة الموضوع ثم نرجع إن شاء الله للمقصود فنقول :

قال الشارح رحمه الله فى الفصل الأول فإنى لما سافرت مع بعض الإخوان من عند سيدنا ووسيلتنا إلى الله ذى الفيض الربانى ، والإتقان لجواهر العلوم ولطائف المعانى أبى العباس سيدنا ومولانا أحمد بن مولانا محمد التجانى بن مولانا المختار التجانى ، بلغنى الله والإخوان بصحبته من الخير كل أمانى آمين ، متوجهين لسيدنا وحبيبنا وصفينا صاحب القلب الأكمل ، المعطى بالوهب والإقبال والفضل ، المكرم من قصده بما أسدى إليه من بحر الصفا وحضرة الوفا التى كل من وصلها نال العز من الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم المصطفى ، أعنى بذلك أبا عبد الله سيدى محمد بن العربى على بن الحاج طاهر بن صالح بن على بن عبد الرحمن رضى الله عنهم أجمعين ونفع بهم آمين . فلما قدمت عليه لأمر ما بإذنه وإذن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا طامعا وراجيا فى نيل المطلوب ، وزوال العلة المانعة من المرغوب ، القاطعة عن كل أمر محبوب ، نسأل الله الكريم ان يحقق

رجاءنا وأن لا يخيب آمالنا آمين من صحبتنا للسادات الكرام فإنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

فلما وصلت للسيد المذكور وجدته ألف هذه الصلوات التي سماها بياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج ، بما أفاض الله عليه من المواهب لا باكتساب الأعمال لأن اللاحق لا يكون سببا في السابق وكل ما قدر للإنسان أن يلحقه فهو سابق في علم الله قبل عمل صاحبه ، ويعرف ما ذكرناه في هذا الموفق جمع ما أراد من هذه الصلوات في مدة يسيرة من غير نظر في كتب وذلك في ثلاثة أيام ، ومع ذلك إني أعرفه من صغره أنه لم يعرف اصطلاح المؤلفين ولا كيفية تركيب كلامهم فلذلك علمت أنه اغترفها من بحر فيض الفضل الذي انغمس فيه ، وذلك أنه لما فتح عليه بالكنز الأعظم وهو ملاقاته يقظة لسيد جميع الأمم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله صار يخرج الأسرار الغريبة والكيفيات العجيبة التي تعجزعنها عقول القواصر الغواصين من أرباب الناموس ، عدا الواصلين وكبار العارفين . ولم تعلم لهم في ديوان ولم تبرزها فصاحة لسان ، ومن صحب هذا السيد علم ماذكرناه تحقيقا وصار فيه معتقداً وله مصدقا وصديقا ، وحصل لهذا السيد المذكور هذا الخير العظيم والنعيم الجسيم بصحبته ورسوخ محبته في وسيلتنا إلى الله ، رزقني الله والإخوان محبته دنيا وأخرى آمين .

ذلك أنه تلاقى معه في تلمسان وعقد معـــه الصحبة وذهب يرتاض على عادته ففتح الله عليه بما قلنا وإن كان قبل ملاقاته به عنده بعض الأسرار لصحبته لبعض الرجال لكنه ماعرف كيفية السير إلى طريق الحق حتى صحب سيدنا المذكور وهكذا سمعته منهما جميعا مراراً بعد مرار ، ولولا تلجيم هذا السيد المذكور له على إظهار الخوارق وخوفه منها لكان من أعجوبة أهل زمانه ولكن حذره أمرين : كل من اشتغل بالخوارق والدعاء على الناس قبل الكمال ، لم يبلغ درجات الرجال فتركها ووجه همته إلى المراتب العلية والمقامات السنية وهذا قليل في حق من شرب من ذلك المشرب الذي تضلع منه هذا السيد غيرمشوب بالريب لا أحرمنا الله والمحبين من الري منه آمين .

ولوحت هنا لبعض أحواله على الجملة ولم نفصلها فإني لا أعلم هل يرضى بذكرها

عنا أولا لعدم حضوره معى حين كتبى لهذه المقدمة اه . ثم قال بعد هذا فى الفصل الرابع بعد أن تكلم على أنه لما بلغ لصاحب الترجمة وأراه هذه الياقوتة وتكلم معه فى بعض معانيها لم يصل إليها فهمه ، وسأله عن تبيينها له وما المراد عنده فيها ، وساعفه لذلك لما بينهما من المحبة والمودة ، وبعد أن سمى شرحه ـ بالسراج الوهاج لاقتطاف ثمرة ياقوتة المحتاج ـ ما نصه : وهذا أوان الشروع فى كتبه ولم نقل فى جمعه لأنه كتب قبل هذه المقدمة . وعمل أيضا شرحاً بعد هذا بنحو شهر ذكر فيه بعض فضائل كل صلاة وبعض خواصها التى أطلعه الله تعالى عليها من الغيب ، لأنه أملاه علىّ من فيه وليس بيده كتاب سوى هذه الياقوتة كانت بيده ، وهو ينظر لكل صلاة سألته عنها وهو يقول لى فضلها كذا وكذا وخاصيتها كذا وكذا ، فسألته رضى الله عنه حين رأيته كذلك من أين يملى علىّ وما السبب فى كونه لم يخبرنى عما سألته من الفضل والخاصية إلا بعد نظره للصلاة التى نسأله عنها ؟ فقال لى فإنى إذا لم نرها لم نر فضلها ، وإذا نظرت رأيت فضلها أوخاصيتها مكتوبا فوقها ، فعند ذلك أخبرك به ، وهكذا إلى آخر الصلوات التى ألفها إلى أن قال وخرج هذه الياقوتة بإذن من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : مر المؤمنين بقراءتها والحث عليها فإنها ينتفع بها إن شاء الله تعالى أوكلام هذا معناه .

وذكر فى طالعة هذا التأليف أن من داوم على قراءتها مضمون له قطعا من غير شك أن يرى نبيه صلى الله عليه وسلم مناما أويقظة ، ولو لم يكن من فضائل هذا التأليف إلا هذا الخير لكان من أعظم الفوائد وأنفعها ، فما بالك بما ذكره من الفضائل الآتى ذكرها جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بها آمين اه

أقول ولم أذكر هنا إلا الياقوته مجردة عن الخواص لأمرين : الأول خوف الملل من التطويل وقد ذكرتها فى غير هذا التأليف الثانى توقف الإذن فى حصول تلك الخواص لتاليها كما قال الشارح رحمه الله فى خاتمة الكتاب ونصه :

اعلم وفقنى الله وإياك أن كل ما ذكر من خواص كل صلاة من صلوات هذا التأليف مبناها على الإذن من صاحبها أو من المأذون له فيها ، وأما الثواب فلايحتاج إلى إذن بل بمجرد قراءتها يحصل لتاليها ، وكذلك حصول رؤية النبى صلى الله [illegible] المضمونة لمن داوم على قراءة التأليف فإنه لايحتاج إلى إذن بل بمجرد

العزم على قراءة التأليف والدوام عليها يحصل اه . وهذه المنقبة العظيمة هي الحاملة لي على ذكر هذه الياقوتة هنا لينتفع بها كل من وقف عليها من الإخوان ولا بأس بطول الترجمة بنحو هذا فإنه مما تتزين به التراجم ومايعقلها إلا العالمون .

ولنزد هنا إيضاحاً من كلام هذا الشارح في هذه الياقوتة تتميما للفائدة فأقول : قال رحمه الله وقد رتب هذه الياقوتة رضي الله عنه على ترتيب الحروف الهجائية وأتى بها من حسن ترتيبه في كل حرف بسبع صلوات وعقد لكل حرف بابا والباب هنا يذكره التالي مع قراءة الصلوات المذكورة إلى أن قال وابتدأنا بالكلام من الباب الذي هو حرف الباء وترك المؤلف حرف الألف ولم يعقد له بابا فسألته عن العلة في تركه فأجابني بأنه داخل في كل باب من أبواب الحروف وفي كل صلاة فلذلك تركته وجعلت لكل صلاة قافية مناسبة الأخرى وهكذا في كل باب وجعل حرف الياء هو حرف القافية لكنه لم يناسب لكونه لم يعرف هذا الفن ولو عرفه لم يلتفت إليه لأنه كانت تخرج منه قهراً ولا إثم في قلة المناسبة إلا النقص من عيب صناعة التأليف وهو رضي الله عنه لم يلتفت إلى هذا إنما كان نظره لجلب النفع وهو حاصل والحمد لله وله الشكر اه ونصها *

(باب حرف الباء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نستفتح بها ياألله قاصدين الخيرات من مواهب اتساع الفضل جبراً منك لكل قلب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تغفر لنا بها يارحمن جميع الخطايا باتساع مغفرتك ونجز رضاك وطهرنا بها يارحيم من كل ذنب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تطهرنا بها يامالك من الشرك والشكوك والظنون بعد أو قرب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعيننا بها ياقدوس على ماقصدته من طاعتك وحسن عبادتك كلية القلب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نبتعد بها ياسلام عن طريق

---

* يلاحظ أن هذه الصلوات وضعت بالصيغة العامية مراعاة للعوام — والخواص أهل تسليم اه المصحح

سخطك وبلائك وغضبك والقبول منك سبحانك يا ألله يارب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أهل الحب قصداً بالحب صلاة ندخرها عندك يامؤمن واجعلها لنا إليك يا ألله قرباً من القرب . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تدفع بها عنا ياقهار الرزايا والمصائب والبلايا من خزائن العفو والرضا منك وهب .

(باب حرف التاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة قاصداً بها ياعزيز محو الذنوب من جودك الأكمل وثبت . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد ماساحت الأرياح فى السماء وتروحت . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماصاحت الديكة وأصرخت . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ماثقلت به الجبال ورست ، اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد الأشمار والأرياش والأوبار وأضعاف ماتحركت . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عدد مخلوقاتك من الجن والإنس وماتلت . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل ناطق وصامت وماتروحت

(باب حرف الثاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد العجاج واللجاج واللث (١) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل من تدركه رحمة الله يوم البعث . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد من أحبه الله واصطفاه ونزهه عن الخبث والخبث . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ما أوجده الله فى ملكه من نائم ومتوعث (٢) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد الأشجار وأوراقها وكل بث (٣) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل

(١) اللث نقط الطل الرقيقة (٢) المتوعث هو الشكل الذى لاقيام له مثل الجماد
(٣) البث هو ماظهر على وجه الأرض من كل دابة .

سيدنا محمد عدد كل وابل وطل ودث (١) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عدد ما خلقت فى ملكك فى حضرة أحديتك من معدوم ومحدث .

(باب حرف الجيم) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تفيدنا بها ياجابر إلى طريق الخيرات ومن الهم والغم فرج . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد سيد الكونين صاحب الأنوار الفاخرة الأبلج . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عدد من سعى ولبى وحج . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد الرمل والحصى وكل ما كان مستقيم (٢) وأعوج . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد عدد المتخطى والأدرج (٣) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل قائم تام وأعوج . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة لانهاية لها ولا انقضاء لها مادامت الأودية والبحور متلاطمة الأمواج .

(باب حرف الحاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل من خسر وربح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ما حركته أنسمة الصباح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تامة زاكية تعيذنا بها يامتكبر من الخسران والعصيان والنواح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة كاملة مرفوعة عدد تسبيح الملائكة وتقديسهم وتحميدهم وعدد كل لسان نطق بها وفصح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تدخلنا بها ياخالق فى دائرة الربح والفلاح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد السابق للخلق نوره عدد كل كوكب ضاء موضح . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تسقينا بها يانور كؤوس الحب بها امنح .

---

(١) الدث هو مادون نقطة السحاب من المطر الضعيف (٢) مستقيم أى معدل
(٣) المتخطى تارك أحكام الشريعة والأدرج المستقيم .

(باب حرف الخاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تستجلب لنا بها يامصور رضاك يطهرنا من الأدناس والوسخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نامية زاكية مادام البيض والفرخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل مستور ومنسلخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد الأرضين وما أنبتها وعدد كل موضع فيها من النبات منفسخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد موجوداتك فى معلوماتك وعدد تقديرك فيها مرسوخ ومرتسخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل رائحـــة طيبة انطلق أمنها (١) واتصرخ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل ماء ساح على وجه الأرض وتجخجخ (٢) .

(باب حرف الدال) اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعيننا بها ياقوى على محبته وتعظيمه من الآن إلى الأبد . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمة للعالمين ظهوره ، عدد من سبح وقدس وحمد الله وعبد . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام كل راكع وساجد لله يجتهد . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، القائد إلى الخير والناهى عن المنكر ، صلاة توجد لنا بها واجد رضاك فى كل مقصد ، من فيض عنايتك به وأنت الواجد الأوجد . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة ترفع بها يارافع مقـــامه وتعظم بها يامتعال احترامه ، ياواحد يا أحد اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صـلاة موصولة بالمزيد مادام الأبيض والأسود . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تكون لنا ياوهاب زاداً وقوتاً يوم لاينفع فيه إلا الواجد .

---

(١) أمنها أى انتشارها واتصرخ انجذب (٢) التجخجخ هو ماساح على القلب من الحب شيئاً فشيئاً .

(باب حرف الذال) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد ما صاح الرعد وتردد حينئذ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد مادام فى الأودية والبحور الزبد اللايذ (١) . اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تتقبل بها منا يا سميع الصلاة فى المسجد وفى غير المسجد ، وفيها القلب يتلذذ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماشعشع القمر فى سمائه وجيد من غواية المستحوذ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد ما بين النواجد راكن لله مجرد من كل بذ (٢) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادامت الموجودات تتوجد (٣) وتوجد أفواجاً بعد الفذ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تواعد لنا بها القبول لطاعتك فى كل لحظة ويكون القلب لها يا جامع منفحا غير منفذ .

(باب حرف الراء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تباعدنا بها يا بار من الفجار وتقينا بها يامانع من عذاب النار اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام الليل والنهار . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تعطى لنا بها يامعطى الحسنات من عطايات إقبالك الموروثات لأحبابك ، ياعفو ياغفار . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام فضل جودك المتصف بالرزق عاما على الفجار والأبرار . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، ماضاء عليه البرق واستنار . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماسجعت على الأيك الأطيار ، وهمعت بوبلها الديمة المدرار . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، منذ عددت أمكنة أرواح المؤمنين فى البرزخ وذهبوا فى الفاق أرواح الفجار .

(باب حرف الزاى) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى

---

(١) اللايذ المتعلق (٢) أى من كل ماسوى الله (٣) تتوجد أى تتهيأ فى العلم الازلى (٤) منفحا أى دائم العشق (٥) واستنار أى هرب كل ظلام واختفى .

آل سيدنا محمد ، عدد كل من فنى ونهز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنزهنا بها ياحميد من عذاب النار ونفز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد ما ترق النور من أفواه العارفين وركز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نتعوذ بها يامعز من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ونحترز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نعوذ بها ياقابض من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ونتقفز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد الصوف والوبر وأشعار الخز . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نتوصل بها ياعلى بالترق الكامل إلى حضرة الحقوق من الاسماء والصفات والذات العالية ونتعجز (١)

(باب حرف الطاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تقينا بها ياحفيظ من كل ردة ومن كل داء وسخط . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنزه بها يامهيمن من الشك ونتبعد ببركاتها يالطيف من الوهم والغلط . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نتعبد بها ياجليل من فيضك الكامل بتحقيقك فى انفرادك وبتقديسك وتمجيدك ننجو من الفرط . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نحمدك بها ياحكيم مادام وجودك حمداً يدوم بدوامك ونسأل بألوهيتك ، ياعظيم النجاة فيها من الوساوس والشك المختلط . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نتجرد بها ياغفار ياقهار من الذنوب واللهط (٢) .

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة أتجد بها ياخبير وجودى بالحب الدائم والحرص الكامل ، أكون مجنونا فيها يابصير كالمتخبط . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى

---

(١) نتعجز أى نتمكن (٢) اللهط هو الرغبة فى كل أمر .

آل سيدنا محمد ، صلاة أقف بها ياعدل فى باب الشريعة بفرض وسنة ، تقبل إلهى ولا تجعل فى وقوفى هبط .

(باب حرف الظاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تجيزنا بها ياحليم من الحظ واللظ (١) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام كل متقول وناطق ومتلفظ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد من سبحك وقدسك وعظمك من ابتداء خلقك إلى الأبد ، وجهر فيها وأعظ ليحفظ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نقوى بها يا كبير إيماننا وفيها يا كبير عبتنا تتغلظ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد . صلاة نتزم بها بسجور الصمد وثلة الإيمان الأوفى وأعوذ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تشرح بها يافتاح صدورنا بتوحيدك التام الأكمل ، وتطهر بها ياغفور قلوبنا بقطع العلائق عن كل ماسواه ، نتوب ونتوعظ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد كل طاهر قائم بطهارته لله متحفظا ومتحفظ

(باب حرف الكاف) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نتمسك بها ياحكيم ونتبرك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نتبرأ بها ياعلىّ من حولى وقوتى ونعتصم بحول الله وقوته ونعوذ بالله من الشرك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادامت الكواكب مشاخصة فى الفلك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعصمنا بها ياعفو من نزغات الشياطين وهمزاتها ، وهب لى ياواسع رضاك يوم الوقوف فى المعترك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نمد بها يدى إليك ياغنى امتداد اللهف المظمى الخائف ، بقلب خاشع خاضع يترجى رضاك وعفوك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام الساكن والمتحرك . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل

(١) اللظ هو الأمر المخوف .

سيدنا محمد صلاة نلتزم بها يا كريم العفو والرضى من مواهب ذي الجود والاحسان، ياعفو العبد الخائف الضعيف الذليل المحتقر من له مرتجى سواك .

(باب حرف اللام) اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا و مولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تحفظنا بلطفك الخفي من النسيان ، ولا تجعل القلب عنها يامحلى مغفلا بالكسل . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام الكتاب يقرأ ويرتل : اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد . عدد الحصى والثرى والأعشاب وكل ذرة وحب الرمل . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد أضعاف ماقدر من عدد وأضعاف أضعافها رتب وتقبل . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نأمن بهايامتين عند حلول المبتلع ، ومن سؤال الملكين رب نجنى وأنت الحاكم العدل . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نستودع بها إليك ياحق شهادة أن لا إله الله محمد رسول الله ، أدخرها عندك ياوكيل يوم الفزع الأكبر ، وبها إليك ياشهيد أكون متحمل . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أستغفرك بها يا ألله ياخافض ، استغفار العاصى المذنب النادم بقلب خاشع خائف من ربه يتذلل .

(باب حرف الميم) اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة ترقينا بها يامحيي أن لا أموت بالردم . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجينا بها ياولى من الذم والحزن والهم . اللهم صل وسلم على سيدنا و نبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادامت النجوم بارزة فى سمائها بروز كامل متم . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنزهنا بها يابارىء عن عيوب البرص والجذام والسم . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل مبرد محترم ومتحتم . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد ما بلغه الأرمق من كل كافر ومسلم . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام مطالع الصحو والغمام على الأمم .

(باب حرف النون) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أهل السموات والأرض عدد ماسبحت به ألسنة المحبين والعارفين . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماساحت الدموع على الخدود خوفاً من الله من كل عين . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادامت الملائكة تسبحك وتقدسك على الدوام بالصلاة على خيرتك من خلقك إليك مقربين . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نركب بها ياظاهر مركب السلامة فى المحيا وفى الممات من العصيان والخسران ، وتكون الجوارح سالمين . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نأمن بها ياباطن ونتوكل عليها يامعيد وأنت ياكريم ممدين . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تجعلها لنا يا أول قرارا فى جنة الخلد ، من مواهب رضاك ومن بركة سيد الأولين والآخرين ، نفوز بالرضى ونكون الروح تسبحك يا آخر فى فى أعلى عليين ، اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماذكرك به الذاكرون .

(باب حرف الصاد) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام البنيان المرصوص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد مازاد فى ملكك من ابتداء خلقك ونقص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل ناقب ومفترص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد كل تال لكتاب الله وذاكر وزارب ومتربص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تداركنا محبتها يارؤوف بالخشوع والنجاة ، أكون متلص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تشرح بها صدورنا يافتاح إلى الاسلام بحلاوة الإيمان وكل عيب يردنا عنها يامقتدر ينطرص ويذهب غير متربص . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة ترفع بها ياماجد مقامه وتعظم بها يامتعال احترامه صلاة أجوز بها ياباعث على الصراط متخلص .

(باب حرف الضاد) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة نمتع بها يامغيث ، وبذكرك فى حياتنا تمتع الخيرات والأرباح ، وتقبل منايا حبيب ولاترد وتعرض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مانعتت النعوت وماتنهت النهوت ، وما أقبل وتعدد من جميع أهل السموات والأرض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل موجود ومعـــدوم ، وعدد ما أوجد وأعدم ، وما ترق وصعد فى الدرجات بركض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل مقبوض ومُنقبض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام المرصد والمرتصد له يتعرض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ماتخلل الشعر لتأدية فرضك وسنة نبيك وعدد كل متخلل ومتمضمض . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة أقصد بها يامجيب نفحاتك لإقبال مغفرتك ياتواب تتعرض .

(باب حرف العين) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها ياقادر من البلاء الرادع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تسقينا بها ياودود من الحوض المورود من عطايات الجود من فضلك الواسع نروى ونتمتع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا وعلى آل سيدنا محمد صلاة تشغل بها ياحى ياقيوم قلبى حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها ياقيوم واجعل نورك القوى فى قلبى وفى قلب كل عاشق فيها ياوارث مستودعاً غير مرتفع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تصحح بها صمد أذنى عن كل ناطق ومنطوق من غير ذكرك ، وتهب لى يارزاق التمشق فى ذكرك وذكر حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الدوام أكون ناطقا بها متدرعا ليس واهما سامع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تلبسنا بها يانافع ثياب الندامة على مابرز منا من المساوى الذميمة الردية ، وهب لنا يارشيد الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برد أمنيتنا ، واجعل لنا فيها حلاوة طيبة

فلتزمها ، وبها ياهادى القلب يتمتع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماهل المطر وتنقع . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد كل أبكم ومستمع .

(باب حرف الغين) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد كل مبتلع ومتضغ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل ممتلىء ومفترغ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تحجزنا بها ياقادر من كل زيغ ومنزغ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا عدد كل متفوه (١) ومتبوع (٢) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام الماشى والمتمرغ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تصل بها ياذا الجلال والإكرام بعضنا إلى أصلنا ونكون ياحبيب بالغا فى الحب ، غاية المبلغ . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل صانع ومسيِّغ .

(باب حرف الفاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، مادام كل ناسخ ومنسوخ ومؤالف . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نقطع بها يامقدم مسافة البعد ، ونجوز بها يارقيب على الصراط نرفرف . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ما فى البحور من أنواع الحيات والصدف . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نجد بها يابديع رب العزة بخشوع وخضوع فى جميع أذكاره ، ونسأل الأمان فيها ياواحد من كل أمر مخوف اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماراجت الأفلاك وسبحت الأملاك من ابتداء خلقك إلى النفخ فى الصور ، مضروبا ألفا فى ألف . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماطلعت

---

(١) التفوه خروج النفس من الخيشوم بصوت (٢) والتبوع هو خروجه من فم النائم من غير شدة .

الشمس وما صليت الخمس منذ خلقت الدنيا إلى يوم النسف . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل متوتن (١) ومرتجف .

(باب حرف القاف) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نتعرض بها يامقسط لمواهب الله من فيض الفضل الإلهى بالطاعة والتصديق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تجعلها لنا زاداً يا أول من عطايات الحلم الجودى فى كل باب وطريق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل عدو لله وصديق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، ما انهمرت العيون صلاة تكون لنا ذخرا يامتدى، يوم التفت الساق بالساق ، ويزعج لنا الملك رومان الملكين بالرفق والتشفيق ، اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة ترضى بها عنايامالك الملك الملك صلصايل (٢) بفتق الحجب وبالتقاطها منا وبورودها على النبى العطوف الرؤوف الرحيم الشفيق الرفيق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجينا بها يامؤخر من الهول والضيق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمـــد صلاة نرقى بها يا الله إلى الحضرة الإمامية مستيقظا ومستفيق .

(باب حرف السين) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نأمن بها يا ألله من سؤال الملكين وضمة القبر ، ونكون بفضلها فيه يا ألله آمنا مستأنس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام الصامت والجامد والمتنفس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مارقبته الرقوب من كل سائح عليها مقتبساً وغير مقتبس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا

---

(١) الشديد ذاته ضد المرتجف (٢) هو الملك الموكل بالتقاط الصلاة على النبى ﷺ فإن كانت مقبولة يبلغها للنبى ﷺ ويسمى صاحبها وإلا بلغها له من غير تسميته بل يقول له : هذه صلاة صليت عليك فى هذا الوقت ولا يزيد شيئا اه . من الأصل

محمد مادام الماء الجارى والمتنفس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تتضاعف بتضاعف الدهور والأيام والسوائح والنفوس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام الليل المتعسعس . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام النهار المتنفس عدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه ضوء الشمس. (فى نسخة نور الشمس)

(باب حرف الشين) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ما أنزل عليه المطر والرش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل منقوش ومنتقش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تبعدنا بها يا ألله أن لا أكون جوار شاهد الزور وكل راشى ومرتشى ومنتبش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تلزمنا بها يا ألله يا كريم يا حليم محبته وترسخها فى قلوبنا يا مجيب ونكون عاشقا فيها متوحش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل رطب وأحرش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة ترفع بها يا منتقم ويا مميت ويا مذل ويا ضار بلاء كل لص وكل عدو وكل ظالم جائر ومتوحش . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نعوذ بها يا ألله أن لا نموت مقتولا ولا مغدوراً ولا كافراً ولا عاصيا ونسأل من الوهاب العفو وموت الفرش .

(باب حرف الهاء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تغفر لنا بها يا ألله جميع الذنوب الماضية والقابلة . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما ترقع كل مترقع بضبة . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، المتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائية . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد أشرف الخلائق الإنسانية والجانية . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد النبي الأعظم أفضل من

توضأ وتيمم ، طور التجليات الإحسانية . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، عين الحق وشمس الشريعة النبوية . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ذخيرة المحتاجين والعاجزين والملهوفين ، قبلة أهل القرب وطريق أهل الحب ، طراز الحلة العرفانية صلى الله عليه وسلم وعلى آله عدد ما أحاط به علم الله من جميع ما أحاط به علم الله .

(باب حرف الواو) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعصمنا بها يا ألله من الغيبة والنميمة والتجسس والكذب واللهو . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد الأشجار والأوراق والأعشاب الرقيقة ماظهر منها للعيون وما خفوا . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام الغبار والزهو . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعصمنا بها يا ألله من الحرق والغرق واللقو (١) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ماحنت الحنائن وتقفوا . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد الحنشاش والعقارب والأفاع وخشاش الأرض وكل غثو (٢) . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تمكن بها يا ألله إيماننا وتصحح بها اعتقادنا ، ونسأل الله من الشرك والشك والعفو .

(باب حرف لام الالف) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نتبلغ بها يا ألله إلى كل مقصود أملا . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنتزه بها يا ألله عن كل نقص وذل ومذلا . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة نرق بها يا ألله إلى الحضرة القتقية ، وتكون لنا قربا من الملك الأعلى . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد

(١) اللقو عيب يعوج الفم (٢) هو كل مؤذي

صلاة تجعلها لنا يا ألله دواء وشفاء من كل علة ومصيبة وبلاء . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادامت النفوس والأجساد متوجهة بالصلاة والأذكار لنواحي القبلة تتلي . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل شكل وطير طائر مقتصر في طيرانه ومعتلا . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل دلو في أقعرة الحواسي يتدلى .

(باب حرف الياء) اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل طائر زقي . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل عابد تقي . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد كل واصل من نبي ومن ولي . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عدد كل أمر متنزه عن الفناء ، وما أحاطت به عظمة الله من كل أمر باق . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام القمر في فلكه يجري . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد مادام كل مسبح يسبح الله مظهراً ومخفي . اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، نبينا وحبيبنا وشفيعنا وطبيبنا النبي الأمي صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأهل بيته عدد معلوماتك ومداد كلماتك وسلم .

انتهت الياقوتة وقد ختمها المؤلف رضي الله عنه بهذا التوسل وهو : اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بحبيبك وصفيك وخيرتك من خلقك النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، نبي الرحمة ياسيدنا محمد إنا نتوجه بك إلى ربك في زوال عمى بصيرتي وتنوير سريرتي وفي تطهير ذاتي وفي جميع مقاصدي وحاجتي اه

ثم إنه زاد أيضا رضي الله عنه صلوات أخر لا نطيل بذكرها وفيما ذكرناه كفاية

ولنذكر هنا من فوائد صاحب الترجمة درراً عالية المقدار ، قلما تجدها عند غيره من أصحاب الأسرار ، فمن ذلك قوله رضي الله عنه : (حد الكثرة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي أن تصدر من المصلي امتثالا لأمر الله وإجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبة فيه مع استحضار بعض أوصافه الحسنة وتلمح صورته الشريفة بفكره كأنه بين يديه ، ثم ينطق بالصلاة عليه ﷺ بحضور

وخشوع وتأدب ، فإذا صدرت منه على هذا الوصف الأكمل ولو مرة فى اليوم صار مكثرا للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله رضى الله عنه إن كل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات فى كل وقت من الخمسة أوقات وزاد عشراً فى نصف الليل متصلة بعضها ببعض استوجب الأمان من سخط الله تعالى ويحصل هذا الخير العظيم فى كل صيغة من صيغ الصلاة حتى لو قال اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله مستحضراً لشروط القبول حصلت له هذه الخصلة العظيمة والفائدة الجسيمة اهـ

وشروط القبول هى أن يذكرها على الحد المتقدم مع ذكرها على طهارة فى موضع طاهر وأن لا يقطعها بكلام أجنبي وبعدم الحضور رأساً . ومن فوائده التى ذكرها فى شرح الياقوتة أن الذاكر والمصلى إذا كان على حالة مذمومة وبقى كذلك مدة من الزمان ثم من الله عليه بالتوبة مما عليه من التفريط فى شروط الذكر فانه يتطهر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة مستحضرا للشروط المطلوبة منه كما ذكرنا فيما تقدم ينجبر له جميع ماصدر منه من الصلاة وغيرها من أذكاره التى لم تقبل منه التى كانت عليه وبالا وترجع بفضل الله حسنات وترفع حينئذ كما ترفع (المقبولة) وهذا فضل عظيم لمن وفقه الله له من غير تعب يحصل بسبب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والمحبة فيه .

ثم قال الشارح رحمه الله ولو لم تكن فى هذا التأليف إلا هذه الفائدة العظيمة لكان من أحسن التواليف وأشرفها ، ولو علم الناظر فى هذا التأليف من أين خرجت هذه الجوهرة لاشتراه بكثير من القناطير ، وقال ظفرت بالكنز الذى فيه يتيم اليواقيت والجواهر اهـ

ومن ذلك قوله رضى الله عنه إن الإنسان إذا كان فى الصلاة وتفرقت أجزاء قلبه التسعة والتسعين ولم يبق عنده إلا جزء واحد فانه يحصل جميع تلك الأجزاء المتفرقة وتكون كلها مقبولة بسبب حضور ذلك الجزء ، وإذا لم يحضر للمصلى حتى جزء واحد فى صلاته فإنه إذا فرغ منها ثم ذكر أنه لم يحضر قلبه فى صلاته فليرجع إلى موضع صلاته ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بنية جبر صلاته فانها تنجبر وتقبل بسبب صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم فانظر هذه الفائدة العظيمة

والجوهرة اليتيمة التي أظهرها هذا السيد الجليل من بحر الفيض جزاه الله عنا خيراً

ومن فوائده جوابه للشارح عن سؤاله عن خبر البخيل من سمع ذكرى ولم يصل علي هل المراد به سماع هذا الاسم سواء أراد به المتكلم نبينا صلى الله عليه وسلم أو غيره ممن سمي بهذا الاسم من المؤمنين لما رأى فيه من الخلاف بين من تكلم على هذا الخبر فأجابه بأن المراد به اسم نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي إذا سمعه السامع ولم يصل عليه سمي بخيلا ، وأما سماع اسم من تسمى به فلا صلاة عند سماعه ، فقال له إذا كان الإنسان بإزائه من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كمن يقرأ دلائل الخيرات أو كتب الحديث فبماذا يخرج من ربقة البخل فقال له بصلاة واحدة ، وأما من سمع من يذكر هذا الاسم ثلاث مرات ولم يصل عليه فإنه لا يشفع فيه . نسأل الله السلامة من هذه المصيبة .

فينبغي لمن سمع أحداً يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بين عوام المسلمين والمؤمنين الذين لا يعلمون هذه المصيبة أن يأمره أن يصلي سرا ويختلي في مكان في وقت صلاته لئلا يهلك مسلم بسببه أيضا .

ومن ذلك أيضا جوابه للشارح أيضا عن سؤاله عن معنى الباء وعن معنى النقطة وعلى فضلها وعلى وضع الباء في الخط هل تكون قائمة أو معوجة ، فأجابه بأن الباء إشارة إلى حضرة البقاء أي بقاء الله تعالى والنقطة إشارة إلى النور الأعظم وهي الحقيقة المحمدية التي امتدت منها جميع الكائنات بأسرها ، وأما فضلها فقال له كغيره جميع فضل الفاتحة والبسملة في الباء ولكن ذكره على الجملة . وأما وضعها في الخط فهو مستقيم لا اعوجاج فيه تعظيما لمعناها .

ثم ذكر له فائدة عظيمة مشتملة على فوائد نذكرها هنا تتميما للفائدة وهي أن من استحضر معناها إشارة إليه واستحضر مطلوبه ، وكذلك ما تدل عليه النقطة ثم يكتبها مقدما لها باء صغيرة هكذا بسم الله متصلة بالبسملة ونوى دوام الذكر فإنه يدوم له فضل الذكر من صلاة أو غيرها ، ولو سكت أو وضعها في جيبه وكذلك إذا كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ووضعها في جيبه فإنه لا ينقطع عنه فضلها ولو سكت من ذكرها ، وكذلك فضل غيرها من الأذكار ولو سكت عنه بسبب وضعها في جيبه أي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا استحضر معنى

الباء ونقطتيها المشارتين له ثم أخذ قلما غليظا ووضعه فى دواة ونوى مطلوبه من زوال علة مثلا وجعل القلم فوق موضع الضرر وهو مستحضر زواله وأسقط النقطة عن موضع الألم فانه يزول ويبرأ صاحبه بإذن الله تعالى ا ه

ومن فوائده أيضا أن البزاق فى الليل فيه إذاية لفاعله لأنه ربما يصيب وجه ملك فتكتب عليه سيئة أو يصيب جانا فيؤذيه بعيب اللقوة وغيره . نسأل الله السلامة ، فمن أراد أن يتفل فى الليل فليتفل فى ثوبه . وأما فى النهار فليترك ناحية القبلة ويتفل ا ه

ومن فوائده قوله : إن العبد إذا فعل المعصية يقول صاحب الشمال لصاحب اليمين أكتبها عليه فيقول له لا تكتب لأن الله تبارك وتعالى ضيف نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لايكتب المعصية على من فعلها من أمته المؤمنين إلا بعد ثلاثة أيام فإذا تاب منها لم تكتب عليه تلك المعصية ، وإذا لم يتب كتبت عليه ، ويقول الملك أراحنا الله منه

قال العلامة سيدى محمد بن المشرى فى شرحه على يافوتة صاحب الترجمة ، ولعل الساعة المذكورة فى الحديث فى تأخير كتب سيئة المؤمن المراد بها هذه الثلاثة أيام المذكورة هنا والله أعلم . ولكن ماعلمت من بينها هكذا غير صاحب هذا التأليف رضى الله عنه وجازاه عنا خيرا وبيان التأخير المذكور أن العبد إذا عصى فى اليوم الأول ثم الثانى ولم يتب ثم الثالث ولم يتب كذلك فإنها تكتب عليه وهكذا كلما عصى الله فى يوم آخر إلى الثالث منه فإذا من الله عليه بالتوبة لم تكتب عليه وإذا لم يتب كتبت عليه وهذه منة عظيمة على هذه الأمة الشريفة ببركة نبيها صلى الله عليه وسلم ا ه

تنبيــــه : ماذكر من تأخير كتب السيئة عنه فى غير المسجد وأما إذا وقعت من العبد سيئة فى المسجد فإنها تكتب عليه فى الحين من غير تأخير . وقد ذكر الشارح المذكور فائدة مناسبة لهذا المطلب فى تنبيه حسن لابأس بختم الترجمة بنقل بعضه ونصه :

لاشك أن الصلاة فى المسجد أفضل من غيره ، لكن إذا لم يجد المصلى فيه منكرا ولا ناهى له كما هو معلوم كثير فى أكثر مساجد المسلمين اليوم من كثرة الكلام

الدنيوى ، فترك الصلاة فيه أحسن ويصلى فى بيتـه ، وفى موضع آخر غير المسجد لضرره من البلاء الذى يعم جميع من فى المسجد بسبب وجود ذلك المنكر فيه لأنه ورد أن الله وكل ثمانية من الحفظة بالمساجد إذا فعل العبد حسنة كتبوها وأثبتوها له ، وإذا فعل سيئة كتبوها ولم يؤخروها كما فى غير المساجد ، ومحوا له جميع مافعل من الحسنات من حين دخوله إلى وقت تلك السيئة ، مثل الكلام على أمور الدنيا لعظم حرمة المساجد عند الله تعالى ، وعم بلاؤها جميع من معـه فى المسجد إذا لم ينهوه عما صدر منه أو يأمروه بتركه ، وهذا هو السبب الذى ترك بعض أكابر أهل العلم لأجله الصلاة فى المسجد كالإمام مالك رضى الله عنه وغيره ممن فرمن المناكر ، لأنه كان لم يصل جماعة ولا جمعة وهو مجاور لأفضل المساجد وأعظمها ، ولبس به علة غير هذا الخ .

وكان صاحب الترجمة رضى الله عنه مع صغر سنه طمع فى مرتبـــة سيدنا رضى الله عنه ، حين فتح عليه بعـــد أخذه عن سيدنا رضى الله عنه وكان قبل ملاقاته بسيدنا رضى الله عنـه آخذا طريقـــة بل بن عزوز الذى قال فيه سيدنا رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : بل بن عزوز شيطان هذه الأمة . ولما تلاقى صاحب هـذه الترجمة مع سيدنا رضى الله عنه طلب منه الإذن فى طريقتـه لما شاهده من كرامات سيدنا رضى الله عنه فقربه سيدنا رضى الله عنه لما تقدم من وصية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا عليه فأمره سيدنا رضى الله عنه بترك جميع المتعلقات بالغير وقال له إن أردت الفتح فعليك بترك هذه الأشياء وذلك أنه كان له التصرف التام بالجداول والأوفاق حتى إنه كان يستعمل الجدول وينقر منه الدنانير بمرأى من الناس حتى نهاه سيدنا رضى الله عنه عن ذلك ، وقال له إن هذه الأمور من وقف معها لايحصل له فتح البتة فترك ذلك امتثالا لأمر سيدنا رضى الله عنه ففتح عليه بالفتح الكبير كما تقدم .

ومما وقفت عليه أن سيدنا رضى الله عنه كتب لصاحب الترجمة حين سئل عن الغيبة وما فى معناها من حقوق الخلق تصلى صلاة الفاتح لما أغلق الخ ثم تقول ثواب هذه الصلاة أهديه لكل من له علىّ تباعة أو مظلمة أو حق أو دين يطالبنى به يوم القيامة بين يديك من خروجى من بطن أمى إلى مستقرى فى التراب . اللهم تقبل

منى وبلغ الثواب إليهم يقتسمون ذلك على قدر أنصبائهم وحصصهم فى التبعات والظلامات والديون والحقوق اه

ومما بلغنى عنه ماحدثنى به سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أن سيدنا رضى الله عنه بعث اليه أن اقدم علينا وأرسل إليه صاحبه سيدى الحاج المستقتم لجاء إليه بفرس لبعض أصحابه ليحمله عليها فوجده بتازا فأخبره بما أمره سيدنا رضى الله عنه فقام فى الحين لأداء هذا الواجب، فبينما هو فى طريق السفر إذ ماتت الفرس فأمر صاحب الترجمة روحانيا أن يدخل فيها ليبلغه لأبى سمغون فسار به ثم قال له ياسيدى إن هذه الفرس أضرتنى برائحتها فأمره بالإسراع فى المشى فبمجرد الوصول ونزوله عن الفرس سقطت الدابة إلى الأرض وخرج الدود منهـا ، ثم تلاقى مع سيدنا رضى الله عنه وتكلم معه رضى الله عنه فى سر من الأسرار .

ومن جملة مابلغنى عنه أيضا ماحدثنى به الفقيه العلامة سيدى عبد السلام عن شيخه عمه الفقيه العلامة المقدم البركة سيدى أحمد كلابنانى عن سيدنا محمد الحبيب نجل سيدنا رضى الله عنه حدثه أن من جملة كرامات صاحب الترجمة أن امرأته بعين ماضى اشتهت عليه عسلا فى بعض الأيام ولم يكن الوقت وقت عسل وكان من عادته معها أن لايكسر لها خاطراً ، فطلب منها فى ذلك الوقت المسامحة فأبت ثم قال لها : اخرجى لصحن الدار فإن شيخنا التجانى رضى الله عنه بعثها إليك فخرجت فوجدت هناك جلوداً ممتلئة بالعسل وكانت تباهى بزوجها على نساء الحى حتى انهن يغرن منها ويتهوجن على أزواجهن ، حتى كان ذلك سببا لقتله رحمه الله تعالى كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

وحدثنى أيضا أنه حدثه أن ابن سيدنا رضى الله عنه حدثه أن صاحب الترجمة كان السحاب فى بعض الأيام إذا احتاج الزرع إلى ماء يأتى ويمطر زرعه خاصة ، وما حوله لاينزل عليه وهذا من عجيب كرامات ساداتنا الأولياء رضى الله عنه .

وحدثه أيضا أن أولاد سيدى الشيخ حصل له مع بعض كبرائهم شيء فاتفقوا على كلمة واحدة بأن يحاربوا كل من منعهم من البطش به ، وطلبوا من أهل عين ماضى أن يسلموه لهم وإلاهدموا عليهم أماكنهم ، وجاءوا إليهم بقوة لايقدرون

على دفعهم عنهم ، فمضوا إلى صاحب الترجمة وقالوا له لابد من أن تذهب إلى هؤلاء القوم تلق ماقدره الله عليك ، قال فلم يرفع رأسه إليهم بل صار يخط بيده على الأرض شيئا كالكتابة ثم أخذ كاغداً صغيراً ورسم عليه حروفاً وقسمه قسمين ورمى بها إلى ناحية القوم الذين طلبوه ، فطارا فى الهواء ثم التقيا وقال لانزال هكذا إلى يوم القيامة ، فاتفق من قدر الله أن تخاصم أولئك القوم فى ذلك الوقت فيما بينهم وتضاربوا وتشتت كلمتهم ولازالت العداوة بينهم إلى الآن .

وحدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن صاحب الترجمة من شدة الفتح الذى حصل له طمع فى الوصول إلى المرتبة التى رآها لسيدنا رضى الله عنه ، وقد كتب لسيدنا رضى الله عنه بأنه رأى مقاما بين النبوءة والقطبانية وأنه غير موروث وإنما هو لواحد من هذه الأمة وأخبره أنه كان يطمع فيه لنفسه ثم تذكره وخاف على نفسه من السلب إذا طلبه من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ، ثم أخبر أنه للشيخ رضى الله عنه ، فسارع إلى إخباره بهذه المنقبة العظيمة وطلب منه أن يجعل له جزاء بشارته ثواب ذكر عشر مرات من الاسم الأعظم وعشر مرات من ثواب الفاتح لما أغلق وعشر مرات من ثواب مفتاح القطبانية ، وذكر أنه رأى أن الله تعالى بسط لسان سيدنا رضى الله عنه فى الذكر إلى غاية لم يصلها غيره وجعل ثواب كل مرة من ذكره مالو ذكر صاحب الترجمة هو وأولاده وأجداده وأجدادهم مدة سبعين سنة لم يصلوا ثواب مرة واحدة من لسان سيدنا رضى الله عنه اه

وسألته رضى الله عنه هل أجاب سيدنا رضى الله عنه صاحب الترجمة بما طلبه فى بشارته فأجابنى بأنه لم يقف عليه ، ولكن المعلوم من سيدنا رضى الله عنه أنه لابد من أن يجيبه إلى مطلوبه والله أعلم .

وحدثنى أيضا نفعنى الله به أنه رأى رسالة كتبها صاحب الترجمة إلى سيدنا رضى الله عنه مضمنها إخباره بأن ركب الجريد لما وصل لعين ماضى أتته جماعة منهم سيدى محمد بن المشرى والعارف بالله سيدنا الحاج على التماسينى وغيرهما وسألوه عن البهائم هل تدخل للجنة أو لا قال وظنونى أننى عاقل مع أنى أحمق لكن من أحبنى على حق يدخل الجنة ومن أبغضنى يدخل النار . قال فتحيرت فى سؤالهم

ولم أعرف ما أجاوبهم به حتى اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم وسألته عن ذلك فأخبرني بأن منها من يدخل الجنة وهي بهائم الأنبياء والرسل والأولياء والبهائم التي تموت في الجهاد والتي يحج عليها ونحو ذلك مما يقتل في سبيل الله ، وتلك الجنة غير جنة العقلاء ولابناء فيها وهي مملوءة بالنبات الذي تحبه تلك البهائم وتشتهيه إلى آخر ما أخبرنا به رضي الله عنه .

وقد استعملت هنا قصيدة في مدح هذا السيد رضي الله عنه وهذه هي الأبيات

ألا لاتلمني ياعذولي في الهوى ... فإن فؤادي في الصبابة قد هوى
أتحسب أني بالملام تغيرني ... بلى إنه يزداد باللوم لي الجوى
وقد طاب لي ما في الغرام رأيته ... وكابدته مما به كبدي انكوى
أبى الله أن ينسى فؤادي حب من ... خلعت عذاري فيه بين ذوي الهوى
أما والهوى ما مال قلبي لغيره ... ولا أتسلى عنه في الحب بالسوى
وإني حال لك مابه ... ولكن قلبي ليس يقوى على النوى
وإني لبواح بعشق ولوعتي ... ومالي في الكتمان للحب من دوا
فإن تسألوني عن حبيبي ومالكي ... أقول لكم شيخي التجاني لاسوى
لقد نال عند الخلق والله رفعة ... وفي كنف المولى بأصحابه ثوى
وفي ذروة العلياء يرقى مقامه ... إلى أن علا فوق المراتب واستوى
هو العروة الوثقى لمستمسك بها ... وكل امرىء يأتيه يحرز مانوى
أقرّ له بالفضل كل معاند ... وكل الذي يقليه والله قد غوى
وقد فاز منه بالمحبة فتية ... فصار لهم في الكون فضل على السوى
وفوق كراسي العز حقا تصدروا ... وفي يد كل منهم قد غدا اللواء
ولاسيما من صار خير وساطة ... له ومن الأسرار من كأسه ارتوى
محمد التازي الذي ظهرت له ... مناقب لاتحصى وفيه الهوى انطوى
وأعني به الدمراوي الأصل حبه ... وحب رسول الله في القرب والنوى
لقد كان عند المصطفى بمكانة ... لأجل التجاني من لكل علا حوى
فكان يرى المختار نوما ويقظة ... كثيرا فيالله مامنه قد روى
ولله ماقد ناله من معارف ... ومن حكمة قلب الحسود بها انكوى

ولله ما أبداه فى الناس من هدى	بها كل غصن قد زها بعدأن ذوى
وكان صغير السن فيئـــا وقدره	علا وعلى كل المعالى له استوا
فكان له كشف صريح وهمة	سمت فى العلا حتى على سره احتوى
وكان له التصريف فى الكون هيناً	وتصريفه فى الإنس بعدالسوى سوا
وكان وحق الله فى الخلق آية	بها أودُ الطرق المعظمة استوى
بجاه الذى قدنال من أجل شيخنا الت	جانى دعوت الله يمنحنى الدوا
ويغفر أوزارى ويستر عورتى	وينقذنى من كيد إبليس والهوى
ويفتح لى باب السعـــادة دائما	فيحرز فى الدارين قلبى مانوى

ترجمة القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه

ومنهم القطب الكامل والغوث الفاضل ذو الكرامات الجمة والفضائل الشائعة بين هذه الأمة بدر السعادة الذى ضاءت به الغياهب وشمس الهداية التى تقتبس منها الأنوار فى سبل المطالب ذو الكشف الصريح والفضل الصحيح الفاضل الجليل الشريف الأصيل أبو الحسن سيدنا الحاج على بن سيدنا الحاج عيسى التماسينى رضى الله عنه .

هذا السيد الجليل من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه المشهود لهم بالفتح الكبير فى حياته وبعدها ، وقد كان له التصرف التام قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ، وكان يفعل أمورا خارقة للعادة مما يدل على عظيم مقامه عند الله ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عظيمة وقد ترجم له صاحب البغية عند قول المنية فى تعداده لرجال الطريقة المشهود لهم بالفتح بين الخليقه

وغوث عصرنا التماسينى	قطب الورى سيدنا على

ونصه بعد ذكر البيت أراد به العارف الكبير قطب أوانه وحامل راية التربية والترقية بهذا الطريق الأحمدية فى زمانه أبو الحسن سيدنا الحاج على بعد الحاج عيسى التماسينى نسبة إلى تماسين من أرض الجريد وشهرته كافية ، كان رضى الله عنه من خاصة الخاصة من صحابة سيدنا رضى الله عنه وممن شهد له الشيخ رضى الله عنه بالفتح الأكبر فى حياته حتى أنه كان إذا قدم عليه زائرا بفاس يقدمه للإمامة فى الزاوية مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء والفضلاء وقد اتفق له يوما فى

الصلاة شيء مما يخل بها فذكر ذلك للشيخ رضي الله عنه ، وكان ذاكر ذلك يستفهمه هل يؤثر ذلك خللا في صحتها فأعرض الشيخ عن جوابه على وفق ماأراد وقال ذلك رجل مفتوح عليه والصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة . وناهيك بهذا شهادة من هذا الشيخ رضي الله عنه ، لهذا السيد تنويها بقدره .

وحدثني الشريف الأجل المقدم البركة المبجل خديم سيدنا رضي الله عنه سيدي الطيب بن محمد السفياني أنه في المرة التي ولاه سيدنا رضي الله عنه النيابة في الانفاق على داره وقضاء حوائجه سأله الشيخ رضي الله عنه ذات يوم عن بعض إمائه ، وكانت مريضة فقال له هل اشتريت لها الدواء قال فقلت له ياسيدي قد اشترينا لها عدة من الأدوية فلم يظهر لها أثر ، ولعل الأوفق لها هو الكتابة يعني الرقية قال فقال رضي الله عنه ومن يكتب لها ثم قال رضي الله عنه مارأيت من أهل لذلك إلا سيدي الحاج علي التماسيني لوكان حاضرا قال فقلت له وأنا أريد أن يأذن لي في ذلك ، ياسيدي كل من أذنت له في ذلك سيدي الحاج علي قال فلم تقبل مني ذلك وجعل رضي الله عنه يقول وأين مثل سيدي الحاج علي يافلان وكررها منكرا علي ماقلته حتى وددت أني ماذكرت له ذلك . وكفاه هذا من شهادة الشيخ رضي الله عنه بالخير والبركة .

ومن المتواتر عن هذا الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه أنه كان بعد استيطان الشيخ رضي الله عنه مدينة فاس يأتي إلى زيارته بطريق الخطوة حتى زجره رضي الله عنه عن ذلك ونهاه عنه ، وقال له إن كنت تريد مواصلتي لله فلا تأتني إلا كهيئة عامة الناس بنعلين وعكازة مع رفقة تذوق جميع مايذوقونه في الطريق من العطش والإعياء والخوف وغير ذلك .

وحدثني بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن سيدنا الشيخ رضي الله عنه صلى العصر ذات يوم بباب داره ، وصلى معه جماعة نحو الثمانين من أصحابه وحين التفت من صلاته وأقبل بوجهه على من صلى معه ، لم يشعروا أن سقط بينهم عرجون تمر ، فنظر إليه الحاضرون ولم يعرفوا من أين سقط عليهم ، وتحيرت عقولهم ، فلما رأى الشيخ رضي الله عنه ذلك من حالهم قال لهم . هذا فعل ذاك الرجل ووصفه بالبهلول أو نحو ذلك ثم سماه لهم ، وذكر أنه اجتمع بالشيخ

رضي الله عنه بعد ذلك فذكر له ذلك وقال له ماحملك عليه ؟ فقال ياسيدى اعذرنى فانى كنت فى ذلك الوقت فى حائط لى والخدام يجنون التمر فرأيت ذلك العرجونه فأعجبنى فتمنيت أن يصل إلى دارك على حالته ، فحملنى ذلك على أن رميت به وقلت له سر حتى تنزل بين يدى سيدى فزجره الشيخ رضي الله عنه ونهاه عن مثل ذلك .

وبعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ظهرت عليه آثار الفتح الكبير وتصدى للتربية فى الطريقة ، وظهر عليه فيضان وجدانى لايوجد مثله فى كمل المشايخ ، فصار الناس يأتونه من سائر الآفاق للأخذ عنه والتبرك به ، وأخبرنى ثقـــة أنه كان أتاه فى زاويته زائرا فاتفق أن اجتمع عنده مدة إقامتـه لديه نحو مائتى رجل كلهم يطلبونه التقديم فى الإذن منه رضى الله عنـه فى إعطاء الورد ، وكلهم من الآفاق البعيدة ، وما وصفته به من التربية وصفه به غير واحد من أهل البصائر .

وذكر لى بعض الأفاضل من أصحابنا أنه كان حيث حج اجتمع ببعض المقدمين من قبل الشيخ رضى الله عنه فأذن له فى إعطاء الورد قال لى : فلما رجعت اجتزت بسيدى الحاج على يعنى صاحب الترجمة فطلبت منه الإذن فى بعض الأذكار فقال لى : وهل عندك إذن فى تلقين الأوراد لمن طلبها منك ؟ فقال فلم اهتد لما هو الصواب فقلت له : عندى قد أذن لى فى ذلك المقدم سيدى فلان ، قال فقال لى هو مرب ؟ يستفهمنى وكررها ، فلم أدر ما أجيبه به ، ولم يتفطن إلى أنه يشير له أنه هو من أهل التربية حتى فارقه . وأخباره كثيرة وكراماته أوضح من شمس الظهيرة ، وفى هذا القدر كفاية اهـ

وكان لصاحب الترجمـة رضى الله عنه يد طولى فى المكاشفة والتصرف التام ، وكان كثير الرؤية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حكى عنه فى البغية حيث تكلم على رؤية الأوليـاء له صلى الله عليه وسلم ، منقبة تشهد لما قلناه ونصه :

وقد بلغنى من طريق الثقات الأثبات أن أخص أصحاب سيدنا رضى الله عنه العارف الكبير الموصوف بالقطبانية فى زمانه من غير دفاع ولانكير أبا الحسن سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه تجاذب أطراف المذاكرة مع بعض الاخوان يوما فى مثل مانحن فيـه ، فقال : يافلان إن من الرجال الحاضرين معك هـذا الزمان من لايفعل فعـــلا قل أوجل إلا على إذن منـه صلى الله عليه وسلم

من طريق المكاشفة والعيان حتى إنه لايقوم من المقام الذى ينام فيه إلا إذا أمره صلى الله عليه وسلم بذلك .

وقد فهم عنه من سمع منه ذلك أنه يعني نفسه ، وله من شواهد حاله ما يصدقه فيما أبداه من مقاله الخ .

ومما حدثنى به سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أنه كان مسافراً مع قافلة وله ثلاثة أحمال وكان حاكم البلد يأخذ على كل حمل ريالا ، ولم يكن معه شيء من الدراهم يدفعه له لئلا يثقف أحماله ، فاستحضر همة صاحب الترجمة وسأل الله بجاهه السلامة مما يعوقه عن السفر ، ثم سافر مع القافلة ، فلم يبق أحد منهم إلا ودفع وجيبه إلا الحدث . فإنه مر ولم يدفع شيئاً ، ولا طلب منه أحد شيئاً ، بل ستره الله عن أعينهم ، فلما بلغ صاحب الترجمة قال له كالمذكر له : يافلان هل دفع الناس للفرنسيين الأربعة ؟ فقال نعم ياسيدى إلا أنا سترنى الله عن أعينهم ببركة جاهكم عند الله .

وحدثنى أنه أتى يوما يخبر صاحب الترجمة بأمر العدو ، وأنه استعد وجمع العدة والعدد ، ولم يصل الخبر حتى نزع ما كان عليه من الثياب ، ولبس مرقعة خوفا على نفسه من قطاع الطريق ، فلما وصل واجتمع معه وجده مع أكابر القبيلة والأصحاب فجلس وراءه محتشما من أجل الثياب المرقعة التى عليه ، فالتفت إليه وقال له قم إلى هنا فان من أحبه الله لايبالى ولو كان لابساً مرقعة ، ومن أبغضه لايبالى ولو كان لابساً كذا وسمى له نوعا من الثياب الرفيعة . وكان رضى الله عنه لاينتسب إلا إلى سيدنا رضى الله عنه ، وسأله يوما بعض أولاده رضى الله عنه عن اسم والده فقال له عيسى فقال ياسيدى ابن من ؟ فقال له ابن فلان ، فقال له سيدى ثم ابن من ؟ فقال أتسألنى عن نسبى ؟ فقال له نعم . فقال إنما أنا على ابن احمد التجانى وسكت رضى الله عنه .

وحدثنى أنه رضى الله عنه كان يصفه ابن سيدنا رضى الله عنه بالقطبانية ، ولايبرم أمرا من الأمور المهمة إلا بمشورته رضى الله عنه ، وكان هو بنفسه يصرح بأنه هو القطب بعد سيدنا رضى الله عنه لبعض خاصته وقد اشتهر فى زمانه بذلك ، وحدثنى أيضا أنه كان يقول بعد أن يرفع يديه ويجعل سبابة يده اليمنى على بنصر

اليسرى ثم ينقلها للوسطى ثم للسبابة ، مراتب أصحاب هذه الطريقة المحمدية قريبة ومتوسطة وبعيدة هكذا ، ويشير لأصابعه الثلاثة ، فالقريبة يقول لسان الحضرة الختمية لصاحبها : إن خالفتني في خاطر من الخواطر تموت كافراً والعياذ بالله ، والمتوسطة مرتبة المقدمين فالتقديم مرتبة من المراتب العظام والبعيدة هي مرتبة الذين لاحزم لهم في الطريق بحيث يحصل لهم الكسل عند أداء الأركان المطلوبة منهم كما ينبغي حتى إنهم في بعض الأحيان من كسلهم ينامون عن صلاة العشاء ، وجميع هذه المراتب يدخل أهلها في ضمان النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبر به سيدنا رضي الله عنه .

وحدثني أنه كان معه في يوم من الأيام فأراد أن يطلب منه التقديم لتلقين الورد الشريف ، وترى ذلك في خاطره ، قال فبمجرد ماخطر ببالي هذا الخاطر التفت إلي وقال لي رضي الله عنه : أنت مأذون في إعطاء الطريقة لكل من طلبها لحمدت الله على هذه النعمة العظيمة ، وهكذا كان يكاشف كل من يأتيه . قلت ولما حدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بهذه المنقبة الشريفة قلت في نفسي ما أحسن هذا الإذن على هذه الصورة وياترى إذا سألت منه ذلك يمنحني به أولا ، ثم عزمت على عدم سؤالي له ، لأن الشيء إذا جاء بغير سؤال كان على أحسن حال ، كما هي عادتي معه رضي الله عنه ، من كوني لا أطلب منه شيئا مع شدة محبته لي والحمد لله من غير علة ، حتى أذن لي في طلب كل ما أريد منه ؟ وقال لي : قال لي سيدي العربي بن السائح رحمه الله : قال سيدنا رضي الله عنه : أنا أحب كل من يطلبني ، تنبيها منه رضي الله عنه على طريق نفع العباد اهـ

فبمجرد ماخطر ذلك ببالي التفت إلي رضي الله عنه كما التفت إليه صاحب الترجمة وقال لي أنت مأذون ، وذلك منه مكاشفة كما هي عادته معي في غير ما مرة . فحمدت الله على ذلك على ما أولانيه ، وشكرته لما أعطانيه من غير حول مني ولا قوة ، فنسأله سبحانه التوفيق لما يحبه ويرضاه .

وسيأتي إن شاء الله بسط كلام لنا في التقديم في بعض تراجم هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

ولنختم هذه الترجمة بقصيدة استعملتها في مدح صاحب الترجمة .

خليلي إن الشوق قد كاد يفنيني — وأنت بأنواع التبذل تبليني
سلوت بحبي فيك كل أحبتي — وغيرك طول الدهر ماعنك يسليني
وحاشا وكلا أن أخون مواثق — وأنت الذي لازلت بالحسن تسبيني
ولست لقول العاذلين بسامع — ولكن أرى لومي على العشق يغريني
كفاك بأن الحسن في ذاتك انطوى — وكوني خديما في جنابك يكفيني
كتمت غرامي فيك فوق تجلدي — وكنت صبورا حاملا مايعنيني
إلى أن غدا صبري إذا مادعوته — لجل الذي ألقى من الشوق يعصيني
فيا... أبديت أني عاشق — جمال على نجل عبي التماسني
هو البدر إلا أنه تم نوره — وضاءت به سبل المعارف والدين
علا قدره حتى تفرد بالعلا — وزينت العليا به أي تزيين
وحل مقاما في الولاية لم يزل — بأوج للعلا يرقى المراقي بتمكين
ونال من الفتح المبين معارفا — بها بينت سبل الهدى أي تبيين
وحاز من الكشف الصريح الذي به — له ينجلي بين الورى كل تكوين
وقد ظهرت من سره لذوي النهى — مناقب لا تحصى لنا بالدواوين
إذا ذكر الأقطاب فابدأ بذكره — لأن له أعلا مقام بتحسين
له همة في مصعد العز قد رقت — لذاك له تعنو جميع السلاطين
له تخضع الأسد الضراغم في الوغى — ولكنه كهف لكل المساكين
وتصريفه في الكون للخلق قد بدت — لدينا كرامات له دون تخمين
فأعظم به فهو الذي لم تزل ترى — كراماته في المشرقين مع الصين
ونال من الشيخ التجاني نظرة — بها فاز في أهل الهداية والدين
أقر به عين الأحبة كلهم — وجز به حتما رؤوس الشياطين
ألا إن من يعني التجاني أحمدا — ينال المنى والأمن من سر تلقين
هو الكوثر العذب الزلال لوارد — يرى الفتح من يأتيه والله في الحين
أقرت له أعداؤه بفضائل — ومن ذا يجاريه بكل الميادين
وأول من قد نال في الفتح غاية — لكل ولي في الورى دون تعيين
وكلهم من بحر إمداده رووا — وآدم بين الماء والنفخ والطين

وآخر ما قد نال ليس بداخل ... لمن رام أن يدريه تحت القوانين
لقد كان بين الخلق ختم ولاية ... بمحراب قرب والسوى فى الأساطين
وقد مده المختار حقا عليهم ... وخصصـــه من وده بأفانين
فيارب إنى قد أنخت ببابهم ... مطيـــة آمالى لعلك تكفينى
ولذ بهم بين الورى متعلق ... فكن لى واجعلنى غوطا بتحصين
وجد لى فى الدارين بالأمن والمنى ... وخذ بيدى بالفضل منك وزضينى
فإنى استندت فى أمورى عليهم ... وحاشاك فى يوم القيامة تخزينى
بجاه رسول الله والآل كلهم ... وأصحابه السادات عرف الرياحين
عليهم سلام الله ما قال منشد ... خليلى إن العشق قد كان يغنينى

توفى رحمه الله سنة ستين ومائتين وألف ورمز لهذا التاريخ الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه بجمل العجز من هذا البيت :

وعام موته بلا تمويه ... قضى لروح الثقلين فيـــه

ودفن رضى الله عنه بداره فى تماسين لازالت تمطر قبره الرحمات كل حين آمين

العـــلامة سيدى ابراهيم الرياحى :

ومنهم علامة الزمان بالإطلاق وفريد الأوان بلا شقاق خاتمة المحققين وفاتحة أهل اليقين الولى الكامل والحجة الواصل البركة الأجل ، والغطريف الأفضل أبو إسحاق سيدنا إبراهيم بن عبد القادر الرياحى التونسى رضى الله عنه ، هذا السيد الجليل من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين حصلت لهم العناية الدائمة ونالوا الخلافة بمده فى الهداية والإرشاد ، والآخذ بيد العباد أخذ الوالد الشفيق بيد أعز الأولاد ، وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد بعض العلماء الجلة الذين حصل لهم الفتح على يدى سيدنا رضى الله عنه .

والتونسى العالم الرياحى ... جمع بين العلم والصلاح

مانصه : وأما رابعهم فهو شيخ الإسلام وقدوة الأنام ، حامل لواء العلم والعرفان المخصوص حيا وميتا برحمة الصريخ وإغاثة اللهفان ، ناصر هذه الطريقة الأحمدية وحامى ذمارها ومطلع شموسها وأقمارها الشيخ أبو إسحاق سيدنا إبراهيم الرياحى التونسى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته ورضاه ، وشهرته بالتبريز

في ميادين العلم والعمل والولاية الكبرى في سائر الآفاق كافية عن التعرض لتفصيل مجمل ذلك في هذه الأوراق وحسب مثلي عند ذكر مآثره الإطراق هيبة لجلالة ذلك المقام وأن يكون قصارى أمره في ذلك العي والإفحام اهـ

وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه أولا على الطريق الشاذلية . ولما قدم للديار التونسية الخليفة سيدي الحاج على حرازم رضي الله عنه سنة إحدى عشرة ومائتين وألف ، اجتمع بصاحب الترجمة وتعرف به ونزل عنده في بيته بالمدرسة وقويت الصحبة بينهما ، وشاهد منه الكرامات التي لا تحصى وسمع منه من مناقب سيدنا رضي الله عنه وفضائل طريقته ما لا يقف على حده استقصا ، اشتاقت نفسه للدخول في هذه الطريقة المحمدية فصار يردد ذلك في خاطره مرة بعد أخرى حتى أفصح له بالدخول فيها من ائمة الطريقة الشاذلية وكان من أكابر المقترح عليهم فتقلد حينئذ بوشاحها . وحل اقفال كنوز المعارف بمفتاحها ، وكان قبل اجتماعه بسيدنا الحاج على حرازم رضي الله عنه رأى رؤيا مبشرة له بنيل مقام من المقامات . ولما اجتمع به قصها عليه وعبرها له وحل له بعض رموزها ، وواعده بحل الباقي . وأمره بالدخول في طريقته ، فامتثل الأمر وصادف ما استكن عنده في الصدر .

ومما حدثني به سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به أن صاحب الترجمة في المدة التي أقامها الخليفة سيدنا الحاج علي رضي الله عنه قال له يوما من الأيام إني أردت أن أذكر في البيت وإياك أن يدخل إليه أحد حتى أخرج ثم دخل فجلس صاحب الترجمة بالباب ، وصار يترجاه للخروج وطال انتظاره حتى ضجر من ذلك وقلق ، ثم دخل البيت ليتفقده فلم يجده فيه فصار حائرا من أمره ، وقال في نفسه إن الناس يعرفون أن الشيخ رضي الله عنه نازل عندي ، فياليت شعري ماذا يكون جوابي إذا سألوني عنه بعد ما لم أجده في البيت وياليت شعري أين ذهب ، ثم بقي مهموما طول يومه ، فبينما هو جالس بباب بيته إذ خرج الخليفة رضي الله عنه ، فقال له صاحب الترجمة : ياسيدي أين كنت فقال له : إن العارف إذا كان يذكر الاسم الأعظم يذوب ، وبعد فراغه يرجع على ما كان عليه ، وقد حصل لي ذلك كما رأيت ، فازداد بذلك فيه محبة .

ومن الكرامات التي حصلت لصاحب الترجمة معه أنه كان نائما في بعض الليالي

فأيقظه من منامه وقال له قم واطلب من الله تعالى ماتريد ، فهذه ساعة إجابة إن شاء الله ، فقام صاحب الترجمة من نومه وكتب مطالب وجدت مقيدة بخطه هذا نصها:

طلبت من الله تعالى دوام رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا تلبيس ، وطلبت عليك يارب التصرف بالاسم الأعظم ، وطلبت عليك يارب المعرفة التامة بك على أن تكون مقاما لا حالا ، وطلبت عليك يارب معرفة الكيمياء ونتائج عملها بسهولة ، وطلبت عليك يارب أن تتولانى بعجزى عن أن أتولاك ، وطلبت عليك يارب امرأة على وفق المراد على سبيل الدوام ، وأبناء صالحين ، وعمرا طويلا بالخير معمورا بالطاعة ، ومشيخة فى علمى الظاهر والباطن على وفق مايرضيك ويرضى رسولك ، وأن تغنى قلبى وكفى ، وأن تسخر لى الروحانية والإنس والجن ، وأن تبلغنى فى الآخرة والدنيا مايليق بكرمك ، مما لا نعلمه ولا ندرى كيف نسألك إياه . وأن تفهمنى عنك فهما حقيقيا ، والموت على الإيمان الكامل اه

وقد استجاب الله دعاءه وبلغه منه أمله ورجاءه ، فكان رضى الله عنه من الآيات العظام الباهرة للعقول بين الأنام ذا تصريف تام ومقام عال مع فضل عام مشهورا بالولاية مقصودا للهداية ، ما توجهت همته لشىء إلا ناله فى الحين ، ولارام شيئا إلا رنجح كما شهد له بذلك كل الطالبين والصالحين ؛ وكان صاحب الترجمة ذا همة عالية أبية لاترضى بسفاسف الأمور ، ولايحب إلا سلوك الطريقة السنية سيما الطريقة التجانية ، ذات المواهب العرفانية ، وقد ألف تأليفا فى الرد على بعض المنكرين على طريقة سيدنا رضى الله عنه (سماه بمرد الصوارم والأسنة فى الرد على من أخرج الشيخ التجانى عن دائرة أهل السنة) قال فيه بعد الخطب

اعلم أن الشيخ المشار إليه من الرجال الذين طار صيتهم فى الآفاق ، وسارت بأحاديث بركاتهم وتمكنهم فى علمى الظاهر والباطن طوائف الرفاق ، وكلامه فى المعارف وغيرها من أصدق الشواهد على ذلك ، ولقد اجتمعت به فى زاويته بفاس مرارا وبداره أيضا منها وصليت خلفه صلاة العصر ، فما رأيت أتقن لها منه ولا أطول سجودا وقياما وفرحت كثيرا برؤية صلاة السلف الصالح ، ولخفة صلاة الناس اليوم جدا كادوا أن لايقتدى بهم الخ

وكان السبب فى تأليفه صدق محبته فى جناب سيدنا رضى الله عنه ، مع شدة اتباعه لطريق الحق وعدم سكوته على الباطل إن رآه ، ولما بلغ خبر هذا التأليف سيدنا رضى الله عنه كتب لصاحب الترجمة ولأخويه فى العلم والطريقة والشاربين من منهل الحقيقة سيدى محمد بن المشرى وسيدى محمود التونسى رضى الله عن الجميع ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بعد حمد الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه ، يصل الكتاب إلى أحبابنا وأعز الناس لدينا سيدى محمد ابن المشرى، وسيدى محمود التونسى وسيدى ابراهيم الرياحى التونسى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإنعامه وإبراره ، من المسلم عليكم أحمد بن محمد التجانى وبعد : نسأل الله تعالى أن يقبل عليكم بفضله ورضاه ، وأن يجعلكم فى ديوان الصديقين ، وأن يحرسكم بعين رعايته ، وأن يحفظكم من جميع المخاوف والمكاره ، وأن يغمركم فى رضاه إلى الاستقرار فى عليين آمين

يليه إن الكتاب الذى جمعه سيدنا إبراهيم الرياحى فى الرد على من طعن فينا ونسبنا إلى الاعتزال ، والنكير علينا فلا تلتفتوا لكلامه ولا تبالوا به ولا تهتموا من شأنه ، وإنما هو رجل أعماه الحسد واستولى الران على قلبه ، وليس هو من فرسان هذا الميدان حتى تلتفتوا إليه ، وإنما هو كما قيل ليس بعشك فادرجى ولنا فى الرسل عليهم الصلاة والسلام أسوة ، نسبوا إلى الشعر وإلى الجنون وإلى الكهانة وإلى السحر ، وما التفتوا إليه وما أهمهم أمر من نسبهم إلى ذلك ، حاصل الكلام مطلقا الحادث والقديم إنما هو أسماء ومسميات ، الأسماء هى صورة كلام المتكلم ، والمسميات هى مدلولات الكلام الذى يدل عليها كلام المتكلم ، فكلام الحق سبحانه وتعالى وصف قائم بذاته لاينفك عنها ، وهو عين تلك الأسماء المعبر عنها عن المسميات ، فالأسماء كلها قديمة أزلية ، لأنها عين الكلام الأزلى فلايصح الحدوث فيها بوجه ولا بحال ، وهى فى هذه المرتبة يستوى فيها القديم والحادث والمسميات التى دخلت تلك الأسماء بعضها قديم وبعضها حادث ، فالمسميات هى المدلولات ، لايصح فيها أن تنتقل لفهم المتكلم الحادث مثلا ، والكلام الأزلى لا يصح أن يقال

إنه قرءان (١) فى حق الذات المقدسة وإنما يقال فيه كلام .

ولكن اعرضوا عن كلام هذا الجاهل ولا تلتفتوا إليه واستأنسوا بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم) إلى قوله تعالى (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) (ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ، الملك يومئذ لله يحكم بينهم ، فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ، والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم) وقوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولوشاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون ، ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) ولكن الأمر هين اتركوه فى عمياه ، يقول كيف شاء والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله اه

ولصاحب الترجمة قصائد عديدة لايسعها إلا ديوان بالخصوص . ومما اشتهر به من مديحه لجناب سيدنا رضى الله عنه قوله — وهى فى كسوة ضريح سيدنا رضى الله عنه مطرزة بالصقلى فوق المحمل الشريف :

يا ترى يرضى درى بسقامى	فهو إن يرضه أعز مرامى
ماعدا هجره فأجناد صبرى	ما استطاعت لها من قيام
أيها الهاجرى وإن كنت أهلا	أين حلم النهى وصفح الكرام
كيف ياسيدى وأنت مرادى	وعلى من سواك ألف سلام
كيف أذللت بالجفاء محبا	لك فى قلبه أعز مقام
صار يهوى من بعد طول ائتلاف	لك وصلا ولو بطيف منام
ءاه ألفا على ليال تقضت	نظمت شملنا بأبهى انتظام

(١) القرءان بمعنى المجموع وهو قرءان بحسب مايصير إليه .

حيث فاس قرارنا وهى دار
ما لدار فى حسنها من مسام

ما لمصر ولا لبغداد معنى
مشبه لا ولا العراق وشام

أى سر فيها وأى سرور
قد قطفنا وأى شرب المدام

أى معنى وأى لطف وظرف
وغرام يهيج بالإنعام

والإمام التجانى أحمد فينا
داعيا بالهدى لدار السلام

يسرج النور فى القلوب ويمحو
بمياه الغيوب كل ظلام

يسكب السر فى سرائر قوم
أصبحوا بالوصال سكرى غرام

ذاك فان فى الله حبا وهذا
فى جمال النبى بدر التمام

يا نفوسا ذكت لقهر التجلى
يا عقولا خرت للطف الكلام

مدد مدهم به الشيخ جودا
إن جود التجانى فى الكون هام

كيف لا والإمام أحمد قطب
ماله فى المقام قطب مسام

خاتم خصه الإله بفضل
وعطايا من المزايا عظام

دونها تنتهى النهى لعلو
وارتقاء عن مدرك الأفهام

هكذا أنبأ النبى فصدق
أو تهيأ لرشقة من سهام

إن تقل كيف ذاك وهو أخير
أيفوق المأموم قدر إمام

قلت فاق النبى وهو أخير
كل ذى رتبة سمت فى الأنام

ليس للقدرة القديمة عجز
وكذا الفضل لم يزل فى انسجام

خل نعت النبى فهو محال
والسوى جائز بغير ملام

ليس من حقك الجدال ولكن
أن تكون الجفون منك دوامى

حيث لم تكتحل بنور اهتداء
كى ترى الشمس ما لها من غمام

لا تجادل فى الأولياء وحاذر
قبل توتير قوس أشد رام

بشر الخائضين فيهم بحرب
من قوى فى بطشه ذى انتقام

ربه إن صدقت كل ولى
راعيا قدرهم بعين احترام

غير أن ابن سالم هو شيخى
وملاذى وعمدتى وإمامى

فى هواه المطاع طاوعت عينى
وعلى بابه ضربت خيامى

إن يكن راضيا فذلك فوزى
بجميع المنى وحسن الختام

وقال أيضا فيه :

صاح اركب العزم لاتخلد إلى اليأس ... واصحب أخا الحزم ذا جد إلى فاس

واشرح متون صباباتى لجيرتها ... وحى حيا بهم قد كان إيناسى

واقرى السلام على تلك المعاهد من ... حيران تلفظـــه ناس إلى ناس

وقل لهم ذلك المضـــنى وحقكم ... باق على العهد ذو وجد بكم راس

لايبصر الحسن إلا فى وجوهكم ... وليس يجنح فى حب لوسواس

وعج إلى حيث من عينى لفرقته ... تبكى وتزفر بالأشواق أنفاسى

ومن أنا فيـــه حيران يقلبنى ... دهرى بأنواع تهيـــام وأجناس

ومن فؤادى به مضنى يحملنى ... ما بعضه دك منه الشامخ الراسى

ذاك الذى نال مالم يحوه بشر ... من العطايا ولم يعرف بمقياس

غوث البرايا أبوالعباس أحمد من ... معناه أعظم أن يجلى بقرطاس

روح الوجود وقطب الكون مركزه ... مدده سره السارى إلى الناس

رمز الوجود وسر الحق طلسمه ... مكنونه كنزه المخفى بحراس

حقيقة الكون معنى السر يجمعه ... فيض الإله بلا لبس ولا باس

أعنى التجانى تاج العارفين ومن ... بسابغ الفضل من عرفانه كاس

ومن محبتـــه دينى وخلتـــه ... عقلى وروحى ومجلاسى وأحداسى

ومسمعى وفؤادى وانبساط يدى ... ومقلتى ولســـانى بين جلاسى

ياسامعى إن تكن للسر ذاظمأ ... لجىء لأحمد ساقى السر بالكاس

رد ورده العذب واستنشق روائحه ... تظفر بأعطار ذاك الورد والآس

واستعمل الجد فى تحصيل واجبه ... إن لم تكن فى بساط القرب ذا ياس

واهرع إليه إذا ما كنت ذا ظمأ ... واسرع إلى الله مشاه على الراس

وانهض فقد لاح للإسعاد طالعه ... وقم ولاذ للإسعاد بالناس

واخلع قلاما على قلب منمت به ... أن تنتهى إلى المنى [illegible]

وما ظنونك بالورد الذى نظمت ... فيه النبوة من يجنى بلا [illegible]

وما تظن بمنسابى لسالكه ... أمن من أهوال نيران وأرماس

يارب أدعوك بالأسما وأعظمها ... وأعظم الرسل ذى الإحسان [illegible]

وحمزة وعلى وابنيه محسن مع الحسين وزهراء وعباس
اجعل قلادة جيدى فى أصابعه • وارحم به قلبى الضنى به القاسى
وابعث له عند سمع النظم مرحمة تدنى على شقائى وإفلاسى
وعم مثواه تسليما فليس سوى تسليم ذاتك كفؤ القطب فى الناس

وهذه القصيدة لها تأثير فى نفى الكروب وانشراح القلوب كما جربت لكل من تلاها وقد بلغنى على لسان الثقة أن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه حضر بحضرته من يحسن السماع من الإخوان فأمره بقراءة هذه القصيدة السنية المذكورة ، فلما أنشدها بين يديه تواجد تواجدا لم يعهد مثله منه ، وبعد تمامها قال للحاضرين إن صاحب هذه القصيدة ما قالها إلا عن وجدان واستغراق فى حب الشيخ رضى الله عنه ، وتوحد مرتبته العليا التى لا يشاركه فيها غيره الجامعة للفردانية والقطبانية والختمية والكتمية ، ولم يمدح الشيخ بمثلها ولا بما يقاربها ، ثم قال إنكم أولادى . إنه ماضاق على أحد أمر وقرأها إلا وفرج الله كربه ، وليقرأها فى خلوة فان الإجابة لا تتخلف عنه إن شاء الله تعالى .

ومن أغرب ماصدر من صاحب الترجمة رضى الله عنه قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم استعملها فى المنام فاستيقظ وهى على لسانه وهى هذه من مخلع البسيط .

الحمد لله وهو حسبى وفاز من حسبه الحسيب
يخص من شاء لا لشىء إلا بجود له حبيب
ثم الصلاة على النبى وآدم عليه لا زيب
والآل والصحب والموالى من كل من فى الهوى نجيب
وبعد فيا خالق ثناؤه أدعو بكل الذى تجيب
أن تجمع الشمل وهو فرق بجمعه المعشوق الحبيب
الفاتح الخاتم المرجى لساعة هولها مشيب
السيد الكامل المصلى الطاهر الطيب المطيب
كنز الكمال الذى لكل وإن علا قدره نصيب
من مدحه فى الكتاب يتلى ماذا عسى يمدح الأديب

هو الرؤوف الرحيم وافى	فى توبة نصحها عجيب
فيا رؤوف ويا رحيم	ماغير وصلك لى طبيب
إن لم تدارك حليف سقم	نعيشه بعد ذا غريب
هذا بكاء أبدى بكاء	وذا اشتياق وذا نحيب
عليك من ذى العلا صلاة	من عرفها مسكها يطيب
كذاك يصحبه سلام	لاينثوى غصنه الرطيب

ومن مديحه للجناب المحمدى صلى الله عليه وسلم قوله :

كفانى من زمانى ما أقاسى	وما من أهله بالقلب راسى
قدمن فى الحقيقة غير دهر	وناس فى الحقيقة غير ناس
وما أنا فيهم إلا غريب	وإن كثر المؤاخى والمواسى
ولولا سحر ألحاظ نيام	سبانى صح من دنياى آسى
تصول به الظباء على أسود	فتخضع مذ رأت غاب الكناس
ففى كل القلوب لها جراح	وفى كل الجفون لها مقاسى
وذاب لفتكها ماكان صلبا	ولان لفعلها ما هو قاسى
فلست ترى سوى حب صريع	يقاسى فى الصبابة ما يقاسى
فكلهم وإن تاهوا فتى	قد اقتبسوا الهدى بعض اقتباس
ومن فى الناس لازمه عذاب	تزول لحمله الشم الرواسى
وكلفه الهوى بأسا شديدا	إلى عذل من الناس الخناس
سوى هذا القتيل ولا قتيل	كمقتول العناء من النعاس
ولا مثل النصال نصال جفن	تجرحن القلوب بلا مساس
على صفحات مقمر جبينا	وخد ورده من تحت آس
غزال لا يحاكيه غزال	وشمس نورها الشمس كاس
أغير المصطفى أبغى بجدى	أتى خير الأنام من التباس
من العرب الكرام أنار لما	أريد هناك تصحيح الأساس
وأومض فى ليالى السرد حتى	أبان الدين من بعد اندراس
وأطلع فى سماء الدين شمسا	فرا بين الورى أى احتراس

فصار الدين ذا وجه صحيح — وملك الحق منصوب الكراسي
وعاد الكفر من بعد اعتزاز — حليف الذل محكوم الدراس
فيا كم هد من قصر مشيد — وفرق بين جثمان وراس
بأبطال تدين القرن جبنا — وتكسوه الدماء من اللباس
عليه ما شدا في الناس شاد — سلام كل آن في اغتراس

وقال أيضا رضي الله عنه :

حبكم قد شدني من عضدي — وانتظاري لكم أغنى يدي
يا جلوسي حيث لا جلاس لي — ثم أنسي حيث لا انس لدي
شئتم كي فؤاد مغرم — فاكتوى منكم بكي أي كي
لجزمتم لي فؤادا تعبا — عجبا كيف برى الجزم بكي
أنتم أدرى بما بين الحشا — وانطوت عنه ضلوعي أي طي
افعلوا ما شئتم إنكم — كل فعل منكم عذب لدي
وإذا عنفني ذو عذل — قائلا حبك فيهم كان غي
قلت مه دعني فلو أنهم — منحوني الحب ما كنت بحي
هم فؤادي وحياتي مثل ما — أنهم سمعي ومرأى مقلتي
يا أناسي حيث ما أنتم أنا — ونزهتم عن الشبه بشي
فاكشفوا عن عين قلبي غشوة — واقلعوا لي صمما في أذني
كي أرى بعضا من الحسن الذي — دونه الأفكار في عجز وعي
ونعي نحوكم أذني وإن — كنت أرجو منصبا صعبا علي
فأرى منكم رضا يلبسني — تحت أطباق الثرى أحسن زي

وسأله رضي الله عنه العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع عما شاع في ذلك الوقت،
بتونس عن خبر فناء العالم ونسبوه لسيدنا رضي الله عنه بقوله :

أيا من رقا أوج المعالي وقد غدت — إليه مقاليد العلوم تسلم
لقد ظهرت رؤيا لها نسبة إلى — إمام له بين الأنام تقدم
همام على دست المعالي وقد علا — مراتبه من موقع النجم أعظم
ملخصها أن الأنام جميعهم — لذا القرن تفنى دون ريب وتعدم

أهل هو مما صح عندك نقله عن الشيخ أم المين فيه توسم
أجبنا رعاك الله عن كنه أمرها فأنت بها من غيرك اليوم أعلم
لأنك ممن خاض لجة بحره وأضحى بتحقيق لها يترنم
بقيت لنا كنها وللحق ناصرا وللصعب من دأب الغواية تحسم
ويطلب رب النظم حسن دعائكم ألا وهو المدعو محمد بيرم

فأجابه بقوله مكذبا لذلك :

أيا من سبا الألباب لطف كلامه كما أنه في الأذكياء مقدم
أتتني من سحر البيان قصيدة وما هي إلا عقد در منظم
تسائل عما شاع في الناس ذكره أهل له أصل في الثبوت مسلم
نعم هو ريب دون مين وماله ثبوت وأمر الشيخ أعلى وأعظم
جزى الله خزيا مفتريه وذلة ومأواه إن لم يعف عنه جهنم
فهذا جواب الذي هو طالب حقيقة هذا الأمر والله أعلم
ويسأل إبراهيم من فضل ربه لك الأمن في الدارين وهو يسلم

وسأله العلامة الشيخ أحمد بن بابا العلوي الشنجيطي صاحب منية المريد وقت وفوده إلى تونس وذلك في شوال سنة ١٢٦٠ بقوله :

يا بهجة الأمصار والأعصار وقرة الأسماع والأبصار
ونخبة الأخيار والأبرار وحقة العلوم والأسرار
يابدر ماذجى من المسائل جوابكم ياسيدى لسائل
يسأل عن مسئلة قد عنت مسترشدا وليس بالمعنت
وهو امرؤ لوجهه قد سألا هل خلق الرسول ربنا علا
لجملة لم ادره الجوابا ووجد أن علمها الصوابا
قالت بأنها لذاك تدري وإنما اعتراه ضد الذكر
فما تقول سيدى في عصمته أبقاك ربك لأهل ملته
بجاه سيد الوجود أحمدا شفيعنا يوم القيامة غدا
سيد كل سيد وفائقه عليه أزكى صلوات خالقه

فأجابه رضي الله عنه بقوله :

أحمد ربي ملهم الرشاد ... مصليا على الرسول الهادي
وآله وصحبه وكل من ... سلك في اتباعه هدى السنن
هذا وليس في الذي جرى حرج ... ولا النكاح عن سبيله خرج
فليطب الزوج بذاك نفسا ... فهي لعمري لاتزال عرسا
هذا جوابي غاية في الاختصار ... وحيثما أفاد فالتطويل عار
وما به كان افتتاح النظم ... به بحول الله حسن الختم

ومن فوائد صاحب الترجمة التي تلقاها عن الخليفة الأعظم سيدنا الحاج علي حرازم رضي الله عنه وكتبها له بخطه مجيزاً له بما نصه :

مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة ، فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية الحاجة التي تريدها ثم تقول: يارب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة التي أريدها مائة مرة ، ثم تقول : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدي أحمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا وتسمي حاجتك بعينها عشرا ، ثم تصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبها ثلاثا ، أي هذه الصلاة الأخيرة اه

وقد تقدم لنا سبب أخذ صاحب الترجمة الطريق سيدنا رضي الله عنه وحدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعنا الله به في كيفية اجتماعه بالخليفه الأعظم سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه ، أنه رضي الله عنه لما وصل تونس دخل لأحد مساجدها وكان ذلك المسجد يدرس فيه أحد الشيوخ الكبار العلم الشريف وكان من جملة الطلبة الذين يحضرون مجلسه صاحب الترجمة فاتفق أن جلس قبل إتيان الشيخ المدرس لدرسه بجنبه وصار يتحدث معه إلى أن سأله عن أحواله وما السبب في ترحاله وما مقصوده في ذلك كله ، فأجابه بما اقتضاه حاله في ذلك الوقت إلى أن قال له ولابد لك من الدخول لطريق المعرفة وما جئت إلى هنا إلا من أجلك ، والدليل المقوي لصحيح اعتقادك فيما قلته لك هو أن الشيخ لايأتي اليوم للدرس ، فتعجب صاحب الترجمة من أقواله وما رآه من أحواله ، وكان ذلك الوقت أول اجتماعه به ، فقال له إن لم يأت الشيخ اليوم فلابد أن يكون لك شأن عظيم عند

الخاصة والعامة . وتظاهرت عندى الكرامة التامة ، ثم ثبت ماقاله الخليفة سيدنا الحاج على رضى الله عنه بعدم مجيء الشيخ الدرس ، فتشبث صاحب الترجمة بأذياله وطلب منه أن يذهب معه ليبيته فى المدرسة ، وأن ينزل عنده فأجابه لذلك ولازال الخير يأتى إلى أعم من كل المسالك ، فنزل عنده ببيته مدة إقامته بتونس ، وتلقى منه الطريقة التجانية كما تقدم ، وصار يأخذ عنه فى تلك المدة معارف وأسرارا ويقتبس من علومه أنوارا إلى أن قال له يوما لابد أن تذهب سفيرا إلى بلاد المغرب وتتلاقى مع أميرها ويكون من أمرك كذا وكذا فإذا ذهبت لتلك الديار فعليك أولا بزيارة سيدنا الشيخ رضى الله عنه . والزمه طول المقام هناك فى الليل والنهار فصار صاحب الترجمة يتعجب من أن يكون له هذا الأمر بعد أن تحقق أن كل ما أخبره به سيدنا الحاج على رضى الله عنه لابد من وقوعه .

وكان من قدر الله أن حدثت المسغبة بالبلاد التونسيه سنة ١٢١٨ واحتاج الناس للميرة من سلطنة المغرب ، فأمر أمير تونس حموده باشا أن يذهب الشيخ سيدى صالح الكواش رضى الله عنه سفيرا لأجل ذلك إلى سلطان المغرب مولانا سليمان قدس الله روحه فى الجنان فاعتذر الشيخ المذكور لكبره ووهن عظامه وعدم قدرته على السفر مع تزايد سقمه ، وأشار عليه بإرسال تلميذه صاحب الترجمة ، ونوه بقدره عنده ، وأنه إن أرسله ينل مقصوده ، فأمر الأمير بتوجيه صاحب الترجمة لهذا المقصد وسافر إلى الديار الغربية إلى أن وصل بالسلامة .

ولما بلغ إلى حضرة فاس مشى أولا لدار سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، عملا بوصية الخليفة الأعظم رضى الله عنه . ولما استفتح الباب أجابته خادم هل أنت إبراهيم الرياحى التونسى ؟ فقال لها نعم . فقالت له : ان الشيخ رضى الله عنه أخبر بمجيئك وأذن لى فى ادخالك من غير استئذان . وأدخلته فوجد بدار الشيخ رضى الله عنه جماعة من أصحابه الذين فازوا بالاجتماع بسيدنا رضى الله عنه ، ثم قدم إليه قدح من لبن فشربه ، وبعد ذلك خرج إليه جناب سيدنا الشيخ رضى الله عنه من خلوته ، وذلك بعد أن أدى تحية الاجتماع به أخبره سيدنا رضى الله عنه بوفاة شيخه الشيخ صالح الكواش ، وأنه كان فى جنازته وذلك يوم الاثنين السابع عشر من شوال سنة ١٢١٨ ، وبعد ماقضى صاحب الترجمة وطره من الزيارة لجناب سيدنا

رضى الله عنه ، توجه الحضرة السلطانية فقابلته بما يليق بالجنابين من الإجلال والإكرام ، وصار يتردد إلى الجناب العالى إلى أن نال منتهى المرام ، ورجع بالسلامة إلى قراره محرزا غاية آماله وأوطاره

ومن ذلك الوقت صار يلهج سلطان المغرب قدس سره به ، ويكاتبه المرة بعد الأخرى بما يستحقه من المحمدة والمكرمة .

ولصاحب الترجمة فى مدح جنابه الأفخم قصائد عديدة ضربنا عنها صفحا ، ولما كانت سنة ١٢٢٨ شاع الخبر بتونس أن ابن السلطان مولانا سليمان الذى أنابه عنه فى حج بيت الله الحرام قاصدا المرور على طريق تونس ، فاستحضر له صاحب الترجمة قصيدة ليتلقاه بها لكن تبين له أنه رجع من حجه إلى حضرة فاس فأرسلها إلى حضرة والده مولانا سليمان وهى مشتملة على ستين بيتا مطلعها :

هذا المنى فانعم بطيب وصال ... فلطالما أضناك طول مطال

ماذا وكم أوليتنى يامخبرى ... بقدومه من منـــة ونوال

بشرتنى بحياتى العظمى التى ... قد كنت أحسبها حديث خيال

بشرتنى بابن الرسول لو انما ... روحى ملكت بذلتها فى الحال

بشرتنى بسلامة الخلفاء من ... أمداحهم تسلى بكل مقال

من حبهم فرض الكتاب أما ترى ... إلا المودة حين يتلو التالى

إلى أن قال فى خطابه :

لكم الفخار بذاته وسواكم ... مستمسك من بحركم بظلال

ولى الفخار بأن نسجت مديحكم ... حللا تجـــدد كل شىء بال

أملى معانيـــه على ودادكم ... لجرى به طبعى كما السلسال

ولو اننى حاولت مدح سواكم ... عقد القريحة عنـــه أى عقال

فكأنما طبعى شريف حيثما ... لايهتدى لسوى مديح الآل

أو قد درى أن المديح تعرض ... وسواكم لايرتضى لسؤال

أبقاكم كهفا يلاذ بجده ... مختـــاركم لإنالة الآمال

إلى آخرها وقد أجاب الأمير المذكور صاحب الترجمة بقصيدة غراء منها :

حييت فاحييت قلب صب صال ... كيما تبشره بقرب وصـــال

واستفتحت بعد التحية سورة ا	فتح المبين بقصد أخذ الفال
هيفاء ترفل فى مطارف سندس	من نسج تونس لا تسام بمال
مخضوبة الكفين والقدمين فى	طول القنـــا ملوزة بدلال
بينا نسائل بعض أتراب لها	إذ أسفرت عن وجهها المتلالى
فتضاءلت اسناء أقمار الدجى	والصبح أصبح كالقميص البالى
فحسبتها الدر الثمـــين ملاحة	أو بنت فكر السيد المفضال
العالم العلم الذى أهدى لنا	درر المعالى بل عقود لآلى
أدت قريحتـه وثاقب ذهنه	ما أعجز البلغاء لبعد منال
يا أهل تونس حزتم شرفا بما	أبديتم من صالح الأعمال
يكفيكم أن فيكم هذا الذى	حلت بلاغتـــه محل كمال

إلى آخرها وقد وقفت على شرح لطيف عليها لأحد الأدباء المعاصرين من أهل فاس ومزجها بالشرح مزجا عجيبا وسلك فيه من الإنشاء فنا غريبا وهو العلامة الفقيه والأديب الوجيه أبو الحسن سيدى على المتيوى رحمه الله تعالى .

ولنذكر هنا صورة رسالة كتبها الأمير المذكور لصاحب الترجمة بعد القصيدة المتقدمة اتعلم جلالة جناب هذا السيد رضى الله عنه ، ونص المقصود منها هذا بحول الله كتاب كريم يغنى روض خطابه عن أزهار الجزاء العميم ، من العبد المتوكل على ربه فى السر والإعلان أمير المؤمنين سليمان عمه الله بالعفو والغفران إلى الشيخ المجلى فى حلبات الأدب على كل من لأسرار البلاغة انتسب الشاعر المطبوع الرابط بحبل أساوبه البديع بين كل محمول وموضوع ، العالم النقاد السالك على سنن النساك والزهاد تاج المعرفة فى الإقليم الافريقى أبى إسحاق سيدى ابراهيم الرياحى ، لازالت نافحة مجاسنة يضوع عبيرها بأقصى النواحى ثم عليه من السلام مايسمو به فى سماء العز سمو بدر التمام ، أما بعد الخ

ومن جملة الرسائل التى خاطبه سيدى الشيخ التجانى رضى الله تعالى عنه بها لما طلب منه الاذن فى الطريق المحمدية قوله رضى الله عنه :

بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إلى حبيبنا الفقيه الأنبل النبيه الأفضل أبى إسحاق سيدى ابراهيم الرياحى بتونس ، سلام الله وتحيته

ورحمته وبركاته وإبراره ورضوانه وإحسانه وإكرامه وإنعامه وإعظامه ، عليك وعلى آلك ومن لاذ بجنابك من الأهل والجيران ما تعاقبت الأعصار والأزمان وإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد وصلنا كتابك الكريم وخطابك السليم . فقد أجزتك وأذنتك فى ذكر الورد الكريم المبارك العظيم ، فشد حيازمك فيما أنت بصدده ، وأيقظ نفسك من نومها ، ولا تعطها طوعا فى بطالتها ، فإن الأمر جد لا هزل ، وقف على ساق الجد والكد فإن الفقير الناقص لميزانه عقوبته شديدة ، وحسرته عليه باقية ، وكن على يقين من أمرك ولا تهمل ما كلفت ولا تتعاط ما استكفيت ، فإن طريقتنا هذه المحمدية قد خصت من الله عز وجل بخصوصية على سائر السبل ، يكل اللسان عن تبيين حقيقتها ، ولا ينتظم فيها ولا يأوى إليها إلا المقبولون فضلا من الله عز وجل ، ولو كشف الغطاء عنها لاجتمعت إليها أعيان الأقطاب ، كما يجتمع رعاة السنين إلى الغمام ، ولولا ما نهيت عنه من التصريح لأحد بالأخذ لها لكان الواجب فى حق كل من نصح الأمة حض الناس عليها والإتيان إليها ولكن لا مندوحة عن الوقوف عندما حد ، فتنبه وتبصر ، ولا تغتر إذ الطرق كلها آخذة بحجزتها ، لأنها أصل كلية الطرق ، منذ نشأة العالم إلى النفخ فى الصور بوعد صادق من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

ثم أذنت لك إذنا كليا كافيا متماديا من الآن إلى الأبد بلا تبديل ولا تحويل بشرط قطع زيارة الصالحين بحذافيرهم إلا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم لاغير ، وقد من الله علينا بجوهرة الكمال (١) أن كل من ذكرها اثنتى عشرة مرة على طهارة كاملة وقال هذه هدية لك يارسول الله فكأنما زاره صلى الله عليه وسلم فى روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله الصالحين من هجرته صلى الله عليه وسلم إلى حين الذكر . فتنبه رحمك الله إلى هذه المنح العظيمة واليواقيت النفيسة التى من الله الكريم بها علينا من دون سائر الطوائف وطريقتنا مكتومة إلا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه عالم بها وبحالها جعلنا الله وإياكم (٢) ممن تمسك بها

---

(١) هذه إحدى الروايات لجوهرة الكمال فى نيل ثواب الزيارة اهـ المؤلف .

(٢) فإن قلت كيف دعا سيدنا رضى الله عنه بذلك لنفسه مع أنه إمام هذه الطريقة فالجواب أن هذه الطريقة طريقة أخذها عن النبى ﷺ فهو كالمقدم فيها فدعا بذلك لنفسه وسيأتى فى بعض التراجم تحقيق ما قلناه اهـ المؤلف

وانخرط فى سلكها فى الحياة وفى الممات ، فى سلامة وعافية وأمانة إلى الاستقرار فى أعلى عليين بجوار سيد المرسلين .

وإياك ثم إياك العجز والكسل والحرج والتوانى فيما أمرت به والجلوس فى موضع الريب والضلال ، وأوصيك بتقوى الله فى السر والعلانية واتباع السنة فى كل قاصية ودانية وشاذة وفاذة فى الأقوال والأفعال ، والرضى عن الله فى الاقلال والإكثار والإقبال على الله ومراقبته فى جميع الأحوال والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار وتحكيم السنة على جميع الخطرات ، وعليكم بالاستقامة فى جميع الحركات والسكنات ، وأوصيكم بالصبر، ومصاحبة الذكر والجثوم إلى الله بكليتكم بشرط ترك الفضول . والصبر على الأذى أقرب للسلامه وأحمد فى العاقبة ، وأسأله تعالى أن يرزقكم تسديده وتوفيقه وتأييده ، وأن يسعدكم وأن يتولى أمركم بما تولى به خواص عباده المحبوبين لديه وأهل الصديقية العظمى والولاية الكبرى ، بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعلكم فى كنفه وكفايته وكلاءته وولايته ووقايته وهدايته وحراسته وحياطته وغفارته وصيانته وعزته ومنعته إنه المستعان وعليه التكلان ، وأن يجعلكم من أوليائه الذين ذكروه خوفا وطمعا وتعظيما لجلاله وأن يكسوكم حللا من نسج مودته ، وأن يلبسكم النور الساطع من مسرته ، وأن يوقفكم على باب النظر من قربه وأن يطهر أبدانكم بمراقبته وأن يطيبكم بطيب أهل معاملته ، وأن يضع على رؤوسكم تيجان مسرته ، وأن يرفع لكم أعلام الهداية إلى مواصلته ، وأن يجلسكم على كراسى أهل معرفته ، وأن يشفى عالكم كلها بحكمته ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اهـ

فانظر رحمك الله إلى هذا الدعاء من سيدنا رضى الله عنه إلى هذا السيد الجليل تعرف قدره الذى هو بكل خير فى الدارين كفيل فهنيئا لسيادته ثم هنيئا به ، رزقنى الله مع المحبين نفحة من نفحاته ، ونفعنا ببركاته آمين .

ومن جملة ما خاطبه به سيدنا رضى الله عنه يسأله عن أحواله المرضية ويدعو له بما فيه السعادة الأبدية قوله رضى الله عنه : بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه ، يصل الكتاب إلى يدى حبيبنا ورفيع المكانة

فى قلوبنا سفير وجوال بحور العلوم وغواص ميادين الفهوم سيدى إبراهيم الرياحى التونسى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى كافة أهلك وأولادك وعلى كل من يلوذ بك وينتسب إليك . من كاتبه العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى . وبعده فالسؤال منا عن أحوالك كيف أنت وكيف هى أحوالك أجراها الله على طبق رضاه ونسأل الله عز وجل لك أيها السيد الكريم أن يرزقك بين يديه وقفة كاملة صافية خالصة منه إليه وبه ، تفوق موقف أكابر الصديقين والواصلين ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يهب لك هذه الوقفة بين يديه حالا ومآلا فى الدنيا والآخرة وأن يهيء لك فى تلك الوقفة خصوصية عظمى ، وموهبة كبرى ، ومقربة زلفى ، علما وعملا وحالا وذوقا وتحققا ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يجعل نظرة فيك فى الدنيا والآخرة بعين عنايته ومحبته ورحمته واصطفائه واجتبائه وأن يكفيك جميع المهمات وأن يكمل لك جميع المرادات إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ إلى غير ذلك من مزايا صاحب الترجمة رضى الله عنه . وفيما ذكرناه كفاية وله تآليف عديدة ومقالات مفيدة ، وقد ألف فى التعريف به بعض العلماء من أحفاده تأليفا سماه نعطير النواحى بترجمة الشيخ سيدى ابراهيم الرياحى وقد اقتطفنا منه بعض الفوائد ، مما ليس عندنا وأدرجناه هنا تتميما للفائدة .

توفى صاحب الترجمة رضى الله عنه فى سابع عشرة رمضان المعظم عام ست وستين ومائتين وألف ، وضريحه الشريف بتونس يقصد للزيارة من سائر الأقطار لقضاء الأوطار رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

الفقيه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله :

ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة حامل مذهب الامام مالك والسالك فى العلوم أقوم المسالك ، خزانة الأسرار العرفانية وترجمان الطريقة التجانية الشريف المنيف أبو عبد الله سيدى محمد بن المشرى رحمه الله تعالى .

كان رحمه الله من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه والوارثين من منهل علومه الوهبية والمطلعين على بعض أسراره الغيبية ، وقد اتخذه رضى الله عنه إماما فى الصلاة وكاتبا له يقوم مقامه فى الرسائل والأجوبة ، ومؤلفا لما سمعه

أو عليه أملاه ، وكان أول اجتماعه به عام ثمانية وثمانين ومائة وألف وهو العام الذي قفل فيه من حجه لتلمسان .

قال في البغية : وفي هذا العام عام قفوله من حجه للحضرة التلمسانية أعادها الله دار إسلام حظي باللقاء مع صاحبه وخازن أسراره الفقيه العلامة الإمام القدوة المبجل الهمام أبو عبد الله سيدي محمد بن المشري الحسني السايحي التقرتي الدار وهي أي تقرت بلدة معروفة من عمل قسمطينة في الجزائر رحمه الله تعالى ورضي عنه فخص منه إذ ذاك بتلقينه إياه الطريقة الخلوتية ، وتلقى منه أسرارا وأذكارا أخر حسبما أخبر بذلك عن نفسه رحمه الله ونفعنا به ، وبقي في صحبته من ذلك الوقت إلى أن توفي رحمه الله سنة أربع وعشرين ومائتين وألف .

وهو الذي ألف كتاب الجامع لما افترق من العلوم وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء ، وكان سيدنا رضي الله عنه اتخذه إماما يؤم به في الصلاة لأنه رضي الله عنه كان في ذلك الوقت لايحب أن يصلي إماما إلا إذا كان داخل داره فيؤم أهل داره وعياله . وفي عام ثمانية ومائتين وألف تصدى للإمامة بنفسه لموجب قام به في ذلك الوقت قاله في الجواهر .

وبلغنا من طريق الثقات من أصحابه رضي الله عنه أنه فعل ذلك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول أمرني من لا تسعني مخالفته أن لا أصلي خلف أحد ماعدا الجمعة وكذا كان رضي الله عنه إذا كان فرضه التيمم وحضرت الصلاة وهو مع أصحابه صلى بهم ، والحال أنهم متوضئون ، لكن بعد أن يقول لهم إن فرضي التيمم فإن شئتم ان تجتمعوا على إمام فافعلوا ، فلاينكر على من اجتمع إلى غيره ومن صلى معه أقره على فعله بناء على قول ابن العربي وابن الماجشون في ذلك ، كما هو معروف في المذهب، مع اطلاعه رضي الله عنه على ماهو في نفس الأمر من الفضيلة في الصلاة خلف أمثاله ، ولعلنا نتعرض لما في الصلاة خلف العارفين بالله فيما سيأتي إن شاء الله .

ووجه بيانه رضي الله عنه على الخوف من أن يكون من لا يريد أن يعمل إلا على المقابل لقول الشيخين المذكورين وهو جار في ذلك رضي الله عنه على قاعدة الورع في نظائر المسألة ظاهرا والله أعلم وكان من وظيف الناظم رحمه الله أن

لا يغفل عن التنبيه على أن هذا الزمن هو زمن اجتماع هذا السيد الجليل القدر بسيدنا رضي الله عنه ، وقلت فيما يشير إلى ذلك لمن أراد أن يلحقه في هذا المحل ما نصه :

وجاءه إذ ذاك سامي القــدر ... فرد السنا سيدنا ابن المشرى

ففــاز منه ثم بالتلقين ... عن شيخه الكردي الرضي الأمين

الخ فيها الخ . وقال عند قول المنية في تعداد من حصل له الفتح على يد سيدنا رضي الله عنه .

وكالفقيــه العالم ابن المشرى ... صاحب شيخنا رفيع الذكر

ما نصه : وأما الفقيه العالم سيدي محمد بن المشرى فهو صاحب سيدنا وخازن أسراره وقد تقدم بعض التعريف به وشهرته كافية ، وهو الذي ألف نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء وغيره حسبما تقدمت الإشارة إليه ، وكان قوي الحال في المحبة ، ومما يؤثر عنه في ذلك أنه مر وهو راكب على فرس أنثى بضريح بعض أهل التصرف بالصحراء وهو من أجداده رحمه الله تعالى فساخت بعض قوائم الفرس ، فالتفت إلى ذلك الضريح وقال له والله حتى تسرح فرسي أو أشكوك إلى الشيخ يتصرف فيك فسرحت الفرس كأن لم يكن بها شيء .

هذا من غرائب أوصاف المحبة .

توفي رضي الله عنه في الصحراء سنة أربع وعشرين ومائتين وألف اهـ

وقال في جواهر المعاني في تحلية صاحب الترجمة بعد ذكر صفات سيدنا رضي الله عنه ما نصه :

ومن جملة صفاته رضي الله عنه أنه لا يؤم أحدا إلا أن يكون في داخل داره وعياله ، ويصلي هو خلف الأئمة إلا أن يكون مانع شرعي ، كأخذهم الرشوة أو غيره فلا يصلي وراءهم وهذا كان في ابتدائه وكان له إمام وهو العالم العلامة الدراكة الفهامة الجامع بين الحقيقة والشريعة والإفادة وعلوم الطريقة خازن سره ، وحافظ عهده ومحل وده وخليل أنسه أبو عبدالله سيدي محمد بن محمد المشرى الشريف المنيف الكامل العفيف الحسني السائحي السباعي أصلا التقرتي الموطن من خطة الجريد وهي معروفة من عمل قسمطينه ودارهم دار علم وصلاح ورشاد وفلاح ولا زالوا إلى الآن من العلماء العاملين والأئمة المهتدين وجلهم أخذ طريقة شيخنا رضي الله عنه ،

ويقصدونه بالزيارة من بلدهم نحو عشرين يوما أو أزيد ويأتون بالأموال العظيمة لسيدنا رضى الله عنه دراهم وكسوة وتمرا ، وقد وافيتهم مرارا متعـــددة عند سيدنا ، ولارأيت أحسن منهم سمتـــا ودينـا وعقلا وحلمهم علماء منذ عرفنا سيدنا رضى الله عنه وتأتيه الوفود من جميع النواحى والهدايا ، ما رأيت أحسن منهم فى الأدب والتعظيم وحسن النية ، ويعاملهم سيدنا رضى الله عنه بما لايعامل غيرهم من الاعراض عنهم وبعدم المبالات لهم كما يفعل مع غيرهم فكلمته رضى الله عنه فى ذلك فقال لى ليسوا كغيرهم إنما يطلبون المقامات العلية والأحوال السنية رضى الله عنهم ولا حرمنا وإياهم من خير هذا السيد الكريم ، ولازال هذا السيد رضى الله عنه مع سيدنا رضى الله عنه من سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف إلى الآن وهو مع سيدنا بفاس عام ثلاثة عشر ومائتين وألف ، فلما وصل سيدنا رضى الله عنه سنة ثمانين ومائتين وألف تصدى للإمامة بنفسه رضى الله عنه لموجب قام به لاينفك عنه ولاتصح صلاته إلا بنفسه ، إلا إن قام به عذر شرعى ، فهو رضى الله عنه يصلى إماما بالناس إلى الآن ولايصلى خلف أحد إلا فى الجمعة وشهر رمضان سنة ١٢١٣ .

وهو أحد المفتوح عليهم بهذه الطريقة المحمدية فى قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ولذلك أمره بالسفر من البلد الذى هو فيها رضى الله عنه ، قال فى كتابه الجامع : وسمعته رضى الله عنه يوما يقول : إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك ، فقال له بعض أصحابه منك أو من الله ؟ فأجابه بقوله من الله تعالى من غير اختيار منى الخ .

قال فى البغية بعد أن تكلم على أن خروج الخليفة سيدى الحاج على حرازم ، كان بعض الجلة من الأصحاب يراه من أجل ما ذكر من الفتح المذكور والقيام بالتربية كما هو مشهور ، مانصه وقريب من هذا خروج مؤلف الجامع العلامة القدوة البركة سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه من فاس إلى الصحراء إلى أن توفى بها كذلك أيضا ، وهو أنسب بحاله وبمقام الشيخ رضى الله عنه مما يجعله بعض الأصحاب سببا لخروجه وسفره عن الشيخ رضى الله عنه إن ثبت شىء من ذلك الذى يشاع بين الاخوان اليوم فهو من الأسباب الظاهرة التى هى من جملة مايستر الله به على أوليائه

مقاماتهم وأحوالهم معه سبحانه ، والكف عن متابعة من يشيع ذلك من آكد مايتنبه عليه الإخوان بعضهم بعضا لتخلص لهم النية في الخواص من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذي لايبعد أن يكونوا من هذه الطائفة المخصوصة بما ذكره الشيخ رضي الله عنه من الفضيلة الباهرة والمكانة الفاخرة إذ لا أقل من أن يحرم بركة الاعتقاد الجميل فيهم من ينصت إلى شيء مما يشير إلى تنقيصهم ، ومن حرم بركة الاعتقاد الجميل في مثل هؤلاء حرم الخير الكثير إن سلم له ماهو ، أعاذنا الله تعالى من بلائه بمنه إلى آخر كلامه رضي الله عنه .

وبعض مايشاع على الالسنة مما لاينبغي أن يلتفت إليه هو أنه إنما سافر لما وقع من تغير خاطر سيدنا رضي الله عنه للأمر ذكره صاحب الإفادة ولم يسم صاحب الترجمة ، وإنما أشار إليه عند ذكره لقول سيدنا رضي الله عنه مخاطبا له أنت اذيت نفسك وءاذيتني في أصحابي والآن قم وتسامح معهم أين ماكانوا : مانصه سببه أن بعض الأحبة وكان رحمه الله ملازما له نحو الثلاثين سنة وكان يؤم سيدنا رضي الله عنه في الصلاة قبل أن يؤمر أن لايصلي خلف أحد ووقع منه تخليط في الكتابة بين الأحباب فنزلت به مصيبة في يديه وحل به بلاء عظيم ، فاجتمع بسيدنا رضي الله عنه وجعل يرغبه ويتملق بين يديه يدعو له برفع الله ذلك الألم عنه فقال: أنت إلى آخره ، وسافر رحمه الله لتلمسان كما أمره وللجزائر ولأبي سمغون ولمين ماضي على حاله بعد ماتسامح مع من بفاس من الأحباب ، وتوفي رحمه الله تعالى من ذلك المرض بعين ماضي وأمر سيدنا رضي الله عنه بتجديد الإذن الذي أخذ الورد عنه أين ماكانوا اه

وقد وقفت على رسالة بخط صاحب الترجمة إلى سيدنا رضي الله تعالى عنه يشتكي مما أصابه من ذلك الألم وما حصل له من الاشتياق إلى الاجتماع به والنظر لوجهه رضي الله عنه ، وهذا نص المقصود منها كما نقلتها منه مباشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قدوتنا وسندنا سيدنا ووسيلتنا إلى الله قطب الأقطاب مولانا أبو العباس أحمد ابن محمد التيجاني جمعنا الله معه في دار التهاني ، وأروانا من بحر حبه وفيض أنواره ومدد عرفانه بأعظم الأواني آمين .

وبعد فإن سأل السيد عن عبده فإنه بخير مادام تحت نظره ، متشوقا لنواله داخلا في حمايته ، إلا أن اليد الموجوعة إلى الآن لم يغن فيها دواء صنعت لها دهن بوناتيع وأتقنته ودهنتها به مدة مع عدم مس الماء ولم يفد ، وعالجتها بأمور أخرى ولم تفد كذلك فما بقي إلا دواؤكم النافع الشافي ، وأما أحوالنا فإننا بخير ولله الحمد وله المنة بفضلكم علينا إلى أن قال : وقد سألناكم بجاه أفضل خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأحبهم إليه أن تدعوا الله لنا بالجمع معكم وعدم مفارقتكم إلى الاستقرار في عنين ؛ فقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، ومرضت قلوبنا من هذا الحال ومن فراقكم في كل عام فلم نطقه ، وما كبر علينا إلا في هذه الساعة ، وقد تحيرنا غاية الحيرة ففاتنا التمتع بجلوسكم والنظر في طلعتكم الزكية ، ومع هذا إننا مهملون لادنيا شغلتنا عنكم ولا عبادة ، وهذا كله من عدم صدقنا معكم حتى أهملتمونا حتى ضاعت أعمارنا سبهللا فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إن لم تنظروا فينا بعين الرضى فقد هلكنا . وهذا الهذيان حصل من وحشتكم والغربة وقلة المساعد في كل أمر . نسأل الله أن يرزقنا الرضى منكم والقبول على النحو عليه آمين والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اه

ووقفت على رسالة أجاب بها سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه سيدي المشري الأديب ولبس صاحب الترجمة عن أمور منها طلب النصيحة ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم بحمد الله يصل الكتاب إلى محبنا وصديقنا وأعز الناس عندنا سيدي محمد المشري بن المرحوم سيدي العربي رحمه الله ، السلام عليكم وعلى من تعلق بك من أهل وأولاد وخدام وتلامذة وأصدقاء من كاتبه إليك وصريد أشير كله إليك علي بن الحاج عيسى .

وبعد نسأل الله عز وجل أن يكفي عنا وعنك جميع شر خلقه وأن يرزقنا وإياك محبة سيدنا آمين إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وقد بلغنا مكتوبك وفهمناه ، وأما قولك : أحب النصيحة لله ولرسوله فهذه الساعة التي نحن فيها لم تبق فيها نصيحة (١) ولا حيلة . لأن الله تبارك وتعالى حكم على عباده بفساد الأرض وأهلها لم يبق شيء من العمل إلا الذي رزقه الله محبة سيدنا رضي الله عنه ظاهرة وباطنة

---

(١) النصيحة واجبة حيث يظن فيها الإفادة لا الضرر . المصحح

ونطلب الله عز وجل والقطب الأعظم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يرزقنا وإياك محبته ومحبة سيدنا رضي الله عنه ويحشرنا وإياك وجميع الأحباء في زمرته وأن يجعلنا وإياك في جوار سيدنا رضي الله عنه وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله من كاتبه على بن الحاج عيسى اه

وإنما ذكرت هذه الرسالة هنا وإن كانت لغير صاحب الترجمة لئلا يقع الغلط بها ، وقد أذكرني قوله رضي الله عنه هذه الساعة التي نحن فيها لم يبق فيها نصيحة قول القائل :

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا ... وأعقبني نصحي بدار هوان

فإن عشت لم أنصح وإن مت فالعنوا ... ذوى النصح من بعدى بكل لسان

وفي ضد هذين البيتين يقول شيخنا ومولاى ابراهيم الشريف العلوى رحمه الله:

نصحت ففزت بالفلاح حقيقة ... وأورثني نصحي بلوغ أماني

فلا زلت ذا نصح وإن مت فارحموا ... ذوى النصح من بعدى بكل زمان

سيدى محمود التونسى رضي الله عنه :

ومنهم الولى الكامل والعارف الواصل ذو الفتح الكبير والفضل الشهير سيدى محمود التونسى رضي الله عنه . هذا السيد الجليل من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه المقربين إليه والملحوظين بعين العناية لديه ، وكان شديد المحبة في جناب سيدنا رضي الله عنه مع الصدق التام في كل مايحاوله له في السفر والحضر ، وشدة اعتنائه بامتثال مابه سيدنا رضي الله عنه أمر .

حدثني المقدم البركة سيدى الطيب السفياني أن صاحب الترجمة كانت له دنيا واسعة ، ولما سمع بسيدنا رضي الله عنه في بعض البلدان التي كان قريبا نازلا قصد الرحلة إليه ولما اجتمع به رضي الله عنه طلب منه الدعاء فدعا له ، ثم طلب منه أن يعلمه الكيمياء فلما سمع منه سيدنا رضي الله عنه ذلك زجره ، وقال له اخرج من هذا البلد الساعة وإياك والمبيت به ، وإلا يحل بك كذا وكذا . فقام وهو يعثر في ذيل الخجل وخرج امتثالا لأمره ، وفي الغد رجع إليه ، وصار يتملق بين يديه وتبرأ من جميع مايملك ، وطرح نفسه بين يديه كالميت بين يدى غاسله ، فحينئذ أقبل عليه سيدنا رضي الله عنه ولقنه الطريقة المحمدية ، وقد ترجم له في البغية عند قول المنية

فى من فتح عليه بالولاية الكبرى من أجل صحبة سيدنا رضى الله عنه

والتونسى سيدى محمود   صفى شيخنا كثير الجود

ما نصه : وأما العارف بالله تعالى سيدى محمود التونسى فهو من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ومن المشهود له بالولاية والفتح الأكبر

وسمعت بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه يقول إنه أحد من ورث بعض أسرار الشيخ رضى الله عنه وإنه نزل به عند وفاة الشيخ رضى الله عنه حال عظيم أثر فى ذاته حرارة خارقة للعادة كانوا يرون أن ذلك من أثر ما يحمله من الأسرار، وبقى على تلك الحالة إلى أن لحق بالشيخ رضى الله عنه بنحو شهر وثمانية عشر يوما.

وكان ممن شهد له الشيخ رضى الله عنه بالأمانة ، وذلك فى قضيـــة قال فيها رضى الله عنه كل من تصرف لى فى شىء من المال ظهرت عليه خيانة أو ريبة إلا سيدى محمود ، وكان ذلك من الشيخ رضى الله عنه فى معرض تحذير المريد من خيانة شيخه ، ومعلوم أنه من أعظم ذنوب المريدين مع أشياخهم عند أهل الطريق .

وحدثنى الثقة أن سيدى محمودا رضى الله عنه كان يتصرف لسيدنا الشيخ رضى الله عنه وهو بفاس فى جميع ماله الذى بالصحراء ، فكان يأتيه فى كل مرة بمال له بال مما يجمعه من أثمان صوف وسمن وأكباش وتمر وغير ذلك . وهذا القدر من المال يستغرب السلامة من الوقوع فى شىء منه فى هـذا الزمان ، ومع ذلك شهد له الشيخ رضى الله عنه بما شهد من الأمانة ومناقبه كثيرة . وكانت وفاته حسبما رأيت بخط الفقيه العلامة سيدى التهامى بن حمد السقاط الفاسى نصف ليلة الثلاثاء الخامس من ذى الحجة متم سنة ثلاثين ومائتين وألف ١٢٣٠ ه وهو موافق لما قدمت أنى كنت أسمعه من الخاص المتقدم الذكر من أنه لم يعش بعد سيدنا رضى الله عنه إلا نحو شهر وثمانية عشر يوما .

ودفن بمقبرة باب الفتوح أحد أبواب فاس وهى معروفة وقبره معروف يتبرك به ودفن بإزائه ضجيعا له الشريف الأجل البركة المبجل مقدم سيدنا رضى الله عنه سيدى عبد الواحد أبو غالب بإيصاء منه على ذلك ، ويذكر الأصحاب أنهما كانا تواعدا على ذلك وتعاهدا عليه ودفن إليهما السيد الجليل الناسك ولى الله تعالى

سيدى الحاج عبد الوهاب بن التاودى ، وعرف بابن الأحمر الفاسى رحمهم الله تعالى ورضى عنهم أجمعين اه

وفى مقبرة هؤلاء السادة قلت :

الله أكبر إن هـــذى المقبرة ضمت ثلاثة أنجم منـــورة
نجم علا أعلا المعالى وقدره والله فى صدر الأماجد صدّره
ويليه نجم قد علا مقـــداره والله جمل فى المعالى منظره
أعظم بهم من سادة صعدوا العلا ومثيلهم فى الخلق عين لم تره
لازالت الرحمى تصب عليهم والله يغمر روحهم فى المغفرة

وقد وقفت على رسالة بعثها سيدنا رضى الله عنه لصاحب الترجمة رضى الله عنه ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجـــده وكرمه ، يصل الكتاب إلى يد حبيبنا وصفينا سيدى محمود التونسى .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد : فاسمع جواب ماسألت عنه من السؤالات . أما الوظيفة فأحذرك تحذيرا شديدا من تركها وتاركها من أصحابنا يفوته خير عظيم لا ينجبر له فوات ذلك الخير أصلا إلا أنك إن وجدت ذكرها مع الفقراء فهو أفضل وأعلا ، وإن لم تجد الفقراء فاذكرها وحدك ولا تتركها حتى يوما ، واذكرها مرة بين الليل والنهار ، ومن وجد ذكرها مع الفقراء وذكر وحده أخطأ الصواب ، وأما ماسألت عنه من أمر الشفع والوتر إن لم يفق النائم مثلا حتى طلعت الشمس ترك الشفع والوتر والفجر وصلى الفرض فقط ثم يصلى صلاة الفجر قبل الزوال ، وأما الشفع والوتر إذا طلعت الشمس فقد فاتا ولم تمكن إعادتهما (1) وتداركهما وتدارك الصلاة المعلقة بين السماء والأرض لأجل تركهما

---

(1) نص سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه فى موضع آخر أنه لابد من قضاء الفرائض اه . وعلى هذا فهذه الركعات كفارة للفوائت والكفارة غير القضاء والفرض لاتبرأ الذمة إلا بقضائه ، وكما ذكرنا أن المريض يقضى الفرض فمن ـــــ

يكون بصلاة النافلة أربع ركعات يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وهي الركعات المعدة لكل فائت من الفرض والنفل من أول العمر إلى اليوم الذي صلى فيه الركعات الأربع يوم الجمعة فذلك كفارة الجميع ، والركعات مشهورة فلا نطيل بكتابتها .

وأما المريض إذا حصل له غيبة العقل بغير نوم كإغماء أو غيره فكلما مضى من الصلاة حتى خرج وقتها في حال غيبة العقل بغير نوم فلا قضاء عليه أي المريض بعد الإفاقة لا فرضا ولا نفلا ولا يقضي إلا ما تركه ومعه طرف من عقله فرضا لا نفلا إلا ما أدركه وقته من النافلة بعد غيبة عقله فيصليه والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اه

مولاي محمد بن أبي النصر العلوي :

ومنهم الولي الكبير والعارف الشهير صاحب الكرامات المأثورة في الأقطار والمقامات العالية المقدار المشهور بالصلاح الكامل عند كل عالم وجاهل وظهر فضله في الأنام حتى أقر له بالولاية الخاص والعام الشريف الماجد الأصيل والسيد الفاضل الجليل سيدنا ومولانا محمد بن أبي النصر العلوي الفاسي منشأ وقرارا العلوي السجلماسي أصلا ونجارا هذا السيد رضي الله عنه كان من أكابر العارفين وخاصة الخاصة المقربين وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم المعرفة بالله والفتح الكبير ، كما أخبر سيدنا رضي الله عنه بذلك ، وظهر صدق ذلك لكل ذي عين واتضحت ولايته في الخلق بلا مين وهو أحد الخاصة الذين طالت صحبتهم لسيدنا رضي الله عنه ، ومع طول صحبته له لم يفارقه لا ليلا ولا نهارا إلا في بعض الأوقات الضرورية .

قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح أخبرني صاحب الترجمة أنه مافاتته فريضة قط خلف مولانا الشيخ رضي الله عنه نحو ست عشر عاما ، وشاهد من كراماته التي أجراها الله على يده مالا يحصى ، وحدثنا بما يبهر العقول جزاه الله عنا أحسن الجزاء ، قال : قال السيد أبو عبد الله إكنسوس ، وقد شاهدنا نحن أيضا

= عليه فوائت فيتحرى حسب غلبة ظنه فيقضيها بحسب طاقته من غير أن يشق على نفسه وقد ذكر غوث الله الشطاري هذه الركعات في الجواهر الخمس اه

من كرامات صاحب الترجمة مايفوق الحصر، وله بنا عناية عظيمة مافارقتنا أمداده بهمته طرفة عين أمده الله برضوانه آمين اه

وحدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به أن صاحب الترجمة حدثه أنه في أول أمره لم يصاحب سيدنا رضي الله عنه إلا على كرشه، يعني ما صاحبه إلا لكثرة الطعام عنده، وكان هو في ذلك الوقت يحب ذلك فكان سيدنا رضي الله عنه يعطيه فوق مايظن من ذلك، إلى أن تمكن حبه في قلبه وفتح الله عليه في الطريق بالمحبة في سيدنا رضي الله عنه، فحينئذ قوى اعتقاده في جناب سيدنا رضي الله عنه، فنال ما نال وبلغ في الطريق ما بلغ من الخصوصية والتصريف التام وكان رضي الله عنه تأخذه أحوال عجيبة يعرفها فيه الخاص والعام على طريقة الملامتية، تسترا لأسراره رضي الله عنه. وهكذا غالب أحوال كل من فتح عليه من أصحاب هذه الطريقة.

قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح في بغيتـــه بعد الكلام على طريق الملامتية ما نصه: قد كان أخونا وسيدنا الشريف الأجل الولي الصالح مولاي محمد ابن أبي النصري العلوي أحد الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه يقول لنا مرارا، إن أحوال غالب أهل طريقتنا جارية على أحوال الملامتية، وهو ظاهر فيما ينطبق عليه كلام الحاتمي رضي الله عنه من أوصاف أهلها. وقد صرح بذلك بعض أصحابنا وهو من أعلام الطريقة وأركانها في جواب له.

ونص كلامه في جملة ما وصفهم به، ولا يدعون دعوى ولا مزية ولا خصوصية ولا تميزا على الجنس، كل ذي حرفة في حرفته، وكل ذي شغل في شغله، مع أن منهم المتصرفين في الكون بالأحوال لا بالخواص والاستمدادات الطبيعية، فلأولئك أنهم السادات الملامتية الذين رئيسهم ذو الخلال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم.

حسبي بهم من غيرهم بدلا فهم — روحي وريحاني وبرء سقامي
إني ختمت على الضمير بحبهم — فغدا هواهم فيه زهر كمام
وجعلته حرما لهم فسواهم — ما إن له بجاه من إلمـــام
إن لاح لي من أفق مغناهم سنا — فعلى الوجود تحيتي وسلامي

انتهى من الجواب المسكت يعني للعارف بالله سيدي محمد إكنسوس رحمه الله

ومن أحوال صاحب الترجمة ما حدثني به غير واحد أنه كان خارجا مع العلامة سيدي محمد إكنسوس لوادي فاس فمرا على أحد أبواب فاس فوقفا بباب حانوت إنسان يبيع الفاكهة فقال صاحب الترجمة لصاحب الحانوت: بكم ذاك الجوز وذاك الثمر وأشار إلى شيء وراءه، فالتفت ليرى ليناوله منه، فصار صاحب الترجمة يأخذ مما يليه من غير علم صاحب الحانوت ويجعل منه في جيبه، وكاد الفقيه المذكور معه أن يذوب حياء، مع علمه أنه لا يفعل ذلك إلا لأمر رباني، ثم ترك صاحب الترجمة صاحب الحانوت بعد أن أظهر له أنه لم يصلح له ما أشار إليه، فلما خرجا عن الباب سأله الفقيه عن ذلك الفعل؟ فقال له يقول الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) الآية قال الفقيه المذكور فعلمت أن صاحب الحانوت لم يكن يخرج الزكاة (١) أو أخذ منه ذلك لدفع بلاء كان نازلا به، كما يفعل كثير من الأولياء رضي الله عنهم، أو غير ذلك مما يقتضيه حال هذا العارف رضي الله عنه اه

وسمعت من نجله سيدنا العارف بربه تعالى مولانا الطاهر نفعني الله به أنه رأى يوما والده صاحب الترجمة رضي الله عنه، جاعلا يده في سنداس مطمورة ينقبها فقال له يا أبت ما هذا؟ فقال له: يابني إن نفسي كادت أن تهلكني بما تسوله لي وذلك أنها قالت أنت ابن بيت كبير من بيوت المملكة ولك أملاك وأصول وتلاقيت مع القطب المكتوم فأنت كذا وكذا فعملت هذا الأمر لأقهرها بهذا وأقابلها بنقيض قصدها

وسمعت منه أيضا أن والده رضي الله عنه سأل سيدنا رضي الله عنه عن حال العارف بالله ومعرفته فأجابه بأن العارف مثل البهيمة التي لا جلد لها كل ما نزل بها يؤلمها وتحس به اه. أقول

وقد أجاب سيدنا رضي الله عنه أيضا صاحب الجواهر عن حقيقة العارف بقوله: اعلم أن العارف يكون كامل اليقظة والرضى لأمرين لابد منهما: الأمر الأول ما يفاتح به في مقامه من الفتوحات والفيوض والتجليات وعجائب الحقائق

---

(١) يجوز أخذ الزكاة بالقوة ممن يمتنع عن إخراجها ما لم يكن ضرر وتنفق في وجهها الشرعي اه المصحح

والأسرار التى لايطيق العقل إحاطة الإدراك لها ، فضلا عن التلفظ بها ، فيعرفه مايلزمه فى كل فعل وفى كل أمر من ذلك على حدته من الوظائف والآداب والمقابلات التى هى مقتضيات العبودية ، والأمر الثانى : تيقظه ورصده لما يتقلب فيه الوجود من الأطوار من خير أو شر أوغير ذلك فيعلم فى كل فصل من ذلك وفى كل أمر أى تجل للحق هو البارز فيه ، ومن أى حضرة كان ذلك الطور ، ولماذا وجد وماذا يراد منه ، فيعطى لكل شيء من ذلك ، وكل أمر مايستحقه بحكم الوقت من الوظائف والآداب والمقابلات التى هى مقتضيات العبودية ، حتى لايشذ عليه من ذلك فى كل مقدار طرفة عين من الزمان شيء

وهذا الأمر هو المعبر عنه بالمراقبة فى مقام العارفين ، وهى مشروطة بتقديم المشاهدة وكمال المعرفة ، فلا تقع ما لم تقع المشاهدة ، فإن الروح عند مطالعة الجمال القدسى مقتضاها الذهول عن الأكوان لما فى الجمال القدسى من الشغل عنها ، وهذه المراقبة لأكابر الكمل من العارفين ، وهى بساط الخلافة الكبرى ، فصاحبها هو الذى يتأتى له أن يكون خليفة لله على خلقه لاستكماله مرتبة العبودية ، فإن دامت هذه للعارف يتأتى له التحقق بالله فى كل مرتبة وهو المعبر عنه بالقطب ، وقد لايكون قطبا اهـ

ثم قال رضى‌الله عنه كما فى الجواهر : المتحقق بالحق من يراه فى كل متعين بلاتعين والمتحقق بالحق والخلق يرى أن كل ذرة فى الوجود لها وجه إلى الإطلاق ووجه إلى التقييد انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضى الله عنه .

واعلم أن صاحب الترجمة رضى‌الله عنه كان آية من آيات الله الباهرة وقد شوهد تصرفه التام فى الخلق فى الأمور الخفية والظاهرة ، وفيه يقول الأديب الأوحد الشاعر الأمجد السيد الطاهر السوسى مستعطفا له فى نيل مقصوده حين عزم على الرحيل إلى بلده بعد مازار سيدنا رضى الله عنه هذه الأبيات .

أمولاى ياذا الجود يا ابن أبى النصر	ويامن له فضل يجل عن الحصر
ويامن سما عرش الخلافة رافعا	على الرأس من دون الورى راية النصر
ويامن بإثر الشيخ قلد خطة التـ	ـصرف بالتخصيص من مالك الأمر
أغثنى من دهر تألب صرفه	علىّ ومن هم يضيق به صدرى

وكن لى شفيعا فى رضى الشيخ إننى نزيل وذا وقت الرجوع إلى الوكر
لعلى أن أحظى بإدراك كلما أؤمله من مطلب السر والجهر
وأرجع فى أمن وظل سلامة بعز مكين فى ذرى رفعة القدر
عليك سلام الله يا ابن رسوله كما هب نفح من شذا العنبر السحر

وله هـذه القصيدة فى مدح سيدنا رضى الله عنه حين كان مقبـلا لزيارته رضى الله عنه .

خطرة العيس فى مجال المرام ضمنت للفتى نجاح المرام
فارم عن قوس كل وجناء سهم الـ عزم تصمى به بعيد المرامى
واهجر الوطن الحبيب ومألو ف اللذيذين راحة ومنام
واغترب تكتسب كمالا وفضلا فبذا تم نور بدر التمـام
وتعنى كى تستريح وخاطر جنة الخلد تحت ظل الحسام
واقتعد كلا ذلول وصعب لجة البحر دون در النظام
قل للاح ينهى عن السفر المحـ مود جهلا بأوجه الإغتنام
أرح النفس وارض بالدون حظا ما حييت ودع عليك ملامى
فالفتى يطلب المكارم من حيـ ث الكرام ولو بأقصى الشآم
رب خل ودعته وهو باك ومقام الوداع أدهى مقـام
قال أين تريد صاحبت لطف الله فى كل رحلة ومقـام
قلت حيث ماء المكارم والسؤ دد والمجـد والسيادة هامى
حيث شمس الهدى تجلت عيانا فى سماء العلا بغـير غمام
حيث قطب رحى الولاية من دا نت لرفعـة قدره كل هام
مظهر السر منبع العلم والعر فان بحر الندى وشمس الظلام
سيد الأولياء من آدم للنـفخ فى الصور ماله من مسام
شيخنا أحمد التجانى قطب الـ كتم غوث الورى ومسك الختام
تاج هام العلا وانسان عين الـ مجد من قدره على البدر سامى
من له مطلق التصرف فى الكو ن جميعاً بإذن خير الأنام
من على يده جرى مدد الأقـطاب طرا على ممر الدوام

من لأصحابه مراتب فاقت		عن مقامات الأولياء الكرام
لايرون شيئا من الفزع الأكـ		ـبر قبل دخول دار السلام
ضمن المصطفى لهم كل أمن		وسرور ورفعـــة واحترام
فهم الآمنون من كل خوف		لايرون عواقب الإجترام
كل ذاك فضل عليهم من اللـــه بلا طول كلفة واهتمام
غير أن سر الإمام إذا ما		فاض أروى من صحبه كل ظام
أيها الشيخ خصك الله فضلا		بين ذا الخلق بالمزايا العظام
إنما أنت رحمة جددت للد		ين ركننا أشفى على الانهـــرام
أكرم الله آخر الناس عصرا		بك ياخـير سيد وإمام
وسقى من زلال وردك فيهم		رحمـة كل غـــلة وأوام
عجزوا عن كثير بر فاضحى		قلهم ياكسير حبك نام
أنت قلت كذا وأنت إذا ما		قلت قولا فأنت أنت حزام
يالهـا منة فيافوز من أصـ		ـبح فى سمط حبه ذا انتظام
أبشروا معشر المحبين فيـه		بنجـــاح مؤبد مستدام
فزتم بالمنى وبالعروة الوثـ		ـقى التى ما لعقدها من فصام
وظفرتم بما تنـافس فيه		من على الفوز همـــه مترام
فلتطيبوا نفسا فليس كمثل		الشيخ فى الوعد والوفا بالذمام
ولتقوموا بعهده كى تنالوا		غاية السر فيـه أى قيـام
فعلى قدر صدق كل مريد		ينجلى عن حجاه كل لثام
أيها الشيخ فضلك الشمس لايجـ		ـحدها غير حاسد متعـــام
وندى كفك المؤمل بحر		ورد الكل ماءه وهو طام
إننى ضيف جودك الجم كم قد		جبت من لجة وكم من قتام
حملتنى من الرجاء مطىّ		يعملات تسرى بغـير زمام
أربحى الربح فى تجارة حبـ		ـك فالحب متجر المستهام
ومن الضيم أستجير فقد قيـ		ـل نزيل الكرام غير مضام
وعلى العبد أن يبوح بشكوا		ه إلى مولاه بغـير احتشام

وفؤادى فيه من الجهل داء　　وجنابك فيه برء سقــامى
وبقلبى من التشوق نار　　شبها البعد لم تزل فى اضطرام
فأتيت إلى جنابك ماقد　　مت بين يدىّ غير الغرام
وتيقنت مذ رميت بسهم الـ　　عزم نحوك أن أصابت سهامى
ورأيت تمر السيادة والسؤ　　دد قد علقت بغصن التمام
ووجوه المنى تجلت بدون السـتر فى حسن شارة وابتسام
فمددت يدى ومن رشد الانـ　　سان أن يطلب المنى بالتزام
وإليك أرسلتها بنت فكر　　خلب البرق ذى سحاب جهام
زانها من حلا مديحك وشى　　صار من حسنه لهـا كل ذام
فتبدت كأنها الخود حسنا　　قلدت بنفيس در الـكلام
يحسب العاشق المتيم مهما　　تليت لفظها عتيق المدام
ويراها من طيب ما أودعته　　وردة كشفت لثام الـكمام
تبتغى منكم القبول فإن نا　　لتـه فهو من الأمانى الجسام
سيدى حاشاه يخيب ضيفا　　ذا انتصار بعهـده واعتصام
وسلام على سيادتك القعـ　　ساء ما صدحت شوادى الحمام
وعلى سيد النبيــين أزكى　　صلوات تنمو وأذكى سلام
وعلى آله وأصحــابه الغـرذوى الصدق والوفا بالذمام
ما تنفس فى مسير صبا نجـ　　د صباحا ذكى طيب البشام

وله أيضا أحسن الله إليه هذه القصيدة حيث عزم على الرجوع لبلده مادحا بها سيدنا رضى الله عنه وأنشدها فى الزاوية المباركة بين يديه .

أمولاى هذا الضيف حان ارتحاله　　فياليتـه يدرى بما آل حاله
أأدرك من برد الرضى منك سؤله　　فيفرح أم قد عز عنه مناله
وحاشاك ياغوث البرية أن يرى　　نزيلك محروما وأنت ثماله
فللضيف فى شرع المكارم ذمة　　يحق بها أن لايخيب سؤاله
وذوالجود لايرضى بؤوب نزيله　　وما ملئت من كل خير رحاله
وأنت الذى قدفاض من بحرجوده　　على كل أجزاء الوجود نواله

فلا سر إلا منكم سريانه ... ولا فضل إلا من نداك انفصاله
وإنك ظل الله من لاذ خيفة الـ ... مجير به فاءت عليه ظلاله
أمولاى مالى غير جاهك حيلة ... إذا نابنى خطب يضيق مجاله
فعطفا على ضيف ضعيف تقطعت ... على كل حال من سواك حباله
وجد بالذى يرجو على الفور إنه اسـ ... ـتلذ النوى ما لم يشبه مطاله
بحرمة سر الختم والسؤدد الذى ... به خصك الرحمن جل جلاله
وحرمة نجليك الذين غذاهما ... من الفضل ماء لايشاب زلاله
وآباؤك الصيد الكرام الألى بهم ... مدى الدهر أعلام الهدى وجباله
وجاه الذى مافاز منك مؤمل ... بسر سوى ماعن يديه ينـاله
أبى الحسن الميمون خير خليفة ... حرازم سر من سناك هلاله
وسائر من حفته منك هناء ... فتم بما قد نال منك كماله
وضاء له من نور سرك بارق ... فأذهله عن كل حسن جماله
عليك من التسليم ما أنت أهله ... يدوم على مر الزمان اتصاله
وحزبك من سادوا بك الناس كلهم ... فأضحوا وهم حزب الهدى ورجاله
وأزكى صلاة الله دائمة على ... نبى حوت كل الكمال خصاله
وأصحابه والتابعين ومن هم ... إذا عُد أرباب الفضائل آله

وكان لصاحب الترجمة رضى الله عنه قدم راسخ فى المكاشفة لايبلغ أحد من معاصريه رتبته ومعارفه .

ومما حدثنى به سيدى ومولاه أحمد العبدلاوى رضى الله عنه ونفعنى ببركاته أنه لما كان عازما على زيارة سيدنا رضى الله عنه من عين ماضى وسافر منها لفاس سنة ١٢٥٩ ﻫ وفى هذه السنة طمع العدو فى الاستيلاء على عين ماضى ونواحيها قال فحصل لى اهتمام بهذا الأمر وضاق لى منه الصدر وحين السفر أوصانى ابن سيدنا رضى الله عنه سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه بوصيته قال لى من جملتها إذا وصلت إلى مدينة فاس فاسأل من رأيته فيها من أهل الكشف عن هذا البلاء الملم فإن فاسا لا تخلو من الأولياء أبدا ، قال فلما وصلت لفاس واجتمعت فيها ببعض الإخوان فى الطريقة سألتهم هل يعرفون أحدا صحيح الكشف من المفتوح عليهم فى

هذا البلد قال فقال لى الفقيه السيد العباس الشرايبى أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه إننا نسمع بفلان وسمى لى بعض أهل توات ممن يشار له بذلك فى ذلك الوقت ، قال فقلت له : اذهب بنا إليه لنعلم حاله ويخبرنا بشىء أمرنى سيدنا الحبيب رضى الله عنه بالسؤال عنه ، فقال كيف نذهب إليه ونحن تجانيون فقلت لابأس بهذا لأننا لم نقصد زيارة وإنما قصدنا ما ذكر ، قال فذهبنا إليه واجتمعنا به وبمجرد وصولنا إليه قال لى ذلك التواتى اشتر لبهيمتى علفا فقلت له على الرأس والعين ، ودفعت لبعض الخدام شيئا من الدراهم ليشترى له ذلك ، ثم إنى سألته عما فى باطنى فلم يفصح لى عن المقصود ، وعلمت أن ذلك الرجل ماعنده شىء من مطلبى فخرجت من عنده ونفسى تكاد أن تنفطر من شدة ما حصل لى من الاهتمام بذلك .

قال فذهبت إلى ضريح سيدنا رضى الله عنه وسألت الله بجاهه أن يهب لى من يكشف عنى هذا الكرب الذى شغل به قلبى قال وكان اليوم يوم خميس فذهبت إلى السوق لأفرج عنى ، وعند رجوعى وجدت بباب البلد الشريف الجليل مولاى محمد بن أبى النصر يعنى صاحب الترجمة قال ولم أكن أعرفه فى ذلك الوقت ولا اجتمعت معه فلما رآنى أتى إلىّ وأخذ بيدى وصار يسألنى عن سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه وعن أحواله وأحوال دار سيدنا رضى الله عنه بعين ماضى وحينئذ عرفته وتوسعت معه فى الكلام إلى أن انجر فى ذلك وسألته هل يعرف أحدا من أهل الكشف الصريح لأسأله عما فى باطنى مما حملته من سيدنا الحبيب رضى الله عنه فقال لى إنى أعرف واحدا وسأجمعك به وأنت ضيفى الليلة ، قال فذهبت معه لداره وبت عنده تلك الليلة ، ورأيت من أحواله أمورا خارقة للعادة ، وعند خروجى من داره قال لى رضى الله عنه لابد أن تأتى مرة أخرى حتى أجمعك مع من تريد .

قال ثم إنى أتيته بعد ذلك وعزمت على أن أطلب منه تعجيل الاجتماع مع ذلك المكاشف لما يتلجلج فى خاطرى من ذلك الأمر ، قال فلما دخلت عليه لبيته قابلنى بمزيد ترحيب وإكرام وبادرنى بالكلام فى ذلك وقال لى مامقصودك بالاجتماع بصاحب الكشف فقلت لا أخبرك بذلك إلا بعد أن أجتمع به ويخبرنا هو بحقيقة الأمر ، ليطمئن بالى ولايتشوش خاطرى ولايدخلنى ريب فيما يخبرنى به فقال لى رضى الله عنه وهل تقنع إذا أخبرتك أنا بذلك فقلت له هذا عندى من أحسن

ما يكون وهو عندى غاية المنى والسول قال لى تسألنى عن دار الشيخ من أمر العدو فقلت له نعم ، وبقى لى شيء آخر ، وقال لى تسألنى عن سيدنا الحبيب هل يكون له ولد ذكر أو لا ؟ فقلت له نعم . ثم قال لى رضى الله عنه أما دار سيدنا رضى الله عنه فلا بأس عليها ، بل تبقى معظمـــة لاتنتهك لها حرمة ، وأما سيدنا الحبيب فلايخرج منه الدنيا حتى تكون له أولاد يكون من أمرهم ما يكون ، وهذا جواب ما سألت عنه .

قال فلما رأيته أخبرنى بماأضمرته حقا وصدقا ، أضمرت فى نفسى شيئين آخرين وقلت له ياسيدى بقى لى شيء آخر فقال لى رضى الله عنه تسألنى عن بنات أولاد الشيخ فقلت له نعم وذلك أنى قلت فى نفسى إن سيدنا الحبيب رضى الله عنه لايحب مصاهرة أهل عين ماضى ، والبنات قد كبرت ، فياترى ما يكون من شأنهن ، وياترى كيف حالتى مع ابن سيدنا رضى الله عنه ، وكيف أخرج معه فى هذه الدنيا ثم قال لى رضى الله عنه إنهن سيتزوجن عن قريب ، ثم قال وتسألنى عن حالك مع ولد الشيخ رضى الله عنه قلت له نعم وهى الأخيرة فقال لى رضى الله عنـه إنك ستخرج معه على خير ولابأس عليك ، قال فحمدت الله تعالى على هـذه البشارة من هذا السيد الجليل رضى الله عنه ، وشكرت الله على أن قيض لى من خاصة أوليائه من يخبرنى عما كنت مشوشا من جهته .

ثم إن صاحب الترجمة قال لى بعد ذلك اكتم سرك ولاتترك بجيئك إلىّ ، وإذا رجعت بالسلامة لعين ماضى فسلم منى على ابن سيدنا رضى الله عنه ، ثم إنى صرت أتردد إليه ولازمته رضى الله عنـه ورأيت من كراماته مايبهر العقول إلى أن توفى رضى الله عنه .

ومما وقع لصاحب الترجمة مع سيدنا رضى الله عنه من المناقب ماهو مشهور بين الخاصة من أنه أتى يوما للزاوية المباركة على عادته للاجتماع به رضى الله عنه فلم يجده فيها ، فسأل عنه أين هو فقيل له إنه خرج لواد سبو ، وأوصى أن لايخرج معه أحد ، وقال فى نفسه والله لابد لى أن أذهب إليه وخرج على باب البلد حتى لحق بسيدنا رضى الله عنه بقنطرة الوادى المالح ، فلما رآه سيدنا رضى الله عنه قال له : ألم يقل لك أحد إنى نهيت عن الخروج معى فى هذه الساعة ؟ فقال له ياسيدى

إن الشوق أزعجني إلى الاجتماع بك ولم أطق صبرا حتى رأيتك ، ثم إنه سار مع سيدنا رضي الله عنه وحصل له انبساط لم يعهد مثله منه ، فقال في نفسه لابد أن أسأل الشيخ في هذا الوقت عن الاسم الأعظم لكوني مختليا معه ولانبساطه معي ثم إنه لم يشعر بنفسه حتى سأله من سيدنا رضي الله عنه فلما طلبه منه تغيرت أحوال سيدنا رضي الله عنه معه ونهض فيه وصار يوبخه على سؤاله له فلما رأى صاحب الترجمة أنه أساء الأدب مع سيدنا رضي الله عنه ندم غاية الندم ، وصار يعتذر إليه وأنه لم يقصد بطلب معرفته إلاوجه الله تعالى لا لغرض من الأغراض ، وحصل له من الحياء ما الله أعلم به ، فبينما هو على هذه الحالة ذاهب معه إذ نظر إلى فرس سيدنا رضي الله عنه كلما رفعت رجلا تركت حافرها صفيحة من الذهب على الأرض وهي سائرة فتعجب من ذلك وأخذ صفيحة وصار يتأملها ثم طرحها بعد أن تيقن أنها ذهب ، وقال في نفسه إن الشيخ أراد اختباري فتشبث بركاب فرسه وصار يتملق بين يديه ويقول له ياسيدي لاجعل الله حظي منك الدنيا فبالله عليك لاتؤاخذني بقولي ، فحينئذ رجع سيدنا رضي الله عنه معه إلى حالته الأولى ودعا له بخير . وصار ملحوظا عنده ، ولقنه الاسم الشريف .

وكان صاحب الترجمة كثير الانبساط مع سيدنا رضي الله عنه ، وقد أتاه مرة وقال ياسيدي إن علي ديونا وقد حل أجلها وأخاف على نفسي إذا رفعت إلى الحاكم من السجن فيطلب منك ياسيدي أن تفك رقبتي وقد كان قدر الدين الذي عليه نحو مائة مثقال وعشرة مثاقيل ، فلقنه سيدنا رضي الله عنه ذكرا يذكره عددا محصورا وقال له إن الخديم سيأتيك بما فيه الكفاية ولاتعد إلى مثل هذا .

قال فلما لقنه الشيخ رضي الله عنه ذلك الذكر بذلك الإذن الخاص أحس بحرارة عظيمة مع التهاب شديد في حلقه من شدة العطش لاسيما عند الذكر إلى أن أداه الحال أن صار يشرب ماء خارجا عن المعتاد في حالة ذكره ، فلما فرغ من ذكره وجد تحت السجادة التي يذكر عليها ألف مثقال وزيادة ، فأخذ ذلك وخلص ديونه وفرج الله عنه شجونه ببركة سيدنا رضي الله عنه .

فائدة وجدت مقيدة عن الولي الصالح سيدي العربي بن السايح رضي الله عنه ، أن الذكر الذي لقنه سيدنا لصاحب الترجمة هو : اللهم صل على سيدنا محمد وءاله

وسلم سبعة ألفاظ يذكرها سبعين مرة ، وكان استغراق محبة صاحب الترجمة فى جانب سيدنا رضى الله عنه يضرب به المثل وبلغنى على لسان الثقة أنه كان يقول والله ما تحقق الشرف عندى إلا بإخبار سيدنا رضى الله عنه ، وذلك أنه كان مارا معه على الروضة التى دفن فيها والده رحمه الله ، فقال لسيدنا رضى الله عنه ياسيدى ادع الله لوالدى فإنه بهذه الروضة ، فالتفت إليه سيدنا رضى الله عنه وقال له : أبوك شريف لا بأس عليه .

وكان الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه يصفون صاحب الترجمة بالخلافة الكبرى والوساطة العظمى ، فى وصول المدد للمريدين من حضرة سيدنا رضى الله عنه ، بعد وفاة الخليفة الأعظم سيدى الحاج على حرازم براده رضى الله عنه ، وقد بلغنى على لسان الثقة أنه دخل يوما للزاوية المباركة فوجد فيها جماعة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه يتكلمون فى وراثة الشيخ رضى الله عنه ، وفى مرتبة بعض الأكابر من أصحابه رضى الله عنه ، فقال لهم متحدثا بنعمة الله عليه بعد أن حصل له حال من الأحوال التى تعتريه مثى سيدى الحاج على وخلانى ندككك فى البساط وحدى .

وحدثنى بعض الأفاضل من إخواننا فى الطريق أن الولى الصالح سيدى العربى ابن السائح رضى الله عنه ، لما سمع ماقاله صاحب الترجمة على لسان بعض الإخوان بعد وفاته رضى الله عنه حصل له حال وقال مثل قولته ، مشيرا إلى أنه قائم مقامه فى هذا الشأن ، وبه تعلم أنه هو المقصود بما نبه عليه فى البغية عند ترجمة سيدى الحاج على رضى الله عنه ، وقد تقدم لنا نصها فى ترجمته رضى الله عنه

واعلم أن فضائل صاحب الترجمة ومناقبه التى خص بها لا يفى بها استقصاء ، ولقد تلق عن سيدنا رضى الله عنه من الأسرار والمعارف ما لا يحصى ، وقد وقفت بحمد الله فى كناش شيخنا العلامة المشارك الفهـــامة ذى الشيبة المنورة والطوية المطهرة الشريف الحسيب سيدى محمد الحبيب الداودى رعاه الله على أسرار عظيمة المقدار ، نقلها من خط صاحب الترجمة ، تلقاها عن سيدنا رضى الله عنه ، وقد أدرجت بعضها فى كتابنا المسمى ببذل الأمانى فى الطب الروحانى والجسمانى المروى عن الشيخ التجانى ، وصحبه ذوى القرب والتدانى رضى الله عنه ، توفى رضى الله عنه

فى شوال سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة سيدى التواتى المجاورة لروضة الجلالية من طالعة فاس صانها الله من كل باس.

وقد ورثه فى بعض أحواله ولده المبارك الجليل والبركة المثيل ذو الأحوال العجيبة والمناقب الغريبة من لاشك عندى فى صلاحه وولايته، برهان الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة. ظاهر السر والفخر، وطاهر النفس مع انشراح الصدر، مولانا الطاهر أطال لنا حياته فى أمن وأمان! ولقد حصل لى ولغيرى معه حفظه الله مناقب عديدة، ومن عجيب أحواله أنه تحصل له غيبة فى كل شهر تزيد على الجمعة والجمعتين، ويبقى نائما فى هذه المدة ولا يأكل ولا يشرب، ثم يستيقظ وعليه حال كبير ثم يرجع شيئا فشيئا إلى أن يغيب مرة أخرى، ولو تتبعنا كراماته لأدى بنا الحال للطول وفى هذا كفاية وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المقدم سيدى الطيب السفيانى رحمه الله:

ومنهم البركة العظمى فى الأنام الراق فى المعالى لأرفع مقام العارف الأكبر والولى الأشهر ذو المحاسن والأنوار والمعارف والأسرار، النور اللائح والسر الواضح الفقيه الجليل الشريف الأصيل المقدم البركة المؤيد بتوفيق الله فى السكون والحركة، سيدنا الطيب الحسنى السقفى الشهير بالسفيانى أحد الشرفاء الجلة، وليس هو من السفيانيين المرابطين القاطنين بفاس، وسبب شهرته بالسفيانى تربية جده فى حجر الولى الصالح، ذو الفضل الراجح المجذوب السالك واضح المسالك صاحب الأحوال الربانية والأسرار العرفانية أبو على سيدى الحسن بن ابراهيم السفيانى أصلا الفاسى دارا وقرارا المتوفى يوم الثلاثاء منتصف القعدة الحرام عام ١٠٩٨ وله طريقة وأتباع مشهورون فى هذه البقاع.

وأما صاحب الترجمة فهو من الشرفاء المحققين النسب وقد وقفت على التعريف بأجداده فى شجرة نسبهم العجيبة الصنع المرونقة التأليف والوضع وهى الآن تحت يدى حفيده المقدم البركة الخير الزكى سيدى الطيب رعاه الله، وعليها خطوط علماء جلة من فحول هذه الملة، مؤداة بخط قاضى ذلك الوقت (١) الولى الصالح المرشد

---

(١) استطراد بترجمة سيدى العربى برداله.

الناصح القدوة الأمثل والبركة الأكمل أبي عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد بردله الأندلسي أصلا الفاسي مولداً وقرارا المتوفى منتصف رجب الفرد سنة ١٠٣٢ وهو صاحب البيتين المشهورين الجاريين مجرى المثل وهما :

وقائلة لم عرتك الهمو م وأمرك ممتثل فى الأمم
فقلت ذريني على حالتى فإن الهموم بقدر الهمم (١)

ولا بأس بذكر عمود نسبهم هنا فأقول : صاحب الترجمة هو ابن سيدي محمد ابن مولاى احمد بن سيدى محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عيسى بن عثمان بن اسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن سيدان بن عمارة بن يحيى بن عبدالله ابن محمد بن محمد بن احمد بن سيدى محمد بن مولانا ادريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا على وسيدتنا فاطمة بنت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجده مولاى أحمد بن سيدى محمد المذكور هو الذى اشتهر بالسفياني لتربيته فى حجر والد والدته سيدى الحسن السفياني المذكور لوفاة والده سيدى محمد الذى هو أول قادم منهم لهذه الحضرة الإدريسية ، وهو من الشرفاء الوذا خيرا الذين كانوا قاطنين بفجيج وانتقلوا لتلمسان ثم منها لهذه الحضرة . ولما دخل سيدى محمد المذكور لفاس نزل عند البركة سيدى الحسن السفياني المذكور إلى أن زوجه بأحدى بناته ، وتوفى رحمه الله وترك زوجته حاملا بمولاى أحمد المشهور بالسفياني لتربيته فى حجر جده المذكور ، فهذا بعض مايتعلق بنسب صاحب الترجمة .

وأما فى حد ذاته فكان رضى الله عنه ذا همة عالية المقدار خائضا لجة المعارف والأسرار ، عالما جليلا فقيها نبيلا أستاذا فاضلا وليا كاملا له أتم معرفة بالتجريد متحليا بالأخلاق السنية متخليا عن الرذائل الردية ذا قلب سليم وخلق عظيم ، موصوفا عند الأفاضل بالولاية الكبرى والفتح الكبير ، حدثنى الفقيه العلامة السيد عبد السلام بنانى عن عمه الفقيه المكرم البركة المقدم سيدى أحمد كلا حدثه أن بعض أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه رأى صاحب الترجمة بعد وفاته ، فسأله عما

---

(١) سيأتى الكلام على هذين البيتين

فعل الله به فذكر له كرامة عظيمة وأنه مافعل به إلا الخير ، وأنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أسلم إليه صلى الله عليه وسلم بستانا عظيما فى الجنات ، ليعلم فيه القرآن الكريم للصبيان ، وقد كان رحمه الله أولا على طريق ساداتنا أهل وزان متشبثا بأذيالهم من جملة الخدام من الإخوان ، منسوبا إليهم فى جميع أموره لايلتفت إلى غيرهم بوجه ما طول أيامه وشهوره ، وسبب أخذه للطريقة التجانية ذات المعارف الربانية ، على ما حدثنى به الثقات أنه لما ذهب للحج ومر بمصر اجتمع هناك به المقدم البركة ذى الجناب المحترم أبى عبد الله سيدى الحاج محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى ، ودخل عنده لمحله ، فاتفق أن وقع نظر صاحب الترجمة على كتاب جواهر المعانى عنده فأخذه وصار يقرأه ويستحسنه ويتعجب مما اشتمل عليه من المعارف واللطائف ، وسائق السعادة يقول لسان حاله : ادخل فى هذه الطريقة المحمدية غير خائف ، وبتأسف كثيرا من عدم اجتماعه بسيدنا رضى الله عنه مع كونه فى بلده ، ويلوم نفسه على ذلك ، ولما رآه المقدم المذكور فى غبطة مما رآه زاده تشوقا على تشوقه ، بذكر بعض كرامات سيدنا رضى الله عنه وما شاهده من المناقب العظيمة فأزمع على أنه أن قدر له بالرجوع لفاس لابد أن يجتمع بسيدنا رضى الله عنه ولما قدر الله له بالاجتماع معه رضى الله عنه كما سيأتى فى بعض التراجم كيفية الملاقاة معه وكيف أخذ الطريقة إن شاء الله أخبره سيدنا رضى الله عنه بأمور فى خاصة نفسه ، دلت على مزيد الاعتناء من سيدنا رضى الله عنه به ، وذكر له من المناقب التى قوت يقينه فى طريق سيدنا رضى الله عنه لتوثيق رابطة الاعتقاد فيه ما أزال الله عنه به الريب والشك ، فمن ذلك مابلغنى عن أن سيدنا رضى الله عنه قال له رضى الله عنه بعد الاجتماع ما هذا التوانى الذى فيك يافلان ، حتى إنك لم تسارع إلى الدخول فى طريقتنا من أول وهلة ، مع أنى مربيك وكفيلك قبل أن تلدك أمك ، ولقد كانت أمك حاملة بك فسقطت يوما على شىء كاد أن يثقب جنبها ويؤذيك فى جسدك فتلقيتها برفق ولين فلم يؤثر ذلك فى جسمك تأثيراً يؤدى إلى فساد الخلقة وتشويه الصورة بإذن الله تعالى وإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أصابك بعض ضرر فى رأسك ، ودليل ذلك وجود أثر فيه . وكان فى رأس صاحب الترجمة حفرة ولم يدر ما سببها وقد ازداد بها .

ثم إنه سأل بعد ذلك والدته عنها فأخبرته بأنه ولد بها وسببها ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه.

وأخبرنى بعضهم أن هذه القضية لم يذكرها سيدنا رضى الله عنه إلا على سبيل الحكاية بأن قال رضى الله عنه بحضره كيف بالرجل لا يسارع فى الدخول فى طريقة شيخه الذى وقع له معه كذا وكذا.

وقال صاحب الترجمة والله ياسيدى لأنا هو ذلك الرجل فحينئذ علم يقينا أن ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه من جملة كراماته التى لا تحصى وأن الفتح له لا يكون إلا على يده من غير شك ولا ريب فازداد فيه محبة على محبة وأسلم إليه الانقياد فى حالى الحضور والغيبة.

ولما استغرق صاحب الترجمة فى خدمة سيدنا رضى الله عنه وترك الاجتماع مع أهل الطريقة الأولى التى كان عليها صار بعض أعيانها من أصحابه يبحثون عن سبب ذلك ويأتون إليه فيرحب بهم وربما يذهب معهم إلى مواضعهم وهو كاتم لسره لا يبوح لهم بأمره فاتفق أن سيدنا رضى الله عنه بعثه يوما لوزان لأمر من الأمور فلما قدم من سفره تغيب أياما عن حضرة سيدنا رضى الله عنه ولما اجتمع به سأله عن سبب تأخير مجيئه، وأراد بذلك ظهور سر التربية إليه، فقال له ياسيدى لى أعذار منعتنى من ذلك فسأله هلا وقع له شىء بسبب ذهابه لوزان فقال حاشا لله فقال له سيدنا رضى الله عنه سل قلبك فحينئذ رجع ليقينه ولام نفسه على ماصدر منه من التفريط، وتاب إلى الله مما جنى بشماله ويمينه.

واتفق له مرة أخرى أنه كان ذاهبا للزاوية لأداء إحدى الصلوات الخمس بالزاوية المباركة فبينما هو مار فى الطريق إذ تلاقى مع بعض أصحابه من أهل وزان فحبسه ذلك الوزانى بالكلام، فمر عليهم البركة الأجل الشريف سيدى موسى بن معزوز فأخذ بيد صاحب الترجمة بعنف وقال له فات وقت إدراك الصلاة مع سيدنا رضى الله عنه، ومضى به للزاوية للصلاة فوجد سيدنا رضى الله عنه فى الصلاة ولما فرغ رضى الله عنه من صلاته التفت لصاحب الترجمة وقال له قبل أن يذكر شيئا: اترك عنك أهل وزان فإنه لا يأتيك منهم إلا الضرر وكررها حتى قال

أنا تائب لله . وهذا كله تربية منه خوفا عليه أن يقع فى عين القطع المؤدى لهلاك المريد بسبب التفاته عن نظر شيخه .

وأراد سيدنا رضى الله عنه بقوله له فإنه لا يأتيك منهم إلا الضرر بيان وجهة الأمر بعدم الاجتماع مع غير الشيخ من الشيوخ لتكمل له التربية وفى الشريشية :

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه مرب ولا أولى بها منه فى العصر

فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسر

وفى هذا المقام لا خصوصية فى مخالطتهم بل ينبغى عدم مخالطة غير الشيخ ومن تحت حكمه من المريدين وفائدة التنصيص عليهم بالخصوص أمران : الأول مكاشفته رضى الله عنه لصاحب الترجمة ليكون على بال من أنه تحت نظره سواء كان حاضراً أو غائبا . الثانى : التنبيه على أن ساداتنا أهل وزان رضى الله عنهم ينبغى للإنسان أن يكون منهم على بال ، فإن كل من خالطهم ولم يحسن الأدب معهم فإنه يقع فى الضرر سريعا ولهم رضى الله عنهم غيرة كبيرة على الأسرار والمعارف وغيرها فكل من خالطهم أو مرّ على الموضع الذى هم فيه فإنه يخاف عليه من السلب والعياذ بالله . وكم سلبوا من رجال من هذا المجال ، ولم يردوا لهم البال والله الموفق .

واعلم أن سيدنا رضى الله عنه كان يحب صاحب الترجمة محبة خالصة ويثنى عليه بين العامة من أصحابه والخاصة وشهد له بالشرف وكفاه بهذا شرفا ، وقد قام إليه مرارا تعظيما له واحتراما ، وكانت عادة سيدنا رضى الله عنه كما بلغنا بالتواتر على ألسنة الثقات أنه إذا أراد أحد الاجتماع به وأتى إليه فإن كان شريفا يقوم إليه سيدنا رضى الله عنه وإلا بقى على حالته حتى إنه صار عند أصحاب سيدنا رضى الله عنه من العلامة على تحقيق شرف من أراد الاجتماع به قيامه رضى الله عنه إليه وربما يخرج من داره إلى بابها لملاقاته ، وإلا يأمر بدخوله ، وذلك كله زيادة فى تعظيمه للبضعة المحمدية عليها السلام ، ولا يعرف الفضل لذوى الفضل إلا ذووه .

وقد ألف الإمام النووى فى استحباب القيام لأهل الفضل جزءا مستقلا وتعقبه ابن الحاج فى المدخل ، وتعقب تعقبه ابن حجر ، وألف فى ذلك جزءا أسماه الملام على القائل باستحباب القيام للداخل من أهل الفضل والاحتشام وما ألطف قول القائل

فلما بصرنا به مقبـــلا حللنـا الحبى وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيـامى له فإن الكريم يجل الكراما

وفى بعض الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه ،قبلا وكان جالسا فبادر بالقيام وأنشد يقول :

أقوم والقيام إليك فرض وترك الفرض .أنى يستقيم
أيمكن من له عقل رجيح ومعرفة يراك ولا يقوم

ويذكر أن من حفظ هذين البيتين لم تمسه النار

وكانت عادة سيدنا رضى الله عنه لايمكن يده لأحد يقبلها خصوصا ساداتنا الشرفاء ، واتفق يوما لصاحب الترجمة أن قبل يدى سيدنا رضى الله عنه على حين غفلة فأمره سيدنا رضى‌الله عنه أن يمكنه من يده ليقبلها ، كما قبل يده فقال لسيدنا رضى الله عنه ، والله ياسيدي إن قطع يدى لأهون عليّ من أن تقبلهـا . فقال له رضى الله عنه : والله حتى تمكنني من يدك وقبلها رضى الله عنه . وانظر رحمك الله إلى أدب سيدنا رضى الله عنه مع ساداتنا آل البيت عليهم السلام .

وكان رضى الله عنـه كثيرا مايوصى على احترامهم واحترام الأولياء الأحياء والأموات مع شدة الأدب معهم رضى الله عن الجميع ، وقد بلغنـا أن صاحب الترجمة سكن غرفه مقابلة للضريح الادريسى رضى‌الله عنه فسأله سيدنا رضى‌الله عنه عن هذا المنزل الذى سكن فيه كيف هو وهل هو صالح له فمدحه له صاحب الترجمة بكونه مقابلا للقبة الشريفة الأدريسية فقال له سيدنا رضى الله عنه لاتمطه برجلك تعظيما لجنابه رضى الله عنه .

وكان لصاحب الترجمة دنيا واسعة ، ومن عجيب ما وقع له مع سيدنا رضى الله عنه كما حدثنى به حفيده المقدم البركة سيدى الطيب حفظه الله أنه طلب من سيدنا رضى الله عنه أن يدعو له أن يتوفاه الله على محبتـه فدعا له بذلك وقال له استعد للفقر جلبابا . قال فمن ذلك الوقت صارت الدنيا تنفض من يده شيئا فشيئا وقلبه مطمئن بمحبة سيدنا رضى الله عنه عامرا بها أكثر مما كانت الدنيا بيده إلى أن توفى رضى‌الله عنه بتاريخ سنة ١٢٥٩ ودفن بجبل زعفران خارج باب عجيسة من فاس اهـ

وقد دعا سيدنا رضى الله عنه لزوجة صاحب الترجمة بقوله الله يصل رحمك بين

يدى الله ، حين أهدت له هدية وقالت له اعطها لابنة أخيك ، وكانت محجورته ومكفولته اه

وقد تقدمت لنا أبيات لصاحب الترجمة وهي منقوشة في الرخامة المقابلة لباب الزاوية المباركة وقد ذكرها في الإفادة ونسبها لبعضهم .

واعلم أن الإفاده من تأليف صاحب الترجمة جمع فيها بعض كلام سيدنا رضي الله عنه ، ورتبها على ماتيسر له جمعه من حروف المعجم ، وقد سنح لي أن أذكر هنا خطبتها مع بعض الكلمات من جميع الحروف التي ذكرها تتميما للفائدة ، ونصها بعد البسملة .

الحمد لله القائل الحق والهادي إلى سواء السبيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالصدق فأعجز كل معاند بأوضح برهان وأقوى دليل ، وعلى آله وصحابته ذوي التعظيم والتبجيل ، وبعد : فأولى مايعنى بتقييده بعد كلام مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، كلام المشايخ رضي الله عنهم ، إذهم خلفاؤه المغترفون من فيض بحره ونوابه المقتطفون أزهار حدائق سره ، وأولى ذلك عندي كلام شيخ الشيوخ ومعدن الثبوت والرسوخ ، قطب الأمة الأحمدية ، وخليفة عين الرحمة الربانية أبي العباس مولانا أحمد بن مولانا محمد بالفتح التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه وحشرنا والمحبين في حماه آمين . إذ كلامه أجل عندي من كلام غيره ، وأوقع في قلبي لجزالته وكثرة نفعه وكيف لا وهو أولى من كل نفيس وأغلى ، ولقد تلقيت جله مشافهة منه والباقي ممن أثق به راويا عنه ، وحملني على جمع تقييده خوف الدروس والضياع لينفع الله به من أراد له الخير والانتفاع ، ولما ورد في كتم العلم من الوعيد ، وتبليغ الشاهد الغائب كل أمر أكيد ، وأوردت مع ذلك بعض الأسباب ليتضح ما أشكل من غير إطناب معتمدا في جميع الأمور على فضل الملك الوهاب ورتبته على حرف المعجم راجيا من الله تعالى التوفيق والقبول وبلوغ السول والمأمول (١)

---

(١) ذكر المؤلف لبعض أصحابه أن سيدي العربي بن السائح صاحب بغية المستفيد كان لايوافق على بعض ماجاء في الإفادة ويشك في أنه منقول بنصه عن الشيخ رضي الله عنه ، ولذلك كان المؤلف رحمه الله لايعتمد من الإفادة إلا مانقله سيدي العربي في البغية .

(حرف الألف) إذا سمعتم عنى شيء فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه .

أقول لكم كما قيل فى على بن أبى طالب رضى الله عنه هو قسيم النار من أحبنا يقال له ادخل الجنة ومن أبغضنا ومات على ذلك يقال له ادخل النار .

أصحابى ليسوا مع الناس فى الموقف بل هم فى ظل العرش .

أصحابى لهم لطفان لطف خاص بهم ولطف مع عامة الناس .

أنا رجلها من قاف إلى قاف .

أنا فى واد والناس فى واد .

أقل ما يجزىء حافظ القرآن فى كل يوم حزبان .

أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرفع الإذن عن رجلين زارا مولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه .

أولاد الزنا ليس لهم إلا النار لأن الله حكم على نطفة الحرام بالنار إلا إذا حصل لهم التطهير بصحبة أحد من الأكابر ، أو أكل معهم أوقضى لهم حاجة وهم الفود الجامع ، والخليفة والوزيران ، ومفاتيح الكنوز .

أنا ما رأيت الدنيا إلا كيف البحر من أين جئته تلقاه مرا .

أقل ما يجزىء فى الركوع والسجود ثلاث تسبيحات متراخيات أو ست متسارعات .

(حرف الباء) بركة الطعام الصلاة فى المكان الذى يؤكل فيه ، يعنى طعام الضيافة والإكرام .

بسير زمانك سر من هذا المعنى ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه .

بالحق جيرانى ما نحوزهم فى الدنيا ولا فى الآخرة .

بعض الصيادين اصطاد ثلاث حجلات فربط اثنتين وذبح الثالثة وجعل ينتفها وكانت عيناه تدمعان لعلة فيها ، فنظرت إحداها وقالت للأخرى هذا الرجل مسكين رق قلبه علينا ، لعله يطلقنا . قالت لها بماذا عرفتيه قالت رأيت عينيه تدمعان ،

فقالت لها انظرى إلى يده ولا تنظرى إلى عينيه ، وذا قاله لرجل يدعى المحبة بلسانه ويفعل خلاف مايدعى .

بعض الأئمة كان يأخذ الأجرة على الصلاة ويتصدق بها فلما توفى وجاءه ملكا السؤال ، أرتج به الموقف ولم يلهم الحجة حتى جازت عليه مشقة عظيمة ، ثم بعد ذلك أتاه رجل فى صورة حسنة فلقنه الجواب ، فلما ذهب الملكان سأله بالله من أنت ؟ قال له أنا عملك الصالح قال له وأين غبت عنى . قال كنت تأخذ الأجرة على الإمامة قال والله عمرى ما أكلتها إنما كنت أتصدق بها . قال له لو أكلتها مارأيتنى قط .

البيضة منا بألف والفرخ منا لايقوم . قاله تحدثا بنعمة الله لما أعد الله لأصحابه انظر هذه النسبة بينهم وبين أصحاب المشايخ ، ولعله عنى بالبيضة الذى لم يفتح عليه وبالفرخ صاحب الفتح .

(حرف التاء) تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا أفواجا تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية ما يكونون من الضيق والشدة ، وكان يعنى بهذه الفيضة أنه يفتح على كثيرين من أصحابه رضى الله عنهم ، وكان لايستبعد زمنها

تكرار الفواتح مبطل للدعاء .

تبغة حرام والأصل فى حرمتها قوله صلى الله عليه وسلم كل مفتر حرام وهى من المفترات (١)

(حرف الثاء) ثلة من الآخرين أصحابنا .

ثلاثة تقطع التلميذ عنا أخذ ورد على وردنا ، وزيارة الأولياء وترك الورد .

(حرف الجيم) الجلوس مع المبغضين سم يسرى فى صاحبه ومن هذا المعنى :

اختر لنفسك الذى أطاعا ... إن الطباع تسرق الطباعا

(حرف الحاء) حتى واحد مايعرف معنى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إلا هو صلى الله عليه وسلم (٢)

---

(١) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر رواه أبو داود بسند حسن فيؤخذ من عطف المفتر على المسكر أنه حرام

(٢) المراد هنا وجه من وجوه المشاهدة الخاصة وهى غيرما كلفت الأمة بمعرفته

حكى عن أبى عبد الله بن أبى زيد القيروانى بات عنده ضيف وأتى رجل من خاصته بعشاء إلى منزل ابن أبى زيد وكان الرجل من الشهود. فقال ابن أبى زيد: إنه من شهود العداله، إن شئت أكلت وإن شئت تركت، وما علمنا سيدنا رضى الله عنه أكل طعام الشهود أصلا وجىء به إليه فامتنع عن أكله مرارا.

(حرف الخاء) الخروبى الطرابلسى كان قطبا وسأل النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة فى أهل عصره فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها ولدى محمد بن عبد الله الشريف دفين وزان.

(حرف الدال) الدار المباركة هى التى فيها مبارك ومباركة.

(حرف الذال) ذكر ليلة الجمعة مائة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ بعد نوم الناس يكفر أربعمائة سنة.

ذكر الورد بالليل بخمسمائة من ذكر النهار وكذا سائر أعمال البر.

ذكر الصف أفضل من الانفراد لقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).

ذنوب الشيوخ لاتغفر سببه أن بعض الناس كان يدعى أنه أخذ ورده رضى الله عنه وكان يتعرض لإذايته فلما رأى منه ذلك أخبر بهلاكه، فقال له تاب من ذلك فذكره.

(حرف الراء) رأيته صلى الله عليه وسلم يكرر الفاتحة فى الشفع والوتر سببه سئل رضى الله عنه عن تكراره لها فيها فذكره وكان رضى الله عنه يكررها إحدى عشرة مرة وكذلك سورة القدر وذلك فى الشفع والوتر فى كل ركعة منهما.

رح يامسكين تعلم صنعة مادمت صغيرا، وذا قاله لطالب علم أخذ عنه العلم وبقى جالسا فقال له قم لشغلك فقال: ماعندى شغل أنا طالب علم فذكره، ومن عادته رضى الله عنه أنه يحض أصحابه على تعليم أولادهم الحرف، بعد تعليمهم ماتيسر من القرآن وتعليم الكتابة لئلا يضيعوا.

(حرف الطاء) طابعنا محمدى كل من أخذ وردنا ينزل عليه وتحصل له الشفاعة فى الحين ولوالديه.

طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل طابع عليه.

طريقنا تنسخ جميع الطرق ولاتدخل طريق على طريقنـــا .

طريقنـا طريق محض الفضل أعطاها لى صلى الله عليه وسلم منه صلى الله عليه وسلم إلىّ من غير واسطة يقظة لامناما .

الطالب كيف الذيب لاصوف لاحليب ، والعامى كالنعجة منها الصوف منها الخروف منها السمن منها اللبن .

(حرف الكاف) كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور (١)

كل ما ذكرت لكم فى هـذا الطريق واقع إن سلمنا من مكر الله ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما أمنوا مكر الله (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون «٢»)

كل ماذكرت لكم مما تفضل الله به على أصحابنا لم يكن بالنسبة لما هو مكتوم إلا كنقطة فى بحر .

كل من عمل عملا وتقبل منه فرضا كان أو نفـلا يعطينـا الله تبـارك وتعالى ولأصحابنـا على ذلك العمل أكثر من مائة ألف ضعف مايعطى لصاحبـة ونحن رقود (٣) .

كل من طلب الدعاء من أحد من الرجال ودعا له وأعاد عليـه الطلب فى الحين لاينتفع بالأول ولا بالثانى .

كل ما يشغل عن الله من هذه اللعوب فهو حرام سببه سئل عن لعب الشطرنج فذكره .

---

(١) ملاقاة الأرواح فى عالم الأرواح ثابتة عند المحققين من الأوليـاء ذكرها سيدنا ابن عباس وذكرها سيدنا سهل التسترى وغـيره لاتتقيد بكون جسمها فى الدنيا أو فى الآخرة أو فى البرزخ ولايدخل الصحابة فى هذا كما بينه سيدى عمر بن سعيد الفوتى فى كتابه الرماح .

(٢) هذا هو الأصل الذى يرد إليه كل ماورد عنه من البشـارات من غير قيد. رضى الله عنه .

(٣) دعا الله بذلك فكوشف بأن الله تعالى استجاب له والله يضاعف لمن يشاء

الكبير يرى الموهبة آتية له عن بعد فيهيء الحلل والملابس ويتلقاها بذلك ويكسوها بها فترجع إلى الله تعالى على أكمل حال ـ وذلك والله أعلم كناية عن القبول والرضى ومحاسن الأدب ومايلزمه فى ذلك الحال من الأدب ومايقتضيه مقامه من التخلق والتحقق فيه والموهبة كناية عن المصائب العظـــام والدواهى الجسام فيتلقى ذلك بما يناسب مقامه وما يفاض عليه فيه .

الكبير مثل المدفع يضرب من البعد .

الكامل من الرجال يكون مع الله بلا أين فلايعرف بمقام ولايتقيد به ويرده كاله إلى الناس رد مقلد ، فيعود كواحد من عامة الناس سببه أنه سئل عن قول الإمام البوصيرى فى داليته .

من لا مقام له فإن كماله   للناس يرجعه رجوع مقلد

(حرف اللام) لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله تعالى لأصحابنا لبكوا وقالوا ما أعطيتنا شيئا يا ربنا .

لو علم أكابر العارفين ما فى الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم .

لابأس بالبيع الذى يقع بين الفقراء إذا كان بإذن شيخ كامل .

لاتمن على الله شيئا ، وذا قاله لبعض الأصحاب اشترى شيئا من الفقراء مما يبيعونه بينهم بنيـــة قضاء حوائجهم ، فلما أراد أن يأكله ، قال له رضى الله عنه لاتمن شيئا ليكون شراؤه غير معلول .

لايدخل الجنة أحد قبل أصحابنا إلا أصحابه صلى الله عليه وسلم .

لاتصح سنية إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة بل هى واجبة والأصل فى وجوبها قوله تعالى (وثيابك فطهر)

لايصح قول من قال يصلى بعدد النجس وزيادة إناء بل الحق أن يعدل عن استعمال ذلك الماء إلى التيمم .

لايكمل نفع الأشياء إلا بعد بلوغها من الثمار واللحم وغيرها .

(حرف الميم) من شك فى زيادة أو نقص فى الورد فليبن على اليقين ويزيد مائة من الاستغفار وينوى بها الجبر .

من فاته الشفع والوتر بخروج وقتهما بعد طلوع الشمس فليقضهما ويذكر الجوهرة

ثلاثا وينوى بها الجبر فإنهما ينجبران ويرفعان صلاة اليوم الذى قبلهما عدا صلاة العصر فإنها ترفع بنفسها لأنها الصلاة الوسطى .

من فاته الحضور فى عمل فليذكر جوهرة الكمال عقبه بحضور مستقبلا وينوى بها الجبر فان ذلك العمل يكتب له بالحضور .

من يدفن مع الميت اسما من أسمائه تعالى أو قرءانا يكفر لأن الميت لامحالة يرجع دما وصديدا .

من ألقى أسماءه تعالى أوكلامه فى نجاسة يكفر .

من أراد أن يشاورنى فى أمر ولم يمكنه ملاقاتى فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويهدى ثوابها له صلى الله عليه وسلم فالجواب مايقع فى قلبه ويستحضر نفسه بين يدى (١)

من فاتته الركعتان الواردتان بين المغرب فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم خمسين مرة بصلاة الفاتح لما أغلق يحصل له فضلها .

من ترك الورد بعد أخذه له يحل به الهلاك فى الدنيا والآخرة .

مايقع بحضرة الشيوخ من اللحن يغتفر .

معنى لا إله إلا الله الخ لامعبود بالحق إلا الله ، أما قول بعضهم لامستغنى عن كل ماسواه إلا الله ، ليس هو مقصود الشارع صلى الله عليه وسلم ، فليس فيه مطلب لعبادة الله ، ومراده صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس لعبادة الله تعالى ومعنى الإله هو من توجه الوجود كله إليه بالتعظيم والإجلال والخضوع والتذلل .

من أراد السلوك فى هذا الزمان كمن يتولى ذبح نفسه بيده .

من يريد الاستقامة فى هذا الزمان كمن يريد أن يبنى سلما إلى السماء .

ما أحوج الناس فى هذا الزمان إلى عالم أوعلماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذى فيها .

المعنىّ بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا المسكين هو محل نظر الله الله من خلقه ، ليس المراد الفقراء المقلين .

المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين الخ طائفة من العارفين بالله .

---

(١) يحصل لمن يفعل هذا سنة وفيها يتضح له الأمر ام المصحح

المشايخ حبال الله أدلاهم لخلقه من تمسك بهم نجا .

الميت لاتقربه الملائكة ما لم يغسل وإذا لم يصل عليه حتى تمضى عليه اثنتا عشرة ساعة لم تصل عليه الملائكة ، وإذا جازت عليه أربع وعشرون ساعة ولم يصل عليه بدل ، ورفعت ذاته إلى سر نديب وجىء بذات من البرزخ .

(حرف النون) نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء وأمرنى بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق .

الناس اليوم كيف الدجاج اعطهم مايحصلون فى فمهم ولا عليهم فيه من أين هو ولا أين يصيرون .

(حرف الصاد) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم توصل صاحبها ، ولكن إذا عثر لم يجد من يأخذ بيده بخلاف الشيخ فإنه كلما عثر المريد يأخذ بيده .

(حرف العين) عمرى ماتركت البسملة متصلة بالفاتحة لا فى الصلاة ولا فى غيرها ، للحديث الوارد فى فضلها المؤكد باليمين .

عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر ، يقال لهم اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم ، وأما أهل التوفيق منهم فلايلحقهم غيرهم ، وذا مذهب أهل التحقيق

(حرف القاف) قال لى صلى الله عليه وسلم : قل لأصحابك لايؤذى بعضهم بعضا فإنه يؤذينى مايؤذيهم .

قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من أول نشأة العالم إلى النفخ فى الصور .

قال لى صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخشى من ذى العرش إقلالا .

قيل لى من الغيب هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب .

قال لى صلى الله عليه وسلم مسئلة أغفلها الشيوخ ، وهى أن كل من أخذ عن شيخ وزار غيره من الأولياء لاينتفع بالأول ولا بالثانى .

(حرف السين) سائق السعادة يسوق أناسا لهذه الحضرة والصارف الإلهى يصرف أناسا عنها .

سئل الشيخ محمود الكردى عن القهوة والدخان ، فقال للسائل ائتنى غدا إن شاء الله فلما أتاه أخبره أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وأتاه رجل بقهوة فشربها صلى الله عليه وسلم ، وأتاه رجل من

أهل الدخان فطرده حتى غاب عن أعينهم ، يعنى الصحابة رضى الله عنهم .

(حرف الشين) شفعنى الله فى أهل عصرى من حين ولادتى إلى حلول رمسى تحدثا بنعمة الله فقال بعض الحاضرين وزيادة عشرين سنة فقال من أين لك بذلك فأخبره بأن خليفته سيدى الحاج على حرازم هو الذى أخبره بذلك فسكت ولم ينكر عليه ذلك .

(حرف الهاء) هو صلى الله عليه وسلم كفانى الحضور مع أصحابى عند الموت وعند السؤال سببه أن بعض الناس سلم عليه فقال له رضى الله عنه من أنت ؟ فقال ياسيدى سمعنا أن المشايخ تحضر مع أصحابهم عند الموت وعند السؤال ، وأنت نسيتنى فذكره .

(حرف الواو) والله ماعند الله تعالى أبغض منهم على وجه الأرض وذا قاله فى متكبرى العلماء تمامه الله يلعنهم ويلعن معظمهم ، قيل له تقبيل يدهم تعظيم ، قال تعظيم وتلا قوله تعالى (إن الله لايحب كل متكبر جبار) وقوله (إن الله لايحب المتكبرين)

(حرف الياء) يوضع لى منبر من نور يوم القيامة وينادى مناد حتى يسمعه كل من بالموقف : يا أهل الموقف هذا إمامكم الذى كنتم تستمدون منه فى دار الدنيا من غير شعور منكم (١)

يزيد بن معاوية ملعون لقوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) ولقوله عز وجل (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين يلعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) ولا إذاية له صلى الله عليه وسلم أعظم من قتل ولده وقطع رحمه صلى الله عليه وسلم .

وفى هذا كفاية ولم نذكر هنا جميع ما اشتملت عليه الإفادة الأحمدية خوف التطويل ، وقد ذكرنا بعض ماتركناه منها فى بعض التراجم والله الموفق .

---

(١) العموم هنا غير مراد فإنه يستمد من الأنبياء ومن الصحابة رضوان الله عليهم فالمراد من انتفعوا به فى عالم الحس وعالم المعنى كما وضحه فى كلامه رضى الله عنه فى غير موضع .

ومنهم ولد المترجم له قبله البركة المصدر بين الأجلة الناسك الذاكر صاحب السر الظاهر النور الواضح والفضل الراجح أبو العباس سيدي أحمد السفياني ، كان رحمه الله ملازما في غالب الأوقات للزاوية المباركة ويحضر مع والده سيدي الطيب مجلس سيدنا رضي الله عنه مع صغر سنه في ذلك الوقت وحدثني ولده المقدم البركة سيدي الطيب رعاه الله أن صاحب الترجمة كان جالسا مع والده في الزاوية المباركة بمحضر جملة من الإخوان وسيدنا رضي الله عنه فصار يتأمل في وجه سيدنا رضي الله عنه ثم هز والده وقال له شيئا في أذنه فرءاه سيدنا رضي الله عنه فقال له ما قال لك ؟ فقال ياسيدي قال لي لم ير أحسن منك فقال له سيدنا رضي الله عنه الله يحسن حاله مع الله فحصل لوالده من الفرح بهذا الدعاء لولده ما الله أعلم به .

ولما توفي سيدنا رضي الله عنه كان عمره نحو ثلاث عشرة سنة وقد عادت عليه رحمه الله تلك الدعوة المباركة فكان من خيار خلق الله ذا جد واجتهاد في عبادة مولاه إلى أن توفي رحمه الله يوم الاثنين ثاني صفر عام ست وثمانين ومائتين وألف ودفن قرب والده بجبل زعفران بوصية منه رحمة الله عليه ، وله رحمه الله في مدح سيدنا رضي الله عنه نظم كثير في الموزون والملحون فمنه قوله من قصيدته :

غرامي ووجدي بالذي حاز مهجتي ... حبيبا تجلى للقلوب بعطفته
سقانا بكاس وده ، ووداده ... بحضرته تحيا قلوب أحبته
فلنا بها فخرا وطابت نفوسنا ... ولازال يرعانا بعين رعايته
فياله من شيخ مرب ومرشد ... وكهف الذي يأوي بصدق عزيمته
خليفة خير العالمين محمد ... تجاني تاج العارفين برتبته
أيا أحمد المحمود في كل موضع ... ويا ملجأ المضطر عند بليته
فأنت ولي الله وابن حبيبه ... ونعمته العظمى علينا بمنته

إلى أن قال :

فيافوز من يضحي من الورده ... ويا سعد من يحضر لختم وظيفته
لأن رسول الله يحضر ختمها ... وأصحاب سر سره وخلافته
ولا زال يرعى واحدا بعد واحد ... ويشفع في من كان حاضر حضرته

فذاك اعتناء من محب حبيبه ويشهده لدى حلول منيته
ويحرسه فى موته وسؤاله ويشفع المولى الكريم لزلته

إلى أن قال :

وفى غيب غيب كان قطبا معظما وخصصه المولى بختم ولايته
وحل محل الصدق منه بصدقه وأطلعه عن سر كل بريته
وأيده بالروح منه حنانة ولطفا وتأنيسا وفضلا بعطفته
تمسك به تحظى بعين عنايته فهو ولى الله من أهل حضرته
فرد ورده المورود من فيض أحمد رسول كريم لايضاهى لرفعته
رؤوف رحيم محسن متعطف جليل جميل الخلق واحد نشأته
بشير نذير شافع ومشفع به يرفع الله العذاب عن امته
فوالله ما جاد الزمان بمثله ولا وضعت أنثى كشبه خليقته
عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة تكون لى سبيلا لرؤيته
وآل كذا الصحب الكرام الذين هم نجوم بدت للخلق فى نيل رحمته

حدثنى والده المقدم سيدى الطيب أنه لما أتم والده رحمه الله هذه القصيدة رأى الشيخ رضى الله عنه فى رؤيا فى الزاوية المباركة فى جماعة من الإخوان ومنشد ينشدها إلى أن وصل لقوله :

خليفة خير العالمين محمد تجانى تاج العارفين برتبة

فقال رضى الله عنه كيف قال فاعيد البيت ثم قال كيف قال فأعيد البيت إلى ثلاث مرات فقال رضى الله عنه هو كذلك ومن نظمه قوله فى قصيدة .

ته دلالا كفاك مالك مثل وكساك الجمال منه الجميلا
نلت خيرا من خير وال ومال قد كفانا لقد شفيت الغليلا
فالتجانى إمام أهل التدانى فهو غوث الورى هدانا السبيلا
ماله فى المعالى قطب مسام وله لا ترى العيون مثيلا

إلى أن قال :

أنا عبد فى رقه كيف يرضى جئته خاضعا لديه ذليلا
أرتجى عطفة لقد ضاع عمرى وانقضت مدتى فكن لى كفيلا

ولك الفضل في الأنام قديما　　فأجرني ما خفت يوما ثقيلا
أنت باب الكريم منك دوائي　　وشفائي لديك فاشف الغليلا
عظمت نعمة الإله عليكم　　فاستعار الكرام منك الجميلا
زادك الله منه عزا وفضلا　　وكلا يدوم ظلا ظليلا

وله من قصيدة :

آه من زفرة تذيب فؤادي　　نفحة من خبي ليحيي نفادي
ياترى هل درى بحالي فإني　　من هواه جفا جفوني سهادي
فتلذذ سمعي بذكرى حلاه　　وتنعم روحي بأقصى مرادي
ياجميل الصفات والوصف فامنن　　بجميل العطا وحسن ودادي
أتجاني أتاج كل ولي　　أنت روحي وراحتي واعتمادي

وله أخرى :

يابديع الجمال روحي فداك　　إنني شائق لحسن بهاك
ذاب جسمي يامالك العقل مني　　إن لي قلبا لايروم سواك
حرك الوجد من هواك غرامي　　وجفاني المنام حتى أراك
أنت روحي وراحتي ومنائي　　أبتغي في الأنام منك نراك
أتجاني أتاج كل ولي　　أرتجي عطفة تنيل رضاك
فارفع الحجب عن فؤادي وقل لي　　ياغريقا بشراك هات يداك

وله من أخرى :

ياترى محبوب قلبي هل درى　　مابقلبي من أليم واكتئاب
وعذابي في هواكم قد حلا　　وأنا في رقه شيخ وشاب
أنا راض بالذي يرضاه لي　　حكمه حق وعدل وصواب
ما عدا الهجر فإني لم أطقه　　لاتزدني فوق تعذيبي عذاب
ذاب جسمي ياحبيبي والحشا　　فوق جمر من لظى ترمي شهاب
جد بوصل ياتجاني فعسى　　ينطفي بالوصل وامنن بالخطاب

إلى غير ذلك مما هو منسوب إليه إلا أن فيه شيئا من جهة العروض انطوى عليه وقد أصلحت بعضه وفيه كفاية وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر عام ١٢٨٥

ودفن قرب والده بجبل زعفران وولده المقدم سيدى الطيب حفظه الله وهو المصدر لاعطاء الطريقة فى الزاوية المباركة الآن وهو من أفاضل المقدمين فى هذا الزمان تلق التقديم من جملة أفاضل من المفتوح عليهم .

وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله بركاته أنه اجتمع فى بعض الأيام بالولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه فسأله عن أحوال الإخوان فأخبره بحالهم وأنهم يسلمون عليه من جملتهم سيدى الطيب المذكور فقال له : مرحبا بسلامه وهو عندى سيدى الطيب الثانى فقال له سيدى احمد العبدلاوى ياسيدى نحبك أن تقدمه فقال له ماعملته فهو ذاك فأعدت عليه فقال ما عملته فهو ذاك ، فسرى له الإذن من بينهما ، حفظه الله ورعاه ونفعنا وإياه ولقد خصه الله بمكارم الأخلاق وطهره من الداء العضال السارى فى بعض المقدمين الحاليين ، ألا وهو الطمع الذى يصير الأحرار عبيدا ، أكثر الله من أمثاله وبلغ الجميع غاية آماله ، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الفقيه سيدى أحمد بن محمد بنانى :

ومنهم الشيخ الإمام العلامة الهمام حامل أسرار سيدنا رضى الله عنه الفقيه الأمجد أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بنانى ، وكان رحمه الله متضلعاً فى العلم متصفا بسلامة الإدراك والفهم إليه المرجع فى المعقول والمنقول وحبله بالعروة الوثق موصول ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عظمى ، وله عنده المقام الأسمى، حتى إنه كان يغار منه كثير من أصحاب سيدنا رضى الله عنه .

وسبب أخذه للطريقة ما حدثنى به حفيده الفقيه السيد عبد السلام زاويته عن ابن صاحب الترجمة الفقيه العلامة السيد أحمد كلا رحمه الله أنه كان مصاحبا للشريف البركة سيدى الطيب السفيانى رحمه الله مع بعض الأفاضل من أهل وزان وكانوا على طريقة واحدة فى السلوك وفى قراءة العلم الشريف ، فاتفق لسيدى الطيب السفيانى لما ذهب للحج من اجتماعه بالمقدم البركة سيدى محمد بن عبد الواحد بنانى إلى آخر القضية المتقدمة فى ترجمته ، فلما رجع لفاس تلاقى مع حبيبه صاحب الترجمة فقال له إنى رأيت بمصر كذا وكذا من أمر هذا الشيخ التجانى فلابد أن تذهب معى لزيارته لننظر أحواله فامتنع أولا صاحب الترجمة من ذلك لنخوته وتؤدته وماتحسبه

فى نفسه من رفع مقامه على مقام سيدنا رضى الله عنه لما أعطاه الله من العلوم ولم يتذكر قول الشاعر :

قل للذى يدعى فى العلم معرفة علمت شيئا وغابت عنك أشياء

إلا بعد اجتماعه بسيدنا رضى الله عنه ، ولما امتنع من ذلك صار يلح عليه سيدى الطيب فى ذلك المرة بعد المرة الذهاب معه ، ولو لرؤية وجهه ، فهداه الله فى ليلة مباركة لذلك وأسعده على هذا الاقتراح ، فلما تلاقيا مع سيدنا رضى الله عنه أظهر لهما من الأسرار ما لم يخطر لهما ببال ، وطالت مذاكرة صاحب الترجمة مع سيدنا رضى الله عنه إلى أن طرأ على الشريف المذكور سنة فلم يستيقظ حتى سمع صاحبه يقول لسيدنا رضى الله عنه ياسيدى هذا وقت ذهابنا فادع الله لنا ، فلما خرجا صارا يتكلمان فى أمر سيدنا رضى الله عنه وأحواله إلى أن قال له صاحب الترجمة والله إنى قد سمعت منه كلمة واحدة ، لوملئت لى الأرض ذهبا ودفعت لى ماكانت عندى مثلها . فقال له سيدى الطيب . ما هذه الكلمة ؟ فقال له والله لا أبوح بها لأحد من خلق الله مادمت حيا لحصل للشريف المذكور قلق مفرط وصار يقول له أنا أولا وثانيا وثالثا طلبت منك الذهاب معى إليه وأنت تمتنع ثم لما ذهبت معى بعد مشقة عظيمة صرت تكتم عنى ماسمعته منه فهذا عار عليك .

ثم إن صاحب الترجمة لما ذهب لداره لم يجد فيه قابلية للنوم من شدة اشتياقه للاجتماع بسيدنا رضى الله عنه مرة أخرى لأخذ طريقه ، بعد أن عزم على مشاورة الولية الصالحة ذات المناقب الواضحة العارفة الكبيرة صاحبة الكرامات الشهيرة الشريفة لالّ منانة .

استطراد بترجمة لالّ منانة :

المجذوبة البلغيثية المعروفة بشنيوره المتوفاة بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه بزمن يسير وضريحها بإزاء المعاصير التى بقرب درب العامر فى مسجد هناك متهدم من مدينة فاس ، وكانت رحمها الله لها قدم راسخ فى المكاشفة وكان الجذب غالبا عليها فى بعض الأوقات وكثيرا ما كانت تأتى إلى دار صاحب الترجمة ، ولما ذهب صاحب الترجمة لمشاورتها قابلته بكلام جميل وأشارت عليه بالمسارعة لأخذ طريقة سيدنا رضى الله عنه وصارت تذكر له فضائل سيدنا رضى الله عنه وما وقع لها معه من الصباح إلى الظهر

حدثني حفيده الفقيه السيد عبد السلام أن جده المذكور لما أتى إلى هذه السيدة ليشاورها في أمره قالت له قبل أن يخاطبها ولو بكلمة ياسيدي أحمد جئت تشاورني في الأخذ عن سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه فإن قبلت نصيحتي فبادر بالأخذ عنه فإنه هو السلطان .

وقد وقعت لي معه قضايا منها أني كنت يوما جالسة فأتاني مشاوريان فقالا لي قومي تكلمي السلطان فظننت السلطان مولانا سليمان وكان كثيرا مايرسل إليها وتذهب إليه وكان يحبها محبة خاصة - قالت فذهبت معهما حتى خرجنا على باب الفتوح أحد أبواب فاس فوجدت هناك المحلة فتقدمت إلى السلطان فلم أجده مولانا سليمان ، وإنما وجدته سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ، ولم أعرفه من قبل قالت فصرت أتعجب مما رأيت ثم قال لي السلطان سيدي أحمد التجاني ماتقولين أنت في دخول الطاعون إلى هذه المدينة فإنه لابد من دخوله لهؤلاء الناس الذين اتصفوا بكذا وكذا وعد جملة فعال .

قال : فلما سمعت منه ذلك قالت له إذا وقع الاجماع عليه من الأولياء الموجودين ولم يقدروا على حمل هذا البلاء فأنا أتقي البأس عن الناس فقال لها أوتقدري على ذلك وتتحملي به فقالت نعم فأمرها أن ترجع لمحلها فلما دخلت على باب المدينة سمعت من ورائها عمارة بارود فأصابتها فسقطت على وجهها وبقيت ساقطة حتى جاء الناس بالنعش وحملوها عليه حتى أوصلوها إلى محلها ، وكان الناس يسمعون البارود يتكلم فيها وهي تصيح في كل مرة ، إلى أن قضى الله برفع ذلك البلاء عن هذه البلدة .

ومما وقع لصاحب الترجمة مع هذه السيدة أنه في بعض السنين رأى مجاذيب وقته يكثرون من ذكر البلاء والمصائب وتغيرت أحوالهم ، فألهمه الله تعالى بعد أن علم أن هذا لأمر عظيم إلى أن دخل الخلوة بداره ، وصار يذكر اللطيف بنية دفع ماينزل وواظب على ذكره أياما فبينما هو في بعض الأيام يذكر إذ جاءت هذه السيدة رضي الله عنها لداره ، وكانت كثيرا ما تأتي إليها ولما دخلت للدار قصدت الموضع الذي فيه صاحب الترجمة مختل فيه لذكره ، ولم تتكلم مع أحد ، ولما رأته قالت له عرفناك ياسيدي أحمد ، ورجعت من الموضع الذي جاءت منه ثم أتت بعد

ذلك اليوم وصارت تتحدث مع من فى الدار فقالوا لها إنك فعلت كذا وكذا ولم تتكلمى مع واحد منا فما السبب فى ذلك ؟ فقالت لهم إنى كنت رأيت من السماء بلاء نازلا على هذه البلد ولم يبق بينه وبينها إلا نحو شبر والناس فى حيرة وخوف عظيم من ذلك

وما الناس إلا الصالحون حقيقة ۝ وسواهم متطفل فى الناس

ثم رأيته ارتفع شيئا فشيئا حتى لم يبق له أثر فبحثت عن سبب ارتفاعه فلم أعرفه ولا رأيته مع شدة البحث والتفتيش ، فلما عجزت عن معرفته توضأت فى الليل وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم ودعوت الله أن يبين لى ذلك فلما نمت جاءنى ملكان وأخذا بيدى وذهبا بى حتى وصلانى لذلك الموضع الذى كان فيه سيدنا الفقيه يذكر فلما استيقظت قمت لأصحح الرؤيا فوجدته هو وعرفت أنه هو السبب فى رفع ذلك البلاء عن المسلمين جزاه الله خيرا ، وقد تذكرت هنا قول القائل :

إذا نزل البلاء بأرض قوم ۝ وكان الصالحون به تلاشى

فإن الله عظمهم وحاشا ۝ يعاقب من يجاورهم لحاشا

وهذه السيدة رضى الله عنها قد حضرت جنازة سيدنا رضى الله عنه ، وكانت قبل وفاته بثلاثة أيام أخبرت صاحب الترجمة مع بعض الأفاضل بقولها إن السلطان بعد يومين أو ثلاثة أيام يموت ولما حضرت جنازة سيدنا رضى الله عنه قيل لها أليس قلت إن السلطان سيموت فقالت نعم فهذا هو السلطان .

وكان سيدنا رضى الله عنه يبعث إليها بعض أصحابه ويسألها عن أمور فتخبره بحقيقة الأمر . انظر الإفادة الأحمديه .

وأما صاحب الترجمة رحمه الله فإنه لما شاورها فى ذلك وأمرته بالمسارعة لهذا الخير العظيم فذهب لسيدنا رضى الله عنه وتلقى عنه طريقته المحمدية ، وكان سيدنا رضى الله عنه يقربه إليه من الوقت الذى أخذ طريقته الأحمدية ويسأل عنه إذا لم يره حاضرا فى جمع الإخوان ، وكان رضى الله عنه يعجبه حديثه وكلامه ، وإذا حصل له انقباض يرسل إليه فيأتيه ويتحدث معه ، ويقول له سيدنا رضى الله عنه ،اذا يقول المفسرون فى آية كذا وفى آية كذا ، فيتكلم صاحب الترجمة بما قاله المفسرون فى ذلك فيصوب له سيدنا رضى الله عنه كلام بعض ويرد كلام من

لا يصادف الصواب منهم ، مع بيان وجه الحق فى ذلك بالأدلة النقلية والعقلية ، ثم يقول له سيدنا رضى الله عنه وهذا غاية مايقوله المحققون من علماء الظاهر ، وأما باطن الآية فهو كذا وكذا ، وكذلك يتكلم معه فى الأحاديث الشريفة على هذا المهيع ، فلايقوم صاحب الترجمة من عند سيدنا رضى الله عنه إلا ومعه من العلوم مايذهل العقول ولا يصل إليه إلا أكابر الفحول .

وكان من خصائص صاحب الترجمة أنه لا يسمع شيئا إلا حفظه ولا يعرف النسيان لما أعطاه الله من الثبات والحفظ المتقن ، كما حدثنى بذلك حفيده الفقيه السيد عبد السلام .

وكان سيدنا رضى الله عنه يخاطبه بلفظ السيادة ، وإذا صار يتكلم معه يتعجب الحاضرون مما يبديه إليه من المعارف مع فهمه لها ، ومن جملة فوائده ماحدثنى به حفيده المذكور أنه سأل سيدنا رضى الله عنه عن ثواب الأعمال إذا أهداها شخص لآخر ووقع من المهدى إليه شىء من محبطات الأعمال أتحبط له تلك الهبة ؟ فأجابه رضى الله عنه بقوله لا تحبط الهبة للموهوب له إذا ارتكب شيئا من محبطات الأعمال غير الشرك بالله ، لأن الهبة ليست من أعماله إنما تحبط إذا حبط عمل الواهب

ثم سأل صاحب الترجمة سيدنا رضى الله عنه بعد المداخلة عليه بالله ورسوله أن يهدى إليه ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ فأسعفه على ذلك وكان حاضرا معه بعض أفاضل الأصحاب فسأل من سيدنا رضى الله عنه أن يفعل له مثل مافعل مع صاحب الترجمة فقال له رضى الله عنه سبقك بها عكاشه كذا حدثنى حفيده السيد عبد السلام حفظه الله ، وذكر صاحب الإفادة هذه القضية ولم يسم صاحبها وزاد فيها قوله وقصد بذلك أن القطب له عصمة كعصمة النبوءة اه (١) يعنى كما قاله سيدنا رضى الله عنه .

وفى الافادة أيضا عند قول سيدنا رضى الله عنه سبقك بها عكاشه أن ذا قاله لرجل أعطى دراهم فى بناء مطهرة الزاوية وقد أعطى رجل قبله دراهم فدعا له بأن قال له الله يوقفك بين يديه وقفة خالصة فطلب منه ذلك فذكره اه .

---

(١) المراد هنا بالعصمة الحفظ وهو جائز للأولياء ولا تجب العصمة إلا للأنبياء

ولا منافاة لاحتمال تكرر ذلك بحسب القضيتين وفى هذا كفاية

دفن صاحب الترجمة رحمه الله بقباب باب الفتوح وله من الأولاد الأفاضل السالكين مسلكه فى هذه الطريقة المحمدية ولدان جليلان فاضلان :

الفقيه السيد الحسن بنانى

أحدهما العلامة الفاضل صدر المجالس بين الأفاضل ذو المحاسن السنية والأخلاق السنية أبو على سيدى الحسن ، كان رحمه الله آية من آيات الله فى العلم والأدب ينسل إليه كل طالب لكل فن من كل حدب ، وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا وكتب له بخط يمينه المباركة سورة الرحمن حين وصل إليها فى القراءة فى المكتب فى لوحة موجودة الآن تحت يدى بعض أقاربه وكان سيدنا رضى الله عنه يدعو له بالفتح وخصه بلقيمات من طعامه المخصوص به ، وقد عادت عليه بركة سيدنا رضى الله عنه فكان رحمه الله عند العامة والخاصة معظما ومبجلا وتلقى الطريقة بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه على يدى المقدم البركة سيدى موسى بن معزوز رحمه الله

توفى رحمه الله سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف وقبره بمراكش معروف كما حدثنى بذلك ولده الفقيه السيد عبد السلام سلمه الله من الآلام .

أخوه سيدى أحمد كلا بنانى

والثانى فقيه عصره ووحيد مصره شيخ الجماعة فى زمانه وفريد عصره وأوانه حامل لواء المعقول والمنقول ومن إليه المرجع فى الفروع والأصول أبو العباس سيدى أحمد كلا ، لازالت تمطر قبره رحمات المولى ، كان رحمه الله صغير السن فى حياة سيدنا رضى الله عنه ، وكان مع أخيه عند سيدنا رضى الله عنه فى عين محبة ووداد ، ولما توفى سيدنا رضى الله عنه كان سنه نحو الاثنى عشرة سنة ، ولازال فى صيانة وعفاف ، متخلقا بشيم أفاضل الأشراف ، طالبا للعلوم بين الخصوص والعموم حتى تقلد من الفنون بخير قلادة فتصدر للتدريس والإفادة أخذ عنه جل شيوخنا .

وكان رحمه الله فى هذه الطريقة المحمدية من أفاضل المقدمين كثير الذكر والتلاوة عاكفا على نشر الطريقة وأورادها ، وقد أخذ الإذن فى ذلك عن جملة من أفاضل المقدمين فى الطريقة منهم البركة الأجل سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر رحمه الله

ومنهم العارف الكبير، والولى الشهير الشريف الجليل القدر مولاى محمد بن أبى النصر رضى الله عنه ، وكان خزانة سر ابن سيدنا سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه حين ذهب لعين ماضى لزيارته ، ولازمه شهورا إلى أن توفى سيدنا الحبيب رضى الله عنه وغسله صاحب الترجمة بيده ووقف على دفنه مع من حضر .

وقد حدثنى بعض الأفاضل أن صاحب الترجمة لما ذهب لعين ماضى وأراد الرجوع بعد كمال الزيارة رأى سيدنا الحبيب رضى الله عنه رؤيا وأولها بحلول وفاته ، فحبس صاحب الترجمة ، ولم يتركه يرجع لبـــلده حتى توفى رضى الله عنه ، ولقد شاع عند جل الأصحاب أنه ماحبسه إلا ليحضر وفاته . والله أعلم .

وكان رحمه الله مسموع الكلمة بين جماعة الإخوان يقصد لأخذ الطريقة والعلوم من كل مكان ، ملازما الزاوية فى غالب الأوقات وكان يمشى بقائد بفوده لما أصيب فى بصره فى كبره معظما عند كل كبير وصغير يتبرك به كل من رآه فى الجلوس والمسير ، ولازال ذا جد واجتهاد فى طاعة الله آناء الليل وأطراف النهار ، ونفع العباد إلى أن توفى رحمه الله قرب شروق يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلثمائة وألف وصلى عليه بجامع القرويين بعد صلاة الجمعة ، ودفن بقباب باب الفتوح رحمه الله تعالى .

سيدى الشـــاهد الوزانى

ومنهم البركة الجلـ[illegible] والشر[illegible] الأصيل ذو الرأ[illegible] ا[illegible]ـيد والحزم الشديد الفاضل الأجل والماجد الأمثل سيا[illegible] الشاهد الوزانى [illegible] السيد الجليل من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وكان أولا آخذا طريقة ساداتنا أهل وزان ، ثم تشبث بأذيال طريقة سيدنا رضى الله عنه ، مع بعض السادات الأفاضل من أصحابهم . حدثنى الفقيه الأجل سيدى عبد السلام بناني أن عمه العلامة سيدى أحمد كلا حدثه أن والده كان بينه وبين صاحب الترجمة اتصال تام وليس لهما ثالث فى الصحبة والعشرة سوى الشريف الأصيل سيدى الطيب السفيانى ، وكانت أخوتهم فى الله حتى كانهم على قلب واحد ، وكان اجتماعهم فى الغالب بمحل بالخصوص عند صاحب الترجمة له بابان فاتفق أن جاء الشريف سيدى الطيب ليلا المحل المعهود وأتى بشىء استعمله للأكل ودخل من أحد [illegible] [illegible] العشى ، فلما دخل وسلم

على صاحب الترجمة بقى صاحب الترجمة مبهوتا ، ولم ينطق بكلمة من شدة ما حصل له ، ثم قال للشريف المذكور من أين دخلت فقال من هذا الباب وأشار إلى أحد البابين ، فقال له والله إني لأتعجب من هذا فقم بنا وأخذ شمعة ونزل من الباب الذي دخل منه فإذا هو من باب داره إلى باب الدرب كله مغمور بحيث لا يسلك منه أحد إلا من أتى من الباب الآخر ، فصار الشريف الذي دخل من تلك الطريق أيضا متعجبا من ذلك وبقي معه ذلك التعجب إلى أن قدر الله وأخذ الثلاثة طريقة سيدنا رضي الله عنه ، فبينما الشريف المذكور جالس مع سيدنا رضي الله عنه إذ تذكر ما حصل له وصار باله مشغولا بذلك التعجب ، فقال له سيدنا رضي الله عنه مكاشفا إن شيخك هو الذي سلك بك في ذلك الموضع ولم تشعر بنفسك ، وشاهد ذلك كذا وكذا ، وذكر له شيئا وقع له في ذلك الوقت فحينئذ قوي الله عزيمة الثلاث وحصلت الرابطة التامة لهم في طريق سيدنا رضي الله عنه .

وهذا السيد أعني صاحب الترجمة هو الذي طلب من سيدنا رضي الله عنه الدعاء بالاستقامة فقال له الله يقبل عليك بفضله ورضاه وذكر هذه القضية صاحب الإفادة الاحمدية ونصه : من يريد الاستقامة في هذا الزمان كمن يريد أن يبني سلما إلى السماء سببه أن بعض أهل البيت طلبه أن يدعو له بالاستقامة فقال له الله يقبل عليك بفضله ورضاه فسئل لماذا لم يدع بالاستقامة فذكره فأعاد عليه طلب الاستقامة فقال له قلت لك الله يقبل عليك بفضله ورضاه كنت مستقيما أو معوجا إذا أقبل عليك بفضله ورضاه لا يبالي سبحانه باستقامتك ولا باعوجاجك وبعد ما يستقيم الإنسان في هذا الزمان ... يعد ... من يستقيم ...

سيدي محمد بن أحمد الشهير بالسنوسي رضي الله عنه

ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة البركة الأجل والصالح الأكمل أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الشهير بالسنوسي كان رحمه الله إماما فاضلا وعالما عاملا خطيبا بالضريح الإدريسي رضي الله عنه ومدرسا فيه وله اليد الطولى في فنون شتى سيما الحديث ، حدثني الفقيه السيد عبد السلام بناني عن عمه سيدي أحمد كلا أن صاحب الترجمة كانت تحصل له في بعض أحيان تدريسه لصحيح الإمام البخاري رضي الله عنه غيبة ، فسأله بعض خاصته عن سبب ذلك ، فأجابه بأن النبي ﷺ يحضر مجلسه :

فإذا رآه يغيب عن حسه وهو من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي‌الله عنه.

وكان أولا على طريقة العارف بالله سيدى احمد بن ناصر الدرعى رضى الله عنه وهو الذى قال له سيدنا رضى الله عنه لما جاء للأخذ عنه لو كان بناصر هنا وقلت له تحيد لايسعه إلا التحيد، قال فى الإفادة الأحمدية سببه أن بعض الناس أتى يأخذ الورد فقال له سيدنا رضى‌الله عنه أعندك ورد آخر قال الرجل نعم ورد بناصر قال يكفيك ابق عليه قال الرجل أردت أخذ وردك قال له سيدنا رضى الله عنه اترك الورد الذى عندك إن أردت ذلك، فقال له الرجل أخاف من بناصر فذكره فترك ماكان عليه ودخل فى زمرة سيدنا رضى الله عنه واستمسك بعروته الوثقى، ولازال عاضا بنواجذه عليها، ملحوظا بعين التعظيم عند سيدنا رضى الله عنه إلى أن توفى رضى الله عنه ولازالت عند أحفاد هذا السيد رضى الله عنه بعض ثياب سيدنا رضى الله عنه للتبرك، وعندهم برنوسه وبلغته.

وكان عادة صاحب الترجمة رحمه الله إذا كبر أيام منى التكبير المندوب بعد الصلاة يكبر مستقبلا القبلة فخاطبه فى ذلك الفقيه العلامة سيدى عبد الواحد حفيد الشيخ التاودى بن سودة بقوله :

يا ابن السنوسى الجلى ذا الجاه والقدر العلى
تكبير أيام منى أقبل ولا تستقبل

توفى رحمه الله سادس عشر ربيع الأول عام سبعة وخمسين ومائتين وألف ودفن بباب الفتوح.

سيدى محمد بن قويدر العبدلاوى

ومنهم العارف الذى بلغ فى أوج المعالى إلى الرتبة التى مابلغها سواه، والولى الكامل الذى شهدت بفضله فى البرية محبوه وعداه، شمس السعادة التى بزغت فى سماء العناية، والنور الذى أشرق سبل الهداية ذو الشرف الباذخ والمجد الشامخ أبوعبد الله سيدى محمد بن قويدر العبدلاوى الشريف الحسنى هذا السيد رضى الله عنه من أكابر خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه، الذين دعاهم داعى الفلاح فلبوه مسرعين، ودخلوا فى حزب السعادة خاضعين، فظفرت يمينهم بالعروة الوثقى فقبضوا عليها بكلتا اليدين، وعضوا عليها بالنواجذ حتى أحرزوا غنى

الدارين دون مين ، وهو أحد ورثة سيدنا رضى الله عنه الذين ظفروا بالسعادة الأبدية وسعد بهم آخرون .

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء

حدثني ولده سيدي ومولاى أحمد العبدلاوى نفعني الله به ، أن والده صاحب الترجمة رضى الله عنه لما تلاقى مع سيدنا رضى الله عنه وتلقى عنه طريقته الأحمدية ، ورجع إلى عشيرته وكانوا نحو الخمسين نفسا وأخبرهم بسيدنا رضى الله عنه وبما رآه من كراماته التى لا تحصى وفضائله التى لا يفى بها استقصا ، اشتاقت نفوسهم رضى الله عنهم إلى محبته والسفر إلى رؤيته ، والاغتراف من بحر أسراره والاقتباس من مشكاة أنواره ، فشـــدوا له الرحال ودلايلهم إلى هذا الخير العظيم والصراط المستقيم ، هو صاحب الترجمة قدس الله سره ، حتى وصلوا إلى سيدنا رضى الله عنه وأخذوا عنه الطريقة الأحمدية ثم رجعوا إلى وطنهم بهذه الغنيمة التى ليست لها لعلو أثمانها قيمة ، ومنهم تفرعت أغصان دوحتها فى تلك النواحى من بلاد الجريد وغيرها .

وكان صاحب الترجمة رحمه الله كثيرا ما يتردد لسيدنا رضى الله عنه بعين ماضى وغيرها ، ويشد الرحلة إلى زيارته بمدينة فاس صانها الله من كل باس ، حدثني ولده سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رعاه الله أن اليوم الذى ازداد فيه كان والده رحمه الله متهيئا للسفر مع رفقة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه لزيارته رضى الله عنه ، من جملتهم الخليفة الأكبر سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه ، فأقام بهم عنده حتى فرغ من سابع ولادته ثم ارتحلوا إلى فاس قاصدين زيارة سيدنا رضى الله عنه ، وكان سيدنا رضى الله عنه فى مرضه الذى توفى فيه ، وقد حصل لهم فى طريق سفرهم مانع أخرهم عن الوصول حتى بعث سيدنا رضى الله عنه إلى الولية الصالحة لالّ منانة شنيوره المتقدمه ، وسألها عن سبب تأخرهم فأخبرته بأن سبب ذلك أن الترك عمال تلمسان أخذوا إبلهم فارغة لقضاء بعض أغراضهم ، وقد ردوها لهم ولا بأس عليهم وعما قريب يدخلون لهذه البلدة ، ثم بعد أن دخلت قافلتهم بنحو عشرة أيام بعث لها وقال لها : أنه يجب أن يرسل القافلة لمحلها فما تقولين فقالت: إن بعثها قبل يومين أو ثلاثة فذاك وإن زاد على ذلك تقع لها عطلة بسبب موت

السلطان . فسأل صاحبه اى سلطان تمنى وروده إليها وقال لها لم تتيسر لنا هذه المدة فأعادت قولها الأول فبقى سيدنا رضى الله عنه يومين أو ثلاثة ثم توفى رضى الله عنه فحضرت جنازته فقيل لها أليس قد قلت السلطان فقالت نعم هذا هو السلطان اهـ

ولازال صاحب الترجمة رضى الله عنه ذا جد واجتهاد سالكا سبيل الرشاد إلى أن توفى رضى الله عنه بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه بنحو ست سنين .

حدثنى ولده سيدى ومولاى أحمد نفعنى الله به أن الفقيه الذى غسل والده كان حين الغسل يتلو صلاة الفاتح لما أغلق بمحضر بعض الإخوان ، فبينما هم يتلونها إذ سمعوا صوتا يذكر معهم من أول صلاة الفاتح إلى أن قال بعد حق قدره ومقداره العظيم آمين . ولم يدخلهم شك فى أن الذاكر معهم هو الميت رحمة الله عليه ، لكنهم لم يروه يحرك لا لسانا ولا غيره عند الذكر ، وهى إحدى كراماته قدس الله سره .

وحدثنى أيضا أن والده رحمه الله ، والمقدم سيدى سليمان وسيدى عبد القادر ابن عبد المالك وسيدى على بن الغزال قدس الله روحهم فى روح وريحان كتبوا إلى سيدنا رضى الله عنه من بلادهم لما كثر بها المرض العام يطلبون منه أن يأذن لهم فى الانتقال عنها لبلاد أولاد المصابى بقصد الاستيطان ، فأجابهم رضى الله عنه بما محصله : أن تلك البلاد لاينبغى لمن وفقه الله تعالى أن يسكن فيها ، لأن أهلها وترابها والسماء المظلة عليها كل ذلك يدخل النار ، لأنها بلاد الطائفة الضالة المضلة ، وقد جبلوا على بغض سيدنا على كرم الله وجهه ، ثم قال: ومذهبهم على مذهب ابن ملجم ألجمه الله بلجام من نار .

وقال : فلما أمرهم سيدنا رضى الله عنه بعدم الرحيل إليها قاموا وبنو القرية المسماة بالعلية فى بلادهم وانتقلوا إليها بأولادهم وقطنوا فيها إلى أن توفاهم الله بها رضوان الله عليهم وقد وقفت على رسالة منقولة من خط سيدنا رضى الله عنه إلى هؤلاء السادات الأربع نذكرها هنا وتلقيتها أولا من إملاء ولد صاحب الترجمة سيدى ومولاى أحمد نفعنى الله به ونصها :

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا وأصفيائنا وأعز المكانة لدينا سيدى عبد القادر بن

عبد المالك وسيدى محمد بن قويدر وسيدى على بن الغزال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى سيدى الحاج سليمان المقدم من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجانى ، وبعد : نسأل الله عز وجل لكم أن يفيض عليكم بحور فضله ورضاه ، وأن يكتبكم فى ديوان السعداء فى الدنيا والآخرة وأن يرزقكم جميعا وقفة بين يدى الله عز وجل فى مرتبة الصفاء تضاهى وقفة الأقطاب بين يديه وأن يكتبكم فى ديوان أوليائه المقربين وصفوته العليا من أكابر الصديقين ، وأن يديم نظره فيكم بعين عنايته بكم ورضاه عنكم ومحبته لكم واجتبائه لكم واصطفائه لكم فى الدين والدنيا والآخرة ، وأن يجعل سعادتكم عنده كسعادة المصطفين الذين استخلصهم واصطفاهم بسابق العناية الدائمة والمشيئة النافذة ، فإن هذه السعادة لا يكدر صفاءها ركوب ذنب ولا اتصاف بعيب ، بل هى مبذولة بمحض الفضل والكرم ، لا تتوقف على شرط ولا زوال مانع . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وأما أمر الوظيفة فذكرها مرة بالليل ومرة بالنهار وإلا فمرة بين الليل والنهار تكفى تذكر جماعة لمن وجد الإخوان ، وإلا فوحده . وأما ذكر يوم الجمعة بعد صلاة العصر إما قدر ساعة وإلا ساعتين متصلة بالغروب ، وهو لا إله إلا الله فيذكر جماعة لمن وجد الإخوان وإلا فوحده ، واعلم أنى جددت لكم الإذن فى الفاتح لما أغلق وفى الفاتحة بنية الاسم فى فيض عظيم فاض فيها من عند الله عز وجل لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا فى الدار الآخرة لا سبيل لذكره فى الدنيا . فأما الفاتحة فلا إذن لك فيها أن تأذن غيرك ، وإنما أذنت لك فيها فقط ، وأما الفاتح لما أغلق فأذنت لك أن تأذن فيها غيرك وكل من أخذ وردنا فلا يزور وليا لا حيا ولا ميتا ومن زار فقد خرج من وردنا لكن فى طريقتنا الزيارة لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أن يقرأ جوهرة الكمال عشرين مرة ينوى بها زيارته صلى الله عليه وسلم ويهدى ثوابها له صلى الله عليه وسلم فإنه من حين يكمل سبع مرات يجلس صلى الله عليه وسلم مع الذاكر بذاته حقيقة ولا يزال جالسا معه حتى يكمل العشرين ، فإنه بهذا الفعل يكون كمن وقف على قبره صلى الله عليه وسلم وزاره ، والذى يحصل له من الخير والثواب فى هذه الزيارة لا يأتى عليه الحصر

(١) هذا الحضور حضور نورانى غير مادى ولم يزل الرسول ﷺ يتنقل منه والنور لا تحجزه المادة

والعد وهو مكتوم لايحل ذكره ولايعرف إلا فى الآخرة ، وهذه الزيارة له ﷺ لاتتقيد بيوم ولا بوقت بل هى مطلقة حيث شاء فعلها وهى تغنى عن زيارة الأولياء وإن تشوق قلبك إلى أن نبشرك فاعلم أنه ورد فيض من عند الله لأصحابنا تقر به العيون مكتوم لو حل كشفه لذكرته ، ولايعرف إلا فى الدار الآخرة . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

استطراد بطرف من ترجمة سيدى أحمد العبدلاوى

واعلم انه لو لم يكن من حسنات صاحب الترجمة رحمه الله إلا كونه أبا لسيدنا العارف بالله الكبير الولى الشهير ذى المناقب الفاخرة والكرامات الظاهرة بقية السلف الصالح فى هذه الملة وواسطة عقد الخلف بين الجلة سيدى ومولاى أحمد ، نفعنى الله والمحبين ببركته آمين . لكفى فى التنويه بقدره عن التعريف به لغيره وحسب مثلى عند ذكره الإطراق هيبة لجلاله رضى الله عنه وأرضاه .

ولقد أرشدنى الله والحمد لله إلى معرفته وطوى قلبى على محبته فسقانى لما تحقق صدق محبتى بكأس أسراره وأطلعنى على بعض معارفه الدالة على رفيع مقداره بعد أن لاحظنى بعينى الوداد ، وسلك بى والحمد لله سبيل الرشاد ، فهو أب روحى الشقيق جزاه الله عنى أفضل ما جازى به أولياءه .

وقد ذكرت فى هذا التأليف وفى غيره من الأسرار التى تلقيتها منه مايشفى الغليل ويبرىء كل سقيم وعليل ، وغالب ما فى هذا الكتاب مروى عنه ، ومأخوذ عنه إملاء وكتابة وليس لى فيه إلا مطلق الجمع والكتابة فقط ، ولو تتبعت مارأيت منه من المناقب والكرامات لضاق عن حمل ذلك هذا الموضوع ، ولكن نذكر هنا بعض ذلك تلميحا واختصارا فأقول :

ولد رضى الله عنه وأطال حياته قبل وفاة سيدنا رضى الله عنه بنحو شهرين عام ثلاثين ومائتين وألف وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، كالقطب الشهير سيدنا الحاج على التماسينى وأضرابه ، وفى اليوم الذى ولد فيه جاء إلى والدته وهى نفساء الولى الشهير والعارف الكبير ذو الأحوال الغريبة والكرامات العجيبة صاحب سيدنا رضى الله عنه الشريف سيدى أبو الحسن على بن شقبوه وقال لها : هذا ولدى ومن شك فيه يخاف على

نفسه . ثم رجع من حيث أتى ولم تعرف من أين دخل عليها ثم تبين أنه ما أتى إلا لبشارتها بذلك ، تنويها بقدر ولدها المذكور ، ولتكون على بال منه ، ثم إنه تربى فى حجر الولاية ملحوظا بالعناية معظما عند الأقارب والأباعد منذ كان صبيا ملازما لدار سيدنا رضى الله عنه بعين ماضى لاسيما سيدى محمد الحبيب ابن سيدنا رضى الله عنه فإنه اتخذه أخا وصديقا وحبيبا ورفيقا فهو خزانة أسراره وجليسه فى المذاكرة والمسامرة فى ليله ونهاره ، إلى أن توفى سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه وهو عنه راض .

وقد حدثنى أطال الله بقاءه بما وقع له مع ابن سيدنا رضى الله عنه أخبارا كثيرة عمايدل على خصوصيته معه ، قال كنت فى بعض الأيام مشتغلا بحفظ بعض المصنفات فى النحو فرءانى سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه فقال لى اترك عنك هذا واقرأ مايعود نفعه عليك ، قال فتركت ذلك امتثالا لأمره ، قال فبينما أنا معه فى بعض الأيام جالس إذ قال لى يافلان وسماه إن عندى بعض أذكار الشيخ رضى الله عنه المكتومة التى لاينبغى أن يطلع عليها الغير ، وأريد أن أذكرها ، ولكنى خفت من أن ألحن فيها والآن أردت قراءة النحو ، فلابد لنا أن نقرأ معا الألفية ، قال فصرت أكتب عشرة أبيات فى اليوم وأحفظها وهو يكتب أربعة أبيات فقط فلما بلغت لباب حروف الجر نظرت إلى لوحه فوجدت فيها آخر الألفية وهو أحصى من الكافية الخلاصة الخ فتعجبت من ذلك ، وقلت له ياسيدى ما هذا ؟ فقال لى أنا لست مثلك أنام الليل كله ، وإنما أنام ساعة واحدة فقط وأشتغل بما أنا بصدده .

قال ثم اشتغلنا بقراءتها تدريسا على العلامة سيدى أحمد بن عاشور رحمه الله إلى أن توفى رحمه الله .

وحدثنى أيضا أن العدو كتب إلى ابن سيدنا رضى الله عنه من الجزائر رسالة مضمنها نطلب منك أن تقدم للجزائر لنتبرك بك . قال فلما حلت بيده الرسالة . دخل لبستانه وأمرنى بالدخول معه ثم قال لأحد خدامه سد الباب ولاتترك أحدا يدخل علينا فلما اطمأن بنا الجلوس التفت إلى وقال لى : يافلان إن البغلة ولدت فقلت له وماذاك ؟ فقال لى قد وقع كذا وكذا وقد عرفت مقصوده . والآن

جاوبه وقل له إنى لا آتى إليه أبدا وإن ضيقت عليه في هذا الوطن فأرض الله واسعة .

قال ثم افترقت تلك الساعة معه وكنت فى الغالب أتعشى معه إلا فى ذلك اليوم فإنى لم أملك نفسى من شدة الهول الذى داخلنى من أجله وبقيت متحيرا فى هذا الأمر ، وفى غير ذلك اليوم بعث إلىّ فلما جئت إليه قال لى بعض الخدام مالك لم تأت البارحة فى العشاء فإن ابن سيدنا إلى الآن لم يأكل شيئا ولم يدر أحد ماسبب ذلك فلما اجتمعت به قال أسأل الله أن لا أرى وجه نصرانى ولاجوابا منه فلم تمض أربعة أيام عليه حتى قبضه الله إليه .

قال فلما توفى رضى الله عنه قلت بعد أيام فى نفسى إن سيدنا الحبيب صار إلى عفو الله والآن أولاده صغار السن وأخاف من ضياع أسرار الشيخ رضى الله عنه ثم تفاوضت مع بعض الخاصة فى هذا الأمر ثم ذهبنا لداره رضى الله عنه واستأذنا أكبر بناته فى الدخول للبيت الذى فيه الخزانة فأذنت لنا فلما دخلنا وفتحت الخزانة المباركة ، وجدتها مشتملة على ثلاث طبقات وكلها مملوءة كراريس بلاتسفير قال وأول ما وقع عليه نظرى فوق تلك الأوراق أنى رأيت بطاقة جديدة مخالفة الكاغد تلك الكراريس ، فأخذتها وقرأتها فإذا فيها بخط سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه مانصه :

ليعلم الواقف عليه من أولادنا . وأن هذا هو الكناش المكتوم الذى كان بين الشيخ والدنا وبين النبى صلى الله عليه وسلم ، وما فيه إلا بخط والدنا والواسطة سيدى محمد بن العربى والخليفة سيدى الحاج علي ، وإياكم أن تطلعوا عليه أو تطلعوا عليه الفقهاء فإنكم تهلكون وتهلكونهم . قال فلما قرأت هذه البطاقة سقطت مابيدى بعد أن رأيت طرف ورقة من تلك الكراريس وكانت العين سراقة فإذا فيه اعلم أنه لايوفق لهذا الورد العظيم إلا من هو من أكابر أهل السعادة لأنه خرج من حضرة الزلفى والأنانية الخ . فحفظت ما رأيت ثم سددت الخزانة امتثالا للأمر وليست الخزانة بكبيرة .

قال ثم إن بعض الفقهاء سمع بذلك فصار يطلق لسانه وصار يقول للإخوان لم تجعل الكتب إلا للقراءة ، ثم أتى إليها وفتحها وأخذ منها شيئا وقرأه فلم يمض

عليه نحو يومين حتى عمى وأصابته حمى مفرطة كانت سبب موته ، ولم يزد بعد فتح الخزانة على عشرة أيام وهى إلى الآن لازالت مغلقة ، وقد سمعت من بعضهم أنها لاتفتح إلا على يدى المنتظر والله أعلم بحقيقة الأمر .

وكان الخليفة الأكبر والقطب الأشهر سيدنا الحاج على التماسينى يحب سيدى أحمد العبدلاوى المذكور المحبة التامة وينوه به بين الخاصة والعامة ، ويوثقه بالصدق فى جميع أخباره ويرسله للأمور المهمة من أوطاره ، وذلك كله لما جبله الله عليه من الشمائل السنية والأخلاق السفية والمكارم العظيمة والمحامد الجسيمة ، ولازال القطب سيدى الحاج على رضى الله عنه يربيه أحسن تربية إلى أن ... رضى الله عنه وهو عنه راض ، بعد ما أرواه كئوس المرقة دهاقا ، وأطلعه ... كنوز الأسرار فى مضمار الفوز بالمقصود فلم يدرك غيره له لحاقا

ثم تلاقى بعد ذلك بالعارف بالله سيدى محمد اكنسوس رضى الله عنه ... من كراماته مايبهر العقول ، واجتمع أيضا بالولى الصالح سيدى ... رضى الله عنه وشاهد منه كرامات عديدة إلى أن توفى رضى الله عنه ... رضى الله عنه بقيد الحياة قائما مقام الجميع فى الدلالة والإرشاد ، ولا... من مشكاة أنواره مايطمئن به قلب الموفق بين العباد

ولنذكر هنا طرف رسالة بعثها المقدم الأمثل العلامة الأجل أبو ... على بن عبد الرحمن منتى وصوان المتوفى قريبا فى رمضان عام ١٣٢٤ وكأنها ... رحمه الله وداع لصاحب هذه الترجمة نص المقصود منها :

والدنا الروحانى وطبيبنا النفسانى ، وولى نعمتنا وملاذى ، وصديقى ... حامل لواء الطريقة المحمدية ومظهر أسرار التجانية العارف بالله ... سيدنا ومولانا أحمد العبدلاوى أدام الله وجودك وأشرق فى سماء العرفان ... أياشريكى فى الصورة الإنسانية وإن كنا واحدا من حيث الحقيقة المحمدية ... السكن والورى أجزاء ، ويانظرة العارف بالله سيدى الحاج على التماسينى قدس ... سره ، وياخزانة أسرار سيدنا محمد الحبيب نجل سيدنا الشيخ رضى الله تعالى عنه ... أشهد بالله أنى ماسمعت ولاعلمت بعد انتقال سيدنا العربى بن السائح رضى الله عنه ... ولارأيت من يقوم مقامك فى هذه الطريقة ... ولامن يعرف ...

الصحبـــة والكمالية ولا آدابها ولا أسرارها ولا أحوال سيدنا رضى الله عنه وأولاده مثلك سيما ركنها الأعظم ، وهو رفع الهمة عن الخلق وعدم الالتفات إلى ما فى أيديهم أبقاك الله علما ومدادا ومركزا لهذه العصبة المحمدية الإبراهمية الحنيفية وبارك لك فى عمرك إلى أن يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده وجعلك من ورثة المقام المحمدى عين الرحمة الربانية التى وسعت كل شيء إلى أن قال فهنيئـــا لك فياخيبة من جهلك ، وبعدا لمن عاداك ، وياحسرة من لم يعرف قدرك ، وياغبن من لم يفز بموالاتك ومحبتك (وكأين من آية فى السمـاوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) الله الله فى دعائك الصالح لصالح أحوالى وتسديد أقوالى وفتح بصيرتى وفك قيودى وخلاصى من ربقة الغير والغيرية ، حتى نرى الحق بالحق من الحق للحق ، سلام الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد الخ بتاريخ رجب سنة ١٣٢٤ .

وقد تفضل صاحب الترجمة رضى الله عنه لصاحب هذه الرسالة من أنه يستودعه وأمرنى بأن أقوم مقامه فى جوابه ، فلما أتيته بالجواب أخبرنى بموته رحمه الله

ثم إنى والحمد لله من اليوم الذى فتح الله علىّ بمعرفته بتاريخ سنة ١٣١٩ هـ وقلبى يزداد فيه محبة من غير علة ولا سبب وقد استشعرت منه يوما أنى أسأت معه الأدب فى شيء لم أعرف له سببا فكتبت له هذه الأبيات .

إنى امرؤ قد عقدت الحب فى خلدى	والحب فى الله لا تنحل عقدته
من به يستنار فى الظلام وعن	كل القلوب تزيل الكرب نظرته
من اكتسى حلة الأنوار منظره	وقد علت فى علا العلياء همته
مولاى أحمد أعنى العبدلاوى من	فيه التواضع طبعا وهو شيمته
بحر تدفق سرا لا يحـــاط به	وكوكب قد علت فى المجد رتبته
وكـوثر قد حلا للناس مورده	بحسن سيرته طابت طويته
أعظم به إن تراه تذكر الله من	أنواره والولى تحييك رؤيته
ياسيدا فى صميم القلب منزله	وفى الولاية لا تخفيه سترته
قلبى بحبك فى الله الكريم وفى	طريقة الشيخ لا تزول لو عقـــده
إن كنت أبغيك فى الدنيا على طمع	خيبت المنى وكستنى الحزن خيبته

فاصفح عليّ إذا رأيت من زالل — فإن قلبي صفت فيكم محبته

وكنت قلت فى مدح جنابه لما قدم من أحد أسفاره رضى الله عنه :

حى القبول بعطفة وتحية — والسعد أضحى معلنا بمسرة
وتبسمت بشرى العناية باللقا — واليمن يرقص من عظيم النعمة
والفتح أقبل بالمسرة والهنا — والحب أكرمنى بأكرم زورة
أكرم به حبا بقلبي ساكنا — قد جاء يرفل فى ملاحة نضرة
قد كاد يحكى البدر طلعة وجهه — وتغار منه الشمس غيرة ضرة
قسما به إن الهوام لرقه — يسبى العقول بأمره فى سرعة
حصنته بمحبتى فى حسنه — وأعيذه من كل حاسد نعمة
فلطالما أفنى فؤادي بعده — والصبر يضعف والجوى فى قوة
وأردت كتم محبتى فتضعضعت — نفسي وبثت مابها فى صفقة
ولقد علمت الكيمياء بهجره — حقا فقلبي بوطـ نار الصنعة
وحقيقة الإكسير مني بالنوى — تصعيد أنفاسى وأدمع مقلتى
والشوق يضرم مهجتى فتأججت — وبدا من التدمير لون الصفرة
ياعاذلى دعنى فإنك تبتغى — منى بلومك وشح عرق القربة
إنى أرى فى مذهب العشاق ذاتى فى الهوى عزا وأعظم قربة
دعنى لحبي للهمام المرتضى — بدر الطريقة ذى السنا والنضرة
بحر المعارف والحقائق والهدى — بل كوثر العرفان منبع حكمة
قمر الأنام وصفوة الشرفاء من — نال التقدم فى مكانة رفعة
شمس الهداية أحمد مولى الورى الأرضى المجدد ذى اتباع السنة
العبدلاوى من سما فوق السها — كهف الأنام الأريحى القدوة
ماهو إلا دوحة الأسرار تقـ — تطف المنى منها وكل مزية
فهو المتوج بالعناية فى الورى — وهو الذى قد نال كل فضيلة
لبس المحامد كلها بوراثة — وسواه يلبسها بثوب عريئة
لاعجب إن أبدى لنا كنز الغنى — ونقومت منه القلوب بعطفة
يكفيه فخرا أنه بين الورى — حقا تربى بين أفضل فتية

أبناء قطب العالمين وغوثهم ... وبمدهم حقا بوقت النشأة
بحر الشريعة والحقيقة مركز الـ ... أسرار والأنوار نور الدجنة
ختم الولاية أحمد التاج الذى ... هو سبط خير الخلق عين الرحمة
ذاك التجانى من حباه المصطفى ... منه الخلافة فى الأنام بيقظة
صلى عليه الله ما خاض الحجا ... فى بحره الطامى لنيل الحكمة
وعلى جميع الآل أقمار الدجى ... والصحب طول الدهر خير تحية

وقد كان أمرنى باستعمال قصيدة فى مدح سيدنا رضى الله عنه موافقة فى الوزن والقافية لدالية الإمام البوصيرى التى مطلعها :

كتب المشيب بأبيض فى أسود ... بقضاء ما بينى وبين الخرد

فقلت امتثالا لأمره قصيدتى الدالية التى أولها :

سلب الغرام من الفؤاد تجلدى ... فالعين منى كحلت بتسهد
والقلب فى الخفقان من ريح الهوى ... والعقل رهن تخيل وتعربد
سكران من خمر الصبابة والصبا ... كيف استماعى للوشاة الحسد
لا أنتهى والحب مازج مهجتى ... ويلوم عذالى بكون تجردى
كيف التسلى واشتياقى مضرم ... والصبر لاباق لمضنى المجرّد
آه على ما يحمل العشاق من ... حرق وما لوصالهم من مسعد
[illegible] كان يمتاع الوصال بنفسهم ... جادوا بها أيام ضرب الموعد
[illegible] يبلغ طعم الهوى فطباعه ... ممزوجة بكثافة كالجلمد
[illegible] راح التصابى ما درى ... كيف انتعاش الروح وقت تودد
[illegible] الراح إلا راحة الروح من ... كمد النفوس وكل شر معتدى
[illegible] إن من مسها تخلو فما ... ظفرت بسر عند من هو مهتدى
[illegible] انموا لى لا الدوالى أصلها ... بل أصلها الكرم الذى لم يجحد
[illegible] حضرة الأنس امتداد فروعها ... ولعرفه مدد بحضرة أحمد
[illegible] الخلائق كلهم وعمدهم ... لولاه ما تم الوجود لموجد
[illegible] الله من قد أمه ... منها يفوز ومن تنحى يطرد
[illegible] الخلق من ... يسأل به المولى يفز بالمقصد

من لايفى أحد بمدح جنابه   إلا الإله فمنه مدح سرمدى
فعليه صلى الله قبل وجوده   وصلاته سبحانه لم تنفد
إن الصلاة عليه كنز جامع   من كل خير ماله من منفد
فعليك بالإكثار فيها إنها   نور بكل دجنـــة يتوقد
حسب الموفق أن تحقق رشده   حب النبي والصحب خير العبد
ومحبة الآل الذين تطهروا   من كل رجس نسل خير عجد
من نسل فاطمة البتول وبعلها   مفتاح كنز السر ذى الكف الندى
شمس العلا المولى على من له   هام الأسود عنت ومن يستأسد
جد التجانى المنتمى شرفا له   بجدوده من سيد عن سيد
عقد من الدر النفيس منظم   فى سلك مجد مثله لم يوجد

إلى أن قلت

إن التجانى ما له مثل ومن   رام اللحوق بشأوه لم يصعد
فتحت به فى العالمين ولاية   وله بها فى الإرث أعلى مقعد
رفعت بغاية أوجها له راية   دلت على تقديمه فى السؤدد
وعلى معانى المجد صح له استوا   متصرفا فى كل شيء باليد
وإذا العناية خصصت عبدا فمن   نهضت عزيمته لدركه يصفد
هل سير من تسمو به رتب بلا   حرج كسير أسير نفس مقعد
الله أعطاه التصرف فى الورى   بوراثة صحت له لم تجحد

إلى أن قلت :

ظهرت لكل سليم صدر شمسه   والنور لم تنظره مقلة أرمد
قل للكابر فى فضائله انشد   ياخب ويحك من بلاء يعتدى
عرضت بالإنكار نفسك للردى   حيث اعتراضك فيه حرب الملحد
أعرضت عن سبل الرشاد بمنكر   ملم التسلم فى الطريق الموصد
من ينكرن على ولى يؤذه   وأذاه فيه أذان حرب موقد
فالله آذن فى محاربة الذى   يؤذى الولى ومن يحاربه ردى
كن إن وعيت نصيحتى سلما ولا   تك مبغضا الأولياء تسدد

فحب قوم جاء يحسب منهم ... ومن انتحى طرق القوالى يحرد
فدع الظنون فبعضها إثم وكن ... فى الخلق متصفا بخلق جيد
لا تلحظن جنابهم شزرا ولا ... تلفظ بقول فيهم لم يحمد
وعليك بالتسليم واحذر من مما ... رضة الذين قد اكتسوا بتجرد
من خاض لجة بحرهم غرقت سفيـ ... ـنته ولم ير للنجا من مسعد
فإذا اصطلاحهم عرفت فأولن ... ما عنك يخفى أمره تستمدد
وإذا بلغت مقامهم تلق الذى ... قالوا صحيحا مالهم من مفند
حاشاهم من أن يكونوا اخبروا ... بسوى الذى قد أبصروا فى المشهد
فى مشهد العرفان حقا قدموا ... متمسكين بحبل سنة أحمد
فبجاهه كن يا إلهى راضيا ... عنى وبلغنى مناى ومقصد
وافتح لنا باب القبول وكن لنا ... دنيا وأخرى خير منج منجد
واختم لنا بسعادة مشمولة ... برضاك واحفظنى من الرد الردى
واغفر لنا ماقد جنينا فى الورى ... واسلك بنا نهج النبى محمد
فعليه والآل الكرام تحية ... والصحب طرا والسلام السرمدى

ولما أطلعته عليها بعد ما أكملتها نشط غاية ودعا لنا بما نرجو من الله قبوله وأول ما رأى من نظمنا وكان سببا لمعرفتنا به قصيدة نونية كنت استعملتها حين ورد المحمل التونسى لضريح سيدنا رضى الله عنه مطلعها :

إن الغرام ببحره ألقانى ... وسقى فؤادى بالرحيق القانى
وتنسمت ريح القبول بعرفه ... والقول يهتف من قدود البان
ياذا الذى يبغى الهوان أى الهوى ... تعنى به فى ذلك الميدان
إن الهوى يفضى إلى نهج الردى ... فاسمح بنفسك كى تحوز أمانى
فأجابت الأرواح منى ها أنا ... ذا فاقبلوا من فضلكم ذا الفانى
فأتى البشير مبشرا بمسرة . ... وبدا الحبيب وبالوصال حبانى

إلى آخرها ، ولنذكر هنا قصيدة كان استعملها الأديب اللبيب الشاعر الاريب السيد إدريس السنانى المعروف بالحنش حين ورد المحمل المذكور وهى :

أنخ هاهنا وانزل على الرحب والسهل ... وأثلج غليل الشوق بالعل والنهل

وألق عصا الترحال ولنك جازما بنيل أطاييب المسرة والسؤل
وقل لفتى قد ظل بالكد قارعا لطنبوبه يبغى الوسائل للوصل
لقد حدت عن نهج الرشاد وأهله إلى كم تكيل الأرض ويحك بالرجل
هلم إلى ظل من الأمن سابغ وركن وطيد قد تسامى على أصل
وروض أريض مد فينان ظله فلم يضح عنه غير ذى شقوة نذل
فأعظم به روضا تفتق زهره فعطر هذا الكون منه شذا الفضل
وقد لاح منه النور فى كل بلدة فسيان منه ذو الحرام وذو الحل
هو المعقل الأحمى هو المسجد الذى إليه العلا تنمى بألسنة الكل
أما إنه قد ضم شيخا وقدوة له الختم إرث جاء من خاتم الرسل
تجانينا تاج الأكابر والذى كراماته عدا تنوف على الرمل
تضاءلت الأقدار فى جنب قدره فليس له فى حلبة السبق من مثل
فياحبذا قطب له الختم آية تواتر عن أهل المعارف بالنقل
به جاءت الأنبياء قبل زمانه فكم عارف وافى لأوصافه يملى
على أنه القطب الذى صح كتمه عليه مدار السر فى العقد والحل
ممد جنود الله من كل أمة ومنقذهم لله صرفا بلا جعل
له بين أهل الحق مالو بدا لنا لذلك له طود النباهة والعقل
فناهيك من حرز وحصن وملجأ لمن يتوخى الفوز فى القول والفعل
فيا عاقلا رام اقتضاب مزية وقد صار عنها للعوائق فى شغل
فلذ بأبى العباس ذى الهمة التى تخلص من رق المثالب والجهل
وكن لصلاة الفاتح الدهر ذاكرا كذا سائر الأوراد من غير مافصل
تشاهد فتوحات الإله وفضله ولم تر إلا النجح فى الحرث والنسل
تردد بعزم صادق ومحبة لزاوية تسلى الغريب عن الأهل
بها مدفن المولى التجانى لم يزل محط وفود المعوزين ذوى الكل
فما هى إلا جنة لنزيلها مفتحة الأبواب للفرض والنفل
وما برحت من همة الفرد قطبها تزيد امتدادا فى الرخاء وفى المحل
هى تكى على الأزمان حسنا وجدة ولسنا نرى الأيام بهجتها تبلى

وتهدى إليها الناس شرقا ومغربا هدايا وصدق الود يدعو إلى البذل

فها تونس الخضرا حبت قبر شيخنا بأحسن ما يهدى من المعظم الجل

أتته بدربوز يخر لحسنه هلال السما إذ كان من أبدع الشكل

فما جاء من صين وهند نظيره ولا صاغه والله فى الشام ذو نبل

ففاق بهاء عرش بلقيس مذ بدا وجاء يشق البحر والبر فى حفل

وأصبح فوق القبر بالحال قائلا ألا إننى إحدى العجائب من مثلى

تأمل جمالى واختراعى ومنظرى تجد من عجيب الصنع ما لم يكن قبلى

كأنى وأيم الله قبة مسجد على مفرق تاج هموم الحشا يجلى

ألست تراه أكسب الشمس غيرة فراحت لنحو الغرب تصفر من أجلى

بهمة مولانا البشير وأمره صنعت وقد ضم الحمى الأحمدى شملى

بشير منـــير الوجه قد عم بشره

وعمت به البشرى لدى الصحب والأهل

خليفة مولانا الحبيب ونجله فأعظم به من فرع مجد ومن أصل

فلا بدع إذ أضحى عن الجد وارثا ألا إن سر الليث يظهر فى الشبل

همام عليه للخـــلافة رونق له همة فى الله أمضى من النبل

يلوح على الزوار ضوء جبينه فتصبو إليه الناس بالحب والجذل

له الرتبة العليا له المنصب الذى يضيق كالا عنه متسع القول

فلا زال فى حفظ وعز ورفعة تقبل منه النيرات ثرى النعل

عليه سلام الله ماهبت الصبا وماذاب من شمس الضحى لؤلؤ الطل

وما قال إدريس السنانى منشدا أنخ ها هنا وانزل على الرحب والسهل

ولازلنا إلى الآن نقتطف من أفنان فنونه أنوارا وأزهارا ، ونقتبس من مشكاة عرفانه أسرارا وأنوارا وكل يوم إذا اجتمعنا به يبدى لنا من المعارف والعوارف والطرائف واللطائف والفتوحات والكشوفات والحقائق والرقائق ما لم يخطر لنا ببال ، ولم نر من حدث بمثله إلا أكابر الفحول من الرجال أطال الله حياته فى أمن وأمان آمين .

ثم إنه رضى الله عنه عطف على عطفة الوالد الشفيق على ولده الصديق بهمته

النافذة لما رآني مشغوفا بهذه الطريقة ورجالها ، والحمد لله على ذلك فتوجني من تيجان هذه الطريقة الأحمدية تاجا ، وقلدني قلادة لم تكن لأقراني منهاجا ، لما أعلمه من نفسي الأمارة وما أعرفه من شيمي بالممارسة والأمارة .

لم أكن للوصال أهلا ولكن قد رأوني متيما وصلوني
وصلوني وأوصلوني على ما فيّ من نقصان وما طردوني

فأذن لي بما تلقاه عن القطب أبي الحسن سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه ، وما تلقاه عن خليفة سيدنا رضي الله عنه سيدنا الحبيب رضي الله عنه ، من التقديم لإعطاء هذه الطريقة المحمـــدية الراغبين فيها بشروطها المقررة وأركانها المسطرة ، ثم بعد ذلك أملى التقديم على ولده أخينا وقرة أعيننا وثمرة فؤادنا سيدي محمد حفظه الله ، وهو يكتب ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الحمـــد لله جل جلاله وعز كماله وتقدست صفاته وأسماؤه وتعالى عزه وتقدس مجـــده وكرمه ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله (وبعـد) فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد أحمد بن محمد ثم العبدلاوي خديم التجاني عامله الله بفضله وكرمه في الدارين أجزت وأذنت لولدنا السيد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج في إعطاء طريقة شيخنا القطب التجاني ، وهو الورد المعلوم الشريف الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وهو : أستغفر الله مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق الخ مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة . وهذا الورد هو لازم للطريقة المحمدية ، يتلوه صباحا ومساء . والوظيفة الشريفة وهي : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة . وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة . والهيللة مائة مرة . وجوهرة الكمال اثنتى عشرة مرة . وتكفي في وقت واحد ، إما في الصباح أو في المساء ، وإن تيسر في الوقتين لحسن . وتقرأ مع الجماعة وهي شرط فيها إن كان في البلد إخوان ، وإن كان وحده ولم يجد الجماعة قرأها وحده .

ومن لوازم الطريقة ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إن وجد إخوانا وإلا ذكرها وحده ، ويجعل عددا ملزوما على نفسه ، من عشرمائة إلى اثنتى عشرة مائة انتهى ما أملاه على ولده حفظه الله . وكتب بخطه المبارك ما نصه : الحمد لله يقول

كاتبه العبد الفقير إلى الله ، خطى شاهد على أجزت ولدنا الأرضى الناسك سيدى أحمد فيما كتبه ولدنا سيدى محمد نفعه الله ونفع من أخذ عنه ، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله انتهى .

واعلم أن مناقب هذا السيد رضى الله عنه يضيق عن حمل بعضها هذا الكتاب لما فيه من الشيم الحميدة والفضائل العديدة والشمائل الأريحية والأخلاق المصطفوية التى يكل عن كتابتها القلم ، ولا يعرب عن جميعها ناطق بفم ، وكثيرا ما ينشدنى قول ابن العربى قدس سره .

يامن كلامى له إن شاء يسمعه ... يجد كلاما على ماشاء يشتمل
الأمر أعظم والأفكار حائرة ... والشرع أصدق والإنسان يمتثل

وقد تذكرت هنا بمضمن هذين البيتين هـذا البيت الذى قيل إنه اشتمل على ما فى الفتوحات المكية .

دوائر أوهام بها شغل الفكر ... فظاهرها خلق وباطنها أمر

وكثيرا ما ينشدنى عند مباسطته :

الفقهاء كلهم من سادا ... أو لم يسد لن يبلغ المرادا
ورزقهم مرخم منادى ... كياسما فيمن دعا سعادا

ولنذكر هنا فائدة يشد لها الطالب المحتاج الرحال ، ولا يدرك مثلها إلا بعد معاناة أوحال ، وبها نختم هذه الترجمة المباركة وهى من جملة ما استفدته منه مما ورد عن سيدنا رضى الله عنه لتيسير كل عسير وفتح أبواب الرزق لكل فقير أن يداوم بعد صلاة الصبح على قراءة أول سورة الأنعام إلى ويعلم ما تكسبون ست مرات فإن الله يسهل لفاعل ذلك من خزائن فضله الأرزاق من حيث لا يحتسب

استطراد بترجمة العلامة سيدى إدريس عمور رحمه الله

وقد استفدت بالإذن الخاص من شيخنا الولى الصالح والنور الواضح العالم العامل والعارف الواصل مربى المريدين وجامع الفضائل بين الأفاضل الهادين المهتدين أبى العلاء سيدى ادريس عمور رحمه الله رحمة واسعة أن من قال بعد صلاة الصبح ثلاث مرات اللهم إنى أسألك من خزائن فضلك فإن الله يفتح عليه أبواب خيراته الحسية والمعنوية ببركة هذا الدعاء المبارك ، وهذا السيد رحمه الله

ورضى عنه كان من أكابر العارفين والأولياء الكاملين وقد ظهر على يده من الفتح المبين مايعجز عن إحصائه البيان . ولولا أنه قال لى حين رآنى أردت أن أجمع بعض ما شاهدته من كراماته مانصه : من كتب علىّ شيئا كتب الله عليه وذلك فى معرض التحذير من ذلك ، لذكرت هنا بعض ما استحضرته مما به يزداد الموفق تسليما لسادا تنا الأولياء قدس سرهم . ويكفى عن تعدادها ظهور الفتح على كل من قرأ عليه من الطلبة ولو يوما واحدا ولقد تفطن له جل طلبة الوقت النجباء فلازموه وانتفعوا به ، وكان آخذا لطريقة سيدنا رضى الله عنه ، ولقد حدثنى يوما أنه رأى سيدنا الشيخ رضى الله عنه وهو يتق له قواديس ماء داره ، وقال له اسق الناس فصار الناس تجتمع عليه وهو يسقيهم فأول هذه الرؤيا بأنه مأذون فى تعليم الطلبة ، فتصدر لذلك وصارت الطلبة تأتى إليه أفواجا أفواجا ، لأخذ العلم الشريف وهوملازم لفراش داره ، وهم يدخلون إليه ويتواردون عليه من الأقطار ولايرد منهم أحدا ، ويقرأ معهم بلا مطالعة ، ويبلغ لهم من كل فن أرادوه غاية مقصدهم ، فلايخرج من عنده طالب علم إلا وقد حصل نصيبا مالم يحط به خبرا ، جزاه الله عنا خيرا ، وقدكان يحبنى والحمد لله محبة خالصة ويدعو لى بما نرجو من الله قبوله إلى أن توفى رضى الله عنه فى ٢٢ من ذى القعدة الحرام سنة ١٣٢٠ ه ودفن بروضة ميمونة المقابلة لضريح الولى الشهير سيدى على بوغالب رضى الله عنه

وقد كنت قلت فيه طالبا منه رضاه قصيدتين نذكر إحداهما تبركا به رضى الله عنه وبها يكون ختم هذه الترجمة المباركة وهى :

حب السوى مع من تهواه محظور وذا لدى مذهب العشاق مشهور
فاسمح بنفسك إن تبغ الوصال فمن لحبه يبذلنها فهو مشكور
روحى الفداء لشمس فى العلا بزغت بها بسبل الهوى للناس تنوير
العالم المرت[illegible] إدريس من رضيت أنفاسه بخمول الذكر مغمور
قد عمر ال[illegible] علما فاستنار هدى بعلمه كسر حلف الجهل مجبور
هوالطب[illegible] النفس من علل بنظـرة وله بالرأى تدبير
وهو ال[illegible] الأمور إذا ما أعوزت وله فى الحق تبصير
وهو المح[illegible] شرفت وهو الذى فى الورى بالخير مذكور

نال المعالي كلا غير أن له | تواضعا وبيحر الخير مغمور
بدر الهداية كهف العالمين هدى | كنز الحقائق بالأسرار معمور
حبر الشريعة بحر البذل منبسطا | بحر الحقيقة حقا فيه محصور
تفك نظرته بهمة عظمت | من في قيود الهوى والنفس مأسور
لخلقه جامع لكل محمـدة | وخلقـه زانه نور وتوقير
عقل يجول لدى الأكوان معتبرا | والقلب منه بحب الله مخمور
يحب في الله ثم فيه يبغض لا | تراه للنفس يرضى وهو مغرور
من لي بإحصاء ما قد نال من شرف | فإنني بلسان العجز معذور
لازال نقتطف منه كل مكرمة | وقلبه بشذا التوحيد معطير
والله يكلؤه في كل حالتـه | بجاه خير الورى من كله نور
عليه أزكى صلاة الله دائمة | وما ترنم في مغناه شحرور

وكان رضي الله عنه كثيرا ما يدعو بهذا الدعاء : اللهم ملكني نفسي ملكا يقدسني عن كل خلق سيء واهدني إليك ياهادي ، إليك مرجع كل شيء وأنت بكل شيء محيط .

ويدعو أيضا بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي عنت له الوجوه وبنورك الذي شخصت إليه الأبصار أن تهديني إلى صراطك الخاص ، هداية تصرف بها وجهي عن كل مطلـوب سواك ، وخذ بناصيتي إليك أخذ عناية ياذا الجلال والإكرام . وربما أدرج الدعاء الاول في الثاني بعد قوله أخذ عناية وملكني نفسي ويختم بياذا الجلال والاكرام اه

سيدي مسعود بن قويدر

ومنهم البركة الأمجد الكوكب الأسعد السيد الجليل الشريف الأصيل سيدي مسعود بن قويدر وكان رحمه الله من السابقين للخيرات المسارعين لنيل المكرمات أخذ الطريقة المباركة عن سيدنا رضي الله عنه لما قدم مع عشيرته على سيدنا رضي الله عنه للأخذ عنه حيث أخبرهم أخوه الفاضل الأمجد سيدي محمد المتقدم الذكر ، وقالوا لا بد لنا من الورود من هذا البحر الذي حلا للناس موارده ، وقد قبلهم سيدنا رضي الله عنه ، وأقبل عليهم بعطفته حتى بلغ كل واحد منهم ما رجاه دنيا وأخرى

ولازال صاحب الترجمة رحمه الله متمسكا بحبل هذه الطريقة الأحمدية حتى دعاه داعي الفلاح لدار السلام فلبته روحه لازالت الرحمة تنصب على قبره مدى الدوام .

سيدي مسعود خديم سيدنا رضي الله عنه

ومنهم ذو القلب السليم والصادق الحميم ، الحوض المورود ذو السعي المحمود سيدي مسعود خديم سيدنا رضي الله عنه . هذا السيد رحمه الله من خاصة أصدقاء سيدنا رضي الله عنه الذين كانوا عنده ملحوظين بعين المودة الصافية ، والصداقة الوافية ، وقد أمنه على داره رضي الله عنه ، واستعمله بوابها مراعيـــا للداخل والخارج ، ولايدخل أحد إلى دار سيدنا رضي الله عنه إلا إذا استأذن عليه في ذلك ، وقد زوجه سيدنا رضي الله عنه بابنة إحدى زمائه اللاتي تسرى بهن بعدما أعتقها على عادته رضي الله عنه من عتق كل مملوك يشتريه في غالب أحواله ، وزوجه سيدنا رضي الله عنه بها لما بلغت صونا له ولها ، ولازالت بدار سيدنا رضي الله عنه وفي وقت المبيت تذهب لمسكنها المعد لها ولزوجها إلى أن توفي سيدنا رضي الله عنه وذهبت مع زوجها في رفقة أولاد سيدنا رضي الله عنهم لعين ماضي ، وهناك توفيت مع زوجهـــا وقد ولدت معه بنتا وتزوج بها سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به ، وزفت إليه عروسا من دار الشيخ رضي الله عنه وهي أم ولده سيدي محمد ، حمد الله مسعاه دنيا وأخرى ، وأولانا وإياه مثوبة وأجرا آمين ، وكان سيدنا رضي الله عنه يسم صاحب الترجمة بالصلاح ، وكان ذاهبا معـه في بعض الأيام في الطريق فسمع سيدنا رضي الله عنـه هرة صغيرة تصيح فقال له يا أبا مسعود ارفعها بملك فرفعها معه ، ولما وصل لداره رضي الله عنه بعث له بآنية من طعام لتأكلها ، وكانت عادته رضي الله عنه في وقت الأكل يأمر بقصعة من الطعام للقطوط التي بداره رضي الله عنه كما في الإفادة الأحمدية .

سيدي بلال خديم سيدنا رضي الله عنه

ومنهم خديم سيدنا رضي الله عنه الصادق الأمين صاحب السعي المشكور والدين المتين سيدي بلال كان رحمه الله يخدم سيدنا رضي الله عنه بقلبه وقالبه ، مجبولا على حبه وحب أقاربه ، ساعيا في كل مايسره ، وقد كان اتخذه سيدنا

رضى الله عنه لبعض مهماته وضرورياته الخصوصية ، وقد كان يوما مارا معه خارج البلد مع بعض أصحابه فرأى سيدنا رضى الله عنه بهيمة على مزبلة وهى بالحياة فسأل رضى الله عنه عن صاحبها فقيل له إنها لما مرضت أخرجها صاحبها لئلا يزيد عليها الكراء إذا ماتت فقال لهم رضى الله عنه : أوتبقى بالجوع لايحل هذا . ثم التفت إلى صاحب الترجمة وقال له : يابلال الله يسترعليك اتنها بما تأكل وماتشرب إلى أن تموت ، فصار يتفقدها فى الأكل والشرب حتى قضى الله بوفاتها .

وكان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا لحسن سيرته وصفاء سريرته زيادة محبته لموافقة اسمه لاسم سيدنا بلال خديم النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا مثل مقالته لذلك الصحابى الجليل رضى الله عنه ، وكان صاحب الترجمة ملازما لسيدنا رضى الله عنه فى الذهاب معه إلى أى موضع أراده ، وربما يذهب معه بعض خدامه أيضا وهو فى الغالب لايفارقه . وقد بلغنى على لسان الثقة أن سيدنا رضى الله عنه كان نازلا من ملاقاة سلطان الوقت مولانا سليمان قدس الله سره وهو مار بأعلى زقاق الحجر من مدينة فاس ، وكان بعض أكابر الشرفاء جالساً بدار مولانا سليمان المعروفة هناك فلما رأوا سيدنا رضى الله عنه نازلا من أعلى الطريق وهو راكب وصاحب الترجمة عن يمينه وخديم آخر عن يساره قال بعضهم لبعض سراً، والله إن هذا التجانى لآية من آيات الله . وسكتوا فلما وصل إليهم سيدنا رضى الله عنه وقاموا ليسلموا عليه قال لهم رضى الله عنه مكاشفا لهم قولوا والله إن التجانى لآية من آيات الله العظام ، وكررها عليهم رضى الله عنهم فتعجبوا من ذلك ، وحصل لهم فى جناب سيدنا رضى الله عنه زيادة اعتقاد فى رسوخ قدمه فى الولاية قدس الله سره وتلقوا عن طريقته المحمدية بعد ذلك ، ودارهم إلى الآن لازالت معمورة بالإخوان أصلح لى ولهم الشأن .

الحاج بوجمعه خديم سيدنا رضى الله عنه

ومنهم الماجد الأرضى و الأمثل المرتضى ... المبارك الخير السيد الحاج بوجمعه وصيف سيدنا رضى الله عنه ، ... الله من أفاضل الخاصة الذين صفت خدمتهم من كدر ... فى الجناب الأحمدى الموصوفين بالخيارة

التامة والفتح الكبير بين الخاصة والعامة ، وكان رحمه الله كثيرا مايرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكره في البغية عند قول المنية في جوهرة الكمال .

ومن يكن لازمها سبعا لدى   منامه يرى النبي أحمدا
صلى وسلم عليه الله   ما اشتاق مؤمن إلى لقياه

ونصه وقد حدثني مرارا بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن وصيفا من وصفان سيدنا رضي الله عنه أخبره أنه كان يستعمل لرؤياه صلى الله عليه وسلم الصلاة التي كان الواسطة المعظم سيدى محمد بن العربي يستعملها للقيه عليه الصلاة والسلام ، وكان يعني الوصيف المذكور إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له أنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر لي هذا الفاضل رحمه الله تعالى أن أصحاب سيدنا رضي الله عنه كانوا يميلون إلى التقييد لمثل هذا تثبتا منهم رضي الله عنهم خشية الكذب عليه صلى الله عليه وسلم ، والوصيف المذكور كان مشهورا بالخير معروفا بالجد والاجتهاد في طاعة الله تعالى اسمه سيدى الحاج بوجمعة وقد تأخرت وفاته عن وفاة سيدنا رضي الله عنه بنحو العشرين سنة وهو الذي ذكرته عنه كان يحدث قيد حياة الشيخ رضي الله عنه وكم من واحد من هؤلاء الوصفان مماليك الشيخ رضي الله عنه ومماليك غيره ظهر عليهم آثار الفتح على يدى الشيخ رضي الله عنه اهـ

أقول وقد وقع لوالدى غمرني الله في رضاه وأحسن إليه في دنياه وأخراه ممايقتضي التثبت في ذلك مثل ما وقع لصاحب الترجمة أنه كان ملازما لقراءة دلائل الخيرات كل ليلة جمعة واثنين مع جماعة في مسجد مجاور لدار سكناه ، فاتفق له أنه لم يخرج في بعض الليالي بل بقي بداره وهم يقرؤن وهو يقرأ بقراءتهم حتى غلبه النوم ، فبينما هو نائم إذ رأى أحد الجماعة مقبلا وهو يقول له : قم لترى النبي صلى الله عليه وسلم فها هو ذا مار من هنا . ودخل ذلك الرجل لمسجد القراءة مسرعا قال فوقفت في طريقه متأدبا فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مقبل هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قال فلما رأيته صلى الله عليه وسلم رميت نفسي عليه وصرت أقول له أريد أن أمتع الملامح يارسول الله ، وصرت أكررها عليه وأردت بذلك رؤية الخاتم قال فصار أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لي إن

هذا الموضع مريض ويشير لموضع الخاتم ، ويقول لى لا تقربه ، قال فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم وقال له دعه عنك حتى يتمتع ملامسه ، ثم حل صلى الله عليه وسلم طوقه الشريف ورمى شملته عن كتفيه وقال لى انظر قال فرأيت خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وصورتها مثل كف يد بين الكتفين والأصابع إلى أسفل منضموم بعضها إلى بعض وفى منتهاها دارت الخاتم الشريفة كالطابع المعمر ولونها أحمر قال فصرت أقبلها وأضع عينى عليها إلى أن قال لى صلى الله عليه وسلم يكفيك فرفعت رأسى وسد صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف ولما ذهبت نادانى صلى الله عليه وسلم وقال لى أتسمع قال فقلت له نعم ياسيدى يارسول الله . فقال أنت من رأوا نحمدا هذا . قال فلما سمعت منه ذلك حصل لى فرح عظيم حتى استيقظت من أجله ... الجماعة الذين يقرؤون فى ذلك المسجد بلغوا إلى قول صاحب دلائل الخيرات رضى الله عنه اللهم صل على صاحب الحسن والجمال والبهاء والكمال الخ . قال فقمت وتوضأت وذهبت إليهم وأخبرتهم بهذه الرؤيا فتحققوا أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليحضر للختم . وفرحوا غاية الفرح بذلك وحصل لهم نشاط فى المواظبة على القراءة بعد أن كان بعضهم يتراخى فى الحضور إلى أن أذن الله بفراق الجماعة بموت غالبهم والبقاء لله الواحد القهار .

المقدم السيد أبو يعزى براده

ومنهم البركة الأجل والخير الأفضل الولى الكبير والعارف الشهير المقدم فى أفاضل الإخوان لتلقين الوسيلة المحمدية ذات المواهب العرفانية فى السر والإعلان أبو عبد الله سيدى أبو يعزى بن الخليفة المعظم أبى الحسن سيدنا الحاج على ... ازم براده قدس الله سره فى روح وريحان . هذا السيد الجليل كان ... عليه ... رضى الله عنه ... يعرف المحبة فى الحضور والغيبة ، معظما عند العامة والخاصة فى حياة سيدنا رضى الله عنه وبعدها ، وكان مقربا فى حضرة سيدنا رضى الله عنه قائما عنده مقام والده الخليفة المعظم رضى الله عنه ، وكان له هو أيضا محبة زائدة فى الجناب الأحمدى رضى الله عنه ، وهو أحد رسل سيدنا رضى الله عنه للصحراء وغيرها ، معروفا بالصدق والأمانة والدين المتين مع الورع التام والزهد التام المربوط بحبل الديانة . وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبى صلى الله عليه وسلم

الفتح الكبير ، وقد كان رحمه الله من أفاضل المقدمين الذين تخرج على يديهم كثير من المفتوح عليهم فى هذه الطريقة ، وهو أحد من له الإذن المطلق العام فيها وفى جميع أذكارها وأسرارها ومعارفها وحقائقها الخاصة والعامة وفى تلقين ذلك لمن أراد الدخول فى هذه الطريقة خصوصا أو عموما على ما اقتضته العناية الربانية والنفحة الإحسانية كما أن له الإذن المقيد الخاص ، أما الأول وهو الإذن المطلق فقد تلقاه عن المقـــدم الكبير العارف الشهير أبى عبد الله سيدى الحاج محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى ، وأما الثانى فمن جماعة منهم الشريف الأصيل المقدم الجليل سيدى محمد الغالى بو طالب رضى الله عنه ، ومنهم العارف الأكبر القطب الأشهر سيدنا الحاج على التماسينى رضى الله عنه ، وقد كان صاحب الترجمة كتب إلى سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه يطلب منه الإذن فى التقديم فأجابه رضى الله عنه بجواب ضمن رسالة كتبها إلى فقراء فاس نص المقصود منها .

وقولك يا محبنا بوعز على التقديم والإذن لك فى إعطاء الأوراد أما بيكفيك إذن سيدى الغالى لك إلى أن قال : وأما نحن فلا إذن لنا فى التقديم ولا فى إعطاء الأوراد لأنا لم نكن أهلا لذلك ، وأما أمر الأحباب وأمر الدنيا فى مصالحنا ومصالح الأحباب فقد قمناك عليها مقام أنفسنا وبدلا عن شهودنا فمن أطاعك فقد أطاعنا لأنك أنت أهل لذلك إلى آخرها .

ثم أمر سيدنا محمد الحبيب رضى الله عنه الخليفة الأكبر القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه أن يقدم صاحب الترجمة تقديما خاصا وكان رضى الله عنه لايقول بالإذن المطلق كما حدثنى بذلك سيدى ومولاى أحمد العبـــدلاوى نفعنى الله به ، فكتب له التقديم وقيد له رضى الله عنه فى تقديمه الخاص أن يقدم خمسين مقدما تقديما مقيدا لايتسلسل وبعثـــه إليه مع سيدنا أحمد العبدلاوى رضى الله عنه فأتاه به من عين ماضى كما أخبرنى بذلك مرارا وقد أذن صاحب الترجمة قدس سره لبعض أفاضل الإخوان من العدد المذكور المأذون له فيه .

استطراد بترجمة المقدم سيدى علال الفاسى

وأذن فى إتمام هذا العدد المذكور للفقيه الأجل الخطيب البليغ البركة الأمثل المقدم الزكى أبى الحسن سيدى علال بن الفقيه الخطيب البليغ الأديب أبى محمد

سيدى عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري المتوفى فى زوال يوم الجمعة ثانى وعشر جمادى الأولى عام أربعة عشرة وثلثمائة وألف ودفن خارج باب الفتوح كما أذن له رضى الله عنه بالإذن المطلق وكان رحمه الله محبوبا عند صاحب الترجمة لخيارته، وعلو همته، وقد أشاع عنه بعضهم فى هذه الطريق من أمر الزيارة وإباحتها ما لا يليق بجلالته ورسمه مما لا ينبغى ذكره، ولعله مفتعل عليه وحاشاه منه وإنما هو من مزاحمة المراتب فيما بينهما والله أعلم بحقيقة الأمر.

ونبهنا على هذا لئلا يغتر من وقف على شىء من ذلك فيقع فى عين الإذاية الموجبة للقطيعة والعياذ بالله.

استطراد بطرف من ترجمة القاضى سيدى حميد بنانى

وقد أذن سيدى علال المذكور بالإذنين معا لشيخنا العلامة الأجل الدراكة الأكمل البركة العظمى والراقى فى أوج السيادة المقام الأسمى بقية السلف وواسطة الخير فى الخلف قاضى الجماعة بفاس ونواحيها أبى العباس سيدى حميد بن سيدى محمد بنانى، أمده الله بعنايته فى الدنيا والأخرى وأولاه مثوبة وأجرا، وقد من الله على والحمد لله بما لا أفى طول حياتى بشكره ولا أقدر على حمد قدره أن أذن لى بذلك شيخنا المذكور جزاه الله عنا أفضل ما جازى به أولياءه المقربين مدى الدهور، بعد أن طلبت منه الإجازة العلمية وساعدنى على ذلك بإجازة كلية فى علومه العقلية والنقلية، ثم كتبت إليه أطلب منه الإجازة بالتقديم فى هذه الطريقة المحمدية هذه القصيدة:

دعانى الهوى سرا فلبيته جهرا ولو لم أجبه طوعا لوافيته قهرا
أبى الله إلا أن أكون متيما [illegible] أملك لى صبرا
خلعت عذارى فى الهوى غير قابل [illegible] الحب لايقبل العذرا
وأعجب من فى الغرام يلومنى رنوى فى دين الصبابة لى إغرا
أخلاى هل من شافع عند مالكى عساه بسيف الوصل أن يقطع البحرا
وماضره لو جاد لى بو[illegible] له ويودع برد الود فى كبدى الحرى
ألم يتيقن أن نفسى ملكه متى يدعها للحتف تمتثل الأمرا
بلى إنه يدرى بأنى عبده ورق له فى الخلق صيرنى حرا
ولابدع إن أحرزت حرية به وكنت أرى عبدا أباع ولا أشرى

فمن كان عبدا للكرام فإنه ... يفخر مواليه ترى عنده فخرا
وما ملكتنى فى الورى أبدا يد ... سوى يد شيخى من علا فى الملا قدرا
تملكنى لما أزال جهالتى ... ببث علوم فى الورى تشرح الصدرا
ألا إنه القاضى حميد الذى يرى ... حميد خصال فى الورى فضله يدرى
فما هو إلا البحر بالدر قد جرى ... وفى كل روح فى الورى ينفث السرا
أحاط بأسرار المعارف كلها ... فصار يرى من بين أولى الهدى بحرا
وحاز من العرفان كل لطيفة ... فأضحى انا فى كل داج يرى بدرا
له نظرة يشفى بها كل معضل ... ومن كل قلب بالهدى يكشف الضرا
ومهما تبدى بين قوم بمحفل ... تراهم كأن الطير فى رأسهم قرا
له تخضع الهام العظام مهابة ... وإن يره ليث طغى فى وغى فرا
إذا ذكر الحكام بالعدل فى الورى ... لعمرك تلفيه هو الآية الكبرى
فمذ شب لم يعدل عن العدل والتقى ... ولم يقض إلا بالهدى للورى طرا
وبين يديه فى العلا نشرت له ... من العدل رايات تقلده الفخرا
ولو أن من يأتى ببعض مديحه ... وأبدى من المدح الحالات ما أطرا
وإنى عن إبقاء مدح بجنابه ... أرى عاجزا لا أستطيع له حصرا
وحسبى اعتذارى منه بالعجز دائما ... وظنى فيه أنه يقبل العذرا
وهذه عذرا قد وقتت عروسه ... تؤمله يجعل لها قربه مهرا
أشيخى بنانى أنلنى إجازة ... تقدمنى فيها على مبتغى الذكرا
وذلك فى تلقين أوراد شيخنا التـ ... ـجانى الذى فى الأولياء سما قدرا
لعلى بها نحظى بخير هداية ... أفوز بها دنيا وأسعد فى الأخرى
فلازلت فى حفظ الإله متوجا ... بتاج الرضى تسمو بأوج العلا بدرا
ولازلت تسقينا كئوس معارف ... بجاه رسول الله خير الورى طرا
عليه مع الآل الكرام تحية ... وأصحابه من فضلهم فى الورى [illegible]

فكتب لى أطال الله حياته فى أمن وأمان وأعلى درجته فى أعلى الجنان

الحمد لله مجيز سائله وقاصده ومانحه أسباب المعالى وفوائده، تفضل على هذه الأمة بنبيها خاتم الرسالة وجعلها خير الأمم وأفضلها على كل حالة، و[illegible] أولياءه بمعارف

أنواره وخصهم بظهور آياته وأسراره نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو ساتر العيوب والمتفضل على عباده بمحو الآثام وكبائر الذنوب اصطفى من شاء للاهتداء به فجعلهم إليه خواصا فرقى به كاملا ، وكمل به ناقصا ، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الفاتح لما أغلق من المسائل وأشكل ، والخاتم لما سبق فهو الآخر صورة والأول ، الساري سره في جميع أوليائه أمته ، أصل الوجود ومعظمه وطرازه وأساس طلعته ، هو طبيب القلوب ومربيها ودالها على سبل رشادها ومنجيها صلى الله عليه وسلم وعلى آله العارفين الكمل وأصحابه الهداة المرجوين في كل مؤمل صلاة وسلاما دائمين بدوام الليالي والأيام ، طالعا عنهما بمطالع خاتمة الصدر وبدر التمام . هذا وقد سألني من لا أستطيع رده ومخالفته ولا أروم إلا إنجاز قصده وموافقته ، أخونا ومحل ودنا ونزيل ضميرنا وخلدنا الفقيه الألمعي المتفنن الأديب النجيب اللوذعي ، الذي وجه همته للمعالي ، ورام التشبث بما تتنافس فيه الهمم العوالي فلا تراه إلا على المكارم يعرج سيدي أحمد بن الأبر الحاج العياشي سكيرج أسمى الله مرتبته ، وأمد بفيض العرفان ملكته ، حيث جمعتنا معه دائرة القطب المكتوم والغوث المختوم صاحب المقام الرباني ، سيدنا ومولانا أحمد التجاني ، أعاد الله علينا جميعا من بركته وأثابنا على محبته ولزوم طريقته ، أن أجيزه فيما طلب مني الإجازة فيه مما يرجع إلى الطريقة الأحمدية التجانية المحمدية ظنا منه أنني أهل لذلك أو ممن سلك أدنى شبر من تلك المسالك وهيهات هيهات أنى لي بالحوق أولئك الرجال ، والعبور على سبيلهم الحسنى في كل مجال .

ولكن لما قويت في هذا الجانب محبته وخلصت نيته وطويته ، أجبته حينئذ إسعافا لرغبته وعملا بصدق محبته ونيته ، فقلت والله المستعان وعليه جل جلاله التكلان .

قد أجزت للأخ المذكور في تلقين أوراد شيخنا العامة والخاصة بشروطها اللازمة وآدابها المعتبرة ، كل على قدر مشربه ورجحان عقله ومطلبه مع الإذن له في التقديم المطلق لملقنها لكن مع وجود الأهلية ومراعاة الاستحقاق والتزكية كما أذن لنا ذلك بالإذن الثابت الصحيح والخطاب الرقمي والشفاهي الصريح عن القدوة المقدم المواسي الفقيه الخطيب البليغ البركة سيدي علال الفاسي ، وهو عن القدوة

المقدم سيدى أبى يعزى جزاه الله بأحسن مابه المحبين يجزى ، ابن مؤلف جواهر المعانى الخليفة البركة أبى الحسن سيدى على حرازم برادة رزقنا الله وإياه الحسنى وزيادة وسيدى أبو يعزى المذكور عن سيدى محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى لكن فى التقديم المطلق وغيره من تلقين الأوراد الخ

وعن أبى الحسن سيدى على التماسينى فى تلقين الأوراد والاذن فى تقديم خمسين تقديما مقيدا لايتسلسل ، وقد أذن أبو يعزى لبعض من المدد المذكور المأذون له فيه وأذن لسيدى علال الفاسى المذكور فى تكميل مابقى فأذن لمن أذن له فى ذلك وأذن لنا فى تقديم ستة من العدد الباقى فأذنا لمن أذن له منها ونحن نأذن للأخ أيضا فى تقديم واحد من العدد الباقى بعد إذن من أذنا له فى بعضها ، وعليه بتقوى الله ومراقبته وملاحظة طريقته ومعاملته ، فإن بتقوى الله ينال العبد سائر المزايا ، ويسود بفضل الله على كل البرايا إذ ما وصل من وصل فى القديم والحديث إلا بتقواه تعالى ، كما يشهد لذلك آيات متكاثرة وأحاديث .

ونسأله سبحانه التوفيق بمنه وأن يختم بالخير أعمالنا ويبلغ من رضاه وقربه آمالنا ، ويمن علينا بما من به على أهل حضرته ومحبته وطريقته وأماتنا على السنة المحمدية ، وجنبنا البدع الردية ، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ، فمن أجاز من ذكر فيما ذكر أمر بكتبه لسانه ، وقيد فى حادى عشر رمضان المعظم عام ١٢٢٤ رزقنا الله خيره ووقانا شره وضيره ، وهو أحمد بن محمد بنانى وفقه الله بمنه وجميع المسلمين اه

وقد بسطت الكلام فى ترجمة شيخنا المذكور فى غير هذا التأليف والله الموفق .

سيدى عبد الواحد برادة

ومنهم أخو المترجم له قبله محبوب سيدنا رضى الله عنه وعبده المطوى على محبة سيدنا رضى الله عنه قلبه المربى فى حجره بين أولاده وأهله المشهود له بالخيارة حتى أقرت أعداؤه بفضله الفاضل الماجد سيدى عبد الواحد بن الخليفة سيدنا الحاج على حرازم رضى الله عنه

كان رحمه الله لايعرف إلا سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، ولم يفتح عينه إلا عليه ولم

ينتسب إلا إليه ، حتى كان يظن بعض الأصحاب ممن ليس لهم معرفة داخلية بأولاد سيدنا رضى الله عنه أنه ولد له ، وذلك أن الخليفة المعظم رضى الله عنه لما أمره سيدنا رضى الله عنه بالسفر من هذه الحضرة الفاسية لأمر اقتضاه حاله كما تقدم التنبيه على بعضه في ترجمته ، ترك رضى الله عنه زوجه حاملا به فلما وضعت صاحب الترجمة رحمه الله ، تكفل سيدنا رضى الله عنه بالنفقة عليه بعد تسميته وقام رضى الله عنه بتربيته في الظاهر والباطن حتى كأنه واحد من أبنائه الكرام لايخرج من دار سيدنا رضي الله عنه إلا في بعض الأوقات وكان يحبه جميع أهل سيدنا رضى الله عنه ، ولازال معه على هذه الحالة إلى أن ناهز الحلم ، وتوفى سيدنا رضي الله عنه ولازال هو أيضا متشبثا بأذيال الطريقة وشاربا من حوضها كأس الحقية إلى أن توفى رحمه الله وهو مدفون بزاوية سيدى على الجمال بحومة الرميلة من فاس

سيدى الحاج عبد الرحمن برادة

ومنهم الناسك الذاكر الحامد الشاكر ذو الأفعال الحميدة والفضائل العديدة المستغرق في محبة سيدنا رضى الله عنه طول أوقاته وأحيانه ، والمقتبس من نور مشكاته وعرفانه البركة الماجد السيد الحاج عبد الرحمن براده ، هذا السيد رحمه الله كان من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه المشهود لهم بالمعرفة الكبرى ، وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح كما أخبر بذلك سيدنا رضي الله عنه ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة حتى إنه لايخاطبه إلا بلفظ السيادة ، وكان رحمه الله كثير المحافظة على الأدب اللائق بحضرة سيدنا رضى الله عنه ، سيما إذا كان جالسا بين يديه ، وكان رحمه الله رجلا بدنا حتى إنه لايقدر على تربيع رجليه إذا قعد ، واتفق له في أول أمره بعد أخذه الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه ما بلغني عنه أنه رحمه الله كان يوما بين يدى سيدنا رضى الله عنه جالساً مادا إحدى رجليه لفرط سمنه ، فقال له سيدنا رضى الله عنه تأدب يامسكين ، فقال له ياسيدى وحق الله إني لمستحى منك لكوني لا أقدر على الجلوس المطلوب من أمثالي كما ترانى فنطلب من سيدنا المسامحة ، فقال له سيدنا رضى الله عنه لابد من استعمال الأدب في الجلوس بحضرة المشايخ ، وإنى وإن سامحتك فالمرتبة لاتسامح لمن أساء الأدب عليها ، فصار من ذلك الوقت مراعيا للأدب التام اللائق بالشيوخ العظام

مع تحمل المشقـــة عليه فى ذلك الجلوس ، وما قال له سيدنا رضى الله عنه ذلك إلا لشدة اعتنائه به وخوف الضرر عليه كما يقع لكثير ممن لايحسنون الأدب مع ساداتنا الأولياء رضى الله عنهم .

وقد حكى عن بعض العارفين قدس سرهم مما يتضح به المقـام أنه كان مارا مع بعض العارفين أيضا فى الطريق وعليهما معا ثياب بالية على حد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه

على ثيـاب لو يباع جميعها   بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها   نفوس الورى كانت أعز وأكبرا

فاتفق أن رآهما الصبيان فأخذ أحدهم حجرة ورمى بها فأصابت رجل أحدهما فبمجرد ماضربت الحجرة رجل ذلك العارف سقط الصبى الذى رماها على الأرض ميتا ، فالتفت إليه صاحبه المرافق معه ، وقال له ما هذا القلق المفرط الذى وقع بباطنك من أجل هؤلاء الصبيان الذين لاعقل لهم حتى وقع لهـذا الصبى ما ترى ، فقال له والله ما تغير قلبى عليهم بشىء ولكن المرتبـة لم تسامح من أساء الأدب عليها انتهى .

ولهذا نص أئمة الطريق قدس سرهم تبعا لما جاءت به الشريعة المحمدية على أن من أراد السلامة لنفسه دنيـا وأخرى فليحـذر من أن يحقر أحدا من خلق الله ، ورحم الله القائل :

فلا تحقرن شخصا من الناس علـه   ولى إلـه العـالمين ولاتدرى
فذو القدر عند الله خاف عن الورى   كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

واتفق له يوما أنه كان يطالع طبقات الإمام الشعرانى رضى الله عنه فحصل له فى بعض رجالها رضى الله عنهم تعظيم مفرط كاد أن يقع به فى عين الالتفات المؤدى لقطع الرابطة بين المريد وشيخه ، فلم يشعر بنفسه حتى وقف سيدنا رضى الله عنه بجنبه وقال له : ماهذا يافلان أتجانى أنت أوكذا وسمى له صاحب تلك الترجمة ، فقال له ياسيدى أنا تائب لله ، وقد ذكر هذه القضية صاحب البغية ولم يسم من وقعت له ، وذلك فى تعداد كرامات سيدنا رضى الله عنه ونصه : ومن ذلك دخوله على بعض خاصة أصحابه المشهود لهم ببلوغ مقام المعرفة بالله تعالى وهو فى منزله يطالع كتابا لبعض

الأكابر ، فصدر منه تعظيم زايد لذلك الكبير كاد أن يقضى به إلى الالتفات المضر بالمريد الصادق فى طريق التربية ، فزجره رضى الله عنه وأخذ بيده وأقامه وقال له يافلان أنت تجانى أوكذا ، وذكر له النسبة إلى ذلك الكبير ، ويقع فى وهمى أن الصاحب المذكور كان بفاس ، والشيخ رضى الله عنه بالصحراء انتهى

وعلى كل حال فهى من كرامات سيدنا رضى الله عنه واعتناء صاحب الترجمة المنبىء بحضور همة سيدنا رضى الله عنه مع مريده أين ما كان . ومن هذا المعنى ماحدثنى به شيخنا العلامة الدراكة الفهـــامة الشريف الحسيب سيدى الحبيب الداودى حفظه الله ورعاه ، أن الفقيه العلامة سيدى أحمد كلابنانى حدثه أن سيدنا رضى الله عنه قيل له إن العارف بالله مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه قال فى اعتنائه بمريده وحفظه فى حالة مغيبه وشهوده ، أن صاحبه إذا أراد أن ينام يفرش له جناحا وطاء ، ويجعل له الجناح الآخر غطــاء ، فلما سمع ذلك سيدنا رضى الله عنه قال لهم إن صاحبى لايغيب عنى طرفة عين اهـ

توفى رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف ودفن بروضة سيدى ابن عمر داخل باب عجيسه .

ابنـه الحاج محمد

وكان على قدم صاحب الترجمة فى هذه الطريقة المحمدية ولدان جليلان أحدهما البركة الأمجد الخير الأسعد أبوعبد الله سيدى الحاج محمد كان رحمه الله محبوبا مع أخيه عند سيدنا رضى الله عنه ويدعو لهما بالفتح وكان له به اعتناء تام ، ومن عجيب ما اتفق له أنه كان بمصر مارا ببعض طرقها فرأى جماعة من بعض الطوائف فى إحدى زواياها وهم يجتمعون فى حضرة ذكرهم فاستحسن ذلك ودخل لموضعهم وجلس ينظر إليهم ، ولم يكونوا تجانيين ، فلم يشعر بنفسه حتى أخذته سنة فرأى سيدنا رضى الله عنه وهو يقول له فى معرض التوبيخ : ما هذا يافلان ، مبارك سعيد الشيخ الجديد ، فاستيقظ فزعا مرعوبا ، وقام وخرج مسرعا ، ولازال عاضا بنواجذه على حبل هذه الطريقة إلى أن توفى رحمه الله .

ابنـه الحاج العربى

والثانى هو البركة الأجل الفاضل الأكمل الناسك الذاكر الحامد الشاكر أبو محمد

سيدى الحاج العربى وهو والد الناظر ، كان رحمه الله ذا دين متين ، وقدم فى هذه الطريقة مكين ، مولعا بحضور مجالس العلم الشريف ، وكان رقيق القلب ، فلما حضر مجلس وعظ لم يبك فيه ، كما حدثنى بذلك بعض أشياخنا ، وكان رحمه الله مستغرقا فى محبة سيدنا رضى الله عنه ، ولازال متشبثا بعروة هذه الطريقة حتى توفى رحمه الله

الحاج مسعود براده

ومنهم الخير الزكى العاقل الذكى ، ذو السمى المحمود المكرم السيد الحاج مسعود براده ، هذا السيد رحمه الله من أفاضل الأحباب الذين لهم المحبة التامة فى جناب سيدنا رضى الله عنه ، وكانوا يسارعون فى مرضاته لنيل خالص دعواته ، وكان رحمه الله ملحوظا عند سيدنا رضى الله عنه ، وهو مذكور فى بعض الرسائل التى بعثها سيدنا رضى الله عنه لفقراء فاس ، صانها الله من كل باس .

الحاج عبد الرحمن بنيس

ومنهم البركة الأجل الزاهد الورع الأكمل الخاشع الخاضع الفاضل المتواضع السيد الحاج عبد الرحمن بنيس كان رحمه الله من أفاضل المحبين من الخاصة المقربين عند سيدنا رضى الله عنه وله إشارات جامعة وكلمات نافعة ، فمنها يخاطب سيدنا رضى الله عنه وفيه إصلاح كما وقفت عليه بخطه فى كناش الخليفة المعظم رضى الله عنه

كل شىء له ابتدا وختام   غير حبى مافيه عندى ختام
قد سقيتم روحى شرابا قديما   قبل كل الوجود وهو الغرام

ومن نظمه :

أبشر بما ترتجى من خير مولاكا   ياطالب الخير فالإله يرعاكا

ومنه قوله من أبيات فى الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام .

حبيبى على مَ اللوم فى حبكم علا   وما برحت فى اللوم عنى عواذلى
أكل امرىء يسقى بكأس مدامة   يعرج على بحر بغير سواحل
ولو نزلت منها على البحر نقطة   وكان أجاجا صار عذب المناهل

الفقيه سيدى محمد بن الطيب بنيس

ومنهم البركة الهمام والفقيه النبيل ذو الهمة والسيادة والنباهة الأكملة الطاهرة

الرئيس سيدى محمد بن الطيب بنيس ، هذا السيد رحمه الله كان من خاصة أصفياء سيدنا رضى الله عنه وخاصة أحبابه الذين شربوا من منهل سره وعرفانه ، وخصصوا بمزايا جسام من إحسانه ، وقد وقفت فى كناش الخليفة الأعظم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه على إجازة سيدنا رضى الله عنه لصاحب الترجمة فى بعض الأسرار الخصوصية ونصها :

بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى لطف الله به ، أجزت لحبيبنا وصفينا الفقيه سيدى محمد بن الطيب بنيس ، فى قراءة الفاتحة بنية تلاوة الاسم الأعظم بتلاوتها وفى قراءة الحزب السيفى وسندنا فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ، وأجزت له فى قراءة سورة الاخلاص إحدى عشرة مرة صباحا ومساء للتحصين من جميع الشرور ، والسلام ا ه

من خطه مباشرة وهو من خط سيدنا رضى الله عنه وقد ذكرها فى كتابه جواهر المعانى .

السيد الحاج احمد بنيس

ومنهم الناسك العابد الورع الزاهد البركة الصالح ذو العقل الراجح السيد الحاج احمد بنيس ، كان رحمه الله من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين وردوا من حوضه ، وجاهد بنفسه فى أداء نفله وفرضه ، وكان رحمه الله كثير المحبة فى جناب سيدنا رضى الله عنه ، وكثيرا ما كان يطلب منه رضى الله عنه أن يريه النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة أو فى المنام ، ويعده رضى الله عنه بها على ماحدثنى به بعض أحفاده الأخيار ، وحدثنى أيضا أنه مرض مرضا شديدا فى حياة سيدنا رضى الله عنه ثم حصلت له غيبة ظن أهله أنه توفى فصاروا يبكون عليه ثم استيقظ من غيبته فقال لهم : مالكم تبكون ، لابأس على فإنى لا أموت فى هذا الوقت ، فقد رأيت فى هذه الساعة نفسى بين يدى سيدنا رضى الله بالزاوية المباركة ، فأخذ بيدى وذهب بى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يارسول الله إن هذا صاحبي يسأل منى أن أجمعه بك فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهى وجعل يده الشريفة على كتفى . وقال لابأس عليك الآن ونحن إذ أردناك نرسل

إليك ، ولما سمع أهله بذلك رجع حزنهم فرحا وسرورا وعاش بعد ذلك أعواما وشهورا ثم توفى رحمه الله بعد أن نال ما كان يطلبه من سيدنا رضى الله عنه وهو مدفون بباب الفتوح .

وحدثنى أيضا أنه كانت له اليد الطولى فى علم الأوفاق والجداول وسر الحروف والأسماء ، وقد ترك بعد موته كثيرا من الفوايد المروية عن سيدنا رضى الله عنه من ذلك .

السيد عبد الوهاب بنيس الضرير

ومنهم البركة الأجل العارف الأكمل الولى الصالح السيد عبد الوهاب بنيس الضرير ، كان رحمه الله من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين ظهر عليهم الفتح حتى قال فيه سيدنا رضى الله عنه أنت منى بمنزلة ابن أم مكتوم من النبى صلى الله عليه وسلم وكان رحمه الله تعالى شديد الحزم فى أمور دينه مسارعا لاغتنام الخير بجد واجتهاد ، وهو وإن كان ضريرا فإنه كان يرى بعين الفؤاد ، وهو الذى سمع بتعزية الأرواح بعضهم بعضا فى سيدنا رضى الله عنه وذلك أنه كان يصلى الصبح ببعض المساجد القريبة من داره فبينما هو ذاهب إليه فى طريقه إذ سمعهم يعزى بعضهم بعضا فى الشيخ رضى الله عنه .

قال فلما سمعتهم أردت تحقيق ذلك فتركت المسجد وذهبت لدار سيدنا رضى الله عنه فوجدت روحه الشريفة قد خرجت فى تلك الساعة ، وبلغنى عنه أنه كان يقول سمعت سيدنا رضى الله عنه يقول لى من اطلعتم عليه أنه حامل لتابغة بأنواعها وهو فى الوظيفة فأخرجوه منها .

وبلغنى عن الولى الصالح سيدى العربى بن السايح رضى الله عنه أنه قال لى يعنى صاحب الترجمة التقديم الذى عندى من قبل الشيخ رضى الله عنه مشروط فيه أن لا أعطى الورد لمن يستعمل هذه العفونات شما أو أكلا أو بخارا اه وحدثنى بذلك أيضا المقدم سيدى الطيب السفيانى حفظه الله ، وذكر لى أنه رأى تقديم صاحب الترجمة ومن جملة ما فيه : ولا يعطى هذا الورد لمن يستعمل القاذورات شما وأكلا وشربا . وذلك كاستعمال العشبة الخبيثة الحشيشة وتابغه والأفيون ، بل يعطى

لشارب الخمر ولا يعطى لهم ، لأن شارب الخمر ترجى توبته بخلاف هؤلاء فإنهم فى الغالب لا يتوبون عن تعاطيها اه بمعناه

ثم قال لى المقدم المذكور وهذا لم أره إلا ما بلغنا عن الشيخ العلامة سيدى إبراهيم الرياحى رضى الله عنه أنه كان يمنع مريد الدخول فى هذه الطريقة من استعمال ما ذكر .

ثم حكى عن جده البركة الأجل سيدى الطيب رحمه الله أنه لما ذهب إلى تونس لأمر من الأمور استدعاه بعض الأصحاب لداره مع جماعة من الإخوان فصار بعض الحاضرين يمدحون سيدنا رضى الله عنه ويثنون على طريقته الأحمدية ويتمنون الدخول فيها ، وقالوا له إن العلامة سيدنا إبراهيم الرياحى يمنعنا من أخذ هذه الطريقة لكوننا نستعمل تابغة والدخان ويشترط علينا ترك ذلك إنا أردنا ذلك ونحن لا نقدر على ترك ذلك . فقال لهم المقدم سيدى الطيب المذكور إن عزمتم على الدخول فى هذه الطريقة فإنى نأذن لكم بها وإن كنتم تستعملون ذلك ، فحصل لهم من الفرح بذلك ما الله أعلم به ، وحين خرجوا من الدار كسروا حكوكهم وقالوا لا خير فى هذا الشيء الذى يمنعنا لأجله بعض المقدمين من الدخول فى هذه الطريقة وعاهدوا الله أن لا يستعملوا ذلك بعد الوقت . وعدوا ذلك من كراماته رضى الله عنه .

وقد بلغنى من طريق آخر أن المقدم البركة الشريف سيدى موسى بن معزوز كان إذا علم بأحد معه تبغة يقوم بنفسه ويخرجه من صف الوظيفة ، وقد كان سيدنا رضى الله عنه يقول: تبغة حرام والأصل فى حرمتها قوله صلى الله عليه وسلم كل مفتر حرام وهى من المفترات .

قال فى الإفادة الأحمدية بعد هذا وكان رضى الله عنه يشدد فيها غاية ويسلم قول من قال إن صاحبها الذى لم يتب من استعمالها لا يموت على حسن الخاتمة ونسب ذلك إلى بعض الناصريين انتهى

وبلغنى على لسان بعض الثقات أن البركة سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر رحمه الله حدث من حدثه أن بعض عبيد سيدنا رضى الله عنه حصل له مرض

شديد ولما احتضر صار يتكلم بكلام متهور ولسانه لايطاوعه على النطق بالشهادة إذا لقنوها له فصار الإخوان يستلطفون مما رأوه منه ، وقال بعضهم لبعض كيف يقع هذا بخديم سيدنا رضى الله عنه وسيدنا فى قيد الحياة . ثم إنهم اجتمعوا بسيدنا رضى الله عنه وأخبروه بالقضية فقال لهم رضى الله عنه سلوا زوجته عما كان يفعل فقالت إنه كان كذا وكذا ووصفته بأوصاف حسنة من الديانة والحزم الشديد فى طاعة ربه غير أنه كان يستعمل تابغة فقال لهم سيدنا رضى الله عنه من استعمال هذه العشبة الخبيثة أصيب فاذهبوا إليه وقولوا له يتوب إلى الله فلما ذهبوا إليه وقالوا له ذلك تاب إلى الله تعالى فبمجرد توبته نطق بالشهادة وخرجت روحه رحمه الله .

وعليه فهى من الامور التى لاينبغى أن يغفل المقدمون عن التنبيه عليها لمن وفقه الله من المريدين ليجتنبوها ، وكذلك كل مذموم شرعا أو عقلا أو عادة من خمر ودخان وحشيشة وأفيون . ولله در الإمام القاضى عبد الوهاب حيث يقول فى المدامه :

زعم المدامة شاربوها أنها　　تجلى الهموم وتصرف الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا　　أن السرور لهم بها تما
سلبتهم أديانهم وعقولهم　　أرأيت عادم دينه اغتما

ولقد أجاد القائل فى آكل الحشيشة الخبيثة :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا　　ياخبيثا قد عشت شر معيشه
دية العقل بدرة فلماذا　　ياسفيها قد بعتها بحشيشه

وكثيرا ما كان ينشد الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه فى صاحب الافيون :

لاتأمن صاحب الأفيون فى خلق　　ولاتثق بوداده وإن صافى
لو دمت عمرك توليه مجاملة　　ما كان يوليك طول الدهر إنصافا

السيد الحاج عبد الوهاب بن الأحمر

ومنهم المقدم الذى حاز فى الولاية أرفع مقام والبركة الذى انتفع به الجم الغفير من الأنام الذى ماذاق طعم المنام منذ فارق الشيخ رضى الله عنه إلى أن

توفى . السيد الحاج عبد الوهاب بن التاودى المعروف بابن الأحمر هذا السيد رحمه الله من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين لازموه حضرا وسفرا حتى ظفروا بغاية الأمانى بين السادة الفقراء ، وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح الكبير كما أخبر بذلك سيدنا رضى الله عنه لما سئل عنهم حيث ذهبوا لقضاء أمر مهم أمرهم به سيدنا رضى الله عنه وفعلوه ، فقيل له رضى الله عنه هل لهم فى ذلك ثواب ؟ فقال رضى الله عنه : قد ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح الأكبر . وكان رحمه الله خزانة لأسرار سيدنا رضى الله عنه وخزانة سر الخليفة المعظم سيدنا الحاج على حرازم براده رضى الله عنه ، وقد أمره سيدنا رضى الله عنه بالسفر مع الخليفة الأعظم حين ذهب للحجاز فذهب معه ولازمه إلى أن توفى رضى الله عنه ببدر محل الفتح الأكبر لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حدود سنة ١٢١٨ هـ ( ) ودفنه صاحب الترجمة هناك ثم رجع إلى فاس وهو عنه راض وكان رحمه الله ذا قلب سليم سالكا فى الدين على النهج القويم ، وكان يسارع فى حلبات السبق للخيرات حتى بلغ غاية مانوى ، يحب الخير لكل أحد لسلامة صدره من داء الهوى ، ومن جملة ما كان يوصى بفعله صلاة التسبيح ويقول: وددت لو أن جميع الأصحاب يصلونها وقد انفرد رحمه الله بمزايا خصصه بها سيدنا رضى الله عنه منها أنه لم يرو عنه الحزب المعروف بحزب البحر للإمام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه بالإذن له فيه سواه ولم يأذن فيه غيره من جميع الخاصة من أصحابه قدس سرهم كما قاله الولى الصالح سيدى العربى بن السايح رضى الله عنه ، ثم قال وقد زاد فيه بعض زيادات زادها بنية التبرك ، منها لفظة يا الله ومنها نقص لفظتى الدنيا رواية عنه من أصله وغير ذلك فليتنبه لها المريد ، وله كرامات عديدة منها أنه كان كثيرا مايرى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام .

ليتــــه خصنى برؤية وجه   زال عن كل من رءاه الشقاء

---

(١) فى روض شمائل أهل الحقيقة فى التعريف بأكابر أهل الطريقة لسيدى أحمد بن محمد بن العباس العلوى التجانى الشنقيطى أنه توفى سنة ١٢١٥ هجرية

فمن ذلك ما أخبر به بعض أقاربه حين سأله عما خص به من أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولما اجتمع فى تلك الرؤيا بالنبي صلى الله عليه وسلم التفت صلى الله عليه وسلم للشيخين رضى الله عنهما وقال لهما اكتبا هذا فى ديوانكما وأشار لصاحب الترجمة . وهذه منقبة عظيمة لهذا السيد رضى الله عنه ، وفيها إشارة إلى قول سيدنا رضى الله عنه : قال لى سيد الوجود ﷺ أصحابك أصحابى وفقراؤك فقرائى .

ومنها أنه كان يجلس فى الصف الأول من الزاوية المباركة قرب المحراب الشريف . وكان كثيرا ما يذكر فى ذلك الموضع بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه فبينما هو يذكر يوما إذ رأى سيدنا رضى الله عنه خرج من قبره وأتى إليه وقال له قم . فقام معه وخطا به خطوتين أو ثلاث فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له سيدنا رضى الله عنه ها أنت ونبيك . فصار يقبل يديه صلى الله عليه وسلم ويبكى بين يديه ، ثم أفاق من غيبته فوجد نفسه جالسا بموضعه .

ومن كراماته الدالة على تصريفه التام ما حدثنى به غير واحد من الإخوان انه كان مع قافلة من أمتعة سيدنا رضى الله عنه فبينما هم فى الطريق إذ خرج عليهم اللصوص ونهبوا جميع القافلة فصار صاحب الترجمة يقول للصوص اتقوا الله يا أناس فإن القافلة لولى الله سيدى أحمد التجانى ، فقالوا له مالنا وللتجانى ، لا نعرفه ولا نرجع عن فعلنا ألبتة إلا إذا تركناكم أرواحكم أو تركنا أرواحنا . فبينما هم كذلك بعد أن ألقوا لهم السلاح وصاروا ينهبون الأمتعة إذ أحس اللصوص بثقل أعضائهم وضيق أرواحهم فى أشباحهم وخدرت جوارحهم حتى إنهم لا يقدرون على المشى وكأن الأرض تبتلعهم فصار اللصوص يصيحون ، وينادون يا أيها الناس اقبلوا علينا وخذوا أمتعتكم وخلصونا من هذه الورطة التى وقعنا فيها ، فقال لهم صاحب الترجمة بعد أن أشرفوا على الهلاك ، قد قلنا لكم إن الامتعة لسيدى أحمد التجانى والآن توبوا إلى الله من هذا الأمر الذى أنتم عليه وإلا حصل لكم الهلاك فتابوا إلى الله من ذلك الوقت وردوا لهم جميع ما أخذوه . وأتوا مع القافلة حتى بلغوا إلى سيدنا رضى الله عنه وتبركوا به وأخذوا طريقه المحمدية ، ورجعوا إلى بلادهم تائبين متمسكين بحبل الرشاد بعد أن كانوا فى قبيلتهم مركزا للفساد ، وما ذلك إلا ببركة صاحب الترجمة وهمة سيدنا رضى الله عنه

استطراد بترجمة مولاي عبد المالك العلوي الضرير

وقد تخرج على يده رحمه الله جماعة من ذوي الفتح منهم شيخنا ولي الله العالم العامل العارف الواصل المرشد الناصح النور الواضح مربي المريدين وإمام المرشدين البدر المنير مولانا عبد المالك الضرير الشريف العلوي المتوفى ضحوة يوم الجمعة سادس عشر جمادى الثانية عام ١٣٠٨ قدس الله روحه في فرادس الجنان وقد رثيته بقصيدة مطلعها :

ما بال صبرك بعد الحزم قد قهرا ودمع نوحك طوفانا بلام جرى
وللنجوم أفول النهار دجى وللقلوب انصداع والورى ضجرا
والأرض ترجف والأهوال مدهشة والحزن يزداد والدهر اكتسى كدرا
هل هذه الصعقة الأولى فزلزلت الـ ـجبال وانهدمت والخلق قد حشرا
أفصح لنا مسرعا عما أرى فلقد كادت نفوسٌ تبيد أظهر الخبرا
ما كنت أحسب أن القبر منزلة للبدر حتى رأيت ضم ذا القمرا
العالم العامل الأواه مولاي عبـ ـد المالك المتقي من التقى ذخرا
قد كان في الدين والدنيا منار هدى وللخلائق بدرا في القلوب سرى

إلى أن قلت :

لما سقاه الإله كأس خمرته ذاقت نفوسه للقاء منه سكرا
الأملاك في حضرة الفردوس ترقبه وقد زها رونق الأفلاك وازدهرا
بجنة الخلد حور العين منشدة ياسعد من كان بالرضوان انتظرا
ياصاح بشراه بشراه وآت به تعزوا صبر فخير الناس من صبرا
أين الألى جمعوا الدنيا بحرصهم وأين من زهدوا وأين من غبرا
كل أتى فعله بالموت صار وعن حين قريب حتى لا ترى أثرا
هذي الدنيا وهذا فعلها أبدا سبحان من نفسنا بالموت قد قهرا

وكان رضي الله عنه من الرجال الكمل المشهود لهم بالفتح الكبير وقد كان كثير الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة ، وكان يحضر صلى الله عليه وسلم في مجلس تدريسه للعلم الشريف ، كما أخبر بذلك الولي الذي طارت بكراماته الركبان

وتواترت كشوفاته الصحيحة فى سائر البلدان ، كما أخبر بذلك العارف الربانى سيدى العربى بن إدريس الشريف العلمى اللحيانى التيجانى طريقة ، ولشيخنا المذكور قدس سره كرامات كثيرة ومناقب شهيرة وخطب وأحزاب وقصائد تسحر الألباب وقد اعتنى بعض العلماء من أصحابنا بجمعها فى تأليف لطيف سماه الروض النضير بترجمة الشريف مولاى عبد المالك الضرير ، ولنذكر هنا قصيدة من أمداحه النبوية تبركا بكلامه قدس سره .

من اخلاقك الحسنى إغاثة لهفان ... وصفح إذا مدت إليك يد الجانى
وسرعة إن ضاق الخناق لحيلة ... لأنك مجبول على رحمة العانى
وإن شدة المضطر أفضت لنفسه ... ولا مخلص يرجى فكن خير منان
وماقصرت عن وسع جودك زلة ... فكم من مسيء قد رددت بإحسان
وأنت لمطرود عن الكل قابل ... ومغن لمنبوذ عن اهل وإخوان
ويشهد ما عودت مفتقر الورى ... بأنك فى الإحسان مالك من ثانى
وأنت ولى للغريب وشيعة ... ومن تتولى لا يبالى بخذلان
ومستبعدا فى الناس أدنيت منّة ... وأوسعت جودا مستحقا لحرمان
ومن صرفت عنه الوجوه رحمته ... على مابه من فرط عيب ونقصان
وإذ صغّرت رحماك كل كبيرة ... فزعت إليها شاكيا شؤم عِصيانى
أومل ماترجو الخلائق حين لا ... ينجى المعنّى غير أفضل عدنان
وأذكر معتاد امتنانك إن عدت ... همومى على صبر التمسك أحزانى
ولم أر ينجى حين ضاقت مذاهبى ... وأبعدنى عن ساحة الخير خسرانى
سوى ملتجى عن لا له سندولا ... يرى له ناصر سواك ولا دانى
رفعت إليك ضعف منقطع الرجا ... فلا تبق مكسور الجناح لإنسان
فقد حارت الأذهان فى حل عقدتى ... وصار انكشاف شدتى فوق الامكان
وجربت كل ما أعدّ لشدتى ... فيا مستغاث بعد جاهك أغنانى
وعز المفر حين مالىَ حيلة ... وصار سوالك لى سرابا لظمآن
فآويت الركن الشديد بذلة ... ومدت يدافقرى إلى غوث الاكوان
وكم أول وافى إليك وءاخر ... فالفيت أنجى مستجير لحيران

عليك صـــلاة الله ثم سلامه | بغير انتها والآل طرا وصحبان

استطراد بطرف من ترجمة مولاى عبد الله البدراوى

ومن تخرج على يد صاحب الترجمة أيضا شيخنا الولى الكامل والعارف الواصل العابد الأواه الدال على الله فى سره ونجواه ذو الكشوفات الصريحة ، والفضائل الصحيحة أبو محمد مولاى عبد الله الودغيرى البدراوى نقيب الشرفاء الوداغير ومن انضاف إليهم من المشاهير، وغيرهم من الشرفاء العاليين بهذه الحضرة الإدريسية صانها الله من كل بلية ، المتوفى فى زوال يوم الأربعاء متم ذى الحجة الحرام عام سنة عشر وثلثمائة وألف وعمره تسع وسبعون سنة وقد رثاه شيخنا العلامة الشريف المنيف مولاى إبراهيم العلوى التجانى طريقة بقوله رحمه الله .

دها خطب الحوادث كل نفس | وكدر لجع هوله صفو أنسى
وأثر وقعه بالقلب حزنا | وأجرى أدمعا بعيون إنس
وفتت أكبدا وحش حشاها | لظى ترى بموج زفير نفسى
وزلزلت القلوب لشمس علم | تكور فى ترائب روض رمس
فوا أسفا أحال البدر كسف | تناثرت النجوم بجيع باس
فواعجبـــا لدهر قد دهانى | وأيتمنى بعبـــد الله أمس
لقد هال المصاب وعم فجعا | إلى الرحمن أشكو دهر نحس
فدونك دهرُ إذ ماجرت فينا | معالىَ لا نســاومها ببـاس
وحابى من تقدمه إليها | وبعها ببيع ربح أو ببخس
فقد فقد الذى قدكان أهلا | سليل أبى العلا، شريف أس
إمام هدى لدى الأنساب يحوى | لساحتها الكريمة شين وكيس
سراج بآله بدر منـــير | بأفق الدين مطلع عين شمس
همام فى العلوم فلايضـــاهى | وجامع فنّها فصل وجنس
ولاسيما الحديث وعلم فقـه | وتاريخ يقرره بطرس
فيـــا لله كم أغنى وأقنى | وأحيى سنة ورسوم درس
فنى علم النحاة نحا نحـــاهُ | خليل لانقـــدره بقيس
وفى علم البيان نظير سعد | وفاق فصاحة تبيـــان قس

فأصبح للبدور سنا بهاها — وحلية ذى الصدور بكل جنس
رئيس جهابذ الإسلام طرا — كريم الخلق فيهم غير شكس
فخار عصابة الأشراف حقا — وتاج جلال عزم وحرس
وأحرز بالنقابة خير فخر — وأيده الإله بروح قدس
فكان لدى المعالى مشيد ركن — يقدم للعـلا كإمام خمس
لحق لها تشق عليه جيبا — وتنعاه المكارم دون لبس
تعطلت المناصب إذ رزءنا — به فبكسفه مالت لطمس
توالى رزؤنا واشتد لما — نجلى رفعة من فوق رأس
مسجى ثوب إقبال بجمع — لإجلال له معنى كحس
فهل تقضى لنا يادهر يوما — بوصل معه فى عرصات أنس
وتمسح دمعنـا بوجود مثل — عسى ربى يمن بجبر هرسى (١)
فمنها أن تجىء له بكفء — جميل شمائل يفدى بنفسى
فحسبى بعـده صبر جميل — أجازى عنه يوم حلول رمسى
سقى المولى ثراه سجال رحمى — وأسكنه بفضل حضير قدس
بجاه الجد أى خير البرايا — عليه صلاة ربى عد طيس (٢)
وآل مارثى الأحباب مثنى — دها خطب الحوادث كل نفس

وكان رحمه الله من العلماء الجلة من فحول هذه الملة تخضع إليه هام الأفاضل ويتبرك به كل من رآه من عال أو نازل لما أولاه الله من المناقب الفـاخرة والكرامات الظاهرة والمحاسن السنية والأخلاق السنية ، وكانت له القدم الراسخة فى هذه الطريقة واليد الطولى فى علمى الشريعة والحقيقة وقد اقتبسنا والحمد لله من مصباحه بعض الأنوار واقتطفنا من روضه بعض الأزهار وأخذنا عنه أيضا هذه الطريقة المحمدية جعلنا الله من أهلها آمين وفى هذا كفاية

واعلم أن صاحب الترجمة الأول رحمه الله قد تلقى عنه الولى الصالح سيدى العربى ابن السائح رضى الله عنه أسرارا ومعـارف وفوائد ولطائف وقد ذكره فى البغية عند قول المنية فى نشر الثوب عند قراءة جوهرة الكمال فى الوظيفة .

(١) الهرس : من هرس الشىء دقه (٢) الطيس الكثير

ونشرنا الثوب ليس يجب　　على الذى يذكرها بل يندب

وشيخنا فعل ذا بحضره　　فدع مقالة جهول منكره

ونصه والأصل فيه عندنا خصوصا على ما حدثنى به السيد الجليل الحاج الأبر الفاضل الناسك سيدى عبد الوهاب بن التاودى أحد خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وخزانة أسراره ووارث أنواره قدس الله سره وأعاد علينا من بركاته، وهو أنهم كانوا يقرؤون الوظيفة فى أول الأمر قبل إنشاء الزاوية بفاس بباب دار الشيخ رضى الله عنه وهو حاضر معهم رضى الله عنه. وكانت البقعة طاهرة حكما يصلى رضى الله عنه بها مع جماعة من أصحابه، لكن حيث كان المحل محل توارد الناس الزيارة ويمر الداخل الدار والخارج منها أمر رضى الله عنه بفرش ثوب يعم البقعة كلها أعنى وسط الحلقة، ويكون محقق الطهارة غير مكتفى فيه بالطهارة الحكمية، بحيث لا ينشر إلا عند قراءة الأصحاب لجوهرة الكمال، ثم يطوى ويصان إلى مثل ذلك الوقت، ثم بعد نشء الزاوية استمر الإخوان على ذلك العمل برأى ومسمع من الشيخ رضى الله عنه لاستحسانهم له لما فيه من الأدب الخاص مع هذا الحضور الخاص ولأنه مشعر به ومعين على الحضور والتأدب الواجب فيه، ثم تتابع الناس فى سائر أقطار الأرض على هذا العمل إلا النادر منهم فمن لم يتبين له وجهه الخ

توفى رحمه الله تعالى فى نيف وستين ومائتين وألف ودفن بقباب باب الفتوح

الحاج عبد الغنى التازى

ومنهم البركة الأمجد الخير الأسعد سيدى الحاج عبد الغنى التازى أحد المفتوح عليهم بهذه الطريقة والمشهود لهم بإدراك المقامات العالية بين الخليقة.

وكان رحمه الله تعالى مؤذنا بالزاوية المباركة فى حياة سيدنا رضى الله عنه وبعدها إلى أن توفى رحمه الله تعالى، وقد بلغنى عنه أنه كان قبل أخذه عن سيدنا رضى الله عنه كثير المحبة فى جنابه رضى الله عنه لا يملك نفسه حتى يحضر بين يديه ولا يأخذ الطريقة إلا قرب وفاة سيدنا رضى الله عنه.

عم عبد الوهاب التازى

ومنهم الخير الناسك السالك أقوم المسالك القائم على ساق الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد البركة الأجل عم عبد الوهاب التازى أحد المتمسكين بحبل الطريقة

السالكين مسلك الشريعة والحقيقة ، وكان رحمه الله مشهودا له بالخيارة التامة بين الخاصة والعامة ، ذا شيبة منورة ، وسريرة مطهرة مع ماتخلق به من الأخلاق الحميدة والفضائل العديدة وكان مولعا بالمحافظة التامة على ايقاع الصلوات الخمس بالزاوية المباركة مع المحبة الصادقة فى جناب سيدنا رضى الله عنه والنية الصالحة والصدق التام فى جميع مايتناوله من بيوعاته وشراءاته وشئونها كلها كما يشهد بذلك كل من عرفه أوخالطه وهو أكبر إخوته الذين أخذوا هذه الطريقة المحمدية فى حياة سيدنا رضى الله عنه وبعدها ، وهم سبعة رجال منهم البركة عم العربى التازى والحاج المبرور السيد إدريس وغيرهما ممن أخذ الطريقة بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه وكلهم صاروا إلى عفو الله والبقاء لله الواحد القهار وقبورهم بباب الفتوح .

وتوفى صاحب الترجمة فيما يقرب من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وهو والد والدى .

الحاج عبد الرحمن سكيرج

وأما والد والدى فهو البركة الجليل ذو الخلق الجميل الناسك الذاكر الحامد الشاكر السيد الحاج عبد الرحمن ابن الحاج الرزوصى سكيرج الخزرجى الأنصارى الاندلسى أصلا الفاسى دارا ومنشئا ، وماذا أقول فى هذا السيد الفاضل الذى شهد له بالخيارة التامة القريب والبعيد . والصلاح التام الموثق فى القيام بالدين المتين بالحزم الشديد مع المروءة الخاصة فى العامة والخاصة ، ولكن أنشد هنا فيه بيتا من أبيات الشيخ الأكبر الإمام ابن عربى الحاتمى قدس سره ذكره فى كتابه الفتوحات المكية حين أمره النبى صلى الله عليه وسلم بمدح الأنصار ناسجا على منوال سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه وهو :

إنى امرؤ من جملة الأنصار فإذا مدحتهم مدحت نجارى

وقد قيل الشيء الذى لايحسن أن يقال وإن كان حقا مدح الرجل نفسه ، ولاشك أنى إذا مدحت جدى مدحت نفسى ، اللهم إلا إذا كان على جهة التحدث بالنعمة ، فينبغى أن أقول باختصار .

كان رحمه الله تعالى من أفاضل أهل زمانه متحليا بالتقوى بين أقرانه آخذا بالجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد لاتراه إلا ذاكرا فى أوقاته حامدا شاكرا على

كل حالاته فى خلواته وجلواته ، مواظبا بالصلوات فى أوقاتها ، مسارعاً للخيرات فى حلبانها لاسيما حين قلدته العناية فى هذه الطريقة الربانية بوشاحها وشرب من راح مديرها كأس راحها فصار فيها ذا نشوة لايبلغ فيها أقرانه شأوه ، وكان يعرف سيدنا رضى الله عنه لكنه لم يأخذ عنه الطريقة فى حياته لصغر سنه فى ذلك الوقت ولقد أخذها بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه عن بعض الخاصة من المقدمين وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له فى الدخول فى هذه الطريقة ويجازيه بالخير ويقول له قد كنت فى غفلة عن هذا الخير العظيم الذى أنعم الله به على هذه الأمه ، والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقنى للدخول فيها ، وكان يذكر فى كل يوم من صلاة الفاتح لما أغلق أزيد من ثلاثة آلاف مرة إلى أن توفى رحمه الله وفاة الصالحين بعد ما قرئت عليه الوظيفة الشريفة وهو يقرؤها وعند فراغها قال لأهله أين الكاس الذى أتانى من عند الإله ، وصار يبحث فوق الفراش عنه حتى أخذوا كأسا ودفعوه له ، فقال لهم سبحان الله ، إنه سقط ولم يهرق ، ثم شربه فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه ، رحمه الله تعالى فى سابع ذى الحجة الحرام عام أحد عشر وثلثمائة وألف ، وعمره يناهز التسعين سنة ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة قرب سور البلد رحمه الله تعالى .

المقدم سيدى الحاج الطيب القباب

ومنهم البركة الفاضل الولى الكامل القدوة العظمى منقذ البصير والأعمى ، الجامع لما افترق من المحامد فى غيره والمقصود لنيل شىء مما أعطاه الله من خيره ، محب سيدنا رضى الله عنه وحبيبه من صفوة الأصحاب والأحباب المقدم الأجل سيدى الحاج الطيب القباب . هذا السيد من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين قدمهم فى حياته لتلقين طريقته ولحظهم بعين الخصوصية بين أهل مودته وأقامه مقامه وأعلى فى أفقهم مقامه ، وكان رضى الله عنه يوصى عليه أصحابه ، ويخصه فى بعض الأوقات دونهم بالكتابة وكان لايرفع رأسا بين يدى سيدنا رضى الله عنه فى جميع أموره وأوامره ولاينتهك نواهيه فى أول أمره وآخره ، فهو عنده كالميت بين يدى غاسله قد أسلم إليه الانقياد ونسب إليه جميع مايملكه من مال وأولاد ، وهو أحد الأقدمين من أصحاب سيدنا رضى الله عنه

الذين دخلوا فى زمرته أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وكان سيدنا رضى الله عنه إذا كتب إلى فقراء فاس يصدر به فى مكاتباته غالبا وقد قدمه سيدنا رضى الله عنه لإعطاء طريقته الأحمدية وتلقينها فى حياته رضى الله عنه .

ومن جملة ما وقفت عليه فى مخاطبته ومخاطبة السادة الفقراء من أهل فاس من رسائل سيدنا رضى الله عنه إليهم ما نقلته

بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة من خط الفقيه العلامة كاتب سيدنا رضى الله عنه سيدي محمد بن المشرى رحمه الله ونصه : من سيدنا ووسيلتنا إلى كافة أحبابنا فقراء فاس : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فنسأل الله جلت قدرته أن يفيض عليكم بحور الخيرات والنعم وأن يكفيكم جميع الشرور والبلايا ماظهر منها وما بطن وأن يغرق ذنوبكم فى بحر عفوه وكرمه وأن ينظر فيكم فى الدنيا والآخرة بعين رحمته ومحبته وعنايته ، وأن يختم لكم بالسعادة التى ختم بها لأوليائه ، وأن يكلأكم فى جميع تقلباتكم بعين رعايته وحراسته وحفظه ولطفه إنه ولى ذلك والقادر عليه اه

وهذا الدعاء من لفظ سيدنا رضى الله عنه من أوله الخ وليس لى فيه لفظة واحدة وضعه عاما لجميع أحبابه لكل من أراد مراسلته .

نسأل الله أن يدخلنا وإياكم فى عمومه آمين .

. والمؤكد به عليكم استوصوا خيرا بسيدى الحاج الطيب القباب فإنه نائبنا فيكم وقد أقمناه هناك لنفع العباد ، فمن لقنه فكأنه تلقى منا وأخذ عنا فله مثل من باشرنا بغير واسطة ، كل ذلك بوعد صادق لايتخلف ، والسلام عليكم من كاتب الحروف محمد بن المشرى عن إذن سيدنا رضى الله عنه

وأما الدعاء المرقوم بخط بنانه رضى الله عنه المبعوث إليكم فهنيئا لمن ذكره باسمه من الإخوان ثم هنيئا وبشرى وسعادة لأنه لاحق لهم لامحالة إن شاء الله ، لكونه أتى الله به من غير طلب ، وهذه هى عادته رضى الله عنه ، إذا دعا من غير طلب ، فالغالب أنه لايخطئ . نسأل الله أن يدخلنا فى زمام المحبين والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه

وقد وقفت على هذه الرسالة التي رقمها سيدنا رضى الله عنه وأشار لها صاحب الرسالة المتقدمة ونصها من خطه مباشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه ، وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه ، يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا ورفعاء المكانة من قلوبنا سيدى الحاج الطيب وسيدى هاشم بن معزوز ، وأخيه سيدى الكبير وابنه سيدى موسى وسيدى الحاج على املاس وسيدى أبو طالب وكافة أحبابنا بفاس ممن سميناهم ، وممن لم نسمهم كل باسمه وعينه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى كافة أهليكم وأولادكم .

من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى : وبعد نسأل الله جلت عظمته وتقدست صفاته وأسماؤه أن يفيض عليكم فى الدنيا والآخرة بحور فضله عليكم ورضاه عنكم وعنايته بكم وأن يعاملكم فى الدنيا والآخرة بمعاملته لأكابر أوليائه من خواص حضرته ، وأن يسلك بكم فى كل طريق مسلك أكابر أهل السعادة وأن ينظر فيكم فى الدنيا والآخرة بعين محبته لكم ، ورضاه عنكم وعنايته بكم ، حتى تكون جميع أعمالكم جارية على هذا المنوال ، فلا يصدر منكم ذنب إلا محى فى أسرع من طرفة عين مع كمال رفع المؤاخذة به دنيا وأخرى ، ولا تصدر منكم حسنة إلا بسط عليها رداء القبول مع الجزاء عنها دنيا وأخرى ، ومن آكد ما أوصيكم به إصلاح ذات بينكم محبة ومودة وإقالة العثرات بينكم والعفو عن زلل الإخوان والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ

ووقفت أيضا على رسالة طويلة بخط الفقيه سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه جوابا لفقراء فاس بعد ما وقع لهم فى شأن التقديم ما وقع بعد الجواب المتقدم ونص المقصود منها من خطه مباشرة .

بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذى الشيبة الزكية والطبيعة المرضية صاحب الأوصاف الحميدة والآراء السديدة والإشارة المفيــــدة حبيبنا وصفيينا سيدى الحاج الطيب القباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مادام الفلك ومحركاته والريح ونسماته ، وعلى ولدكم السيد محمد وأولاده ، وكافة من تعلق بكم من أهل وأحباب ، وبعد : فإن تفضلتم عنا بالسؤال فنحن بخير والحمد لله وسيلتنا

على خير وعافية ، وقد قرأنا ما كتبتموه لنا بنفسه وكذلك ما كتبه الأديب الحبيب سيدي الحاج أحمد بوزيان ، وبعد مطالعتـــه لما رسمتم أمرنا بما كتبناه لكم . والكتابة بما سترونه من خط بنانه الكريمة رضى الله عنه ونفعنا ببركاته آمين

والذى نخبركم به ونؤكد به عليكم فاعملوا بما كتبناه لكم عن إذنه ودوموا عليه كما ذكر لكم ، واتركوا معاودة الكتابة فى هذا الأمر لسيدنا بل إذا وقع لكم أمر مهم فى غيره فاكتبوه إن شئتم ، وأما فى الأمر الذى كتبتم فاعملوا بما فى الجواب الذى كتبناه لكم ولا تزيدوا عليه ولا تنقصوا إلا ما كان فيه فعل الخير والسداد وهذه الوصية من سيدنا لكم ولكافة أحبابه الآخذين ورده فى بلدكم وفى غيرها . ومن لم يمتثل هذا فهو خارج عن أمر قدوته ، ومن ادعى أن شيخنا أمر بغير هذا فيما مضى فليتب إلى الله ولا يتقول على سيدنا غير هذا . ودليل صحة جميع ماذكرناه لكم كلام سيدنا رضى الله عنه فيما كتبناه لكم . وماسمعناه منه فى الكناش الذى عندكم فمن طالعه بتأمل وإنصاف فليعلم ماعليه شيخنا من الأوصاف ، وما منح به من العلم اللدنى ، ومحاسن الأخلاق من غير إسراف ، والعبارة الغزيرة من غير زيادة ولا نقص ولا إسراف بحيث يتحقق أن من أتى بكلام ونسبه للشيخ يعلمه أنه له أو متقول عليه وفى هذا كفاية للعاقل إلى أن قال: وبعد فقد أذن لك سيدنا رضى الله عنه فى ذكر أربعين مرة من جوهرة الكمال تذكرها لنفسك ، وأذن لك أن تعطيها لمن أحببت من الإخوان الذين تعلم أو تظن أن فيه أهلية لها ، وأذن لك أن تكتب للرقية من نمس أوعين أو تابعة أن تكتب لجميع ذلك أسماء العشرة الكرام البررة وأسماء الزهاد الثمانية ويأتيك النص إن شاء الله افعل بها ما انطوت عليه نيتك والسلام عليكم من كاتب الحروف محمد بن المشرى عن إذن سيدنا رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وبعد بخط سيدنا رضى الله عنه واعلم ياسيدى الحاج الطيب أننا قدمناك على إعطاء الورد لمن أراده مطلقا لكن حثهم على عدم تركه وأذنا لك فى كل ما كتب لك الاذن فيه فى هذا الكتاب على صورته والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى كافة الأحباب الذين معك والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اه المقصود منها

ووقفت على رسالة بخط الفقيـــه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله يخاطب بها

جماعة من أعيان فقراء فاس وصدو فيها بصاحب الترجمة ونصها : بعد حمد الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وعز كرمه ومجده يصل الكتاب إلى أحبابنا ومن أعز الناس لدينا ذى الشيبة الطاهرة والأحوال الزاهرة ، محبنا صدقا وصفينا حقا سيدى الحاج الطيب القباب ومحبنا ولده أبى عبد الله سيدى محمد وأولاده والحرة الجليلة الكريمة السيدة المقدمة فاطمة ، وحبنا الأعز الحبيب المنيف الشريف العفيف الكهل التاجر الأبر الأريب الأحب الأنجب الأطيب سيدنا ومولانا هاشم بن معزوز وأهله وأولاده ، ومن تعلق به ومحبنا الأديب ذى المحاسن الطيبة والشيم والهمم الصائبة أبى الحسن محبنا سيدى الحاج على املاس وأولاده محمد واحمد ومحمد وعبد السلام وعبد الرحمن وأمه الحرة الجليلة فارحة وأولادها وحبيبنـــا الأكرم الأطيب عبد الوهاب الأشهب ، وحبيبنا عبد القادر الجرندى ، وحبيبنا علال بن موسى وحبيبنا الشاب الأمجـــد محمد الأشهب ، وكافة الأحباب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من محبكم أحمد بن محمد التيجانى وبعد ، فالحمد لله وله المنة الذى أنتم على خير وعافية نسأل الله أن يرزقكم الرضى والتسليم لما جرت به المقادير ، وأن يقابلكم بفضل الله ورضاه فى الدنيا والآخرة ، وأن يأخذ بيدكم فى كل عثرة وأن يتوجكم بتاج أهل المحبة والخصوصية والكرامة ، وأن يكتبكم فى حزب أهل عليين فى جوار النبيين آمين ، والحمد لله رب العالمين ، وليكن فى كريم علمكم أننا كتبنا لكم وصية مع حامله محبنا العربى الأشهب فيها ما ليس فى اللتين قبلها من أمور فيها الاستعانة على الدنيا والآخرة فتلقوها بالقبول وعوا ما احتوت عليه من طرائف ولطائف واعملوا بما فيها تستريحوا من تعب ما تعانون من مكابدة هموم الدنيا وأحزانها وسلموا الأمور لمدبرها يفعل فيها ما يشاء ويختار ، وتراحموا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـــاونوا على الإثم والعدوان وأيقنوا أنكم راحلون وأهليكم وأموالكم عرايا وودائع ولابد من يوم ترد فيه الودائع فلاتحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ومن أحب أخاه لله من كونه مؤمنا فليشد يده فإنها من التجارة الرابحة ، والدرجة العلية والخطة الرضية والخصلة الزكية .

وإياكم أن يدب العدو إلى فسادها ، فمن كان بطلا فليقاتله ويطرده ولا يطعه فان البطل من خاف هواه وقهر فى هذا الميدان أعداه والسلام عليكم من الفقير إلى ربه

أخيكم كاتب الحروف محمد بن المشرى عن إذن سيدنا رضى الله عنه ، وأزيدكم من عندى وإياكم أن يحولكم أمر أوخبر فى جانب سيدنا رضى الله عنه فإنه يعامل كل واحد على قدر عقله وينزله حيث منزله ، وكل واحد منكم يسأل قلبه عن أستاذه فإنه معك كما هو فى قلبك ، وهذه مشاهدة فى سيدنا ووسيلتنا إلى الله ولا يزحزحه كلام المبغضين ، فضلا عما يقع من التخليط من المحبين والإشارة تغنى عن العبارة والتلويح يكفى عن التصريح وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وأما المشى إلى الزاوية وقت الوظيفة فيها فمن تيسر له الذهاب إليها فليذهب ومن لم يتيسر له فليذكر ورده ووظيفته فى أى مكان حل فيه ، ولاحرج عليه فإن الأرض كلها مسجد وطهور ، ولم يكن الذكر محجرا فى موضع دون موضع أو وقت دون وقت ، بل هو مطلق والحمد لله لاوقت له ولامكان له وإنما الاجتماع جعل لامور مستحسنة فمن تمكن له فله أجره ، ومن لم يتمكن له فلاحرج عليه والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله/وكتب ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى عام ١٢٠٦ هجرية اه

والوصية المشار لها هى هذه كما فى الجـــامع والجواهر وغيرهما بعد البسملة والحمد لله والصـــلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فالذى أوصيكم وإياى المحافظة على قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فهى تقوى الله فى السر والعلانية وكلمة الحق فى الرضى والغضب والقصد فى الغنى والفقر ، وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء برأيه ، وعلى قوله صلى الله عليه وسلم ماتحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع ، وعلى قوله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه » وعلى قوله صلى الله عليه وسلم « لاتتمنوا لقاء العـدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث .

وهذا وإن ورد فى ميادين الجهاد فى قتال الـكفار ، فهومنقلب فى هذه الأزمنة فى الصفح عن شر الناس ، فمن تمنى بقلبه أوأراد تحريك الشرمنه على الناس سلطهم الله عليه من وجه لايقدر على دفعهم . وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه فالوجه الأعلى الذى تقتضيه

رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان فى إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجارى الأقدار ولايتحرك فى شيء من إذايتهم لإساءتهم فان اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافعهم بالتى هى أحسن بلين ورفق ، فإن لم يفد ذلك فعليه بالهروب إن قدر والخروج عن مكانه ، فإن عوقت العوائق على الارتحال ولم يجد قدرة فليدافع بالأقل فالأقل من الإذاية فليفعل ذلك ظاهرا بكثرة التضرع إلى الله والابتهال سرا فى دفع شرهم عنه مداوما ذلك حتى يفرج الله عليه ، فإن هذه الوجوه التى ذكرناها هى التى تقتضيها رسوم العلم والحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أو يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق ، يستحق الهلاك به فى الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جانب الله أولا فإنه لو فزع إلى الله بالشكاية ، واعترف بعجزه وضعفه لدفع الله عنه ضرر الخلق بلاسبب أو بسبب لاتعب عليه فيه أويشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم والصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى ، فيكون مثابا دنيا وأخرى .

أما ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وبظهور نصره فى الخلق على قدر رتبته وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لاغاية له من ثواب الصابرين الذى وعده الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا) وقال سبحانه وتعالى (واعلموا أن الله مع الصابرين) وقال تعالى حاكيا عن نبيه يوسف عليه السلام (إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) إلى غير ذلك من الآيات .

ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبدا فى عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعض ، ووقعوا بذلك فى المهالك العظام فى الدنيا والآخرة إلا من حفته عناية عظيمة إلهية فإن العامة لايرون فى تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذى حركه عليهم لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى ، وعن غالب حكمه فنهضوا فى مقابلة

الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا فى سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجليا إلهيا لاقدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهى فكان مقتضى مادله عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه وتتابع التضرع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصما بالله فى مقابلة خلقه ، فلاشك أن هذا يدفع عنه الشرور بلاتعب منه ولو التهبت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصامه بالله تعالى ، فإن من تعلق بالله لايقوى له شيء. قال سبحانه وتعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجا إلى فهو حسبه

وهذا الباب الذى ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه فى هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد فى الدنيا والآخرة . ومن فارقه وكله الله إلى نفسه فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كل الهلاك فى عاجله وآجله ، وفيما ذكرناه كفاية وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلاسبب ، والشكر يكون فى مقابلتها بطاعة الله إن قدر على أن تكون كلية وإلا فالأبقع خير من الأسود ، وأقل ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، فأعلى ذلك فى شكر اللسان تلاوة الفاتحة فى مقابلة ما أنعم الله عليه شكرا ولينو عند تلاوتها أن يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية والمعلومة عند العبد والمجهولة والعاجلة والآجلة . والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة ، فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا ، وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق .

أما وجه المحامد الجامعة فهى كثيرة لانطول بذكرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ومنها إلهى لك الحمد ولك الشكر مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك وجميع محامدك التى حمدت بها نفسك بكلامك والتى حمدك بها كل فرد من خلقك بأى لفظ ذكروك به كل حمد من ذلك منك ومن جميع خلقك عدد ما أحاط به علمك على جميع ما أحاط به علمك مامن نعمك عن فهو حمد جامع لأنواع المحامد مستغرق للشكر على جميع النعم وأحذركم

لكل من خوله الله نعمة أن يمد يده بها فيما لا يرضى الله مثل شراء الخمر والوقوع في الزنا ومد اليد بها في المعاملة بالربا أو صرفها في وجوه طلب الرئاسة والسلطنة أو في طلب إذاية المسلمين من سفك دمائهم ونهب أموالهم أو هتك حريمهم أو بإذايته ولو بأقل قليل فإن الفاعل لهذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وغضبه ، فإن فعل هذه الأمور أو بعضها بما أنعم الله به عليه ولم ير من الله سلب نعمه ، فليعلم في نفسه أنه ممن يحل عليه غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، والسعيد من إذا وقع في شيء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه في قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت ، وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان واقتحام ما حرم الله من ذلك لنصوص الشرع . فإن المهمك في ذلك يهلك كل الهلاك ثم إذا التجأت الضرورة واشتدت الحاجة ولم يجد العبد ملجأ إلا أن يأخذ قوته مما حرم شرعا في الأسواق فليأخذ قدر ما يتقوت به وليكن جاريا في ذلك على حكم المضطر في أكل الميتة فإنه إنما يأكلها بلاغا . وسدا للفاقة لا كسبا وتمولا ، وأحذركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات ، فقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكليف عليهم ، وهو كذب على الله وزور ، فقد قال سبحانه وتعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الآية .

فهذه الآية وإن نزلت في مطلب خاص ، فهي مشتملة على كل ما تحتمله من القضايا ، إما تضمنا وإما تلويحا ، والعالم يأخذ حكمه من كل آية في كل ما تحتمله ، وإن لم تنزل لأجله ، والوقع منه من الآية في قضيتنا هذه أن الذي في الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلي أو عارض على حسب عوارض الوقت ، وهي الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا في جواب المعاملة ، وخطوات الشيطان التي نهى الله عنها هي المعاملات المحرمات شرعا ، حيث يجد العبد عنها معدلا فإن لم يجد عنها معدلا وألجأته عوارض الأقدار بحكم القهر والتحتم إلا أن يأخذ قوته من المحرم

شرعا وإن لم يأخذ منه مات فى الوقت أو مات بعض عياله جوعا لضيق الوقت وفقد السبيل لغيره فهو الواقع فى قوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) ولا تلتفتوا لما نقل عن السيد الحسن بن رحال فى قوله: كل عقدة لا يوجد فيها إلا من يعامل بالحرام فهى حلال. فهو قول باطل لكونه تغافل عن ضبط القاعدة الشرعية، والتحقيق فيها ما ذكرناه قبلها آنفا يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا»، وقوله سبحانه وتعالى (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا) وقول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وفى هذا مع ما فى الرسائل الأول كفاية والسلام اهـ نص الأولى منها بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى كافة من بفاس وبالمغرب من الإخوان والفقراء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يتراكم بدوام ملك الله. من العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى وبعد: نسأل الله جلت قدرته وتعالت عظمته أن ينظر فى جميعكم بعين المحبة والرضى والعناية وإفاضة الفضل والاصطفاء والاجتباء حتى لا يدع لكم خيرا من خيرات الدين والدنيا والآخرة إلا آتاكم منه أكبر حظ ونصيب، ولا يترك شرا من شرور الدين والدنيا والآخرة إلا أبعدكم منه ووقاكم منه، وحتى لا يترك لكم ذنبا كبيرا ولا صغيرا إلا أغرقه فى بحر عفوه وكرمه، وحتى لا يترك لكم مطالبة بالذنوب إلا صفح عنها وعفا، وحتى لا يترك لكم حاجة ولا مطلبا فى غير معصية الله إلا أسرع لكم بإعطائه وأمدكم فيه بالمعونة والتأييد فى إمضائه إن طابق سابق الحكم فإن لم يطابق سابق الحكم فنسأل الله أن يعوض لكم فى جميع ذلك ما هو خير منه وأعلى منه، وحتى لا يترك لكم شرا من الشرور الواردة على أيدى الخلق إلا جعل بينكم وبينها جندا من سطوته وسلطانه إن لم تكن محتمة فى سابق الحكم، فإن كانت محتمة فى سابق الحكم فنسأل الله أن يمدكم فيها بكمال اللطف والمعونة والتيسير والتسهيل حتى تنفصل عنكم وأنتم منها فى عافية، وأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى

وارتقاب المؤاخذة منه فى الذنوب فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما والمصيبة واحدة فى الدنيا وواحدة فى الآخرة فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا، إلا أن يدفعها وارد إلـهى بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه أو بعفوه عنه إن كان له وإلا فهى واقعة، فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله، وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفوه ويستديم فى قلبه أنه مستوجب لهذا من الله فيستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته فى نفسه دون تعزز، فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير.

وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله فى مقـــارفة الذنوب باعتقاد العبد أنه آمن من مؤاخذة الله له فى ذلك فإن من وقف هذا الموقف بين يدى الحق تعالى ودام عليه فهو دليل على أنه يموت كافرا والعياذ بالله تعالى.

وما سمعتم من الخاصية التى فى الورد فهى واقعة لا محالة، وإياكم والتفريط فى الورد ولو مرة فى الدهر، وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات والأمور الشرعية وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الذنوب فإنها عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جميع الخلق وما كد ذلك بينكم وبين الإخوان، وزوروا فى الله وواصلوا فى الله وأطعموا فى الله ما استطعتم من غير تعسير ولا كدر وعليكم بالصبر فى أمر الله فيما وقع من البلايا والمحن، فإن الدنيا دار الفتن وبلاياها كأمواج البحر وما أنزل الله بنى آدم فيها إلا لمصادمة فتنتها وبلاياها فلا مطمع لأحد من بنى آدم فى الخروج عن هذا ما دام فى الدنيا، والصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته ووسعه، واعملوا فى نفوسكم سلوة إذا نزلت البلايا والمحن بأحدكم. فليعلم أن لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت. وما نزلها الآدمى إلا لهذا الأمر وكل الناس راكضون فى هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساوله، واعلموا أن الذنوب فى هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنها تنصب على الناس كالمطر الغزير لكن أكثروا من مكفرات الذنوب وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق الخ، فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة وكصلاة التسبيح ومما هو فى هذا

المعنى يلازمه الإنسان كل يوم ثلاث مرات اللهم مغفـــرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى ، وكذلك وظيفة اليوم والليلة ، لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، لا إله إلا الله لاشريك له ، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وكذلك دعاء السيفى لمن يقدر على حفظه وكذلك منه الاستغفار . اللهم إنى أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيـــه وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك فيه وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطنى فيه ماليس لك وأستغفرك للنعم التى أنعمت على فتقويت بها على معاصيك ، وأستغفرك الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ، ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به ، وكذلك دعاء يامن أظهر الجميل وستر القبيح الخ .

ثم قال رضى الله عنه أبشروا إن كل من كان فى محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أى حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله ، وكذلك كل من أخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة وعدم الأمن من مكر الله كما قدمنا ، ويكون فى جوار النبى صلى الله عليه وسلم فى أعلى عليين ويكون من الآمنين من موته إلى دخوله الجنة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اه

ونص الثانية بعد حمد الله جل ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه يصل الكتاب إلى كافة إخواننا فقراء فاس وما بإزائها حفظ الله جميعكم من جميع المحن ومن معضلات الفتن آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تعمكم وتعم أحوالكم من محبكم أحمد بن محمد التجانى وبعد : أوصيكم ونفسى بما أوصاكم الله به وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة الأمر الإلهى على حسب جهدكم واستطاعتكم فإن هذا زمان انهدمت فيه قواعد الأمر الإلهى جملة وتفصيلا وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا وأخرى بحيث أن لا رجوع ولا يقظة لما يردّ القلوب إلى الله والوقوف عند حدود الله أمرا ونهيا ولا طاقة لأحد بتوفية أمر الله من كل وجه فى هذا الوقت إلا من لبس حلة المعرفة بالله تعالى أو تاديها ، ولكن حيث كان الأمر كما ذكر . ولم يجد العبد مصرفا عما أقامه الله فيه ، فالأبقع خير من الأسود كله ، فاتركوا مخالفة أمر الله

ما استطعتم ، وقوموا بأمره على حسب الطاقة واجعلوا لأنفسكم عدة من مكفرات الذنوب فى كل يوم وليلة وهى أمور كثيرة كتبنا لكم منها فى الوصية الأولى نبذة كافية ، وأيضا من ذلك الحزب السيفى لمن اتخذه وردا صباحا ومساءا أقل ذلك مرة وأكثره لاحد له ، ومن ذلك المسبعات العشر لمن اتخذها وردا صباحا ومساء ، ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق وأقلها مائة فى الصباح والمساء ، فلايلحقها فى هذا الميدان عمل من أى عامل ولاينتهى إلى غايتها أمل من أى آمل ، وأدوا الصلوات المفروضة فى الجماعات بالمحافظة فإنها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا فى نبذ قليلة توجب العقوبات ، وإن لله سبحانه وتعالى المداوم عليها عناية عظيمة ، فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ له بيده فى كل كبوة وعليكم بالمحافظة على ذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا على حسب الاستطاعة وعلى قدر مايعطيه الوقت والطاقة من غير إفراط ولاتفريط واقصدوا بذلك التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم والتحلى فى ذلك بالوقوف فى باب الله طالبا لمرضاته لا لطلب حظ . فإن للعامل بذلك عناية من الله عظيمة يجد بركتها فى العاجل والآجل ويجد حلاوة لذتها فيما هو له آمل ، وهى فى الخواص والأسرار كالمحافظة على الصلوات فى الجماعات سواء بسواء ، وعليكم بالمحافظة على الصدقات فى كل يوم وليلة إن استطعتم ولو بفلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية ، فإن عناية الله تعالى بالعامل فى ذلك قريب من محافظة المفروضات فى الجماعات ، وليكن من جملة أورادكم التى تحافظون عليها بعد الورد الذى هو لازم الطريقة الحزب السيفى وصلاة الفاتح لما أغلق فإنهما يغنيان عن جميع الأوراد ، ويبلغان بفضل الله غاية المراد ، ولايفى بقدرهما عمل ، وعليكم بصلة الأرحام من كل مايطيب القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال وإلقاء السلام ، وتجنبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين وكل مايوجب الضغينة فى قلوب الإخوان وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين فإن من تتبع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بنيه من بعده وأكثروا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكل مؤمن وآكد ذلك لمن واخاكم فى الطريقة فإن من عفا عن زلة عفا الله له عن زلات كثيرة ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره

وسامحوه ، لكى يقبل الله أعذاركم ويسامحكم فى زلاتكم ، فإن أشر الإخوان عند الله من لايقبل عذرا ولايقيل عثرة وتأملوا قوله تعالى (سارعوا إلى مغفرة من ربكم إلى قوله والله يحب المحسنين) وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجرى منهم من الشرور وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم فإن مناقشة الناس عما يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار فى الدنيا والآخرة وكلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه فى جميع الأمور فلامقابلة للشر إلا الغفلة والعفو والمسامحة وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه ، مما ليس بمحمود شرعا ولاطبعا فإن أمورهم تجرى على المشيئة الالهية فهم مقبوضون فى قبضة الله لامحيد لهم عن حكمه ، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمرا وزجرا بحسب العوارض والنائبات فى بعض الأزمان لا كل الأزمان ، وقفوا عند قوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

وعليكم بمناصحة إخوانكم فى الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولاحقد ويجعل كل واحد منكم وقتا يذكر الله تعالى فيه فى خلوة أقل ذلك عدد الورد الذى هو لازم الطريقة فإن العامل بذلك يجد بركته فى جميع مآربه وتصرفاته وعليكم بطاعة المقدم بإعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أونهاكم عن منكر أوسعى فى إصلاح ذات بينكم .

وعليكم بملازمة الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحا ومساء والإمرة فى الصباح أو فى المساء فإنها تكفى وخففوا من وردها إن ثقل عليكم واجعلوها خمسين من صلاة الفاتح لما أغلق الخ . والاستغفار إن شئتم اذكروا أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثين مرة تكفى عن الاستغفار مائة مرة فى الوظيفة وأوصى من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل وأن يجتنب مايوجب فى قلوبهم ضغينة أوشيئا أوحقدا وأن يسعى فى إصلاح ذات بينهم ، وفى كل مايوجب جمع قلوب بعضهم على بعض وإن اشتعلت نار بينهم سارع فى إطفائها وليكن سعيه فى ذلك فى مرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك ، وأن ينهى من رآه يسعى فى النميمة بينهم وأن يزجره برفق

وكلام لين وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل مايأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان ويراعي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا » ، وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وأن لايلتفت لما في أيديهم معتقدا أن الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع ، وليجعل همته في تحرير دنياهم فيما في أيديهم من التشتيت والتبذير وأن لايطالبهم بإعطاء شيء لامن القليل ولامن الكثير إلا ماسمحت به نفوسهم ببذله من غير طلب ، فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار تجري بهم جميع الأمور ، وسلموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير فإن الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ولاقدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم فيه واتركوا التعرض للرياسة وأسبابها فإنها كعبة تطوف بها جميع الشرور ، وهي مقر الهلاك في الدنيا والآخرة ، ومن ابتلى منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله فإن كل شدة لابد لها من غاية وكل كرب لابد له من فرج ، وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال ، ولا تجزعوا من المصائب والبليات فإن الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ، ولم يجد العباد مصرفا عن هذا ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء في الدنيا بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا أبدا متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وشرور وأفراح وأحزان ، لايخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أن لها وقتا تنتهي إليه ثم يعقبها الفرج والسرور ، فإن من عقل هذا عن الله في تصاريف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضى بالقضاء والشكر التام على النعماء والسلام عليكم ورحمة الله اه

وإنما ذكرت هذه الرسائل وإن كانت مذكورة في جواهر المعاني وغيره من كتب الطريقة لمناسبة المقام كما لايخفى والله الموفق .

ولده سيدي محمد

ومنهم ولده البركة الجليل والفاضل المثيل حبيب سيدنا رضي الله عنه وابن

حبيبه أبو عبد الله سيدي محمد هذا السيد من أفاضل الأصحاب وخواص الأحباب الذين كانوا بمكانة عند سيدنا رضى الله عنه ، وكان ينظرهم بعين القبول والمحبة ، ويشهد لهم برسوخ القدم فى الصحبـــة ، وهو أحد الخاصة الذين صلحوا لسيدنا رضى الله عنه الارادة ، حتى نال من المعارف مقصوده وبغيته ، وأدرك فى مراتب السعادة بنظرته الكبرى أمنيته وكان مقتفيا لوالده فى إتباع طريق سيدنا رضى الله عنه حتى أنه كان تنظره بعين الاجلال العامة والخاصة ، ويحضر بنفسه لاجرام دور الطريقة العامة والخاصة ، وكان سيدنا رضى الله عنه إذا كتب الفقراء فاس يخصه بالسلام عليه وعلى أهله وأولاده وينوه بشأنه بين أصحابه وأهل داره وقد توفى رحمه الله بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه .

أبو عبد الله سيدى محمد وأبو المكارم السيد بوزيان

ومن أولاده السالكين منهجه فى هذه الطريقة الواردين من منهل الشريعة والحقيقة الغصنان اليانعان اللذان هما الكل خير جامعـــان أبو عبد الله سيدى محمد وأبو المكارم السيد بوزيان ، كان سيدنا رضى الله عنه يحبهما محبة خاصة ويخصهما بالسلام بين الخاصة ، وكان لهما قدم الصدق فى هذه الطريقة إلى أن توفيا رحمهما الله

سيدى هاشم بن معزوز

ومنهم البركة الأمجد والفاضل الأنجد ذو الشيبـــة المنورة والسريرة الطاهرة الشريف المنيف ، والخير العفيف سيدى هاشم بن معزوز هذا السيد رحمه الله من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين أحرزوا منه غاية مرامهم وظفروا منه بما فاقوا به غيرهم برفيع مقامهم ، وكان يلحظهم بعين الاجلال ويصفهم بصفات الكمل من فحول الرجال ويشهد له بصدق المحبة فى حال الحضور والغيبة وينوه بقدره بين أفاضل الأصحاب لما جبل الله عليه صاحب الترجمة من المروءة والخيارة التامة والأخلاق الكريمة والفضـــائل الجسيمة والمناقب الفاخرة والكرامات الظاهرة وحسن السمت والوقار والاحسان التام والاكرام العام ، وكان رحمه الله تاجرا مباركا محترفا بحرفة التجارة ومع ذلك فكان ذا دين متين وفضل مكين لايسام بنقص وعيب فى جميع مايناوله من بيوعاته وشراءاته وشئونه وقد توفى رحمه الله قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وصلى عليه بباب داره وهى من

خصوصياته وذلك أن ولد أخيه سيدى موسى رحمه الله بعد وفاة صاحب الترجمة كانت داره بعدوة الأندلس بفاس مع صاحب الترجمة ولما توفى صاحب الترجمة رحمه الله ، أتاه الاخوان وغيرهم للعزاء وسألوه عن الصلاة والدفن فى أى موضع؟ فقال لهم الصلاة عليه بدار المراية محل سكنى سيدنا رضى الله عنه بزقاق الرواح ، والدفن بباب الفتوح ، فصار الناس يتعجبون من هذا وصار بعضهم يتكلم فى ذلك لبعد ما بين الدارين ، والبعد عن محل الدفن لمن يريد الذهاب مع الجنازة ، فقال لهم سيدى موسى رحمه الله أنا لابد أن أفعل هذا ومن أراد منكم أن لايذهب معنا فلا ألومه ، فصار بعض الحسدة المبغضين يقول والله لو أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يصلى عليه بنفسه ما كان من حقهم أن يفعلوا هذا إلا لأجله ، فلما ذهبوا به لباب دار سيدنا رضى الله عنه وجدوه بالباب ينتظرهم فصلى رضى الله عنه عليه ، ثم التفت لسيدى موسى وقال له ماذا يقول الناس فى هذا الأمر فقال له ياسيدى يقولون كذا وكذا فقال له رضى الله عنه والله ماصلى عليه إلا النبى صلى الله عليه وسلم فهو الامام وأنا مقتد بصلاته ، ثم ذهبوا به ودفن بقباب الفتوح رحمه الله تعالى .

وكان سيدنا رضى الله عنه إذا كتب إلى فقراء فاس يصدر به غالب رسائله وكتب إليه يوما بالخصوص بعد ما سأله فى مبادىء أمره عن شىء يظهر من هذا الجواب الذى أملاه سيدنا رضى الله عنه على الخليفة المعظم سيدنا الحاج على حرازم رضى الله عنه كما حدثنى به بعضهم وهو فى جواهر المعانى ، ونصه : بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتقدست صفاته وأسماؤه يصل الكتاب إلى يد حبيبنا ورفيع القدر والمكانة من قلوبنا سيدى هاشم بن معزيز ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه من كاتبه إليكم محبكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى الحسنى ، وبعد : نسأل الله لكم جل جلاله وعز كماله أن يعاملكم فى الدنيا والآخرة بفضله ورضاه وأن ينظر فيكم بعين رضاه وعنايته ومحبته وكلاءته وحفظه وولايته فى جميع تقلباتكم ، وحركاتكم وسكناتكم وأن يكفيكم شر ما يأتى به الليل والنهار من جميع ماينافى كمال السرور وبأيه إعلامكم عما كتبتم به

إلينا من شكواكم بإعطاء مالكم للسائلين ومضايقتهم لكم وعدم طاقتكم لردهم ، فاعلم يا أخى أنك فى هذا الحال مضر بنفسك شرعا وطبعا ، أما من جهة الشرع فإن الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز حيث مدح عباده المخصوصين بالزلفى منه فقال (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال سبحانه وتعالى (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقال سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله وحبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) الآية وقال سبحانه وتعالى (وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) الآية .

والنهى عن إضاعة المال ولزوم حفظه هو أمر أجمعت عليه الأمة ، ولا نعلم بينهم فيه خلافا ، هذا وقد سمعت ألفاظ القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وليس لك إلا السمع والطاعة والاتباع فلا تنهمر فى إعطاء المال حتى تنتهى إلى التبذير فتقع فيما حرمه الله تعالى ولا تمسك يدك عن الإعطاء حتى تنتهى إلى البخل فإنه مذموم شرعا وطبعا ، وكن فى وسط الأمرين بين البخل والتبذير ، يعنى توسط فى ذلك ، وأعط لله بقدر اتساع مالك ، وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك ، وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب فى كل وقت ومن كان عنده خمسون قنطارا من المعهودة عندكم وكان كثير الأهل والعيال وصرف لله فى كل يوم مثقالا أجزأه ولم يطالب بحقوق المال فى شيء ، فإن زاد وأعطى كل يوم مثقالين فقد أكثر العطاء ، وإن زاد على مثقالين كل يوم فقد خرج إلى التبذير وهذا فى غير سائل أتاك جائعا يطلب خبزة أو خبزتين يأكلهما من واحد إلى اثنين إلى ثلاثة فلا سبيل لردهم ، وإن زاد على ذلك فلا حرج عليك فيما تمنعه من الإعطاء وإن جاءك ما يزيد على هذا فقل لهم يفتح الله علينا وعليكم ، فإن ذكر لك وجه الله تعالى ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأعطه من أوقية إلى أوقيتين ، ولا عليك فيما وراء ذلك فاحفظ هذا القدر واعتن بتحصين مالك من التلف ، فإن مالك به يصان إيمانك بالله تعالى ، فإن أتلفته أتلفت إيمانك بالله فإنه وقع فى الخبر : إن من الناس من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو افتقر لكفر ، ولعله يقص عليك حكاية

أكابر الأولياء وإفراطهم فى إعطاء المال حتى تفرغ أيديهم من كل شىء طلبا لتأسيك بهم ، ولا يقص عليك هذا إلا جاهل بالوقت وتصاريفه ، وجاهل بقواعد الشرع وأصوله ، فلا تلتفت إليه ولا تبال به فإنه من جنود الشيطان ، لأن الأولياء الذين يذكرهم لك غرقى فى بحار اليقين والتوحيد بين يدى الحق سبحانه وتعالى ، لا يخطر فى قلوبهم غيره ولا يلتفتون لغيره فى كل حركة وسكون لأن أصحاب هذه المرتبة أصحاب عناية عظيمة من الحق بهم ، لا يتركهم فارغين بل يسوق إليهم الأموال من كل جهة على رضى الخلق أو كره منهم ، ومع ذلك فهم على بصيرة من الحق سبحانه وتعالى يعلمون منه لغامض العلم اللدنى الذى وهبه الله لهم ، أن كل مايحب منهم فراغهم من الدنيا وتفريقها عنهم ، ويهب لهم من قوة الصبر والرضى واليقين عندما تشتد بهم الحاجة إلى المال فى نوائب الدهر ، حتى لا يحسوا بألم ذلك الاحتياج ، وأصحاب هذه المرتبة لا يلام أحدهم فى تفريق الدنيا كلها فى ساعة واحدة وأما أنت وأمثالك فليست لكم تلك القوى واعرف المرتبة التى أقامك الله فيها وقف عند حدها ، وتصرف فى أحكامها ولا ترق بنفسك إلى مراتب أهل الخصوص إذ ليست لك قوتهم ولا يقينهم ، وقد قيل فى المثل : النملة لا تحمل حمل الجمل ، فإن أرادت التعدى إليه تخطت طورها ولا قوة لها على ماتريده .

وإن للشيطان لعنه الله مكرا خفيا بصاحب المال إذا رءاه تقيا مقيما لأمر ربه فيما يقدر عليه ، كافا كثيرا من شره منغمسا فى كثير من أمور التقوى ويراه فى ذلك مطمئنا بماله لا ينزعج فيأتيه اللعين بمكره الخفى ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله ويخوفه فى قلبه من منعه لهم يقول له فى قلبه إن رددت هؤلاء سخط الله عليك أو سلبك نعمته ولا يزال يستدرجه فى مثل هذا وقصده أن يفرق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه ، فلا يزال كذلك إن لم يكشف عنه حتى يفرق جميع ماله ، فإذا فرقه وقع التشويش فى قلبه ، فيريد أن ينفق نفقته التى كان ينفقها فى ساعة اتساع المال فلا يجد السبيل إليها . فيقع التشويش والترويع له من أهله طلبا لما اعتادوه من اتساع النفقة ، فإن لم يأت بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعداوة فيكثر عليه الضيق والغيظ ، فلا يجد وقتا يذكر فيه ربه ولا يؤدى فيه أمرا من طاعة ربه وربما أضاع عليه فرض الصلاة فيحمله ذلك على

أخذ الدين من الناس ، وإتلافه في النفقة فمن قريب يحل به البلاء والويل من عدم وجود مايقضي به دين الناس ، ويصبح في زمرة الهالكين ، فقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته ، فهذا مراد الشيطان منه فيما كان يرغبه فيه من الإعطاء لله وعدم المنع ، فاحذر هذا المكر وفيما ذكرناه لك كفاية .

وأما ماذكرت لنا من أمر أورادك فإن قدرت على أن تأتي بالفاتح لما أغلق مائتين بين الليل والنهار زائدة على ما في الورد المعلوم ، واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله ، ملء ماعلم وعدد ماعلم وزنة ماعلم ، فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى واترك عنك تلك الأذكار مع الفاتحة على ما ذكرت وإن قدرت على أن تجعل بين اليوم والليلة عشرين مرة من قولك هذا الدعاء وهو : يامن أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ، ياعظيم العفو ويا حسن التجاوز ويا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ويا سامع كل نجوى ويامنتهى كل شكوى ويا كريم الصفح ويا عظيم المن ويامبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يارب ويا سيدي ويامولاي ويا غاية رغبتي أسألك أن لا تشوه خلقي ببلاء الدنيا ولا بعذاب النار واجعلها مفترقة أو مجموعة واحضر قلبك عند التلاوة قدر ماتطيق فإن الحضور هو روح الأعمال .

واعلم أن هذا الدعاء أتى به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله إني أتيتك بهدية فقال له صلى الله عليه وسلم وما تلك الهدية ياجبريل فذكر له هذا الدعاء فقال له صلى الله عليه وسلم ما ثواب من قرأ هذا الدعاء فقال له جبريل : لو اجتمعت ملائكة سبع سموات على أن يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة ، وكل واحد يصف منه مالا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه ، ومن جملة ذلك أن الله يقول فيه أعطيه من الثواب بعدد ماخلقت في سبع سمواته وفي الجنة والنار وفي العرش والكرسي ، وعدد قطر المطر والبحار وعدد الحصى والرمل .

ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق .

ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيا كلهم بلغوا الرسالة إلى

غير ذلك «١»، وهذا حديث صحيح ثابت فى صحيفه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص من أكابر الصحابة رضى الله عنه. صححه الحاكم وقال رواته كلهم مدنيون «٢» وأترك عنك جميع الأذكار فلو ذكرت أذكارك التى تذكر مائة ألف عام من غير الفاتح لما أغلق لم تبلغ مرة واحدة منها ففيها كفاية عن جميع الأذكار.

وأما ماذكرت من تفرغ قلبك إلى الاشتغال بالله، وعدم المبالاة بسواه فاعلم أن لذلك وقتا وأجلا ليس هذا وقته، واعلم أن ذكرك الفاتحة بنية الاسم الأعظم يغنيك عن جميع الأمور، وكل العبادات إذا اجتمعت بالنسبة إليه كنقطة فى بحر ولازم ماذكرناه لك فلو اجتمعت عبادة جميع العارفين ما بلغ مرة واحدة منها، ونسأل الله لكم ولأولادكم وجميع متعلقاتكم أن يجعلكم فى كفالة الله وكفالة رسوله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

وكتب سيدنا رضى الله عنه بعد هذا بخطه الشريف قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى كل ما كتب فى هذا الكتاب من أوله إلى آخره كله بإملائنا على الكاتب حرفا حرفا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اه

سيدى الكبير بن معزوز

ومنهم السيد الجليل الشريف الأصيل البركة الأمجد الكوكب الأسعد أبو المكارم سيدى الكبير بن معزوز أخو المترجم له قبله هذا السيد رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين لهم الحظ الأوفر من محبته المطبوعين على حبه ومودته وأحد الفائزين بصحبته عند ابتداء الطريقة مع أهل العناية الذين انتسبوا إليه وطرحوا نفوسهم بين يديه وألقوا له السلاح حتى ظفروا بمقصودهم فى الدارين بين أهل الفلاح وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة ويثنى عليه الثناء الجميل وإذا كتب لفقراء فاس يخصه بالسلام عليه بين أهل الخصوصية من أصحابه كما نقلنا جملة منها فى تراجم هذا الكتاب

«١» أى يرث من أنوارهم وتحل عليه بركاتهم.

«٢» وهذا الدعاء ذكره الحاكم مختصرا وأقر الحافظ الذهبى تصحيحه.

ومنهم ولده المقدم فى مضمار الخيرات بالمسارعة لنيلها حتى ظفر بجلها بل بكلها البركة الفاضل والعارف الواصل أبو عبد الله سيدى موسى بن معزوز أحد أركان هذه الطريقة المحمدية الذين كان لهم قدم الصدق الراسخ والمجد الشامخ ، وكانت له همة عالية ونفس أبية لا ترضى بالدون فى الدين مشمرا عن ساق الجد والاجتهاد فى طاعة مولاه بين السادة الهادين المهتدين ، وكان رحمه الله ذا فتح صحيح وكشف صريح ، وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبى صلى الله عليه وسلم الفتح الكبير ، كما أخبر بذلك سيدنا رضى الله عنه .

ومن عجيب كراماته مابلغنى عنه على لسان بعض الإخوان أنه كان قاطنا بعدوة فاس ، فبينما هو جالس يوما بداره إذ دخلت من بابها هرة وصارت تصيح وتذهب من موضع لموضع ، فقال لولده ، قم ياولدى وخذ هذه الهرة واذهب بها للدار الأولى من درب السعود فذاك محلها وهى تقول ذلك ، فصار ولده يتعجب من ذلك وأخذها وذهب بها وأطلقها فى باب تلك الدار وكان بها فرح من الأفراح فلما دخلت تلك الهرة سمع من أهل تلك الدار قائلا يقول إن القطة أى الهرة التى أطلقناها بالمحل الفلانى ها هى هذه قد جاءت ، فصاروا يتعجبون كيف تهتدى إليهم مع بعد مابين المحلين ورجع ولده أيضا متعجبا وحدثنى الثقات أن صاحب الترجمة كان كثير السؤال لسيدنا رضى الله عنه عن المسائل ، ويبحث عن الأمور بحثا شافيا بحضرة سيدنا رضى الله عنه حتى إن بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، يتغير خاطره من ذلك خوفا عليه من قلة الأدب وقام يوما من حضرة سيدنا رضى الله عنه فتبعه المحب الصادق فى جناب سيدنا رضى الله عنه البركة عم محمد السلاسى وكان أكبر منه سنا فقال له ياسيدى موسى إنى أخاف عليك من جرأتك على حضرة سيدنا رضى الله عنه من كثرة الأسئلة المنافية لأدب المريد بين يدى قدوتهم ، وصار يعاتبه على ذلك ، فبينما هما كذلك إذ أرسل إليهما سيدنا رضى الله عنه يأمرهما بالحضور بين يديه فامتثلا الأمر ، وبمجرد وصولهما قال سيدنا رضى الله عنه لعم محمد السلاسى مالك ولسيدى موسى ، إنه عندنا محبوب على أى حالة كان عليها ، فمن ذلك الوقت صار إذا لقيه يقول له ياسيدى موسى لاخوف عليك أنت من المحبوبين ، وكان رحمه الله من جملة المقدمين فى هذه الطريقة المختصين بتلقين الأذكار الخصوصية

وقد تلقى التقديم لذلك عن الشريف الأصيل البركة الجليل سيدى محمد الغالى بوطالب. وقد وقفت على التقديم الذى كتبه له بخطه مباشرة ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما شهد على نفسه كاتب هذه الحروف محمد الغالى بوطالب التجانى الحسنى أنه أذن للشريف البركة حبيب سيدنا رضى الله عنه أخينا سيدى موسى بن معزوز فى تلقين أذكار سيدنا رضى الله عنه كالسيفى وسورة القدر بنية السيفى والسلام عليه صلى الله عليه وسلم مائة مرة كل يوم ودعاء يامن أظهر الجميل إلى آخرها ، وكصلاة يوم الجمعة عند طلوع الشمس . وهى الست ركعات الواردة فى الحديث ، وكان هذا فى عشرين من جمادى الثانية عام ١٢٤٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما اه

وكان رحمه الله ذا حزم شديد فى هذه الطريقة وبلغنى عنه أنه كان يقول جنبوا صف الذكر والوظيفة من الأحداث ، وربما يقوم بنفسه ويخرجهم ، وكان يخرج أيضا من صف الوظيفة من علم أنه حامل التابغة ولا يتركه جالسا معهم وهو مدفون بروضتهم بقباب الفتوح رحمه الله تعالى .

المقدم الشريف سيدى الغالى أبو طالب

ومنهم العارف بالله الدال على الله القدوة الكبير والولى الشهير ذو الكرامات الظاهرة والمناقب الفاخرة والأحوال السنية والأخلاق السنيه أبو عبد الله سيدى محمد الغالى أبو طالب الشريف الحسنى هذا السيد الجليل رضى الله عنه من أفاضل خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر ، كما أخبر بذلك سيدنا رضى الله عنه ، وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد من ظهر عليه الفتح بقولها ، وكالشريف ذي المزايا الغالى بما نصه :

وأما الشريف الأجل العارف بالله تعالى سيدى محمد الغالى بن سيدى محمد أبو طالب الحسنى رضى الله عنه ، فهو أحد أركان طريقتنا ، وممن انتشرت على أيديهم بالمغرب والمشرق ، وعنه انتقلت إلى السوادين . وقد كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه أجاز له فى الطريق وأمره أن يقدم أربعة وكل واحد من أولئك الأربعة يأمره بتقديم أربعة ليس إلا ، وهذا كان له قيد حياة الشيخ رضى الله عنه وبعد وفاته أيضا قبل أن ينتقل إلى الحرمين الشريفين ، وأما بعد

حلوله بالحرمين الشريفين ، فالذى يظهر من عمله الاطلاق ، ولاشك أنه حصل له الإذن فيه إما من بعض من لقيه فى البلاد المشرقية من المقدمين ، وإما من غيرهم بطريق الاستفاضة من روحانية الأنبياء عليهم السلام وورثتهم كما هو معلوم ، وليس من نسب مثل هذه المزية لهذا الفاضل بمؤنب ولاملوم . وقد كان له فى الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد أحوال خارقة للعادة من ذلك ما اتفق له ذات يوم وهو أنه كان جالساً قرب باب بيته من داره بمكناسة الزيتون يذكر أوراده مستقبلا مستغرقا فى حضوره ، إذ سقطت بنية له من أعلى حلقة الدار فلم يلتفت لذلك ولا تغيرت جلسته ولا شىء من حالته التى كان عليها بل بقى على ما كان عليه حتى كمل أوراده . وكان يرتل العبادة صلاة كانت، أو غيرها ترتيلا لم يسمع بمثله عن أحد ، فأخبرنى الثقة أنه كان يسبح فى السجدة الواحدة خلفه نحواً من سبع وعشرين مرة وأخبرنى آخر أنه صلى العشاء أربعة ركعات وذكر بعدها الورد الملازم لاغير فى نحو ساعتين من كثرة ترتيله واستغراقه فى الحضور رضى الله عنه وكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته فيسألها عما أشكل عليه كحال اليقظة . وأخبر الثقات عنه أنه أخبر عن نفسه رضى الله عنه بأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت ابن الحبيب وأخذت طريقة الحبيب .

وحدثنى بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى عنه أنه حدثه أنه رأى سيدنا الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته وقال له ياسيدى سرت عنا وتركتنا أوكلاما من نحو هذا ، فأجابه رضى الله عنه بقوله : لم أغب عنكم ولم أترككم وإنما هى نقلة من دار ترابية إلى دار نورانية .

وحدثنى بعض الخاصة من ملازميه أنه كان اتخذ خلوة يختلى فيها فى وقت مخصوص لذكر مخصوص فكان يأمره إن أخذه الحال أن يقف بباب الخلوة إلى وقت فراغه من الذكر قال . فكنت إذا فرغ من الذكر دعانى فأدخل عليه فأجده كأنه كان فى حمام شديد الحر، حتى أنى كلمته فى ذلك مرة فتبسم وقال لى ضع أصبعك هاهنا وأشار إلى ظاهر كفه قال فوضعت أصبعى فكأنى وضعتها على جمرة فرفعتها بسرعة وقد أثر ذلك فيها كما تؤثر الجمرة تحقيقا . ومثل هذا لاغرابة فيه من الصادقين فيما يذكرونه بالإذن الخاص .

ومنهم من كان يحترق لسانه إذا ذكر اسم الجلالة .

ومنهم من كان يجد غير ذلك من الأثر حسبما ذكره الشيخ محيي الدين رضي الله عنه . ويذكر عن بعض صلحاء سلجماسة القرباء العهد أنه كان يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يجد لفمه وشفتيه حلاوة محسوسة ، وهذا لا ينكره إلا ضعيف الاعتقاد في أسرار الولاية وآثار الأذكار والله أعلم اه

واعلم أن صاحب الترجمة قدس سره كان عند سيدنا رضي الله عنه بمكانة منيفة ومرتبة شريفة يثني عليه في حال الحضور والغيبة ، ويشهد له بصدق المحبة وكان يعجبه حديثه ويسأل عنه إذا لم يحضر في مجلسه مع الإخوان .

وبلغنا من طريق التواتر — وهو مذكور أيضا في كتاب الرماح — أن الشيخ رضي الله عنه قال ذات ليلة في مجلسه : أين السيد محمد الغالي ؟ فجعل أصحابه ينادون أين السيد محمد الغالي ، على عادة الناس مع الكبير إذا نادى أحدا فلما حضر بين يدي الشيخ قال رضي الله عنه قدماى هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى ، فقال له صاحب الترجمة — وكان كثيرا ما يتفاوض في الحديث — ياسيدي أنت في حالة الصحو والبقاء أو في السكر والفناء ؟ فقال رضي الله عنه : بل أنا في الصحو والبقاء وكمال العقل ولله الحمد . فقال له صاحب الترجمة : ياسيدي ما تقول في قول سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى ، فقال صدق رضي الله عنه يعني أهل عصره ، وأما أنا فأقول قدماى هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور . فقال له ياسيدي فكيف تقول إذا قال أحد بعدك مثل ما قلت ! فقال رضي الله عنه . لا يقوله أحد بعدي . فقال له : ياسيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا ألم يكن الله تعالى قادرا على أن يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات والمعارف والعلوم والأسرار والترقيات والأحوال أكثر مما أعطاك ؟ فقال رضي الله عنه : بلى قادر على ذلك وأكثر منه ولكن لا يفعله لأنه لم يرده ، ألم يكن قادرا على أن ينبيء أحدا ويرسله إلى الخلق ويعطيه أكثر مما أعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بلى ولكنه تعالى لا يفعله لأنه ما أراده في الأزل . فقال رضي الله عنه : وهذا مثل ذلك ما أراده في الأزل ولم يسبق به علمه تعالى .

توفى رحمه الله تعالى فى حدود أربع وأربعين ومائتين وألف بأحد الحرمين الشريفين .

ومن عجيب ما اتفق له ما بلغنى عنه أن سيدنا رضى الله عنه أخبر بعض أصحابه أنه إذا توفى رضى الله عنه لابد أن يصلى عليه صاحب الترجمة . فلما توفى سيدنا رضى الله عنه لم يكن حاضرا لوفاته ولا للصلاة عليه ولا الدفن لكونه كان مسافرا ، فاتفق من قدر الله تعالى أنه لما أخرج أولاد سيدنا رضى الله عنهم سيدنا من قبره ليذهبوا به إلى بلدهم . وأخذه منهم فقراء فاس وأرادوا أن يردوه لقبره الشريف وكان حاضرا صاحب الترجمة فقام وصلى عليه ، فعند ذلك تعجب الاخوان الذين أخبرهم سيدنا رضى الله عنه بأنه يصلى عليه ، وتحققوا بمصداق ذلك وهى من كراماته رضى الله عنه .

استطراد بطرف من ترجمة مؤلف الرماح

وقد تخرج على يده جماعة من المفتوح عليهم ويكفيه فخرا أن تخرج على يده القدوة الكبير والعارف الشهير مربى المريدين والمرشد للفلاح فى سبيل الدين سلطان العلماء وعالم السلاطين المجاهد فى طاعة رب العالمين أبو حفص سيدنا عمر بن سعيد الفوتى الطورى الكدوى آخر سلاطين العدل بنواحى السودان كان رحمه الله تعالى عالما عاملا وسلطانا عادلا دائرا مع الحق حيث ما دار وزاهدا فى هذه الدار ، وقد كان رحمه الله له مقعد الصدق فى هذه الطريقة الأحمدية والقيام التام بوظائفها بحيث لايضاهيه فيها إلا أهل الخصوصية من ذوى الفتح الأكبر وقد بلغ مقام الخلافة التجانية الكبرى كما وصفه بذلك غير واحد وصرح بنفسه بذلك أيضا . وكانت له فى العلوم الشرعية اليد الطولى وله فى الحقائق المرتبة العليا والمقام الأعلى وله فى الطريقة النهج الواضح والحجة السمحاء التى اهتدى والله من سلك فيها وقد قام فى طريق الرشد يدعو للنجاة فتبعه فى السلوك فيها من دعاه داعى السعادة فحج وجاهد فى الله حق جهاده ونصر الحق ودافع عن أهل الله بلسان الصدق ، وله فى هذه الطريقة المحمدية تآليف عديدة ووشح جملتها بفرائد وطرائف ورصعها بدرر المعارف المروية عن سيدنا رضى الله عنه بواسطة سيدنا الغالى بوطالب المتقدم الذكر حين اجتمع به بالحرمين الشريفين كما ذلك كله مبسوط فى مصنفاته قدس سره ، وله فى

مدح سيدنا رضي الله عنه قصائد عديدة وانكتفي منها هنا بذكر قصيدة كامايه لامية ذكرها في كتابه الرماح عند تعرضه للكلام على الحضرات السبع وهي :

يارايم الخيرات روم رجالها   يامبتغي الأنوار ثم ظلالها
إن رمت نيل ولاية بكمالها   وهداية فأجب نداء رجالها
أو رمت إدراك المعالي كلها   وروم البرازخ نيل طيف خيالها
يدعوك داعي حضرة غوثية   ختميـــة لايرتقى لقـــلالها
يدعوك داعي حضرة لعلومها   خضعت لها الأغواث روم جمالها
يدعوك داعي حضرة خفيت على الـــأغواث طلعة شمسها وهلالهـــا
يدعوك داعي حضرة من فيضها   مانال كل الأوليا بخصالها
يدعوك داعي حضرة من مفزع الأقـــطاب والأغواث عن ثمالها
يدعوك داعي حضرة من فضلها   كل الأكابر أذعنوا لكمالها
يدعوك داعي حضرة أعناق كل   الأوليا تطأطأت لنعالها
يدعوك داعي حضرة حبية   ختميـــة موروثة بخلالهـــا
يدعوك داعي حضرة مفتوحة   فياضة مشدودة بحبـــالها
يدعوك داعي حضرة مكتومة   عن غير جنس رجالها ورجالها
يدعوك داعي حضرة لطفية   قهرية قتـــالة بشبالهـــا
يدعوك داعي حضرة أسرارها   وعلومها لايهتـــدى بمثالها
يدعوك داعي حضرة من حاد عنـ
ـها مبغضا يرديه مر حجـــالهـــا
يدعوك داعي حضرة من زاغ عنـ   ـها جاهدا يهلكه ضيم نكالهـــا
يدعوك داعي حضرة يسقى بها المحجـــوب للمطرود سم نبالها
يدعوك داعي حضرة أصحابها   يتعـــاونون على التقى لمآلها
يدعوك داعي حضرة عشاقها   يتعـــاضدون لربهم بنعالها
يدعوك داعي حضرة فردية   وهبية فضليـــة لنوالهـــا
يدعوك داعي حضرة أحبابها   قد خصهم مولاهم بتباهـــا
يدعوك داعي حضرة من خاضها   بشروطها يدرك جميع نوالهـــا

يدعوك داعي حضرة من خاض في ... ها صادقا يغشاه ظل ظلالها
يدعوك داعي حضرة لرجالها ... روح وريحان وشرب زلالها
يدعوك داعي حضرة أنذالها ... فاقوا الخسروي فكيف حال نبالها
يدعوك داعي حضرة جودية ... لا منتهى لمذاقها وعبالها
يدعوك داعي حضرة فياضة ... من حضرة الرحموت فيض وجالها
يدعوك داعي حضرة ورّادها ... يسقون سر بحورها بسجالها
يدعوك داعي حضرة خلانها ... هذا النبي يحبهم لفعالها
يدعوك داعي حضرة خدامها ... جيران هذا المصطفى لجلالها
يدعوك داعي حضرة أتباعها ... بعد الصحابة فضلت لأثالها
يدعوك داعي حضرة سلاكها ... إخوان صحب محمد لكمالها
يدعوك داعي حضرة فقراؤها ... رفقاء صحب محمد بهزالها
حمد المثال بيمنها وبنيلها ... ونبيها وإمامها ونوالها
وبنيل ما فيها من الأذكار والدعوات والأسرار ثم نفالها

ولنذكر هنا أجازة المقدم سيدي الغالي بوطالب لهذا السيد رضي الله عنه ونصها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :
يقول العبد الفقير إلى الله الراجي عفوه وكرمه محمد الغالي أبو طالب التجاني الحسني عامله الله برضاه في الدارين إني اتخذت السيد عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي أرضا الطوري إقليما الكدوي قبيلة حبيبا لي في الدارين ومن كان كذلك كان حبيبا لله ورسوله في الدارين وأذنته في الورد المعلوم وطريقتنا التجانية المحمدية الابراهيمية الحنفية وأذنته في صلاة الفاتح لما أغلق بنية مرتبتها الظاهرة والباطنة وأذنته في تلاوة الفاتحة بنية كذا وكذا بما هي مشتملة عليه وأذنته في تلقين الورد المعلوم طريقتنا لمن طلبه من جميع المسلمين ذكرا كان أو أنثى صغيرا أو كبيرا طائعا أو عاصيا ، حرا أو مملوكا ، وأذنته أن يقدم من طلبه إلى ستة عشر رجلا وكل واحد يقدم أربعة بالشرط المعلوم ومن خالف شروطنا فهو مرفوع عنه الاذن ونأمر كل واحد من المقدمين أن ينظر إخوانه بعين العناية والتعظيم وأن يحفظ نفسه من تغيير قلوبهم وأن يجتهد في إصلاح أمورهم وقضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية كزيارة صحيحهم وعيادة مريضهم والشفقة على ضعيفهم ويكون هذا كله لابتغاء

مرضاة الله ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم وأقول كل ماسمعتم من فضل الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة فهو من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيخنا وذكر رضي الله عنه أن الفضل الذى هو مرسوم بالنسبة إلى الذى هو مكتوم كنسبة نقطة إلى البحر المحيط لايحل لنا ذكره وأذنته فى تلقين أذكار سيدنا رضى الله عنه كالسيفى والأسماء الادريسية ويامن أظهر الجميل وياقوتة الحقائق وفى الفاتحة بنية كذا وكذا وكل ما فى جواهر المعانى من أذكار سيدنا رضى الله عنه فقد أذنته فى ذكره وفى إعطائه ماعدا حزب البحر وأذنته فى جواهر المعانى نفسه وأذنته فى خلوات سيدنا وفى إعطائها وكذا فى كل ما أذنته من استخارة وصلاة وقرآن وغيرها وأذنته فى إعطاء صلاة الفاتح لما أغلق بنية مرتبتها الظاهرة والباطنة اه ما أملاه عليه رضى الله عنهما .

ثم كتب بخطه تحته الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله يقول كاتب الحروف محمد الغالى أبو طالب التجانى عامله الله برضاه فى الدارين كل ماسطر فى هذه الورقة فهو من إملائنا على كاتبه وقد أجزناه فى جميع ما فى هذه الأسطار إجازة تامة مطلقة نفعه الله تعالى بذلك ورزقنا وإياه فضلها دنيا وأخرى وأماتنا الله تعالى وإياه على عهد شيخنا ومحبته ورضاه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وكان هذا يوم الاثنين بعد اثنين وعشرين خلت من ذى الحجة بمكة المشرفة سنة مرشد اه

وقد ذكر فى كتابه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ممايتعلق بترجمته مافيه كفاية من بسطه هنا فلينظره من أراده والله الموفق .

أخوه سيدى عبد السلام بوطالب الأول

ومنهم ذو الشيم المرضية والسيرة المحمودة الزكية منبع الأسرار العرفانية والمواهب القدسية الربانية الشريف الأصيل البركة الجليل أبو محمد سيدى عبد السلام بوطالب أخو المترجم له قبله . هذا السيد رحمه الله كان من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه الأقدمين الذين فازوا بصحبته عند ظهوره واقتبسوا من مشكاة نوره حتى ظهر عليه الفتح المبين وكان لهم فى الولاية القدم المكين وهو أكبر سنا من أخيه المقدم سيدى الغالى رحمه الله وقد توفى رحمه الله قيد حياة سيدنا

رضى الله عنه فى عنفوان شبابه . حدثنى المقدم سيدى الطيب السفيانى وغيره أن بعض الأخيار ممن كان يلازم الصلاة بجامع الأندلس بمدينة فاس رأى فى بعض الأيام فى طريق ذهابه للمسجد المذكور عينا من حليب جارية فصار يتعجب مما رآه وإذا برجل وقف بجنبه فلما رآه قال له أنشدك الله إلا ما أخبرتني عن أصل هذه العين فقال له سر معها وادخل إلى الروضة التى خرجت منها فإن أصلها من قبر يدفن فيه بعض أكابر الأولياء فصار معها ودخل لتلك الروضة فوجدها نابعة من الموضع الذى دفن فيه صاحب الترجمة . فلما استيقظ ذهب إلى الموضع الذى رآه فى تلك الروضة فلم يجد هنا قبرا وبعد أيام قلائل توفى صاحب الترجمة وصلى عليه بالمسجد المذكور وذهبوا به إلى تلك الروضة فرآهم صاحب الرؤيا فتبعهم فوجدهم يدفنونه فى ذلك الموضع الذى رآه فتحقق بولايته وبتصديق رؤياه فصار فى كل جمعة يزوره

بركة زيارته ، فاتفق له يوما أن وجد بعض الأجلاف جالسا على قبره يستبرى فأتى إليه ذلك الرجل وقال ألم تخف من الله فى تلطيخ هذا القبر فقال له ذلك الجلف مالك ومالى ومد يده غضبا إلى ناحيته فبقيت يده ممدودة متقفة ولم يقدر على ردها بعد ذلك وحصل له بها ضرر عظيم إلى أن توفى بسبب ذلك والله أعلم .

ابنه سيدى عبد السلام

وكان على نسق صاحب الترجمة فى هذه الطريقة المحمدية فى الديانة والصلاح والسلوك فى طريق النجاح والفلاح ولده البركة الجليل الشريف الأصيل سيدى عبد السلام بوطالب ووالده المتقدم يعرف بين الأصحاب بسيدى عبد السلام الأول وهذا يعرف بسيدى عبد السلام الثانى . تركه والده رحمه الله فى بطن أمه وتربى فى حجر عمه المقدم سيدى الغالى المتقدم الذكر رحم الله الجميع ، وتوفى رحمه الله عام ألف ومائتين خمسة وثمانين ودفن فى روضتهم .

سيدى عبد الواحد بوغالى

ومنهم المقدم الأجل القدوة الأكمل البركة المبجل الشريف المنيف والماجد الأفضل أبو محمد سيدى عبد الواحد بوغالى أحد الخاصة المشهود لهم بالفتح الكبير وكان رحمه الله محافظا على دينه أتم محافظة لا تراه إلا ذاكرا أو مصليا ملازما للزاوية

المباركة فى صلواته الخمس قائما على ساق الجد فى اغتنام الخيرات بطيب نفس سالكا فى الطريق أقوم منهاج مقصودا لكل محتاج ، وكان رحمه الله كثير الخوف من مولاه سريع العبرة عند ذكر الله يعظ الناس حاله ويرد على الله مقاله وقد حفر لنفسه رحمه الله قبرين وتعاهد مع حبيب سيدنا رضى الله عنه ذى الفتح الأكبر سيدى محمود التونسى رحمه الله على أن من توفى قبل الآخر يدفن بأحدهما ويوصى الآخر بالدفن فى الآخر، فلما توفى سيدى محمود دفن بأحدهما ودفن بالآخر صاحب الترجمة فكانا معا فى مقبرة واحدة ودفن بروضتهما جماعة من الإخوان بوصية منهم فدفن المقدم البركة سيدى عبد الوهاب بن الأحمر عند رجليهما وأمامهما سيدى موسى بن معزوز وأمامه عم محمد بن الفانى وغيرهم رحم الله الجميع وفيها أقول :

لله من روضة تجل مقدارا	على علاها مدار الفضل قد دارا
كأنها روضة الناظرين بدت	من جنة تكسب العلياء أنوارا
منها تغار السماء من حسن ما جمعت	ونورها عمر الأكوان أسرارا
لئن بدا فى السما بدر به افتخرت	فهذه قد حوت فى الأرض أقمارا
هم البدور الذين فى الهدى ظهروا	ليهتدى بهم للحق من سارا
من سار مهتديا بين الورى بهم	فإنه بالرضا ينال أوطارا
فهم نجاة لمن قد استجار بهم	وهم أمان لمن غدا لهم جارا
وفاز من أمهم لنيل مكرمة	ونال ما يرتجى من قبرهم زارا
وكيف لا وهم فى المجد قد صعدوا	وفضلهم فى نواحى الكون قد طارا
وفى ضمان النبي المصطفى دخلوا	وتحت ظل التجانى جمعهم صارا
قد فاز والله من قد كان مثلهم	بالشيخ مقتديا سرا واجهارا
لازال ربعهم مزار مرحمة	وفوقه صيب الرضوان مدرارا

سيدى الحاج على آملاس

ومنهم ذو السر الواضح الولى الصالح والعارف الأكبر والقدوة الأشهر محب سيدنا وحبيبه وجليسه وأنيسه ومربيه أبو الحسن سيدنا الحاج على آملاس هذا السيد رحمه الله من خاصة الخاصة المقربين عند سيدنا رضى الله عنه الملحوظين بعين المودة التامة فى حضرته السعيدة وكان صاحب السر المخصوص عند سيدنا

رضى الله عنه بحيث يناول بنفسه بحسب النيابة عن سيدنا رضى الله عنه بحضره وغيبته مالا يناوله غيره وهو الذى كان يباشر العقـــاقير الكيماوية واستخراج أدهانها النافعة من الأضرار المحضة وقد بلغنى عنه انه كان يوما فى الزاوية المباركة يستخرج الدهن المعروف بدهن الآجر عن إذن سيدنا رضى الله عنه فبينما هو يناول عمله إذ وقف بباب الزاوية المباركة الولى الشهير والعارف الكبير ذو الأحوال العجيبة والأفعال الغريبة الشريف المنيف سيدى الحفيد بن عدّوا ودق الباب وصار ينادى صاحب الترجمة باسمه فلما حل الباب له قال له اريد من فضل الله ومن سيادتكم أن تزيتوا لى هذه الفتيلة من الدهن الذى تستقطره الآن فقال صاحب الترجمة له ياسيدى ماعندى إذن فيما تريد فصار يلح عليه ويدعو له فقال له والله لا أعطيك شيئا إلا عن إذن سيدنا رضى الله عنه وقال له استأذنه فى ذلك ودفع له الفتيلة وذهب صاحب الترجمة إلى محل سيدنا رضى الله عنه ليخبره بذلك فوجده رضى الله عنه كأنه ينتظره فقال له ياسيدى إن المجذوب سيدى حفيد يطلب منا أن نزيت له هذه الفتيلة فقال له سيدنا رضى الله عنه لاتفعل بل ردها إليه وإياك أن تجعل فيها شيئا من ذلك الدهن ثم إنه ردها عليه وقال له إن سيدنا الشيخ نهانا عن تزيتها لك فقال له بخاطره وذهب لحال سبيله ثم إنه بعد ذلك سأل صاحب الترجمة سيدنا رضى الله عنه عن سبب امتناعه من تزيتها له فقال له لم يتسع معه الناس بلاتزيتها له فما بالك إذا زيتت . وفى هذا إشارة إلى أن هذا السيد رضى الله عنه كان جلالى التصريف وأراد بذلك كال التصريف فمنعه سيدنا رضى الله عنه .

وحدثنى الفقيه العلامة سيدى عبد السلام بنانى أن هذا السيد رضى الله عنه دخل يوما للزاوية المباركة وسيدنا رضى الله عنه فيها مع جماعة من أصحابه وصار يتوضأ فقيل لسيدنا رضى الله عنه إن هذا سيدى حفيد بن عدوا يتوضأ فالتفت إليه سيدنا رضى الله عنه فلما نظر إليه قال رضى الله عنه لأصحابه الحاضرين معه رأيته يحضر فى ديوان الأولياء ولكن لا أعرف اسمه .

وسبب فتحه أنه كان كثير المدح للنبي صلى الله عليه وسلم بالملحون إلى أن أتاه النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه كأسا من حليب فشربه ففتح عليه وهو خارج عن حكم القطب فلايتصرف فيه اهـ

وبلغنى عن بعض المفتوح عليهم من أصحاب هذا السيد رضى الله عنه أنه قال فى حقه إنه أدرك مقاما لا يدركه إلا ثلاثة أشخاص فى كل ألف سنة وأنه لم ينل مقامه أحد منذ أزمان .

ومن عجيب كراماته أنه كان يطبخ القهوة ويجعل فيها السم القاتل ويشربها ويناولها أصحابه ولا يضرهم شىء من ذلك فسبحان القادر على ما يشاء .

توفى رحمه الله فى جمادى الأولى عام خمسة وأربعين ومائتين وألف ودفن خارج باب الفتوح

واعلم ان صاحب الترجمة الأول كان عند سيدنا رضى الله عنه فى مكانة اتصال تام محفوفا بإجلال وإعظام وكان رضى الله عنه لا يخاطبه إلا بلفظ السيادة .

ومما وقع له مع سيدنا رضى الله عنه ما حدثنى به بعض أحفاده أنه دخل على سيدنا رضى الله عنه والحجام يحسن له ورأى عمامة سيدنا رضى الله عنه فوق الأرض منزلة فأخذها وجعلها فوق رأسه ليتبرك بها فبمجرد جعلها عليه أحس بخروج عينيه من موضعها من فرط ما حلته من السر لمسها لرأس سيدنا رضى الله عنه ثم إنه جعل [illegible] عليها وصار يصيح فرآه سيدنا رضى الله عنه فقال له رضى الله عنه يا [illegible] منا ونزعها عن رأسه وصار يطلب له من الله اللطف لئلا تتلف عيناه من رعد التجلى الذى حصل له بسبب ذلك وبقى مريضا مدة إلى أن شفاه الله تعالى ، وطلب فى بعض الأيام من سيدنا رضى الله عنه أن يدعو لأحد أولاده فصار سيدنا رضى الله عنه يمسح على رأس ذلك الولد بيده الشريفة ويقول منا وإلينا هو وأولاده ومن تنسل منهم إلى يوم القيامة اه وهو من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الأقدمين ، وكان سيدنا رضى الله عنه يسلم عليه بالخصوص إذا كتب إلى فقراء فاس كما يخص فى غالب مكاتباته رضى الله عنه أولاده بالسلام عليهم والدعاء لهم وهم السيد محمد والسيد أحمد والسيد محمد فتحا والسيد عبد السلام والسيد عبد الرحمن وكلهم من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه مجبولون على محبته قد سرى حبه فيهم سريان الروح فى الجسد رحم الله الجميع .

المقدم بن عبد الواحد بنانى المصرى

ومنهم المقدم الذى أذعنت له الأكابر فى بساط المعارف والمصدر فى المحافل

الفخيمة لما حازه من اللطائف والطرائف المرتقى فى أوج الولاية علاه حتى أدرك فى المعالى ما لم يدركه سواه أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن عبد الواحد بناني المسرى هذا السيد رحمه الله من خاصة الخاصة من أفاضل المقدمين فى هذه الطريقة المحمدية قيد حياة سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا عند سيدنا رضى الله عنه بالمكانة العالية فى الوداد والمحبة لما جبلوا عليه من صفاء الحب وخلوص الاعتقاد .

وكان رحمه الله ممن شهد لهم بالفتح الأكبر كل من رءاه ببرهان كراماته الظاهرة ومناقبه الفاخرة . ولقد طارت بفضائله الركبان وشاعت مآثره فى غالب البلدان وكم من عالم فاضل وعارف واصل اقتبس من نور مشكاته الوهاج واكتفى به عن غيره كل محتاج لاسيما فى هذه الطريقة الربانية ذات المواهب العرفانية فقد كان فيها ركنا مشيدا وبدرا فى أفقها للحق مرشدا ، وقد قدمه سيدنا رضى الله عنه فيها تقديما مطلقا وأطلق له فيه غاية الإطلاق بخطه الشريف وكتب له الخليفه الأكبر سيدنا الحاج على حرازم التقديم بخطه وأطلق له فيه غاية الأطلاق وأيضا كما حدثنى بذالك المقدم سيدى الطيب السفيانى رعاه الله كما أخبر بذلك جده المقدم سيدنا الطيب رضى الله عنه غير واحد من أفاضل الاخوان رحم الله الجميع .

الفقيه السيد محمد بن احمد الجبارى

ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة مفتاح مغلق النوازل وكشاف غوامض المشاكل لسان العدل فى الحكم بما أنزل البارى أبو عبد الله سيدى محمد بن احمد الجبارى قاضى القصر السعيد ، كان رحمه الله من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين شربوا من حوضه المورود ودخلوا تحت ظله الممدود واحتموا بجاهه المنيع وانتموا إلى قدره الرفيع حتى ظفر كل واحد منهم بالحسنى والزياده ، ونال فى الدارين أمنيته ومراده وهو أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر كما أخبر بذلك سيدنا رضى الله عنه . وقد بلغنى أنه لما كان قاضيا بالقصر قيل له إن يهوديا أسلم وصار يكاشف من حينه والناس يتعجبون من حاله فعزم صاحب الترجمة على الاجتماع به ليرى صدق الخبر ، فذهب فى بعض الأوقات إلى موضع ذلك الاسلامى وأضمر فى نفسه شيئا فلما رآه ذلك الاسلامى قال له مرحبا بك ياسيدى القاضى إنك تريد كذا وكذا وأفصح له عن ضميره فصار متعجبا من أمره

ثم قال له والآن إذا أردت حاجتك تقضى فعليك بزيارة سيدى بوغالب ، ثم أنه قام وخرج متيقنا بصدق الخبر إلا أنه قال فى نفسه إن كشفه غير تام ولو كان تاما ما أمره بزيارة غير شيخه لأنه تجانى الطريقة فما أتم هذا الخاطر وهو ذاهب لحال سبيله حتى صار يناديه بقوله : ياسيدى القاضى ياسيدى القاضى إن سيدى احمد التجانى أتانى الساعة وفى يده شاقور مهند وأراد أن يضرب رأسى به وقال لى كيف تأمر صاحبى بزيارة الغير والآن إياك ياسيدى أن تزور غير سيدى احمد التجانى صاحب الشاقور المهند اه

عم عبد الحق الجابرى

ومنهم صاحب الأحوال العجيبـــة والأفعال الغريبة المستتر تحت ظل حبيب الرسول والمتظاهر بفعل العوام قصدا للخمول أبو عبد الله سيدى عبد الحق الجابرى هذا السيد رحمه الله كان من جملة المفتوح عليهم وكان سيدنا رضى الله عنه يحبـــه ويرسل إليه فى بعض الأوقات ليؤنسه بآلة السماع حين يغلب عليه الحال من ترداف التجليات ، وكان لصاحب الترجمة اليد الطولى فى السماع وتقطيع نغمات الاطباع بغناء يحرك الساكن والبلبال ويزيل الشجون الساكنة بالبال وقد بلغنى أن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه قال لبعض مجالسيه سمعت عم عبد الحق الجابرى الفاسى الذى كان يغنى على سيدنا رضى الله عنه يقول بصوت يحرك الجماد وتهتز له النفوس الكثيفة .

إن قيل زرتم بما رجعتم   يا أكرم الخلق ما أقول الخ

ويخلل كل شطر بقوله : حالى حالى حال   يارسو الله

قال وكان رحمه الله رجلا مسنا ذا شيبة منورة وإذا تكلم على كبر سنه تفدى بنفسك أن لا يسكت ، وقد سمعته يغنى كما غنى على سيدنا رضى الله عنه ثم أنشد فى مدحه هذين البيتين .

إن السماع لمقـــالة   إفسانها فى الجـــابرى
جبر القلوب بقوسه   فالجب لقوس جابرى

وحدثنى بعض الأفاضل أن قائل هذين البيتين فى صاحب الترجمـــة هو خاتمة العلماء والشعراء أبو المكارم سيدى حمدون بن الحاج رحمه الله أنشدهما فيه لمحبة سيدنا رضى عنه له رحم الله الجميع .

وفى الإفادة الأحمدية عند قول سيدنا رضى الله عنه أهنا من يعرف الموسيقى فقيل له كأن ما نصه سببه أنه كان رضى الله عنه أنشدت بين يديه قصيدة فتواجد وقال أهنا الخ ، فسئل منه إحضار أهلها فى تلك الليلة فاسعف السائل لذلك ليالى تسعا وكان إذ ذاك رمضان واستعملوا فى الليلة الأولى كلام ابن الفارض وغيره من القوم فسأل عنهم فى الغد لم لم تستعملوا طبوع الموسيقيين فأخبروا أنهم استعملوا ذلك قصدا أدبا منهم معه على قدر جهدهم فأمرهم باستعمال ما يعرفون منها وكان يأمرهم بالمبيت معه ليلة ويتركهم أخرى وكان لا يحضرهم بعد النصف الأول من الليل . وسأل يوما عن أجرتهم فلما أخبر بما يعطونه استقل ذلك وقال يكفينا فزيدوا على ذلك وطلبوا منه مرة أخرى فى عرس أولاده فأسعف لذلك وأحضرهم بالنهار وكان رضى الله عنه لا يحضرهم بعد الزوال ولا يقرب ساحتهم وكان رضى الله عنه إذا جلس للسماع يعطيه كليته ولا يشتغل عنه بكلام إلا لإصلاح تصحيف أو تحريف فى كلامهم فيكلم الذى يليه فى ذلك ويصلحه ولا يغفل عنه ولا يحضر بحضرته من آلات السماع إلا العود والرباب والكمانجه فقط بأمر منه .

ومن العجائب إن المعلم الجابرى الرباتى لم يحضر ليلة فسأل عنه فأخبر أنه لم يتيسر له المجىء فأمر رضى الله عنه بتعطيل ذلك مع أننا أتينا بمعلم مكانه . ومن الغرائب أن اليوم الأخير من العرس اجتمعنا عليه رضى الله عنه وطلبنا منه الفاتحة فلما فرغ منها سقطت خصة عن مكانها حتى ذاع ماؤها فكان ذلك الجمع آخر عهده بيننا وبينهم اهـ

وها هنا فائدتان الأولى اعلم أن السماع على اختلاف أنواعه فيه عند علماء الظاهر كلام فمنهم من منعه مطلقا ومنهم من أجازه ومنهم من فصل بحسب المقام. وأما الأولياء والعارفون فلس سرهم فيهم فيه على خرق العوائد ولا يعترض عليهم فى أفعالهم إلا محروم أو جاهل معاند ولله در بعض العلماء حيث يقول فى التواجد الناشىء عن السماع كما أنشدنى ذلك بعض أشياخنا .

ما فى التواجد إن حققت من حرج ولا التمايل إن أخلصت من باس
إن السماع غشاء النور صفوته تخفى وتحتجب عمن قلبه قاسى
فقم لمن قلبه بالنور منشرح نار بحزن صدره نار بوسواس

وليم بعض العلماء على حضوره للسماع وسماعه فأنشا يقول :

وكل امرىء عاب السماع فإنه ... من الجهل فى عشوائه غير مبصر
فأهل الحجا أهل الحجاز جميعهم ... رأوه مباحا عندهم غير منكر
وهام به أهل التصوف رغبة ... لتهييج شوق ناره لم تسعر
وإن رسول الله قد قال زينوا ... بأصواتكم آى الكتاب المطهر
ورنت لداوود النبي زبوره ... مزامرها بالنوح فى كل محضر (١)
وفى الخلد إسرافيل يسمع أهله ... فيسليهم المسموع عن كل منظر

الكلام فى هذا المبحث طويل ومن أراد الاحتياط لنفسه فليجتنب حضوره ما أمكن إلا إذا كان صاحب فتح فهو أدرى بحاله ولا يعترض على من حضره من أهل الفتح بين رجاله ، وقد قال سيدنا رضى الله عنه مايقع بحضرة الشيوخ من اللحن مغتفر .

الثانية كان سيدنا رضى الله عنه كثيرا ماينشد بين يديه كلام الإمام بن الفارض رضى الله عنه وكانت تعجبه قصيدة العارف بالله ابن وفاض رضى الله عنه التى مطلعها

سكن الفؤاد فعش هنيئا ياجسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

والفؤاد منصوب بسكن والفاعل ضمير المحبوب ، هكذا كانت تقرأ بحضرته رضى الله عنه ، وكان رضى الله عنه يقول : من الآداب أن لا يصف المحب حبيبه بالجهل فقول ابن الفارض رحمه الله :

قلبي يحـــدثنى بأنك متلفى ... روحى فداك عرفت أم لم تعرف

لعله قال روحى فداك عرفت أم لم أعرف الخ لأنه لاينبغى نسبة الجهل للمخاطب هنا وكان رضى الله عنه إذا أنشد المنشــد بين يديه رضى الله عنه أبياتا من قصيدة يقول له كملها ماعملها صاحبها إلا لتقرأ كاملة اهـ

واعلم أن صاحب الترجمة ليس من أولاد الجابرى القاطنين بفاس بل أصله من قبيلة ابن احسن ولقب بالجابرى لتربيته فى حجر بعض الجابريين ، وقد أخبرنى البركة الأمجد شيبة الحمد الأسعد الخير الصدوق السيد علال الجابرى التجانى طريقة ، أنه ليس من فرقتهم ، وحدثنى هذا السيد انه رأى نفسه قد مات وغسلوه وكفنوه ودفنوه فبينما هو فى القبر إذ دخل عليه ملكا السؤال لجلسا عنده ثم صار أحدهما

(١) فى نسخة وأنشت أى حسنت

يسأله من خالقه ونبيه وغير ذلك فبينما هو يتهيأ للجواب إذ شمه الآخر والتفت إلى صاحبه وقال له قم نذهبا إلى حال سبيلنا كيف تسأله وهو من أصحاب الفاتح لما أغلق قال ثم قاما وذهبا واستيقظ من منامه .

المقـدم سيدى المفضل السقـــاط

ومنهم ريحانة الأولياء وتاج الأصفياء المتوج بتـاج العنايه المبرز على منصة الولاية المقدم الجليل أبو البركات سيدى الحاج المفضل السقاط هذا السيد من خاصة الخاصة الذين شهد بفضلهم العامة والخاصة . وقد كان رحمه الله من المفتوح عليهم فى هذه الطريقة المحمدية المشهود لهم بالنفع العام بين أهل التربية ، وقد حصل له فى مبادىء أمره مع سيدنا رضى الله عنه شيء أوجب عتابه لمخالفته أمر القدوة فرفع عنه الأذن فى هـذه الطريقة تربية له وزجرا لأمثاله وأخبر بذلك أصحابه . ثم إنه فى بعض الأيام أخبرهم رضى الله عنه بأنه جدد له الأذن فيها وأطلق له فى التقديم لتلقينها حين أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم عليه وفى باب الهمزة من الإفادة الأحمدية مانصه : أوصانى صلى الله عليه وسلم على المفضل السقاط وقال لى لاتفرط فيـه وما كنت أذنت له فى الطريق والآن أذنت له وأطلقت له من هنا يعطيها سببه أنه قيل له يسلم عليك وهو بقنـا فى أرياف مصر يعطى طريقك فذكره ا هـ

وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد المفتوح عليهم بالولاية بسبب صحبة سيدنا رضى الله عنه ، والسيد المفضل المفضال بما نصه :

وأما السيد المفضل فالظاهر أنه أراد به السيد المفضل الفاسى وكان من أفراد أصحاب الشيخ رضى الله عنه فامتحن فى قضية معروفة فظهرت منه مخالفة الشيخ رضى الله عنه فأخبر رضى الله عنه أنه رفع عنه الأذن ، ولما سافر إلى المشرق آل أمره فى سفره بعد حجـه إلى أن استوطن بقنـا فلم يشعر الإخوان ذات يوم إلا وقد أخبر سيدنا رضى الله عنـه أنه جدد له الاذن وأجاز له فى الطريق بالإجازة العامة والإذن المطلق ا هـ

سيدى التهامى السقاط

ومنهم العـالم العامل الفاضل الـكامل ذو القلب السليم والقدر الفخيم أبو محمد سيدى محمد التهامى بن سيدي محمد السقاط ، كان رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا

رضى الله عنه الذين سلموا إليه الارادة حتى بلغ كل واحد منهم مراده ، وكان رحمه الله قبل أخذه الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه من العدول المبرزين للشهادة فلما أخذ عن سيدنا رضى الله عنه نهاه عن تعاطيها فقال له ياسيدى إنها حرفة الطالب وليس لى حرفة سواها فقال له سيدنا رضى الله عنه اخدم دلالا أوحمالا ولا تتعاطاها فترك تلك الخطة امتثالا لأمر سيدنا رضى الله عنه وصار يخدم صنعة المشاطى إلى أن توفى رحمه الله .

ومما قيل فى ذم خطة الشهادة قول بعضهم :

فسدت خطة الوثيقة لما ... أن غدا كل جاهل يدعيها
لم تكن غير روضة فاستبيحت ... فغدا كل ناعق يرتقيها

وبلغنى عن صاحب الترجمة رحمه الله انه كان يقول أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه عنده قول واحد فى تحريم أجرة الشهادة وقد قيل له فى ذلك فقال رضى الله عنه وهل بعد قوله تعالى وأقيموا الشهادة لله من مقال فلاتقام الشهادة بالأجره بل إنما لله لاغيره اه

أقول ومما يناسب هذا المقام ماذكره الامام تاج الدين عبد الوهاب السبكى رحمه الله فى المثال الثانى والأربعين من كتابه معيد النعم ومبيد النقم ونصه : الشهود وبهم قوام غالب المعائش والمبادلات ، وقد ذكر الفقهاء مالهم وعليهم فاستوعبوا وذمهم قوم وقالوا إن سفيان الثورى قال الناس عدول إلا العدول وإن عبد الله ابن المبارك قال هم السفلة وأنشدوا :

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم ... بث الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم ... على السجلات والأملاك والدور

وقال آخر :

إياك أحقاد الشهود فإنما ... أحكامهم تجرى على الحكام
قوم إذا خافوا عداوة قادر ... سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

وقال آخر :

احذر حوانيت الشهو ... د الأخسرينا الأرذلينا
قوم لئـــام يسرقو ... ن ويحلفون ويكذبونا

وكل هذا غلو وإفراط وتجاوز ومن سلك منهم ما أمر به واجتنب ما نهي عنه مأجور غير أنه غلب على أكثرهم التدرج إلى التحصل وذلك مذموم وأخذ الأجرة على الأداء وهو حرام وقسمة ما يتحصل لهم في الحانوت، وذلك منهم شركة أبدان وهي غير جائزة فعليهم النظر في ذلك كله ومراقبة الحق سبحانه وتعالى وأما شروط القبيحة فعلى خطر عظيم اهـ

وهذا المقام فيه بسط كلام نكتفي منه بهذا المقدار وما توفيقي إلا بالله .

واعلم أني وقفت على رسالة منقولة من خط صاحب الترجمة كتبها على لسان بعض الفقراء الموجودين بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه بعثوها إلى سيدنا محمد الكبير وسيدنا محمد الحبيب ابني سيدنا رضي الله عنه لا بأس بذكرها ونصها :

بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد حمد الله جل تناوه وتقدست صفاته وأسماؤه : يصل الكتاب إلى حضرة الشريفين الإمامين الطاهرين نجلي سيدي القطب المكتوم ووارثي سره المكتوم من غير شك، ولامين البدر المنير أبي عبد الله سيدي محمد الكبير وأخيه سيدي محمد الصغير أي صغير السن وهو عند الله ورسوله كبير . السلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته ينسكب عليكما آناء الليل وأطراف النهار وتحياته من خديمكما ومقبل نعالكما ووصيفكما عبد الواحد بن محمد بوغالب الحسني نطلب من الله تعالى بجاه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وبجاه القطب المكتوم سيدنا ومولانا احمد بن محمد التجاني أن يفيض عليكما بحور المعارف والأسرار والتجليات حتى أن جميع من وقع بصركما عليه ولو لحظة يبلغ مبلغ الأكابر من حينه ولو كان أعرابيا يبول على ساقه وحتى إن جميع من ذكركما بخير من جن وإنس يسعد بكما سعادة لا يشقى بعدها أبدا ونطلب من الله بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجاه القطب الكامل أبيكما رضي الله عنه ونفعنا به أن لا يخرجكما من الدنيا حتى تدرككما القطبانية الكبرى والخلافة العظمى أنتما وأولادكما إلى يوم القيامة وأن يفيض عليكم بحور الخيرات والأرزاق ويدخلكما في دائرة الألطاف والعناية والتأييد وأهل داركما وأولادكما وجميع من تعلق بكما إلى يوم القيامة سندا وقد وصلنا والحمد لله كتابكما البديع المشتمل على جنى أطيار أصحابكم وصدائقكم وحصل لنا به من الأفراح ما أذهب الأحزان والأتراح حتى إن الرجل لا يسمع

اسمه أو كنيته حتى يبل بدموعه لحيته فعليكم من جميعهم السلام والتحيات والاكرام منهم الأشراف موسى بن معزوز والغالي بوطالب وابن أخيه عبد السلام بوطالب ومحمد أبو النصر وعبد الله اليماني وأبو القاسم العنابي وسيدي الطيب السفياني وولده احمد واحمد الجباري ومحمد سوسان وعبيدكم التهامي السقاط وإخوته محمد واحمد وعبد الكريم السقاط ومحمد بن العربي السقاط والمعطي السقاط واحمد بناني والحاج محمد بن عبد الرحمن الدلائي ومحمد الأشهب وامه وأخته وأهل داره واحمد الفناري وأخوه محمد ، ومحمد الجرندي وعمه الحاج عبد السلام والحاج عبد الرحمن براده والحاج مسعود براده وأخوه العياشي وأبو عزه براده وأخوه عبد الواحد والحاج المكي بن عبد الله واحمد ومحمد القبـــاب وولداه محمد وبوزيان وعبد الوهاب الأشهب ومحمد الاشهب والعياشي البوري والكبيرين شقرون وعبد الخالق بن جبور ومحمد الهروشي وعبد الغني التازي والحاج احمد بنونه وولد أخيـــه عبد السلام وادريس الحسناوي والحاج الجيلاني الحسيني والكبير الحلوا وأخوه حمادي والحاج محمد المزاري وأولاده ومحمد الكحاك ومحمد المؤذن والمدني بن ابراهيم والحاج عبد الواحد بن الاحمر واحمد الهواري والحاج حرازم التازي وأولاد أبي هلال الحاج المعطي والحاج عبد المجيد والحاج المكي وعبد الرحمن الغوري ومحمد السبعي والحاج احمد الحميري والحاج العربي بوصفيح وأهل مكناسة المقدم محمد الكطوسي وولده المكي ومحمد القلمي والمفضل بن بوعزه ومحمد بن قمـــيره والمكي بادو وأخوه عبد الهادي وعبد الرحيم حميش والمفضل بصري وولد عمه محمد والشريف مولاي المكي ومحمد البوكيلي وولد عمه والشريف علال الهراج والفقيه بن حمدوش وأهل الرباط المقدم الحفيان الشرقاوي وأبوه الشرقي ومحمد ابن عبد الله السوسي والمعلم سعيد السوسي وأهل أبي الجعد المقدم العربي والفقراء الذين معه كل هؤلاء وجميع من ذكر أو لم يذكر يسلم عليكما وعلى أهلكما وعلى الخليفة العظمى والقدوة الاسمى خديمكما سيدي الحاج علي التماسيني وعلى أهله وأولاد وعلى الفقيه سيدي عبد العظيم وعلى سيدي أبي مسعود وعلى جميع عبيدكم ذكورا وأناثا خصوصا سيدي بلال وسيدي أبي جمعة وسيدي بركة وسيدي مهدي وسيدي سالم الصغير بارك الله في جميعهم وعلى سيدي محمد الأشهب وأخيه سيدي احمد

وسيدى معمر وأولاده وعلى سيدى محمد الحشانى وعلى أحباب سيدنا أهل عين ماضى كلهم صغيرا وكبيرا كل واحد باسمه وعينه من عرفنا ومن لم نعرف وخصوصا سيدى بن حرز الله وسيدى بن عريف وعلى أحباب سيدنا أهل الأغواط وأهل ناجوت وعلى المرابطة الزهراء وأهلها وعلى أحباب سيدنا أهل سوف وعلى أحباب سيدنا حيثما كانوا وحيثما حلوا . نسأل الله تعالى لنا ولهم أن لايخرجنا من عهدة سيدنا وإمامنا مولانا أبى العباس التجانى لافى الدنيا ولافى الآخرة وأن يفيض علينا وعليهم بحور الخيرات الظاهرة والباطنة وأن يحفنا بلطفه وعنايته بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن قال وكتب أصغر عبيدكم وأحقرهم النهامى بن محمد السقاط ضحوة يوم السبت ثامن صفر الخير عام ١٢٣٢ هـ

أخوه سيدى محمد

ومنهم أخوه الخير الناسك السالك لنيل الفلاح أقوم المسالك الفاضل الأمجد الكوكب الأسعد سيدى محمد كان رحمه الله من المتمسكين بحبل هذه الطريقة المحمدية آخذا بالحزم فى أداء شروطها بين أصحاب الهمم العالية ذا قدم مكين ودين متين إلى أن توفى رحمه الله .

أخوه السيد احمد

ومنهم أخوه المكرم الأجل الفاضل الأكمل البركة الأمجد أبو العباس السيد أحمد كان رحمه الله من القائمين على ساق الجد فى هذه الطريقة شاربا من منهل الشريعة والحقيقة فانيا فى محبة سيدنا رضى الله عنه ومحبة أصحابه إلى أن توفى رحمه الله .

ابن عمه السيد محمد بن العربى السقاط

ومنهم ابن عمه البركة الفاضل الشارب من الحقائق أعذب المناهل أبو عبد الله السيد محمد بن العربى السقاط هذا السيد رحمه الله من جملة الآخذين عن سيدنا رضى الله عنه طريقه الراتعين فى جنات المعارف فى كل حديقة حتى نالوا فى الدارين غاية المرام ملحوظين بعين الإجلال والإعظام قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وبعدها إلى أن توفى رحمه الله .

السيد المعطى السقاط

ومنهم ذو التجارة الرابحة والنفس الصالحة الفاضل الجليل السيد المعطى السقاط كان رحمه الله من المنتسبين لجناب سيدنا رضي الله عنه الآخذين بالحظ الأوفر من محبته ولازال ذا جد واجتهاد في طاعة رب العباد إلى أن توفي رحمه الله

السيد عبد الكريم السقاط

ومنهم ذو الفضائل العديدة والأفعال الحميدة المحب الصادق في محبة سيدنا رضى الله عنه القائم على ساق الجد في امتثال أوامره السيد عبد الكريم السقاط، كان رحمه الله عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة لما جبل عليه من صفاء المحبة والوداد وهو أحد المختارين من أصحاب سيدنا رضى الله عنه في الوقوف على بناء الزاوية المباركة والتصيير عليها، وقد بذل رحمه الله مجهوده في ذلك على أحسن ما ينبغي، وقد بشره سيدنا رضى الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم يحبه وكفى بهذا شرفا له. وقد توفي قبل وفاة سيدنا رضى الله عنه. ومن جملة أولاده الناهجين نهجه في هذه الطريقة المحمدية والقائمين مقامه عند سيدنا رضى الله عنه بعده سميه الفاضل السيد عبد الكريم كان محبوبا عند سيدنا رضى الله عنه إلى أن توفي بعده رحمه الله

أخوه السيد احمد

ومنهم أخوه الفاضل الجليل ذو الخلق الجميل والفعل الحميد والرأى السديد، أبو العباس السيد احمد السقاط، كان رحمه الله من جملة المحبين الصادقين والمريدين الفائزين، وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة لصدق محبته وصفاء طويته، وقد وقفت في بعض مشاهد الخليفة المعظم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه ... النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه ... المتقدم الذكر وعلى أولادهما ونصه بعد كلام يخاطب فيه سيدنا رضى الله عنه يا أحمد بق عليك حق من حقوقى واجب عليك أده عنك، وهو حق أحبابك ... أحمد السقاط وأخيه ... كهما من العطاء لها بالمغفرة وإياك ثم إياك أن تهمل أولادهما فإنهم ... بك فتفقدهم، وادنهم إليك ولمجلسك وبحضرتك وزاويتك، وخذهم بالرأفة والرحمة، وكذا أخوهم عبد النبي، فإنه قد ... له ... تداركه لأجل محبة إخوانه قبله، وعامله معاملة المحبوبين ... عن

فعله المرة بعد المرة وبين له فعله ونهى عن مخالطة غيرك ، وعدم حضوره بين يديك وقدومه للزاوية ، فإذا انتهى فعلى بركة الله تعالى ، إن لم ينته فلا يلوم إلا نفسه وكذا جميع أصحابك ممن أخذ وردك فلا يلتفت لسواك ولو نفسه لا للأحياء ولا للأموات اه

أخوهم السيد مسعود

ومنهم أخوهم الكبير القدر ، منور الصدر ، ذو السعي المحمود السيد مسعود ، كان رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه المتيمين في محبته والمسارعين في قضاء أوامره لصفاء طويته ، وقد وقفت في المشاهد على كلام يدل على اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم به وبأخيه السيد احمد ونص المقصود منها يخاطب فيها النبي صلى الله عليه وسلم الخليفة الأعظم سيدي الحاج على حرازم رضي الله عنه ، وقل لشيخك وأستاذك يسلم منى كل السلام باتم الإكرام على أحبائي وأودائي أحمد السقاط وأخيه مسعود ويأمرهما بأن يسميـــا بشراء زاوية لأحبائي وأودائي وفقرائي ، تكون واسعة البراح كثيرة المياه شريفة المكان عزما فهي ما كد عليهما من كل شيء ، ولهما بتلك الزاوية منى بدلا عنها جوارى في أعلى عليين في جوار النبيين والمرسلين ، إلى أن قال وأنت يا أحمد حبيبي ، اقدم إليهما لدارهما ، وأمرهما بذلك ، فما على الرسول إلا البلاغ ولا عليك الخ

والحاصل أن أولاد السقاط رحمهم الله كلهم محبوبون عند سيدنا رضي الله عنه ملحوظين بعين المودة عنده ، فيـــد حياته وبعدها إلى أن قضى الله بوفاة الجميع رضي الله عنه وفيما ذكرناه كفاية .

مولاى الزكى المدغرى

ومنهم علامة زمانه وفريد عصره وأوانه المتضلع في كل علم الموصوف بعلامة الإدراك والفهم الشريف الأصيل أبو عبد الله مولاي الزكى المدغرى ، كان رحمه الله من طلب الإرادة لسيدنا رضي الله عنه ، وانقاد إليه لنيل الاستفادة ، وأخذ عنه طريقته الأحمدية الربانية ، وشرب من كؤوس أسرارها العرفانية ، وقد كان وقع له مع سيدنا رضي الله عنه حين سمع بأنه يستعمل البسملة في أول فاتحة الكتاب في الصلاة الفريضة وغيرها مع أمر أصحابه بذلك ، فأتى إلى سيدنا رضي الله عنه بعد أن طالع جملة من كتب المالكيه في المسألة ، وأتى بكراريس من شراح المختصر

وغيره ، ممن تكلم على البسملة فى الصلاة الفريضة ، فلما جلس بين يدي سيدنا رضى الله عنه ، ومعه ذلك ، سأل سيدنا رضى الله عنه عن ذلك وقال له ياسيدي إن مشهور المذهب الكراهة ، فماذا تقول ؟ فقال له سيدنا رضى الله عنه إن شراح المختصر وغيره بسطوا الكلام فى هذه النازلة فقال فلان كذا وقال فلان كذا حتى ذكر له جميع ما معه من الكراريس باللفظ ، على طريق المكاشفة حتى بقى صاحب الترجمة متعجبا من شأنه رضى الله عنه ، وبعد أن تحصل عنده أن مشهور المذهب هو الكراهة بتقرير سيدنا رضى الله عنه ، بقى متشوفا لسبب عدول سيدنا رضى الله عنه عن المشهور ، فقال له سيدنا رضى الله عنه يامولاى الزكى أنا أخالف فيها مذهب مالك على رغم أنفك اه

وقال سيدنا رضى الله عنه مرة أخرى فى سبب ذلك مانصه عمرى مانترك البسملة متصلة بالفاتحة لا فى الصلاة ولا فى غيرها للحديث الوارد فى فضلها المؤكد باليمين ونص الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا إسرافيل وعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا علىّ أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ، ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الأكبر اه

وقد ذكرت سنده فى كتابنا نور السراج وذكره أيضا صاحب الرماح فلينظره من شاء «١»

ولنذكر هنا طرف من رسالة وقفت عليها للعلامة الأجل أبى إسحاق سيدى ابراهيم الرياحى رضى الله عنه تناسب مانحن فيه مع زيادة فائدة ، ونصه : اعلم أيها المسترشد إن كان فيك أهلية لقبول النصح وفهم الحق أن أولياء الله لاتنحصر مقاماتهم ولا أحوالهم ولاتدخل تحت فهم العقول ولاتوزن بميزان ولاتكال بمكيال وحسب المؤمن الموفق التسليم لهم فيما يقولون ومايفعلون ، ولا يصح قياس ولى على

«١» إذا صح الحديث من طريق الكشف أخذ المحققون به وقد ألف الحافظ السيوطى كتابه تنوير الحلك فى رؤية النبي والملك لذلك .

ولى آخر لأن مشاربهم مختلفة كاختلاف أسماء الله تعالى ، ولهذا تجد الولى الذى شرب من اسمه تعالى الرحمن ينكر على من شرب من اسمه تعالى المنتقم ، ومن شرب عن اسمه الحليم ينكر على من شرب من اسمه القهار ، وهم كلهم أولياء الله ، فإذا عرفت هذا فلا يصح أن يعترض على ولى من أولياء الله فيما جاء به خصوصا إذا كان عاملا بالشريعة ، وإن كان الذى جاء به مخالفا لما يعرفه هو وإنما يصح الاعتراض عليه إذا كان صاحب بصيرة وكان محيطا بميزان الشريعة كلها ، ولو رأى هذا المعترض منه شيئا ما هو مخالف لما يعرفه . فهو لا يباح له أن يعترض على من جاء من الأولياء بما لا يعرفه هو لأن الحقيقة بحر لا ساحل له والشريعة بئر لا قعر له ، قال الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي رحمه الله ، إن الأولياء على قدم الأنبياء فكل ولى على قدم نبي ولا يلزم فى الأنبياء أن يكونوا على شريعة واحدة فى الفروع ، وإن كانوا متفقين فى أصل التوحيد وكذلك الأولياء متفقون فى اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانوا مختلفين فى المشارب كما أشرنا إليه ، وإذا تقرر هذا فلا ينكر أحد من أهل طرق المشـــايخ على أحد من طريقة أخرى إلا جاهل بالحقيقة والشريعة ، والطرق كلها على هدى من الله ، فمن سبق له فى علم الله أن يكون قادريا كان كذلك ، أو شاذليا كان كذلك ، أو رحمانيا كان كذلك ولكن بعض الطرق أفضل من بعض فإذا سبق فى علم الله أن فلانا يكون من أهل الطريق الفاضل وتمسك بها فلا يعترض عليه ، وإذا سبق فى علم الله أن يكون من أهل الطريق المفضول فكذلك . والحاصل أن إنكار الناس بعضهم على بعض فى اتباع طريق دون طريق جهل عظيم يستحق عليه التأديب الكبير إذا لم يتب إلى الله ، وأما إنكار بعض الجهال على طريقة القطب المكتوم سيدنا ومولانا الشيخ التجانى رضى الله عنه ، فإنما لجهله بمقامات العارفين بالله ، وياليت هذا المنكر يبين لنا وجه الإنكار إن كان وجه الإنكار هو ماسمعه من أفواه بعض الأحباب من أن بعض أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه يغبطهم أكابر الأولياء يوم القيامة ، فهذا لا إنكار فيه لأن الله ذو الفضل العظيم الذى لا حجر عليه فى فضله ، وما دون النبوة والصحبة جائز يعطيه الله لمن يشاء من خلقه . وأما وجه إنكاره فيما يستحي العاقل أن ينطق به وهو كون أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه يبسملون فى صلاة الفريضة ، فهذا

المنكر لم يشم رائحة العلم ولا نظر فى كتب الفقه ولا جالس العلماء الفحول الذين يقتدى بأقوالهم وأفعالهم ، حتى يعرف ما ذكره الشيخ خليل من كراهة البسملة فى صلاة الفريضة أن لا عمل عليه لأن الشراح نقلوا عن القرافى وغيره أنه يستحب قراءتها فى صلاة الفريضة فكيف يعترض علينا بجهله وتقاليده ولو ساعد الوقت فى المقال لأوسعنا الكلام أكثر من هذا ، ولكن فى هذا كفاية للمسترشدين وإرغام أنف المعاندين إ هـ

الشريف سيدى أحمد دبيزه

ومنهم المحدث الشهير العلامة الكبير ذو الفضائل العديدة والشيم الحميدة أبو العباس سيدى أحمد دبيزه الشريف العلوى كان رحمه الله من العلماء العاملين والأولياء الكاملين متضلعا فى العلوم العقلية والنقلية ، موصوفا بالجادة الجلية ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه من خاصة أحبابه الملحوظين بعين العناية فى أصحابه وهو الشريف الذى قال له سيدنا رضى الله عنه الكلام فى غير آل بيته صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر هذه القضية صاحب البغية ولم يسم صاحبها عند بسطه الكلام على قول صاحب المنية فى تعداده بعض كرامات سيدنا رضى الله عنه ومناقبه الفاخرة .

وراثيه يدخل غدا فى الجنة	فى يوم الاثنين أو الجمعة
بل هو آمن من العذاب	بلا حساب لا ولا عقاب

ومما يتعلق بهذه الكرامة ما أخبرنى به بعض العلماء الأفاضل من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، أن بعض مشاهير علماء العصر ، وكان من الشرفاء العلويين الكرام قصد إلى سيدنا رضى الله عنه فى أحد اليومين المذكورين زائرا فدخل عليه ، فلما جلس بين يديه أمعن فيه النظر ، وقال ياسيدنا ما اسم هذا اليوم ؟ فتهلل وجه سيدنا رضى الله عنه وعلاه الوقار ، من شدة تعظيمه لآل البيت الأطهار وأجابه بديهة بأن قال له الكلام فى غير آل بيته صلى الله عليه وسلم ، فانظر ما يجلبه الإنصاف والتصديق والمحبة لأهل الله تعالى ، فإن هذا الشريف لما أتى مع ما هو فيه من نخوة العلم والنسب منصفا محبا ملتمسا للبركة ، حظى بشهادة القطب له بصحة اتصال نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نصوا على أن من شهد له عارف كبير بصحة هذا النسب

فهو مقطوع له به ، وفى صحة الانصال بنسبه الشريف صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر قدره من الفضل والفخار والجاه الشامخ المنيف اه

واعلم أن هذه المنقبة العظيمة القدر وهى دخول كل من رأى سيدنا رضى الله عنه فى هذين اليومين كما فى البغية هى من كرامات سيدنا رضى الله عنه التى طارت بها الركبان ، وتواترت بها الأخبار فى سائر الأقطار والبلدان بإخبار من النبى صلى الله عليه وسلم ، ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضى الله عنه ، بعزة ربى يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ، ومعى سبعة أملاك وكل من يراك فى اليومين يكتبون يعنى الأملاك السبعة اسمه فى رقعـة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك وتكثر من الصلاة علىَّ فى هذين اليومين فكل صلاة تصليها على نسمعك ونرد عليك وكذلك جميع أعمالك تعرض وعلىَّ والسلام اه

ثم قال فى البغية وقول الناظم رحمه الله تعالى هنا بلاحساب لا ولاعقـاب بالأولوية من إخباره رضى الله عنه بأن النبى صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلاحساب ولاعقاب يريد سواء فى اليومين أوغيرهما ، وبهذا تعرف أن ضمان النبى صلى الله عليه وسلم له رضى الله عنه دخول الجنة لمن رآه وقع له مطلقا ومقيدا باليومين المذكورين ولاشك أن المقيد باليومين له مزيد مزية على المطلق لتأكيد الوعد فيه بالقسم ؛ لأنه وإن كان وعده صلى الله عليه وسلم صدقا بلاريب مطلقا ، فى المؤكد بالقسم إظهار مزيد الاعتناء منه صلى الله عليه وسلم بمن حصلت له الرؤية فى اليومين وذلك يفيد التقييد بعدم الحساب والعقاب فى حق من رآه فى اليومين بالأولوية كما لايخفى على أن صاحب الجامع صرح بعدم الحساب والعقاب . وللتقييد باليومين مزيد مزية بكتابة الأملاك لاسم الرائى فى رقعة من ذهب ، ولم يذكر ذلك فى المطلق ، وتلك عناية ظاهرة أيضا ، وبالجملة فرؤيته رضى الله عنه فى كل يوم سبب الدخول الجنة بلاحساب ولاعقاب ، و[illegible] ماذكر من كتابة الملائكة اسمه الخ كرامة من الله تعالى له أيضا رضى الله [illegible] يوم ذلك .

ورأيت فى كلام بعض [illegible] إليه بالفتح من الأصحاب مايشير إلى أن المختص برائيه فى اليومين [illegible] الاستشارة بعدها ، يعنى أنه لايراه فى اليومين

الناظرين إلا من سبق فى علم الله تعالى أنه يكون سعيدا ، فيدخل الكفار فى هذا الطالب ويسحب عليهم الحكم فى هذا المقام بفضل الملك الوهاب ، فيقال لايراه فى هذين اليومين إلا من سبق فى علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائنا من كان ، فإذا رآه الكافر فى أحد اليومين ختم له بالإيمان وعليه فتختص الرؤية المطلقة فى كل يوم بمن كان مسلماً سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما هو مصرح به فى الجواهر ، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كافرا «١»

ويؤيد هذا ما أخبرنا به غير واحد من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو أن يهوديا كان يخيط للشيخ رضى الله عنه ثيابا فجلس بإزائه بعض الأصحاب وتحدثوا بهذه الكرامة بينهم فسمعهم اليهودى من غير أن يلقوا إليه بالا فاحتال بأن أكمل ما كان يخيطه فى أحد اليومين الاثنين أو الجمعة ثم طلب ممن كان ينوب عن الشيخ رضى الله عنه فى قضاء المآرب أن يرفع ما خاطه للشيخ بيده ، وذكر أنه أراد أن يطلب منه الدعاء ، فشاور النائب سيدنا رضى الله عنه على ذلك وذكر له ما طلبه ، فأذن له الشيخ رضى الله عنه فدخل وجلس بين يديه وأمعن النظر فى وجهه ثم قال له ياسيدى ها أنا رأيت وجهك وهذا يوم كذا ، فدعا له الشيخ وانصرف فآل أمره إلى أن مات مسلما بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه تصديقا لضمانه صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه المؤكد بالقسم .

واعلم أن سيدنا رضى الله عنه لما حل فى هذا المقام بالمحبوبية الخاصة من النبى صلى الله عليه وسلم ترك جميع مطالبه الخصوصية والعمومية بإذن منه صلى الله عليه وسلم . ويعرف العام الذى حل فيه سيدنا رضى الله عنه بهذا المقام بين خاصة أصحابه بعام النظرة ، وهو المراد بقوله رضى الله عنه فى الوزن المعروف بالموال من الفنون السبعة .

من فاته حسن وجهى فاته الإحسان ومن رآنى رأى التحقيق والتبيان
ظهرت فى الجسم فى كشف وفى كتمان فلى خفـــاء ولى سرّ ولى إعلان

«١» لايعترض على هذا بأن الكفار رأوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلموا لأنهم رأوه مبغضين لامحبين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «أنت مع من أحببت» والمحبة الصادقة هى التى تؤدى إلى هذه المعية . المصحح

حدثني سيدي ومولاي العارف بالله أحمد العبدلاوي نفعني الله به والمحبين ببركته ، أن العارف بالله الولي الكبير مولاي محمد بن أبي النصر الشريف العلوي كان مارا بحومة الشرابليين من مدينة فاس صانها الله من كل باس ، فلما بلغ لباب درب زقاق الرواح وجد سيدنا رضي الله عنه هناك واقفا والناس ينظرونه من الطرق الأربعة ، فلما رأى سيدنا رضي الله عنه سلم عليه وبقي واقفا بجنب سيدنا رضي الله عنه حتى ذهب معـــه لدار سكناه هناك ، ثم قال لسيدنا رضي الله عنه ياسيدي ما سبب إطالة وقوفك في ذلك المحل فقال له رضي الله عنه قيل لي من الحضرة الإلهية اخرج لعبادي في صورتي «١» فمن رآك رآني ، ومثل هذا لا ينكره إلا الجاهل بسعة فضل الله تعالى أو منكر لكرامات الأولياء ، فلاعبرة بمن أنكر مثله على أكابر العارفين ، كاذكار بعد المترسمين من أهل سجلماسة على الشيخ الكبير القدوة الشهير سيدي محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه فيما كان يذكره للفقراء من كلام الثعالبي رضي الله عنه فإنه كان يحكي بسنده إلى الإمام الثعالبي رضي الله عنه أنه قال من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة بشرط أن يقول كل من رأى اشهد أني رأيتك ، فيشهد له ، فكان الشيخ ابن ناصر يذكر ذلك على طريق الترجية ، ولئلا يفوت المسلمين ذلك الخير إن حققه الله تعالى ، فقالوا هـذا يوقع الناس في الأمن ووقعوا فيه وكتبوا في ذلك كراسة فقيض الله لها من نقض باطلها عروة عروة ، ذكره العلامة المحقق أبو علي اليوسي رحمه الله تعالى ، وذكر أن الإمام ابن ناصر كان بينه وبين الإمام الثعالبي في هذه السلسلة أربعة وسائط فكان في الطبقة الخامسة من طبقات أهل هذه الكرامة ، ثم قال الشيخ أبو علي اليوسي رضي الله عنه وقد رأيت والحمد لله ابن ناصر وأشهدته على ذلك حققه الله لنا وللإخوان .

قال واعلم أن مثل هـذا يذكر على طريق الرجاء كما أشرنا إليه وهو أمر جائز

«١» الحق سبحانه منزه عن الصورة والكيف وفي الحديث : إن الله خلق آدم على صورته أي حيا سميعا بصيرا متكلما بما يناسب الخلق . فالمراد ابرز وقد خلعت عليك خلعة الرحمن . في صورة رحمتي . كنت سمعــه كنت بصره الخ . أي وقد تجليت فيك بإمدادي وفضلي وإحساني ، وفي الحديث : أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله أي تدركه الرحمة الإلهية . المصحح

لا يمنعه عقل ولا شرع ، وذلك أن فضل الله تعالى عظيم لا يحد بقياس ، وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ، ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل ، فأي شيء يستبعد في أن يمنح بعضهم الشفاعة في قرنه أو أكثر ، وأن من مسه لم تمسه النار. أوأن من رآه دخل الجنة ، أومن رأى من رآه إلى سبعة أوأكثرهذا كله قريب ، وقدأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أويس القرني رضى الله عنه أنه يشفع في مثل أوعدد ربيعة ومضر . انتهى المراد هنا من كلام الشيخ أبي علي اليوسي بلفظه في محاضراته عقب ماتقدم عنه بمعناه : وفيه الغنية لمن ألهمه الله رشده وهداه انتهى من البغية .

واعلم أن خاصية هذه المنقبة الرفيعة الشأن الثابتة لسيدنا رضي الله عنه في رؤيته . مقيدة بعدم إذايته رضى الله عنه ، وعدم سوء الظن به وإلا فلا ينتفع من رآه بهذه الخصوصية العظمى كما أخبرني بذلك سيدي ومولاى أحمد العبدلاوي وهو ظاهر من كلام سيدنا رضى الله عنه في غير ما موضع من تأليف هذه الطريقة المحمدية . وقد حكى لي رضى الله عنه ونفعني به على مايدل على أن الانتفاع لا يحصل إلا بالاعتقاد وعدم الانتقاد ، ما حكاه صاحب الرماح من أن بعض السلاطين زار ضريح أبي يزيد رضى الله عنه ، وقال هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد فأشير إلى شخص كبير في السن كان حاضرا هناك ، فقال له السلطان هل سمعت شيئا من كلامه فقال نعم قال : من رآني لا تحرقه النار فاستغرب السلطان ذلك فقال كيف يقول أبو يزيد ذلك وهذا أبو جهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحرقه النار فقال ذلك الشيخ للسلطان : إن أبا جهل لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما رأى يتيم أبي طالب ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار . ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه أي أنه لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو رآه بهذه العين لم تحرقه النار ، ولكنه رآه بالاحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب فلم تنفعه تلك الرؤية الخ كلامه

وقبل حلول سيدنا رضى الله عنه بهذا المقام كان رضى الله عنه كثيرا مايتشوف إليه وإلى بلوغ ما هو أعلى منه فكان رضى الله عنه في مبادي أمره ينشد قصيدته المشهورة وهي :

الا ليت شعري هل أفوز بسكرة — من الحب تحي منّ كل رميمة
وهل لذوي الإحسان ترقى عوالمي — وهل تتجلى الذات فيها لفكرتي
وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة — تغيب كلي عن جميع الخليقة
وهل نفحات القرب فضلا تعمني — وقد هدمت مني رسوم الطبيعة
وهل جذبات بالتجلي تؤمني — فتسلبني عن كل كلي وجلتي
وهل واردات الوصل منا تزف لي — لكي أرتقى العلياء من كل رتبة
وهل أردن بحر الشهود فيشتفي — غليلي بغوصي فيه في كل لمحة
وهل تطلعن شمس المعارف جهرة — بباطن قلبي والهدى لي زفت
وهل أرتقي عرش الحقائق واصلا — إلى الله محفوفا بكل كريمة
وهل حلة التوحيد ألبسها وقد — تمكن سرى في بساط الحقيقة
وهل لي بجمع الجمع بالله وصلة — وقد طلعت شمس الوصول بقبلتي
وهل وابل العلم اللدنيّ هاطل — إلى ويبقى دائما كل لحظة
وهل أملي من هذه بالغ المدى — فياحبذا أم لابلوغ لمنيتي
وهل تجمع الأيام شملي ببغيتي — ونيل مرادى أم أموت بحسرتي

وقد نال رضى الله عنه قبل وفاته غاية مناه وظفر بكل ماتمناه وإلاه يشير قوله رضى الله عنه من بحر البسيط المفروغ في قالب الموال .

لما خلصنا نجونا من تناجينا — أوحى لنا فوق مانرجو مناجينا
ومذ جلانا تجلى في مجالينا — فمن له محرنا حتى مجالينا

حدثني سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعني الله به ان سيدنا رضى الله عنه كان قبل حلوله بهذا المقام يكتب مطالبه من الله تعالى ومن النبي صلى الله عليه وسلم في صحائف كراريس ويضعها بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم ولما حل رضى الله عنه بمقامه قال له النبي صلى الله عليه وسلم اترك عنك جميع المطالب فترك ذلك رضى الله عنه امتثالا لأمره الشريف حيث ضمن له بلوغ جميع مقاصده ونيل ماهو أعلى وأشرف مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر سوى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المشار له بقوله رضى الله عنه لما خلصنا الخ

ثم قال لي سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى وقد وقفت على كراريس عديدة

فيها من مطالب سيدنا رضى الله عنه من الله تعالى ومن النبى صلى الله عليه وسلم مما لايقدر قدره إلا الله تعالى المتفضل بما شاء على من شاء مما لايدخل تحت طور العقول ولا يقدر على تسليمه من الأولياء إلا أكابر الفحول قال ولما اطلع عليها الولى الصالح سيدى العربى بن السايح رحمه الله قال لى لوكانت لى هذا المطالب لجعلتها فى صندوق من حديد وسددته عليها حتى لايطلع عليها أحد ثم بعد ذلك رددتها إلى المحل الذى أتيت بها منه انتهى

واعلم أن هذه الخصوصية الفاخرة والكرامة الباهرة التى نالها سيدنا رضى الله عنه قد ورثها منه بعض الخاصة من أصحابه رضى الله عنهم بالاذن الخاص لهم فى ذلك باستعمال سر من الأسرار المكتومة ، ومن كان عنده ذلك السر واستعمله فى اليومين المذكورين كان من أهل هذه الكرامة الجليلة وقد منّ علىّ الكريم المتعال والحمد لله على كل حال أن تلقيت هذا السر من بعض أهل الخصوصية من أهل هذه الطريقة ووقفت عليه أيضا مرقوما فى بعض الكنانيش المدخرة عند بعض الجلة من الأصحاب ولنذكره هنا اتحافا للاخوان عسى أن ينفعنى الله وإياهم بهذه الكرامة على ممر الأزمان ورجاء لدعوة صالحة من أخ صالح والأعمال بالنيات وذلك أن تذكر فى اليومين المذكورين بعد صلاة الصبح وقبل الانصراف عن موضع صلاتك وقبل التكلم مع واحد من الخلق صلاة الفاتح لما أغلق عشر مرات ثم تضع يدك اليمنى على عينيك وتقول إلهى اجعل حبيبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم راضيا عنى ولا تجعله ساخطا على وشفعه فىّ وفى كل من يرانى فى هذا اليوم من المسلمين ثم ترفع يدك وتردها وتقرأ الدعاء ثانيا ثم ترفعها وتعيدها وتقرأ ذلك ثالثا ثم تقول سبحان الله المحيط بالكل الذى يعلم كلية الكل انتهى والله الموفق

سيدى محمد عبد الله الجيلانى

ومنهم الفقيه العلامة الدراكة الفهامة غواص البحور العرفانية وجامع شتات الفضائل الامتنانية أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله الجيلانى هذا السيد الفاضل من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانت لهم المعرفة التامة به قبل تصدره للإرشاد ولازموه بصدق المودة وصفاء الفؤاد وحضر معه فى بعض المجالس العلمية للأخذ عن بعض خواص شيوخ سيدنا رضى الله عنه فى العلوم الخصوصية وقد تلقى

صاحب الترجمة عن سيدنا رضى الله عنه من الأسرار العرفانية واللطائف الربانية مايبهر العقول الراجحة ، وقد وقفت على رسالة بعثها سيدنا رضى الله عنه جوابا لصاحب الترجمة رحمه الله عما يظهر من نصها وهو بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى يد حبيبنا السيد النبيه العلامة الوجيه غواص لجج العلوم وجوال ميادين الفهوم الفطن اللبيب والسميدع الأريب سيدى محمد بن عبد الله الجيلانى نزيل محروسة وهران صانها الله من استيلاء أعداء الإيمان .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجانى وبعد فالسؤال منا عن أحوالكم أجراها الله على طبق رضاه آمين يليه إنك كتبت إلىّ تسئلنى عن العلوم الباطنه غير العلوم الرسمية فاعلم أن ذلك ماعندى منه لاقليل ولا كثير ومالى إليه من سبيل فإنه متوقف على شروط لم احظ بواحد منها وإنى الآن مازلت على الحالة التى تعهدنى عليها لم انتقل عنها ثم إن العلوم من أى فن كانت إذا عرضت على المحل القابل لها وهو المستعد لتلقيها نفذت فيه نفوذ الماء فى الأشجار العطشانة وانبثت فى المحل من مقتضياتها على قدر استعداد المحل وتوفيته لشروط تلقيها وإن عرضت العلوم على محل غير مستعد لتلقينها كان عرضها مثل عرض الطعام على الممتلىء به لم يلق محلا من بطنه فارغا فإن بطنه غير قابل للأكل وإن أكل منه على هذا الحال تضرر به وربما أداه إلى الهلاك وهكذا الحكم فى العطشان حين عرض الماء عليه وإن كان ثم جوع مفرط أو عطش مفرط شديد انتفع بالأكل والشرب ولم يتضرر بهما ، ثم اعلم أن تهيأ المحل لقبول العلوم له مراتب أعلاها رسوخ الروح فى العلم وهو المعبر عنه بمقام المعرفة بالله الذوقية العيانية المعروفة عند القوم وهى التى يشهد العبد فيها نفسه عين كل شىء وكل شىء عينه مما اتصل أو انفصل إجمالا وتفصيلا والوصول للروح إلى هذا المطلب أصعب من الصعود إلى العرش بلاسلم لغير من انخرقت له العادة الإلهية خالية عن العوائق والعلائق والوصول إلى هذا المطلب لايتأتى إلا على يدى شيخ كامل برسوخ روحه فى هذا المقام عيانا ذوقيا .

ووقع له من الله بصريح العبارة نصه : إنا أقمناك لإدخال العباد إلى حضرتنا

إما جذبا وإما سلوكا ولا يفيد الأذن العام مثل قوله تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة فإن ذلك فى العام للعام ، وهذا فى الخاص للخاص فلابد من خصوص الاذن وإلا فلاسبيل ، ثم من شروطه كون التلميذ علم منه هذا قطعا وصار بين يديه على حالة اعتقاد على أنه إن خالفه فى مثقال ذرة هلك دنيا وأخرى أومات كافرا فوضع نفسه بين يديه كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء بغير اختيار ، فإن كنت تطلب هذا فابحث عليه بفكرك وسعى رجليك على يد شيخ هذا وصفه وهو أغرب وجودا من الكبريت الأحمر مع كون الأرض مملوءة بهم والله ولى التوفيق اه

واعلم أن صاحب الترجمة كان سيدنا رضى الله عنه يحبه المحبة التامة لما كان بينهما من الوداد الصحيح والمحبة القديمة وكان صاحب الترجمة يختبر أحوال سيدنا رضى الله عنه حتى علم علما يقينا برسوخ قدمه فى الولاية والأذن الخاص فى الإرشاد لسبيل الرشاد فتشبث بأذياله وتعلق به لينقذه من أحواله مع كونه كان من ذوى القدم الراسخ والمجد الشامخ وكان يذب عن سيدنا رضى الله عنه لما تصدر لإعطاء الأوراد ويدافع عنه أصحاب الأهواء والعناد وقد وقفت على رسالة بعثها سيدنا رضى الله عنه فى مبادىء أمره إليه لما بلغه خوض المتهورين فى بحره وأشاروا بالنقصان إلى علىّ قدره ولمزوه بما فيهم فأرادوا إطفاء نور الله بفيهم كما وقفت على جواب صاحب الترجمة إليه رضى الله عنه وذلك كله يدل على جلالة صاحب الترجمة ورفع مقامه بين الأئمة نذكرهما هنا لمناسبة الموضوع نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله إلى أخى فى الله وصدنى ومقيل من الردى عثرتى الجامع الأكبر المحقق الأشهر السيد محمد بن عبد الله الجيلانى متع الله روحك فى الهنا وأدام بقاءك وارتقاءك لأحسن الحسنى وحياك بما حى به أحباءه وأولياءه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . أما بعد فإنه بلغنى أن القوم استضعفونى ورمونى بما الله أعلم به منهم فوقع فى قلبى شىء وقلت فى نفسى الله الله ما كنت أظن ولا أشك أن تبدى مساوى بمحضرك وتسكت لم تجب عنى بما حضر وخطر وتتأنى فى الجواب وترتقى فيه رتق الملا فليتنى شعرى هل ضربت عما سلف صفحا أوعلمت أن ماقيل فينا حقا أوقصرت عن الجواب أو حدثتك نفسك بحديث المفترين أوطمس الله بصيرتك التى كانت فى العلم نائرة

وفى اليقين باهرة فناشدتك الله أن تخبرنى بما قيل وإن كان لم يفت الكلام على المسئلة لحرك الساكن واجمع ماجمع الله لك وألقه عليهم واعلم أنهم لوسألونى وقالوا لى من أين لك هذا لقلت من عند الله فإن قيل لى أبوحى أوبرؤية أوبهاتف لقلت دُفعت فى ابتداء أمرى إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع فصار أولى آخرى وآخرى أولى وبعضى كلى وكلى جزئى فكنت أنا هو من حيث أنا لامن حيث هو وحينئذ لوسئلت عن ألف ألف مسئلة من أهم المسائل لأجبت عنها بجواب واحد إذ صرت كالمصباح فلوشعلت منى جميع المصابيح مانقصت من ضوئى شىء ولله الحمد وهذا السر المكتوم أوله الظاهر آخره إنما وقع لى بمحروسة فاس حين كنا نقرأ على الدقاق فى السبع وعلى الشيخ الجمال فى تعليم الاسم وسر الحرف وعلى الشيخ السجلماسى فى صغرى السنوسى وكنت ذات يوم وهو يوم الاثنين سألنى ونحن بالجامع تلقاء الاسطوانة التى يجلس إليها الدقاق عن حالى فقلت لى مالى أراك تقلبت أحوالك وصرت لاتجالسنا ولاتحسن مذاكرتنا فقلت لك يا أخى الله أعلم بحالى فوضعت يدك على قلبي فأحسست له خفقانا بشبه ارتعاد الورقة عند عاصف الرياح فقلت لى أتجد لهذا ألما فقلت لك لا فقلت لى هذا شىء ستخشى عواقبه أوترجى مواهبه فنى ذلك اليوم وأنا بذلك المكان قبل مجيئك هتف بى هاتف أبا أحمد لقد بلغت المنى فاستعذت بالله ، وقرأت مايسر الله من القرآن ثم سمعت صوتا وكلاما يتوقع من جميع أعضائى ومن كل ناحية ثم نظرت إلى السماء فوقع بصرى على اسمى مكتوبا فى عالم الملكوت العلوى وبإزائه أبا أحمد قد بلغت المنى لحدث ولاحرج . ثم نظرت إلى الارض يمينا وشمالا وخلفا وأماما فكذلك ثم فتح الله بصيرتى فى الحال فرأيت بعينى رأسى الرجل الذى لايحتمل كلامه الكذب فدنا منى وأخذ بعضدى الأيمن وأوقفنى ووكزنى بيده اليسرى بين ثديى وقال لى أنت من أمثال الصحابة لحدث ولاحرج فوقع فى قلبي ذلك الخفقان وإنه لم يزل إلى الآن ثم وقع لى أكثر من هذا حين كنا فى زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش مما يطول ذكره ثم تحقق لى الأمر لما توطنت وسكنت إلى أهلى فإن كان فى هذا مايوجب الدرك علينا فإنى أقول وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وما لهؤلاء القوم لاينظرون بعين الرضى أما أولا ففى أنفسهم أفلا يبصرون وأما ثانيا ففيما ينبنى عليه

من الشرائع ثم الحقائق وهؤلاء عكسوا فانعكسوا وانمسوا فتمسوا، وطلبوا فيئسوا ونقضوا فانتقضوا ولا يفقهون أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، أولا يدرون أن يسر الله فى صدق الطلب أولا يعلمون الله أعلم حيث يجعل رسالته.

هـذا وإنى أرجو الله أن يجعل خيره فيما ينتج والجواب منك فى أقرب مدة إن شاء الله.

وكتب خادم الطريقة المحمدية أحمد بن سالم التجانى كان الله له وليا ونصيرا اهـ ونص الجواب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله. أخانا العارف بالله ورسوله الجامع فى العلم بين فروعه وأصوله الشيخ احمد بن سالم التجـــانى عليك سلام ممتزج بالشوق والغرام مرتبط بأسباب المحبة على الدوام بلا انقضاء لحدوده ولا انقطاع لمدده يهديه من سالت مدامعه حتى شجم فيها وعام وطالت عليه أزمنة الهجر حتى أن أقل لحظاتها مابين شهر وعام وكيف لا وشمس جمالكم قد توارت عليه بالحجاب وطلعة كمالكم قد سترت بحجاب البين موج فوقه سحاب وبعد فما أعرضه من الجواب الداعى إليه ذلك العتاب أنى أجبت بما يليق بذلك الجناب ويبرزه حجة القوم دون ارتياب. اعلم أخى انهم اجتمعوا فى ملأ نحو من عشرين شخصا وخاضوا فيما خاضوا إلى أن بلغوا إلى قولك لم يكن مثلك من عهد الصحابة إلى هلم جرا وكنت أنا عبد الله ساكتا عنهم حتى نجز خوضهم إلى ماينبنى على ذلك فمنهم من قال يزندق قائله، ومنهم من قال كلاما آخر إلى أن تم كلامهم واحدا واحدا نخاطبنى أكثرهم ورؤساؤهم عمالى فى ذلك فقلت الجواب غدا بهذا المحل وفى الغد اجتمع الكل وأعادوا كلامهم واجتمع رؤساء العوام وبعض المتأمرين. فقلت مستعينا بالله ماذا تقولون فى علم الغيب هل هو معقول المعنى أو محسوسها أو منقولها وما كيفية الوصول إليه هل هى ممنوحة أو مكتسبة ومايبنى على مدعيه قبل الاطلاع على حاله وهل كرامة الأولياء توجد فى كلهم أو فى بعضهم وهل يتفاوت ذلك بحسب الجد والاجتهاد أو بحسب فضل الله على بعض أوليائه، فسكت الكل ثم قال أحدهم وما ألجأنا إلى هذا البحث، فقلت وما ألجأكم إلى الحكم على الشىء قبل تصوره فقالوا إنك لتريد أن تشهر علمك فقلت نعم ما كان برهانه من نفسه فلا يحتاج

إلى برهان والمعروف لايعرَّف والمَعربُ بالباب ها أنا وأنتم فقالوا لانتعرض لهذا كله وتلاشت وجوههم واشمأزت قلوبهم ، وقام بعضهم ، فقلت ليس هذا من أدب البحث ، ولا أنتم من الذين يسألون وإنما هذا من فعل العوام بتحويل العبارة لجلس من قام ، وتكلم الأمراء معهم فسلبوا الجواب وكلفونى أن نحقق لهم أمرك وما ينبنى على قولك هذا ، فقلت وبالله استعنت :

أما الشيخ أحمد فإنه أخى فى الطلب كان يراقبني فى أحوالى وأراقبه فى أحواله عالم بأمور الدين والدنيا ، جامع بين علمى الشريعة والحقيقة ، له يد طولى فى علم المعقول والمنقول، نقى تقى عارف بالله لاتأخذه فى الله لومة لائم ، ولايحوم حول الحمى ، يشار إليه بالصلاح فى ابتداء أمره ، ذاكرا مجدا عازما مجتهدا ، اجتمع بمشايخ عظماء القدر ، مجازا مأذونا له فى التأليف ، مقتدى به ، والغالب على ظنى أنه من أهل الكشف .

وقوله هذا لايوجب شيئا ولا فيه بحث إذ هو كلام محتمل من وجوه ، وما كان كذلك فالقرائن تقيده .

أولها أنه وإن قال هذا الكلام حقا فيحتمل أنه لم يكن مثله فى معرفة شىء مخصوص حدثته نفسه به وحملته أنه لايعرفه غيره من عهد الصحابة إلى هلم ، نعم لوقال لو لم يكن مثله فى العلم مثلا لكان للبحث وجه من حيث إن العلم لامنتهى له .

وثانيها انه يحمل على أن يكون قال ذلك زجرا لنفسه وقهرا لها .

ثالثها أنه قال فى حد ذاته لاليسأل أجرا ولا لزيادة مزية عندالناس بل يكفيه ماهو فيه من العلم والمعرفة وحاصله ليس فيه خوض ولامعارضة ولايخفاكم ذلك فغايته أنه تكلم بكلمة كسائر أولياء الله .

وتعلمون يقينا أن الشيخ محى الدين بن عربى كلامه مبنى على خرق العوائد وأنه فى زمانه ادعى الاجتهاد وما سلم له ، وكذا غيره من أكابر الأولياء مع أن أحمد التجانى لم يتكلم بشىء خارق يدعى صدقه أو كذبه ، ولا ادعى اجتهادا ، وإن كان لكم كلام فى المسئلة فأتوا به ونسلم لكم وإن أردتم البحث منى عن أحواله فزائد عن ما ذكرت ووصفت .

والحاصل أقول لكم والله شهيد ووكيل إنى أتمنى على الله بل أطلب منه لى

ولكم أن يجعلنا فى حماه وأن يرزقنا رضاه بمنه وكرمه. فعند ذلك قاترى إلا وكلهم جلث على ركبتيه مقبلا الأرض بين يدى مستغفرا الله طالبا المسامحة منى.

فأوصيك أخى بجانب العلم فإنه أولى من العمل وبما أنت بصدده، وقد أوصانا مشايخنا بأمر بعضنا بعضا ونهيه، والأخ مرآة أخيه، والوقت كما ترى والأشياء مرهونة لأوقاتها، والأسباب متوقفة على مسبباتها، والتروية بحسب النظر، وهذا هو الجامع المانع، وقد تشوقت إلى أرض الحجاز وزيارة خير البرية فادع الله لى فى تسهيل السبيل، كما نحن لكم، وإننا على العهد والوفاء، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه والسلام وكتب العبد الجانى بالعضو الفاذ محمد بن عبد الله الموفق الجيلانى أمنه الله يوم الفزع الأكبر آمين اهـ

عم محمد بن الغازى

ومنهم ذو الصدر السليم السالك للحق على الصراط القويم البركة الأجل والسيد الأفضل عم محمد بن الغازى، أحد العشرة الذين ضمن لهم النبى صلى الله عليه وسلم الفتح الأكبر، كان رحمه الله من المحبوبين عند سيدنا رضى الله عنه لصفاء مودته وخلوص محبته، وقد كانت تعتريه بعض أحوال الملامتية المستترين بكثرة البسط والانشراح بين الاخوان.

ومن مناقبه المشهود له بها أن الله تعالى جعل له البركة فى كل ما يناوله من بيوعاته وشراءاته ومأكولاته ومشروباته وجميع شؤنها كلهـا، وكان الاخوان يطلبون منه حضوره فى أفراحهم، فيجدون بركته، حتى إنهم إذا أرادوا بركة فى شىء ولم يكن حاضرا عندهم يقولون اللهم إنا نسألك بالاسم الذى دعاك به عم محمد ابن الغازى اجعل لنا البركة فى كذا وكذا فيجدون بركة ذلك.

واتفق له فى مبادىء أمره مع سيدنا رضى الله عنه كما حدثنى به بعض أحفاده الاخيار أنه بعد ما أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه ترك أياما الحضور لقراءة الوظيفة فى الزاوية المباركة فى ذلك الوقت بالبيع والشراء، فاتفق له أن كان مارا يوم الجمعة بسوق الصاغة بفاس المحروسة فرآه سيدنا رضى الله عنه مقبلا من طريق الزاوية بعد الفراغ من الذكر فقال فى نفسه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تركنا الربح الأخروى واشتغلنا عنه بالربح الدنيوى فى البيع والشراء ويأتى عند

هذا الشيخ الذى مَنّ الله علينا بالدخول فى زمرته هل أنا من المحبوبين أو من المحرومين بسبب هذا الفعل الذى صدر منى ، فلما التقى مع سيدنا رضى الله عنه كاشفه وقال له كيف بك يافلان أنت عندنا من أخيار الأحباب ولا تحضر الذكر ماهذا .
قال فمن ذلك الوقت لم يترك الحضور مع سيدنا رضى الله عنه إلى أن أذن الله بالفراق المحتوم ولسان حاله يقول :

فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لاخيار مع الزمان

واتفق له يوما بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه أنه كان جالسا قرب داره بحومة سوق ابن صافى إذ خطر فى نفسه فى شأن الزيارة ، وأن منعها فى هذه الطريقة المحمدية لعله كان خاصا بمدة حياة الشيخ رضى الله عنه . فما أتم هذا الخاطر فى نفسه حتى وقف بجنبه الولى الصالح المجذوب الرابح الشريف سيدى حفيد بن عدوا المتقدم الذكر فقال له بمجرد ما وقف عليه قال لك: هو لايموت ، ثم انصرف فتنبه صاحب الترجمة لذلك وتاب إلى الله من ذلك الخاطر وعلم أن هذا عناية من الله تداركته ببركة صدق محبته فى سيدنا رضى الله عنه .

أقول ولايزال ذوو الصدق فى هذه الطريقة تحصل لهم العناية التامة والحمد لله ، فتراهم لايلتفتون لغير الشيخ رضى الله عنه ولو ألجأهم الحال للاجتماع بقطب الوقت فى الظاهر فإن قلبهم لايتزحزح عن شيخهم البتة ، وقد بسطنا الكلام على الزيارة فى غير ما موضع من مؤلفات الطريقة ، ولنذكر هنا طرفا يسيرا مما يتعلق بها أيضا مع كلام فى التربية بالاصطلاح عند القوم رضى الله عنهم فأقول :

قال الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى فى كتابه الجامع بعد ذكره الطرق من رائية الإمام الشريشى رحمه الله مانصه :

قلت هذه الأبيات مشتملة على جل شروط التلميذ مع قدوته تصريحا وضمنا أشار فيها إلى عدم زيارة التلميذ لغير شيخه من الاولياء بقوله :

فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لاتسرى

وأشار إلى عدم مخالفته بقوله :

ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده يظل من الإنكار فى لهب الجمر

وأما قوله:

وضعها بحجر الشيخ طفلا فمالها خروج بلا فطم على الحجر والحجر

فإنها متضمنة لجل الشروط وهذا الذى كانت عليه طرق المشايخ فيما تقدم إلى أن انقطعت التربية بالاصطلاح فتنوسيت عند عامة من ينتسب إلى الطريق فضلا عن غيرهم فلما أمر قدوتنا أتباعه ببعضها وهو عدم الزيارة للأولياء وقع الإنكار عليهم فى جميع الأقطار لجهل الناس بما كانت عليه طرق الأوائل كما قدمنا.

ثم قال: سئل وسيلتنا رضى الله عنه عن قول القطب سيدى أحمد زروق انقطع شيخ التربية وعن قول سيدى ابراهيم التازى رضى الله عنه فى قصيدته اللاميه بقوله

وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا وآخرهم شيخى ومعظم إجلال

وقد قال لى لم يبق شيخ بقربنا وذا منذ أعوام خلون وأحوال

قال الشيخ زروق سألت شيخنا أبا العباس الحضرمى رضى الله عنه فقال لى انقطعت التربية بالاصطلاح ورجع الأمر كما كان فى الصدر الأول بالإفادة بالهمة والحال وهذا كان فى سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع وأما الآن فما بقى إلا الإفادة بالهمة والحال لكون الله تعالى سامح النفوس فيما تخوض فيه وغفر لها ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول مع أن الأوائل كانوا لا يسامحون التلميذ فى أقل قليل ولو وقع منه فلتة لطردوه إلا أن تدركه عناية إلاهيه يعامل بالتوبة غير أهل هذا الوقت فإنهم يسامحون فى الأمور العظيمة ولم يقع لهم طرد ويقع لهم مع هذا الفتح والوصول إلى الله جل جلاله فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء من عباده يختص برحمته من يشاء. لا يسئل عما يفعل لا لعلة سبقت ولا لأجل مانع بل لمحض الفضل والجود والكرم.

ثم قال مسألة سألت سيدنا رضى الله عنه عن قول صاحب الابريز حاكيا عن شيخه قال: لا ينال العبد معرفة الله تعالى حتى يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يعرف سيد الوجود حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس فى نظره فصل عليهم صلاة الجنازة ونزع من قلبك التشوف إليهم قلت وفى هذا إشارة إلى عدم زيارة كل ولى فأجاب رضى الله عنه أن للشيخ شروطا وحدودا وموارد وله أيضا ثلاثة دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة فإذا أدخل المريد فى دائرته القريبة

يقول له إن خالفتنى بعد اليوم تموت كافرا . نسأل السلامة من المخالفة فى القليل والكبير آمين .

ومن الشروط المذكورة مجانبة المنتقدين على الشيخ إلى آخر كلامه. ولنذكرهنا فائدة تشد لها الرحال ذكرها الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه فى جوابه لبعض الفضلاء عن أمور تتعلق بهذه الطريقة المحمدية منها طلب جوابه عن إشكال حصل له تعرفه من نص السائل بعد كلام وهو أن الشيخ رضى الله عنه قد نهى أحبابه عن زيارة الأولياء أحياء وأمواتا بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم كما علمتم وقد نص القوم على وجوب طلب شيخ التربية ولا يكون إلا احيا ، والشيخ نفسه رضى الله عنه نص على ذلك أيضا فإنه قال فى ذلك فى باب تكلم فيه على المريد الصادق. وشيخ التربية من كتاب ابن المشرى شيخ التربية يجب طلبه من جهة النظر بمنزلة المريض الذى أعضلته العلة وعجز عن الدواء وانعدمت الصحة فى حقه وهذا نص فى وجوب طلبه والتمسك به وقال أيضا بعد ذلك الفتح والوصول من الله فى حضرة المعارف لايمنه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص ومتى فقد الأذن الخاص بالأولياء لم يوجد من الله فتح ولا وصول وليس اصاحبه إلا التعب .

ثم فسر المراد بأصحاب الإذن الخاص بالأولياء الأحياء فى كل عصر لا الأموات وهذا نص فى أن الشيخ الميت لا يأتى منه وصول وأن التربية تختص بالأحياء . وقد صرح أيضا فى هذا الباب أن الإعراض عن ولى الوقت كالإعراض عن نبى الوقت فحصل السؤال هل يجوز من أصحاب الشيخ رضى الله عنه الذين ليسوا فى عصره كأصحاب هذا الوقت إذا عثروا على شيخ التربية من غير أحباب الشيخ أن يلقوا أنفسهم إليه حيث لم يكن الوصول إلا من الحى لاسيما إن لاحظوا أن الشيخ التجانى رضى الله عنه هو الممد لجميع الأولياء الذين منهم شيخ التربية الذين عثروا عليه فما وصلهم على يديه إنما هو مدد شيخهم التجانى رضى الله عنه وحينئذ فيخصص النهى عن الزيارة بتخصيص صاحب الشيخ الذى كان معاصرا له أما غيره فله أن يتعلق من الأولياء بشيخ التربية لوجوب طلبه كما تقدم . ولا يقنعنى فى الجواب عن هذا الإشكال أن يقال شيخ التربية قد انقطع بالاصطلاح ولم تبق إلا التربية بالهمة والحال لأنه وإن كان من كلام الفاضل سيدى احمد زروق

رضى الله عنه ولكن لايخفاكم أنه قد حمل على الكثير الغالب على أن السؤال على الفرض والتقدير الجائز فنرجو منكم جوابا شافيا كافيا يكون هو العمدة عندنا فى ذلك فقد احتجنا إلى معرفته احتياجا كليا فإن أبيتم فرجع الدرك عليكم زادكم الله فتحا وقربا والسلام ، ونص المقصود من الجواب بعد كلام طويل .

وأما مسألة الإشكال الذى صورتموه والبحث الذى على التقدير الجائز بنيتموه فما أجدر الفقير أن يتمثل فيها بقول إمام الوسائل ، والله ما المسؤول عنها بأعلم من السائل لكن حيث كان إمتثال أمر الأكابر من المتعين ووجهه عند المتأمل من الواضح البين فلاعلينا أن نجارى حالتكم المجلة فى المذاكرة فى هذه المسألة فنقول إسعافا لرغبتكم واغتناما لصالح دعوتكم وقضاء لبعض الواجب من حق موالاتكم فى الله تعالى وأخوتكم ، إن وجه الإشكال فى هذه المسألة هو ماتقرر فى علوم مجادتكم الموصلة من أن شيخنا شيخ المشايخ وقطب الأقطاب رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا وجميع الأحبة برضاه قد قطع رجاءنا من غيره ومنع تشوفنا إلى ماعند كل أحد من شره وخيره وجعل الالتفات عنه إلى من عداه من أعظم الموانع الصارمة للمريدين عن حوزة حماه وأكد هذا من كلماته السنية الثابتة عنه من الطرق الصحيحة المرضية بمايفيد أن عليه فى طريقه مدار التربية وأنه فى السلوك والتسليك بها مناط التزكية والترقية ، وأطلق رضى الله عنه القول فى ذلك بمايفيد شموله لمن يتقيد بعهده وينخرط فى سلك أهل ورده سواء حصل التقيد والانخراط قيد حياته أو بعد مماته وهذا معارض بظاهره لما نص عليه القوم من وجوب طلب شيخ التربية فى الطريق وأنه لايكون إلاحيا عند جمهور هذا الفريق حسبما هو موجود فى نص الشيخ رضى الله عنه فى بعض أجوبته لمن سأله عن ذلك وتلقاه منه .

وإن من كلام الشيخ رضى الله عنه فى بعض أجوبته لمن سأله عن ذلك وتلقاه منه وإن من كلام الشيخ رضى الله عنه فى هذه المسألة ما أملاه رضى الله عنه فيها من القاعدة الموصلة . ومحصلها أن الفتح والوصول إلى حضرة الاختصاص لايمنحه الله تعالى إلا على أيدى أصحاب الإذن الخاص ثم صرح بأن المراد بهؤلاء السادات الأحياء من الأولياء لا الأموات ، ثم أفصح رضى الله عنه فى هذا المقام بأن الإعراض عن أولياء الوقت كالإعراض عن الأنبياء فى وقتهم عليهم الصلاة والسلام

هذا محصل البحث الذى أبداه السؤال مبنيا على التقدير الجائز أن يقال ولا يخفى على نباهتكم الفائقة وألمعيتكم الرائقة أن القول بأن شيخ التربية الذى يحصل على يده الانتفاع والوصول لا يكون إلا حيا لم يقع عليه الاتفاق وإلا فقد صح الوصول عن جماعة من الأكابر على أيدى الأولياء الأموات من غير منازع فى ذلك ولا مكابر وأسانيد أهل الطرق الصحيحة المعتبرة مشتملة من ذلك على ما لا يعد من الشاذ النادر .

وقد قال السيد على قول صاحب المواقف كان أبو يزيد سقاء فى دار جعفر الصادق مانصه بعد كلام ، وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفرا رضى الله عنهما بل هو متأخر عنه وإنما كان يستفيض من روحانيته فلذلك اشتهر انتسابه إليه اهـ كلام السيد ونقله الشيخ أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى ناظم العمل الشهير فى كتابه الذى ألفه فى إمام سلسلة سلفه الشيخ سيدى عبد الرحمن المجذوب وترجمه بابتهاج القلوب وقال بعده مانصه على أن كونه سقاء فى دار جعفر يصح مع كونه ميتا .

ثم قال رحمه الله تعالى وانتفاع الحى بالميت وحصول المدد له منه شهير وبسط القول فى ذلك فى جواب الشيخ أبى المحاسن مذكور فى المرآة والله أعلم اهـ من الكتاب المذكور .

وذكر فى هذا الكتاب أيضا سند الشيخ زروق رضى الله عنه واستبعد فيه أخذ ابن عقبة عن ابن وفا لتأخره عنه بكثير ثم قال إلا أن يكون أخذ بالاستفاضة من روحانيته اهـ

وذكر فى هذا الكتاب أيضا سند حجة الإسلام الغزالى رضى الله عنه عن الفارمدى عن الكركانى ثم قال مانصه :

وانتساب الكركانى فى الباطن إلى جانبين أحدهما الشيخ أبو الحسن الخرقانى وهو عن الشيخ أبى يزيد وولادة الخرقانى بعد وفاة أبى يزيد بزمان فتربيته من روحانيته وكذلك تربية أبى يزيد من روحانية جعفر الصادق رضى الله عن جميعهم انتهى الغرض من الكتاب المذكور . بهذا ومثله من الواضح الأشهر يدل على أن ماتقدم من القول بانحصار الانتفاع للمريد فى الحى جار على الغالب لا على الأغلب الأكثر حتى يكون مقابله من الشذوذ بحيث لا يلتفت إليه ولا يذكر اهـ ، فقد انخرقت القاعدة وسقطت المعارضة من هذا الوجه وهذه الحيثية بلا ريب على أننا

وإن جرينا على تحكيمها حسبما تضمنه السؤال وسجلنا على بنيتها بالأعمال فليس المراد بالشيخ الحي في النصوص المقررة شيخ التربية المستكمل لشروطها المعتبرة بل المراد المرشد فقط .

وقد نصوا على أنه لافرق فيه بين أن يكون شيخا أو أخا في الطريق ، حسبما نقله في الجيش عن زروق ، وذكره اليوسي في بعض رسائله ، وصرح به في ميزاب الرحمة الربانية من غير تردد في ذلك ، نعم ذكروا أن الدخول مع المرشد على المشيخة أعظم حقوقا وآكد من الدخول معه على الأخوة . وعليه فلا فرق إلا من هذه الحيثية ، فالمعتبر إذا حصول الإذن من الشيخ الكامل المستوفي لشروط المشيخة سواء بلا واسطة أو بها ولا يشترط اللقاء ولا كون الشيخ حيا إذا صح الأذن عنه

قال الشيخ أبو الحجاج الأقصري معللا لهذه المسألة فيما نقله عنه الشيخ الشعراني في ترجمته من طبقاته لأن صور المعتقدات إذا ظهرت لاتحتاج إلى صور الأشخاص بخلاف صور الأشخاص إذا ظهرت فإنها تحتاج إلى صور المعتقدات ، فإذا حصل الجمع بينهما فذلك كمال حقيق .

قال الشعراني رحمه الله تعالى بعد ذكره له ما نصه : وفي هذا دليل عظيم لأصحاب الخرقة الأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية ، ولاعبرة بمن ينكر عليهم ويقول هؤلاء أموات لاينطقون فإن الاقتداء حقيقة إنما هو بأقوالهم وأفعالهم المنقولة إلينا فافهم اهـ كلام الشعراني رضي الله عنه

قلت وهذا الكلام من الشيخ أبي الحجاج الأقصري رضي الله عنه هو فيه ذائق لاناقل . بدليل ماذكره الشيخ خالد البلوي في تاج المفرق عن حفيد الشيخ المذكور من أنه لبس الخرقة من الشيخ أبي مدين رضي الله عنه وإن اجتماعه به كان على طريق خرق العادة بالأرض البيضاء من السودان ، وللأرض السر ، تذكر الله الله ، ولم يكن اجتماعه به على الهيئة المألوفة في اجتماع الأشخاص الجارية فلا قول من يشترط اللقاء والحياة في المرشد فافهم ذلك .

نعم يشترط في المرشد إذا كان أخا حصول الإذن الصحيح له ولو بالوسائط والشيخ ، إذ بالأذن تتمكن سراية السر الروحاني والمدد الرباني حسبما نص عليه أئمة الطريق رضي الله عنهم .

وعلى هذا الذى تقرر فمن أخذ طريق شيخ كامل عمن نقلها إليه وأجازه بها بالإذن الصحيح فإنه ليس معرضا عن أولياء وقته ، لأن لذلك المقدم درجة فى الولاية بها تأهل للتقديم بلاشك . وفى هذا القدر ما يندفع به ما تعطيه ظواهر النصوص المتقدمة فى هذه المسألة من المعارضة وتوهمه ببادى الرأى من المناقضة الغنية والكفاية والله ولى التوفيق والهداية اه

وإذا عرفت هذا عرفت أن ما ثبت من كلام الشيخ رضى الله عنه فى الكناشين مما تقدم ونحوه مما يقتضى المعارضة المذكورة هو كلام صدر منه رضى الله عنه فى بساط التعليم ، فلسانه فيه لسان علم جرى فيه على ما عليه الجمهور ، فهو عام أريد به العموم بقرينة البساط . وأن ما تقدم وبلغ حد التواتر القطعى رضى الله عنه من منع المريد من الالتفات إلى الغير والتشوف إلى السوى فى جلب نفع ما ، أو دفع ضير ، صادر منه رضى الله عنه فى بساط التربية الخاصة بطريقه ، فلسانه فيه لسان دلالة وإرشاد جرى فيه على نهج أمثاله الكمل الأفراد من إمحاض النصيحة للعباد بما أداهم إليه من طريق الكشف الصحيح النظر والاجتهاد ومع هذا فإنه ثبت رضى الله عنه أنه ألقى إليه من ذلك على حسب ما برز إليه من الحضرة المحمدية الشريفة عليها الصلاة والسلام . التى تربيته ومدده منها بلا واسطة فى حال اليقظة لا فى حال المنام . فهو خاص من طريق خاص أريد به الخصوص . وفرق بينه وبين الذى قبله فلا معارضة بينهما عند ذوى النظر الصحيح البتة والله أعلم .

هذا ولولا المقصود فى دفع هذه المعارضة إلى ما اقتضاه الحال من مجاراة ألفاظ السؤال لكان الجواب الحق والقول الفصل فى هذه المسألة هو أن يقال: إنه يجب أن يعلم أولا أن تصديق الشيخ والايمان به والانحياش بالمحبة الخالصة إليه والإذعان له بإلقاء عصى المخالفة والمعاندة بين يديه هو سلم السعادة وأساس كل خير ومبنى كل أمر فى طريق الإرادة وإن لم يوافق شيخه فى اعتقاده ولم يترك مراده لمراده فقد انهار به فى نار جهنم القطيعة والعياذ بالله تعالى جرى اعتراضه وانتقاده

ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده ... يظل من الإنكار فى لهب الجمر

وهذا مما لا ينكره إلا جاهل ، ولا يجحده إلا من كان نائيا عن طريق الهدى بمفازات ومراحل .

ثم من المعلوم أنه ثبت عن سيدنا رضى الله عنه أنه أخبر عن نفسه بإخبار من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، أنه القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم الأكبر والوارث الحقيق الأشهر ، الحائز لجميع ما الأولياء من الكمالات والأنوار والمآثر والأسرار ، مع ماهو متحقق به فى سره بما اختص به من العلوم اللدنية والمعارف الربانية دون غيره . وقد صرح رضى الله عنه فى رسالة التحدث بالنعمة، بأن مقامه فى الدار الأخرى لا يصله أحد من الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور الخ كلامه فى الرسالة المذكورة . وقد أثبتها فى جواهر المعانى وكذا فى الجامع لما افترق من درر العلوم .

وثبت عنه أيضا رضى الله عنه أن روحه هى الممدة لجميع أرواح الأقطاب والأولياء منذ إنشاء العالم سواء منهم من تأخر وجوده العيانى أو تقدم .

وثبت عنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من أخذ ورده الشريف ومات عليه ، لا يموت إلا وليا قطعا . وكذا من أحبه فقط ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال له : كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك وأنا ضامن لهم . وقال رضى الله عنه بعد أن حكى هذا الكلام عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآنى أو لم يرنى اهـ

ومعلوم أن من جملة الفضل المشار إليه ضمان الولاية من النبى صلى الله عليه وسلم

وصح عنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل عليه طابع .

وصح عنه أيضا رضى الله عنه أنه قال: طابعنا محمدى كل من أخذ وردنا ينزل عليه وتحصل الشفاعة له ولوالديه من حينه . ولهذا قال بعض المشاهير من أهل هذه الطريق رضى الله عنه : مراد الأشياخ من تلامذتهم من يحمل سرهم وأما غيره فلا يحصل له إلا التبرك والعجب ممن يصد عن طريق أهلها كلهم مرادون إلى طريق لا يدرى هل يكون فيها مرادا أم لا . إلى غير هذا مما ثبت عنه رضى الله عنه من التصريح بعلو مقامه وإنافة قدره وشرف طريقته وسمو مزية ورده وفخامة أمره . وما كان بهذه المثابة من الأوراد والطرق كيف تطمح إلى غيره بدلا عنه عين اللبيب العاقل ؟ أم كيف تتعلق به دونه همة النبيه الفاضل ؟ ومن كان بهذه المكانة القصوى

السامية كيف ينسحب فى نظر الأويب حكم الموت الذى يقطع به المدد والانتفاع على حقيقته الفردانية وروحانيته النورانية .

وقد حدثنى بعض العلماء الأعلام (هو كنسوس) من إخواننا الصادقين البررة الكرام حفظه الله تعالى أن بعض الخاصة (عم محمد بن الغازى) من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين أخذوا عنه وصحبوه قيد حياته أنه كان يوما جالسا بأزاء داره من محروسة فاس إذ خطر بباله مثل هذا المعنى المتكلم فيه فقال فى نفسه لعل المنع من هذه الزيارة كان خاصا بمدة حياة الشيخ رضى الله عنه ، فما أتم ذلك فى خاطره حتى وقف عليه رجل من أصحاب الأحوال (سيدى حفيد بن عدوا) وكان الشيخ رضى الله عنه قد أشار إلى أنه من أصحاب التصرف . فقال له بمجرد ما وقف عليه قال لك هو لا يموت . ثم انصرف فتنبه ذلك السيد وتاب إلى الله من ذلك الخاطر وعلم أنها عناية من الله تعالى تداركته ببركة صدق محبته فى الشيخ رضى الله عنه ، فلم يبق لمن ساقه سائق السعادة إلى الدخول فى هذه الطريقة الأحمدية والانخراط فى سلك أهل هذه الدائرة المصطفوية وأهله الله بفضله لمشاهدة هذه الخصوصية العظمى إلا إلقاء القياد لأستاذه رضى الله عنه على طريق المحبة والتسليم وسلب الإرادة له ، والتحكيم ويداوم على ذكر هذا الورد الشريف بالمحافظة على شروطه المشروطة والوقوف بغاية الجهد عند حدوده المضبوطة حتى يأذن الله تعالى بالفتح ، إما أن يفاجئه ويهجم عليه هجوما ، وإما أن يمن الله عليه بكشف الحجاب بين عينى قلبه وبين روحانية الشيخ رضى الله عنه أو روحانية النبى صلى الله عليه وسلم ، فتكون تربيته بطريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معا .

وما فى الكناش من اشتراط استحضار صورة القدوة أو صورة النبى صلى الله عليه وسلم لمن يقدر على ذلك رمز إلى هذه الطريقة وتلميح إلى هذه الدقيقة ، وإما أن يقيض الله تعالى له من شاء من إخوانه يقوم بأعباء التربية يشهده الله سر خصوصيته ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته فيسير به إلى الله تعالى فى سره وعلانيته

والقائمون بأعباء التربية فى طريقتنا والحمد لله كثيرون لم يخل منهم منذ توفى الشيخ رضى الله عنه زمان ولا قطر . بل ظهر منهم عدد فى حياته رضى الله عنه كما لا يخفى ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا

من قيض الله له الانتفاع بهم ، وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند أهل التحقيق من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق وهى كتمان السرائر والأسرار ، وهى حالة الأخفياء الأبرار من الملامتية المجهولة مقاماتهم ، لأنهم جارون مع العامة على ما هى العامة عليه من ظواهر الطاعات التى لم تجر العادة فى العرف أن يسموا بها من أهل الله تعالى ، وهذا أمر أقامهم الله تعالى فيه ، وفضيلة حلاهم الله تعالى بها شعروا أو لم يشعروا . وهى غاية الكمال بلاشك ،

قال العارف بالله تعالى الشعرانى فى رسالته المسماة بموازين الرجال القاصرين وسبب ترك العارفين فتح باب المشيخة والتسليك فى هذا الزمان شهودهم كثرة البلايا النازلة على الخلق ليلا ونهارا وعلمهم بأن الأمر رجع إلى وراء وقد اشتد الأمر ولايزداد إلا شدة حتى تكمل الدورة وتقوم القيامة ثم قال إذا علمت هذا علمت أن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا الزمان هو الصواب فلايفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين المراتب والمتنازعين عليها انتهى

والمراد بتركهم فتح هذا الباب تركهم التظاهر بالمشيخة والانتصاب للتربية بالاصطلاح المعروف الذى كان عليه من بعد الصدر الأول . وهذه الحالة هى حالة القائمين بالتربية من أهل طريقتنا ، وهى طريق الحق والصواب والحمد لله .

والتربية بالاصطلاح المذكور هى التى ذكر الشيخ زروق عن أشياخه أنها انقطعت لا التربية الحقيقية التى معناها الارشاد إلى العمل بالكتاب والسنة وتلقين ذكر ونحوه مما يزيح الباطل عن النفس ويقطع العلائق والعوائق عنها بسبب استعانتها على ذلك بهمة الشيخ الملقن لذلك الذكر ، على حسب ما أذن له فيه من حضرة الله تعالى فى سره ، أو حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما .

وانظر الذهب الأبريز وتأمل ما أملاه على صاحبه شيخه فى هذه المسألة تقف على عين الحق والصواب فيها ، وتحصل من العلم فيها حالا لا تلتفت معه إلى كلام غيره ان شاء الله . وقد نص على مثل ما نص عليه الشيخ زروق العارف المحقق اليوسي رحمه الله تعالى [وهو مراد سيدنا رضى الله عنه بقوله الثابت عنه من يريد السلوك فى هذا الزمان كمن يريد أن يذبح نفسه فإن مراده السلوك بالاصطلاح الذى أحدثه من بعد الصدر الأول ، أعنى من بعد القرون الثلاثة لا السلوك بمعناه

الحقيق الذى هو تصفية النفس وتزكيتها من طريق التقييد بالمشايخ الكاملين ، والاستناد إلى همم العارفين الواصلين . حاشا أهل الله تعالى من ذلك .

وبهذا يحصل الجواب الكافى والبيان الشافى ان شاء الله تعالى عما جعلتموه محصل السؤال من قولكم أيدكم الله هل يجوز لأحد من الأصحاب الذين لم يدركوا عصر الشيخ رضى الله عنه إذا عثر على شيخ تربية من غير الأصحاب أن يلق نفسه إليه الخ . كلامكم الذى أكدتم علينا آخره بأننا إن أبينا عن الجواب عنه فالدرك علينا فى ذلك وهذا القول منكم حفظ الله جلالتكم وأبر سيادتكم هو الموجب للاطناب فيما واجهناكم به فى هذا الخطاب .

ومحصل الجواب أنه لاينبغى لمن أهله الله تعالى بفضله لهذا الشيخ الأعظم والانحياش إلى جنابه الأفخم أن يستند إلى غيره أو يعتمد على سواه من الأقطاب لاظاهرا ولاباطنا فى سره أوجهره وذلك لأنه رضى الله عنه من خاصة خاصة الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه بل لا أقرب منه رضى الله عنه إليها وأصحابه تلامذة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سواء رأوه أولم يروه وورده ورده عليه الصلاة والسلام كما ورد كل ذلك عنه ، فمن التفت إلى غيره حرم الاغتراف من بحره والصولة بصارم نصره والعياذ بالله تعالى ، فالحذر الحذر ففى طلعة الشمس مايغنى عن القمر والله تعالى المسئول بجاه أحب الخلق إليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله أن يديم علينا وعليكم رضى هذا الشيخ العظيم وفيضان أنواره ويجعلنا من الثابتين فى مركز عنايته تحت أفلاك عزه وأدواره بمنه وكرمه آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين اهـ وفى هذا كفاية .

ولده السيد المعطى

ومنهم ولده البركة الجليل ذو الخلق الجميل والصدر السليم والفضل العميم عم المعطى أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه وهو شاب وكان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا ملحوظا بعين المودة عنده وعند خاصة الأصحاب لمكانة والده عند سيدنا رضى الله عنه . وحدثنى بعض أولاده الأخيار عن والده يحكى له قال : سجن أمير الوقت قوما من قبيلة الأحلاف مدة لأمر صدر منهم وامتنع من تسريحهم فلما شاع خبر سيدنا رضى الله عنه ومحبة أمير الوقت له أتت جماعة من قبيلتهم واستجاروا

بباب دار سيدنا رضى الله عنه وعرقبوا ثورين لأجل رفع عارهم كما هى عادة القبائل والمظلومين ومن ماثلهم إذا أرادوا الاحتماء من الأعداء وقضاء وطر من الأوطار فلما خرج سيدنا رضى الله عنه من داره لملاقاتهم ورأى تعذيب الثورين بتعرقبهم صار يتأسف على ذلك الفعل الفظيع وقال لتلك الجماعة ماحملكم على هذا الفعل الشنيع وهو تعذيب الحيوان بذلك فصاروا يعتذرون لسيدنا رضى الله عنه وقالوا ماقصدنا بذلك إلا الاحترام بجاهك وخفنا منك أن تردنا ولاتأخذ بيدنا عند الأمير فإنه حبس طائفة من قومنا هذه مدة ولم يثبت لهم ذنب يستحقون به ذلك، فنطلب من الله ثم منك أن تشفع لنا عنـــده فيهم عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنـــده على يدك المباركة ، وصـــاروا يتملقون بين يديه ، فقال لهم سيدنا رضى الله عنه معتذرا لما أولاه الله من رفع الهمـــة التى لاترضى بالتملق المخلوق . أما أنا إن أردتم دعاء خير منى فأنا أدعو لكم وإن أردتم منى التوسط لكم عند الأمير أوغيره فليس عندى منه شيء ، فقال له أحدهم وأكبرهم عقلا وأعلاهم قدرا ياسيدنا إنما مقصودنا منك دعاء خير ، فقال لهم سيدنا رضى الله عنه : الله يقضى جميع حوائجكم عما قريب ، وأشار عليهم بالذهاب لدار المخزن ويتكلمون فى مطالبهم فإن الله يفرج عنهم . ثم ذهبت تلك الجماعة قاصدين دار المخزن ليتكلموا فى ذلك فبمجرد وصولهم وتكلمهم فى أمر مساجينهم أمر بتسريحهم ولم يحتاجوا إلى عظيم مشقة فى ذلك ببركة سيدنا رضى الله عنه مع أنهم كانوا يستحيلون تسريحهم وما خرجوا من دار المخزن إلا بعد أن خرج معهم المسجونون ثم قصدوا دار سيدنا رضى الله عنه فرحين مسرورين بدعائه الصالح وأخذوا عنه طريقته المحمدية وخرجوا لقبيلتهم على أحسن حال .

فائدة : كان سيدنا رضى الله عنه يقول ثلاثة لا أحضرهم وهى عقد النكاح والصلح بين القبائل والزطاطة «١» ، أما عقد النكاح فلما يدخلون فيه من العوائد المنافية للشرع ، وأما الصلح فإن القبائل إذا كانت بينهم عداوة تكون كل قبيلة منهم كافة عن الأخرى وإذا اصطلحوا تعود كل واحدة منهم تؤذى الأخرى ، وأما الزطاطة فما عندى ما نزططهم به اهـ

«١» الزطاطة حراسة المسافر بأجر لأن الطرق كانت غير مأمونة

عم العباس بن الغازى

ومنهم ذو المناقب الشريفة والرتبة المنيفة والهمة العالية والشيم الغالية والمآثر الفاخرة والديانة الباهرة عم العباس بن الغازى أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه من الخاصة المقربين والمريدين المحبوبين ويحب جميع أهله وأولاده ، وكثيرا ما كان سيدنا رضى الله عنه يدخل لدار صاحب الترجمة فيجتمع عليه أهله الزيارة فيضع سيدنا رضى الله عنه طرف سلهامه على وجهه لئلا يرى أجنبية ، فإذا أكثرن عليه من طلب الدعاء وتقبيل يديه يقول لهن بركة بركة بمعنى يكفى يأمرهن بالكف عنه ، وكذلك كان رضى الله عنه يفعل فى عشية الجمعة بالزاوية المباركة إذا كان خارجا منها فإنه يذهب وحده الموضع الذى كان جعله لهن لئلا يزدحمن بباب الزاوية فيحصل بذلك الضرر الدينى من ازدحام النساء والرجال فى الدخول أو الخروج ، فإذا ذهب لناحيتهن يجعل على وجهه طرف سلهامه فيزدحمن عليه للزيارة فيدعو لهن بصلاح الأحوال دنيا وأخرى ويعظهن ويذكرهن بحسب الوراثة المحمدية له عليه السلام كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك كما هو مقرر فى كتب الحديث ، وكانت لصاحب الترجمة دنيا واسعة وهو الذى بنى الزاوية التى قرب درب البشارة أعلى زقاق الرواح من مدينة فاس المحروسة وفيها منفذ لداره وقد بناها من غير علم أولاده وغيرهم حتى فتح بابها ووقف عليها أحباسا رحمه الله تعالى وهو مدفون بزاوية الولى الصالح سيدى عبد الوارث الكائنة بزقاق الحجر .

سيدى محمد الشرقى العمرى

ومنهم البركة الأمجد الكوكب الأسعد شيبة الحمد المنورة وصاحب الطوية المطهرة أبو المواهب سيدى محمد الشرقى العمرى ، أخذ عن سيدنا رضى الله عنه طريقه وشرب كأسه المختوم بمسك الحقيقة واستغرق فى محبته استغراقا كليا حتى صار قدره بين أفاضل الاخوان وغيرهم على سواه جليا ولازال قائما على ساق الجد فى مرضاة مولاه إلى أن توفى رحمه الله .

ولده سيدى محمد الحفيان

ومنهم ولده المقدم الأستاذ الفاضل والولى الكامل والبحر الزاخر والطود الباهر

ذو المناقب الشهيرة والكرامات الكثيرة أبو عبد الله سيدى محمد بالفتح المدعو الحفيان أحد المفتوح عليهم فى هذه الطريقة المحمدية وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد من اشتهرت ولايتهم وصلاحهم من أصحاب سيدنا رضى الله عنه .

والعمرى السيد الحفيان ذى العلم والصلاح والعرفان

سيدى محمد الشرقى العمرى

بما نصه وثانيهم هو العلامة الأستاذ المقرى المشارك الفاضل أبو عبد الله سيدى محمد بالفتح المدعو الحفيان مال الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدى محمد الشرقى العمرى رحمه الله تعالى ورضى عنه ، رحل من بلده فى طلب العلم إلى مراكش فأخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولى الصالح الزاهد الورع الاستاذ المبرز سيدى محمد بن عبد السلام الشرقى دفين روضة القطب الاكبر سيدى محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه وسمع بها شيئا من الحديث ثم رحل إلى فاس فأقام بها مدة وقرأ بها على غير واحد من مشايخها وفى هذه المدة لقى الشيخ رضى الله عنه وأخذ عنه ورده وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهراً ، وحدثنى قدس سره عن سبب اجتماعه بالشيخ وأخذه عنه فقال كان لى رفيق من الطلبة من أولاد أبى السباع وكان قد أخذ عن الشيخ رضى الله عنه ورده وانخرط فى سلك أهل طريقته ، فكنت إذا وجدته يذكر أوراده وهو على غاية ما يكون من الخشوع والحضور وغض الطرف والاستغراق فى الذكر أهزأ به كالمداعب له وأقول له أى شىء تصنع وما هذا الشغل الذى أنت فيه فكان يصبر لى ويستمر على عمله فإذا قضى غرضه من ذلك أقبل علىّ وذكرنى وتلطف معى فى الوعظ والتنفير عن الاستهزاء بأهل نسبة الله تعالى وربما ذكر لى الشيخ رضى الله عنه بما يرغبنى فى الأخذ عنه . فلما كان ذات ليلة وقد فعلت معه مثل ذلك وبالغت فيه التفت إلى بعد ماقضى ذكره وكلمنى فى ذلك وذكرنى بجد وبعض تعنيف على وجه النصيحة لى فلم أشعر أن قلت له إن أردت أن أدخل معك فى هذا الأمر فأرنى كرامة يطمئن بها قلبى لما تقوله فقال لى وهل أنت فاعل إن رأيت كرامة فقلت نعم إن شاء الله وقد كان مضى من الليل القدر الذى ينام الناس فيه وتسد أبواب السكك بحيث لايفتح الموكلون بغلقها إلا لمن عرفوا أنه من أهل الحومة مثلا بعد مشقة تلحقه معهم فى ذلك كما هو معلوم قال فتوافقت

مع الرفيق المذكور على أننا إن قصدنا دار الشيخ رضى الله عنه فى ذلك الوقت ولم يتعزر لنا فتح الأبواب التى بين المدرسة التى نحن نازلون بها وبين داره وهى كثيرة ولايتعذر علينا أيضا لقى الشيخ فى ذلك الوقت فإن ذلك يكفينى كرامة ولا أرجع حتى ءاخذ عنه رضى الله عنه فنهض الرفيق بشدة عزم وقال قم بنا ففتحنا المدرسة وخرجنا قاصدين دار الشيخ رضى الله عنه فكلما أقبلنا على باب درب أو سوق وجدناه مفتوحا وكذلك حوانيت أهل الأسواق مفتوحة والمصابيح موقودة بها وأنا لا أشك أن ذلك ليس من عادة أهل البلد وأن ذلك خرق عادة فأخذنى من ذلك رعب عظيم ولم نزل كذلك حتى أقبلنا على باب دار الشيخ رضى الله عنه فإذا الضوء يظهر لنا ببابها فلما انتهينا إلى الباب استأذن الرفيق فإذا الشيخ رضى الله عنه جالس كالمتهىء للقينا المنتظر لنا فأدينا الواجب من التسليم عليه وجلسنا بين يديه فرحب بنا وأقبل بكليته علينا ثم طلبت منه التلقين فمنّ الله تعالى علىّ بمساعدته لى على أحسن ماينبغى فى الحين ثم رجعنا والأبواب على حالها وكذلك الحوانيت فلما دخلنا المدرسة سمعنا بعض المؤذنين بالقرويين ممن عادته أن لا يؤذن إلا بعد مضى ثلث الليل قال صاحب الترجمة قدس الله ثراه وهذا أول خارق اتفق لى مع الشيخ رضى الله عنه ثم شاهدت بعد ذلك مالا يكاد ينحصر قلت وقد حدثنى من ذلك بشىء كثير وقد أثبت بعضه فى هذا التقييد ولا يمكننى استيفاء ترجمته تفصيلا الآن والله المستعان انتهى

وإنما لم يبسط فى البغية ترجمته لأنه من عائلته وقرابته وبسط الكلام فيه يؤدى إلى التزكية فتنكب بسط كراماته فيها قصدا للخمول ولنترجم هنا لصاحب البغية رضى الله عنه استطرادا فأقول :

استطراد بطرف من ترجمة سيدى العربى بن السائح

هو العارف الذى جرت ينابيع المعارف من صدره ، البحر المتلاطمة أمواج علمه وسره الولى الشهير والقدوة الكبير العارف بالله والدال عليه فى سره ونجواه أبو المكارم الشيخ سيدى محمد العربى بن السائح الشرقى العمرى نسبة التجانى مشربا نفعنا الله ببركاته ومنحنا من عظيم نفحاته كان من العلماء العاملين والأولياء الكاملين والعارفين الواصلين والهادين المهتدين والراشدين المرشدين جعله الله من الذين جمع

فيهم العلوم اللدنية واللطائف السنية والكرامات الظاهرة والمناقب الفاخرة حتى شهد له بالفتح الأكبر عداه حيث اجتمع فيه من المفاخر ماتفرق فيمن عداه وهو أحد خلفاء سيدنا رضى الله عنه الذين ربح على يدهم خلق كثير فى هذه الطريقة وفتح بهم كنوز الأسرار والحقيقة وكان رضى الله عنه متيما بحب هذه الطريقة الربانية ذات المواهب العرفانية ولقد أفصح عن مقامه فى قوله :

سكرت ولم يشعر صحابى كلهم ... بأى شراب كان من دونهم سكرى
وما بشمول كان سكرى وإنما ... شمائل محبوبى شمالى لو تدرى
فمن يغتبق صرف المدام معتقا ... فمقتنى ذكرى خلائقه الغر
لذاك تراهم يطربون هنيئة ... واطرب من ذكرى حلاه مدى الدهر
ولاعتب أن يمسى الشجىّ معربدا ... وماذا عليه فى الخلى أو الغمر
فعند هبوب الساريات من الحمى ... تميل غصون البان لا الصلد من صخر
وأنى يلذ الحب دون تهتك ... والقاء جلباب الوقار ورا الظهر
ألا فاسقنى خمرا وكن لى مسعدا ... بقولك هى الخمر تستوجبن شكرى
وما أنا بالراضى لنفسى أن يرى ... لها فى هوى المحبوب ميلى إلى الستر
ومالى وقد خصصت منه بما به ... أفاخر طول الدهر كل ذوى الفخر
فلا أوحش الرحمن ربعى من سنا ... محياه ماحيّا الربى وابل القطر
وما حن ذو وجد إلى أرج اللقا ... إذا هب عرف الياسمين أو الزهر

وكان يكنى عن هذه الطريقة بالشراب والراح ويغرى أصحابه لاكتساب الراحة بإدارة كؤسها على الراح ومن ذلك قوله :

واصل شراب خليفة الأمجاد ... واترك مقال أخى هوى وعناد
صفراء تسطع فى الكؤوس كأنها ... شمس تبدت فى ذرى الأطواد
وكأنها فى حسنها وصفائها ... من عسجد عصرت بأعصر عاد
ما إن بدت فى محفل إلا بدا ... فيه السرور ينـاط بالإسعاد
لايعترى ندماءها ندم ولا ... يشكون من ملل بطول تمادى
فكأنها أم بهم قد أنجبت ... لكريم فحل فى نقىّ مهاد
غذتهم در الصفا وسقتهم ... منها لبـاب محبـة ووداد

فتناسقت أخلاقهم وتوافقت ... اراؤهم فى عفـــة ورشاد
تدعى الأتاى وذاك رمز ظاهر ... يدريه من يدرى من الأمجاد
أيقاظ فكر ثم تهذيب الحجا ... مع يسر إنفاق بدون نفاد
فادأب عليهـــا ما حييت فإنها ... تجلو متى جليت صدى الأنكاد
واترك رواية معضل فى شأنها ... وارو المسلسل موصل الإسناد

ولصاحب الترجمة رضى الله عنه تآليف عديدة وتقاييد مقيدة وقصائد تسحر الألباب بما لودونت وحدها هنا اضاق عنها هذا الكتاب فالنكتف هنا بذكر نبذة تبركا بكلامه رضى الله عنه فمن ذلك قوله :

الله أكبر لاكبـــير سواه ... جلت محـــامده وعز ثناه
هادى العباد إلى سنا عرفانه ... لولا التفضل ما اهتدوا لسناه
ملك الملوك وحكمه فى خلقه ... ماض فلا حكم يرى لسواه
وهو السلام فلم يزل متقدسا ... ذاتا ووصفا فى كمال غنـــاه
سبحانه القدوس فى حضراته ... عن كل مالاينبغى لعـــلاه
حقا رداء الكبرياء له فما ... أردى المنازع فيــه ما أشقاه
وهو الحفيظ لنا وليس يؤوده ... فى أرضــه حفظ ولا بسماه
وهو اللطيف لما يشاء حقيقة ... من حفه باللطف منه كفـــاه
حسبى العليم بكنه حالى كافيا ... فى كل ما أرجوه أو أخشاه
ياحى ياقيـــوم يامن كلما ... ناداه مـضطـــر أجاب دعاه
أنت الجليل الفرد والصمد الذى ... يعطى الذى يدعوه كل مناه
يا ربنـــا يا ربنـــا يا ربنـــا ... يـــارب يارب يارباه
يارب الذات العلية باسمهـــا ... بمصون سر فيـــه يا غوثاه
اكشف كروب المسلمين جميعهم ... واغثهم منا بنصرك ياهو
واكبت مصر الكيد واردد كيده ... فى نحـــره وبلاه ما أرداه
وصل حبيبك من سرى فى ليلة ... لعلاك فابتهج العـــلا لسراه
أزكى الصلاة مع السلام المرتضى ... ما أشرقت أرض النهى لسناه
والآل والأصحاب ماداع دعا ... بادى الضراعة فاستجيب دعاه

وله هذه الأبيات المتوج أوائلها بحروف اسم الصحابي الجليل سيدنا عمران ابن حصين الذى ورد فيه أن من عرف اسمه دخل الجنة وهى :

عودتنى منك إحسانا وثقت به ... وحاش فضلك أن أراه ممنوعا
مازلت تولى العطا لمن عصاك ولم ... يكن عطاك لأجل الذنب مقطوعا
رب البرية يامن لم يزل أبدا ... دعاء كل امرىء دعاه مسموعا
إنى دعوتك مضطرا أخا كمد ... ركن اصطبارى أضحى منه مصدوعا
نفسه عنى يامولاى عن عجل ... حتى أرى غيمه فى الحين مقلوعا
إنى سألتك بالمختار أفضل من ... به كفيت الورى أذى وترويعا
بحر المكارم تاج الرسل خاتمهم ... من لم يزل ذكره لديك مرفوعا
نور الهدى من بدا فى أصل فطرته ... على التقى والحيا والزهد مطبوعا
حماه أوسع بى إن أزمة دهمت ... وظل من أجلها ذو الحلم مصروعا
صل عليه إلاهى كل آونة ... مادام للجود والإحسان ينبوعا
يارب وارض عن الصحاب أفضل من . بذكرهم ظل باب الفتح مقروعا
ناهيك من سادة حازوا الكمال بمنه . ساد الخلائق تابعا ومتبوعا

ومن نظمه فى التحذير من مخالطة المنكرين على أهل الله .

الا لاتركنن أبدا لقال ... لأهل الله ذى قيل وقال
وحاذر أن ترى مادمت حيا ... بحى المنكرين أخا احتفال
ولا تأمنهم والزم جفاهم ... وصارمهم على مر الليالى
فان السم يسرى من عيون ... لهم أدهى وأنفذ من نبال
وكم سلب الإرادة من مريد ... بقربهم فيالك من وبال
فقطع حبال وصلهم جهارا ... وأسقهم النكال ولا تبال
فان الله آذنهم بحرب ... كما قد صح عن خير الرجال

وقال فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

إليك رسول الله ياملجأ العانى ... لجأنا حيارى من هموم وأحزان
فلا تسلمنا إللنوائب واشفعن ... لنا عند رب واسع الفضل منان
فأنت لنا نعم الشفيع وما لنا ... سواك ولى نرتجيه لذا الشأن

عليك صلاة الله ما لجأ الورى إليك ففازوا باقتراب ورضوان
وآلك طرا والصحاب وكل من تلاهم إلى يوم الجزاء بإحسان

وقال فى مدحه صلى الله عليه وسلم مخمسا القصيدة المسماة بأبيات الأمان فى مدح سيد بنى عدنان المنسوبة للعارف بالله القطب الشهير أبى عبد الله الإمام الخروبى الطرابلسى الذى قال فى حقه سيدنا رضى الله عنه الخروبى الطرابلسى كان قطبا وسأل النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة فى أهل عصره فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها ولدى محمد يعنى محمد بن عبد الله الشريف دفين وزان اهـ ونصها فى التخميس وهو:

لئن ألمت بهذا العبد كربته وأرقته لما يلقاه غربته
فأنت مأوى الغريب انعم أسرته ياسيدا جعلت فى الأرض تربته
مع أن رتبته من أعظم الرتب

أوفى الخلائق أنت أنت أجودهم وأنت أنت لدى الإله أحمدهم
فمن بقربك فاز فهو أسعدهم ليأمن الناس إذ فيهم محمدهم
من كل خسف ومكروه من النوب

قد أفصح الذكر تحقيقا بأمنهم وذاك كون الرسول بين أظهرهم
فهو المرجى لديهم عند نكبتهم وإن أصابهم مكر ألم بهم
لاذوا به فنجوا من سائر الكرب

يافوز من صار قصده له شغلا حتى توطن فى جواره نزلا
هناك لايشتكى جورا ولا عدلا أكرم بتربته بين الأنام علا
لأنها جمعت أعضاء خير نبى

تاج العوالم بل مصباح نورهم أمن الخلائق بل حياة كونهم
قطب النبيين بل يعسوب سرهم محمد سيد السادات كلهم
الطيب الطاهر الأعراق والنسب

من قد سما للعلا فوق كل سما فنال من ربه الأسرار والحكما
فأى قدر يضاهى قدره عظما روحى الفداء لقبر حل فيه وما
مقدار روحى فتفدى أشرف الرتب

إنى إذا نابنى خطب له ضرعت أولو النهى وقوام له انصدعت
ناديت فانجلت الأحزان وانقشعت يا أكرم الخلق مسكين قد انقطعت
أسبابه من سوى علياك فاستجب

لولاك ما كانت الأسرار سارية ولا سقى الغيث أرجاء وأندية
ولا استجاب لنا الإله أدعية يا أعظم الخلق عند الله منزلة
يا ابن الكرام العظام السادة النجب

كم فاز ذو أمل بنجح مطلبه كنت المؤمل فى حصول مرغبه
وكم غبى أغثته ومنتبه بك استجرنا فنعم المستجار به
وحق ربى من استعطاك لم يخب

ولم تزل كرما للحق ترشدنا وفى الشدائد والكروب تنجدنا
وإن سألناك بالمطلوب تسعدنا فأنت ذو الجود والإكرام سيدنا
وأنت أنت ملاذ العجم والعرب

ياخير هاد دعا فأوضح السبلا وخير من قام للإله مبتهلا
ومن به كل حسن فى الورى كملا منى عليك الصلاة والسلام على
مر الليالى مع الأيام والحقب

وكان كثيرا مايوصى بأن ينشد على لسانه فى زيارة سيدنا رضى الله عنه :

وجهت ذلى لكم شفيعا وجئتكم سامعا مطيعا
يا سادتى فارحموا خضوعى بفضلكم واجبروا الصديعا

وأتى يوما لزيارة سيدنا رضى الله عنه فأنشأ يقول فى طريقه :

يممت خيرك يا ابن سالم الرضى من بعدأرس فى نوالك أرغب
إن الكريم إذا ألم ببابه ضيف يعجل بالقرى ويرحب

ولما وضع رجله بباب الزاوية المباركة للدخول أنشأ يقول :

أتيت إلى بابكم فزعا وليس لغيركم من فزع
فمنوا بدفع الذى أشتكى ليسكن قلبى من ذا الجزع
فأنتم أنتم أهل الوفا وحاشا لديكم يخيب الطمع

وقد رسمت هذه الأبيات الثلاثة فى وجه الجدار المرصع بالتزليج المرونق

المحاذى للباب القديم خارج الزاوية المباركة بتاريخ أواخر عام ١٣٢٤ بعد ماتم بناء المزارة الميمونة ونقش أيضا فوق التزليج الدائر خارج البابين فى الجبص المذهب قول شيخنا العلامة الرئيس سيدى الحاج عبد الكريم بنيس وقد ضمنه التاريخ بالعجز الأخير .

يا قاصد الختم من باب كملتزم ۞ بشراك قف سائلا فأنت فى حرم
ما خاب من جاء يرجو فى مطالبه ۞ من فيض أحمد بحر الجود والكرم
احطط رحالك فى رحاب ساحته ۞ تنل جوار التجانى المفرد العلم
واخضع له وتأدب فى زيارته ۞ فأنت فى كنف وخير معتصم
وكن على ثقة إذا حللت به ۞ أن السعادة قد عمتك فى القدم
هذا المقام بفاس يامؤرخه ۞ حرز لها من جميع البتر والنقم

وقد كان استعمل أبياتا لترسم هناك محبنا أديب الزمان وفريد العصر والأوان الشاعر المطبوع ذو المقالات العجيبة والاختراعات الانشائية الغريبة سيدى الحاج محمد بوعشرين بطلب المعلم الذى صنعها لكنها لم ترسم هناك وهى هذه

ياسائلا بتتوج التيجان ۞ دع عنك ذا واخضع إلى التجانى
فرد الورى ليث الشرى عالى الذرى ۞ مولاى أحمد وارث العدنان
وادع الإله بوقفة فى بابه ۞ تحظى بخير دائم وأمان
فيه أبو العشرين قال مؤرخا ۞ كملت مزارته لنا بزمان

ولصاحب هذه الأبيات المؤرخة قصيدة عجيبة الصنع مرونقة الوضع يقول فيها بعد التخلص لمدح سيدنا رضى الله عنه :

أبو العباس أحمد نور فاس ۞ ملاذ الطالبين بكل آن
جواد جوده أجرى بعزم ۞ جواد المدح من مرخى العنان
همام الأولياء إمام علم ۞ سموح الصالحين أمان جان
إذا عد الورى أقطاب دهر ۞ إليه يشار فى عقد البنان
وإن ذكر المناط بكشف غيب ۞ فعنه يقال فيه بترجمان
دعا لسيادة المولى وذكر ۞ فلبى قوله قاص ودان
إلى أن طاف فى شرق وغرب ۞ مناد صيته بعلا مكان

تبوأ من دعاه مقام صدق | فباء به إلى غرف الجنان
فساحة قبره سادت بفيض | من البركات لايعزى لشان
وزاوية له بين الزوايـا | حكت حرم الصفا بعظيم شأن
كأن إقامة الصلوات فيها | وقوف للحجيج بلا توان
كأن الذكر فيها حين يبدو | ملائكة تسبح باللسان
كأن سواريا أوقفن فيها | جوار قمن مع أدب التدانى
كأن مصابحا فيها أضاءت | نجوم سما أصيغت من جمان
كأن مثال صحن فى ذراها | جداول وفق أسرار المبانى
كأن أنا بها صبت بماء | بها عينان منها تجريان
كأن مكانة الأبواب منها | كهوف شاهقات الأمان
كأن مزارة ببديع نقش | عقود نحور حور فى الغوانى
بها قد قمت فى خطب أنادى | لحامى الجار ملجأ كل عان
أبا العباس غوثا ثم عطفا | لجارك بالبليدة فى المغانى
لقد قهرته أيدى الدهر طلما | وقد طعنت كطعنات السنان
فسل مولاك فى إذهاب مابى | فإنك خير موف للتهان
واسأله بجاهك برأ دائى | وإتحافى بإحراز الأمانى
عليك من الرحيم دوام وبل | من الرحمات ماقيل الأغانى
وأختم بالصلاة كذا سلام | على طه المجمل بالأذان
وآل ثم أصحاب وحزب | مدى قول ابن عشرين اليمانى

ولنذكر هنا من رسائل صاحب الترجمة قدس سره رسالة لطيفة أجاب بها بعض الفضلاء من أصحابه عن عجز البيت الأخير الجارى مجرى المثل من البيتين المتقدمين فى ترجمة قائلهما الولى الصالح والنور الواضح أبى عبد الله سيدى محمد العربى بردلة رضى الله عنه بعثها من مكناسة الزيتون الأخ الصادق والخليل الموافق الأديب الأوحد والكاتب الأمجد سيدى محمد الغالى السنتيسى حفظه الله ورعاه وأخصب فى ربوع المعارف مرعاه ونصها مع اختصار يسير لأجل الارتباط ابياض يوجد فى المنتسخ منه وهو :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله وآله الأكرمين وصحبه الطيبين بعد السلام التام وتاليه عليك أيها الأخ الصادق الأديب السابق قد ذكرت لنا أنه جرى في مذاكرة بعض السادة الجلة التاركين سفساف الأمور ترك الطي ظله ذكر قولهم في المثل إن الهموم بقدر الهمم فجنح بعض من حضر إلى أنه لا يحسن التمثل به عند أهل المعرفة الكاملة ولا يعتبر ، وكأنه وفقنا الله وإياه رأى أن الكامل لا هم له لكمال تفويضه واستسلامه وفنائه عن مراداته لمرادات الحق وأحكامه وهو وإن كان كذلك وفوق ذلك فإنه يحسن منه التمثل به أكثر من غيره ممن لم يخض تلك المسالك كما يتضح لك بالتقرير والله المستعان وإياه أستقدر وأستخير غير خاف أن الأمثال الشعرية وماجرى مجراها منها ما يكون في البيت برمته ومنها مايكون في مصراعه ومنها ما يكون في أقل من ذلك وهذا مصراع بيت من البيتين الشهيرين :

وقائله لم عرتك الهموم … وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت ذريني على حالتي … فإن الهموم بقدر الهمم

كما أنه غير خاف أن الهموم جمع هم وهو أحد الخواطر الخمسة الشهيرة ذكرا وترتيبا وأحكاما فلا نطيل بها والهم القصد والعزم ومنه قوله :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني … تركت على عثمان تبكي حلائله

وقولهم لا أفعله ولا كيدا ولا هما أي ولا أكاد أفعله كيدا ولا أهم به هما قاله سيبويه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه انتهى ذكره العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ثم إن الأمر المهم لا يخلو إما أن يتيسر وهذا بيّن وإما أن يتعسر أو يتعذر فيلازم المهتم به تنغيص كبير وشغل فكر به وذهول عقل فيه فيطلق على هذه الحالة أيضا هم فيقال فلان مهموم وعلته هموم أي استولت عليه فظهر آثارها على وجهه وسائر حواسه وعلى هذه الحالة قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب … وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وقوله في بيت المثل وقائلة الخ . ومعناه أن الهموم بقدر الهمم كثرة وعظما فكلما كثرت همم الانسان وعظمت كثرت همومه وعظمت ولا محالة أن الإنسان إذا كان غير متعلق بمعالي الأمور وإنما همته في سفسافها وأدناها رضي منه بالعجز

وإخلادا إلى الدعة وفرحا بالسلامة وتسليمه ذلك لأهل الكد والنصب قلت همومه بخلاف ما إذا كان متعلقا بمعالى الأمور كلفا بها فى الورود والصدور جادا فى طلب المحامد ومقتفيا من المكارم الطارف والتالد فإنه تعظم همومه بقدر عظم ذلك وكثرة ماهنالك فظهر أن مراد الشاعر التبجح والافتخار لا بمجرد التمسك بالاعتذار فإن كثرة الهموم وإن كانت مكروهة بالطبع فإنها محمودة من حيث ما نشأت عنه وتسببت عن وجوده لأن كل واحد لايتعلق إلا بما يناسبه ويشاكله كما تدل على مايصير إليه حاله . وإذا ظهر لك معنى المثل فينبغى أن تعلم أنه لايخلو كريم نفس عن هم أبدا لأن نفسه مجبولة على ابتغاء المكارم وهى من حيث كونها آثارا لأسماء الله تعالى لاتتناهى كذلك همومه ولابد من مثال يسفر بعض الأسفار عن مخدرات الاجمال ، فأما فى بساط أهل الطريق المنطوى على سر الحكمة الباهرة فمثال ذلك المهتم به العلم وهو أشرف المهمات وهو كما تقدم الإيماء إليه ونص عليه غير واحد لاغاية له ينتهى إليها ولا احد يحيط به وفوق كل من ذوى العلم عليم ومنتهى العلم إلى الله القديم فهمومه لامحالة غير شابع وكالإمارة مثلا وما اشتملت عليه من جميل الأوصاف عقلا وحلما ونجدة وشجاعة وسياسة وغير ذلك مما يطول تفصيله وشرحه وغير الإمارة من المناصب الشريفة وفى هذا البساط يورد أكثر الناس المثل وغير خاف أن هذا ونحوه كله أمر دينى شرعى مع صحة النية فيه والقيام فيه بالأوامر الشرعية فعلا وتركا فهو أولى ما يهتم به ويتبجح بالاتصاف بالكد والنصب فى طلبه وأما فى بساط أهل الباطن النافضين أيديهم مما سوى الله تعالى فى سائر المواطن فمثاله أيضا فى حق أهل البدايات أنه لايقطع المريد السالك مرتبة إلا ويحصل له الاستعداد لما فوقها وهكذا فى سائر مراتب النفس المبينة فى بساط السلوك فبقدر ذلك الاستعداد الذى هو همته فى مقامه يكثر ويعظم همه وهذا ظاهر واضح فإذا بلغ درجة الكمال وصار من أهل النهايات وخواص الرجال كان استعداده أقوى وأعظم لأنه مستعد حينئذ لتوالى التجليات واختلاف صورها فى مقام الشهود فافهم :

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة فدعه مصونا بالجمال محجبا

فيعظم همه فى هذا المقام بقدره وذلك من أجل أن معرفة الله لانهاية لها إذ لايعرف الله إلا الله وغاية مايصله الواصلون منها مقام الحيرة انتهى عقل العقلاء.

إلى الحيرة رب زدنى فيك تحيرا . قال بعض الأكابر الكمل أى وال تجلياتك على ولأن الكمال الذى لايقبل الزيادة لايكون إلا لله تعالى فافهم و تعلم أن اهتمام الكامل بالزيادة من هذه الحيرة أعظم هم وأجله وناهيك بأمر به اهتم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وطلبت الزيادة منه لكن الهم فى الكامل هنا على مايناسب مقامه ويليق بجلالة قدره ولكل مقام مقال وكذلك يعظم هم الكامل أيضا من أجل مايجب عليه من أداء الشكر فى مقامه فهو يهتم بذلك دائما كما أشار إليه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نقله عن الشيخ محى الدين بن العربى الحاتمى ونصه : العارف يأكل الحلواء والعسل فى هذه الدار والكامل المحق يأكل فيها الحنظل فهو كثير التنغيص لايتلذذ فى الدنيا بنعمة أبدا اشغله بما كلفه الله به من الشكر عليها فالعارفون كالأطفال بالنسبة إلى هؤلاء الكمل فما بالك بغير العارفين انتهى .

نحى على جمعى القديم الذى به وجدت كهول الحى أطفال صبوتى

ومما يدل لما أشرنا إليه من أن الزيادة لابد من طلبها فى مقام الكمال قوله تعالى (وقل رب زدنى علما)

قال بعض المحققين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول رب زدنى علما ولم يأمره به إلى وقت معين فهو دائما دنيا وأخرى بدليل فأحمد ربى بمحامد يعلمنيها لا أعلمها الآن .

وإذا كان الله خلاقا إلى غير نهاية فالعلوم إلى غير نهاية انتهى . وعلى هذا مذهب من لم يقل بالرى من كمل العارفين ، وهناك من قال به وهم على مقالة الشيخ الأكبر ابن العربى : الأولياء المكشوف لهم عن عالم الحياة الدنيا وطول مدتها ، ولما سمع الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه قول بعضهم أعنى القائلين بالرى مخبرا عن نفسه بحصوله قال الكامل من يتحسى البحار ولسانه خارج من العطش اه بمعناه على طول عهد به وإلى هذين المذهبين أشار قائلهم بقوله :

الرى نال به قوم وليس لهم علم بأن وجود الرى معدوم
لوكان رى تناهى الأمر وانقطعت أمداده وزيادات وتعليم
والأمر ليس له حد يحيط به ولكن الرزق فى الأشخاص مقسوم

وهذا الذى تيسر مما أوجب على العبيد الأسعاف به خالص محبتكم وصفاء مودتكم وإن كنت حفظك الله استسمنت فى هذا البحث ذا ورم ونفخت فى غير ضرم فلولا أكيد إخوتكم ما كتبت فى هذا حرفا واحدا ولا أعملت فيه فكرا ولاساعدا لعلمى بأنى لا آتى إلا بما لا حاصل تحته على أنى أتمثل حيث لامندوحة عن الأسعاف بقول القائل :

ترك التكلف فيما قد أتيت به أولى من المطل والإخلاف والكسل

واعوذ بالله أن يكون ما كتبته هوى متبعا وداء كمينا مخبئاً وهو حسبى ونعم الوكيل انتهى

وقد ذكرنا فى غير ما ترجمة من هذا الكتاب طرفا من الفوائد المروية عنه وغير ذلك مما نقلناه من تآليفه بغية المستفيد المشهور فضلها عند كل مريد ، وقد مدحها غير واحد من أفاضل الإخوان منهم شيخنا العلامة الرئيس سيدى الحاج عبد الكريم بنيس حين ختمها بالمطالعة بقوله متعرضا لمدح سيدنا رضى الله عنه

عطفت بعد مطلها بوصال ثم حيت بمنطق كاللآلى
فشفت من بعادها كل مضنى ذا غرام عن ودها غير سال
قد شغفت بحبهـا ومنائى منيتى ووصالها نجح حالى
جمعت من جواهر العلم جما فى نظام أتى بسحر حلال
توجتها بشرحها بغية ابن السـائح العربى الفتى المفضال
لجبا من بحار أنقال علم دررا لانسام بالأموال
وتصدى بها لحفظ طريق منهج الشرع نهجها المتوالى
هى مثلى أتى بها نجل طه أحمد الختم شامخ الأفضال
التجانى خاتم الأوليا المكـ ـتوم شمس شعاعها متوالى
عن نبى الهدى مباشرة دو ن شيوخ ومسند الأقوال
يقظة عن شفاهه دون مين تلك عطفة سيد الأرسال
ومتى الاتصال منه تأتى لحبال عدولنا لانفصال
فهنيئا به لأصحابه الغـر فكم أحرزوا بحسن امتثال
قال خير الورى له أنت حسبى والموالى لديكم لى موالى

فبجـــاه الرسول خير البرايا وشفيع العباد يوم النكال
لاتخيب إلاهنـا فيك قصدا وأدم وصلنـا بختم الرجال
فاتح الكون خاتم الرسل هادى الـ منهج الحنفى فى الأوحال
فعليه أزكى صلاة بلا حصـ ـر وطيب تحية بكمال
وعلى صحبـه الكرام وءال ثم أصهـاره وكل موالى

توفى رضى الله عنه فى انسلاخ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٩ وقد رثاه بعض الأفاضل بقوله :

إن لم تفض مهجتى من العيون دما حتى تذوب جوى تغدو به عدما
وتنثر العين من بعد العقيق لما إنسانها وتفض حشاشتى سقما
فما اهتديت ولاقضيت واجب من تزداد علياؤه طول المدى عظما
وصرت من كافى أقول وا أسفا وأقرع السن من فرط الأسى ندما
فنح أخى وانحب وانشد معاهده واسكب دموعا تحاكى وقعها الديما
وقل مقال شجى القلب مكتئب موله يشتكى التبريح والألما
قد صدع البين والتبريح مهجته فبات مصطلما بالبين مضطرما
أأيقظت طرق الأسماع ماذهلت له المراضع أم قد كان ذا حلما
بالله ياصاحبى صحح لنا نبئا قد هالنا خطبه مما به دهما
هل غوث هذى البرايا قد دعاه إلى الرضوان رب حباه بالرضى كرما
محمد السايح العربى الشهـير ملا ذ العارفين ومن قد فاقهم شيما
تنمى إلى عمر الفاروق نسبته أكرم به نسبا فى الخافقين سما
شيخ الطريقة ينبوع الحقيقة محـ ـمود الطوية مبـدأ ومختتما
أستاذنا وإمامنا وقدوتنا وشيخنا من به افتخـارنا عظما
عنقاء مغربنا الأرضى المبرز فى اخـ ـتصاصه بالعلا نصا كما علما
غوث الصريخ ومنية المريد بل وبغية المستفيد للعلا وحمى
فرد الجلالة واضح الدلالة مشـ ـهور الكرامة بالتقوى قد اتسما
سرت سرى الشمس فى الإشراق سيرته
يافوز عبـد بها عن نفسه حكما

جلت عن الحصر إعظاما مفاخره   علت له همم أعظــم به هما
عزت عن الفهم إدراكا مآثره   إذ كلهـا غرر أبدى بها حكما
فمـا ألذ وما أحلى شمائله   لله ما أكرم الأخلاق والشيما
إن غاب شخصك عن عيني وأنت بها   فإنه بسواد القلب «١» قد رسما
وكان في رؤية العيان مطلبنا   فحال من دونها القضا الذي حتما
غيبت عنا وقد خلفتنا هملا   فوضى سكارى حيارى يقطرن دما
كنت المفيض علينا من معينك ما   يروى وكنا إلى ذاك المعين ظما
وكنت والد قلبنا نؤدبنا   تأديب ذي ورع بالفضل قد وسما
كما تهذبنا تهذيب ذي خلق   سمح كريم وأنت ذاك ذلك ما «٢»
كنت الطبيب لجسم داء قسوتنا   فمن لنا بطبيب يبرىء السقما
والكل في غبطة بما به شرف   مستوهبا منحا مستمطرا نعما
مولاي يامطلع الأنوار ياسندي   يامظهرا لسنا السر الذي كتما
كنت الخليفة للقطب الشهير أبي العباس من لمقــام الختم قد ختما
غوث البرايا وكتم العارفين ومن   بالسبق حاز المعالي مفردا علما
أعني التجاني ممن الأولياء ومن   يارث سر النبي اختص واعتصما
له مقــام عظيم لايسامته   فيه ولي ولا قطب عـلا وسما
سبط الرسول رسول الله قدوته   أعظم به شرفا لنا ومغتنما
ومن يكن لحبيب المصطفى شرفا   خليفـه وحبيبا للكمال سما
مولاي بالمصطفى الهادي الشفيع ومن   له الشفاعة فيمن جار واجترما
أكون من حزب مولانا الخليفة مع   أفراد أعيانه في السلك منتظما
حتى يبوئني دار الكرامة في   أعلا الفراديس مقبولا ومحترما
مع صحبه وذوي التقى عشيرته   وكل من حبه بالقلب واحترما
سقاك رب البرايا صوب مرحمة   يغشى ضريحك منهلا ومنسجما
ولازال من الرحمن مغفرة   تؤم مثواك مامزن الغمام همى

وضريحه برباط الفتح مقصود الزيارة من كل بلاد وكل من حل بساحتـه نال

«١» نسخة العين «٢» فيه اكتفاء. واقتباس من قوله تعالى ذلك ما كنا نبغي

غاية المراد وفيه يقول بعض العلماء الجلة شفانا الله وإياه من كل علة .

هـذا ضريح السيد بن السـائح ذى الفضل والنور المبين اللائح
هذا مقام العارف المولى أبى الـــفيض المقدس ذى الثناء الفائح
هذا ضريح ضم بحرا لم يزل يرمى بموج بالمعارف طافح
من طبق الآفاق بالسر الذى عم الورى من حاضر أونازح
بدر الهداية صاحب الحق الذى يسطو لبكل مجـــالد ومكافح
هذا الذى أقذى عيون الحاسدين العمى عن نور الإله الواضح
هـذا الذى نصر الطريق الأحمـــدية بالبنان وباللسان الرامح
هذا الذى أعلى منار العلم والتـ قوى بقول للخفية شـــارح
هذا الذى مازال يرتاض العلا حتى تسنم كل صعب جامح
لايختشى جور الحوادث جاره كلا ولا كيد العـــدو الكاشح
من راح فى حاجاته لجنابه حمد السرى وغدا بقصد ناجح
ياسيدى يامن يهش جبينـــه بنزيـله هش الكريم المانح
إنى حللت حماك ضيفا طالبا أن لا أبوء سوى بسعى رابح
فاعطف علىّ وجد بما أملتـه واكف الهموم وادفعن مكافحى
فالله يجزيك الرضى من فضـله يا خير هـــاد للبرية ناصح
وعليك يابدر الكمال تحية موصولة مع كل غاد رائح
وصلاة رب العرش ثم سلامه أبدا على قـــبر النبى الفـاتح
وعلى صحابتـه الكرام وءاله الـــغر الهداة وكل عبـــد صالح

ولنذكر هنا جوابا وقفت عليه منقولا من خط الفقيه العلامة أبى عبـد الله سيدى محمدا كنسوس رحمه الله بعثه لصاحب الترجمة حيث سأله عن أمور يتفطن لها من قرأه ونصه : سلام عطر فواح خضل الغدو والرواح على المقام الذى طبق الكون إشراقا وطاب فروعا وإعراقا وعذب ثمارا وراق أزهارا وأورانا مقام سيدنا العلامة البركة فى كل سكون وحركة من ولج إلى حضرة المعارف من كل باب وأزال عن وجوه عرائسها الجلباب وأذهل الأذهان بما أبرز منها وحير الألباب وتصرف ما بين سماكها وسهاها وجرى فى ميادينها إلى منتهاها

له سور نلى من الحمد خطها   يداه العلا فى صفحة القمر السعد

أبى عبد الله سيدى محمد العربى بن السايح لازال طيب ثناء سيدنا يسير مع كل غاد ورائح . أما بعد: فإننا نحمد إليكم الله المحمود بألسنة الجماد الذى ليس لنا إلا على فضله الاعتماد، وقد وافانا مسطوركم الكريم مع فلان كما بلغنا أيضا قبله كتب أخر قد اقتضى العجز عن جوابها أن يترك لا أن يتأخر لهيبة المتجلى وسطوة المتولى وارتداد الطرف عن سماء ذلك الخطب عند فطورها، وضعف النفوس عند ارتكام تلك الأهوال واندكاك طورها أمور كقطع من الليل بواغث كما بغت النائم هجوم نسيل أمور صك بها الزمان صفاح الوجوه ولطم ، وساقها بالعوى سوق السوادة الحطم فسار عندها الرجل الحزم كصارم فى كف منهزم ، يفزع إلى ماتخيل من أسباب الصلاح كما فزع الجبان إلى السلاح ، وإلى الآن إذ هبت من تلقاء الرحمة والألطاف هذه البارقة ، فنسأل مولانا البر الرحيم أن يعم بها مغارب أرضنا ومشارقه ويكشف ... النقم عن هذه الأمة بجاه رسوله المبعوث رحمة للعالمين آمين

وما ذكرت سيدنا من السؤال عما ورد عن محمد بن اسماعيل بن مسلم فى زيارة أعظم الوسائل فوالله ما المسئول عنها بأعلم من السائل والظاهر من ذلك عند إجرائه على قواعد الصناعة أن الآية الشريفة وهى ولو أنهم إذ ظلموا إنما هى عند الافتتاح وأن التقييد بالعدد الذى هو سبعون إنما هو ما بعد ثم لا ما قبلها وإن كان الأفضل والأنجح هو تلاوة الآية مع كل فرد من أفراد العدد المذكور وما ذلك إلا زيادة خير ، وعلى ذلك حمل قول الشيخ سيدى احمد الهندى رضى الله عنه فإنه أرشد إلى ماهو الأكمل ، وذلك هو مبنى الطريقة وهو اتباع الاحسن دائما ، والله يديم لنا سعدكم فى عز وسرور والسلام اهـ

الفقيه سيدى محمد كنسوس

ولنترجم هنا لصاحب هذا الجواب فأقول والله المستعان ، هو علامة الزمان الذى لانظير له فى الأقران غواص بحار العلوم لاقتناء الطرائف وخائض لجج المعارف لادخار جواهر اللطائف أبو عبد الله سيدى محمد بن أحمد كنسوس القرشى الهاشمى الجعفرى رضى الله عنه . هذا السيد من جملة المشهود لهم بالفتح فى هذه الطريقة المحمدية المشتهر فضله بين الخاصة والعامة والموصوف بالولاية التامة القائم

في إرشاد العباد لطريق الرشاد على ساق الجد والاجتهاد لا تأخذه في الله لومة لائم وكان رحمه الله آية من آيات الله الباهرة بما أولاه الله من المناقب الفاخرة والكرامات الظاهرة والعلوم الزاخرة والأسرار والمعارف والفتوحات واللطائف والحقائق والرقائق والدقائق والخوارق للعادة بين الخلائق قد جمع الله له بين الدين والدنيا وأجلسه على منصة العز في العليا .

وكان في عنفوان شبابه عند أمير المؤمنين مولانا سليمان قدس الله روحه في الجنان بمكانة لاحظا بعين الإجلال مكانه ، وهو آخر وزرائه الأعيان وأجل مجالسيه الأعلام في السر والإعلان ، وقد كان أولا على الطريقة الناصرية ، وسبب أخذه لهذه الطريقة التجانية ذات المواهب العرفانية ما ذكره في غير ما تقييد من تآليفه ورسائله ، فمن ذلك قوله رضي الله عنه في جواب بعثه لبعض الفضلاء الجلة بعد صدر الكتاب ونصه :

قد بلغنا كتابكم الكريم فتبركنا به وهو حقيق أن يتبرك به ، وعلمنا ما أشرتم إليه فيه وما حصل عندكم من الحيرة والتوقف فيما ذكرتم فيه فاعلموا أيدكم الله أن طرق المشايخ رضوان الله عليهم كلها أبواب مفتوحة إلى حضرة مولانا الكريم موصلة إلى رضوانه ورحمته وهي بمنزلة الطرق المحسوسة المؤدية إلى محل واحد وهي مع ذلك مختلفة في القرب والبعد والسهولة والصعوبة والأمن والخوف وغلبة السلامة والعطب ، ولكل من المشايخ أصحاب مكتوبون في ديوانه لايسعدون إلا على يديه وربما طالت خدمة بعض المريدين لشيخ مدة مديدة ولايفتح له على يده لأنه لم يكتب من قسمته ، كما وقع للشيخ زروق في تلميذته أولا للشيخ سيدي عبد الله الزيتوني ثم تلمذ بعده للشيخ الحضرمي وعلى يده وقع له الفتح .

نعم العاقل لاتقرع له العصا ولاتطرق له الحصى بل يختار كلما أمكنه الاختيار يميز الغث من السمين ولايدين الله تعالى بمجرد التقليد كشأن العامة الذين يعذرون بالجهل .

وقد كنا نحن أولا على الطريقة الناصرية وذلك أنا وجدنا آباءنا على أمة فكنا على آثارهم ، وذلك أن لنا غاية الاتصال بذلك الجناب الطاهر العالي .

وسبب دخولي لهذه الطريقة المحمدية التجانية أنني لما كنت بفاس وسمعت مما

اعد الله تبارك وتعالى من الفضل لأهل هذه الطريقة على لسان إمامها رضى الله عنه مخبرا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأنها طريقة الفضل المحض . لما علم الله عجز أهل الزمان عن الاستقامة التامة التى كان عليها السلف الصالح فى الزمن الصالح أظهر بفضله وكرمه هذه الطريقة المحمدية التى هى طريقة الفضل فى هذا الزمان الفاسد ليسعد الله بها من شاء من أهل السعادة فلما علمت ذلك وفهمته وتمكن منى غاية ، وقعت فى حيرة أشد من حيرتك لأجل ذلك الاتصال البالغ الذى تقدم ذكره فلما أراد الله تبارك وتعالى زوال حيرتى أهل لى بعض الصالحين المجاذيب وهو سيدى أحمد الغزان رضى الله عنه وله عناية عظيمة بى وملازمة تامة وكان كلما لقينى يقول أنا أريد أن أردك إلى طريق المعرفة وأنت تهرب منها ويقول ذلك بعنف وصوت عال وربما سبنى ولو لقينى فى اليوم مرارا لابد أن يقول لى ذلك ، وفى آخر الأمر صار يقول لى والله إن لم تدخل لطريق المعرفة لأفعلن بك كذا وكذا يهددنى وأنا مع ذلك صعب على مفارقة ما كنت عليه ، ولما جاء الوقت لقينى بعض أهل العناية من أصحاب سيدنا أحمد التجانى رضى الله عنه وهو أيضا من أهل الولاية الشهيرة فأخذ بيدى وجعل يذكر لى من مناقب الشيخ وأحواله العالية وقال لى لابد لك من الدخول فى هذه الطريقة المحمدية أحببت أم كرهت فمشى بى إلى زاوية الشيخ رضى الله عنه وكان يوم الجمعة فلما دخلنا على باب الزاوية والناس يذكرون كان أول ما طرأ سمعى من المنشد قول القائل :

ردناك أحببناك هذا عطاؤنا   فامنن أو امسك أنت للحب منشأ

فلما أخذت الورد لقينى ذلك الولى المجذوب وجعل يضحك خارقا للعادة ويفرح فرحا شديدا وقال لى الآن وجبت عليك البشارة حيث رجعت من أصحاب سلطان انتهى . وأخبرتك بهذا لتعلم أن العاقل لا يتقيد بمجرد التقليد ويقول إنا وجدنا هذا مع آبائنا بل يختار كلما أمكنه الاختيار ، ويميز الغث من السمين والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم انتهى .

وقال أيضا فى رسالة أخرى يخاطب فيها بعض علماء الطريقة حين سأله عن سنده فيها ما نصه :

اعلم سيدى أننا أدركنا سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه ووجدناه بقيد

الحياة لما رحلنا لطلب العلم الشريف بحضرة فاس وذلك عام ١٢٢٩ وزرناه والحمد لله ودعا لنا بخير وسمعنا منه ورأينا وجهه السعيد مرارا وحضرنا جنازته وظفرنا بالصلاة عليه وذلك من أعظم فضل الله علينا وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ١٢٣٠ ولم نأخذ الطريقة إذ ذاك لأن الغرض حينئذ كان مصروفا لتحصيل العلم الشريف لاغير ثم أخذناها بعد ذلك عام ١٢٣٨ عن خاصة أصحابه المقدم الشريف البركة الصوام القوام سيدى ومولاى محمد الغالى أبى طالب الفاسى المتوفى فى حدود ١٢٤٤ بأحد الحرمين الشريفين طلع بعياله بقصد المجاورة رحمه الله تعالى ورضى عنه ثم أخذناها أيضا بقصد التبرك عن ولى الله العارف الكامل المتصرف الواصل الشريف الأصيل أبى عبد الله سيدى ومولاى محمد بن أبى النصر الفاسى دارا ومنشأ الحسينى أصلا وقد أذن لى رضي الله عنه فى جميع الأسماء والمسميات الخ ما أذن لى فيه ثم أخذناها أيضا بقصد التبرك عن البركة العارف بالله الذى ماذاق طعم المنام منذ فارق الشيخ رضي الله عنه وهو سيدنا ومولانا الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسى أحد خاصة الشيخ رضى الله عنه فقد أذن لى الأذن العام المطلق التام فى كل مفعول ومقول. وكتب لى بخطه الشريف التقديم وأذن لى أن أقدم من طلب التقديم بلاحصر وأذن لى فى جميع الأسرار التى خص بها من سيدنا رضى الله عنه لأنه كان خزانة سره وخزانة سر واسطته الأعظم الذى قال فيه الشيخ لايصل منا شيء لأحد إلا على يدى سيدى الحاج على حرازم براده وكان سيدى الحاج عبد الوهاب ملازما وخادما له وطلع معه إلى المشرق حتى توفى فى بدر ودفنه ثم رجع سيدى الحاج عبد الوهاب من المشرق وقد ظهرت عليه بركة صحبة سيدى الحاج على حرازم وبركة خدمته ثم لازم الشيخ رضى الله عنه حتى توفى راضيا عنه والحمد لله فهذا سندنا وصله الله لحضرة رضاه وقبوله وعصمنا من الانحراف والتبديل عن سوء السبيل اهـ

وقال فى كتابه الجواب المسكت بعد كلام مانصه : وهذا مع أننا والحمد لله قد لقينا شيخنا لقاء التبرك ورأيناه وزرناه ودعا لنا بالخير وسمعنا منه مانفتخر به ونتشرف به فى الدنيا والآخرة ، وأما الأخذ عنه إذ ذاك فلم نكن بصدده لأن ذلك فى حال الحداثة وحين السعى فى تحصيل ماقسم من علوم الرسوم والأحكام الشرعية وكنا نظن إذ ذاك أنه ليس الشيوخ إلا الذين تأخذ عنهم تلك الرسوم إلا

أن الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته أتاح لنا فى تلك الحالة إشراقة تهدى إلى محبته ومحبة أوليائه فكنت أسمع بعض أشياخى الصالحين الذين أقرأ عليهم يقول المرة بعد المرة إذا عنت عويصة من أقوال المفسرين أو المحدثين قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ويبالغ فى تعظيم ذكره فسألت الناس عن هذا الذى يعظمه الشيخ هذا التعظيم كلما ذكره فقيل لى ولى كبير الشأن متبحر فى العلوم ولا يسأل عن شىء من العلوم إلا أجاب بصريح الحق والصواب بلا روية ولا مراجعة كتاب فيكتب السائل جوابه من إملائه وحفظه كأنه يسرده من أصل صحيح فكنت أتعجب من ذلك وعلمت أن لله تعالى أولياء فزرع الله فى قلبي محبة الصالحين فلم أزل أسأل عنهم وعن أحوالهم وخصوصا شيخنا رضى الله عنه فأبحث عن أصحابه وأتلقى منهم أخباره وأحواله العجيبة فتربو محبة الله تعالى فى قلبي ويزداد شوقى وغرامى فلم يلبث الشيخ رضى الله عنه أن توفى إلى رضوان الله الأكبر وكراماته الباقية وكنت ممن حضر جنازته والصلاة عليه والحمد لله فلما أخذت طريقته المباركة عن وارث أنواره

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

الخ كلامه رضى الله عنه ولفرط محبة صاحب الترجمة فى سيدنا رضى الله عنه وفى طريقته المحمدية كان يضرب به المثل فيها وهو أحد القائمين على ساق الجد فى الذب عن حماها المنيع ورد تهورات كل شنيع وفيه يقول البكاى المختارى من قصيدة فى مدحه معرضا بطريقة سيدنا رضى الله عنه :

يهيم بها السامى عليها محمد ابـ ... ـن أحمد كنسوس الفتى من له الفخر
لقد زانها من فضله وجلاله ... بما لم تزنه لا افتراء ولا غدر

إلى أن قال :

وما عبت تجانية غير أننى ... حسود لعصفور مصاد له صقر

وقد أجاب صاحب الترجمة برسالته المشهورة بالجواب المسكت رادا عليه حين قصد التنكيت عليه بذلك فى دخوله لهذه الطريقة وصدر الجواب بقصيدة فى الوزن والقافية موافقة لقصيدته مع إغضاء الطرف عن معايبه يقول فى مطلعها :

دعت بعد ما أبدى مباسمه الفجر ... وزال عن الإشراق من ليله الحجر

مهفهفة يسبي العقول جمـالها　　　أنى لحظة سحر بلى إنه السحر

إلى أن قال :

أتأمل ذات الخال أنى ظـاعن　　　عن الحى لايقضى بما تأمل الدهر

وأنى للوادى المقـدس تارك　　　وتلك التى لا يستقل بها العذر

وهل نترك العيس الهوامى مسارحا　　　مباركها أمن ومنهلهـا غمر

وقد قرظ الجواب المذكور وبعثه لصاحب الترجمة العـلامة سيدى محمد بن الخليفة العلوى الشنجيطى يقول فيه :

الآن بان سبيل الرشد واتضحا　　　نور الهدى فاستفاق المنتشى وصحا

غضضت لاغض طرف قد نظرت به　　　طرفا إلى أولياء الله قد طمحا

جنحت للسلم إذ كافحت عن حرم الـ　　　ـمولى من امسى لحزب الله قد جنحا

أخمدت نار شقاق قد دعوك إلى　　　إيقادها فأبى الحلم الذى رجحا

فما أجبت إلى العوراء داعيهم　　　ولا استفزك منهم بارق لمحـا

لكن فللت بلاسيف ولا رمح　　　من حد من قد أعد السيف والرمحا

أوضحت للناس ماصار الضلال به　　　هدى وصار به الليل البهيم ضحى

قذفت من بحرك الطامى لآلىء لم　　　تظفر بها الكف من غاص أو سبحا

لاحت فلاجسم إلا اهتز من طرب　　　حسنا ولاصدر إلا ارتاح وانشرحا

غاروا وغرت لدين الله مثلهم　　　والله يعلم من قد غش أو نصحا

من كان منهم لقول الحق مستمعا　　　فالحق حصحص من ذا والخفا برحا

ومن تكن عن عناد الحق قدحته　　　فحسبه من فساد الرأى أن قدحا

لاعاق ذهنك عن أمثالها أبدا　　　دهر بمثلك بين الناس ماسمحا

ياسيدا إننـا جيران منزلـكم　　　وإن لوى الوصل منا منزل نزحا

منا إليكم تحـايا مثل ما سمعت　　　آذاننا لاكرى المسك إن نفحا

وقد أجاب أيضا البكاى عن أبياته المتقدمة علامة زمانه وفريد عصره وأوانه أبو عبد الله سيدى محمد الصغير الشنجيطى رحمه الله بقوله :

أخالك قد غطت بصيرتك الزهر　　　فغابت بها عنك المنيرة والبدر

نظرت إلى الشيخ التجانى نظرة　　　يجل ويعلو منه عن مثلها قدر

رأيتك فى ماء قليل شربتـــه   لذا كيت عميانا قلوه ولم يدروا
ولم تدر أن الأوليـاء بأسرهم   إلى جنبيــه قطر بجانبـه بحر
وهم كلهم عند من الدوافق   ولكنه عمياء ماقـلد النحر
علا قدماه كل رأس لعارف   وأطلق ففضل الله ليس له حصر
وماكل أتبـاع التجـــانى بجنبه   وإن كان منهم من أزيح به الكفر
وشدت عرى الاسلام إلا كحلقة   أحاط بها بحر وليس له قعر
أفاض لهم من بحره الخضم جدولا   فغر بفيضا منه عن فيضه الصفر
تحلوا حـــلى أنواره فحسبتهم   يفوقونه والعذر أولى به الغمر
فكن عارفا للقوم بالشيخ لاتكن   له عارفا بالقوم ينعكس الأمر
فبالأصل فخر الفصل والعكس إن يكن   له فخر وممـا لا اعتبار به النزر

استطراد فى مدح البكاى للشيخ عمر الفوتى وذكر بعض ما وقع بينهما بعد ذلك

وقصد بهذه الأبيات الرد عليه أيضا فى قوله بمدح الخليفة الكبير والولى الشهير سلطان العلماء وعالم السلاطين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبا حفص سيدى عمر الفوتى حين طار صيته فى كل بلاد فى نصره على الأعادى بالجهاد .

الحمـــد لله على خير خبر   قد جاءنا من مغرب ،اب وسر
قالوا بأن عمر الفـــوتى الفتى   قام وبالحق وبالدين ظهـــر
أهلا به أهلا ومرحبـــا   شمس الضحى بدر الدجا وبل المطر
شيخ حقيقة وسلطان هـدى   شريعة لكل شركى قهـــر
وهو ولى عالم وعامل   بعلمـه فى كل خير قد بهر
علم وعدل عينـــه وميمه   ملك ومجـد راؤه راء الظفر
يعيبـــه عـدوه بأنـــه   من أهل التجانية فيما نظر
قلت له لاعيب فى ورد فما   فيه سوى ذكر فمن شاء ذكر
ورب شيخ فاته تلميـــذه   سبقا فموسى كان تلميذ الخضر
وإنما أشياخنـــا إخواننا   أعلم منا بالكتاب والأثر
نطلب منهم ذلك العلم الذى   عندهم عنه اقتصرنا لقصر
حتى إذا نلنـاه منهم لم يكن   شيخ لنا إلا النبى المعتبر

به وبأتباعه ندخل في عدن ونتق به مس سقر
وليس ذا مما يناله الفتى بأي شيخ من يقله قد كفر
لسنا لغير المصطفى بأمة حتى أبي بكر وحتى لعمر
من يدعى فضلا لشيخ ناله غير نبي قلت والله فجر
فما ولي لكنني إنه كالماء فيه صورة من القمر

وهكذا كانت عادة البكاى المذكور فى ذمه لهذه الطريقة الربانية ومدح بعض رجالها قصدا منه لنيل أغراضه النفسانية ولقد تصدى لرد ترهاته وتشنيعاته الواهية على هذه الطريقة المحمدية جماعة من علمائها المعاصرين له بما لامزيد عليه ولقد أنشد فى الرد عليه صاحب العضب اليمانى قول والده فى مثله .

دييج إذ صار كالعصفور صال على صقر حديد شبا منقاره لحمى
أو كالضفادع فى أحشاء ذى زبد نقت فثار إليها سابح الرقم
إنى هممت أجازيه بفاضحة كذات ودقين ترمى الأذن بالصمم
شنعاء تبقى خبايا القوم ضاحية يذوب منها صميم الجسم بالسقم
ظلت وقد سنحت نفسى تنازعنى فيها فأنشدت قول الشاعر الحكم
وساقط نال من عرضى فقلت له قل كيف شئت فليس الشتم من شيمى
أعرضت عنه ولو أنى عرضت له سقيته حمة الأفعى من الكلم
ألجمتها بلجام الحلم فارتعدت وقد ترد جياد الخيل باللجم

ولقد أداه الحال بعد ما كان يمدح الشيخ عمر المذكور إلى ذمه وإلى إيقاظ نار الفتنة بين المسلمين لنيل التصدر فى قومه ، قائما لإحراز مراده بخيله ورجله حتى أتاه الردى بانقضاء أجله من أجله ، ولنذكر طرف رسالة بعثها العلامة الأجل أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بن العباس العلوى التجانى الشنجيطى إلى جميع إخوانه القاطنين بالغرب خصوصا صاحب الترجمة والولى الصالح سيدى العربى بن السائح والمقدم سيدى بلقاسم بصرى رحمهم الله ، فيها شرح بعض فعلاته معه عفا الله عنا وعنه ، ونص المقصود منها بعد كلام .

اعلموا أن الشيخ الحاج عمر رضى الله عنه شيخ علم وتعليم وتربية ، له مريدون عديدون ، سكن بهم فى فلا من الأرض لم يسكنه أحد قبله ، يعلمهم العلم الظاهر

والباطن كلهما ، ويذكرهم ويعظهم صباحا ومساء بالموعظة والحكمة ، ويربيهم بالفطرة واللقمة ، تكفل بكسوتهم ونفقتهم ، سمعته مرة يقول ، أقل مايخرج من بيتي للأضياف في كل ليلة قبل هذا الجهاد خمسمائة مائدة وأقل مايكون في المائدة الواحدة قرى خمسة أضياف .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ولم يزل هذا حاله إلى أن وقع عليه الكفار ، قال لي رضي الله عنه وقع علينا الكفار ولم يكن لي إذن صريح في جهاد الكفار من جانب الحضرة الإلهية ، وإنما لي إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الشيخ التجاني رضي الله عنه بالدعوة والإرشاد إلى الله تعالى ، وأخبرت بعد ذلك أني مأذون في جهاد الكفار ومنصور عليهم من طرق شتى بعضها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضها من الشيخ التجاني رضي الله عنه ولم أفعل حتى وقع علينا الكفار فأخذت الأذن من قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وأنجز الله تعالى وعده ، وهزم الأحزاب وحده .

لذا أعلني الله تعالى بعد العشاء ليلة الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة الحرام عام ثمانية وستين ومائتين وألف ، بأني مأذون في الجهاد بهاتف رباني يقول لي : أذنت في الجهاد في سبيل الله ثلاث مرات فكان ماكان من أمره فيه مما لم يكن الخط هنا يفيه ، ثم إنه مازال يقاتل الكفار عبدة الأوثان والأصنام والجاحدين لرسالة سيدنا ومولانا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام مما لا تهد عندهم ، ولهذا قام مقام واحد من أئمة الاسلام ونصره عليهم خارق العوائد ومذهل الأفهام حتى دخل قاعدة بلادهم الكبيرة ذات الاصنام الكثيرة والكنوز الشهيرة مدينة سيثق بسين مهملة مفتوحة وياء ساكنة وقاف معقودة مضمومه وهي التي سمى البلد بها فخمدت نار الكفر بدخولها إخمادا وارتفع نور الاسلام ازديادا ولم يبق مسلم إلا وامتلأ قلبه فرحا وسرورا ولا كافر إلا وامتلأ قلبه خوفا وثبورا .

ثم بعد ذلك تجبر عليهم شياطين الإنس ممن كان الناس يظنون أنهم في المرتبة القصوى في الدين وأنهم من الأئمة المجتهدين وهم من جملة السوادين وهم الحاكمون على مدينة تنبكتو التي تسمعون بها وهم كثيرون جدا ويقال لهم ماسنة وسلطانهم

يسمى أحمد بن الشيخ أحمد لب بتفخيم اللام وفتحها وضم الباء المشددة ، وكان البكاي يهجره ويتعوذ منه وفيه يقول : اللهم يامن محمد وجبريل عبداه ، من أحمد أحمد نعوذ بك اللهم من وزرائه وأعوانه فهم أشد وأنكد الخ .

ووالده الشيخ أحمد لب هو أول من بويع له منهم على وجه السلطنة والإمامة وهو ذو علم ودين ، إلا أن السلطنة مادخلها أحد قط وسلم منها كما تعلمون ذلك .
وقد كتب مرة إلى السلطان مولانا عبد الرحمن تغمده الله برحمته الواسعة أنه يجب عليه مبايعته ومن الحاملون للكتاب بمن أخذ الكتاب منهم .

وقد كتب أيضا بمثل ذلك إلى حوس عتيق الشيخ عثمان بن فودى ، وكذلك كتب إلى كل سلطان يليه فى الجهات الأربع على ما بلغنى ثم إن أحمد أحمد هذا اجتمع مع الكافرين الموصوفين قبل على محاربة الشيخ عمر وغزاه ثلاث مرات بجيوش عديدة من مسافة بعيدة ، ويهزم الله تعالى جيوشه وقع هذا كله بحضورى وسافرت عن الشيخ عمر بعد هزمه جيشهم الثالث وبعد سفرى عنه غزاهم الشيخ عمر فى أرضهم وقتل سلطانهم المذكور واستولى على جميع بلادهم وبايعوه عن آخرهم ، ثم إنهم ارتدوا بعد ذلك والعياذ بالله تعالى وطلبوا من البكاى أن يعينهم عليه ، باجتماع كلمتهم على محاربته وبوثائق يكتبها بيده ويرسلها إلى النواحى بتكفير الشيخ عمر رضى الله عنه ، ويأمر من دخل فى الإسلام من الكفار على يد الشيخ عمر بالخروج عن طاعته ويستنفر لهم الناس لحربه سواء كانوا أهل كفر أو أهل إسلام وقالوا له إن فعلت لنا ذلك وغلبناه نصبك إماما ونبايعك عن آخرنا على التمام فأجابهم إلى ماقالوا وانقدت نار الفتنة بعد إخمادها وانشقت عصا المسلمين بعد التئامها فكان ماكان من أهل الآفاق مما سمعتم من الافتراق والشقاق وإلى الآن ماوقع اتفاق ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وتمادى الأخ مع أخيه والابن مع أبيه ، حتى إن آل الشيخ سيدى المختار افترقوا فرقتين فرقة مع الشيخ عمر كبيرها حماده بن سيدى المختار وفرقة مع ماسنة كبيرها البكاى والحرب فى الحقيقة بين الشيخ عمر وماسنة لأنهم هم أهل العدد والمدد ، وكان البكاى قبل ذلك يرسل إلى الشيخ عمر بوثائق المدح والسؤال وغير ذلك مما جرت

به عادته فى الرسالة الواحدة للشخص الواحد ، وفى ذلك يقول أخونا محمد بن عثمان مخاطبا للبكاى فى قصيدة له :

مدح وذم فى مقــــام واحد   من واحد لواحد عجبــــان

إلى أن قال فى هذه الرسالة بعد ذكر الأبيات المتقدمة ، وأما ماسمعتم من موت الشيخ عمر والبكاى ، فموت البكاى صحيح فى منتصف شهر رمضان سنة ١٢٨١ والشيخ عمر أعداؤه يقولون بوفاته فى أربع من رمضان من عام شرف سنة ١٢٨٠ والعلم عند الله ا ﻫ

ماقد قضى يانفس فاصطبرى له   ولك الأمان من الذى لم يقدر
وتيقنى أن المقدر كائن   حتما عليك صبرت أو لم تصبرى

ولبعضهم :

وما القتل بالبيض الرقاق نقيصة   إذا كان لايخلو من العز والفخر
وإنا أناس لا نرى القتل سبة   إذا كان بين البيض والأسل السمر

وأحبابه يقولون بحياته وسلامته وخبره منقطع عنا لتباعدنا معه ولكثرة الأعداء بيننا وبينه .

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

فإن كان مايقول أعداؤه حقا فقد بقى فيهم مايخزيهم الله به وهو ابنه ووارثه أحمد الكبير المدنى

ينشأ الصغير على ماكان والده   إن الغصون عليها ينبت الشجر

فهو والحمد لله خليفته حسا ومعنى

تضلع من علم الحقيقة ناشئا   ولاغرو أن يحذو الفتى حذو والده

وإن كان مايقوله أحبابه هو الحق فذلك المطلوب وقد جاءه بحضرتى رئيس من رؤسائنا اسمه محمد محمود وهو ابن عم سيدى احمد الوداتى المشهور عندكم وقال له ياشيخ قد كنا فى خوف شديد عليك فقال له الشيخ وما ذلك الخوف فقال له محمد محمود ياسيدى إنك مت فقال له الشيخ عمر أنا لا أموت فتحير محمد محمود وأهل المجلس فى معنى الكلمة ولاعرفوا لها وجها ولما رءاهم تحيروا قال لهم إن لى وارثا يرثنى إذا مت فموتى لايضر هذا الجهاد بشىء ومن ترك وارثا كذلك لم يمت

يا ابن الكرام ألا تدنوا فتبصر ما   قد حدثوك فما راء كمن سمعا

ولا ينبئك مثل خبير والله على ما نقول وكيل وكتب معيذا لاسمه محبكم أحمد ابن محمد بن العباس العلوى الشنجيطى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شوال عام شرفاء سنة ١٢٨٢ ﻫ

واعلم أن صاحب الترجمة كان آية من آيات الله فى الدلالة على الحق والإرشاد إليه فى سره ونجواه وله تآليف عديدة ورسائل مفيدة وقصائد تسبي العقول وغير ذلك مما أقر له بالفضل به أولو المعقول والمنقول ذكرنا بعضها فى غير هذا الموضع قصداً للاختصار وقد كان كثيراً ما ينشد ما أنشدنيه سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله والمحبين بركاته .

وإذا أراد الله نصرة عبده   كانت له أعداؤه أنصارا

وإذا أراد خلاصه من هلكة   أجرى له فى نارها أنهارا

ولنذكر هنا تتميما للفائدة من أجوبته اللطيفة ومقالاته الشريفة ما أجاب به بعض الشرفاء الأدارسة عن سؤال يظهر من جوابه ونصه : وبعد فقد بلغنا مسطوركم وعلمنا ما أشرت إليه وما انقدح فى صدرك من الإيمان الموجب لتحريك للصواب وأخذا بالورع فى المأكول والشراب وتحريك من أكل الذبائح والفتوح والهدايا .

فاعلم أيها الأخ أصلح الله منا ومنكم البواطن بالنيات الصالحات وزين الظواهر بالطاعات المتقبلة أن المؤمن الموفق لا يضيق على نفسه فى هذا الزمان لأنه إن فعل ذلك لا يجد مخرجا ولا مهيما لفساد الزمان وغالب أهله بل الواجب على الإنسان اليوم إن وجد فى المسئلة وجها شرعيا وقولا لأحد الأئمة المقتدى بهم وإن كان ضعيفا أن يعتمده ويكفيه حجة عند الله تعالى ، وهذا الذى تحرجت منه لا حرج فيه فقد تلقاه المسلمون بالقبول وعمل به فى الأمصار وجميع الأقطار بغير نكير وذلك كاف إن شاء الله لا سيما مع شدة الاحتياج إليه وقد علمت أن الضرورات تبيح المحظورات كأكل الميتة للجائع وإساغة اللقمة بالخمر للغاص وهذا الزمان هو الذى قال فيه سفيان الثورى رضى الله عنه لا تطلب فى آخر الزمان ما لا شبهة فيه فتموت جائعا ولا عالما عاملا فتبقى جاهلا ، ولا صاحبا لا عيب فيه فتبقى بلا صاحب ولا عملا

لا رياء فيه فتبق بلا عمل ، فهذه الأربعة لا تعاب فى هذا الزمان ، وما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر فى الوقت غير ما أظهره الله فيه ، وإن تفطنت يا أخى علمت أن هذا مكيدة من مكايد الشيطان أعاذنا الله وإياك من شره فإنه يزين للمؤمن الورع فى غير محله والتوكل قبل البلوغ إلى مقامه والخروج عن جميع الأموال والأسباب قبل التمكن من صدق اليقين لأنه إن فعل ذلك ضاقت عليه المعيشة وتعذر عليه إقامة دينه وتشوش باطنه إذا رأى أهله وعياله فى أسوأ حال ، فربما يضيع الفرائض فضلا على النوافل ، فيتوصل عدو الله إلى مراده من المكر به ، فيقول له ما أوقعك فى هذا إلا اتباعك لطريق المتصوفة واقتداؤك برجل غير معصوم يدعى المشيخة ، ولو كانت له قدرة على نفعك لنفعك وكشف عن سوء حالك هذه وروحك ، وإذا عجز عن نفعك فى الدنيا فلا ينفعك فى الآخرة ، وارجع إلى ما كنت عليه من الأسباب وتوكل على الله فإنه لا ينفع ولا يضر إلا الله وحده فإن أطاعه فى ذلك فذلك هو الخسران الكبير ، وإن بقى على حاله من الضيق عاش فى الفتنة التى جنى على نفسه حيث خالف الشريعة وأعرض عن تدبير الله له ، ودبر لنفسه لأن الخروج عن الأسباب مع إقامة الله له فيها من الشهوة الخفية ، ولذلك قيل مقامك حيث أقامك وإذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه وإلا فأنت كما تتق فى الأخذ تتق فى الترك أيضا . قال السرى السقطى للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما احذر آفات الرد كما تحذر آفات القبول .

وقولك وقصدنا فى ذلك صفاء اللقمة التى هى للناس طريق الله لا محالة إن الأمر كذلك إلا أن ذلك فى زماننا هذا محال أو مثل المحال لأجل ما ذكرناه من قول سفيان وغيره وقد نص شيوخ الطريق على انقطاع التربية المصطلح عليها منذ زمان وكرهوا السلوك بها ولم يبق إلا الأمم الباطلة .

قال شيخنا رضى الله عنه من أراد السلوك فى هذا الزمان كمن أراد سلما يصعد به إلى السماء ، فالحاصل لا تفتن نفسك بالتشوف إلى ما كان عليه السلف الصالح من الأحوال السنية فإنهم قد أعانهم على ذلك زمانهم ثم جاء زمن آخر له حكم آخر . ولقد ظفرت يمينك بحمد الله بسبب متين من السعادة فتمسك به فإنه يكفيك جميع المهمات الدينية والدنيوية ، وهو عهد هذا الشيخ الكامل ، فقد أفاض عليه الحق

وعلى أتباعه فيضة عظيمة من السعادة قد ألحقت أهل هذا الزمان بمن قبلهم بلامشقة لما علم الله سبحانه وتعالى عجزهم عن سلوك الطريق على الوجه المطلوب المصطلح عليه أخذ بأيديهم فأوقفهم بالباب وطوى لهم المسافات التي لاتقطع في الأعمار الطوال جعلنا الله وإياكم ممن شملته هذه الرحمة وأظلته هذه المنة آمين

وأقول لك يا أخي إن هذه الدار لابد فيها من الصبر لاسيما على أهل النسبة إلى أهل الله تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا سدى) الخ فإنهم لاتصفو لهم المشارب إلا في آخر الأمر حيث يعلم الله صدقهم في دعواهم المحبة ولكن قد وعد المتقين على لسان الوحي الكريم أن تكون العاقبة لهم . وأما أصحاب شيخنا رضي الله عنه وعنهم فإن الشيخ رضي الله عنه قال: إن الله تعالى قد تفضل عليهم بلطف خاص دون غيرهم فلاتنال منهم الشدائد الدنيوية كما تنال من غيرهم بل تعمهم الألطاف من جميع النواحي في جميع أحوالهم إلا من فرط وضيع أوراده ، فمن وجد شيئا من ضيق الحال فليلتفت إلى دينه ثم يتدارك مافرط فيه فإنه يتسع حاله في الحين ويأتيه الفرج من كل وجه .

وأنت أيها الأخ اصبر قليلا قليلا فإنه ستغشاك الكرامة الزائدة والسعة الظاهرة والسيادة الدائمة قريبا إن شاء الله تعالى بعناية شيخنا وبركة متابعته وأكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عماد طريقنا ومفتاح كل خير في الدنيا والآخرة واستمن بذكر يا لطيف دبر كل فرض ألف مرة بنية نفي الفقر وحصول الغنى فإنه كفيل بذلك إن شاء الله تعالى وفيما كتبناه لك كفاية ا هـ

واعلم أن ترجمة صاحب الترجمة قدس الله سره لو تتبعناها اضاق عنها مجلدات ومع ذلك فإنا لا نستوفي معشار العشر مما ناله من الكرامات . وقد حدثني سيدي ومولاى العارف بربه أحمد العبدلاوي نفعني الله به مما رأى منه من الكشف الصريح والسر الباهر الصحيح مايبهر العقول ، قال : ولما اجتمعت به في أول رحلتي من عين ماضي ورأى صدق محبتي والحمد لله في هذه الطريقة طلب مني أن أجلس عنده ويدخلني الخلوة حتى يتم مقصودي على أحسن حال فيها فقلت له ياسيدي إني مكلف بأمور من قبل أولاد سيدنا رضي الله عنه فلايسعني الآن التفرغ لها ويكفيني الورد وفارقته وقلبي معه والحمد لله وقد كنت أراه كثيرا مايقول

(سبحانك ما أعظم شأنك يارب أبهمت الأمر علينا) فقلت مرة في خاطرى ياترى ماسبب مواظبته على هذا الذكر ومن أين له به فالتفت إلى وقال لى مكاشفا إنى رأيت فى رؤيا رب العزة وأناساجد بين يديه أقول ذلك فلذلك ترانى مواظبا عليه ، قال وأتيته مرة فوجدته فى ضيق نفس وضجر ، وهو يذكر الذكر المذكور فقلت فى نفسى ، لابد أن أخرج لآتى له بفأل يخفف مابه وكان يحب الفأل الحسن فخرجت على هذه النية فسمعت صوتا لا أرى شخصه ولم أدر من أين هو يتلو قوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) الآية ، ثم دخلت عليه وأخبرته بذلك فقال قد فرجت عنى فرج الله عنك اه

وكان رضى الله عنه فى هذه الطريقة المحمدية قائما على ساق الجد والاجتهاد فى رد شبهات أولى العناد والانتقاد فكم شفى من علة وأبرد من غلة وأماط النقاب عن مخدرات المعارف ، وأزال الحجاب عن أبكار اللطائف وماتكلم فى مسئلة من سائر العلوم إلا وأتى بها لامزيد عليه فى بابها .

فإذا قرأت كلامه فكأنه ... فى حسنه تتلو كتابا منزلا

توفى رحمه الله فى آخر المحرم عام ١٢٩٤ وضريحه بمراكش مقصود للزيارة نفعنا الله ببركاته وأعاد علينا وعلى المسلمين نفحة من نفحاته وسقى مثواه بشآبيب الرضوان وقدس روحه فى الجنان بروح وريحان آمين .

الحاج الطالب اللبار

ومنهم أديب زمانه وفريد عصره وأوانه ذوالعقل الراجح والفضل الواضح المقتبس من أنوار العرفان أكمل مقتبس واللابس من التقوى أجمل ملبس الملحوظ بعين التعظيم عند الصغار والكبار سيدى الحاج الطالب بن العربى اللبار ، كان رحمه الله كثير المحبة فى جناب سيدنا رضى الله عنه منحاشا إليه من جملة التلامذة البارين والمريدين الصابرين ، أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه فى صغر سنه وهو أحد فحول شعراء الطريقة الموصوفين بالمجادة فى القول بالإتيان بكل دقيقة رقيقة ، ومن مدحه لسيدنا رضى الله عنه كما وقفت عليه فى كنانيشه ونقلته من خطه مباشرة قوله :

ياجيرة سكنوا البطحاء وانتصروا ... فى حبها وعلى المحامد اقتصروا

تلك المحامد نلتم ليس ماملئت ... به الكنوز ولا ما استحسن البصر
هى الرياض نمت فينا منافعها ... على الدوام فمنـا الآثار والزهر
يامن لهم فى المعالى كل فاضلة ... ومن بكل علاء فى العلا اشتهروا
ناديتكم وبقلبى كربة وجوى ... من فرقة واشتياق فيهما شرر
مالى بحملهما طوق وقد كلفت ... نفسى التجلد لكن شأنها غرر
من لى بصبر جميل غير منهزم ... يهدا به القلب حتى يهتدى النظر
أونفس حر إذا سوقتها نهضت ... نهض استباق لمرمى وهى تنتظر
أو بارق يقتدى لألاؤه سرحا ... بين الجوانح لم يصعب لها وطر
وما رأى يتدنى وفق ماسمحت ... به السعود ولامين ولا خطر
والدهر طوعا وقد جادت مكارمه ... ومن معين الهدى فى مهجتى نهر
من فيض غوث مغيث فى التقى فرد ... وفى التصرف قادم ومقتـدر
بدا فأسعد عالما به ظهرت ... سعوده فيه حيث خصه القدر
صفاته صفة الهادى ونجدته ... لم يحكها فى السلوك الشمس والقمر
فى الليل بدر أتم وهو بازغة ... على الدوام انتقاه الجد والسهر
مقاله الفصل يروى عن حقيقته ... شرائع الحق وهو فيه منتشر
كأنه فى التربى مستلذ غدا ... وفى انتفاع الأنام الروح والمطر
تحكيه مسكا إذا ضاعت فوائحه ... ومغنطيس اجنبى إن جاءه بشر
يلقى البشائر فى الشورى ويأت بما ... يرى والدين لايبـقى ولايذر
كأن كل الورى فى حال شوكتهم ... ذرية له لم يسـامهم كدر
لله مرشدهم من غير ماعرض ... لهم ولا له إن غابوا وإن حضروا
فيه المنا لذى دين وذى عرض ... وذى حجا وفهوم جاء يختـبر
هاك التصرف هاك الشرع أوف به ... لدى الحقـائق لا تحتاج تنتظر
رد سائغا من حباب الذرق صافية ... عند السماع بها العقول تفتخر
رد سلسبيل الجنان فى الحياة لدى ... سمع الحديث كأن النهل منفجر
ورق جنانا بما الآذان تسمعه ... وانقل فديتك معنى ذا هو الوطر
صاحى وفيه اعتقد تحب بحضرة من ... به حباك وثق إن جاءك الخبر

واعلم بأنه نفحة الإلاه على هذا الوجود لها العرفان تبتدر
شيخ جميل سميح جا بمأدبة بعد المسيح لمن أتاه مفتقر
نعيمها الذكر والتذكار مكرمة لنا بها القرب والنعيم والنظر
بشرى لمنتسب ولو على قصر يرى قصور الجنان ذلك القصر
يا أمن شيعته ياعز رتبتها عند الطايل إذا عم الورى الخطر
وأفوزهم بسماح الرب يومئذ بلاحساب ثم فى الحشر قد ظفروا
ويا جوازهم عند الصراط على الـ كهول منا إذا الأنام قد عبروا
لهم مواقف يوم العرض فاضلة عند الإلاه ولا خوف ولا زجر
قد جاوروا المصطفى وهم صحابته وهو المربى لهم إذ ورده ذكروا
فى كل حين لهم معنى شفاعته حقـا ومشهدهم له به أثر
ذاتا مع الخلفاء الراشدين فإن جاءت منيتهم بكلهم حضروا
ما أصدق الوعد من خير الأنام على رضوان قلب تفضلا وما اختبروا
ذاك التكرم من أجل الحق بهم شيخ الكرام الذى أفضاله شكروا
نعنى التجانى عز الدين أحمد من ربى وأرشد فى القدم الألى كبروا
تاقت إليه أقتيا الأقطاب وافتخرت ذوو النهى وتمنت وهو مستتر
ودّوا اقفاه وجلوا قدره ولهم من الفيوض على الدوام تنهمر
يلقى لهم ماتلقى فى مراتبه من النبى على ما اختاره القدر
سبحان من خصه بالختم فى قدم فضلا وصرفه فلم يزغ بصر
أطاعه الفضل حلاه الزمان حلا معناه عن خفـاه وهو منكسر
غنى قلب كثير البذل صورته حسنى وأخلاقه لم يحكها زهر
نجل النبى حقيقة وصاحبه ذاتا وروحا يراه القلب والنظر
لله ماجذبت بمغنـاه من درر علت وما أدركت فى غوصها الفكر
أناله الحق علما لو يبوح به لصارت الكبرا عليه تنتصر
وهو المشفع فى عصر به ظهرت ءاياته فرءاها الجن والبشر
وزاده الحق فضلا بعد موتته أعوام عشرين ماعدا الألى ذكروا
شاعت مناقبه فهـابه الرؤسا وبجلوه ذوو الألباب وانتصروا

يدرى مراتب آخر ومستبق … عينا كأنهم من ذاته انتشروا
ينبي عليهم ويثنى وهو مخبرنا … بأنهم لهم حـــج ومعتمـــر
لو لم يكن غيره يجزيهم لكفى … ذوى النهى من نداه الطل والأثر
يغنى سناه عن الضيا ومورده … عذب المعين وفيه السير والسير
ما أقرب البعد عند اللائذين به … وما ألذ الوداد للألى اقتصروا
أهنا المحب فلا كدا ولا نصبا … يرى ولا محنا واللطف مبتدر
إن الولاية للأحباب قد ضمنت … قبل الممات وإن هفوا وإن جهروا
حلى بطابعه فى الحبيب كل فتى … غدا حليفا لورد إن وفى العمر
يرقى بهم ولأجله المكارم قد … فاضت عليهم وفى مأواه قد حشروا
رم فالمرام هنا وانهج فكل منى … تجد وكل غنى هذا هو الوزر
ثق لحظه واحبُ ذرة تجد سعة … وقل جميلا تقل أو تحمد المثر
هو الكفيل إذا زلت بصاحبه … أوحبه قدم إن جاء يعـــتذرُ
يلقى الحنان عليه كالسكينة عن … رضى ويرشده فينجلى الكدر
يا خاتم الأولياء والممد لهم … وهادى الأنقيـــا إنى منتظر
أريد حظا وإنى واغل ولما … جنيت فى فرق والحال منكسر
وليس لى حرفة تغنى ولا سعة … تهى ولا قوة والقلب منتقـــر
والنفس صارت إلى الأوهام منزلة … ومن وساوسها الإدراك يقتصر
جاء النذير ولا عذر ولا صفة … ترضى وكيف بمن صغاره كبروا
واشرفت سهجتى فى حال قوتها … عجزا على اليأس لما عز لى الوطر
وقد سئمت لأن العظم فى وهن … والحال حال ردى والضعف منتشر
أجنى ومالى وحولة بحمل جنا … ولا اقتدار ومن لى يرتضى الهدر
هذى الشكاية والظن الجميل غدا … غذا لقلبى وقد وافى به القدر
أرجو الحياة به فى روض جنته … فى الله والمصطفى وسائغى خضر
مابين روح وريحان ودانيـة … من القطوف مع الأسحار تبتكر
حتى تصير الحياة للحياة وفى … دواخلى خشية ومقـــلتى عبر
وللخصـاصة أكفاء بحملى … وللحقـــارة عز ليس ينفطر

والجوارح مأوى وفق رغبتها وفى الجوانح فيض السر ينهمر
وللتقى فى الفؤاد الرحب متسع وفيه عافيه والجم مغتفـــر
والأمهات مع الآباء متحفة روحا وكل النطاف فى الورى غرر
والسعد يشمل قارئا ومستمعا والحلم يلبس من دارت به الجدر
ثم الصلاة بقدر الرمل عدتها تنمو مضاعفة لم تبق أو تذر
على النبى صلى الله فى قـــدم من خلقه من به الفيوض تنفجر
وءاله وصحـــابه الذين سموا به وسهام الـكمال وافتخروا
ثم الرضى عنك ياغوث الأكارما دامت صلاة وجا بفضلها الخبر
وما لأعظم أسماء المهيمن من فضل إلى المنتهى وما همى المطر
أهديتها (بوفا) عد ولى أرب ٨٩ فى صفوة الرب حين ينتهى العمر

ومنه قوله وقد نقله من مبيضته ورتبه بترتيبه كما وقفت عليه بخطه رحمه الله

صاحى أرى الدهر مستوفى بإسعاد واحبـــذا وصل إمداد بإمداد
بشرى فؤادى فقد وافتك أمنية من بعد يأس بلا ارتقاب ميعاد
قد زارنى طيف من أهوى فشد به أزرى ونعّم أوصالى وأكبادى
كم غب منتظر والنفس تطلبه وكم دنا من مراد دون ترداد
هى المواهب إن هبت بنفحتها هيت لحلف الظما زلال ميراد
قد صد وانصرم الآن العبوس وفى صدوده نأى كل نائب عادى
وأقبلت فيضة المنان هاطـلة بوابل من حباه ودقها بـــادى
قل للفؤاد الذى انقضى تجلده من المطـــال ألم تلح بآساد
نعم إذا بزغت شمس الضحى ابتهجت قوم سرت فى الدجى وسرها الحادى
وفى الثنا عن إلـه أنت سائله تدن المطالب واغبط كل حماد
يبدى لك الدهر أن كل حادثة ذاعت رزيتهـــا دعت لإرفاد
سل التجاريب ماسرء بمقتحم مع الرضى المر إلا فاز بالزاد
يهنى المسائل جدوى أن سؤله فى روض القبول ولم يخب فتى جادى
إن عارض المطل مطلوبا وبث به باس فللحكم ميقـــات بتعداد
كـذاك كنت على وكس (١) أخا أمد قد طال فى النحس ملفوظا من النادى

---
(١) فى نسخة نحس

وقد رمانى النوى فى وغرة وهوى كما كسانى الهدى أثواب تصداد

حتى خشيت انقطاع الوصل وانحدرت
بهمتى جرأتى فى قفـر أو هـاد

بعد التحرى تقوت حيرتى وأبت نفسى الرضى وارتضت مهواى فى واد

كيما تريح وكانت حال وكستها تغدو تنادى وعزمها بها غاد

إلى وسيلتهـا الذى تعزتها به ولم تخل عن وجد وأنجاد

فمد راحته بجذب جارحتى وفى اجتباها كأن يوم إيجادى

فأردفتنى على سعود ساعدها وأرضعتنى وكنت جائعا صادى

قالت ورمت لها إصغا كلفت فما يعى وما حدت عن إنسان أثماد

لكن لكل مراد غاية أوما أحسست من قدم فى الحشو إيقادى

لذ ماسكا راحتى وسل أناملها وكف الأكف ومل عن كل نقاد

هى اليد السلسلة الناجى مقبلها ودا ولامسها من شؤم حساد

لها التصرف فى الأكوان إذ حلت خلافة الحق فى قرب وإبعاد

واستوطنت حضرة الرحمن لاقية فيضـا وآخذة تشريع إرشاد

أنالها الله فيض الأنبياء كما الـتقته فى الغيب من إمامها الهادى

ربت أكابر أقطاب الورى قدما كما حبتهم بأسـرار وإمداد

وبايعت خيرة الأكوان رحمتها جهرا على صحبة الدنيا وإيعاد

له اتصال بذات المصطفى وله بروحه الوصل فى قفو وإصعاد

بالختم فاز وبالكتمان برزخه فرد ووروده من كل الردى فادى

عن النبى رواه وهو شافع من فى الجيل عاصره من مؤمن غاد

واختص ميزا بعدة تزاد له بعد انتقاله تعريفـا لإفراد

هو الخبير بداء النفس كالتها من الهوان ومن شرور أضداد

لله حالته صحوا ومصطلما يعطى الحقوق لمرصود ورصاد

على الدوام مكلف ويجتهـد يحيى الظلام مطيقا أى هجاد

حاز العلوم بأسرها وقررها تقرير واع فلم تشب بتبـداد

يدرى بواطنها معنى وكيفية وكل قطب وأبدال وأطواد

مع الموقت والشورى لذى وطر وفى الإشارة فرد سره باد
مقاله الفصل فمله الخلاص له أغنى يد والندى من خير أجداد
قد صان رتبته المولى فما عرفت لباحث فى المدى غدا بمرصاد
حيا الورى براهين سنت وسمت وذاع تضويعها أزرت بجحاد
لو يعلم الكبرا إكبار حضرته خيامهم ضربوا بمتن أوتاد
أو باح للعلما بما تعلمه من ربه فندوه أى تفناد
لمنتهى الدهر صوبه البقاء له وفى القيامة ينبى ذكره الشادى
سما تفرده وشاد منزله فى العالمين منادى دون أنداد
أنوار ذكره بالأنوار مشرقة وعمره بالهنا طرا كأعياد
ماشذت صفه به من الكمال سوى نعت النبى تجده أى إيجاد
قد انتقى حزبه فى الغيب وهو له مرقى إلى المرتقى مغنى عن الزاد
وفيضه فى فؤاد الود منسدل يغار جيث الندى فى كل ماماد
أحل صحبه فى بحبوح عصمته كوالد لذ حاجبا لأولاد
يرى الولاية حقا قبل موته محب ذاته آمنا من انكاد
الله أكرمه ومن يلوذ به بظل عرشه تبكينا لحساد
ومن صحاب النبى صار فى شرف مع النبيين فى صيانة الهادى
يعيش فى دارة اللطف الخفى وإن جنى فلم ير ضيقا تحت إلحاد
شفاعة المصطفى دأبا تلازمه نعم تحصله من كل تشداد
عمت ضمانته أهيل خلته وما اعترى منه منتمى بإبعاد
هو التجانى المحمدى منقذنا من الردى المزدرى بكل نقاد
عبيت أحمد من أحيا الرشاد ومن أحيا الفؤاد بتذكار وإرشاد
رضوان ربه فى الدارين يغمره وفيض ذاته ممزوج بإسعاد
أثر الصلاة على الهادى وشيعته تقضى بيسر وتمحو كل أنكاد
يارب جازه عنى بالكمال جزا خير ووف به حظى وميعادى
واجمع به الشمل فى الدارين دون عنا مع النطاف وعشرتى وأجدادى
أهديتها له بالرضى وعدتها ٦٦ فى اسم الجلالة تكفيلا لأوراد

وقد تقدم لنا في هذا التقييد بعض القصائد من نظمه رحمه الله زيادة على ما أثبتناه هنا ووقفت في كناشه بخط يده على نظم كثير ولم يعزه لا لنفسه ولا لغيره والغالب على ظني أن ذلك له ولنذكر هنا طرفا منه تتميما للفائدة فمن ذلك قوله :

لنا ذنوب وللرحمن غفران كما لنا منية والله منان
أوصافه قدما دعت لمظهرها في ضدها واعتدى الجهول الانسان
مازال وصف الكمال للإله ولم يزل من الخلق نقصان وطغيان
وكل وصف اضده يحن وفي السـتجانه له تعويل وإذعان
إن تجلى بوصفه القديم على السورى وما أحدثوا لم تبق أدران
والله أرحم أن يردى خليقته وفي قلوبهم بالله إيمان
فكيف بالمجتبى به وذاكره وظنه حسن وفيه إيقان
أوكان حلف رجا مستغفرا وله وسيلة من عباده لها شان
محمد نوره المحبوب في قدم عليه منه صلاة وهي برهان
فظن بالله خيرا فهو واهبه واعلم بأنه لم يسمه عصيان
هو الرؤوف بخلقه ورازقهم سبحانه جل حنان ومنان

ومنه :

يامن إليه أمور خلقه ترجع وله العوالم والمعالم خشع
أنت المهيمن واللطيف وكلما أوجدت من شيء لعزك يخضع
ولك العطا والمنع دون منازع تدري المصالح والمضار وتسمع
إنا ببابك واقفون بوصفنا وذنوبنا ترجو السماح وتخنع
نحن الحوادث والتجرد شأننا والحلم شأنك في القديم مفرّع
ولقد تشاكل أمرنا في ديننا لضياعه ونفوسنا تتمتع
وأمورنا وعيا لنا في حالة أنت الخبير بها وعلمك أوسع
حكم المراد ومالنا إلا الرضا فارفق بنا يامن يضر وينفع
ولك الثنا فيما حبوت من العطا ومن الثناء ومنك يظهر أرفع
فاجمع لنا الشمل المفرق واجتبي منا الدواخل عن ذنوب نقلع
بمحمــد وبآله يا ربنـا ابذل لنا منك المنا لانفزع

وهب الصلاة مع السلام لكلهم ياجامعا وله القضا والمرجع

ومنه :

بدأت فياحبذا المبتدا وأكملت منا بمحض الكمال
فكيف يطاق عليك الثنا وأنت البديع ومنك النوال
ونحن العصاة وذا وصفنا وأنت الفريد بوصف الجمال
وإن افتقارى إليك غنى وذكرك فى مهجتى خير مال
فعامل إلاهى بمحض الوفا عبيدا عن العدل طاش ومال
وصل وسلم على المجتبى الشفيع وآله ياذا الجلال

ومنه :

إلاهى إليك الوجوه عنت وليس لعبد قضا فى مراد
وإنى عرت جسدى حيرة وقلبى من أجاها فى نكاد
فجد لى بحسن اختيارك فى أمورى جميعا ودنّ المراد
بجاه نبى الهدى المجتبى منجى الغريق شفيع العباد

ومنه :

أتيتك فى ذلة وعنا وما عنك فى حالى من سوى
وقد هالنى ما اعترى خلدى من الهم فى فاقتى والهوى
ورمت الرجوع بكل منى ففيك لكل فتى ما نوى

ومنه :

جاد لى بالمنى امتنانا حبيبى وارتضانى لرتبة واقتراب
ألهم القلب شكره وتجلى لى رضى بالعطا بغير حساب
وشفانى من الردى وسقانى صرف ود أزال كل ارتياب
قال لى مرحبا بعبدى وأهلا لك عندى زلفى وحسن مآب

ومنه فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العشرة المبشرين بالجنة مع ذكر اجتماعهم فى أى موضع من عمود نسبه صلى الله عليه وسلم .

أصحاب خيرالورى المبشرون لهم بفخره صلة أفديه من رحم
على المكرم صهره وأولهم فى عبد مطلب ملقاه ذى الكرم

يليه عثمان ذو النورين منه لدى السـ ـحى عبد مناف بيّن المعظم
كذا ابن عمته الزبير عند قصي يا لها رتبة فى الفخر لم تسم
ولابن عوف وسعد فى كلابهم به اتصال مبين غير منبهم
وحاف هجرته الصديق أكلهم فى مرة مع طلحة لخيمهم
ووده عمر مع السعيد لدى كعب خضم الورى ذى الطول والنعم
أبو عبيدة فى فهر يشاركه أفديهم جملة وأحتمى بهم
بجاهه رب صل دائما أبدا عليه وارض على الأصحاب كلهم

ومن مقطعاته المستملحة قوله :

عدّ عن لومى فإنى فى الهوى فاقد حسى وعقلى فى مراح
هكذا حال الذى بين الورى بعد جد صار فى عين مزاح

وقوله :

وإنى إذا ما كنت فى عالم الكرى أرى عفة لم أقوها فى انتباهى
فياليت حانى النوم من لجة الخنا حمى يقظتى عن جراتى وتلاهى
لذ بالوفا واحتفظ من كل منتقص فالنقص شؤم له الوصيد مغلوق
ولا تعب فطنا على زعامته إن الزعيم وإن أعيب مرزوق

وأنشدنى أخونا البركة الأمجد سيدى محمد بن العارف بالله سيدى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به من فائية صاحب الترجمة المشتملة على ما يزيد على أربعمائة بيت مطلعها :

للمكه التذكار لا تستنكف وبيذل رقك جند روحك ألف

ومنها :

يافاس صول بمدفن القطب الذى كملت له الأوصاف عند المنصف

ومن داليته المشتملة على نحو أربعمائة بيت أيضا مطلعها :

ظعن الوفود على الذلول الأقصد مستيقنين تملكا بالمقصد

ومنها :

إن التجانى عبرة فاعبر بها يغنيك عن حل الغذا والمغمد
قل للذين تصدروا لمقامه وتوطوا لمناله المستبعد

أيدى العناية قد قضت فى غيبها تحوى له ذاك المقام الأحمدى

وهى تشتمل على نحو ٤٠٠ بيت وقد أخبرنى حفظه الله أنه شرحها بعض علماء الجزائر بشرح لطيف وفيما ذكرناه كفاية .

وكان صاحب الترجمة رحمه الله محترفا بالتجارة حفظا لنفسه من أن يكون عالة على الناس وكان كثير المعروف ولازالت بعض مآثره الآن بالزاوية المباركة التى بعثها للإخوان من خالص ماله ليستعملوها فى بناءاتها ومن جملة ذلك شبابيك الحديد الموضوعة فى شراجبها ودربوز الصفر المجاور للتابوت الشريف وغير ذلك وتوفى رحمه الله فيما يقرب من سنة ١٢٦٥ ببلدة جنوه بإيطاليا ولسان حاله يقول:

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

حدثنى المقدم البركة سيدى الطيب السفيانى حفظه الله أن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رحمه الله كان يتأسف غاية الأسف على وفاة صاحب الترجمة بتلك البلدة لأنها ليست من حكومة أهل الإسلام مع كونه من أكابر المحبين فى جناب سيدنا رضى الله عنه ثم إنه رأى رؤيا أزالت مابه من الأسف على ذلك وذلك أنه رأى سيدنا رضى الله عنه وقال له أنتم تقولون الطالب اللبار توفى فى بلاد النصارى وهو عندى هادنا انظره ورفع رضى الله عنه فوجده تحت إبطه ثم استيقظ فرحا مسرورا بهذه الرؤيا انتهى

الحاج محمد الحبابى

ومنهم البركة الأجل الخير الناسك الأفضل ذو الأفعال المحمودة والفضائل المشهودة والمآثر الفاخرة والمفاخر الظاهرة أبو عبد الله سيدى الحاج محمد الحبابى القاطن بزنقة حجامة من مدينة فاس وليس هو من أولاد الحبابى المشهورين بفاس بل أصله من كرجامة بقصر ريحانة من جبل الحبيب وأول من انتقل من جدوده لفاس كان كثيرا مايجرى على لسانه فى مخاطبة الناس قوله ياحبابى فلقب بالحبابى فنسب إليه أولاده ولازالت طائفة من أحبابهم بالجبل المذكور ينتسبون للشرف كما أخبرنى بذلك بعض أحفاده ، وكان صاحب الترجمة رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين وهبوا نفوسهم وأموالهم إليه وطرحوا جميع أغراضهم بين

بيديه وسابوا إليه الإرادة حتى نالوا بذلك فى الدارين أكبر إفادة مربوطة بحبل السعادة وكان رحمه الله قائما على ساق الجد فى اغتنام أوقات الخير ذا اعتناء شديد فى أداء المأمورات واجتناب المنهيات بما فاق من أقرانه به الغير وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة لما رآه فيه من صدق المحبة والوداد الصافى من كل كدر فى حالتى الحضر والغيبة ، وكان رحمه الله ذا همة علية لا ترضى بالأمور الدنية مجبولا على المعروف والإحسان تاركا لأهل المنكر والبهتان ، وكان رحمه الله صاحب دنيا واسعة جدا بحيث يضرب به المثل مثل صاحبه الحاج الطالب بن جلون بل هو أكثر منه مالا ، وقد بلغنى على لسان الثقات أنه كان كثير الإحسان والمعروف بحيث ينفق كل يوم فى سبيل الله مالا له بال ، وإذا كان مارا فى السوق ترى الفقراء من ورائه مزدحمين عليه ويعطى كل واحد ماقدره الله له ، ولا يرد أبدا سائلا لما جبلت عليه نفسه من فعل الخيرات ، ولو تعرض له السائل مرارا حتى إنه شاع فى البلد والأمصار فضله ، وعرفه بذلك أجانبه وأهله ، وكان بعض التجار من أصحابه يسمع بإحسانه فقال فى نفسه والله لأختبرنه وأنظر كرمه ، فتعرض له فى الطريق وأتاه من ورائه على عادة من يسأله ومد له يده فأعطاه شيئا ، ثم تعرض له أيضا وغير صوته فناوله أيضا شيئا ، ثم تعرض له فى موضع آخر فأعطاه شيئا أيضا ولازال معه كذلك حتى بلغ لداره فحسب ما أخذه منه فوجد شيئا له بال فتعجب من ذلك ثم دق الباب واستأذن فى الدخول عليه ودخل وصار يتكلم معه إلى أن قال له كيف بك يافلان تعطى من سألك هذا العدد ولم تخيب من سألك وقد فعلت كذا وكذا حتى اجتمع عندى هذا وأراه الدراهم التى أعطاه فقال له إنك فضحتنى فالله يرزقك فضيحة ، فلما نزل ذلك التاجر الذى كان سائلا سقط من بعض الدرج فانكسرت فخذه ، ولازال كذلك حتى توفى بسبب ذلك ، وقد وقفت على ما أوصى به من متخلفه للشرفاء والفقراء وأحفاده من أولاده مايتعجب منه كل من وقف عليه وجعل الوصى على أولاده والناظر على أحباسه صاحبه الحاج الطالب بن جلون المذكور وكانت داره تعرف بدار السودان لما فيها من كثرة الخدم والعبيد وقد أعتق جميع ذلك وأوصى لهم بوصايا تخرج من ثلثه ، وبعد موته أخذ كل حقه مستوفى .

ولصاحب الترجمة مآثر شتى منها أنه حفر بئرا بالصحراء يردها الرائح والغادي ولازالت إلى الآن تعرف ببئر المباني قرب سوق بوغام المعروف ، ومنها مارتبه حبسا على من يقرأ البردة بضريح الولى الشهير سيدى عبد الله التاودى المدفون خارج باب عجيسة كل سبت ، وسبب ذلك أنه كان مسافرا على ناحية ، وجده بثقلة هائلة مشتملة على بضائع ثمينة من السلعة ، فبينما هو فى الطريق إذ خرج عليه اللصوص من كل جانب وأحاطوا بقافلته وكانت تزيد على المائة بعير حاملة للتجارة فنهبوها كلها وفتحوا أحمالهـا وصاروا يخرجون قوارير عامرة بأنواع العطور ويكسرونها على حجرة هناك تعرف بحجرة المطر الآن بسبب ذلك وظنوا أنها عامرة بالشراب ، ولم تسلم له من تلك القافلة إلا نفسه فرجع إلى فاس وهو يحمد الله على ما أصابه والناس يقولون إنه صار من أفقر الورى بعد أن كان أغناهم ، ثم إنه رأى فى بعض الأيام رجلا فى رؤيا وقال له اذهب إلى ضريح الولى المذكور واحفر بالموضع الفلانى فإنك تجد به أمانة خذها وبع بها واشتر وإذا احتاجها صاحبها ردها عليه ، فاستيقظ من منامه وذهب إلى ذلك الموضع وحفر فيه فوجد مالا له بال فأخذه وصار يتجر به ، وإلى أى موضع رمى بيده جاءته بالفتح حتى حصل له أكثر مما كان عنده ثم رأى بعد ذلك رؤيا وذلك الرجل يقول له رد الأمانة إلى موضعها فإن صاحبها احتاجها فأخذ قدر ذلك المال الذى بيده وذهب به إلى ذلك فوجد رجلا من الصالحين يحفر هناك وهو يتأسف ويتعجب من موضع إلى موضع آخر ويحفر فيه فقال له صاحب الترجمة مالك أيها الرجل فقال له ياسيدى استودعت أمانة هنا [illegible] ولما جئت لآخذها لم أجدها هنا ، فقال له ماهى ؟ فوصفها له فلما تيقن أنه صاحبها دفعها له وأخبره بقضيته فصار ذلك الرجل يدعو له ويقبل يديه .

وبعد رجوعه رتب ذلك الحبس على من يقرأ البردة بضريح الولى المذكور إلى غير ذلك من مفاخره العالية ، وتوفى رحمه الله تعالى أواسط سنة ١٢٥٢ ودفن بسيدى قاسم بن رحمون بجوار المحراب القديم هناك والله الموفق .

الشيخ الحافظ الشنقيطى رضى الله عنه

ومنهم ذو المناقب الشائقة والأنوار الساطعة والفضائل الفاخرة والكرامات

الظاهرة الولى الكبير والعارف الشهير علامة زمانه وفريد عصره وأوانه أبو عبد الله الشيخ سيدى محمد الحافظ العلوى الشنجيطى أحد خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه المفتوح عليهم بالولاية الكبرى وقد ترجم له صاحب البغية عند قول المنية فى تعداد المشهود لهم بالفتح على يدى سيدنا رضى الله عنه

والعلوى الوارث الربانى　　　سيدنا الحافظ ذى العرفان

ما نصه وأما قوله العلوى فالمراد به الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام أحد ورثة أسرار الشيخ رضى الله عنه بلا ريب سيدى محمد الحافظ العلوى الشنجيطى قدس الله ثراه ويأتى فى نسبه ما تقدم فى نسب الناظم رحمه الله تعالى فهو من قرابته اه والذى يظهر فى قوله العلوى نسبة لقبيلة ذوى على وهى قبيلة من قبائل شنجيط وهم ينتسبون إلى سيدى محمد بن مولانا على كرم الله وجهه وقيل إلى على آخر هو جد القبيلة والقبيلة عند قائل هذا منسوبة إلى مولانا الحسن السبط رضى الله عنه وهذا الذى سمعته من الناظم رحمه الله اه

وهذا السيد هو الذى انتشرت على يده هذه الطريقة الأحمدية بالمغرب الأقصى انتشارا لا يمكن فيها الحصر والاستقصاء، وقد تجاذبت أطراف الحديث فى أخباره مع الناظم رحمه الله ذات يوم فطلبت منه أن يضع له ترجمة يجمع فيها ما يعرفه من أخباره فاستعظم ذلك بما ظهر على وجهه أثره وقال لى أمثلى يترجم الشيخ الحافظ؟ وجعل يكررها مرارا فقلت له إنى لم أرد الإحاطة بما يليق بمقامه وأحواله وإنما أردت شيئا يسيرا من خبره فى الجملة أتعلق به. فقال لى إن كان ذلك فاكتب عنى ما أمليه عليك فذكر لى ما حاصله وملخصه:

أن الشيخ الحافظ هذا رضى الله عنه لما حصل من العلوم الرسمية ما حصل وصار إماما يرجع إليه فيها عزم على الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، وجعل من أهم مقاصده التى يطلبها فى رحلته تلك ملاقاة شيخ كامل من أهل الله تعالى، واتفق أن رافقه فى الركب الذى توجه فيه رجل من أهل سجلماسه لأنه توجه فى الركب السجلماسى فلما حصلت بينهما الألفة أفضى كلا منهما لصاحبه بسره وكان مطلب الرجل السجلماسى كمطلب الشيخ الحافظ فتعاهدا على أن يخبر من عثر على المطلوب فى ذلك صاحبه، فلما وصلا مكة جعل الشيخ الحافظ رحمه الله تعالى

لا يألوا جهدا فى طلب ذلك من الله تعالى فى جميع أماكن الإجابة فبينما هو ذات يوم فى الطواف إذ لقيه رجل فأسر إليه شيخك هو فلان ، وذكر له اسم الشيخ رضى الله عنه ولم يكن طرق سمعه قبل فأتى صاحبه وأخبره ثم جعل يسألان عن الاسم الذى ذكر لهما حتى انتهيا إلى أهل المغرب فقال لهما بعض الناس انظروا أهل فاس فأتيا جماعة من سوقة أهل فاس فسألاهم فقال لهما بعضهم هناك عندنا بفاس رجل فقيه يعمل كذا كذا ووصفه بالحكمة وعلم الكيمياء وكأنه يريد بذلك تنقيصه وتابعه على ذلك جماعة إلا واحدا منهم قال لهما انظرا تلك الجماعة فإنهم مظنة لتحقيق خبره أكثر منا فأتيا تلك الجماعة فألفيا عليهم سيما الخير فسألاهم فأثنوا خيرا وعظموا الجانب وذكروا العلم والولاية ونحو ذلك ، وقالوا لهما إن ههنا رجلا هو أخص الخاصة من أصحابه يعنون سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه فنعتوا لهما محله فأخبرهما خبره فأخذ بمجامع قلب الشيخ الحافظ ، فعزم على التوجه لفاس بعد قضاء حجه وزيارته ، فدعا لذلك رفيقه فلم يستطع مفارقة الركب السجلماسى حيث لم يقسم له من الله تعالى شىء عند الشيخ رضى الله عنه

كم نسجت يد حكمت ثم انتهجت بالمنتسج

ثم بعد قضاء حجه وزيارته توجه إلى فاس فأقام عند الشيخ رضى الله عنه فى زاويته المعروفة يربيه مدة وحين أزمع على السفر إلى بلده أجاز له الشيخ رضى الله عنه فى طريقه الإجازة المطلقة ولم يقيد له بشىء إلا فى التقديم فقط فلا يزيد فيه على عشرة وهذا القيد خاص بهذا السند الحافظى كما خص السند الغالى بالتقييد بأربعة فى مرتبتين فقط على ما تلقيناه عن بعض الخاصة ممن هو أحد أربعة المرتبة الثانية. وأهل مكة أدرى بشعابها .

وعند موادعته للشيخ رضى الله عنه قال له أوصنى فكانت وصية الشيخ رضى الله عنه له أن قال له لا تظهر بنفسك حتى يكون الله تعالى هو الذى يظهرك . فتوجه لبلده وأقام بها مدة يدرس العلم للطلبة ولا يدعو أحدا إلى طريق ولا غير ذلك عملا بوصية الشيخ رضى الله عنه فاتفق أن رجلا ممن كان يشار إليه بالصلاح وملاقاة الخضر عليه السلام أتاه ذات يوم بعد أن صلى العصر بتلامذته وجلس إليهم يذاكرهم فلما دنا الرجل من المجلس قيل له هذا فلان فقال سبحان الله ثم قام

إليه ورحب به وأجلسه إلى جنبه فامتنع الرجل أن يجلس إلا بين يديه ثم قال له أتدرى لماذا أتيتك ؟ قال لا . قال أتيتك بإذن لتعطيني الأمانة التي أتيت بها من التل فقال له ياسيدى رأى شيء أتيت به من التل إنما أتيت ببعض الكتب فإن كان لك غرض في بعضها جئتك به وهو لك فقال له الرجل دعني ياسيدى من هذا وإنما أتيتك لتعطيني ورد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه الذي أتيت بالاذن فيه فعند ذلك أنعم له وأذن له في الورد ، فقام جميع من حضر ذلك المجلس ورغب إليه في تلقينه إياه وسار كل واحد منهم إلى أهله وعشيرته فقص عليهم خبر السيد المذكور فلم يبت بيت في تلك الليلة من البيوت القريبة من منزل الشيخ الحافظ إلا وبات فيه ذكر الشيخ رضي الله عنه ، ومن الغد أتاه الناس أفواجا للأخذ عنه ثم تواصل ذلك وتراسل ، فانتشرت الطريق على يده أي انتشار ، وتخرج على يده ما لا يكاد يحصى من الرجال في هاتيك الأقطار ولو لم يكن منهم إلا العلم والأشهر الذى تضرب بولايته في ذلك الصقع الأمثال الولي الصالح الناسك الفاضل سيدى (مولود فال) لكان كافيا في هذا المجال ولو لم يتخرج على يدى سيدى مولود المذكور من سراة الأخيار إلا الجهبذ الكبير الحبر الشهير سيدى باه المعروف (بولدمحمّ ختار) لكان أيضا كافيا في هذا المضمار ، والشيخ باه هذا كان أخذ في أول أمره الورد الكنتي وتقيد بالطريقة الكنتية ثم بدا له الانتقال إلى الطريقة التجانية فتخلى عن الأولى وأخذها فذكر أنه بعد ما أخذها رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، والشيخ رضي الله عنه والشيخ سيدى المختار الكنتي جالسين بين يديه صلى الله عليه وسلم قال فجعل الشيخ سيدى المختار يعاتبني على ترك ورده والانتقال إلى ورد الشيخ وطريقته وأنا أنظر إلى الشيخ عساه أن يجيبه عني فإذا هو رضي الله عنه مطرق رأسه غاض بصره بين يديه صلى الله عليه وسلم متأدب غاية الأدب لايلتفت ولايطرق فلما أكثر عليّ العتب الشيخ سيدى المختار التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فانقمع وسكت عني حينئذ اه

وهذا الشيخ الرائي من مشاهير أهل العلم والصلاح وحدثنا بهذه الرؤيا عنه أمثاله العدول الثقات وفيها اعتبار مابين مقامي الشيخين وبين حاليهما بين يدى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم .

ومن تخرج على يد الشيخ بانم المذكور الشيخ سيدى محمد بن الصغير مؤلف الجيش الكبير وناهيك به رحمه الله تعالى ورضى عنه ومن تخرج على يد سيدى محمد بن الصغير أخوه العالم الكبير العارف بالله تعالى سيدى عبيدة مؤلف كتاب ميزاب الرحمة الربانية وغيره ، وهو الذى أذن لنا وأجاز بهذا السند ، و ... لنا بخط يده رحمه الله تعالى ورضى عنه اه المقصود منه .

وقد ذكر هذا السند سيدى عبيدة المذكور رضى الله عنه فى لاميته التى مدح بها سيدنا رضى الله عنه بعد الدعاء لسيدنا رضى الله عنه بقوله :

وارضى بفضل منه كل مقدم ... علينا له نعمى تجـــد ولا تبلى
كحافظنا وهو المترجم بيننا ... قريبا وبالأخرى كغرتنا الأجلى
وعصباتنا ذى الجيش الاكبر سيدى ... محمدنا نجل الصغير عن المولى
به شيخنا بانم عن شيخه السنى ... مهذبنا مولود عن حافظ وصلا
وعن جملة الاخوان فيك ومن غدا ... لهم ناصرا فى كل قطر من الاملا

وهذه القصيدة لا نظير لها فى مدح سيدنا رضى الله عنه وقد اشتملت على ما ينيف على سمائة بيت ووشحها ناظمها رحمه الله بطراز عجيب الصنع بما يدل على مهارته رحمه الله فى علم الأدب وقد نقل فى البغية طرفا منها وكثيرا ما بحثت عنها بعد أن كنت رأيتها فلم أظفر بها إلا بعد معاناة وكانت عند بعض الاخوان عفا الله عنا وعنه فماطلنى مدة بعد ما طلبتها منه ثم إنه امتنع كما هى عادة كثير من المعاصرين الأقران أصلح الله لى ولهم الشان وأزال عنا وعنه داء القلوب وستر لنا وله جميع العيوب ثم أتى الله بها من غيره ... الله خيرا على خيره ولنذكر منها هنا جملة كافية اتحافا لمن لم تكن عنده ... أن ... منها ... إن نال منها قصده ومطلعها :

... أطلال مية فالفحلا (١) ... ر... ماذا جلا الأعين النجلا
... ... ماملا عن ملالها ... غريب وسلواها سوى الأب والنجلا
... بها الخلان فى حسن زيهم ... بزينة قوم الرقص إذ أحدثوا العجلا
فكم سحرت منهم رجالا ونسوة ... تمر بها ركبا وتمشى بها رجلا
وكم خلصت إلا عن اللهو والصبا ... بغيرهم ضمائم سجلت مجـلا
نفوس الهوى من حبهن رهينة ... فما قدمت كفا ولا أخرت رجلا
حمى برهة من ميـــة بأحاطها ... بفاتر جفن مر من عينها النجلا

(١) الفحل : اسم موضع

نتيجة شكل يمتن الفخر أنجبت … نفائسه أبهى من الشمس بل أجلى
أعنت لأرباب الهوى أريحية … من الغنج الحاوى التملل والمطلا

إلى أن قال :

وعج ب[illegible] مرتقيا … أنوف العدا بالوصل فى الشيخ من أدلى
ودم بالإخا سلوان من فاته اللقا … من الشيخ عنوانا لمن أحكم الجذلا
ثمن فاته محبوبه إنجاز رغبـــة … لمن حازه أوحاز من حازه شكلا

إلى أن قال :

لخيهم أسنى التحـــايا مودعا … وداع وداد لايحول ولايبلى
بدار القيعـــان السلامة راشدا … ببالك فاس البال تبغى الهدى نحلا
تمر بها مرا ملاحظ إخوة … من الشيخ لايرضون منك بما قلا
ترى عين ماضى عين حالك شيقا … لمكناسة الزيتون مستقبلا حجلا
ترى العربى ابن السائح العمرى الذى … ينسيك مرءاه الجهابذة استحلا
فتأخذ فاس العلم والمجد والمنى … بصورة فاس الجهل فى كنفه الشلا
تراقب أرباب التحرى تنصلا … وبغيتك القصوى زيارة من جلا
من اهل التقى والخير والرشد سنيا … وسيلتنا العظمى تجانينا الأعلا
محط رحال الطالبين ومبتغى … مريدى التقى لم يخفروا أبدا إلا
به فاسهم طابت وطاب كؤوسها … مناولة حسا ومعنى فلم تقـــلا
فكم سلبت نفسا سبتها غريزة … رفاهية العيش الموطئة الحبلا
وكم أعجبت صرفا محاول متجرا … فانفق فيها يوجب الفتنة الرطلا
وكم قومت فهما سقيا مياهها … لطالب علم كان أكمه مختـــلا
وكم أتحفت ندبا بحسن عبارة … قليلة لفظ كان معنيُّها جزلا
لها ساقَ قدما سائق الخير سائق … تجده على كثر يرى حظهم نشلا
وحسبك أن العلم ينبع منهم … كما تنبع الحيطان بالماء منهلا
وخاتمة الأعيان فيها كما ترى … بتيمته الشيخ المعلى ومن أدلى
من اكياس كاس أتحفوا بكرامة … بمرأى زوايا الشيخ أفنية الابلا
فلم يتركوا الأخرى لأمر دناهم … ولم يتركوا الدنيا لآخرة تسلا

إلى أن قال :

بلثم تراب الشيخ شيخ العلا قدت ... زوايا العشايا من تلفعها شغلا
تجانينا تاج المحبة تاجه ... ورواجت مزاياه ...ج سما الجلا
به عين ماضيه تصفى فريدة ... صحيحة مبنى إذ بها النشئة الفضلا
أعلل نفسى بالتصور الذى ... أراجعه فالعدل أن تترك العذلا
فإن لم يكن يهوى دواء بذكر من ... يحب إذا مامنه قد حرم الوصلا
نشا بين إخوان أشقا وعشرة ... وأخوال عز من تجان مضوا خلا

إلى أن قال :

ولما توفى الوالد المعتنى به ... قديما تولى أمر أولاده كفلا
فكان بهم برا تقيا معلما ... لجهلهم فى الدين بينهم حلا
ودام على التدريس للعلم مدة ... وتدوينه فى عين ماضى وما اعتلا
إلى أن حواه ما حواه لبحثه ... بآفاقه عن رشده فابتغى الرحلا

إلى أن قال :

قفولا إلى سمغون قرية فتحه ... برجعته فيها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم
فلقنه الورد الملقن ضامنا ... له جملة الأتباع عينا كما املا
وأن لا يرى من غير خير الورى يدا ... وأن إليه منتهى أمره إعلا
فقام ولا يثنى إلى الغير همة ... سواء لديه من جفاه ومن أتلى
إلى دعوة الخلق التى كان هاربا ... عن ارجائها أمرا من المهتدى الأعلا
ومن ثم لا نسأل عن انوار سكره ... وعن صحوه حدث ولا حرج يصلا
ترادفت الأنوار وازداد سقيه ... برى على رى مواصلة المطلا
يحب مواطاة الرسول بكل ما ... تواطأت الآثار عنه به فعلا
غدا فى اتباع السنة الصرف آية ... وقد على حذو النعال لها نعلا
فمازال يرعى ظاهر الشرع واقفا ... به مع ماحد الإله له جلا
ويسدى الأهل الظاهر الصرف حرمة ... ويبدى لأهل الباطن السر إن حلا

إلى أن قال فى فعل سيدنا رضى الله عنه مع أصحابه وغيرهم .

وحكم فى النفس الشريعة أسوة وفيمن تولى أمره تابعا خلا
يوطنهم حالا وفعلا قبيل ما يواقعهم قولا فيربى لهم عكلا
فلم تكتحل بالنوم منهم خريدة على أمر تحكيم العوائد باستهلا
إلى أن حوتها سيرة مطمئنة بغير اكتحال كالها لم ترد كحلا
تجنب أخبار العوام فلا يرى مجانسة فيما تحاوله بطلا
ومهما يخالط مرة قام بينهم لإصلاح ذات البين يحملهم حملا
ولا يسأل المعقوص إسقاط حقه ويكرهه من أوجه كلفت كلا
فلازم شدا للحيازم اخذا بالاولى فالاولى فى أمور الورى جلا
تواسى ذوى الفاقات أيدى اصطناعه وتسلى الغريب الفرد أكثر ما يسلى
ويحنو لأرباب المصائب رقة تفطر قلب الفظ فى خلقه بلا
يعاشر بالمعروف طبقا لما يرى من خلاقه فالقلب بالقلب والأشلا
لذاك تراه يؤثر المرء ظاهرا ويعرض عنه وهو خلاله حلا
ويعجبه بادى الأمور ولوجفا ويبغض ذا الوجهين فى أمره مقلا
ويأبى مولاة الولاة مجانبا فضائلهم قد عد نائلهم حلا
يرى يده الطولى عليهم ولا يرى لهم منة بل للعلى فقط جلا
فما قابلت عيناه وجه معظم تكبر إلا اختل فى نفسه خبلا
ولا رجعت بعد الترحل همة له قبل أن تلقى الملاقى ولا انجلا
ولا انخدعت فى أمرها قط مهجة له والتعامى فى موطن يستحلا
ولا جاءه من يشتكى بمصيبة وزائر الاطاب نفسا بها بتلا
ولا باعد يبدى اتكالا على التقى تباعد إلا عاين الكثر منفلا
ولا قاصر قد روع الأمر روحه عن الكثر إلا استكثر العمل القلا
ولا وصلت منه العوالم مصرفا على الوجه إلا صادفته لها أهلا
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا وأعظم بفضل الله إن يؤته فضلا

إلى أن قال:

فنادى لسان الحال كل مسدد هلموا فهذا عين مقصدكم إلا
وأما سوى هذا فليس لكم به فلاح ولا إصلاح حال به أصلا

وأحسن منه أن تدينوا مليككم   بدين صريح بالصلاة على الاجلى
له من صلاة الله ماهو أهله   مع الآل والتالى لمن مهد السبلا

إلى أن قال :

وجلاسه تمضى على قلب واحد   كأن عليها فرخ طير الكرى حلا (1)
إذا ماطرا أمر تحروا مراده   وقوفا مع الأمر الذى شاءه فعلا
فإن ينه كانوا عنه أروع منته   وإن يك منه أمر ابتدروا كلا

إلى أن قال :

تخاف جليس الوقت كشف عواره   بمجلسه والستر عوده قبلا
يرى ظاهر الأشيا جليا بظاهر   وباطنها بالباطن المرتضى بجلى
له همة سباقة وعزيمة   ترى الرجع عن أمر تحاوله جهلا
لو اهتم يوما بالثريا لنالها   وما فوقها من عرش عالمها سهلا
أنتبه على النهج الخلافة منحة   وألقت عصاها عنده تبتغى النزلا
لحلى بكشف الايم واليتم جيدها   فأعظم به بعلا وأكرم به نجلا
بكلية الشيخ التجانى قد سرت   علوم الجمالى والجلالى فلا فلا
تنى مفاتيح الكنوز بيديه   الى أن رأى فردية فرق المعلى
يحدث عن أقطاب أمة من غدا   له وارثا فيها حديث من استعلى
مقاماتهم كلا مشارب قد جرت   مع الدم منهم فاغتدى بينهم طفلا
على أكمل الهيئات ثم تتاجه   سلوكا وجدنا فى العلية والسفلا
فشب على مرقى مناهى حدوده   كما قد تنوّاها مبادئها طفلا
تجمع فيه كل من كان قبله   شقيتا لحاز السبق من بينهم خصلا
خلافته معقولة قبل كونها   وآثارها منقولة كلها نقلا
لئن أخرت وقتا فهى حريه   بتقديمها بين الألى فضلوا فضلا
تقلد سر المصطفى البر وحده   فلاح فلاح المستظل به ظلا
مقاليدنا بالكون أوتى سرها   بالاعظم من أسمائه دق أو جلا
تقدم للتصريف فى عالم البنى   بالاشباح والأرواح فاستروح المكلا

(1) فى نسخة كأن على اليافوخ طير الكرى سلا

وشيد من حسن السياسة سيرة   تحار ذوو الألباب من دونها وهلا
تعودها من نفحة نبوية   تنسمها من ديمة هملت هملا

إلى أن قال :

تميز بالوصف الجنانى مثل ما   تميز بالكون العيانى مستحلا
له صورة بين الأنام عليـــة   ترى مرة وسطى وطورا ترى عبلا
على طبق مالاقته واشحة بما   حوت من جمال أو جلال سق ذهلا
بياض مجلاها مشوب بحمرة   وقامتها قلوى ومنطقها أحلى
برى جهورى الصوت أحسنه على   سنى شيبة أبهى بهى مشى حجلا
له الجود طبع والفتوة ديدن   له وانعم القول إن طابق الفعلا
مهابا جليلا ذا حياء وعزة   وسحر بيان لايمل إذا يملى
يعبر عن كنه المراد مبينا   بيان من استولى فلم يخش الحظلا
إذا ما انتحى معنى يكاد بذهنه   وفطنته قبل التعلم أن يجلى
فيدركه من أصل فطرته فيما   له من ذكاء وانق العقل والنقلا
هو المعرب المروى المربى بحاله   بإعراب تغــــيير أوائل ماخلا
فأوتى من فصل الخطاب جوامعا   بجامع أرباب النهى أخذت كلا
إذا الغامض المعمى العويص استضافه   وحل بها يوما يؤم القرى حلا
كساه بتغيير الجواهر حـــلة   وحل بواها قبل قولته حلا
فيجعل بعد الذكر قربى بديلة   من اقرب مذكور يقربها جعلا
فتجلو ولم يحتج لإبراد شاهد   عليها وكم سام التكلف من حلا
وما ذاك إلا للإجابات بالذى   تكشف ذاك الرمز من سعة الإفلا
طواها لجلاها بفوز بمستوى   إشارته فصحى وتعبيره أجلى
إذا ماذعا للصعب حرض إلفه   فلولاه ما استحلى مقاساته المقلا
ألا أحسن الله العزاء بفضله   لفقدان بشر منه فى وجهه الأجلى
ولاجرم الله الوصول لبقعة   حوت جدثا حاز المطهرة المجلى
ولا منع اللقيا بحضرة سدرة   بها ملتقى الأرواح لاملتقى الأشلا

تحل بها الآجال من سلم الرجا | وترقى على الآمال من ذلك المصلى
عليك رضى الرحمن ياشيخنا الرضى | وأرضاك عنا واستفدنا الرضى فضلا

إلى أن قال فى استعطاف الشيخ رضى الله عنه وبه وقع ختامها .

قنعت بما يولى ويمنع سيدى | تعاظم أن نلق بساحته بخلا
تكامل جدواه لعافيه موفيا | لأوفى مراد لا نحس به عدلا

سيدى محمد الطالب جد الشنجيطى

ومنهم العالم الذى ضربت أكباد الأبل لاقتباس الأنوار من مشكاته وشاعت فى جميع الأقطار فى زمانه فضائله الدالة على علو مقاماته ، الجهبذ الكبير والقدوة الشهير قاضى شنجيط وإمامها . أبو عبد الله سيدى محمد الطالب الشنجيطى هذا السيد الجليل من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وخاصته المشهود لهم بالفتح الكبير والرتبة العالية فى الولاية من غير نكير ، وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد جماعة ممن اشتهروا بالعلم والصلاح ممن أخذوا عن سيدنا رضى الله عنه

والعلوى حبر شنجيط العلم | الطالب العلامة البحر الخضم

بقوله وأما ثالثهم فهو إمام جيله والعالم المشار إليه بين أهل جلدته وقبيله أبو عبد الله سيدى محمد الطالب المدعو جد الشنجيطى العلوى من قبيلة الناظم رحمه الله وقد ذكره هو والسيد السالك المتقدم الذكر فى كتاب الجيش الكبير ووصفهما بالإمامة والجلالة والقدر الخطير ، ويكفى هذا السيد الجليل القدر تحلية الناظم له بالحبر والبحر رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بمحبتهم آمين اه

وكما ذكر هذين الإمامين صاحب الجيش ذكر معهما الشيخ سيدى محمد الحافظ المتقدم الذكر ونصه فى شذانة تكلم فيها على رفع قدر الشرفاء العلماء قال وإذا تمهد هذا فالشيخ التجانى رضى الله عنه جمع أصول الشرف من العلم والولاية والنسب النبوى ووصفه بالولاية العظمى عدول أثبتوها له شاهدوه ورأوا عليه علامات الولاية والخصوصية وأخذوا عنه ورده ، منهم الشيخ سيدى محمد الحافظ العلوى وقاضى شنجيط ومدرسها الفقيه الطالب جدّ بن الشيخ العلوى وإمام ودان وعالمه أوحد زمانه السالك بن الإمام الحاجى رضى الله عن الجميع ولا نعلم أحدا أعدل من هؤلاء النفر الثلاثة فى المغرب الأقصى الخ

العلامة سيدى أحمد الودانى

ومنهم العالم العامل والعارف الواصل أبو العباس احمد بسالم الودانى أخ العارف الكبير سيدى محمد السالك ، كان صاحب الترجمة رحمه الله أكبر علما وسنا من أخيه المذكور كما حدثنى بذلك المقدم البركة الشريف الناسك والذاكر السالك سيدى محمد ابن المختار الودانى القاطن بالسودان من حفدة سيدى يحي بن ادريس قال : ولما سمع سيدنا رضى الله عنه شدّ له الرحال من ودان إلى فاس مع أخيه المذكور وتلاقيا مع سيدنا رضى الله عنه وانتفعا به وأخذا حظا وافرا من أسراره الباهرة ثم ارتحلا بهذه الغنيمة العظمى قاصدين للحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فتوفى صاحب الترجمة رحمه الله بالحرم الشريف ورحل أخوه سيدى محمد السالك إلى قراره اهـ وهو صاحب الأبيات المتقدمة التى أولها :

إلى أحمد التجـان وجهت رغبتى ... وماضاق من أمرى وماقل من صبرى

سيدى محمد السالك الودانى

ومنهم أخو المترجم له العلامة المتفنن والدراكة المتقن المقدم البركة أبو عبد الله سيدى محمد السالك المذكور وفيه يقول صاحب المنية :

وكم إمام عالم عــلامة ... نقــادة دراكة فهــامة
من ورد شيخنا الامام قد ورد ... حتى تضلع وفاز بالمــدد
كترجمان العلم والقرآن ... السالك العــلامة الودانى

قال فى البغية هو العلامة الأوحد الإمام المبرز الفاضل الأمجد سيدى محمد المدعو السالك ابن الإمام ولم يحضرنا الآن من تفاصيل أخباره ما نثبته فى هذا الديوان وكفاه تحلية الناظم إياه بترجمان العلم والقرآن . والودانى نسبة إلى ودان بلدة بصحراء شنجيط معروفة ولم تزل كونها دار علم ومقر خير وصلاح إلى الآن موصوفة انتهى .

أقول وقد حدثنى الشريف سيدى محمد بن المختار الودانى المتقدم الذكر أن صاحب الترجمة قد تخرج على يده جملة من المقدمين منهم ولد عم المترجم له سيدى الأمين الودانى والمقدم سيدى محمد المختار والمقدم ولد عمه سيدى أحمد الودانى ومنه

[illegible] الطريقة التجانية في أقطار [illegible] [illegible] أبراج [illegible] [illegible] روح [illegible] وقفت على قصيدة للعلامة [illegible] [illegible] العلامة سيدى محمد إكنسوس رحمه الله نذكرها هنا استحلا [illegible]

ألا إن [illegible] الناس [illegible] محمد ... [illegible] [illegible] [illegible]
عليه صلاة الله [illegible] ... [illegible] [illegible] بباب
ولى به ختم الولاية [illegible] ... [illegible] [illegible] أتى بكتاب
ولى تمنى الأولياء مقامه ... [illegible] الحقيقة [illegible]
ولى ترقى في المعارف ناشئا ... [illegible] دين الحق بعد خراب
ولى له فضل الولاية [illegible] ... [illegible] [illegible] رقاب
فأصبح قطب الأولياء وغوثهم ... [illegible] [illegible] وقراب
ومنه استمدوا واستضاءوا بنوره ... [illegible] [illegible] كل شهاب
هو الجامع الكتم والبحر [illegible] ... [illegible] [illegible] من [illegible] وشراب
[illegible] فضل الشيخ من غير خبرة ... [illegible] [illegible] الجهل غير صواب
[illegible] نور الشمس عند [illegible] ... [illegible] [illegible] حجاب
[illegible] ... [illegible] [illegible] بعجاب
وليس لما أعطاه [illegible] مانع ... [illegible]
[illegible] خلق الله فضل بفضلهم ... [illegible] [illegible] [illegible]
فلا تنتقد إن كنت لم تعتقد فقد ... [illegible] [illegible]

[illegible] الرحمن التنجيلى

ومنهم [illegible] الشيخ [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] الروع والأصول أبو زيد سيدى عبد الرحمن [illegible] [illegible] [illegible] صديق له

هذا السيد الجليل من أفاضل الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين عرفوه قبل ظهوره الظهور التام واقتبس من مشكاة نوره الخاص قبل العام وله فى مدح سيدنا رضى الله عنه قصائد وقد ذكر فى جواهر المعانى منها قصيدة فى فضل الورد الشريف ونسبها لبعض الأدباء وهى :

تجانيتنا يتنسه بالذكر معمور ... وبالله [illegible] وبالخيرات [illegible]

مؤقت فيه ذكر الله ماطلعت شمس وما غربت وذاك مشهور

أحيا طريقة أهل الله فهو به مؤلف جمعها والذكر مجبور

شيخ المشايخ من فى طى بردته جيب على النور والأسرار مزرور

من داره جنة الفردوس وهو بها رضوان خازنها أذكارها الحور

يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها فاشرب مفجرها فأنت مأجور

أوراده عن رسول الله قد رويت كذاك أفعـالـه والسر مأثور

فانقل فديتك فى آثاره قدما فان نقلت فذاك النقل مدخور

واحرص بأن تنتمى يوما لجانبه لحظ من ينتمى إليه موفور

ولازم أوراده جمعا ومنفردا فذاكر الله عند الله مذكور

وقد ذكر غالب هذه الأبيات الولى الصالح سيدى العربى بن السائح فى أول البغية وحلى ناظمها بقوله : ولله در العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات المبرز على أهل زمانه فى تحقيق الجزئيات منها والكليات أبى زيد سيدى عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطى المتوفى بفاس العليا فى شوال سنة أربع وعشرين ومائتين وألف حيث قال فيما نسجه فى مدح سيدنا رضى الله عنه على أبدع منوال وأعجب مقال ، أحيا طريقة أهل الله الخ .

وترجم له عند ذكر صاحب المنية لبعض الأفاضل من أصحاب سيدنا رضى الله عنه حيث قال :

وغيرهم من علماء السنة أهل الفضائل وأهل المنة

بما نصه : ومنهم شيخ الشيوخ العالم العلامة أبو زيد سيدى عبد الرحمن الشنجيطى المذكور فى طالعة هذا التقييد كان إماما جليلا فى سائر العلوم وكان يدرس بفاس العليا وكان جميع نجباء وقته يأتون من فاس الادريسية على أرجلهم لحضور مجلسه وتخرج منهم على يده جماعة حسبما هو مصرح به فى بعض الفهارس لبعضهم كان هذا السيد قدس الله سره قبل أن يأخذ عن الشيخ رضى الله عنه مبجلا معترفا له بالخصوصية الكبرى مسلما أن علمه من علوم العارفين الكبار أهل الكشف الصحيح . حدثنى سيدى محمد الحفيان المتقدم ذكره قدس الله سره عن رفيقه السيد السباعى المذكور أنه كان قبل أخذه عن الشيخ رضى الله عنه يقرا على هذا الشيخ

صاحب الترجمة بالمسجد الأعظم بفاس العليا فلم يلبثوا ذات يوم أن دخل الشيخ رضى الله عنه عليهم ومعه بعض أصحابه فقام رضى الله عنه إلى سارية يصلى تحية المسجد والشيخ سيدى عبد الرحمن ينظر وربما شغل بالنظر إليه عن بعض مايقرره لهم فلما رأى الشيخ رضى الله عنه سلم من صلاته قطع القراءة وقال لتلامذته قوموا بنا نتبرك بهذا الشيخ فقاموا مسرعين له وهم يعتقدون أنه لايبلغ درجته فى العمل والعلم فجلس بين يدى الشيخ رضى الله عنه بأدب ووقار وطلب منه الدعاء له والتلامذته فأسعفه بذلك ثم سأله عن بعض ماكان أهمه من المسائل فأجابه سيدنا الشيخ رضى الله عنه بما تبين به الحق والصواب ثم أمره أن يرجع إلى محل درسه ويكمل نصابه ولما انصرف الشيخ رضى الله عنه وقضى الفقيه درسه قال له السيد السباعى ياسيدى والله مااتخذناك شيخا وقصرنا النظر عنك إلا لتيقننا أنه لا أحد أعلم منك فى مغربنا ثم إنك قمت إلى هذا الرجل الصحراوى المعصب رأسه بخيط وبر الابل فسألته عن تلك المسائل ثم أذعنت لجوابه فقال له اسكت يابنى فوالله الذى لا إله إلا هو ما أعلم على وجه الارض أعلم منه وهذه المقالة كانت سبب تعلق قلب السيد السباعى بجانب الشيخ رضى الله عنه حتى أخذ عنه رضى الله عنه، وقد قدمنا تاريخ وفاته فى طالعة الكتاب .

وحدثنى بعض الأصحاب من المتبرزين فى العلم والفضل أن سبب مرض هذا السيد الذى توفى منه أن بعض أهل فاس كانت عنده دعوة فدعاه من جملة من دعاه من العلماء والأماثل فباتوا عنده فلما كانوا فى أثناء الليل أخذوا يتذاكرون أخبار صلحاء الوقت فتناول بعضهم جانب الشيخ رضى الله عنه بشىء من الإنكار وساعده بعض الحاضرين على ذلك وهذا السيد سيدى عبد الرحمن مستحضر للجواب عن ذلك فلم يرد عليهم بشىء فأخذته سنة فى تلك الحال فرأى الشيخ رضى الله عنه وكأنه انقض عليه من الهواء فقال له مالك لم تتكلم وماتصنع هاهنا ثم أخذه بقوة وصعد به فى الهواء فانتبه مرعوبا وأحس بألم فى ذاته من حينه فكان ذلك سبب مرضه الذى توفى منه ولما احتضر كان يحدث بذلك تنبيها للغير وتنويها بشأن الشيخ رضى الله عنه وفى هذا القدر الذى ذكرناه على قوله وغيرهم من علماء السنة الخ كفاية والله المستعان انتهى

السيد عثمان الفـــلانى الاكنارى

ومنهم المقدم البركة الفقيه السيد عثمان الفلانى الإكنارى أخذ عن سيدنا رضى الله عنه الإذن فى الطريق وتلقينها لطالبها مع قبولهم للشروط المقررة لما توسمه فيه سيدنا رضى الله عنه من أمارات الخير والصلاح حيث شملته العطفة التجانية ودعاه داعى الفلاح للدخول فيها ، ولم يزل رحمه الله مواظبا على الذكر آناء الليل وأطراف النهار وتلقينه لما يتلقاه من الأسرار إلى أن توفى رحمه الله فى قرية كيهيد بالسودان وليس له عقب رحمه الله كما حدثنى بذلك بعضهم .

مولاى أحمد بن عبد السلام الفلالى الودغيرى

ومنهم البركة الجليل القدر نير القلب ومنشرح الصدر العارف الأكبر والولى الأشهر ذو الكرامات العديدة والأخلاق الحميدة الشريف الأصيل مولاى أحمد بن عبد السلام الفلالى الودغيرى ، هـذا السيد من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين يقومون مقامه فى أجوبة الرسائل وإنشاداتها فى المحافل ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا محبة خاصة يغبطه فيها العامة والخاصة ، وهو أحد الخاصة الذين غارت مرتبة العلامة سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنهم من مراتبهم العالية وأراد أن يتصرف فيهم فوقع بينه وبينهم ما وقع .

وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن سيدنا رضى الله عنه أمر سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنـه أن يتشفع للنبى صلى الله عليه وسلم بسيدنا إبراهيم عليه السلام فى مسامحة الفقيه سيدى محمد بن المشرى مما صدر منه فتشفع له به فى مشهد رآه فيه مضمنه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى قبة خضراء تتلألأ بالأنوار ومن جملة من معه فى تلك القبة سيدنا إبراهيم عليه السلام فلما رآه سيدنا إبراهيم عليه السلام علم مطلوبه فتقدم سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم وتشفع فيه فقبل شفاعته وقال له لولا أنك (أبى) ماسامحته ولكن يأمره بالخروج من البلدة التى هو فيها برفق ولين إلى آخر المشهد ثم بعد ذلك وقفت على هـذا المشهد وهو طويل تركنا نقـله هنا باللفظ قصدا للاختصار وصاحب الترجمة مدفون بتونس وقبره بين الأصحاب هناك مشهور يتبرك به اهـ

وقد وقفت فى كناش سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه الصغير والكبير

على تقييد له جمع فيه بعض ما تلقـــاه عن سيدنا رضى الله عنه من مقالاته الشريفة الدالة على علو مقامه واختصاصه بالختمية نذكره هنا تتميما للفائدة ونصه بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

اعلم أرشدنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه وألهمنى وإياك للصواب والتوفيق فى كل أمر قدره وقضاه ورزقنا التسليم لكل أواب أواه ان الإمام الهمام قدوة الأنام وحجة الاسلام سلالة الأشراف الكرام ونخبة الفضلاء الأعلام العارف بالله أبا العباس سيدنا ومولانا أحمد بن محمد بن سالم التجانى الشريف الحسنى هو القطب المكتوم المعلوم الذى أخبرت به أكابر الأولياء وتحدثت به فى كل زمان وفى كل مجمع من جموعها وتمنى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك القطب الشيخ الأكبر ابن العربى الحاتمى والشيخ مصطفى وغيرهما من الأكابر رضى الله عنهم وذلك أن ابن العربى الحاتمى رأى مقاما فاق كل مقامات الأقطاب ولا فوقه إلا مقامات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فظن أنه له واطمأنت نفسه به غاية الاطمئنان وفرح به كل الفرح وأنشد :

بنا ختم الله الولاية فانتهت إلينا فلاختم يكون لها بعدى
وما فاز بالختم الذى لمحمد من امته والعلم إلا أنا وحدى

فبينما هو كذلك إذا بمناد يقول ليس لك ماظننت وتمنيت وإنما هو لولى فى آخر الزمان ليس ولى أكرم على الله منه ، قال فعند ذلك سلمت الأمور إلى خالقها ومكونها ولقد طال ماجلت بصيرتى فى الغيوب لأطلع عليه وعلى مقـــامه واسمه ونسبه وبلده وكيف حاله فما أطلعنى الله على شىء منه ولاشممت له رائحة أصلا .

وأما سيدنا رضى الله عنه فقال أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة لا مناماً اه . فقلت له وما معنى المكتوم فقـــال لى رضى الله عنه هو الذى كتمه الله عن جميع خلقـــه إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله ، وقال رضى الله عنه نسبة الأولياء إلى القطب المكتوم كنسبة القمر إلى الشمس وهو الذى حاز جميع ماعند الأولياء

من الكمالات الإلهية والأسرار الربانية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحدة منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت فى نبي ولا ولى قبله إلا فيه صلى الله عليه وسلم وفى الأقطاب الذين بعده إلى الحجة العظمى ابن العربى الحاتمى رضى الله عنه إذ قال بنا ختم الله الولاية فانتهت البيتين وأما الوصف والنعت فلايعد فيها شيئا .

واقد قال لى سيدنا رضى الله عنه ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء من بواطنها وأسرارها وخباياها وعلومها إلا لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأنا معه حمدا وشكرا لله وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط «١» وهو الذى قال إن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ما فاض وبرز من ذاتهم تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور ولى علوم خصصت بها بيني وبينه بلاواسطة لم يكن لأحد بها علم ولاشعور إلا الله عز وجل

وقال رضى الله عنه أنا سيد الأولياء كما كان النبى صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء

«١» نقل عن جماعة من العارفين من سلف الأمة مايوهم شفوف مرتبتهم على بعض النبيين عليهم الصلاة والسلام ، وقد اتفقت كلمة الأولياء على أن ذلك الكلام مؤول لايؤخذ على ظاهره وقد نقل سيدى الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه بعض هذا الكلام فوجه تأويله وصرح بأن الولى لايصل إلى مرتبة نبي فى العلوم الإلهية فقد يعلم مالا يعلم النبي فى العلوم الكونية وضرب مثلا لذلك بسيدنا موسى والخضر عليهما السلام ، وقد رجح المحققون من الأولياء أن الخضر ولى وليس بنبي وأن سيدنا موسى لوعلم أنه نبي لما اعترض عليه ولما قال له لقد جئت شيئا نكرا . لقد جئت شيئا إمرا وعلى هذا يؤول كلام الشيخ رضى الله عنه فقد قال: إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه ، قاله حين سئل أيكذب عليك قال نعم فما لم يوجد له توجيه يتفق مع القواعد العلمية نعلم أنه لايصح عنه رضى الله عنه .

فلا يشرب ولى ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور (١)، وهو الذى قال أنا الذى إذا كان يوم القيامة ينادى مناد فى الموقف يا أهل الموقف هذا إمامكم الذى كان مددكم منه من نشأة العالم إلى الآن وهو الذى قال إن جميع الأولياء كلهم يدخلون زمرتنا ويتمسكون بطريقتنا ويأخذون أورادنا من أول الوجود إلى يوم القيامة وإن المهدى رضى الله عنه يأخذ عنا إذا قام آخر الزمان بعد مماتنا وانتقالنا من دار الفناء إلى دار البقاء وهو الذى قال أنا ذنب الجوزهر ينحل كل من قاربنى من الأولياء الصغار والكبار، وهو الذى قال أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمال كل من ذكرها اثنى عشرة مرة على وضوء وطهارة بدنا وثوبا ومكانا وفراشا، وقال: هذه هدية لك يارسول الله فكأنما زاره فى روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك فهذا سبب قطع الزيارة عن كافة أصحابه بحيث لا يزور أحدا من ساداتنا الأولياء رضى الله عنهم إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكل من زار وليا من الأولياء انقطع الحبل بينى وبينه فلا هو بنا ولا هو بذلك نعوذ بالله من الشكوك والظنون.

وقال رضى الله عنه لامطمع لأحد من الأولياء فى مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ماعدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنا لى عليهم الحرمة الدائمة

---

(١) ذكر سيدى عمر بن سعيد الفوتى هذا الكلام وبيّن معناه أن هذا من العام الذى أريد به الخصوص ولا يتوجه إلى الصحابة رضى الله عنهم، إذ قد صرح أن الصحابى أفضل من غيره ولو بلغ ذلك الغير مابلغ فى المعرفة بالله تعالى وضرب رضى الله عنه مثلا لعمل الصحابة مع غيرهم بمشى النملة مع سرعة القطا، ومقام الشيخ رضى الله عنه فى العلم وفى الدين مما يحول بيننا وبين إرسال العبارة على ظاهرها وكلامه رضى الله عنه: إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع ثابت، وهذا الكلام المبارك كما فتح لنا باب رفض ما لا يتفق مع الشرع مما يؤثر عن الشيخ فتح لنا باب حمل كلامه على مايناسب الشرع لأنه رضى الله عنه تبرأ مما يخالف الشريعة انتهى ملخصا من رسالة إلجام الخصم الملد الدفاع عن الشيخ الممد للإمام العلامة أبى طاهر المغربى التجانى آل أبى القاسم طبع تونس سنة ١٣٤٧ هجرية. المصحح

والعلو الكامل فى الدنيا والآخرة لامن كبر شأنه ولا من صغر ، وهو الذى قال إن أصحابنا لايدخلون المحشر مع الناس ولا يرون محنة ولا مشقة من الممات إلى الاستقرار فى عليين بجوار المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهو الذى قال أعطانى الله فى الجنة مقام أربعين نبيا لم تعط لغيرنا قط «١» ، وهو الذى قال كل الطرق تدخل فى طريقة الإمام الشاذلى رضى الله عنه إلا طريقتنا لأنها مستقلة بنفسها ولأجل أنها محمدية ابراهيمية حنيفية أعطاها منه إلينا وقال لى لايصلك شىء إلا على يدى ، وهو الذى ربانا وسلكنا حتى بلغنا المنى حمدا وشكرا لله ، وقال رضى الله عنه لوبحت بما علمه الله لى لأجمع أهل العرفان على قتلى «٢» وأما ما أعده الله لأصحابنا من الفوز الأكبر فلا يظهر إلا يوم القيامة ، وقال رضى الله عنه إن صاحبى لاتأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها لأن قدرة الله صالحة لكل شىء ، وقال رضى الله عنه ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة

«١» أى بطريق الوراثة والعلماء ورثة الأنبياء

«٢» قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه « الجواهر الدرر » تحت عنوان ماس مانصه : سألت شيخنا رضى الله عنه عن قول الجنيد رضى الله عنه : لايبلغ الرجل درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق . ما المراد بدرج الحقيقة قال رضى الله عنه : درج الحقيقة هو زوال هذا الوجود فى الشهود فإنه إذا شهد هذا المشهد لايصير يرى إلا الله ، وإذا لم ير إلا الله فما يدرى مايقول فلا يسع الصديق إلا أن يرميه بالزندقة غيرة على شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فالمراد بالصديق هو من سلك طريق الشرع على التمام والكمال ولذلك صحت منه الغيرة على الشريعة وعادى من شطح عنها من أهل الوحدة انتهى باختصار ونحو هذا قال الشيخ سعد الدين فى شرح المقاصد رحمه الله :

السالك إذا انتهى فى سلوكه إلى الله تعالى وفى الله سبحانه يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ماسواه ولا يرى فى الوجود إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذا الذى يسمونه الفناء فى التوحيد وإليه يشير ما فى الحديث الإلهى من أن العبد لايزال يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وحينئذ —

أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب إلا أنا وحدى ولو بلغوا مابلغوا من الذنوب وعملوا ماعملوا من المعاصى «١» وأما سائر سادتنا الأولياء رضى الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة إلا من منّ الله عليه بفضله . وقال رضى الله عنه أعطانى الله الشفاعة فى عصرى أشفع فى أهله إلا من أبغضنا فلايموت إلا كافرا ولو حج وجاهد فهذا كله من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بوعد صادق .

وقال رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى ، أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين وأصحابك أصحابى وفقراؤك فقرائى وتلامذتك تلامذتى . وقال رضى الله عنه قال لى سيد الوجود ﷺ كل من نظر فى وجهك يوم الجمعة ويوم الاثنين دخل الجنة بغير حساب .

وقال رضى الله عنه كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها لأن طابعنا يركب على كل طابع ولايحمل طابعنا غيره .

وقال رضى الله عنه من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية الابراهمية الحنفية أمنه الله فى الدنيا والآخرة فلا يسوؤه شىء أبدا وهذا بوعد صادق منه صلى الله عليه وسلم منه إلينا وأن كل من دخل فى زمرتنا وخرج منها إلى غيرها طرده الله من حضرته وسلبه مامنحه من محبتنا ويموت كافرا والعياذ بالله من مكر الله ولايفلح أبدا ولا ينفعه ولى من الأولياء كائنا من كان .

وقال رضى الله عنه أعطانى الله فى السبع المثانى ما لم يعطه إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ـــ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال اهـ ومن الأوليات أن الحق سبحانه منزه عن الحلول والاتحاد ولكن الحق سبحانه يمد العبد بفرقان ونور فى سمعه وبصره وعقله وجوارحه ، وقد يذهل العبد من شدة التجلى والفرح بالمنعم سبحانه وتعالى وقد بين حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ذلك أيضا فى كتابه المنقذ من الضلال فما نقل عن الشيخ التجانى رضى الله عنه نقل مثله عن الجنيد وغيره ممن أجمع على فضلهم ومعرفتهم فليسع الشيخ ما وسع مقدم طائفة الصوفية وغيره من العلماء والعارفين .

«١» فقد سأل الله عز وجل أن لايموتوا إلا على التوبة والولاية

وهو الذى قال أعطانى الله من الاسم الأعظم أربع كيفيات واحدة منه صلى الله عليه وسلم وهى المخصوصة بمقامه وواحدة من سيدنا على كرم الله وجهه وواحدة من الغيب وواحدة من بعض الرجال .

وقال رضى الله عنه كل أعمار الناس ذهبت مجانا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق فإنها فازت بالربح دنيا وأخرى ، ولا يتصل بها إلا سعيد من الناس .

وقال رضى الله عنه ماتوجه متوجه إلى الله عز وجل بأفضل منها ولا أعظم عند الله منها حضرة اه لأنها كلام الذات المقدسة ليست من تآليف المخلوقين وتسمى بالياقوتة الفريدة وتسمى بالبكرية لأنها أعطيت له من الغيب وبيّن شيئا من خواصها وأخرها الله تعالى حتى أخرجها على يدى القطب المكتوم ولا علم لأحد بها إلا سيد الوجود ﷺ علم بها وأمر بكتمها فلا علم لهم بها فلو أخبر بها سيد الوجود ﷺ أصحابه ما اشتغلوا بغيرها لما فيها من الأسرار التى لا يقاس لها حد «١»

وهذه الصلاة والسيفى يغنيان عن الأذكار حيث كانت وإن المرة الواحدة منها فدية من النار وأن من ذكرها مرة واحدة يغفر الله له ذنوبه ولو كانت فى عمره مائة ألف سنة ، وإن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة وإن ذاكرها يعطى ثواب كل ذاكر فى الكون بأضعاف مضاعفة قلل أو كثر وإن المرة الواحدة منها تعدل ستمائة ألف صلاة من مطلق الصلوات من صلاة كل ملك وصلاة كل أنس وصلاة كل جان . وقال رضى الله عنه ما أعد الله تعالى لذاكر صلاة الفاتح لما أغلق من الفضل العظيم لا يحل لى ذكره ولا يظهر إلا فى الدار الآخرة . وإن أردت البحث فيها فعليك بكتاب سيدنا رضى الله عنه المسمى بروض المحب الفانى فى مناقب الشريف التجانى ومؤلفه الفقيه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله .

وأما السيفى فله ستون كرامة ومن جملتها أن من كتبه وعلقه عليه يعد من الذاكرين الله كثيرا وإن لم يذكره حامله لا يخاف من شىء على وجه الأرض ، من ذكره مرة يعطى عبادة سنة وأن روح حافظه تخرج كالنوم وان الله عز وجل يقبض روح قارئه بيده ولا يوكله إلى عزرائيل عليه السلام فانظر أخى رحمك الله إلى هذه

«١» صلاة الفاتح موجودة قبل الشيخ رضى الله عنه ورويت عن سيدنا على كرم الله وجهه فلابد من توجيه لماهنا وهنا كلام مدرج ليس من كلام الشيخ اه المصحح

الجواهر النفيسة والمنح العظيمة كيف يلتفت إلى غير من أعطيت له جعلني الله وإياك من المقيمين فى هذه الزمرة المحمدية الشريفة التى منحناها آخر الزمان عند انقطاعه وانصرامه وأماتنا على محبته بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم . انتهت هذه الرسالة المباركة .

ولعل صاحب الرماح قدس الله روحه وقف عليها فأدرج جلها فيها والله أعلم

المقدم سيدى محمد بن العباس السمغونى

ومنهم المقدم فى حليات المكرمات لنيل أعلاها البركة الأجل سيدى محمد بن العباس السمغونى أحد الخاصة من المقدمين لتلقين أوراد هذه الطريقة المحمدية فى زمن سيدنا رضى الله عنه ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة يلاحظ بعين التعظيم مكانه ، لما فيه من صدق المحبة والوداد ورسوخ القدم فى هذه الطريقة التى فيها رشاد العباد ، وهو أحد الأفاضل الذين زاحمت مرتبتهم رتبة العارف بالله سيدى محمد ابن المشرى رضى الله عنه وحصل لكل واحد منهما غيرة مفرطة ومنافسة كبيرة حتى أدى الحال بين الإخوان فى آبى سمغون أن انقسموا فرقتين ، ولما بلغ الخبر لسيدنا رضى الله عنه سألهم عن سبب ذلك ، فقالوا له إن صاحب الترجمة يغار من ابن المشرى وابن المشرى يغار منه ، فسرت الغيرة لأصحاب كليهما ، فقال لهم سيدنا رضى الله عنه أصحابى كلهم واحد ومن يعرفنى يعرفنى وحدى ، فحينئذ صار الاخوان على قلب رجل واحد وانتفت تلك الغيرة عنهم .

وهذا ونحوه وإن كان فى الظاهر فيه شىء من حظ النفوس لكن فى الباطن مافيه إلا ظهور سر التربية والتقلد بوشاح الخلافة السرية فليحذر المشفق على نفسه من سوء الظنون فيهم ، واعلم أن أهل سمغون كلهم وقاهم الله فى الدارين من الشجون لهم شديد المحبة فى جناب سيدنا رضى الله عنه حتى أن سيدنا رضى الله عنه لما سافر من ناحيتهم أرادوا كلهم أن يسافروا معه وأن يتركوا موطنهم من أجله وأن لا يعمروا إلا المحل الذى يحل فيه فقال لهم سيدنا رضى الله عنه مامعناه : اعلموا أن كل ولى لا يخرج من محل إلا إذا تغير قلبه على أهل ذلك المحل وأنتم وإن خرجت من عندكم فليس لهذا المعنى وإنما هو لأمر آخر فانكم بكبيركم وصغيركم محبون لى وأنتم عندى محبوبون فلو انكم كلكم كنتم فى قفة بلاعروتين لرفعتكم

بين يدى وجزت بكم على الصراط ثم أمرهم بالإقامة فى محلهم فامتثلوا أمره قدس الله سرهم وأسبل عليهم وعلى أمثالهم ستره انه ولى ذلك .

أحمد بن عبد الرحمن السمغونى

ومنهم الولى الكامل والعارف الواصل البركة الأمجد السيد احمد بن عبد الرحمن السمغونى أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين ساقوا إليه الإرادة حتى صعد فى ذروة المجادة وكان رحمه الله ذا جد واجتهاد فى سلوكه نهج الرشاد ذا همة علية ونفس أبية لاترضى بسفاسف الأمور ويحب معالى الأشياء فى الغيبة والحضور وكان معظما عند العامة والخاصة وقد حدثنى سيدى ومولاى العارف بربه أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن صاحب الترجمة تلاقى مع الخليفة الأكبر سيدى الحاج على التماسينى بأبى سمغون وتكلم معه فى شأن أولاد سيدنا رضى الله عنهم حتى قال له ان أولاد سيدنا رضى الله عنه لا يأتى بهم أحد من فاس ولا يحبون الخروج منها إلى الصحراء فيما أظن إلا بسر فقال له سيدنا الحاج على رضى الله عنه انى سآتى بهم بالسر وستنظر ذلك ثم قدم سيدنا الحاج على رضى الله عنه لفاس فوجد أولاد سيدنا رضى الله عنهم فى ضجر وقلق مما حصل لهم فأخذهم وارتحل بهم بعد أن وقع بينه وبين أصحاب سيدنا رضى الله عنهم القاطنين بفاس كلام فى عدم تركهم أولاد سيدنا رضى الله عنه للسفر معه حتى أدى الحال بهم إلى رفع أمرهم إلى أمير الوقت مولانا سليمان قدس الله روحه فى الجنان فقال فقراء فاس أن أولاد الشيخ رضى الله عنه ازدادوا بفاس وهى مقرهم فلايخرجون منها . وقال سيدنا الحاج على قدس سره أن أصلهم من عين ماضى ومددهم ليس بهذه البلد بل هو فى الصحراء إشارة لقول سيدنا رضى الله عنه أولادى لا تليق بهم إلا الصحراء يصلحون فيها ويعيشون فحكم الحاكم لسيدى الحاج على رضى الله عنه بالسفر بهم على شرط رضاء أولاد الشيخ رضى الله عنه بذلك ثم وقع الصلح بين سيدنا الحاج على رضى الله عنه وبين الفقراء ، ومن جملة ما طلبوه به قولهم نحبك أن تخبرنا بالواحد الذى أخبر به سيدنا رضى الله عنه أن ظهر فى هذه الطائفة المحمدية بعدأن ذكر سيدنا رضى الله عنه أن طائفة من أصحابه رضى الله عنهم لو اجتمعت أقطاب هذه الأمة ما وزنوا شعرة من بحر أحدهم وان هذا الواحد قد ظهر وأخبر أنه فاسى

أما وأبا ولم يعينه رضى الله عنه بل أخفاه غاية فقال لهم سيدنا الحاج على رضى الله عنه وماذا نفعلون به إذا أريتكموه فقالوا له نعظموه ونمتثل لما يأمرنا به فقال لهم رضى الله عنه وهل هو إلا خديم لسيدنا رضى الله عنه وأولاده فقالوا له نعم فقال لهم يكفيكم تعظيمهم وامتثال أمرهم أولى لما فيه من امتثال أمر الشيخ رضى الله عنه وهم يأمرونكم بترك المخاصمة فى شأن سفرهم إن أردتم رضاه الله برضى الشيخ رضى الله عنه فعندئذ رجع فقراء عن المعارضة لهم فى السفر فسافر سيدنا الحاج على رضى الله عنه بأولاد سيدنا رضى الله عنه بعد أن تركوا كل عين باكية لفراقهم وقلوب الفقراء مضرمة نيرانها بأشواقهم والناس متعجبون فى سفر أولاد الشيخ رضى الله عنه بعد ما كانوا يعتقدون استحالة وقوعه ، وفى ذلك ظهرت كرامتان الأولى لسيدنا رضى الله عنه فإنه أخبر رضى الله عنه بأن أولاده لاتليق بهم إلا الصحراء يصلحون فيها ويعيشون والبنت لاتليق بها إلا الحاضرة قال فى الإفادة الأحمدية سببه أن بعض الأحباب عرض عليه بنته لولده سيدى محمد الحبيب فتعلل بذلك وما تمت السنة حتى كانوا قاطنين بها .

والكرامة الثانية لسيدنا الحاج على رضى الله عنه فإنه قد أخبر صاحب الترجمة بأنه سيأتى بهم بالسر وقد أتى بهم للصحراء كما قال رضى الله عنه .

فائدة : حدثنى أخونا سيدى محمد العبدلاوى حفظه الله ورعاه انه سأل الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رحمه الله ورعاه عن هذا الرجل الفاسى الذى أخبر به سيدنا رضى الله عنه فقال له رضى الله عنه ليس المراد به أنه فاسى البلد بل المراد بالأم الطريقة وبالأب روحانية سيدنا الشيخ رضى الله عنه انتهى

أقول وقد بسط القول على نحو مانحن فيه فى كتابه لبقية عند قول المنية فى تعداد فضائل سيدنا الشيخ رضى الله عنه .

طائفة من صحبه لو اجتمع أقطاب أمة النبى المتبع
ماوزنوا شعرة من فرد منها فكيف بالإمام الفرد
جعلنا من خلق البرية من هذه الطائفة العلية
وعنه فى عدد هذا الفئة من صحبه أكثر من ستمائة

فلينظره من أراده والله الموفق ، وسيأتى لنا إن شاء الله فى بعض التراجم

بزيادة إيضاح فى سبب سفر أولاد سيدنا رضى الله عنهم .

السيد أبو القاسم بن يحي السمغونى

ومنهم البركة الأجل والفاضل الأكمل محب سيدنا رضى الله عنه وحبيبه وصديقه الخاص سيدى أبى القاسم بن يحي السمغونى أحد خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة رفيعة ولقد لقنه من الأسرار والمعارف ما يبهر العقول وقد أذن له سيدنا رضى الله عنه فى الاسم الأعظم وجميع ما انطوى عليه من اللطائف العرفانية وقد وقفت على رسالة منقولة من خط سيدنا رضى الله عنه بعثها لصاحب الترجمة ونصها بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله يصل الكتاب إلى يدى صديقنا وحبيبنا وأعز الناس علينا سيدى أبى القاسم بن السمغونى السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى أمك وعلى أهلك وعلى أولادك ، من كاتبه إليك محبك ومريد الخير كله إليك عبد الله أحمد بن محمد التجانى وبعد فقد بلغنى كتابك وقرأته وذكرت فيه أنك تسأل منى الدعاء وما أنا بأهل لذلك ولكن أسأل الله بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يغرقك فى بحر عنايته ومحبته لك فى الدنيا والآخرة آمين ، وأنك كتبت لى تشكو من النوم ، فاعلم أيها السيد أن النوم إذا كثر سببه اثنان ، الأول : دوام الغفلة عن ذكر الله بالقلب ، والثانى : كثرة الأكل والشرب إلى حد الشبع مادام هذان السببان لابد من كثرة النوم ، ومن أراد خفته فعليه باستعمال الذكر فى بعض الأوقات وعليه بقلة الأكل والشرب يخف عليه النوم ، وأما الاحتلام فداوم عند نومك لقراءة والسماء والطارق إلى ولا ناصر ثلاثا ، ثم اكتب على فخذك الأيمن بأصبعك آدم وعلى الأيسر حواء بغير مداد تنج من الاحتلام ، وأما ماذكرت لى من طلب نفى الفقر وما معه من المطالب فالاسم الذى كتبته لك أولا يكفيك لكل مطلب تريده ، وأما ماذكرت لى فى شأن ولدك فإنى أبعث لك حجـــابا له واكتب له سورة يس فى اناء وأعطه يشرب ماءها للحفظ والسلام اهـ

السيد بلقاسم بدوى

ومنهم البركة الفاضل والماجد الكامل ذو الفتح المبين والدين المتين السيد بلقاسم بدوى أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه وقد حصل له الفتح الكبير بعد وفاة

سيدنا رضى الله عنه فلم يقدر على حمل ثقله . كما قيل :

إن الفتوح هو الرحمات أجمعها وهو العذاب فلا تفرح إذا وردا

حدثني سيدي ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أن المقدم سيدى عبد الله السوفى كتب إلى القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه أن يمكن صاحب الترجمة من السر ولما لقنه بعض الأذكار الخصوصية وطرأ الفتح عليه لم يقدر عليه حتى أنه كان إذا اعتراه ذلك ينزع عنه ثيابه ويذهب مجردا عن الثياب والناس ينظرون فرجع إلى سيدى الحاج على رضى الله عنه وطلب منه أن يرفع عنه مانزل به فقال له إن الطعام إذا دخل للبطن لايخرج على حالته الأولى فصار يتملق بين يديه لأجل ذلك فقال له إن كان ولابد فلا تبح بما رأيت ثم كتب له حرزا وأعطاه إليه وأمره بترك تلك الأذكار الخصوصية التى كان لقنها له فامتثل الأمر فشفاه الله من عظيم مانزل به وقد صدق القائل :

لايعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيهـــا

سيدى محمود بودوايه

ومنهم البركة المبجل والفاضل الأجل ذو الخلق الجميل والقدر الجليل أبو عبد الله سيدى محمد من أولاد سيدى بودوايه من أولاد العارف بالله المشهور سيدى الشيخ كان رحمه الله من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه القاطنين بالصحراء وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة من المحبة لصفاء طويته بإعطاء المرتبة حقها بين أهل القرابة فى الصحبة وقد كان هو مستغرقا فى محبة سيدنا رضى الله عنه بحيث لايملك لنفسه مثقال ذرة إلا أسلمه فى مرضاة سيدنا رضى الله عنه .

ولده السيد بوزيان

ومنهم ولده ذو السر الباهر والفتح الظاهر واسطة عقد أهل الصلاح ومفتاح الخير والنجاح أبو عبد الله سيدى بوزيان كان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا مقربا وقد حصل له قيد حياة سيدنا رضى الله عنه الإذن فى بعض الأسرار الخصوصية مع حداثة سنه فلم يقدر على حبس نفسه عن كتمانها بل صار يتصرف بالجلال فى كل من لم يقدر قدره فسلبه من التصريف بذلك سيدنا رضى الله عنه فى ذلك الحال حتى بلغ أشده وحاز رشده

وحدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به أن والدصاحب الترجمة هو السبب في نيل ولده المذكور ماذكرناه وذلك أنه أتى به إلى سيدنا رضي الله عنه في مدينة فاس وطلب منه أن يلقنه السر فقال له سيدنا رضي الله عنه أنه صغير وأخاف عليه بأن لايقدر على حمله فقال له ياسيدي لابد من ذلك ، فأمره سيدنا رضي الله عنه أن يذهب إلى بعض الأولياء في البرداعيين قرب باب عجيسه فهو يلقنه له ، فلما ذهب إليه انتهض في وجهه ذلك السيد وقال له رح لحال سبيلك فقال له أن الشيخ سيدي أحمد التجاني هو الذي أرسلني إليك فقال اذهب إلى توات بالمحل الفلاني عند فلان فإنه يعطيك إياه ثم إن سيدنا أوصاه على أصحابه التجانيين وحذره من إذاية أحد منهم أينما كانوا وأن لا يتعاطى إظهار الكرامات فلما ذهب إلى ذلك الولي الذي بتوات وتلاقى معه وجده على الهيئة التي وصفها له ذلك الولي فطلب منه السر فانتهض فيه فقال له إني أنيلك بإذن شيخنا سيدي احمد التجاني فقال له افتح فاك فلما فتحه نفخ له فيه فانكشف له الحجب في ذلك الوقت ورأى مارأى وأوصاه على كتمان أمره وأن يحفظ الناس من شره وأن لايؤذي أحداً من أصحاب سيدنا رضي الله عنه . ثم إنه لم يحافظ في ذلك الوقت على ما أوصاه به بل صار يظهر الخوارق واشتغل بها طول ليله ونهاره وكلما توجه لأمر ناله في الوقت وما أشار لهلاك أحد إلا وأصيب في الحين بالمقت وطار صيتـــه في الآفاق في المكاشفة .

ومن جملة ذلك أنه كان مع قافلة في الصحراء واحتاج الناس إلى الماء فقال احفروا في هذا الموضع تجدوا عينا عذبة فوجدوها كما قال لهم .

ولما اشتغل بذلك وصار نابذا لما أوصاه به سيدنا رضي الله عنه رأى وهو بالصحراء سيدنا رضي الله عنه بفاس خيطا من نور خارجا من فمه وحل بيدي سيدنا رضي الله عنه وهو يراه فلما انقضى خروج ذلك النور من فمه ارتفع عنه ذلك الكشف فقال لوالده إن سيدي احمد التجاني أخذ أمانته وتركنا بلاشيء . ثم إن والده شد الرحلة إلى سيدنا رضي الله عنه فلما اجتمع بسيدنا رضي الله عنه قال له قد قلنا لك أنه لايقدر على حمل الأسرار فصار يتملق بين يديه ويطلب منه أن يرد ذلك ولايعود أبدا إلى إفشاء السر فقال له رضي الله عنه أما ذلك فلا سبيل إلى

رجوعه إليه ولكنه يكون مفتاح خير إن شاء الله ، فمن ذلك الوقت صار بيده الحل والعقد بين الترك وأهل الصحراء ببركة نظرة سيدنا رضي الله عنه إلى أن توفى رحمه الله على أحسن حال قائما على ساق الجد فى الطريقة فى الإقامة والترحال اه

سيدى أحمد بن عاشور السمغونى

ومنهم العلامة الذى طار صيته فى سائر الأقطار ، والفهامة الذى تفجرت من صدره ينابيع الأسرار أبو العباس سيدى أحمد بن عاشور السمغونى . هذا السيد الجليل كان محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه مع صغر سنه لكون والده كان من أخص أحباب سيدنا رضي الله عنه ، وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضي الله عنه أن صاحب الترجمة أتت به أمه بعد وفاة والده إلى سيدنا رضي الله عنه وهو طفل صغير ليدعو له فقربه منه ودعا له بما عاد عليه نفعه . ثم تفل سيدنا رضي الله عنه فى فمه فصار من ذلك الوقت إذا تكلم يود سامعه أن لا يسكت لما يجريه الله على لسانه من الحكمة الربانية واللطائف العرفانية ، وكان منبعا للعلوم وكوثرا موردا للخصوص والعموم ذا لهجة صادقة وهمة رائقة .

وقد كان سيدنا الحبيب ابن سيدنا رضي الله عنه ينوه بقدره ويعظمه غاية التعظيم وأخذ عنه طرفا من علوم العربية وغيرها .

وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى ونفعنى الله ببركاته أن سيدنا الحبيب رضي الله عنه طلب من صاحب الترجمة أن ينظم نظما فى وقت تعدى العدو على أهل تلك الناحية وخروجه ليذكر بعد قراءة الوظيفة والحزب كما هى العادة عندهم بتلك النواحى بدلا عن قراءة الأبيات المشهورة وهى .

لك الحمد كل الحمد ياراحم الضعف	ويادائم الاحسان والرفق واللطف
لك الحمد ثم الشكر دون نهاية	على نعم جلت عن العد والوصف
صرفت من الاسواء مالا يطيقه	مطيق فأنت الله ذو الكرم الصرف
وجدت وأسديت الجميل تفضلا	وزدت من الإنعام ضعفا على ضعف
لك الملك ياقهار والأمر كله	إذا قلت كن كان المراد بلا خلف
إليك مددنا الكف كى ماتمدنا	بما نرتجى يامالك البسط والكف
فعاف وداقع وارحم يارب واكفنا	بحفظك مانخشى فغيرك لا يكفى

وأبق علينا الستر فى كل حالة | بمنك يامولى تعالى عن الكيف
وصل وسلم ثم بارك على النبى | به نرتجى منك النجاة لذا الزجف
محمد المختار والغر آلـــه | وأصحابه الأسد الغضاب لدى الزحف
وواصل عليهم ذاك مالاذ خائف | به فتحلى بالأمان من الخوف
وما قال مرحوم على حال ضعفه | لك الحمد كل الحمد ياراحم الضعف

فنظم رحمه الله أرجوزته المشهور نفعها لدى الخاص والعام فى الانتصار على الأعداء والظلام ونصها كما تلقيتها من حفظه إملاء على حفظه الله تعالى

باسم الإله ابتـــدى دعائى | ومهربى إليـه والتجـــائى
حمـــدا له به عليه منه | ولا يفيض الخـــير إلا عنه
وبالصلاة والسلام أبدا | على الذى بعث للناس هدى
محمد المصطفى من خلقـــه | والمجتبى له من أهل قربه
والآل والصحب الكرام مادعا | داع بقلب ذى اضطرار وسعى
يارب أسألك باسم الذات | وبالذى حواه من صفات
بالأعظم الأعظم من أسمائك | وسره المكنون فى عليائك
وبالذى جرت به الأفلاك | وخضعت لقـدره الأملاك
أعنى اسمك الأعظم من قدقامت | به العوالم وفيـــه هامت
ادعوك ياحى وياقيوم | تقضى حوائجى وما أروم
وبكتابك العزيز المحكم | وسره ونوره فى العـــالم
وبالذى ألهمتــه محمدا | من المحامد فصار أحمـــدا
وبالذى دعا بكل مشهد | به من الأسماء والتمجـــد
وبالذى دعتك رسلك وما | دعت به الأملاك فى كل سما
وبعظيم الجاه خير الناس | محمـــد وصحبـــه الأكياس
بك استغثنا وبك التوسل | ياملجـــأ الخائف يامفضل
أنت المشفع الشفيع الأعظم | أنت الوسيلة الكريم الأكرم
ياعروتى الوثق ويا ملاذى | لدى الشـــدائد وياعياذى
يامن إليه المشتكى والمفزع | لدى المـــكاره وما يروع

العجل العجـل بالإغاثة يامن له كل العلا وراثة
بك توسلنا إلى رب الورى يفرج الكرب الذى بنا جرى
أنت الذى قلت وقولك الكريم توسلوا بجـاهى إنه عظيم
وبخليفتك ختم الأولياء وغوثهم طراز حزب الأصفيا
إمامنا كنز الهدى التجانى من أذعنت له ذوو العرفان
يا أحمد التجانى ياغيث القلوب أما ترى مانحن فيـه من كروب
أما ترى الضيم الذي أصابا وأنت غوث لم تزل مجـابا
بك توسلنـا إلى النبي وبكما لربنا العـلى
فأنت نجله بجـد سره عمدنا من نوره وبحسره
ألست قد أعطيت مالم يعطى غير الصحابة فأنت المعطى
والمهتدى لعصره من ربه والمجتبي له من أهل قربه
فنحمد الله على نعمائه إذ خصنا بخـير أوليائه
أنت المشفع بأهل العصر من كل هول يجتنى فى الحشر
عارى عليك ياممد الخلق من بحر أحمد حبيب الحق
عليك بالأعداء قد تمردوا وجردوا سيوفهم وسددوا
وصيروا الدين القويم ضحكة وهدموا أركانه ومالكه
إن لم نكن أهلا لأجل ظلمنا فحلمكم يسع سوء جرمنا
ياربنا بأحمـد التجانى قنا الردى واعف بلاخسران
وانصر عصابة الهدى على العدا ونجنا من كل من قد اعتدى
واعف عن الذنوب ياكريم واصفح عن الزلات ياحليم
ونجنا فى الدهر من كل الفتن فى الدين والدنيا ومن كل المحن
ياربنا بجـاهك المعظم الطف بنا فى القدر المحتم
وأيدن بالصـبر واليقين وبالثبات فى مقـام الدين
من غير تغيير ولا تزلزل ولا تحـرق ولا تبـدل
بجاه أفضل الورى محمد صلى عليه الله دون عدد

وأمر بذلك أيضا صاحب المنية فنظم هذه القصيدة وقد تلقيتها أيضا من حفظ سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه ونصها:

لك الحمد يا ألله يامنزل الذكر	على عبدك المختـــار خير بنى فهر
سنا وهـدى للمتقين ورحمة	لمؤمنا وللأعداء قاصمة الظهر
به أفحم الخصم الألد وأعجزت	له بلغاء العرب فى كل مادهر
يبثنا أنباء ماكان قبلنا	وأنباء ما يأتى من الخير والشر
وعلمنا أحكام ديـن إلـهنا	ويزجر منا من تلا أعيا أجر
ودام بحفظ الله مابه عندنا	فلسنا نخاف الفتل عاقبة الأمر
كمثل النصارى واليهود ومن مضى	فباؤوا بما باؤوا به من أذى المكر
ونحمدك اللهم حمــد موحد	على نعم جلت عن العد والحصر
فلسنا بمحصيها وكيف يعد ما	يشابه عندى كثرة عدد القطر
خلقت وأرزقت البرايا تكرما	فسبحانك اللهم من خالق بر
لك الملك لا للغير فيه تصرف	وأنت لك التصريف فى البر والبحر
ومن ملكك الجنات والنار والذى	لطفنى وعندى من سعيد وذى خسر
ومن بعثت اخترت مختارهم لنا	وسيد من يأتى إلى موقف الحشر
حبيبك من لولاه ماخلق الورى	وما رحموا لولاه يالله من نحر
فكنا بحمد الله من خير أمة	ومن خيرها أعنى ذوى السنة الغر
وحين جعلت الأولياء لها هدى	لنا اخترت حب المصطفى صاحب الفخر
وذا قطبك المكتوم عن كل عارف	سليل النبى الهاشمى بلا نكر
أعنى أحمد التجانى حلما ورحمة	شفيع عصاة الله فى الحشر والنشر «١»
هو البحر والأقطاب والغوث أنهر	ولا تقس البحر الغطمطم بالنهر
غدا شيخنا برقى من النور منبرا	ليظهر ما قد كان يكتم من سر

«١» هذا البيت ماهو من نظم صاحب القصيدة بل هو من نظم سيدى الحبيب ابن سيدنا رضى الله عنه كما أخبرنى بذلك سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه وذكرته فى الموضع الذى ألحقه بها تبركا بكلامه رضى الله عنه وإن كان فيه من جهة العروض شىء. والله الموفق اهـ المؤلف

ينادون أهل الحشر قوموا لتنظروا   محدكم ما منكم أحـــد يدرى
هناك ترى من كان ينكر نادما   ويشكر ذو التسليم شكرا على شكر
لشيخى ضمانات أتت عن نبينـــا   تدل على تشريف ربى لذا الحبر
ومن ذاك مايعطى على يد جده   جميع بنى شيخى من الفتح والسر
وفى ألف ألف كل فرد من الذى   نما شافع والأمن فى ذى من الفقر
ومن ذاك مايعطى لآخذ ورده   إلى غير ذا مما يطول على شعرى
فيارب عطفه علينا تفضلا   بذى الدار والأخرى وفى الحشر والجسر
وعاف وسلم ياسلام وكن لنـا   ونج وأيدنا بعزك والنصر
ودمر وذلـل يامذل عدونا   وعاجله ياقهـار بالذل والقهر
سألنـاك يا الله كى ماتمـدنا   بما نرتجى يا مالك اليسر والعسر
بجـــاه نبى الله والشم آله   ذوى الفضل والتقوى وأصحابه الزهر
أبى حفص الفاروق عثمان ذى الندى
على أبى السبطين بعـــد أبى بكر
على قبره أزكى التحية والرضى   وأزكى صلاة ماحننا إلى القبر
وماقال ذو ذنب ليغفر ذنبه   لك الملك يا الله يامنزل الذكر

انتهى ، ولما تغلب العدو على الوطن أرسل إلى صاحب الترجمة يأمره بالقدوم للجزائر ليدرس العلم بها وقصده بذلك فى باطن الأمر حبسه ، فحصل له جزع عظيم وأجاب حاكم الجزائر بالامتناع ، ثم أرسل إليه يأمره باستقراره بمحله لقراءة العلم الشريف وتدريسه على عادته ونفذ له خراجا كبيرا فلم يقبل ذلك منه وحصل له ضجر فارتحل فارا بنفسه إلى فجيج ولم يبق بعد ذلك إلا زمنا يسيرا وتوفى رحمه الله مهاجرا فى سبيل الله .

الحاج بوغرارة

ومنهم الذاكر الناسك السالك فى طريق الحق أقوم المسالك العارف الواصل والولى الكامل السيد الحاج بوغراره أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه كان رحمه الله من أركان الطريقة الشاربين من حوض الشريعة والحقيقة ، وقد تلقى عن سيدنا رضى الله عنه من أسرار الطريقة ما امتاز به على غيره . وكان يكاتب

سيدنا رضى الله عنه فى مهمات طريق الوصول إلى الله تعالى .

وقد طلب من سيدنا رضى الله عنه أن يبين له كيفية الخلوة وشروطها المعتبرة والخلاص من أزماتها الشاقة الحاصلة فيها فأجابه سيدنا رضى الله عنه برسالة مفيدة فى بابها يجب أن ترقم بسواد العيون على صفحات القلوب وتنفق فى طلبها نفائس النفوس حتى تظفر بها . وقد وقف عليها سيدى ومولاى العارف بربه أحمد العبدلاوى نفعنى الله به بخط سيدنا رضى الله عنه وكان يحفظها ولطول العهد بها نسى جل ألفاظها . وهاك ما أملاه علىّ منها حفظه الله :

أما ماذكرت من طريق الخلوة فهى خمس أربعينيات تأكل فى الليلة الأولى ما اعتدته من الطعام ، وخذ قدره بالميزان ، ثم من تلك الليلة انقص كل يوم مقدار درهمين ، واجعل ستة أوقات الذكر ، فى آخر النهار ، وبعد صلاة الصبح ، ووقت الضحى ، وقبل الظهر ، وبعد العصر ، وبعد المغرب ، ذكرا لا يشق على النفس من أى الأذكار كان . وحين تكمل الأربعين الأولى اخرج وأعط حق الزوجة من المرة إلى المرتين ، وكذلك بعد تمام كل أربعين . وفى هذه الأربعين تذهب عنك التعلقات الدنيوية . وفى الأربعين الثانية تظهر لك الخوارق . وفى الأربعين الثالثة تسمع قلبك يقول بلسان فصيح الله الله . وفى الرابعة ترى حين شروعك فى الذكر يخرج النور من فيك ، ويحوم على رأسك كالطائر ، وربما ترى الروحانيين العلويين والسفليين وفى الأربعين الخامسة تطلع لك ناصية التوحيد الفعلى أفعال الله السارية فى الوجود ، وترى العالم جامدا لا حركة له ويد القدرة تحركه عيانا لا اعتقادا ، فحين تعثر على هذا المقام فأتى نخلصك منه لأنك لا تطيقه بنفسك لما فيه من التلف والغلط والمباسب . وإذا أراد الله بك المعرفة فأتى لأنك لا تقدر على سلوك هذا إلا على يد شيخ كامل الخ .

وقد أتى إلى سيدنا رضى الله عنه وظفر منه بالكنز الذى لا ينفد والغنيمة التى فيها غنى الأبد .

واعلم أن هذه الطريقة التجانية ذات المواهب العرفانية كانت فى مبادىء الأمر على سنن الطرق القديمة فى السلوك والتربية ، يحتاج فيها إلى الخلوة احتياجا تاما ، فكان سيدنا رضى الله عنه سالكا فى ذلك على منهج القدماء حتى أذن له النبى ﷺ

فى التربية المطلقة بالهمة النافذة والسر الباهر الذى لايحتاج معه إلى تحمل مشقة ، كرامة من الله له ، ولخصوصية طريقه المحمدية فصار بعد ذلك يربى كل من أتاه للأخذ عنه بنظرة واحدة . ولقد أجاد صاحب اللامية فى قوله :

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة فشتان مابين المزيدين منهلا

ولنذكر هنا بعض خلوات سيدنا رضى الله عنه التى كان يدخلها بنفسه ويدخل إليها أصحابه :

فمنها خلوته بأبى سمغون المعروفة بدار السر ، سميت بذلك بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم ، حين كان هنالك يبنى داره المباركة ، وبعين ماضى أيضا ، وقد وقفت على كلام النبى صلى الله عليه وسلم للواسطة المعظم سيدى محمد بن العربى الدمراوى رضى الله عنه فى شأنها ليخبر به سيدنا رضى الله عنه ، وذكره أيضا صاحب الجامع ونص المقصود منه :

وقل له إذا بنيت الدار فاجعل فيها بيتا وسمه بيت السر ، واجعل أورادك وأذكارك وجميع ما أمرتك به فيه ولا يدخل أحد غيرك فيه ، تعرض عليك الخيرات والبركات وتنال جميع المقاصد اه

وهذه الخلوة مقسومة بألواح من خشب وكان سيدنا رضى الله عنه يتعبد من ناحية والواسطة المعظم رضى الله عنه من الناحية الأخرى .

وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن الواسطة المعظم رضى الله عنه بينما هو يذكر فى الخلوة المذكورة إذ أتاه روحانى بكأس من شراب حتى ضاء المحل الذى هو فيه من شدة أنواره ، وقال له اشربه ، فقال فى نفسه إن هذا الكأس لا أحب أن يشربه غير سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، ثم نادى سيدنا رضى الله عنه بقوله : يا أبى ، المرة بعد المرة ، وسيدنا رضى الله عنه لايجيبه لكونه مستغرقا فى الذكر فى ذلك الوقت ، ولما فرغ سيدنا رضى الله عنه أجابه فقال له يا أبى إن الروحانى أتانى هذه الساعة بكأس لأشربه وقد ناديتك لأدفعه إليك فلما طال الوقت على الروحانى ذهب به لحال سبيله . فقال له سيدنا رضى الله عنه نرجو الله أن يرده علينا .

ومنها خلوة الواسطة سيدى محمد بن العربى الدمراوى المذكور رضى الله عنه

وهي شجرة من الزرو قرب مصب واد شلف في البحر من عمالة مستغانم .

وقد بلغني على لسان الثقة أن صاحبها كان يقول للمجاورين لذلك المحل إذا لم تجدوا ذكارا لأشجار ثماركم التي تحتاج إلى التلقيح فخذوا من التراب المحاذي لخلوتي واجعلوه بدل الذكار فإنها تنتج لكم . فكانوا يستعملون ذلك فيجدون بركته .

وبلغني عنه أيضا أنه كتب إلى سيدنا رضي الله عنه يخبره من طريق المكاشفة أن من خاصية هذا المحل المذكور ، فيه أمان الأولياء من سلب بعضهم بعضا . فكان سيدنا رضي الله عنه إذا أراد أن يدخل أحدا للخلوة يبعثه إلى ذلك المحل في الغالب وفيه عدة خلوات .

منها خلوة صاحب المعارف الكبير سيدي محمود التونسي رضي الله عنه استقر فيها أربعة عشر عاما عن إذن سيدنا رضي الله عنه وهي معروفة بذلك المحل مقصودة للتبرك بها . وقد أخبرني من عاينها أنه لازال بها إلى الآن الجلد الذي كان يجلس عليه والخرقة التي ألبسه إياها سيدنا رضي الله عنه .

ومنها خلوة الفقيه العلامة الشريف الأصيل سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه هناك أيضا . وقد بلغني أنه كتب إلى سيدنا رضي الله عنه يشكي من ضيق نفسه وعدم قدرته على الإقامة بالخلوة في ذلك الوقت لفرط البرودة الحاصلة له وعدم موافقة المأكولات المشروطة لطبعه . ووقفت على رسالة تشير إلى شيء من هذا المعنى منقولة من خط سيدنا رضي الله عنه مباشرة ونص المقصود منها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بحمد الله يصل الكتاب إلى يد حبيبنا وصديقنا ورفيع المكانة من قلوبنا سيدي محمد بن المشري ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى حبيبنا وصديقنا سيدي عبد القادر بن علال وعلى كافة أولاده وعلى كافة أحبابه وأحبابكم وعلى كافة الطلبة ، من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجاني وبعد ، ياسيدي محمد فقد بلغني كتابك وفهمت ماذكرت فيه ، والذي أقول لك إن الأمور في يد الله وله بسطها وقبضها لامتصرف فيها غيره ، ومقتضى العبودية في هذه النازلة التي لم يأذن في قضائها التسليم لأمر الله والرضى بحكمه وحسن الظن به في كونه لم يقبضها بخلا وإنما علم أن لك فيها مفسدة فإن عنده علم كل شيء وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم إلى آخر الآية. لكن ماأظن تخلف الإجابة إلا لعدم كمال الحضور

فى الذكر لكن لا تعرج عليها ثانية وارجع إلى الله بصدق التوجه لا لغرض بل اطلب وجهه بما كنا أخبرناك به وإكراه النفس على هذا فإنها تفر منه لكن إن لم تيسر لك الخلوة أو كان يمكنك فيها برد فأدم التوجه خارج الخلوة وكل السخون مع الإدام واعمل الذكر أوقاتا وللراحة أوقاتا ، لكن بالجلوس وحدك وإذا دخلت الخلوة فلا تأكل فيها إلا السخون بالإدام فإنه أمان لك من استيلاء البرد على نفسك وعليك بدوام الذكر وقلة مخالطة الخلق ما استطعت والصمت ما استطعت وهذا غاية ما يمكن فى هذا الوقت أو اترك عنك التوجه إلى الخواص فإن الله جل جلاله لم يأذن لك فيها الخ الرسالة .

وفيما ذكرناه من هذه الخلوات هنا كفاية ، وقد بسطنا الكلام على بعض شروطها مع بعض الأسرار المطلوب فيها دخول الخلوة فى كتابنا نيل الأمانى فى الطب الروحانى والجثمانى المروى عن شيخنا التجانى وعن أصحـــابه ذوى القرب والتدانى رضى الله عنهم والله الموفق .

سيدى عبد القادر بن عبد المالك الإدريسى

ومنهم البركة الفاضل والعارف الواصل الشريف الأصيل أبو عبد الله سيدى عبد القادر بن عبد المالك الادريسى من خط الجريد .

كان رحمه الله من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو من أكابر المفتوح عليهم فى هذه الطريقة المحمدية وهو أحد الأربعة الذين بنوا الموضع المعروف بالعلية كما تقدمت الإشارة إليه .

وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أنه من اليوم الذى توفى فيه صاحب الترجمة ودفن بالمقبرة المجاورة للعليه لازال يسمع من ناحيتها ليلا قراءة الوظيفة الشريفة ، وقد شاع ذلك عند الخاص والعام بتلك الناحية رحمه الله تعالى .

المقدم سيدى محمد بن حرز الله

ومنهم المقدم فى حلبة السبق لإحراز الفضائل والمسارع للخيرات بين السادة الأفاضل أبو عبد الله سيدى محمد بن حرز الله من عمالة الجزائر .

كان رحمه الله من ذوى الهمم العالية والشيم الفاخرة عاضا على حبل الطريقة

بتواجده . ومن جملة ماوقع له مع سيدنا رضى الله عنه ماحدثنى به سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن ابن صاحب الترجمة حدثه أن أباه المذكور شد الرحلة إلى زيارة سيدنا رضى الله عنه وأتاه ليسأله عن ثلاثة أشياء : عن الحجامة بالليل ، وأخذ السبحة باليد اليسرى ، وعن سلطان الحق . فاتفق أن قدم لدار سيدنا رضى الله عنه ليلا فاستأذن الدخول عليه فأذن له فبينما هو داخل قبل اجتماعه بسيدنا رضى الله عنه إذ سمعه يقول : ائتونى بالحجام ليحجم لى فقال صاحب الترجمة هذا جواب المسألة الأولى من مسائلى . فلما دخل للموضع الذى فيه سيدنا رضى الله عنه وجده آخذا سبحته بيده اليسرى وهو يذكر بها فقال فى نفسه هذا جواب المسألة الثانية . ثم لما استقر به المجلس بعد إعطاء مرتبة سيدنا رضى الله عنه حقها صار سيدنا رضى الله عنه يتكلم عن الإمام المهدى وما يفعله بالمخالفين للشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية إلى أن قال إذا جاء سلطان الحق يجمع العلماء فى صرة ويقطعهم مرة فأخذ الجواب عن مسائله الثلاث من غير سؤال سيدنا رضى الله عنه اه

واعلم أن هؤلاء العلماء الذين يقطعهم فى صرة هم علماء السوء الذين هم أضر على الناس من الشيطان لأكلهم الدنيا بالدين وارتكابهم ضد ما كان عليه الهادين المهتدين ولله در القائل فيمن يعود عليه النفع الدنيوى بسبب علمه مع كونه لا يعمل به .

لو كنت منتفعا بعلمك مع مواصلة الكبائر
ماضر شرب السم ذا علم بأن السم ضائر

وقال أبو جعفر أحمد بن الزيات الخطيب الصوفى

يقال خصال أهل العلم ألف ومن جمع الخصال الألف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى مذاهبه فقد جمع الفسادا

وفى الرماح قد أخبرنى سيدى محمد الغالى أبو طالب الشريف الحسنى أن واحدا من أصحاب الشيخ رضى الله عنه قال لآخر بحضرة الشيخ إن الإمام المهدى يذبحنا إذا ظهر فقال له الشيخ رضى الله عنه لا يذبحكم لأنه أخ لكم فى الطريقة وإنما يذبح علماء السوء ، وقال إذا جاء المنتظر يطلب من أصحابنا الفاتحة اه

وفيه أيضا قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به إن جميع الأولياء يدخلون

زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى ان الإمام المهدى إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل فى زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء اهـ

سيدى عبد القادر بن عبد الله المشرفى

ومنهم ذو السيادة القعساء والجادة الشماء الفاضل الأجل والألمعى المبجل الشريف المنيف أبو محمد سيدى عبد القادر بن عبد الله المشرفى، هذا السيد رحمه الله من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانت لهم المحبة الصادقة فى الجناب الأحمدى مع الصدق التام فى القيام بأركان الطريقة أتم قيام، وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة وينوه به بين أصحابه، وقد قدمه سيدنا رضى الله عنه لإعطاء هذه الطريقة المحمدية، وقد وقفت على تقديم سيدنا رضى الله عنه بخط يمينه المباركة، فى رسالة بعثها إليه وهى عند بعض أحفاده إلا أنها لطول الزمان تلاشت ونص السالم منها مباشرة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، بحمد الله جل ثناؤه وعز كبرياؤه وتقدست أسماؤه وصفاته إلى سيدنا وحبيبنا مولانا سيدى عبد القادر بن عبد الله المشرفى الحسنى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سلاما متواترا متصلا إلى الأبد يعلكم فى جميع حركاتكم وسكناتكم، من الفقير إلى ربه أحمد بن محمد التجانى. أما بعد: أبعدكم الله عن سفساف الأخلاق وأتحفكم بعاليها فقد وصلنا سلامكم مع محبنا سيدى الحاج على حرازم نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتحابين فى الله وأن يجعلنا وإياكم فى أعلى عليين فى جوار النبى صلى الله عليه وسلم يليه إعلامكم أن محبنا سيدى الحاج على حرازم طلب منا الإذن لك فى وردنا الذى رتبه لنا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة وأمرنا بإعطائه لكل من سأله من المسلمين إلى أن قال سيدنا رضى الله عنه فى هذه الرسالة بعد كلام حصل فيه محو واندثار ما نصه: فقد أذناك وإن شئت أن تلقنه لأهلك وأولادك أومن سأله من الإخوان والأصحاب فافعل فقد أذنا لك أن تلقنه لكل من أردت من المسلمين على أى حال كان إلى أن قال: وإعلاما لك أن كل إخباراته لنا ﷺ يقظة لامناما والسلام إلى آخرها وسيأتى لنا طرف منها فى الترجمة بعد هذا إن شاء الله تعالى

تنبيه : اسم صاحب الترجمة وجدته فى هذه الرسالة غير مكتوب بخط سيدنا رضى الله عنه بل بخط غير خطه مصلوحا بمحو موضعه وتقطيعه وصاحب الترجمة رحمه الله مدفون فى اعريس بر الجزائر .

الفقيه سيدى محمد بن عبد القادر الزواق

ومنهم المقدم الجليل والفاضل المثيل الفقيه الأجل والعلامة المبجل أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد القادر الزواق . هذا السيد رحمه الله كان ملحوظا بعين المودة عند سيدنا رضى الله عنه وقد أذن له فى تلقين الطريقة المحمدية لكل من طلبها منه كما وقفت على ذلك بخط سيدنا رضى الله عنه فى طرة الرسالة التى بعثها للمترجم له قبله ونصه مباشرة : وسلم منا على الفقيـــه الأجل أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد القادر الزواق وأخبره أنه بلغنا سلامه مع سيدى الحاج على وأعلمه أننا على محبة الله وإن أراد أن يذكر هذا الورد بعد إخبارك له بفضله فلقنه له أنت ، وقد أذنا له هو أن يلقن كل من سأله من المسلمين والسلام اه

السيد المعمر بن المشرى

ومنهم ذو الخلق السنى والخلق السنى والهمة العليمة والنفس الزكية البركة الأمجد سيدى المعمر بن المشرى . كان رحمه الله من القائمين على ساق الجد فى الطريقة خائضا بحور المعرفة والحقيقة . وقد وقفت على كلام منقول من خطه تلقاه عن سيدنا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن الزاوية المباركة أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يبلغه لكافة أصحابه وأن ينهاهم عن إفشائه لغير إخوانهم وإلا يخاف على من يفشيه لغيرهم الهلاك ولهذا لم أذكره هنا والله الموفق

البركة سيدى عبد القـــادر

ومنهم ذو الشيبة المنورة والسريرة المطهرة والسيرة الحسنة والأخلاق المستحسنة البركة الأجل الشريف المبجل سيدى عبد القادر ابن عم الفقيه سيدى محمد بن المشرى هذا السيد رضى الله عنه من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الأكابر قدراً وسناء القائمين على ساق الجد فى نيل المقام الأسنى على يد سيدنا رضى الله عنه .

ولده سيدى الأخضر

ومن أولاده الأفاضل السالكين نهجه فى هذه الطريقة المحمدية الآخذين عن سيدنا رضى الله عنه مباشرة ولده الكبير السر والمقدار الخائض فى بحور المعارف والأسرار أبو عبد الله سيدى الأخضر وهو أيضا من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، حدثنى سيدى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أنه سمع من يقول سمعت سيدنا رضى الله عنه يقول: اعطوا للناس صلاة الفاتح لما أغلق ولو بلا ورد يموتوا على الإيمان ثم قال لى سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه والإذن فى صلاة الفاتح لما أغلق مجردة عن الورد من المرة الواحدة إلى الألف على قدر مايقدر عليه المأذون له فى ذلك ولو كان من طريقة أخرى لكن مع التزام لما أذن له فيه . وصاحب الترجمة رحمه الله مدفون بالعالية .

السيد أحمد الأخضر التماسينى

ومنهم الولى الكامل والعارف الواصل ذو المناقب الشهيرة والكرامات الكبيرة الشريف الأصيل الماجد الجليل أبو العباس سيدى أحمد الأخضر الإدريسى التماسينى هذا السيد رضى الله عنه من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد كان فى هذه الطريقة ذا قدم راسخ وفضل شامخ ولازال متقلدا بوشاح هذه الطريقة عاضا على عروتها الوثقى بنواجذه إلى أن توفى رحمه الله وقبره بتماسين مشهور .

حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى أن القطب سيدى الحاج على التماسينى لما أراد بناء الزاوية بتماسين اختار موضعا طيبا لتخطيطها وبنائها فلما حفروا الأساس صادف الحفر قبر صاحب الترجمة فأمرهم أن يشقوه وقال لهم إن أصحاب الشيخ ينتقلون بأجسامهم وأرواحهم إلى برزخية مخصوصة بهم مع سيدنا رضى الله عنه فشقوا القبر ولما فتحوه لم يجدوه بل وجدوا القبر فارغا . قال وقد سمعت مثل قول القطب سيدى الحاج على من سيدنا الحبيب رضى الله عنه فإنه كان يقول كل من يموت من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ينتقل بذاته لبرزخية الشيخ رضى الله عنه

ومنهم من يحضر بعد موته لقراءة الوظيفة بالزاوية المباركة وربما يعرفهم بعض الخاصة من الإخوان .

وحدثني أيضا نفعني الله به أن صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي عيسى بن خراز حدثه أنه رأى صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي ابن المشري الأشهب بعد موته خارجا من الزاوية المباركة بعد ماقرئت الوظيفة فقال له أوتحضر الوظيفة بعد الموت ؟ فقال له نعم ، ثم سأله عن والده صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي العربي ابن الأشهب فقال له إن مرتبته عالية وأنا دونها فلم أعرف ما اشتملت عليه لشفوفها وعلوها قال وكان سيدي العربي الأشهب رضي الله عنه يذكر كل يوم من صلاة الفاتح لما أغلق عشرة آلاف مرة . قال ثم إني سألته أن يريني موضعه وذهبت معه حتى وصلت معه إلى الموضع الذي تذبح فيه الأنعام خارج باب البلد وأنا ألح عليه في ذلك فالتفت إليّ وقال لي لاتراه إلا بعد أن تمر من هذا الباب وأشار لموضع الذبح يعني لا تراه إلا بعد الممات ثم غاب عن عينيه اه

السيد علي شيخ تماسين

ومنهم المحب الصادق في محبته لسيدنا رضي الله عنه ذو المقام المحترم والجناب المعظم أبو الحسن السيد علي شيخ تماسين كان محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه لصدق مودته وخلوص طويته حدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي نفعني الله به أن صاحب الترجمة أرسل أمة لطيفة الشمائل هدية إلى سيدنا رضي الله عنه مع القطب سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه فلما تلاقى مع سيدنا رضي الله عنه وأخبره بها قال له لا أقبلها لأنه حاكم وابن حاكم فقال له ياسيدي إنه اشتراها من مال قد ورثه من جدوده وكانوا حكاما ، ولما دخلوا للحكومة المخزنية جعلوا أصولهم التي ورثوها في ناحية وما ملكوه في ولايتهم في ناحية فإن أرادوا الصدقة وإخراج الزكاة أخرجوا ذلك من أملاكهم الموروثة وهذا قد اشترى هذه الأمة من الملك الخالص الحلية فقال له سيدنا رضي الله عنه لا أقبلها حتى تشتريها من مالك أنت وتتصدق بثمنها فقال له قد قبلت ياسيدي فقال له رضي الله عنه اذهب بها للسوق لتعرف ثمنها فقال له ياسيدي إن الرقيق ببلده عنه رخيص وهنا غالي وهذه ثمنها خمسون ريالا فقال له رضي الله عنه اعط أنت فيها ثمانين فقال له على الرأس والعين ياسيدي ثم أدخلها لدار سيدنا رضي الله عنه بعد أن تصدق بثمنها وهي تسمى زهراء اه

سيدى عبد العظيم العلى

ومنهم العلامة الأجل الفاضل الأكمل ذو العلوم الزاخرة والمناقب الفاخرة الشريف الجليل سيدى عبد العظيم العلى هذا السيد رحمه الله من أفاضل علماء الطريقة الذى شربوا من معارف سيدنا رضى الله عنه كأس الحقيقة واقتبس من مشكاته أنوارا واقتطف من أفنان فنونه أزهارا وأنوارا .

وقد كان سيدنا رضى الله عنه يحبه ويثنى عليه وقد طلب منه سيدنا رضى الله عنه أن يقرأ المختصر مع ولديه الكريمين البدرين المنيرين سيدى محمد الكبير وسيدى محمد الحبيب رضى الله عنهما فقال لسيدنا رضى الله عنه ياسيدى اجعل لهما وقتا آتى إليهما فيه فقال له سيدنا رضى الله عنه أنت الذى تعين ذلك وتعين الموضع الذى تقرأ معهما فيه فإن العلم يؤتى ولا يأتى فامتثل الأمر إلى أن توفى سيدنا رضى الله عنه كما بلغنى ذلك على لسان الثقات ، وبلغنى أيضا أن الفقراء طلبوا منه تدريس العلم الشريف بالزاوية المباركة بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه فأجابهم لذلك ثم إنه لما جلس فى أول مجلس للقراءة والناس محتفون به قام مسرعا وخرج من بابها مهرولا كأن أحدا يطلبه من ورائه وهو فار منه ، ومن ذلك الوقت لم يدخل الزاوية المباركة . وكان ينهى عن عقد حلقة التدريس بها ، وأما الجمع المذاكرة فى العلم من غير أبهة فلا بأس به لمن حفظه الله من داء النفوس ، وكذلك كان العارف بالله مولاى محمد بن أبى النصر رضى الله عنه ينهى عن ذلك ويحذر منه كثيرا ويشدد فيه بكلام غليظ كما حدثنى بذلك سيدى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به

السيد الطاهر بن عبد الصادق الأقارى

ومنهم الولى الصالح ذو السر الواضح والنور اللائح والفضل الراجح العارف الكبير والبركة الشهير سيدى الطاهر بن عبد الصادق الأقارى أحد خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين حظوا بنيل المراتب السنية لديه بانتسابهم بين البرية إليه الملحوظين بالإجلال والإعظام عند الخواص والعوام ، وقد تلاقى معه بتونس سيدنا العلامة الأكمل أبو إسحاق إبراهيم الرياحى ونال من معارفه حظا وافرا وقطف من أفنان فنونه أنوارا وأزهارا ثم صحبه صاحب الترجمة معه إلى تماسين لملاقاة الخليفة العظمى الراقى فى القطبانية المقام الأسمى أبى الحسن سيدنا الحاج

على التماسيني رضى الله عنه ومن جملة ماخاطبه به قوله :

إذاماوضعت الأرض في فلك العلا ... ونزّلت سكان السما بجبال
وسقت شمال الدار نحو يمينها ... وأهل يمين في مكان شمال
وسارعت من أقطارها كل جانب ... وبينت منها مابدا بجمال
فأنت حكيم الوقت صاحب سره ... فدونك أقفالا بلغز مقال

وهذه الأبيات يظنها بعض الخائضين في علوم السيمياء أنها مشتملة على بعض التراكيب الصناعية من علم الكيمياء . والذى يظهر لى أنها تشير إلى صناعة الوفق المعمر بسر التداخل وقد نص أهل هذا الفن على أن التعمير بسر التداخل مقطوع بالإجابة لمن تصرف به لاسيما إن كان على الصفة التى رمز لها فى هذه الأبيات وقدبسطت الكلام على هذا المعنى نفيا وإثباتا فى غير هذا الموضع ، وقد وقفت على رسالة بعثها العلامة سيدى إبراهيم الرياحى إلى صاحب الترجمة نصها :

ألا قل لساكن وادى العقيق ... هنيئا لكم فى الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش وأنتم ورود

لو كانت لى قوة أسافر بها إليك ما بقيت من ألم الحيرة أفلا تعطيني حتى يحقق لك صحة اعتقادى فيك يامن إذا تذكرته انشرح صدرى وكبر طمعى وأنت تعرف من زمان شدة عطشي وما حصل لى الإذن فيما علمت إلاعلى يديك لكن وراء ذلك حيرة شديدة فى كيفية الذكر وكيفية التصرف بها فقد حصل لى القلق العظيم فارحمنى بما يشفى غلتى ويبرد غلتى على وجه النبى ﷺ وعلى وجه الشيخ سيدى أحمد ووجه الشيخ سيدى الحاج على وأعظم من ذلك أن تتوجه لى فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم بسهولة إما بملازمة بعض الأسماء أو بعض الآيات أو بما يظهر لك هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ، وقد اطلعت من هذا المعنى على أمور كثيرة لكن لم ينشرح لها صدرى وإذا أردت شيئا من ذلك أجد برودة فى قلبى فعسى الله أن يأتى بالفتح أوأمر من عنده على يدك ، هذا بعض مابى من الهم العظيم قد شرحته لك ، وأما كل المهم فلا يمكن استقصاؤه والمرجو من فضلك الجواب عاجلا فقد خلق الإنسان من عجل والسلام من المتعلق بأذيالكم إبراهيم بن عبد القادر الرياحى أواسط حجة الحرام سنة ١٢٦٠ انتهى

وصاحب الترجمة رحمه الله أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين حضروا وفاته قدس الله سره فى الجنات آمين وضريحه ببلد توزر بالجريد وهو مشهور هناك يتبرك به .

سيدى محمد بن أحمد بن منصور

ومنهم ذوالهمة العلية والنفس الزكية والأحوال السَّنية والأخلاق السَّنية ذوالعقل الراجح والفعل المشكور السيد محمد بن أحمد بن منصور . هذا السيد من جملة الذين خصهم الله بالمحبة التامة فى جناب سيدنا رضى الله عنه وسلموا إليه الإرادة وتعلقوا بعروته الوثق وقد وقفت على رسالة منقولة من خط العارف الكبير سيدى محمود التونسى رضى الله عنه ونصها :

بحمد الله جل جلاله وتعالى مجده وتقدست أسماؤه ، يصل الكتاب إلى يد محبنا الأحب الأنجب سيدى محمد بن أحمد بن منصور سلام الله عليك ورحمته وإبراره وإنعامه عليك وعلى من هو إليك وعلى من تمسك بسيدنا رضى الله عنه كافة أيا كانوا . أما بعد فقد بلغنا أن ناحيتكم يريدون أخذ ورد سيدنا رضى الله عنه فمن أراد ذلك نبلغه منه لكن بشرط وهو عدم زيارة الأولياء مطلقا أحياء وأمواتا «١» وترك جميع أوراد غيره وهذا أمره به سيدالوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم قال له : فقراؤك فقرائى وتلامذتك تلاميذى فرهم بهذا فأمرهم رضى الله عنه ومن سبق له الحرمان ظهرت له خيالات فاسدة تحرمه ومن سبقت له الحسنى تلقاه بالفرح والسرور والرضى ظاهرا وباطنا فإن سيدنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور كلهم تحت حكمه «٢» وهو فى عالم الغيب ومن شك فى أمره ختم الله على قلبه بطابع الكفر والعياذ بالله وكثيرا من فضائله لانطيل بها هاهنا إلا مشافهة إن أراد الله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وكتبه أسير ذنبه وتفالة عصره محمود التجانى خديما اه ومن خط العلامة الجليل سيدى محمد بن المشرى عن إذن سيدنا رضى الله عنه هذه الرسالة نصها :

الأحب الأنجب الأكرم الأطيب أبا عبد الله السيد محمد ابن أحمد بن منصور

«١» لاعلاقة لهذا بالتحليل والتحريم وهو كالاقتصار على طبيب واحد

«٢» بين صاحب الرماح أن ذلك خصوص العرف فلايدخل فيه الصحابة اه المصحح

نصره الله على من عاداه في سائر الدهور آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وإبراره وإكرامه وإنعامه وإحسانه وإفضاله من سيدنا قطب الأقطاب مولانا أحمد بن محمد التجاني سقانا الله وإياكم من فيض بحاره بأعظم الأواني آمين وبعد فكيف أحوالكم المرضية أجراها الله على وفق مايحبه ويرضاه آمين وإن سألتم عن سيدنا فهو بخير وعافية لله الحمد وله المنة ولازلنا نسمع منه من غرائب العلوم المانعة من غوص الفهوم حتى صرح لنا من غير تلبيس أنه هو القطب المكتوم كتبنا الله وإياكم في ديوانه وحزبه وحشرنا في زمرته وتحت لوائه آمين

ومن أراد أن يعرف قدر هذا القطب الأكبر والكبريت الأحمر فليطالع تأليفنا المسمى بالجامع لدرر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم فإن فيه من علومه وشرح أحواله العجب العجاب ولعله يأتيك به سيدي محمود وإن لم يبلغ إليكم ووصل إلى أحبابنا من أهل سوف فابحثوا عنه واكتبوه ولاتفرطوا في نسخه فإن من طالعه حصل له معرفة قدوته وكأنه بين يديه مع أهل حضرته مع علمه بإشارة ذوي البصائر من أهل الطريقة وشطحات الأكابر وحصل حظـــا وافرا من العلم الباطن والظاهر وقطع بما فيه حجة كل حسود معاند ورد به من كان عن الحق شارد والقم بحجره فم كل شيطان مارد ، وإن ظفرت به فهو كما قيل الجواب ماترى لا ماتسمع ، ومن عرف قدر سيدنا لا يستغرب هذا فإنه بحر زاخر في الظاهر والباطن وإنما هذه نقيطات من فيضه طرقت أسماعنا جمعناه بأذنه ينتفع بها من دخل طريقه أوسمع به فأحبه والأخبار في شأنه وحال تابعيه لم يمكن كتابتها في الأوراق لمافيه من البعد عن إدراك فهوم الحذاق فإن قدر الله باجتماعنا سمعتها مشافهة إن شاء الله وفيه كفاية والسلام عليكم من محمـــد بن المشري كاتب الحروف عن إذن سيدنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين اه

المقدم سيدي محمد الساسي

ومنهم ذو الخصال الحميدة والمزايا العديدة البركة العظمى ذو المقام الأسمى المقدم الجليل السيد محمد الساسي . هذا السيد الفاضل من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه القاطنين ببلاد سوف وهو واسطة عقـــدها المنظم . قدمه سيدنا رضي الله عنه لإعطاء أوراده الشريفة هناك ، وقد وقفت على رسالة منقولة من

خط العلامة سيدى محمد بن المشرى أرسلها لصاحب الترجمة ولمن معه من الإخوان عن إذن سيدنا رضى الله عنه نصها :

بعد حمد الله جل جلاله يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا فقراء قرية اقمار من بلاد سوف حفظها الله من كل بأس وخوف زهم الأحب الأكرم المقدم السيد محمد الساسى وجملة الأحباب كل واحد باسمه وعينه من غير تخصيص ذكورا وإناثا كبارا وصغارا . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وإكرامه وإبراره وإنعامه وإحسانه وإفضاله . من سيدنا وشيخنا قطب الأقطاب أبى العباس مولانا أحمد بن محمد التجانى سقانا الله وإياكم من فيض بحاره بأعظم الأوانى آمين

وبعد : نسأل الله جلت عظمته وعزت قدرته أن ينظر فيكم بعين الرضى والمحبة وأن يتولاكم بعنايته وأن يحفظكم بلطفه وأن يكتبكم فى ديوان أهل محبته دنيا وأخرى آمين إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير وقد بلغنا ماصنعتم من المعروف وما أنتم عليه من المحبة والمودة وحسن العهد فنسأل الله أن يتمم لكم مارمتموه من خيرات الدنيا والآخرة وأن يزيدكم من فضله . والمؤكد به عليكم المحافظة على مراعاة شروط طريقتكم التى دخلتم فيها من تأدية الورد والوظيفة على ماسمعتم وترك أوراد الغير من الأشياخ رأسا وعدم زيارة الأولياء مع مراعاة حرمتهم فمن داوم على هذا يحصل له ماسمعتم من الخيرات من عظيم الثواب وكثرة تضاعف الحسنات فى الحياة وبعد الممات وإياكم ومخالطة أهل الانتقاد على القدوة الحذر الحذر فإنها الداء العضال ، وفساد قلب من خالطهم مجرب ، وإن كان لايشعر حتى يتمكن فإن تمكن لم يقدر على الخلاص والرجوع لما كان عليه أولا من المحبة . وسبب ذلك لمخالفة الشيخ لأنه رضى الله عنه حذر أصحابه كثيراً فيما مضى فمن وقع فى مخالفته خرج من طريقته إلا أن يتوب . نسأل الله أن يحفظكم وإيانا من صحبة المبغضين من الآن إلى الاستقرار فى عليين آمين . والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم من محبكم محمد بن المشرى كاتب الحروف عن إذن سيدنا رضى الله عنه . وإن سألتم عن سيدنا فهو بخير وعافية لله الحمد وله المنة فى نفسه وأولاده وأهله وأمرنى أن نكتب لكم ولجميع الفقراء وإن من عنده نخلة لسيدنا فليترك ثمرها عند جزازه كثيرا أو قليلا ثم يخزنه المقدم حتى تأمره بعد هذا بما يصنع وأمرنى سيدنا بالإقامة بعين ماضى

حتى يقدم علينا فى وسط الخريف إن شاء الله بنفسه إن يسر الله له القدوم ، وإن سألتم عنا فنحن بخير ولله الحمد والسلام فى رابع جمادى الثانية عام ١٢٢١ ا هـ

ووقفت على رسالة أخرى بعثها سيدنا رضى الله عنه إلى كافة الأحباب القاطنين بهذه القرية ونصها :

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى كافة الأحباب بأقار كل واحد باسمه وعينه . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد بلغنا ماسألتم عنه من شأن الورد والوظيفة والذكر يوم الجمعة والجواب أن الأمر فى هذه الطريقة بيّن السلوك لمن وفقه الله هيّن فإنها حنيفية سمحة . وذلك لخفة مايطلب فيها من الذكر وسعة الوقت فى الورد فورد آخر النهار من صلاة العصر إلى وقت العشاء كل ذلك وقت مختار ، ومن فاته ذلك لشغل أو مرض أو نحوه فليتداركه فى أى وقت أمكنه من الليل ، وورد أول النهار ووقته المختار بعد صلاة الصبح ويمتد إلى وقت الضحى الأعلى ومن شغله عذر صحيح فيتداركه فى أى وقت من النهار . وأما الوظيفة فمرة واحدة بين اليوم والليلة أى وقت أمكن الاجتماع فيه إذا كان فى المحل جماعة ، وأما الواحد فبأى وقت شاء والاجتماع لها فى الجماعة شرط صحة ولابد منه لأهل البلد فإن تركوها رأسا بحيث لايجتمعون أصلا فقد خالفوا وخرجوا عن الطريقة وأما تخلف البعض منهم فمن تخلف لعذر من غير قصد للتخلف فهو كمن حضر ويذكرها وحده ، ومن تخلف بغير عذر فقد ضيع نفسه فى خير كثير لاحد له ولاحصر ولو عرفه أكابر العارفين وقدروا عليه لما تركوه . ومثلها فى هذا من أحكام الاجتماع والتخلف عن الذكر والذكر بعد صلاة العصر من يوم الجمعة أقله ساعة فلكية ، وأما الكلام فى الورد والوظيفة فكثرته مبطلة ومن صدر منه فليتدارك الذكر من أوله ، وأما الكلمة والكلمتان لعارض موجب فغير مبطل والترك أولى ، وأما ورد الصبح فمن قدمه قبل طلوع الفجر اغتناما لتلك الساعة يجزىء ومن طلع عليه الفجر فلايذكره إلا بعد صلاة الصبح ، وأما من يعجز عن حفظ جوهرة الكمال فليذكر عشرين مرة من صلاة الفاتح لما أغلق والسلام ا هـ

سيدى عبد الله السوفى

ومنهم المقدم البركة الجليل ذو الخلق الجميل أبو محمد سيدى عبد الله السوفى كان رحمه الله من أفاضل المقدمين فى الطريقة الذين قدمهم سيدنا رضى الله عنه لتلقين طريقته المحمدية ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه وعند جميع أصحابه معظما محترما قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وبعدها إلى أن توفى رحمه الله بسوف.

وقد وقفت على رسالة كتبها الولى الكبير سيدى محمود التونسى رضى الله عنه إلى الفقراء القاطنين بسوف يخبرهم بكذب من أشاع موت سيدنا رضى الله عنه فى ذلك الوقت نصها: إلى كافة أحبابنا وأصفيائنا كافة أصحاب سيدنا بسوف على جملتكم السلام التام الأشمل المطلق العام. من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أسير ذنبه محمود التجانى خديما وبعد: فإن سألتم عن قدوتنا وخلاصة الحق من عبيده سيدنا أحمد بن محمد التجانى متعنا الله وإياكم من بحره بأعظم الأوانى فإنه فى حال جل وصفه من النعم هو وأولاده وعبيده وسيدى محمد بن المشرى ومابثه سفهاء الوقت وأذلة المقت من موت الروح الفرد والصدر الأوحد فهو كذب وزور وبهتان لاغير فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بوعد صادق لاخلاف فيه أنه رضى الله عنه يمكث فى القطبانية جميع عمره وهو ثمانون سنة تربح على يديه ناس ويخسر آخرون ويفيض على الوجود مدده كما هو مذكور. فتبا للمعاند وحاصله لاتعترضوا على أحد فإن لله ملائكة حفاظا يكتبون مايصدر قولا وفعلا من كل مخلوق إما خيرا أوشرا فصاحب الخير يثاب وغيره يعاقب حتى يقول المعترض على هذا السيد ليتنى كنت خنزيرا ولم أكن معترضا فاحملوا الناس على ما هم عليه تستريحوا من ثقلكم والسلام وما أنا قادم عليكم عزما اهـ

المقدم سيدى أحمد بن المبروك السوفى

ومنهم المقدم الفاضل العارف والواصل القائم على ساق الجد فى الطريقة والشارب من منهل الشريعة والحقيقة أبو العباس سيدى أحمد بن المبروك السوفى من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين لهم المحبة الكاملة فى الجناب الأحمدى وكان يقضى بعد أغراض سيدنا رضى الله عنه بالجزائر وعنده ينزل الأصحاب المارون بها ويبلغهم لنيل مقاصدهم على أحسن حال كما وقفت على ذلك فى رسالة

بعثها إلى سيدنا رضي الله عنه صاحب سيدنا رضي الله عنه السيد الحاج محمد الصابرى رحمه الله .

السيد بوحسونا

ومنهم البركة العظمى الراقى فى الولاية للمقام الأسمى ذو الأخلاق الحسنة والخليقة المستحسنة أبو عبد الله سيدى محمد بوحسونا المضاوى . هذا السيد الجليل من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين نالوا الحظوة عنده بصفاء المودة وصدق المحبة وقد قدمه سيدنا رضي الله عنه فى تلقين الطريق الأحمدية بعين ماضى وهو بنواحيها مشهور بالولاية الكبرى والمعرفة الباهرة وكان محترفا بحرفة البناء لاترى فيه غشا لمخلوق أصلا وكان يشترط على من يستخدمه قبل الشروع فى الخدمة أن يذهب للصلاة إذا حضر وقتها مع الجماعة فمن أذعن لشرطه وقبله ذهب معه للخدمة وإلا لم يجبه لمطلوبه ولو بذل له فى الأجرة مالا كبيراً وهو الذى بنى لسيدنا رضي الله عنه الدور والخلوات الشهيرة بعين ماضى وأبى سمغون وقبره رحمه الله مشهور هناك ، واعلم أن قرية عين ماضى وقر الله أهلها وحرسها مشهود لها بطيب الهواء وحسن الأرض كما أنه مشهود لها بالفضل العميم فى الطول والعرض ولو لم يكن من فضائلها إلا وجود سيدنا رضي الله عنه بها لكفاها شرفا وفخرا على غيرها من سائر القرى وهى الآن من عمالة الجزائر لكنها لازالت والحمد لله معظمة بوجود أولاد سيدنا رضي الله عنه .

وقد وقفت على رسالة منقولة من خط سيدنا رضي الله عنه بعثها لأهلها حين وقع بينهم وبين الباى ما وقع من الهرج الكثير حتى أدام الحال إلى إيقاد نار الفتنة فى تلك النواحى ونصها :

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا وأعز الناس عندنا جماعة أهل عين ماضى من غير تخصيص . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجانى وبعد نسأل الله عز وجل أن يفيض عليكم بحور الأرزاق والخيرات والبركات وأن يكفيكم شر جميع الخلق وأن يلبسكم رداء العافية والستر يليه إعلامكم عما كتبتم به إلىّ . فأما انتقالى إليكم فإنه قد حان انتقالى من هذه البلدة لكن الأسباب الإلهية

أعجزتني عن الانتقال إليكم لكوني ثقيل الحمل لايحملني إلا سبعون بعيرا أو ثمانون بعيرا ولا أجدها في هذا الوقت لاعندي ولاعندكم والآن صارت الطريق بيني وبينكم مخوفة لا تسلك إلا بشدة من كثرة الأعداء. والله غالب على أمره، وأما ماطلبتم مني بعثه إليكم من البارود والرصاص فلا وجود له في هذه البلاد أصلا وكان قبل هذا يوجد في بلاد لجيج والآن بلاد لجيج الطريق بيننا وبينهم مخوفة لا أمان فيها وقد عاجلني في هذه الساعة السفر إلى بلاد انقاد لأجل شراء الزرع الذي أنا محتاج إليه ولا أقدر على التخلف عنه حتى ساعة لكثرة مايلزمني من أكل الطعام وأما أمر الباي معكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد المحب لولده إذا كنتم تراعون نصيحتي فسيروا إليه في بلاده وأعطوه ماتقدرون عليه من المال ولا تقاتلوه فإنه لاخير لكم في قتاله وأخبركم أنه انكشف لي من سر الغيب ما لم يكن لنا ولا لكم به علم وهو أنه سبحانه وتعالى قد قضى في حكمه على جميع خلقه من أهل الصحراء بثقل المغرم عقوبة لهم على معاصيهم وعدم توبتهم من ذلك ولكثرة اشتهار الظلم والفواحش في كل محل وعدم النهي عن ذلك ونفذ حكم الله بذلك ولاسبيل لدفعه فقد غلبنا وغلبكم أمر الله وعجزنا عن دفع بلائه في خلقه فإن الله له الحكم والتقدير والله غالب على أمره وتنجيزاً لوعده في كتابه بقوله (من يعمل سوءا يجز به) (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (فلايجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) ولما في صحيح البخاري عن أم سلمة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فقالت زوجته صلى الله عليه وسلم وماذاك يارسول الله. قال فتح من ردم يأجوج ومأجوج قدر هكذا وعقد نقرة بين إبهامه وسبابته فقالت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث فأخبر صلى الله عليه وسلم أن وجود الصالحين في الخلق لايدفع البلاء عنهم لكثرة الخبث

ثم إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه فقد حدث الأمر من عند الله بما قلته ودليل ذلك أن ذلك الأمر قد عم بلاد الصحراء حاضرها وباديها ولم يسلم منها أحد ولابد أن يعمكم ولا تقدرون على دفعه فلايغرنكم ماجرت به عادتكم من غلبتكم على كل من قاتلكم في قريتكم فإن تلك العادة قبل أن يحدث عموم هذا البلاء. فلما حدث هذا

البلاء وثبت بإرادة الله فليس لكم إلا التسليم لأمر الله واصبروا حتى يفرج الله وارضوا بحكم الله وإن أبيتم فإنه يصب عليكم بلاء عظيم لاتقدرون عليه ولاتلتفتوا لقول من يأبى عن هذا فإن أمر الله لامرد له قال سبحانه وتعالى (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلامرد له) وقد وقع هذا الأمر من الله حقيقة ولاقدرة لكم على دفعه فكل تدبير عندكم فى القتال والخلاف فاتركوه ولاتدبروا إلا فى الصلح بينكم وبين هذا الباى ولاتعارضوا أمر الله فإنى قلت لكم ذلك القول سابقا ثم ظهر لى من أمر الله ما لادافع له رأيته عيانا وإن خالفتم قولى فقد ألقيتم بأنفسكم إلى الهلاك وهو واقع لامحالة إلا أن تصبروا وتعطوه مايصلح الحال بينكم وبينه وإلا فالذى قلته لكم واقع لامحالة فدبروا فى نجاة أنفسكم قبل حلول الهلاك فهذه نصيحتى لكم إن قبلتموها وكان الأمر سابقا على ماأخبرتكم والآن ظهر من الغيب مالم يكن لنا به علم

وقد سمعت من ألسنة أحوال المقادير الإلهية أنك تتعرض لدفع بلاء الله عن خلقه فهل تقدر على عصمتهم من اقتحام الذنوب وحيث لم تقدر على عصمتهم من اقتحام الذنوب فلابد لكل ذنب من عقوبة فتأخرتُ وسلمت الأمر له فى خلقه معترفا بالعجز والتقصير .

عباد الله . عباد الله . عباد الله . لاتخالفونى فى هذا الذى قلته لكم وأخبركم أنه جرت لى عادة مع الله كلما حثثت أحدا على فعل أمر أو تركه فى صلاح نفسه ثم لم يقبل منى إلا عوقب ببلاء على قدر ذلك الأمر ولم تتخلف هذه العادة وإن قضى الله واصطلحتم مع الباى بذهاب الشر بينكم وبينه وبعثتم لى من الإبل قدر مايحملنى انتقلت إليكم ولا أقدر على دفع البلاء الذى أراده الله فى خلقه لأجل ذنوبهم والسلام انتهى

فانظر رحمك الله إلى هذه الرسالة التى ظهر مصداقها حيث خالفوا مضمونها بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه حتى أدى الحال إلى خرابها فى ذلك الوقت وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيأتى لنا بعض كلام فى بنائها وعمارتها بعد ذلك فى ترجمة صاحب سيدنا رضى الله عنه سيدنا الشيخ أحمد بن سالم رحمه الله إن شاء الله تعالى

السيد الحشانى

ومنهم ذو الأخلاق العذبة الدالة على طيب الأصول والأعراق الفقيه الأجل

والأستاذ المبجل أبو عبدالله سيدى محمد الحشانى كان عند سيدنا رضى الله عنه ملحوظا بعين الوقار والمحبة والمودة الخصوصية وكان يقرىء أولاد سيدنا رضى الله عنهم الكتاب العزيز بداره المباركة وقد زوجه سيدنا رضى الله عنه بابنة بعض إمائه وعقد له عليها بنفسه وذلك أنها لما بلغت وتكلم سيدنا رضى الله تعالى عنه فى شأنها كما كانت عادته رضى الله عنه من أنه لا يترك عنده أمة بلا تزويج فأراد الفقيه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله أن يزوجها بأحد العبيد فامتنعت عن ذلك وقالت لا أتزوج بهم أبدا فأخبر سيدنا رضى الله تعالى عنه بذلك فبعث رضى الله عنه إلى صاحب الترجمة وقال له إنى أردت أن أزوجك إن قبلت بهذه وأراه وجهها ويديها فقال له ياسيدى كيف لا أقبل ذلك وأنا من جملة خدامك فأخذ سيدنا رضى الله عنه فى ذلك الوقت كاغدا وكتب فيه مانصه :

الحمد لله أشهد على نفسه أحمد بن محمد التجانى أنه زوج مكفولته الزناتية لصاحبه سيدى محمد الحشانى اهـ

كما أخبرنى بذلك سيدى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به وقد ارتحل من فاس مع أولاد سيدنا لعين ماضى بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه وبلغنى على لسان بعض الإخوان أن أولاد سيدنا رضى الله عنهم لما أخذوا سيدنا رضى الله عنه من قبره بعد مادفن بنحو ستة أشهر ليسافروا به لعين ماضى من غير علم أصحاب سيدنا رضى الله عنهم الموجودين فى ذلك الوقت بفاس وبلغ الخبر إليهم اجتمعوا وذهبوا إلى أولاد سيدنا رضى عنهم وطلبوا منهم رده إلى قبره الشريف بعد التى والتيا ومع ذلك لم يطلعوهم على الموضع الذى جعلوه فيه فأخذ الشريف المنيف سيدى موسى بن معزوز رحمه الله سيفا فى يده وكان ذا قوة هاشمية وقصد صاحب الترجمة وأقسم بيمين لا يبرئها إلا البرور إن لم يخبره أين ذهبوا بسيدنا رضى الله عنه ليذبحنه عاجلا فلما رأى الجد منه وكان معروفا به أخبره بالموضع الذى جعلوه فيه فأخذوه وردوه لقبره الشريف وجعلوا عليه الحراس حفظا له رضى الله عنه ، وقبر صاحب الترجمة بالأغواط رحمه الله .

سيدى النوّى

ومنهم المحب الصادق فى جناب سيدنا رضى الله عنه ذو القدم الراسخ والفضل

الشامخ أبو عبد الله سيدي النوتي بن عطـــاء الله أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين حضروا لوفاة سيدنا رضي الله عنه بعد أن ورث منه حظا وافرا من المعارف وشرب من حوضه المورود كؤوس اللطائف ، وقد سافر بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه مع صاحب سيدنا رضي الله عنه القطب الأشهر سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه إلى عين ماضي .

حدثني العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي نفعني الله به أن صاحب الترجمة حدثه أن سيدنا رضي الله عنه كان أوصى سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه أن قضى الله بوفاته أن يسافر بأولاده ولا يتركهم بهذه الحضرة الإدريسية ، ولما توفى سيدنا رضي الله عنه نظر سيدنا الحاج علي رضي الله عنه إلى أحوال أولاد سيدنا رضي الله عنه فرآهم لا يحبون السفر عن هذه الحضرة الفاسية فتركهم بها وسافر مع جماعة من أصحاب سيدنا رضي الله عنهم وكان في القـافلة مايقرب من المائتين نفسا من جملتهم صاحب الترجمة ولما خرجوا من فاس وبلغوا للمحل الذي تنظر منه المعروف بعنق الجمل وقف القطب سيدي الحاج علي رضي الله عنه ورفع يديه وقال يا إخواننا قفوا وارفعوا أيديكم لفاتحة ، فوقف الناس ورفعوا أيديهم معـــه وصاروا ينظرون ماذا يفعل ثم إنه بعد ماطال وقوفهم على تلك الحالة وهو يحرك شفتيه إلى أن قال بصوت عال أطلب من الله تعالى ومن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يأمر السلطـــان بحوز دار سيدنا رضي الله عنه ليحصل القنط لأولاده فيساعدونا على سفرهم من هذه البلدة ثم ختم دعاءه وسار إلى عين ماضي فكان من قدر الله تعالى أن كان سيدنا محمد الكبير رضي الله عنه مارا بأحد طرق فاس راكبا على إحدى بغاله فرآه راكبا عليها الشريف مولاي إبراهيم بن مولانا سليمان فقال لابن سيدنا رضي الله عنه أريد منك أن تبعث لي هذه البغلة لأركب عليها وأنظرها ثم أردها لك فإنها أعجبتني فعرف ابن سيدنا رضي الله عنه مقصوده وأنه أراد أن يأخذها بهذه الحيلة فلم يبعثهـا له وضاقت نفس الشريف المذكور من ذلك وكتب إلى والده السلطان مولانا سليمان وكان بالحضرة المراكشية يخبره بأن أولاد الشيخ رضي الله عنه أرادوا السفر وعليـه فإن سافروا وخرجوا من دار المراية التي هم نازلون بها فماذا يفعل بها بعد ذلك فأمره بأن يدفعهـا لأحد الشرفاء من الأقارب

فاتفق أن كان ورود جوابه يوم عيد الأضحى فأرسل الخليفة المذكور إلى أولاد سيدنا رضى الله عنهم وأمرهم بالرحيل من الدار فى ذلك اليوم على نوع من الجبر فصار أولاد سيدنا رضى الله عنه ينقلون أمتعتهم الزاوية المباركة فلم تسعهم وضاع لهم أمور فضجرت نفس أولاد سيدنا رضى الله عنه من ذلك وصاروا ينتظرون قدوم القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه ليسافر بهم لعين ماضى وكتبوا له بذلك بعد أن كان لايظن أحد أنهم يسافرون من هذه الحضرة وما ذاك إلا ليقضى الله ما أوصى به سيدنا رضى الله عنه وأشار له أيضا بقوله رضى الله عنه أولادى لاتليق بهم إلا الصحراء مع بركة دعاء القطب سيدنا الحاج على التماسينى رضى الله عنه ، ولما قدم رضى الله عنه من عين ماضى وأراد أن يذهب بهم رضى الله عنهم منعه من ذلك أصحاب سيدنا رضى الله عنه القاطنون بفاس ولم يتركوه يسافر بهم إلا بعد التى واللتيا كما قدمنا الإشارة إلى بعض ذلك وفى هذا كفاية .

الفقيه السيد محمد المازرى

ومنهم العالم العامل العارف الواصل المرتقى فى أوج السيادة إلى أرفع مقام والحائز قصب السباق فى العلوم الظاهرة والباطنة بين الأنام أبو عبد الله سيدى الحاج محمد المازرى أحد خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه كان رحمه الله مشهودا له بالولاية مشهورا بالكشف الصريح ، الملحوظ بالعناية وكان عند سيدنا رضى الله عنه ملحوظا بعين الإجلال فى حال حضوره وغيبته وينوه بقدره وعلو مرتبته ويثنى عليه الثناء الجميل ويصفه بصفاء الوداد الذى هو بكل خير كفيل وكان فى العلوم الظاهرة ينزل عند سيدنا رضى الله عنه بمنزلة الامام المازرى أحد الفقهاء المالكية المشهودين برسوخ القدم فى العلم مع سلامة الإدراك والفهم .

وقد وقفت مباشرة على فوائد شريفة وفرائد لطيفة بخط صاحب الترجمة قدس سره تلقاها عن سيدنا رضى الله عنه وأذن له فيها عايشهد له بالخصوصية التامة عنده رضى الله عنه ولنذكر منها هنا طرفا يسيرا إتحافا للإخوان رجاء دعوة صالحة من أخ صالح .

فمن ذلك مانقله من خط سيدنا رضى الله عنه مباشرة وأجازه به مانصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم يقول كاتبه أحمد بن محمد التجانى عفا الله عنه أخذت بالإذن والإجازة عن السيد محمد بن يوسف التونسى وهو أخذ عن شيخه السيد عمر بن الحاج محمد وهو أخذ عن السيد الحاج سليمان وهو أخذ عن الشيخ سيدى محمد شمهروش أحد ملوك الجان المعروف عند الحكماء بشمهروش الطيار وهو أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى أخذته عنه أعنى السيد محمد التونسى هو بسم الله الرحمن الرحيم ياعزيز ياوهاب ياودود اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى وارزقنى أخذت عنه أن أذكره متى شئت من غير حد فى الوقت ولا فى العدد .

وأخذت عنه أيضا للحفظ من النفس والشيطان ومن شر كل ذى شر فى سائر أوقات الليل والنهار والبر والبحر وكل ماخفت منه وكل ماوقع لى خوف وهو بسم الله الرحمن الرحيم يالطيف ياحفيظ يامانع ياستار من غير حد فى العد ولا فى الوقت وأذن لى كما أذن له شيخه اهـ

وأخذت عن سيدنا وشيخنا وبركتنا سيدى الحاج فرج التونسى الإجازة والإذن فى منظومة الشيخ الدمياطى وفى الأسماء الإدريسية المعروفة وفى أسماء الله الحسنى . أما المنظومة الدمياطية فبسنده فيها عن الشيخ سيدى محمد بن فارس الهلالى عن الشيخ سيدنا يوسف احنصال عن أبيه الشيخ سيدى سعيد احنصال الولى الكبير . وأخذنا الدمياطية أيضا عن شيخنا الحاج فرج بسنده عن الشيخ الولى الكبير سيدى محمد الحفناوى المصرى بالسند المتصل إلى الشيخ الناظم نور الدين الدمياطى ، وأما الأسماء الادريسية فبسنده عن الشيخ الولى الكبير سيدى محمد الحفناوى المصرى بالسند المتصل إلى مشايخنا الكبار وبسنده أيضا فى الأسماء الادريسية عن الشيخ الولى الكبير سيدى عبد الوهاب العفيفى وأما الأسماء الحسنى فبسنده عن الشيخ الكبير سيدى محمد الحفناوى وأذن لى فى الجميع وأجاز لى على نحو ما أذن له وأجاز له أشياخه رضى الله عن الجميع وكتب آخذ الإجازة والإذن عبد الله أحمد بن محمد التجانى تاب الله عليه قال كاتبه وأخذت الإذن والإجازة عن السيد الشريف الحاج العباس المغربى وهو أخذ عن شيخه شيخ الزمان الواصل مرتبة العرفان الولى الكبير سيدى محمد السمان القاطن بالمدينة المشرفة صلى الله على

ساكنها مدى الدهور والأزمان فى البسملة بتمامها ٤٠٠٠ دبر كل صلاة إلى تمام ١٤ يوما فى الخلوة ويطلق البخور طول الذكر أو عند رأس كل مائة وهو الجاوى مع المقصير واللبان وهو معروف عند أهل المشرق من أى علك من علوك الأشجار

فالحاصل أن مطلق العلك عندهم هو اللبان فإذا فرغ من الخلوة يجعل من البسملة وردا واحدا كل يوم عند طلوع الشمس وهو ٧٨٧ كل يوم أبدا سواء قضيت حاجته أو لم نقض لكن لا يختص بحاجة واحدة إن شاء حاجة وإن شاء حوائج كثيرة أو قليلة فإن انقضت الخلوة داوم على ورده الأول فقط ، ثم إن وقعت له حاجة أخرى إن شاء اقتصر على ورده وذكره بنيتها وإن شاء جدد لها خلوة أخرى يذكرها ٤٠٠٠ دبر كل صلاة وأيام الخلوة وبخورها كالأولى ثم أن انقضت الخلوة أيضا رجع إلى ورده . وأما فى الاسم اللطيف فيتلوه لأى حاجة أرادها فى خلوة ثلاثة أيام لحاجة واحدة ليس إلا ويتلوه كل يوم فى الخلوة ١٦٦٤١ وبعد ثلاثة أيام يخرج ويجعل منه وردا دائما ١٢٩ دبر كل صلاة قضيت أو لم تقض والبخور فى هذه الخلوة والأكل كما تقدم سواء .

وأما المنظومة الدمياطية فعموم التصرف فى جميع بيوتها لأى حاجة كانت من غير اشتراط خلوة ثم إن شاء جعل منه وردا كل يوم وإن لم يشأ فلا لكن كل مافرغ من بيت من بيوتها أعنى من تلاوته يتلو المرزوقية التى أولها .

رفعت أمورى لبارى النسم ومو جدنا بعد سبق العـــدم

أو حزب البحر للشاذلى أذن لى فى جميع هذا كما أذن له وأجازه شيخه ، وكتب عبد الله أحمد بن محمد التجانى الحمد لله . ألف آية الكرسى ، وألف الاخلاص ، وعلى رأس كل مائة منها الله الله ١٩٨ وعلى رأس كل الاسم طـمطـطـطـسابل وهذا الورد خلف كل صلاة ٤ أيام وإن لم يسعه الوقت بدخول وقت آخر صلى فرضه ثم كمل ثم شرع فى ذكر الوقت الأخير وهكذا دائما وإن شاء جمع الأوراد كلها فى ليل أونهار من غير بخور إلا عند النوم ، وفى اليوم الرابع يأتيك ملك من الروحانية يقضى لك كل ماتريد ويعلمك كل ماتريد ولكن بعد الخلوة تداوم تلاوة الاسم الله الله ١٩٨ خلف كل صلاة والبخور الذى عند النوم فى أيام الخلوة هو الجاوى مطلقا اهـ

فائدة : هذه الصلاة لتعجيل الإجابة وتحقيقها فى كل اسم وفى كل ورد وهى اللهم صل صلاة محسنة وسلم سلاما محسنا على سيد المحسنين وإمام المجعلين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً قبل الورد وسبعين بعده اه

وأجازنا فى كل ما كتب فى هذه الورقة بوجهيها كما أجازه شيخه فى ذلك اه من خطه مباشرة .

ومن فوائده ما نقلته من خطه أيضا ما نصه : ومما جرب لتثقيف السارق واللص وكل مؤذ من السباع والدود والسوس والهوام جميعا أن تكتب سبعة أبيات من البردة من قوله :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ـ إلى قوله ـ فما تفرق بين البَهم والبُهم

على باب دار أومخزن أو باب بلد أو باب جنان أوغير ذلك من الأبواب فإنه لايصل إليه لص ولاسارق ولاجراد ولادود ولاعلة ولاشىء مما يؤذى بإذن الله تعالى فاعرف بها واعرف قدرها فإنها صحيحة مجربة لاشك فيها انتهى إلى غير ذلك مما وقفت عليه بخطه فى كناش الخليفة المعظم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه

ومما وقفت عليه فى الكناش المذكور مكتوبا مانصه مماكان ينشد سيدنا رضى الله عنه .

زر من هويت وإن شطت بك الدار ... وحال من دونه حجب وأستار
لايمنعنك بعد من زيارته ... إن المحب لمن يحب زوار

ومما أنشده سيدنا رضى الله عنه بعد كلام فى الفرق بين عالم الحكمة وعالم المشيئة

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولاعلم للخلق يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله ... نور يحير فى بحر من التيه

وأنشد بعد حكاية ذى القرنين قال حين دخل إلى كنز من الكنوز فوجد فيه من الذخائر والنفائس مالا حد له ولا حصر ووجد كرسيا من ذهب جالس عليه إنسان مكتوب على يمينه : جمعنا المال وأمسكناه

وعن يساره : ثم رحلنا وتركناه

وعند درج الكرسى مكتوب هذه الأبيات :

لقد عمرتُ فى زمن سعيد ... وكنت من الحوادث فى أمان

وقاربت الثريا فى علـــو فسرت على السرير كما ترانى

الحاج محمد المازونى

ومنهم البركة الأجل الفاضل الأكمل ذو السيادة العالية والشيم الفاخرة والهمم الغالية أبو عبد الله سيدى الحاج محمد المازونى. هـذا السيد رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الأقدمين الذين فازوا بصحبته قبل انتشار هذه الطريقة المحمدية وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة وقد أذن له فى الاسم الأعظم وتلاوة الفاتحة بنيته وذكر صلاة الفاتح بنيته أيضا وكان سيدنا رضى الله عنه لا يأذن فى ذلك إلا لأعز أصحابه وأكابرهم حسا ومعنى حتى انه رضى الله عنه حين أكثر الناس عليه من طلب ذلك قال قرب وفاته رفعت الإذن فى الفاتحة بنية تلاوة الاسم الأعظم معها عن أذنته فيها ثم أذن رضى الله عنه لجمـــاعة مخصوصة على وجه مخصوص وعدد مخصوص وقد رأيت فى بعض رسائل صاحب الترجمة التى كتبها للفقيه سيدى محمد بن المشرى بعـد أن طلب منه كيفية الذكر لذلك حيث كتب له بأن سيدنا رضى الله عنه يأمره بأن يكثر منها صورة النية التى ينويها مريد تلاوة الفاتحة على الوجه المذكور ونصها من خطه مباشرة :

اللهم إنى نويت تلاوة الاسم الأعظم الكبير الذى فيه الثواب كاملا وهو اسم الذات وعينها الخاص بها بتلاوة الفاتحة عشر مرات أو أكثر إجلالا وتعظيما لله وابتغاء مرضاة الله وقصدا لوجهه الكريم من أجله بسم الله الرحمن الرحيم الخ

وقد بلغنى أن صاحب الترجمة رحـمه الله توفى فى الفتنـة التى وقعت بين أهل عين ماضى وبين عبـد القـادر الجزائرى الذى قال فيـه سيدنا الحبيب ابن سيدنا رضى الله عنه اليوم الذى ينبت الشعر فى كف اليد تكون منه تعلية له على المحال فى نجح مرامه عفا الله عنا وعنه .

السيد أحـمد المازونى

ومنهم البركة العظمى ذو المقام الأسمى الحائز فى المراتب أعلاها ومن درر المعارف أغلاها أبو العباس سيدى أحمد المازونى . كان رحمه الله من أكابر خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين قضت لهم العناية بنيل الولاية التامة والكرامة العامة وقد توفى رحمه الله تعالى قيـد حياة سيدنا رضى الله عنه وهو مدفون بروضة أولاد

ابن عبد الله بقباب باب الفتوح من فاس صانها الله من كل باس ، ومن فضائله الدالة على علو مقامه في الولاية ماحدثني به بعضهم أنه لما توفي قال فيه سيدنا رضي الله عنه لأصحابه من له حاجة وأراد قضاءها فيأخذ شيئا من تراب قبر سيدي أحمد المازوني والله أعلم .

عم محمد الحاروشي

ومنهم ذو الفضائل العديدة والشيم الحميدة والولاية التامة والسيادة العامة الفاضل الأنجد البركة عم محمد الحاروشي هذا السيد رحمه الله من أكابر المفتوح عليهم في هذه الطريقة الأحمدية مشهور بالمعرفة عند جميع الناس ، وقد بلغني عنه أنه كان أميا ومع ذلك فكان يحفظ كل ما سمع حتى انه كان إذا حضر بمجلس تقرأ فيه جواهر المعاني يسبق القارىء في السرد ، وهو الذي أخرج سيدنا رضي الله عنه من الصندوق الذي وضعه فيه ساداتنا أولاده قدس سرهم حين أخرجوه من القبر الشريف ليذهبوا به إلى عين ماضي كما تقدمت الإشارة إلى هذه القضية في غير ما ترجمة .

عم محمد الخيري

ومنهم البركة الجليل ذو الخلق الجميل والمحبة الصادقة والهمة الفائقة عم محمد الخيري أحد الملازمين للزاوية المباركة قيد حياة سيدنا رضي الله عنه والمحظوظين بعين القبول عنده وعند الخاصة من أصحابه رضي الله عنهم وقد بلغني عنه أنه كانت له رحمه الله بنت يحبها محبة عظيمة يخاف عليها كثيرا ، ولما وقع الوباء الكبير بفاس ازداد خوفه عليها وكان لايخرج من داره إلا في وقت الصلاة المفروضة غالبا وإذا خرج يتركها وحدها في داره ويذهب إلى الزاوية وقلما يجد في طريقه أحدا من كثرة الوباء فقال في بعض الأيام لسيدنا رضي الله عنه ياسيدي إني خفت على ابنتي فادع الله لي ولها فدعا له سيدنا رضي الله عنه ومن جملة ماقال في دعائه وأسأل الله أن ييسر لها من يفتح عليه ، فسمع ذلك الشريف سيدي موسى بن معزوز وذهب إليه وتزوجها منه في ذلك الوقت فهي أم ولده المقدم سيدي الغالي بن معزوز رحم الله الجميع انتهى .

فائدة : حدثني غير واحد من الثقات أن صاحب سيدنا رضي الله عنه الولي الكبير مولاي محمد بن أبي النصر الشريف العلوي عن سيدنا رضي الله عنه قال من

أراد أن يحفظه الله من الطاعون والوباء فليكتب فى صدر بيته قوله تعالى : فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها . . إلى قوله إلى حين . ولا يطمس حروفها فإنه لا يدخل ذلك البيت البته بإذن الله تعالى .

وبلغنى عن سيدنا رضى الله تعالى عنه أنه كان يأمر بالمحافظة عند هجمات الوباء على دعاء الإمام القلشانى المشهور وهو :

اللهم سكن صدمة قهرمان الجبروت بألطافك الخفية الواردة من باب الملكوت حتى نتشبث بأذيال لطفك ونعتصم بك من انزال قدرتك ياذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة ياذا الجلال والاكرام اهـ ، فان الله يحفظ من واظب عليه ، ومن لم يذكره فليكتبه ويعلقه عليه فإن الله يحفظه إن شاء سبحانه وتعالى

سيدى الطاهر بوطيبـــه

ومنهم الولى الكامل والعارف الواصل المشهود له برسوخ القـــدم فى الولاية والمشهور بالفتح الكبير المحوط بعين العنـــاية البركة العظمى أبو عبد الله سيدى الطاهر بوطيبة التلمسانى أحد الخاصة المفتوح عليهم فى هذه الطريقة الحنيفية . كان رحمه الله آية من آيات الله الباهرة وقد اشتهرت عنه كرامات عديدة يضيق عنها تأليف بالخصوص وقد شهد له بالوصول للخلافة الأحمدية التجانية بالتقديم العام من سيدنا رضى الله عنه وعلى يديه اشتهرت الطريقة بنواحى تلمسان وفقراء تلمسان يحدثون عنه بالعجب العجاب من المناقب ويذكرون أنه صاهر سيدنا رضى الله عنه وحج معه واعتمر وروى عنه من المعارف ما امتـاز به عن غيره فى الحضر والسفر إلا أنى رأيت بعض الإخوان أصلح الله لى ولهم الشأن ينكر غالب ماينسبون إليه والله أعلم بحقيقة ذلك .

والذى حدثنى به سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أنه وقع له مع صاحب الترجمة لما كان بتلمسان أنه أراد أن يجدد الإذن عليه فى الطريقة قال فقلت فى نفسى كيف أجدد الإذن على هذا المقدم بعد أن أخذت الطريقة عن أكابر أصحاب سيدنا رضى الله تعالى عنه كالقطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه قال فما أتممت هذا الخاطر وأنا بتلمسان جالس عند بعض الاخوان بدكانه إذ وقف بجنبى صاحب الترجمـة وقال مخاطبا لى على سبيل المكاشفة إن سيدنا رضى الله عنه أراد

انسان أن يأخذ عنه الورد من غير واسطة بينه وبينه ، فقال له سيدنا رضي الله عنه لما بلغه قصده قولوا له هو مأذون ثم ذهب لحال سبيله اه

وقبره بتلسان مشهور يقصد للزيارة رحمه الله تعالى ورضي عنه

السيد محمود بن القبطان الجزائرى

ومنهم محب سيدنا رضي الله عنه بلا ارتياب السالك طريق المودة التامة بين الأصحاب السيد محمود بن القبطان . هذا السيد رحمه الله كان كثير البرور لسيدنا رضي الله عنه محبا له ومحبا لكل من انتمى له وهو من عمالة الجزائر وقد رأيت فى المشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سيدنا رضي الله عنه أن يكتب له كتابا يخبره فيه بأنه هو حبيب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أحبه فهو حبيب عنده ويأمره فيه بالوقوف مع سيدى الحاج على حرازم وقوف الكرام فى كل مايحتاجه بغير مشقة والسلام اه

الشريف سيدى الأمين الزيزى

ومنهم العلامة الأجل والفقيه البركة الفاضل والولى الكامل الشريف المنيف سيدى محمد الأمين الزيزى نسبة إلى زيز وهو من الشرفاء اليوسفيين وهو أول قادم لفاس من بلده ، قال العلامة المحقق سيدى الطالب بن الحاج فى كتاب الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف بعد أن ذكر أن أولاده ساكنون بدرب سيدى عواد عدوة فاس الأندلس مانصه : قدم والدهم سيدى الأمين من زيز إلى فاس واستوطنها وأخذ عن الوالد ومن فى طبقته واتصل بالعارف بالله أبى العباس سيدى أحمد التجانى وسلب إليه الإرادة وكان عالما ناسكا عابدا كثير الأذكار بادى الأنوار ولى الخطابة بالمدرسة العنانية مدة وكثيرا ماكان يخبرنى أنه كان يقرأ على الوالد قدس سره خريدته فى المنطق لجرى كلام فى عكس النقيض المخالف فأنشأ الشيخ :

وذى خستى جهل وسوء خلائق ... إذا شامنى ينأى بجنبى ويلتوى
يعاكسنى عكس النقيض مخالفا ... ولم ينعكس ذو خستين بمستوى

قال فظننت أنه عرض بى وأظهرت ذلك من حال للشيخ فأنشدنى ارتجالا :

بلى والضحى والليل يابدر إذ سجا ... وأنت أمين يا أمين من الهجـــا

لك الشرف الذي علا البدر في الدجا ... وألبست نورا من علوم مدبجا
ومن يرج أهل البيت نفسه قد هجا ... ولا سيما من بالعلوم تبرجا

وتوفي آخر جمادى الأولى عام تسعة وخمسين ومائتين وألف اهـ

العلامة السيد عبد الواحد الفاسي

ومنهم جامع أشتات المعارف ومقتطف أزهار اللطائف بحر العلوم الزاخرة ومعدن الأسرار الفاخرة أبو عبد الله السيد عبد الواحد الفاسي أحد الملحوظين عند سيدنا رضي الله عنه بعين الوقار والتعظيم سالكا في محجة المنهاج القويم اقتطف من دوحة سيدنا رضي الله عنه أنوارا وجمع من ثمارها أسرارا وروى من كوثره المنهل الصافي إلا أنه لم يثبت عندي أخذه عن سيدنا رضي الله عنه طريقته المحمدية وله معرفة خصوصية بسيدنا رضي الله عنه قبل استيطانه بفاس وله في مدح سيدنا رضي الله عنه قصائد متعددة وقد نقل منها في جواهر المعاني قصيدة رائية ونسبها لبعض الفاسيين وهو صاحب الترجمة ونص ما في الجواهر في ذكر بعض كمالات سيدنا رضي الله عنه ، وقد وصفه بعض المحبين الأدباء من السادات الفاسيين أدام الله حفظه بالخلافة التصريفية وكونه مظهر الأمر الإلاهي وغير ذلك مما يشير إلى وصف حاله ومقامه في قصيدة له أحببت إبرازها لاختصارها وحسنها وهي :

لقد مدت الأمداح أعناقها إلى ... مديح إمام فائض النور والسر
فقال لسان الحال كيف بذا وقد ... غدا قلبه مرسى به مظهر الأمر
ولم يبق فيه غير ذكر إلهه ... وصار له بيتا تقدس عن غير
وأفنى في التوحيد ذاتا وغاب في ... بحار من التحقيق في لجها يسري
ومد بسر من بقاء وألقيت ... عليه حلى التقريب والوصل والبر
وقيل له أنت الخليفة فارعين ... وأمرك أمري ما حكمت به يجري
وعمته أنوار النبوة فاغتدى ... بها وارثا كل الكمال بلا حصر
وزكته أخلاق وفاض ينابعا ... من السر والعرفان والفضل والخير
وأبدت عليه مسحة من جمالها ... لذاك قلوب العاشقين له تجري
وتشتاقه حبا وتعنى بذكره ... وكان لديها طيب الذكر والنشر
وصار مهابا في الصدور معظما ... يزج الذي يغشاه في الجد والذكر

وتفصيل أوصاف له متعذر فكيف يطاق مدحه فاقبلن عذرى
وهذا كلام من طفيلى ملفق يجارى جيادا بالبطى من الحمر
عليه رضى الرحمن ماحن عاشق لرؤيا سناه فى محـــاسنه الغر
ومعشره والصحب طرا بأسرهم من شباب وشيخ ذى حياة وذى قبر

وفى الجامع فى وزن هذه القصيدة ونسبها لبعض الأدباء هذه القصيدة

تجانى ذو عز وجاه ورفعـــة تجانى بالمولى غنى عن الغـــير
تجانى ذو علم وحلم ورفعة تجانى طود شامخ عالم مقرى
تجانى فى علم التصوف لم يقس تجانى فى علم التفاسير كالبحر
تجانى فى علم الحقائق سابح تجانى فى علم الشريعة ذو حصر
تجانى حاز المكرمات جميعها وفاق الورى فى العلم والزهد والصبر
تجانى غوث للأنام وكلهم له يلجؤون فى المهمات والضير
ألا فبهذا الشيخ صحبى تمسكوا وروضوا نفوسا تبتغى الحق بالسير
وسيروا على آثاره وتحفظوا وآدابه فاستعملوا ياذوى الحجر
فلا تلجؤوا إلا إليـه أحبتى بذا الزمن الصعب الخلى عن الخير
فلو طفت أقطار البلاد وجلتها لما تلتق أصلا شبيها بذا الحبر
يمينا به ماشمت حسنا كحسنه ولارمقت عيناى كالشيخ فى الدهر
فدعنى أجر الذيل فخرا به ومن يكون التجانى جاره خص بالفخر
تملت جوارا زادنى منه غبطة وما ملت عن ذاك الجناب إلى الغير
فها أنا فى عيش خصيب بقربه أشاهده جهرا كما هو فى سرى
فياسعد عبد قد رآه بعينـــه لقد نال عزا فى الأنام بلا نكر
ألا أيها المشغوف دونك روضه لتجنى ثمار العلم منه مدى الدهر
فلله من شيخ درى العلم جملة وحاز مقاما لم ينله ذوو السر
فزد يافقيرا فى هواه تولعا وعمرك فالزمه سرورا به وادر
ولاتلتفت أصلا وقدم جميع ما يصدك عنه واقطع الشفع بالوتر
فأنواره تجلى القلوب من الصدى وأوراده تكفى المريد من الحشر
عليك به ياكل من هو طالب ورام وصولا عن قريب ومضطر

وجد وجد بالنفس وارض بحبه ... فإنك تلق النصر فى العسر واليسر
يكل لسانى عن حقيقة مدحه ... فياعجبا هل ينقص الدلو من بحر
فيارب بالمختار من آل هاشم ... وإخوانه أولى العناية والصبر
فصل وسلم دائما متواليـــا ... على من سما قدرا على ليلة القدر

ووقفت لصاحب الترجمة على قصيدة طويلة فى هـذا البحر وقافيته توسل إلى الله فيها بالاسم الأعظم أملاها على الخليفة الأعظم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه ومن خطه نقلت بواسطة وهى :

بحمدك يامن لايخيب راجيا ... بدأت وأنت عالم الغيب والجهر
تعاليت يامن لاترام صفـــاته ... وعندك مفتاح الأمور بما ندرى
وعدت بكشف الضر ياسامع الدعا ... ويا كاشف البلوى المجيب لمضطر
ولاشك قد سميت نفسك قاهرا ... لك الحمد كل الحمد يانافذ الأمر
تفردت بالتدبير والحكم ربنا ... لحل عقود العسر باليسر والنصر
فزعنا إلى جاه النبى توسلا ... عليه صلاة الله ليست بذى حصر
محمد الهادى اعتمادى وملجئى ... به الفضل عند الله فى كل ماعصر
رسول كريم شافع ومفرج ... رؤوف بشير راحم لذوى الضر
نبى أتى حصنا وأمنا فكل من ... أتى بجده الأسنى له غاية الفخر
نبى حوى كل المكارم والعلا ... نبى هو الفرد المشفع فى الحشر
نبى به بشرى الخـــلائق كلها ... نبى به ينجو الضعيف من المكر
توسل به تظفر بقصدك وافرا ... وتهنا بما أملت من مشتهى الأمر
فما للورى إلا حمى جاهه الذى ... به تذهب الأسوا وينجو من الشر
أسأنا ولكن قد فررنا لجاهه ... لحقق رجائى واشددن به ازرى
تفضل بعفو منك عنا وسامحن ... ذنوبا لنـا واحفظ بحفظك للذكر
وعجل بخير يصلح الكسر عاجلا ... ونج بفضل من عدو ومن قهر
بما قد حوت هذى الحروف من السر ... ومن أعظم الأسما المعظم فى القدر
بحاء لرحمـــة ومحو لذى السوى ... وحلم وحق والحماية من أسر

كذا حرمة مع حجة حكمة بدت تجود على العبد المفرط بالستر
بجيم امتنان وامتناع من الأذى مكانة مع ملك أعذنا من الوزر
بيباء لآيات الإلاه تممنا بكامل فتح والصيانة من خسر
وبالألف اللذ حاز سرا لألفة والافراد والتأليف فى حضرة الطهر
تمن بجمع القلوب عليك يا إله الورى طرا وأمن لدى القبر
بكاف لنفى الكيف والشك كن انا وكافى كفاية العدو أخى الغدر
وسين اسر الستر أحدك الذى به حصل الإسعاد مع معظم الذخر
بقاف اقتدار اذهب الحجب واكفنا عداة بغوا مع محنة لأذى السحر
إلهى بسرها الألوهيـة التى يفل بها الطغيان فل ذوى الذعر
ويسر لنا مع راحة القلب أمرنا بها هيبة ثم الهبات لذى أجر
وباللام من سما الجلالة كن لنا وليا لدى كل الأمور بلاعسر
بلام قبول يارحيم أقبل دعا كبير صغير قد رجا جابر الكسر
وباللام اللاقبال أقبل بكل ما يؤمله العبد الحقير بلا نكر
بعين الوجود والمعاينة التى ترقى بها المختار فى ليلة يسرى
ترقى لما لايدرك المرء كنهه يجل عن التحديد والوهم والحصر
نفك لنا أسرا من الغير واكشفن بجودك مايوذى من العسر لليسر
وفى العين من بحر التوحد أغرقن والهمنى التوفيق للحمد والشكر
بضاد لأهل الصدق صدوا به إلى سبيل الهدى صدق رجائى لماندرى
إلهى بالاسم الأعظم مظهر العلا ومركز أسرار الهداة ذوى البر
أذقنى حبـا للإله مشاهدا جلالة سر قد محا ظلمة الصدر
وتلبسنى ثوب المعارف والرضى وحالة علم والتقى وغنى الفقـر
وتطلق قيدا من شوائب غيرت لنسرح فى جنات معرفة البر
إلهى هل من نفحـة نبوية على مستجير من بعاد ومن هجر
فتحيى فؤادا قد أميت جهالة ويغدو سريعا فى الكرامة والبشر
بحرمة من أودعته الخير كله فاعجز ذا نظم وأعيى ذوى النثر
محمد المنجى الشفيع لمن عصى مزيح الردى مولى الهدى واضح الأمر

تفضل علينا بالإجابة إننا لجأنا له فى الكون من رائع التجر
وما خاب عبد قد توسل باسمه فلا تخش حدث ماتشاء عن البحر
عليه صلاة الله أزكى صلاته وأزكى سلام دائما طيب النشر

سيدى عمر بن سيدى محمد بن سيدى عبد العزيز الدباغ

ومنهم الشريف الجليل القدر منور القلب ومنشرح الصدر الراقى فى مراقى المجد إلى أعلاها والحائز من درر السر المصون أغلاها سيدى عمر بن سيدى محمد بن القطب الكبير والغوث الشهير من يشار له بالأصابع فى المغرب والمشرق ومن قلبه بنور المعرفة بالله مشرق صاحب الكرامات العديدة والمناقب الجيدة التى أشار إلى بعضها مؤلف كتاب الأبريز فى هذا السيد الجليل جد صاحب الترجمة سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه .

كان صاحب الترجمة رحمه الله على قدم جده المذكور فى التخلق بالأخلاق السنية واكتساب المفاخر السُّنية ، ومع ما أعطاه الله له من السر المصون والعلم المخزون مع الجاه الكبير والفضل الشهير كان يبحث كل البحث على من يوصله لطريق المعرفة التامة ويترامى من طريقة إلى طريقة لايرضى لنفسه اقامته على غرورها مما نالته من الجاه حتى بلغه الله مارجاه حين دعاه داعى السعادة والفلاح إلى طريق سيدنا رضى الله عنه حين سمع به فكتب إلى سيدنا رضى الله عنه يطلب منه الإذن فى طريقه بعد الاجتماع به قبل ذلك وتقرب إليه بكل مايعطف قلبه فأجابه سيدنا رضى الله عنه برسالة نقلناها من خطه بواسطة ثقة نصها: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب بيد سيدنا الشريف الأصيل الماجد النبيل سيدنا عمر بن محمد نجل القطب الواصل والغوث الكامل الشيخ الربانى والفرد الصمدانى مولانا عبد العزيز الدباغ أمدنا الله وإياكم بمدده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى كافة أهليكم وأولادكم وعلى من انضاف إلى حماكم من صاحب وقريب وحميم وحبيب من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى وبعد نسأل الله جلت عظمته وتعالت أسماؤه وصفاته أن يعافيكم بزوال كل علة وضرر وأن ينزل فيكم وبكم كمال الصحة والقوة والسلامة من كل شر وأن يطهر منكم القلب والقالب جملة وتفصيلا من كل

ماسوى الله وأن يمن عليكم بدوام الوقوف بين يديه منقطعين من كل ماسواه حتى تفوز بغاية البغية والمطلوب آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ثم إنكم بعثتم إلينا طالبين ذكر وردنا فها أنا أكتبه لكم وهو: أستغفر الله مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة وهى معلومة ثم بعدها لا إله إلا الله مائة مرة ووقت ذلك بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وإن قدم عليها بعد صلاة العصر يكفى يذكر الورد بكماله فى كل وقت من الوقتين وليس على الذاكر إلا ذكر هذين الوقتين وما سواهما إن شاء ذكر فهو زيادة خير وإن شاء ترك ولاحرج، وصلاة الفاتح لما أغلق هى هذه:

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. ومن كان فى وقت شغل عاجلا وثقلت عليه فليجعل مكانها اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وليس إلا فى وقت الاستعجال والسلام ورحمة الله وبركاته على سيدى حمدون ابن الحاج ونسأل الله أن يكتبه فى ديوان السعداء فى الدنيا والآخرة وأن يجعله ممن يبلغ سعادة الآخرة بلا كثرة عمل آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اهـ

وقد كان سيدنا رضى الله عنه يحب صاحب الترجمة محبة خاصة ويقربه إليه من بين العامة والخاصة وهو أحد الخاصة الذين حضروا نقش الاسم الأعظم بزاوية سيدنا رضى الله عنه ودفنه بها بحضور سيدنا رضى الله عنه لتحصين أصحاب سيدنا رضى الله عنه وحفظهم أينما كانوا كما تقدمت الإشارة إليه وإن المحل الذى دفن فيه الاسم المذكور والله أعلم هو أساس السارية المعروفة بالسارية الميمونة من الزاوية المباركة ويقال لها أيضا سارية الذهب، وكان الغالب على سيدنا رضى الله عنه جلوسه عندها.

وأنشدنى سيدنا العارف بالله تعالى الولى الصالح الشريف الأصيل مولاى الطاهر بن أبى النصر العلوى رضى الله عنه هذه الأبيات وأخبرنى أنها كانت مكتوبة بالمحل الذى كان يجلس فيه سيدنا رضى الله عنه من الزاوية المباركة ونصها:

بعين فرده برد حشاكا واشرب الراح صافيا بشراك

فالتجانى لكل جان نجاة   إن تسل وطرا أخى أعطاك
والزمان ان صال كان صلاحا   وسلاحا مهندا فتاكا
هذه هذه مناقب شيخى   فادّخر من سحر الثنا أسلاكا

المقدم سيدى محمد بلقاسم بصرى المكناسى

ومنهم الفقيه الأجل العلامة الأفضل الخائض فى بحور المعارف والمستخرج منها جواهر اللطائف المقدم البركة الملحوظ بعين العناية فى السكون والحركة أبوعبد الله سيدى محمد بلقاسم بصرى المكناسى رضى الله عنه . كان رحمه الله صاحب ذوق عجيب وفهم مصيب رجلا لبيبا حاذقا أريبا ذا لهجة صادقة وهمة فائقة مع انبساط وانشراح وولاية وصلاح وعاجبل عليه رضى الله عنه الدال على كمال ولايته تأدبه مع الكبير والصغير مع تواضعه التام . وكان رحمه الله مجربا للأمور يعطى الأشياء حقها وله معرفة بأحوال الناس بكل البلاد ومن جوابه لبعض من سأله عن الفقيه العلامة سيدى محمد إكنسوس لم كان لاينبسط مع غالب الإخوان فى الناحية المراكشية ولايتكلم معهم إلا بكلام أوجبه المقام قوله إن الفقيه المذكور رضى الله عنه كان حكيما لبيبا وطبائع أهل مراكش مبسوطة غالب عليها الهزل والبسط التام فكان يعاملهم بالنقيض إبقاء لحرمة الشيخ رضى الله عنه ببقاء حرمة الفقيه المذكور عندهم فى قلوبهم فلو انشرح وانبسط معهم لانتفت الحرمة وإذا انتفت فلايحصل النفع لأحد منهم أصلا من الشيخ رضى الله عنه بسبب انتفاء الحرمة والحرمة أصل فى نفع المريد .

وكان يقول فى وصف أهل مراكش اعلم أن طبيعة أهل مراكش فى غاية البسط والانشراح وقد رزقهم الله الألفة خصوصا للضيوف فيألفون الضيف سريعا ألفة عظيمة . ولصاحب الترجمة رحمه الله تعالى مقالات شريفة وأحوال لطيفة وقد وقفت على رسالة أرسلها إليه بعض علماء شنجيط نذكر هنا بعضها لما اشتملت عليه من الفوائد العجيبة المدخرة لاسيما وقد ذكر فيها بعض مناقب هذا السيد الجليل رضى الله عنه ونص المقصود منها :

اعلم سيدى أنه مامنعنى من زيارتكم فى الستة أشهر التى أقمتها بفاس لزيارة سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه ومصاحبة مولانا محمد بن أبى النصر إلا فلان

عفى الله عنا وعنه وذلك أنى كمنت أنا وهو نتكلم فى منع الزيارة وإباحتها فى طريقتنا الأحدية التجانية فأمنعها أنا ويبيحها هو ، وأذكر له منع الشيخ لها كقوله رضى الله عنه : كل من أخذ وردنا ودخل طريقتنا لايزور أحدا من الأولياء لا الأحياء ولا الأموات .

وقوله رضى الله عنه أمرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن أرفع الإذن عن رجلين زارا مولاى عبد السلام ابن مشيش رضى الله عنه .

وكقوله رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مسئلة أغفلها الشيوخ وهى أن كل من عرف شيخا وزار غيره لاينتفع به ولا بذلك الغير أصلا

وقوله رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إذا مر أصحابك بأصحابى فليزورهم وأما الغير فلا اه

وفى الجواهر وأما فضل أتباعه رضى الله عنه فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبى صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليا قطعا وأمره أن ينهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات وكل من زار منهم ينسلخ عن طريقته ولايحصل على مقصوده (١) فلما سمع ما تقدم من النصوص فى عدم الزيارة قال لى ان الشيخ رضى الله عنه كان كثير الزيارة لمولانا إدريس رضى الله عنه فقلت له ياهذا إن الشيخ رضى الله عنه هو صاحب الطريقة وله المنع والإباحة فيها ويولى ويعزل وله أن يبيح لنفسه شيئا ويمنع منه جميع تلامذته وله أن يمنع بعض مريديه شيئا ويبيح ذلك الشىء بعينه لبعض آخر على ما أراده الله تعالى وأطلعه عليه بما فيه صلاحهم وعلى ما أعطتـــه الفراسة العرفانية واقتضته الحكمة الإلهية وساقته إليهم العناية الربانية فى الطريقة واجبـــات ومحرمات ومندوبات ومكروهات ومباحات وذلك كله للشيخ رضى الله عنه ، وعنه يؤخذ ولو لم نطلع على السر فى ذلك ولم نعرف الحكمة فيه فقد نصوا على أن من قال لشيخه لم لايفلح أبدا ، وأيضا فى الناس أقوياء وضعفاء وخاصة وعامة ومتوسطون والشيخ رضوان الله عليه عارف بأحوالهم وبنزلهم منازلهم لايخاطبهم إلا على قدر عقولهم ولايعطيهم إلا على قدر استعدادهم وروحانيته مع كل واحد منهم ولو بلغوا

---

(١) ليس المنع على سبيل التحريم ولكنه كالاكتفاء بطبيب واحد اه المصحح

ما بلغوا على اختلاف أماكنهم وتباين أحوالهم فلا يأمر الأقوياء بالنزول لمرتبة الضعفاء ولا يكلف الضعفاء بالصعود لمرتبة الأقوياء إذ ليست الرخصة للأقوياء ولا العزيمة للضعفاء فمن كان قويا خاطبه بالعزيمة والاحتياط ، ومن ضعف خاطبه بالرخصة والتخفيف اقتداء بالشارع صلى الله عليه وسلم واتباعا لشريعته كما يعلم ذلك من سيرته صلى الله عليه وسلم وتشريعه مع أصحابه الفضلاء وآل بيته الأتقياء فقد أباح صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا كالوصال ومنعه آله وصحابه ومنع شيئا نفسه وآله كالزكاة وأباحه لأصحابه وأوجب شيئا على نفسه كالضحى والأضحى والتهجد بعد نوم والوتر بحضر والسواك لكل صلاة ولم يوجبه على أصحابه وأباح شيئا لبعض أصحابه كالتصدق بجميع ماله ومنعه غيره ونهى عبد الله بن عمرو عن سرد الصوم وأقر عليه حمزة بن عمر الأسلمى وأمر أبا بكر الصديق برفع صوته فى صلاته وعمر بن الخطاب بالإخفاء ، وأقر أهل الصفة على التجريد وأمر حكيم ابن حزام بالتسبب وأعلم معاذ بن جبل بأن من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة وأمر بإخفاء ذلك عن كل الناس ، وخص حذيفة بالسر وأوصى أبا هريرة بأن لا ينام إلا على وتر وتفقد عليا وفاطمة بصلاتهما من الليل وعائشة تتعرض بين يديه اعتراض الجنازة فلم يوقظها إلى غير ذلك مما علم من السيرة النبوية اهـ ، وأما ترك الزيارة فهو واجب فى طريقتنا وشرط صحة فى أخذ وردنا قال فى منية المريد :

يعطى لكل مسلم تحملا ... عدم زور لأوليا مسجلا
سواء الأموات والأحياء ... وتخرج الصحب والأنبياء
لا باس أن يزور بعض الفقرا ... بعضا وذاك حسن إذا جرى
وكل من أخذ عن شيخ وزار ... سواه لم ينفع به ولا المزار
ونحن مالنا بزورهم غرض ... لما نهانا عنه خير من فرض
ومع ذلك لنا منه عوض ... صحيح الاسناد بلاشك عرض
فمن تلا جوهرة الكمال ... فى عدد زاو بها ذا التالى
لحضرة النبى ذى المعالى ... زيارة لسيد الأرسال
كانت له تعدل زور الرسل ... والانبيا وكل قطب وولى

(١) الوجوب هنا المراد به الوجوب الاصطلاحى للتربية وهو فى كل طريقة اهـ المصحح.

لأنه كأنه قد زارا نبينـــا فيـــاله فخـــاوا
فافعل فدى لك أبي وأمي ما قلته تظفر بخير جم
وليس ذا منا تكبرا على ساداتنا أولى المزايا والعلا
كلا جنابهم لدينا محترم لم لا وهم أهل المعالي والكرم

وأما منع الزيارة لنا من الشيخ رضي الله عنه فمعلوم من الطريقة الأحمدية ضرورة وذلك في حقنا معشر المريدين لا في حقه هو رضي الله عنه .

ثم قلت له أيضا وليت شعري ما يكون جوابك لمن سألك هل الشيخ رضي الله عنه كان يفعل الأذكار اللازمة للطريق أم لا وعلى تقدير فعله لها هل ذلك منه على الوجوب كما في حقنا نحن ولو فتح على الواحد منا وأذن له في التصرف أم لا ، وهل الثلاثة والعشرون شرطا التي من جملتها هذا الشرط مشروطة عليه كذلك أم لا وقد علمت أن الزيارة غايتها الجواز والاستحباب وتعلم أن صوم التطوع يصير واجبا بعد الشروع فيه كما ذكره غير واحد من علماء الأمة كقول بعضهم :

صلاة وصوم ثم حج وعمرة عكوف طواف بالشروع تحتما

وقول الآخر :

صلاتنا وصومنا وحجنا وعمرة لنا كذا اعتكافنا
طوافنا كذا ائتمام المقتدى فيلزم القضـــا بقطع العامد

انتهى وقد نص العلماء على جواز الفطر في التطوع لمن أمره شيخـــه بذلك وقال في المختصر وفي النفل بالعمد الحرام ولو بطلاق بت إلا لوجه كوالد وشيخ وإن لم يحلفا والمراد بالشيخ شيخ الطريقة وألحق بعضهم به شيخ العلم الشرعي انظر شرح الدردير وغيره ، وإذا جاز للمريد ترك فعل واجب بأمر شيخه له بتركه فما ظنك بترك جائز أو مندوب وأين الواجب والمندوب لا يستويان .

ثم من الشروط لمريد طريقتنا أن يعظم جانب الأولياء ويحترمهم غاية الاحترام ويرى أن تعظيمهم تعظيم لجنابه صلى الله عليه وسلم وآل بيته في ذلك أولى وله أن يتعلم من جميع الأولياء أمر دينه ويحضر مجالسهم ويسمع مواعظهم اه

وأما القصد لزيارة تبرك أو تعلق فلا لأن حدهما الجامع بينهما مطلق الانتفاع من غير الشيخ وهو مضر بالمريد وممنوع عند أهل الطريق اه

فلما سمع مالم يخطر على باله ولم يجد جوابا أراد أن يرجع إلىّ وقال لقد كدت تردنى بكلامك الحق إلا أنى تذكرت تذكرة، وأخرج لى وثيقة وقال لى إنها بخط يدكم الكريمة وأنا لا أتهمه فى ذلك الوقت بالكذب وفيها الترخيص فى الزيارة وأنا سيدى كل من رخص فى الزيارة لاتبقى لى فيه حاجة ولو كان سيدى محمد الحبيب ولد سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنهما وقد برأكم الله تعالى من تلك الصحيفة بملاقاتى للأستاذ الفقيه سيدى محمد بن أحمد أكنسوس وبيّن لى حال ذلك الشخص وسألنى هل أعرف خطكم مع عله بأنى لا أعرفه فقلت له لا أعرفه فقال لى ومن أين لك تصديق ذلك الشخص وأنت لاتعرف خط سيدنا المقدم الذى دعاه سيدنا بلفظ المقدم قيد حياته ونوه به ثم قال لى والله ما عندنا فى بلاد المغرب من هو كالمقدم فى التمسك بالطريقة الأحمدية وإعزازها وتشييدها وإقامة دعائمها وحفظ شروطهـــا وضبط أذكارها وأسرارها ودعواتها وخلواتها وجلواتها وتخليتها وتحليتها وتوجهاتها ومقاصدها وأصولها وفصولها ومصححاتها ومفسداتها وثمراتها ومنازلها وأنوارها وأجورها ومراتبها وآدابها وفضائلها ومقاماتها وكيفياتها وكمياتها فسررت بذلك وتعطرت أنفاسى بهذا الكلام العاطر وتأسفت وندمت حيث لاينفعنى الندم وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون وكنت إذ ذاك فى رفقة لبلادنا لا أقدر أن أتخلف عنها قيد شبر لكون البلاد بعيدة والرفقة قل أن توجد لها إلا نادرا .

ثم قال لى الفقيه على وجه المداعبة التى ضمنها عتاب كيف بك يافلان لما كنت متوجها إلى المغرب أعلمناك بكل من تلقاه وتأخذ عنه إفادة وترجع إلىّ وتقول قال لى فلان كيت وكيت ليس هذا فعل عاقل اهـ

وأيضا بعضهم عفا الله عنا وعنه منعنى من ملاقاة سيدى عبد الوهاب بن الأحمر وقد أدركته بقيد الحياة قال لى هذا البعض إنه يرخص فى الزيارة وقد ذكرته للفقيه أيضا وما قيل عنه فنفى عنه ذلك وقال لى أسرار الطريقة احتجبت بموت ابن الأحمر فقلت لاحول ولا قوة إلا بالله ورأيت أنى ارتكبت أمرا عظيما فأنا سيدى أتوب إلى الله تعالى وأستغفره والله ماقر لى قرار منذ وصلت إلى بلادى وأنتم نصب عينى فأنا أطلب من جلالتكم المسامحة وتدعون لى أن يعوضنى الله تعالى مافاتنى بحرمة بركات مولانا الشيخ وبركاتكم .

شفيعي إليك الله لاشيء غيره وليس إلى رد الشفيع سبيل
اهـ غيره

ما أحسن العفو من القادر لاسيما لغير ذي ناصر

فلابد سيدي من المسامحة فهي رأس المال عندي ومحصل السؤال مني :

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما أتيت به أهلا فأنت له أهل

انتهى . أقول وقد سمعت مرارا من كثير من الإخوان أن صاحب الترجمة لم يأخذ الطريقة مباشرة عن سيدنا رضي الله عنه وإنما أخذها عن بعض المقدمين الذين كانوا بقبيلة بني مطير والله أعلم بحقيقة الأمر وقد طالعت في تقييد الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه أجاب به بعض علماء تونس مايقوي هذا وقد تقدمت الإحالة عليه . ووقفت على كراريس بخط حفيد صاحب الترجمة الفقيه العدل سيدي محمد أمنه الله منقولة من خط صاحب الترجمة لا بأس بنقل مايؤيد ماقلناه من كونه لم يتلق التقديم عن الشيخ رضي الله تعالى عنه «١» ونصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن من الله على أفقر الورى إلى رحمة مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري أن حصل الإذن في تلقين ورد شيخنا العارف الأكبر والكبريت الأحمر القطب المكتوم والبرزخ المختوم الشريف الحسني مولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه من أخينا في الله الحبيب المحبوب البركة الذي كان يشهد له الشيخ رضي الله عنه حال حياته بالفتح تصريحا وعنده الإذن من الشيخ وكان يلقن الأوراد حال حياة الشيخ رضي الله عنه وهو سيدي الحاج علي بن الحاج عيسى من بلاد تماسين بصحراء الجريد ومن هناك كتب إلي بالإذن بخط يده وهذا هو المكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وبعد : فقد أذنت لحبيبه سيدي محمد البصري المكناسي في إعطاء الورد لسيدنا أبي العباس لكل من طلبه منه نفعه الله به وينفع كل من أخذ عنه وهو الورد المعلوم أستغفر الله مائة مرة

«١» قد دعاه سيدنا قيد حياته بلفظ المقدم انظر ص ٤٢٦ اهـ المصحح

وصلاة الفاتح لما أغلق الخ وإلا لمن لم يحفظ الفاتح اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله مائة مرة وذلك كالصبيـــان والنساء ومن يحفظ صلاة الفـاتح فهى أفضل ولا إله إلا الله مائة مرة صباحا ومساء ، وكذلك من دخل هـذه الطريقـة يلازم الوظيفة صباحا ومساء. وإلا مرة بين الليل والنهار تكفى إما صباحا أومساء. وهو أفضل وهى : أستغفر الله مائة مرة أو أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثين مرة ، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسون مرة لا إله إلا الله مائة مرة وجوهرة الكمال اثنتى عشرة مرة وكذلك الهيللة يوم الجمعة بعـد العصر يؤخر نحو ساعة ويبق يذكرها إلى الغروب بغير عدد ، وإذا كان ذا حاجة أيضا ولم يتيسر له العدد لاحرج عليه ولكن يفوته خيركثير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كاتبه على بن عيسى عن إذن سيدنا رضى الله عنه وسيد كل ماخلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اهـ قال صاحب الترجمة رضى الله عنه مانصه :

وأما الورد فأخذته عن الشيخ حال حياته رضى الله عنه وهو عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظـة بلا واسطة فصار الواسطة بينى وبين النبى صلى الله عليه وسلم فى الورد هو الشيخ رضى الله عنه ولا أعلى من هذا السند لله الحمد وله المنة اهـ

ونص إجازة سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر لصاحب الترجمة كما نقلته من خطه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أحمد الله وأشكره بلسان المرتبة الجامعـة للكمالات كلها وأصلى وأسلم على من خصه الله بالعــلوم والأسرار بأجمعها وعلى آله وصحبه والتابعين وأطلب من الله رضاه الأكبر وقربه الأنور أن يتحف به حضرة روح شيخنا الأكبر القطب الربانى والفرد الصمدانى البرزخ المختوم والقطب المكتوم عمـد المشايخ كلها من لدن عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور إمام العارفين ووصلة الكاملين أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى الشريف الحسنى رضى الله عنه ونفعنا برضاه آمين وأن يصب رحمته الهاطلة ونعمه الشاملة على خليفته الأشهر وحامل سره الأكبر مؤلف أسراره والمحتوى على جميع أنواره أبو الحسن سيدى الحاج على حرازم بن العربى براده الفـاسى أصلا دفين قبور الشهداء قرب مدينة سيد الأنبيـاء صلى الله عليه وسـلم ورضى الله عنه وعن جميع الأوليـاء وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغنى الحميــد خديم الحضرة

التجانية وحامل راية الطريقة المحمدية أخو الأحباب وخادم الباب الراجي فضل الوهاب عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الاحمر غفر الله ذنوبه وستر عيبه وللمسلمين أجمعين آمين قد أذنت وأجزت لحبيبنا وصفينا ومحل ودنا وسرنا الفقيه المحب في الله والمؤثر على نفسه رضى الاخوان في الله أبو عبد الله سيدي محمد بن بلقاسم بصري قوى الله مدده وجعل النفع على يده للمسلمين وحلاه بما حلى به أكابر العارفين آمين في تلقين الاوراد والأذكار المشهورة والمأثورة عن شيخنا المذكور وخليفته رضى الله عنهما بما اشتمل عليه كتابه المسمى بجواهر المعاني في فيض التجاني وكذا فيما سمع منه وأخذ عنه من كل ما يرجع إلى الطريقة التجانية من خاص وعام: تلقينا وإجازة عامة وكذلك ان ظهر من يصلح للتقديم من غير سكان البلد مكناسة الزيتون مدة حياته ما لم يظهر له فيه صلاح الإخوان والمسلمين لم استثن عليه في هذا الإذن شيئا قل أو كثر يفعل بنظره ماشاء ولا يكون إلا الخير إن شاء الله وأذنته أيضا في قراءة القرآن والأدعية بأجمعها لنفسه ولغيره وكذا عمل الرقى وإخراج العين وما يحتاج إليه الإخوان جميعا والسلام وكذا أذنت له بالفاتح لما أغلق بمرتبتها الظاهرة والباطنة وما اشتملت عليه المرتبتان من الأسرار والأنوار والتجليات والفيوضات والترقيات والتضعيف الذى لا يحصر ولا يعرفه إلا أربابه وما مثل واحدة من مرتبتها الباطنة مع الظاهرة إلا كالعرش مع أحد الأرضين ، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى ، ومن خطه أيضا مانصه : الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه وسلم هذا وإن مما من الله تعالى به على والحمد لله أن حصل الإذن في تلقين طريق الشيخ المذكور رضى الله عنه بعد وفاته وذلك أنه أذن لمحبه حقا الشريف الفقيه البركة المنيف الناسك الفاضل سيدي محمد الغالي بوطالب إذنا خاصا أن يقدم أربعة أشخاص من غير أن يعينهم له من الفقراء أصحابه دون من كان لم الإذن قبل ذلك وكل واحد من الأربعة يقدم على يده أربعة آخرين فقط وعلم هذا جميع أصحاب الشيخ رضى الله عنه بفاس وكان من الأربعة الذين قدمهم سيدي الغالي في تلقين الأوراد على العموم في الطريق كما هو مراد الشيخ وصريحه الناسك الفاضل الطالب المحب الصادق سيدي الحاج الغازي رجل من قبيلة بني مطير من البربر له

صحبة قديمة مع الشيخ حال حياته ومحبة تامة ودين متين وقيام فى الطريق فأذن لى وجعلنى أحد الاربعة وذلك الإذن لى كان أوائل عام أربعة وأربعين ومائتين وألف بضريح الشيخ بزاوية فاس والإذن لهؤلاء الأربعة قرب وفاته أو يومها رضى الله عنه انتهى

وبهذا تعلم أن صاحب الترجمة تلقى التقديم عن غير الشيخ رضى الله عنه . وأما الطريقة فقد تلقاها عنه بلا واسطة والله الموفق

سيدى المفضل بصرى

ومنهم البركة الأجل الفاضل الأكمل أبو عبد الله سيدى المفضل بصرى ابن عم المترجم له قبله ، كانت له محبة خصوصية فى الجناب الأحمدى عاضا على هذه الطريقة المحمدية بالنواجذ وقابضا على عروتها بكلتا اليدين إلى أن توفى رحمه الله

الفقيه السيد المختار بن الطالب التلمسانى

ومنهم العلامة الذى تفجرت من صدره ينابيع العلوم والنقادة الذى تنورت به غياهب الفنون للفهوم أبو محمد سيدى المختار بن محمد الطالب التلمسانى . هذا السيد رحمه الله من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين نالوا الحظوة عنده ولحظهم بعين الإجلال والمودة وكان يحب سيدنا رضى الله عنه محبة لا يساويه فيها إلا القليل من خاصة خاصته رضى الله عنه حتى نال من معارفه أوفر نصيب ، وقد نقل صاحب جواهر المعانى رضى الله عنه من خطه فوائد كثيرة تلقاها عن سيدنا رضى الله عنه فمن ذلك قوله : وسألته رضى الله عنه عن معنى البيتين المشهورين من كلام بعض العارفين وهما :

عينان عينان لم يكتبهما قلم فى كل عين من العينين نونان
نونان نونان لم يكتبهما قلم فى كل نون من النونين عينان

فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال اعلم أن العين الأولى عينه الواجبة الوجود لذاتها من ذاتها من كل وجه وبكل اعتبار ، والعين الثانية عينك الجائزة الوجود من وجه الواجبة الوجود من وجه فإنها من ذاتها لذاتها جائزة الوجود . ومن حيث تعلق المشيئة بوجودها وإحاطة العلم بها واجبة الوجود أى وجوبه بها عرضيا حيث تعلق العلم بها وقوله فى كل عين من العينين نونان النون الأولى أنانية الحق والثانية إنانية

العبد وذلك أنه لما نزل به السر القدسى اللاهوتى بما صحبه من الأنوار الإلهية التى تعجز العقل عن فهم أقل قليل منها فضلا عن الإحاطة بكنهها وسرى فى كلية العبد ذلك السر والنور أراه الله بسببها محو دائرة الغير والغيرية فلم يبق فى شهود العبد إلا أحد فى أحد بسلب التعدد بكل وجه وبكل اعتبار وفى هذا الأمر إذا نظر فى ذاته لم ير إلا أحدا لايقبل التعـــدد ولا الغيرية ، وإذا نظر فى الله لم ير إلا نفسه وإذا نظر فى كل شىء لم ير إلا ما نظر فى نفسه وهـذا هو المعبر عنه بالجمع الكلى والاتحاد الحق والمحو المحقق وذلك كله بسبب ظهور ذلك السر والنور فيه فغطى عليه ما كان يجده قبل من وجوده ودائرة حسه فإن نظر فى عين نفسه التى هى واجبة الوجود من وجه وجائزة الوجود من وجه نظر فيه أنانيته عين أنانية الحق وأنانية الحق عين أنانيته فهما أنانيتان قائمتان فيه إدراكا ذوقيا حسيا وشهودا يقينيا فهذه العين التى فيها نونان نون أنانيته ونون أنانيـة الحق وإذا نظر فى الله نظر عين الحق عين نفسه ووجد فى عين الحق نون أنانية الحق ونون أنانيتـه لاتحادهما فى مشهده القدسى وهذا سر من أسرار الغيب لاتدركه العقول ولا القوى البشرية وإنما ينال بالفيض الربانى والفتح الإلهى ليس للكسب إليه سبيل فهذا ما فى البيت الأول وهو أمر ينـال بالذوق والكشف لا بالمقال .

وأما البيت الثـانى وهو نونان نونان الخ . النون الأولى أنانيتـك لأنك إن قلت أنا فى هذا المحل وجدت عينك هى القائلة ووجدت عين الحق هى القائلة فهى نون فيها عينان وأما النون الثانيـة فهو أنانيـة الحق حيث ماسمعته يقول أنا مثل قوله تعـالى إنى أنا الله لا إله إلا أنا وجدت فى تلك الكلمة عين الحق هى القـائلة وعينك هى القائلة لاتحادهما فى نظر واحد وهذا كله فى نظر العبـد فقط وجل الله أن يكون هذا فى شهوده بل علمه سبحانه وإدراكه وراء هـذا لاتلتبس عليه الأحوال ولاتختلط عليه العبودية بالربوبية فأنانية الحق هنا تجد فيها عينك وعينه وأنانيتـه فيها عينه وعينك فى كل نون من النونين عينان وهـذا ماسمح به الوقت ووراءه ما لم يخطر قط على بال ولاتنكشف عنـه دائرة المقال اهـ من املائه رضى الله عنه على العالم العـلامة الدراكة الفهامة سيدى المختار بن الطالب التلمسانى وهو من أجل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وأكبرهم علما وأوسعهم حلما ومن خطه

قلت والسلام اهـ ، ومن ذلك ما نقلته من خطه أيضا فى جواهر المعانى بعد هذا ونصه : وسئل رضى الله عنه عن الجن هل يدخلون الجنة وينعمون فيها كالآدميين أولا نصيب لهم فيها وهل يرجعون ترابا كالحيوانات أم لا ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن القول الذى يجب المصير إليه وهو عين الحق والصواب أن الجان مستوون مع بنى آدم فى عموم التكليف بالقيام بأمر الله أمرا ونهيا وتحريما ووجوبا وفى عموم الرسالة إليهم ودعوتهم إلى الله تعالى لا فرق بينهم وبين بنى آدم فى هذا الأمر الذى ذكرناه بقواطع نصوص الكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب فما ذكر الله عنهم فى سورة الأحقاف وفى سورة الجن وهو صريح لا يقبل التأويل .

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « بعثت إلى الثقلين الجن والإنس » وهو حديث مجمع على صحته وتواتره كل من اعتقد خلافه كفر ، وانعقد إجماع الأمة على هذا فى عموم الرسالة لنا ولهم وعموم دعوتنا ودعوتهم إلى الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفى عموم تكليفنا وتكليفهم بالقيام بأمر الله تعالى ، وحيث كان الأمر هكذا فهم مساوون لنا فيما يشتمل عليه عموم الخطاب الإلهى والنبوى من تقرير الثواب والعقاب لمن أطاع الله أو عصاه منا ومنهم ودخول الجنة والتمتع بها لمن أطاع الله أو غفر له معاصيه وكان مؤمنا منا ومنهم . والعذاب بالنار ودخولها لمن عصى الله ولم يغفر له منا ومنهم يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) وقوله سبحانه وتعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) فهى صادقة فى كل من أرسل إليهم لمن آمن بالله وقام لرعاية حدوده وأحكامه أمرا ونهيا فلا فرق بينهم وبين الآدميين فى هذا لشمول الرسالة والدعوة إلى الله تعالى والتكليف بالقيام بأمر الله منا ومنهم قال سبحانه وتعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) . . إلى قوله مهين فهى مشتمله بجميع أحكامها على كل فرد من أفراد المرسول إليهم الذين أمر الرسول بدعوتهم إلى الله تعالى ، وقال سبحانه وتعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فهى مشتملة على كل من أرسل إليهم الرسول ودعاهم إلى الله تعالى وقال تعالى فى حق أولى الالباب من المؤمنين حيث أخبر عنهم

انهم (قالوا ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان) إلى قوله (من ذكر أو أنثى) فهي مشتملة على كل من اشتملت عليه الرسالة والدعوة إلى الله من الجن والانس وقال تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية فهي مشتملة أيضا وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) الآية وكل هذه الآيات وأمثالها مشتملة على كل فرد من المرسل إليهم ولا يلتفت لما سطر في الأوراق مما يناقض هذا فإن تلك تخيلات عقلية بينة البطلان بصريح نصوص الكتاب والسنة كما ذكرناه آنفا وفي غير هذا كفاية لمن تأمل والسلام انتهى من خط محبنا سيدي المختار بن الطالب من إملاء شيخنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه اهـ

وقد وقفت على رسالة بخط صاحب الترجمة بعثها إلى سيدنا رضي الله عنه يطلب منه الدعاء له ولبعض الفقراء القاطنين بتلمسان ويخبره ببعض الأمور ونص المقصود منها من خطه مباشرة بحمد الله جل جلاله يصل الكتاب إلى يد سيدنا وسندنا وعمدتنا واعتمادنا ووسيلتنا إلى ربنا ذاك شيخنا الأكبر وذخيرتنا الأكرم قطب الأقطاب وسيد الأنجاب وأفضل من نحا صوب الصواب مولانا الغوث الفرد الجامع أبو العباس سيدنا أحمد بن سيدنا محمد التجاني بلغه الله بفضله جميع الأماني وسقانا من بحور معارفه بأعظم الأواني آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه العميم وتحياته تغشى في كل حين مقامكم العالي مستمرا باستمرار الأيام والليالي وعلى كل من تعلق بجنابكم الرفيع مثله من كاتبه إليكم خديمكم ومحبكم المختار بن محمد الطالب وإخوانه في الله وفيكم كخديمكم السيد المختار السقال والسيد والي والسيد محمد الوجدي وبنيه والمقدمة أم المختار السقال والسيد محمد بن قازضا على وجميع خدامكم إخواننا هنا نسبا وصحبة وكلهم ياسيدي يسألك الدعاء الصالح وتعلق همتكم العالية لهم بالمصالح وأن لا تنسانا ياسيدي من بالك واجعلنا في سويداء سرك لله تعالى وامنحنا غرفة من فائض عرفانك ونظرة بعين الرضى والمحبة من عظيم إحسانك حتى تتطهر بذلك قلوبنا وتتروح أرواحنا وتتقدس أفكارنا وتتصفى أكدارنا وتتنور أبصار بصائرنا بنور الفتح المبين ونصير مهتدين هادين غير ضالين ولا مضلين لله لله لله ياسيدنا لا تهملنا ولا تنسانا فنحن محسوبون على الله وعليكم فاسع في إنقاذنا من المهالك

وأرشدنا إلى أحسن المسالك لنفوز فى الدارين فوزا عظيما بجاهكم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا غاية مطلوبنا عندكم والسلام اهـ

واعلم أن صاحب الترجمة من أكابر أصحاب سيدنا رضى الله عنه المعتمد عليهم فى هـذه الطريقة المحمدية بالحضرة التلمسانية ونواحيها وكان كثير السؤال لسيدنا رضى الله عنه مع المحافظة التامة على الأدب اللائق منه لجناب سيدنا رضى الله عنه وقد ذكر فى الجامع جواب سؤال مسئلة مهمة فى الكلام على الأئمة أجاب به سيدنا رضى الله عنه بعض فقراء تلمسان نذكره تتميما للفائدة ونصه :

سئل سيدنا رضى الله عنه من الحضرة التلمسانية عن أخذ الأجرة عن الصلاة وعن التقدم للإمامة وعن معنى الأحاديث الواردة فيها منها قوله صلى الله عليه وسلم « من أم قوما فان أتم فله التمام ولهم التمام وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الاثم » رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن حبان وغيرهم .

وفى رواية « من أم النـاس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم ومن نقص من ذلك شيئا فعليه ولا عليهم »

وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أم قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول عما ضمن فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفـه من غير أن ينقص من أجورهم شيء وما كان من نقص فهو عليه » رواه الطبرانى فى الأوسط اهـ

وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطئوا فلكم وعليهم » رواه البخارى وغيره . فأردنا من سيدنا رضى الله عنه أن يبين لنا معنى التمام الذى يكون للإمام والمأمومين ومعنى النقص الذى يكون على الإمام أن نقص لا على غيره ومعنى أنه ضامن مسئول عما ضمن ومعنى الإصابة ومعنى الخطأ لأن أقوال العلماء وتأويلاتهم كثيرة تتشعب علينا فأردنا من سيدنا أن يبين لنا وجه الحق فإنا لا نقنع إلا بجواب شيخنا ويبين لنـا ما هو الأصلح فى ديننا وآخرتنا فإنا لا تطمئن نفوسنا إلا بقولكم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الجواب والله الموفق للصواب : أما إتمـام الصلاة الواجبة على الإمام فهو

إخلاص الوجهة إلى الله عز وجل بإخلاصها لوجهه الكريم إما محبة له وإما تعظيما وإما إجلالا له وإما امتثالا لأمره دون مشاركة شيء في ذلك من متابعة الهوى ، وعلى هذا تطابقت الأخبار الإلهية وأخبار المرسلين ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه» وقوله عز وجل في قضية إبراهيم عليه السلام (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا) الآية وقوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) الآية فاعتبر هذه الأخبار واقصد الصلاة لله تعالى لتصلى له دون غرض من متابعة الهوى فإن كنت في الصلاة بالناس ملاحظا للعطاء مائلا إليه فلست بمصل لله وإنما أنت مصل لهواك وإن كنت في حالة الصلاة غير ملتفت للعطاء ولا معرجا عليه فأنت مصل إليه إن خلوت عن دواعى النفس من طلب المرتبة والرياء أو السمعة أولأجل ماعسى أن تنتصر بهم في أمورك وإلا فلست بمصل لله قال صلى الله عليه وسلم «ماتحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع» فهذا ما يتعلق بإخلاص الوجهة لله تعالى وأما تكميل الامامة فهو تكميل التوبة عن ما أولع به أئمة الوقت من أكل الحرام الصريح فضلا عن الشبهات واتخاذ مراتع الغيبة ديدنا والحقد والغل على المسلمين وعدم تعظيم أهل الدنيا لدنياهم لأجل الحديث الوارد من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه ومن تكميلها تعميم التوبة عن كل محرم شرعا ، ومن تكميل الصلاة في حق الإمام كمال الحضور مع الله في الصلاة على حسب الاستطاعة فإن خرجت الصلاة كلها بلاحضور فعلى الامام إثمه وإثم من صلى خلفه فهذا تكميل الصلاة في الأئمة فإن خرج به الأمر إلى أنه إن أعطى مطلب الإمامة مما رتب عليها من العطاء صلى وإن لم يعط ترك فهو وعابد الوثن سواء يشهد له حديث البيعة في قوله : بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا . الحديث فهذا مايتعلق بتكميل الصلاة والإمامة

وقد روى عن بعض الأكابر وكان من أكابر الرجال وكان يصلى في تلك المدينة بالجامع الأعظم إماما بالناس وكان يأخذ مارتب على الخطابة من المال فلما مات رآه بعض الصالحين في النوم في حالة عظيمة من الخير وسأله عن حاله فقال له بخير

إلا أنه ارتج عليّ في سؤال الملكين حين سألاني وتحيرت ولم أدر ما أقول ولم أجد جوابا وطالت على المحنة وبعد ذلك خرج رجل من جانب القبر عظيم الجمال حسن الهيئة فلقنني حجتي من هذه المحنة فقلت له من أنت. فقال أنا عملك الصالح فقلت ولم غبت عني حتى حصلت لي هذه المحنة فقال بأخذك أجرة الخطابة فقلت له ما أكلت منها درهما واحدا فقال لي لو أكلتها لم ترني أبداً ولكن تخلفت عنك للأخذ ففي هذا دليل على امتناع الأجرة على الصلاة اهـ

السيد المختار الدباغ التلمساني

ومنهم البركة الأجل العارف الأكمل المجذوب السالك والذاهب في هذه الطريقة على أقوم المسالك أبو محمد السيد المختار بن عبد الله التلمساني. كان رحمه الله محترفا بحرفة الدباغة، وهو من المشهورين بالفتح المبين والدين المتين، وكان رحمه الله معروفا بالكشف الصريح والفضل الصحيح وكانت تعتريه أحوال عجيبة على طريق الملامتية فيباسط الإخوان في بعض الأوقات بيسط في الظاهر مزاح وفي الباطن جد، ومما بلغني عنه على لسان الثقة أنه كان إذا وصل في قراءة الوظيفة للجوهرة السابعة يعتريه حال كبير ويسرع في قراءتها ولا يملك نفسه حتى يفرغ من قراءتها، وكان المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري يلومه على ذلك فلايجيبه واتفق له يوما حين وصل للسابعة قام من فرط التجلي الذي حصل له وخرج مسرعا فلما ختم الإخوان الوظيفة قال لهم المقدم المذكور على سبيل المباسطة إنه في هذه المرة لم يصبر حتى أخذ هيدورته وذهب ثم إنه رأى رؤيا وذلك أنه رأى نفسه بجنب الشيخ رضي الله عنه والشيخ رضي الله عنه يقول له مالك مع سيدي المختار اشتغل بنفسك واترك عنك الفضول ثم استيقظ فزعا ومن ذلك الوقت لم يتعرض له باعتراض واتفق لرجل مع صاحب الترجمة - فيما يراه الناس من كشفه - أنه في جمع من الإخوان كثر عليه في المباسطة حتى قال له مستهزئا به وهل رأيت لي شيئا في هذه المرة فقال له نعم رأيت أنك ستموت عند تمام أربعة أشهر من اليوم فكان من قدر الله ما قال ثم إنه ترك المجالسة مع الناس والمباسطة معهم إلى أن توفي رحمه الله بمكناسة الزيتون

السيد المختار بن الطالب الجزائري

ومنهم البركة الأجل والفاضل الأكمل السيد المختار بن الطالب الجزائري توفي

رحمه الله قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ، وقد وقفت على رسالة بخط السيد المختار التجانى بعثها إلى سيدنا رضى الله عنه يخبره بأن صاحب الترجمة لما مرض مرض موته لم يتكلم بكلمة قط من خمسة أيام ، وعند موته قال للحاضرين هاهو ذا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وشيخنا التجانى ولم يزد على ذلك شيئا ثم توفى رحمه الله

أخوه السيد بومدين

ومنهم أخوه البركة الجليل السيد بومدين . كان يحب سيدنا رضى الله عنه محبة خاصة ولازال مشمرا على ساق الجد فى هذه الطريقة إلى أن توفى رحمه الله .

السيد الطاهر بوقله

ومنهم ذو المرتبة السامية فى السيادة والرفعة المحوطة بكل مجادة محب سيدنا بلا ارتياب والسالك من سبل الحق طريق الصواب أبو محمد السيد الطاهر بوقله . كان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة تامة ، وقد توفى قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وقد وقفت فى بعض الرسائل التى بعثها صاحب سيدنا رضى الله عنه السيد أحمد بن العساكر إلى سيدى محمد بن المشرى رحمه الله يعزيه فى صاحب الترجمة ويذكر له سبب موته أنه مرض بالضيقة فقيل له اشرب القطران مع السمن وشحم المعز قال لحين شربه مات رحمه الله .

وقد وقفت أيضا على رسالة بخط صاحب الترجمة إلى سيدنا رضى الله عنه منها مانصه . نطلب من الله عز وجل ثم من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم منك الدعاء الصالح والموت على محبتك ا هـ وقد أعطاه الله ماتمناه

وقد وقفت فى مشاهد سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر سيدنا رضى الله عنه أن يكتب لصاحب الترجمة رسالة فى شأن سيدى الحاج على حرازم بأن يقف معه وقوف الكرام ويقول له فيها هو حبيبك ومن أحبك فهو حبيب الله ورسوله الخ ، وكفى بهذا منقبة لهذا السيد رحمه الله وتقدم نظير هذا فى ترجمة السيد محمود بن القبطان رحمه الله .

سيدى محمد بن عبد الله التلمسانى

ومنهم الشاعر المفلق والعلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله التلمسانى

هذا السيد رحمه الله كان من جملة الفضلاء السالكين فى هذه الطريقة الأحمدية المسلك الأقوم وكان كثير المدح لسيدنا رضى الله عنه كما أخبرت بذلك إلا أنى لم أقف على شىء من كلامه رحمه الله وقد وقفت على رسالة منقولة من خط سيدنا رضى الله عنه بعثها لصاحب الترجمة يجيبه عن بعض القصائد التى مدحه بها وقد أخبرت أن القصيدة المذكورة التى مدح بها سيدنا رضى الله عنه نونيه فى وصف تلمسان حين سافر منها سيدنا رضى الله عنه : وتولى القضاء بعض مبغضيه منها هذا البيت :

جنت تلمسان حزنا حين فارقها وقلدوا حكمها شيخ المجانين

ونص الرسالة بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم يصل الكتاب إلى يد سيدى محمد باعث القصيدة إلينا . السلام عليك ورحمة الله وبركاته تنزل عليك طول الليالى والأيام . من كاتبه إليك أحمد بن محمد التجانى الذى بعثت إليه القصيدة أما بعد أيها السيد ما أنا بأهل لذلك المدح الذى مدحتنى به ، فبالله الذى لا إله إلا هو مافينا شىء منه وإنى لغريق فى بحور المعاصى والجهالة إلا أن يتداركنى الله بفضله ورحمته وإلا فما أعظم مانحن فيه من الخسران المبين ، وأنت جزاك الله خيرا على حسن ظنك ونسأل الله عز وجل بجوده وكرمه أن يوفقنا وإياك إلى طريق الهدى والرشاد وأن يسلك بنا وبك طريق التحقيق والسداد وأن يميتنا ويميتك على الدين الذى ارتضاه لخاصته من أوليائه بجاه النبى صلى الله عليه وسلم آمين . ثم اعلم أيها السيد أنك فى طريق طلب العلم فلتكن نيتك فيه لتقوم بواجب حكم الله عليك وتعلم به أحكام ربك وإياك أن تطلبه لرئاسة أو لطلب دنيا فإن ذلك فيه هلاك الدنيا والآخرة ثم الذى أحضك عليه ألا تخلى نفسك من ذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم فإنهما ينوران القلب وواظب على قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو ، إلى الاسلام وقل اللهم مالك الملك ، إلى حساب دبر كل صلاة فإنهما تعلقتا بالعرش حيث أراد الله هبوطهما إلى الأرض وقالتا ياربنا تهبطنا إلى الأرض وإلى من يعصيك فقال الله عز وجل بى حلفت لايقرؤكن أحد دبر كل صلاة إلا أسكنته القدس ولأعيذنه من كل عدو ولأنظرن إليه بعينى المكنونة كل يوم ولأقضين له فى كل يوم وفى كل نظرة سبعين حاجة وإن من قرأ

دبر كل صلاة قبل أن يتكلم اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو فى علمك كائن أوقد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله وعند ذات كله وملء ذلك كله الله لا إله إلا هو الحى القيوم . إلى العظيم كتب له فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار سبعون ألف ألف حسنة من وقت قراءته إلى حين ينفخ فى الصور ، وإن من قال سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى تخرجون وسبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى العالمين . دبر كل صلاة كتب له بعدد ما على الأرض من حجر وشجر حسنات

وإن من قال بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس سبحان الله مائة والحمد لله مائة كان له من الأجر فى كل وقت من الوقتين أجر مائة بدنة متقبلة هديا عند البيت ومائة فرس فى سبيل الله وعتق مائة رقبة وله ملء ما بين السماء والأرض حسنات ، وإن من قال بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر اللهم صل على سيدنا محمد النبى عدد من صلى عليه وصل على سيدنا محمد النبى عدد من لم يصل عليه من خلقك وصل على سيدنا محمد النبى كما ينبغى لنا أن نصلى عليه وصل على سيدنا محمد النبى كما أمرتنا أن نصلى عليه مرة رفع له من الأجر فى كل يوم مثل أجر جميع من عبد الله من خلقه لاترفع لمخلوق حسنة إلا رفع له مثلها .

وإن من قال بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر هذه الصلاة عشر مرات استوجب رضاء الله الأكبر والأمان من سخطه فى الدنيا والآخرة وتوالت عليه الرحمة والحفظ الإلهى . وهى : اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره والرحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقى ومن سعد منهم ومن شقى صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لاغاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها ولا انقضاء صلاتك التى صليت عليه صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك وعلى آله وأصحابه كذلك والحمد لله على ذلك .

وإن من قال بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم عشر مرات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكانت أفضل من سبعين حجة وسبعين عمرة متقبلة ورفع عنه سبعون بلاء أيسرها الجذام

وإن من قال شهد الله أنه لا إله إلا هو ـ إلى الإسلام ـ عشر مرات بعد صلاة

الصبح وبعد صلاة العصر كتبه الله من أهل الفردوس .

وهذه الصلاة من صلى بها مرة واحدة فكأنما قرأ دلائل الخيرات سبعين ألف مرة وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سلاما يعدل سلامهم)

وهذه الخواص من أسرار الله المكنونة التي لا يعلمها إلا من خصه الله بمعرفتها فليستعملها الإنسان بنية صالحة صادقة سالمة من الشك وسوء الاعتقاد فمن حسنت نيته أدرك ماذكر فيها وبالله سبحانه التوفيق والسلام اهـ

سيدي الحاج الداودي

ومنهم العلامة الذي انتفع به أهل عصره وأوانه وحنثت من حلفت لتأتين بمثله يمين زمانه علامة الدين في الدنيا والبدر الذي استوى في أوج المعالي على عرش العليا أبو المواهب والمكارم وأم الفضائل في العوالم ذو الشرف الباذخ والقدر العلي والهمة العالية والفضل الجلي أبو العباس سيدي الحاج الداودي التلمساني الأصل الفاسي القرار الشهير الذكر عن التعريف به .

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهـــار إلى الدليل

ألا وإن جميع أكابر علماء طبقته قد اقتبسوا من مشكاته نور العلم وسلكوا بدلالته إلى الحق في الشريعة والحقيقة في طرق كم زلت فيها أقدام ذوي الفهم ، وقد أخذ عن سيدنا رضي الله عنه في عنفوان شبابه بلا واسطة إلا أنه كانت بينه وبين السادات الناصريين قدس سرهم مودة كبيرة ومحبة من الجانبين شهيرة شديدة الاتصال لا تسام بانفصال حتى ظن كل من رآه معهم أوسمع بمخالطته لم أنه أخذ منهم الوسيلة الناصرية وليس كذلك وقد ثبت عندي من طرق الثقات أنه كان قيد حياة سيدنا رضي الله عنه ملازما لصاحب سيدنا رضي الله عنه العلامة الجليل سيدي محمد بن المشري رحمه الله بحيث لا يخرج غالبا من الزاوية المباركة إلا في ضرورياته يتبرك بالنظر في وجه سيدنا رضي الله عنه ويتلذذ بمعسول خطابه وسحر بيانه ويحضر مجلسه للأخذ عنه وقد حدثني بما يشهد لهذا ولده وشيخنا العدل الذكي والحجة الزكي العلامة الفاضل والدراكة الكامل ذو الهمة العالية والشيم الغالية والبحر الخضم من كل علم عوض والدي والآخذ بيدي في جميع مقـــاصدي

الصبح وبعد صلاة العصر كتبه الله من أهل الفردوس .
وهذه الصلاة من صلى بها مرة واحدة فكأنما قرأ دلائل الخيرات سبعين ألف مرة وهي { اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سلاما يعدل سلامهم }
وهذه الخواص من أسرار الله المكنونة التي لا يعلمها إلا من خصه الله بمعرفتها فليستعملها الإنسان بنية صالحة صادقة سالمة من الشك وسوء الاعتقاد فمن حسنت نيته أدرك ماذكر فيها وبالله سبحانه التوفيق والسلام ا ه

سيدي الحاج الداودي

ومنهم العلامة الذي انتفع به أهل عصره وأوانه وحنثت من حلفت لتأتين بمثله يمين زمانه علامة الدين في الدنيا والبدر الذي استوى في أوج المعالي على عرش العليا أبو المواهب والمكارم وأم الفضائل في العوالم ذو الشرف الباذخ والقدر العلي والهمة العالية والفضل الجلي أبو العباس سيدي الحاج الداودي التلمساني الأصل الفاسي القرار الشهير الذكر عن التعريف به .

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهـــار إلى الدليل

ألا وإن جميع أكابر علماء طبقته قد اقتبسوا من مشكاته نور العلم وسلكوا بدلالته إلى الحق في الشريعة والحقيقة في طرق كم زلت فيها أقدام ذوي الفهم ، وقد أخذ عن سيدنا رضي الله عنه في عنفوان شبابه بلا واسطة إلا أنه كانت بينه وبين السادات الناصريين قدس سرهم مودة كبيرة ومحبة من الجانبين شهيرة شديدة الاتصال لاتسام بانفصال حتى ظن كل من رآه معهم أوسمع بمخالطته لهم أنه أخذ عنهم الوسيلة الناصرية وليس كذلك وقد ثبت عندي من طرق الثقات أنه كان قيد حياة سيدنا رضي الله عنه ملازما لصاحب سيدنا رضي الله عنه العلامة الجليل سيدي محمد بن المشرى رحمه الله بحيث لايخرج غالبا من الزاوية المباركة إلا في ضرورياته يتبرك بالنظر في وجه سيدنا رضي الله عنه ويتلذذ بمعسول خطابه وسحر بيانه ويحضر مجلسه للأخذ عنه وقد حدثني بما يشهد لهذا ولده وشيخنا العدل الذكي والحجة الزكي العلامة الفاضل والدراكة الكامل ذو الهمة العالية والشيم الغالية والبحر الخضم من كل علم عوض والدي والآخذ بيدي في جميع مقاصدي

أبو السعود سيدي محمد الحبيب حفظه الله ورعاه ، ومن جملة ماحدثني به أن والده صاحب الترجمة هو صاحب القضية المشهورة بين الإخوان المعدودة من كرامات سيدنا رضي الله عنه في إغاثته لمن استغاث به من المسافرين في البر والبحر ، وقد ذكرها صاحب البغية ولم يسم من وقعت له ونصها : وقد حدثني من أثق به من أهل العلم وشرف النسب أن بعض فقهاء تلمسان أعادها الله دار إسلام ممن استوطن حضرة فاس وكان من جملة المدرسين بالقرويين أنه حدثه فقال له إني كنت في حال شيبتي ارتحلت من بلدنا تلمسان إلى فاس بقصد قراءة العلم فكان من جملة من قرأت عليه من العلماء بها فلان وذكر له صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي محمد بن المشري رحمه الله تعالى قال وحين أزمعت السفر من فاس والرجوع إلى بلدي أتيت مشايخي بقصد توديعهم وطلب صالح الأدعية منهم والوصية بما ينفعني الله به على العادة في ذلك . ومن جملة من أتيته من المشايخ بذلك القصد السيد المذكور ءانفا فكان من وصيته لي أن قال لي إذا كنت في شدة وضيق فاستغث بهذا الرجل يعني الشيخ رضي الله عنه وأكد عليّ في ذلك قال فسافرت إلى بلدي ثم سافرت بعد ذلك من بلدي قاصدا حج بيت الله الحرام فركبت البحر فكان من قدر الله تعالى أن تكسرت بنا السفينة التي كنا بها قال فبقيت أنا ونحو من السبعة يحملنا بعض ألواح السفينة حتى ارتفعت لنا جزيرة بوسط البحر فتحاملنا إليها وجلسنا ننتظر الموت لايكلم أحد منا أحدا ، فبينما أنا أفكر إذ ألقى الله ببالي بمدينة فاس والفقهاء الذين كنت أقرأ عليهم فوقعت الوصية ببالي فاستغثت بالشيخ رضي الله عنه وأنا في تلك الحال فأخذني شبه سنة وإذا بالشيخ رضي الله عنه وقف أمامي وقال لي قل ياعليا بالألطاف نجنا مما نخاف قال فانتبهت وأنا أقولها فلم نلبث إلا قليلا وإذا بسفينة ظهرت لنا فظهرت أشخاصنا لرئيسها فقصد الجزيرة وحملنا وسار بنا حتى أنزلنا حيث الأمن من البر قال فأرخت ذلك اليوم ولما رجعت إلى فاس سألت عن الشيخ رضي الله عنه فقيل لي مات فسألت عن تاريخ وفاته رضي الله عنه فألفيت اليوم الذي وقع لنا فيه ماوقع وشاهدت فيه تلك الكرامة العظيمة هو اليوم السابع من يوم وفاته رضي الله عنه اهـ

توفي رحمه الله ليلة السبت رابع عشر محرم الحرام فاتح عام ١٢٧١ هـ ودفن.

بالزاوية الناصرية بالمباح المتصل بقبتها بركنه الذي عن يمين الداخل بالقبر الثاني من القبور المتصلة بحائط القبة وكانت جنازته حافلة ويوما مشهودا رحمه الله

السيد العباس الشرقاوي

ومنهم الولي الكامل العارف الواصل ذو القلب السليم والفضل العظيم المقدم الجليل أبو عبد الله السيد العباس الشرقاوي أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الملحوظين عنده بعين الإجلال. وقد قدمه قيد حياته لتلقين طريقته المحمدية لطلابها فقام في ذلك أحسن قيام وهو أحد التسعة الذين كانوا يذكرون التحاصين بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه كما سيأتي لنا بعض كلام في ذلك إن شاء الله تعالى. وكان رحمه الله قبل دخوله في الطريقة من العـــدول المبرزين للشهادة، ولما دخل للطريقة أمره سيدنا رضي الله عنه بترك خطة العدالة وقال له كن حمالا أو لحاما ولا تقرب هذه الخطة، فتركها فلم ييسر الله عليه في صنعة يستعين بها على المعيشة فجاء إلى سيدنا رضي الله عنه وقال له ياسيدي انظر لحالي وقصد بذلك رخصة الشيخ له في الرجوع إلى تلك الخطة فقال له الشيخ رضي الله عنه رح لدارك والزم محلك فإنه يأتيك رزقك فكان يأتيه في كل شهر مايكفيه من زرع وأدم وغيرهما من عند سيدنا رضي الله عنه، وكان يأمر الشيخ رضي الله عنه بعض أصحابه بزيارته بداره وكانت تعتريه أحوال وخوارق عادات.

وبلغني عن الولي الكبير مولاي محمـــد بن أبي النصر أنه كان يقول بعد موت صاحب الترجمة كان سيدي العباس الشرقاوي ساحقة من السواحق ومن الأولياء الكبار. وقد توفي بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه ضريرا، ومن كلامه ثلاثة يستدل بها على عقل الشخص وهمته: رسوله وكلامه وهديته اهـ

الحاج العياشي الفاسي

ومنهم البركة الفاضل والعارف الواصل من حصلت له النظرة التجانية والعطفة الامتنانية أبو عبد الله السيد الحاج محمد العياشي الفاسي أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه وهو في عنفوان شبابه وكان محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه لقيامه بالديانة أتم قيام ورفع همته عن سفساف الأمور حتى نال أرفع مقام، وقد أمره سيدنا رضي الله عنه بالسفر إلى المقدم الجليل سيدي المفضل السقاط ليخبره أنه

أجازه بالتقديم لتلقين طريقته فشد الرحلة إليه واجتمع به بقنا بمصر ولما وصل إليه وأعلمه بالإذن بذلك فرح به غاية الفرح وأحبه حبا شديدا وكان الفقيه العلامة سيدى محمد بن أحمد إكنسوس رحمه الله يعظم صاحب الترجمة التعظيم التام إلى أن توفى رحمه الله وهو من أولاد أعمام المقدم البركة المعظم السيد علال الفاسى ، وقد ترجمنا لهذا السيد رحمه الله استطرادا فيما تقدم إلا أنه فاتنا ذكر نبذة من القصيدة النونية المسماة بشارة الجانى ومزيلة ترح العانى فى مدح القطب الربانى سيدنا ومولانا أحمد التجانى لأديب الزمان وفريد العصر والأوان الشاعر المفلق الشهير الذكر فى المغرب والمشرق أبى عبد الله سيدى محمد بن الخليفة المدنى رحمه الله حيث تعرض فيها لمدح السيد علال الفاسى المتقدم ونص مدحه له فيها عند ذكر من أخذ عنه الطريقة المحمدية بعد مدحه للولى الصالح سيدى العربى بن السائح قوله :

وتمام إذنى بعده قد كان لى ... من نخبة الصلحاء فى ذا الآن
الفاضل الظريف مفرد عصره ... مولى المكارم منقذ اللهفان
علال الفاسى بن عبد الله من ... بمودة وصداقة صافانى
هو ملجأ الغرباء وهو ملاذهم ... هو بغية الفقراء والإخوان
هو عمدة الوعاظ وهو رئيسهم ... وهو الخطيب بحضرة السلطان
هو حجة عندى ولم أعبأ بمن ... قد صار ينكره بلا سلطان
ذاك ابن مجذوب سليل أكابر ... شهدت فضائلهم بكل مكان
أضحوا محط رحال اهل الارتحا ... ل ابابهم يأوى المسيء الجانى
قد أغمرونى فى بحار علومهم ... لى فى القيام بحقهم أجران
لا ونخبة نسلهم وفروعهم ... بالجزل من معروفه أسدانى
قد كنت فى أسف عظيم قبل ذا ... لولا الزمان بقربه هنانى
قلت الذى قد كنت أطلب نيله ... من فضله وبما رجوت حبانى
كم كان قابلنى بإجلال وكم ... بجميل صنع منه قد كافانى
أبقاه مولانا وأبقى نسله ... فى الستر والإعزاز والرضوان
وبجاهه لازلت أرجو عطفة ... من شيخنا يوفى بها سؤلانى
اذ هو ممن نال منه شفاعة ... فى عصره والآخذ عن إخوان

بأمم إذن فاز من أصحاب سيدنا الكبار خلاصة الأعيان
قد خصصوه بما به قد خصهم شيخ المشايخ ختمنا الكتانى

وهذه قصيدة من أعذب الشعر المعسول الممزوج بالسحر الحلال للعقول وهى طويلة تزيد عن ٧٢٠ بيتا يقول فى مطلعها متغزلا فى الطريقة

نضحت بغيث الحب عين جنانى حورا تبدت من رياض جنان
جنت ذوائبها فكانت جُنتى فيها تقوى فى الغرام جنانى
وجلت لنا من تحت غيهب جعدها فجرا فأجلى ظلمة الأحزان
وقنى غرورى حسن غرتها فلم أجنح إلى الأغيار طول زمانى
بهرت بطلعتها العقول كأنها شمس الضحى فى طالع الميزان

إلى أن قال فيها :

أنا لست من أهل الصبابة إنما فى حبها قد صار لى ضعفان
فلذا جنحت إلى حماها طالبا نيل الوصول لمربع الخلان
يالائمى فى قربها جهلا بها لوكنت تعلم كنت أول دانى
لكن جهلت جمالها وكمالها فحرمت جدواها فأنت العانى
عدلا منعت الحظ منها والرضى إذ كنت بالتعنيف أول جانى
وبنفثة المصدور فهت منقصا دعواك محض الزور والبهتان
وبذلت لى شبه النصيحة ظاهرا وخبأت ضمنا خدعة الشيطان
لك قصدك الواهى الدنى ولىّ قصدى فهو عين الحق بالإيقان
ياعاذلى دعنى فلست مساعدا لك بالذى ترجو من السلوان
أتروم أسلو ربة الحسن التى ما مثلها فى سائر الأكوان
أوبعد ماظهرت دلائل حسنها يبقى التفاتى للعذول الشانى
لو أن لى ملء البسيطة ألسنا لمدحت مظهرها بكل لسان
إذ هىّ خير طريقة قد أبرزت من ربنا للعالم الإنسانى
أسكنتها منى سويدا القلب وهى لىَ السواد اليوم فى إنسانى
هى للحشا الإكسير يغدو خالصا ذهبي بها هى مذهبي وأمانى
هى بغيتى هى منيتى مذ نلتها فلقد ظفرت إذن بنيل أمانى

هذا اعتقادى لم يزل فيها يزيد تمكنا كعقائد الإيمان

لم لا وفى ظلالها من فوقنا وعن الشمائل مد والإيمان

وإذا المعنف لم يخلنى صادقا أبدى إليه مخلظ الإيمان

تالله لم أبرح عليها عاكفا حتى ألاقى الله فى الرضوان

أفلا ألازم ذكرها السامى وسا رى سره يحلو لدى السريان

حاشا وكلا أترك الورد الذى هو نخبة العربى والسريانى

إلى أن قال فى مدح الشيخ رضى الله عنه

وضمانة المختار عمت صحبه والتابعين له بأى مكان

ضمن الوصول لآخذ أذكاره والموت فى العقبى على الإيمان

فبذا الفلاح مع النجاح تحققا للمقتفين له بكل زمان

هو عروة وثقى لآخذ ورده هو سلم أرقى لنيل تدانى

من لم يكن سهل عليه سلوكه ووصوله لحظائر العرفان

فليقتف النهج القويم المنتمى للختم يدرك قربه فى الآن

فيه السعادة والولاية والرضى وبه أزاحة غلة اللهفان

من بحره القصاد حقا ترتوى يسقيهم من أعذب الكيزان

ياصاح يمم بابه إن رمت أن تسقى حلالا من رحيق دنان

به غاية المقصود تجنى إن تكن وافيته بمحقق الإيقان

فله كرامات تفوق الشهب من تيسير ذى عسر وتفذ العانى

وخوارق العادات ليست عنده أمرا مهما بل بغير توان

يبدى العجائب لو أراد وإنما خير الأمور عبادة الرحمن

إذ ذاك شأن الكمل المستيقنين العارفين بسطوة الديان

فلذاك لم يظهر سوى مافيه نفـع المسلمين وطاعة المنان

فاعرف بذلك قدره ومقامه والزم هديت محبة الولهان

فلولك الجنات حبك موجب ويساق مبغضه إلى النيران

إلى أن قال :

فى جمعة رائيه والإثنين نا ل بلا محاسبة دخول جنان

وله السعادة حققت من غيرما | شك ولا هجـــر ولا نكران
قد كان ذاك لكافر والمؤمن ا | رانى ينـــاله أيمـــا إيان
أما المحب لشيخنا أو آخذ | الورد ليس لذاك يحاجان
فلذاك انقطع التفاتى للسوى | لا كان شخصى إن جنحت اثنان
ولذا ترانى اليوم لست بزائر | إذ جوده عن غيره أغنانى
عودت من نفسى اذى مهماقصد | ت الغير إلا التفت الساقان
إن كنت أحنو حين يجرى ذكره | أبدا لغيره لم أكن بالحانى
لا استمد سوى من المدد الذى | من بحر قطب العارفين أتانى
وجعلت فى حل جميع الأوليا | . فلا أ كلفهم بما أعيـــانى
لكننى عظمت حرمتهم لتع | ظيم الإلـه لهم مدى الدوران
ثبتت مذلة من أهان لبعضهم | غضب الإله عليه مع خزيان
قد جاء حب الأولياء ولاية | بالحرب يأذن مظهر العدوان
وسواء الأحياء والأموات فى | هـذا فنى الإجلال يشتركان
فلذا أعادى كل من آذاهم | وعلى محبتهم غـدا إدمانى
تعظيم كل الأولياء طبيعتى | وعن الزيارة معلن بتفـــان
حيث انتساب طريقتى المصطفى | بأخص وجه عنهم أثنانى
إن كنت ملتفتالهم أعرضت عن | شيخى الذى من فيضه أروانى
ويكون إعراضى عن الأستاذ إع
راضا عن المختـــار فى الإبطان
إذ هو رتب فى الحقيقة ورده | ليكون وصلتنا إلى الرحمن
فالإلتفات إلى السوى هو مغلق | بينى وبينـه سائر البيبـــان
ياصاح لاتركن لدون مقامه | كن حلف جود تارك الهذيان
هذا هو الغوث الذى قد أذعنت | لسنى علاه أكابر الديوان
هذا هو الختم الذى أمداحه | وافى لنا من غير ماديوان
فمها تحركت القريحه للثنا | . عليه ترجو الأجر كالأقران
فأردت نسج بديع مدح رائق | لكن بليد الفكر فيه عصانى

ماكنت أهلا لامتداح جنابه   لكن لذاك الحق قد اداني
رتبت نظما طال دون إجادة   أو رقة والبحر قد واتاني
عذري قصوري في القريض أبثه   خوف انتقاد بليغ او ملسان
أرجوه صفحا عن معائبه إذا   ما خططتها في بعضه ألفاني
لم أرض بالتقصير فيه وإنما البـــاع القصير بمثل ذا أرضاني
ماكان إجحافي بقصد إنما   في حسنه قد زادني تبياني
ومديحه أعددته جيشي إذا   ماكنت في أرض العدو حماني
إن كان أدلى دلوه غيري فلي   حبل الرجا لي عنده دلوان
إن لم يكن عقلي بمدحته ذكى   فعبير طيب حديثـــه ذكاني
متعت في أطرافه فكرى كما   متعت في آثاره إنســـاني

إلى أن قال في توبيخ نفسه وإيعاظها مخاطبا الشيخ رضي الله عنه وقد أجاد في ذلك غاية .

عطفا أيا ابن محمـــد ياقدوتي   سل لي الإله العفو إن أخزاني
كن للعبيـــد أيا ابن مختار فمن   دهش لقد أصبحت كالسكران
كن منقذي ومؤيدي ومعضدي   فالنفس والشيطان قد كاداني
حتى ارتكبت محرمات جمة   عنها المهيمن في الكتاب نهاني
أذنبت ذنبا لم يحط قولي به   ولذا اعترتني شدة الخفقـــان
أثقلت ظهري ثم أثقلت الثرى   لو كان نطق للثرى لشـــكاني
أكثرت من فعل القبيح لأجل ذا   أمسيت من خوفي أذل جبـــان
فارقت أهل الفضل حتى فارقت   طيب الكرى طول المدى أجفاني
فهلم بي يانفس نحو رحابهم   فالصد منهم والنوى أفنـــاني
عودي بنا نحو الطريق المستقـــيم فقد ضللت بأعمق الأفقـــان
فدعي الضلالة واقتفي سبل الهدى   إن الضلال لعـــابد الأوثان
كم من مهاو قد وقعت بها فهل   لم تشعري من أول أو ثان
مهما سمعت الوعظ قلت إبابة   دعني فلم أسمع لقول فـــلان
دعني أمتع بالشبيبة قبل أن   تقضي كعادة سائر الشبان

دعنى فذنبي لم يكن عن جرأة   بل إنما المولى بذاك بلانى
دعنى فلست بأول اللاهين بل   قبلى الهوى كم هد الأبدان
دعنى ستمحو صلاتي بعد ذا   كل الذنوب تزاح بالغفران
فالله أخبرنا بمغفرة الذنو   ب جميعها فى محكم القرآن
قد قال ربى رحمتى وسعت وقو   ل الله محفوظ من النقصان
ووروده لاشك فى إيفائها   جلت عن التعطيل والبطلان
مايفعل المولى بتعذيبى إذا   شكرى وإيمانى به صحبانى
إن رام تعذيبي صبرت لحكمه   فهو الذى من نطفة سوانى
أو رام يرحمنى فذلك شأنه   كم عمنى بلطائف الإحسان
ربى كريم لم يزل متفضلا   كم قد عصيت وحلمه غطانى
إذ هو قابل توبتى فمتى أرى   يوما من الأدناس قد صفانى
لله يانفس اتركى لتعلل   إن التعلل للحظوظ رمانى
لما اقتفيت هواك قبل تبصر   أهلكتنى لولا الإله رعانى
كم مرة آن افتضاحى لكن الـ   مولى بثوب الستر قد غشانى
إبليس غرك فاقتفيت سبيله   فغدوتما بكرامة تعدان
هو مثل فرعون اللعين وأنت تا   بت قبيح وصف كان فى هامان
لم اغترر بكما وما أبديته   ففوض لمشيئة الرحمن
هو الذى بالغيب يخشى ربه   لا للمبارز من ذوى الكفران
لايأمن المكر الإلهى غير من   آلت عواقبه إلى الخسران
كل لما قد كان مخلوقا إليه ميسر إذ ينقضى الملوان
فإلى متى يبقى انهماكك فى الهوى   يانفس هذا الوزر قد واراني
توبى فقد لازمت كل قبيحة   حتى لقد نفرت بذا خلانى
ما للملاهى خالق قد كان أو   جدنى ولا لهواك قد خلانى
كم رمت قربا من حظائر قدسه   وقبيح جرمك عنه قد أقصانى
هلا تولى للإله وتركى   خوفا سلوك محجة العصيان
إن الرحيل دنا ودب نذيره   فى عارضىّ والمنون حدانى

فتجنبي الشبهات طرا واجنحي لفضائل تنجيك من نيران
من قارب النيران لم يأمن لها شررا لحداد وذي أقران
من رام بعد ذوات سم عنه لا يمدد يديه لساحة الفيران
إذ رائع حول الحمى لاشك يو شك أن يواقعه ببعض يدان
فقفي لأمر للشريعة واتركي ماليس يرضاه الذي أنشاني
وتوجهي لله في طلب الرضا عقب الصلاة ومذ سماع أذان
وتوسلي بالهاشمي ونجله مولاي أحمد قابل الندمان

إلى آخرها وهي لطيفة كادت أن تذوب لطافة ، وما تركنا ذكرها كلها إلا لطولها والله الموفق .

سيدي أحمد التواتي

ومنهم البركة الجليل الفاضل المثيل الولي الصالح النور اللائح أبو العباس السيد أحمد بن محمد التواتي أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه . كان رحمه الله معروفا بإجابة الدعاء موسوما بالفتح بين الأحباء والأعداء . وقد وقفت بخطه على دعاء المغني الذي يقرأ بعد الحزب السيفي لئلا يتضرر قارئه كتبه لولد الخليفة سيدي أبي يعزى ، نذكره هنا رجاء دعوة صالحة ونصه : إلهي بك استغثت فأغثني وعليك توكلت فاكفني . ياكافي أكفني المهمات من أمر الدنيا والآخرة ، يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمها إني عبدك ببابك ذليلك ببابك أسيرك ببابك مسكينك ببابك ضيفك ببابك يارب العالمين الطالح ببابك ياغياث المستغيثين المقر ببابك مهمومك ببابك ياكاشف كرب المكروبين وأنا عاصيك ، ياطالب المستغفرين المقر ببابك ياغافر المذنبين المعترف ببابك يا أرحم الراحمين الخاطىء ببابك يارب العالمين الظالم ببابك البائس الخاشع ببابك ارحمني يامولاي إلهي أنت الغافر وأنا المسيء وهل يرحم المسيء إلا الغافر . مولاي مولاي إلهي أنت الرب وأنا العبد وهل يرحم العبد إلا الرب مولاي مولاي إلهي أنت القوي وأنا الضعيف وهل يرحم الضعيف إلا القوي مولاي مولاي . إلهي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز مولاي مولاي . إلهي أنت الكريم وأنا اللئيم وهل يرحم اللئيم إلا الكريم مولاي مولاي . إلهي أنت الرزاق وأنا المرزوق وهل يرحم

المرزوق إلا الرزاق مولاى مولاى . إلهى أنا الضعيف أنا الذليل أنا الحقير أنت العلى أنت العفو أنت الغفور أنت الحنان أنت المنان أنا الضعيف إلهى الأمان الأمان فى ظلمة القبر وضيقته . إلهى الأمان الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيئتهما . إلهى الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدته . إلهى الأمان الأمان فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . إلهى الأمان الأمان يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . إلهى الأمان الأمان يوم زلزلت الأرض زلزالها . إلهى الأمان الأمان يوم تشقق السماء بالغمام . إلهى الأمان الأمان يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب . إلهى الأمان الأمان يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . إلهى الأمان الأمان يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا . إلهى الأمان الأمان يوم ينادى المنادى من بطنان العرش أين العاصون أين المذنبون وأين الخاسرون هلموا إلى الحساب وأنت تعلم سرى وعلانيتى فاقبل عذرى . إلهى اه من كثرة الذنوب والعصيان اه من كثرة الظلم والجفا اه من النفس المطرودة اه من النفس المطبوعة بالهوى من الهوى أغثنى ياغياث المستغيثين أغثنى عند تغير حالى اللهم إنى عبدك المذنب المجرم المخطىء أجرنى من النار يامجير يامجير . اللهم إن ترحمنى فأنت أهل وإن تعذبنى فأنا أهل فارحمنى يا أهل التقوى وأهل المغفرة ويا أرحم الراحمين ، ويا خير الناصرين ويا خير الغافرين حسبى الله وحده برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتب بيده الفانية العبد الجانى خديم حضرة التجانى أحمد بن محمد التواتى فى يوم الاثنين أول المحرم فاتح سنة ١٢٥١ فى زاوية شيخه بضريح القطب المكتوم التجانى أدركه الله برضاه دنيا وأخرى بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للحبيب ابن الحبيب السيد أبى يعزى ابن الحبيب السيد على حرازم رضى الله عنه

سيدى محمد بن الفضيل التواتى

ومنهم مفتاح أقفال الأسرار ومصباح المعارف والأنوار بحر العلوم العرفانية ومعدن المواهب الإحسانية العارف بالله سيدى محمد بن الفضيل التواتى . هذا السيد الجليل من أكابر الأولياء الذين أخذوا عن سيدنا رضى الله عنه طريقته بعد أن

كان سافر إليه سيدنا رضى الله عنه وأخذ عن سيدنا رضى الله عنه بعض الأسرار الخصوصية ثم رجع هو لطريقته اغتناماً لهذه الطريقة المحمدية وقد ترجم له فى البغية عند قوله فى المنية :

وسافر الشيخ إلى توات لاجل عارف له موات

ما نصه : وتوات صقع صحراوى معروف ومواتى موافق والمراد هنا أنه مشاكل له لما بينهما من الجنسية التى هى طلاب الرتب العوالى والمقامات العزيزة الغوالى ، واسم هذا العارف على مابلغنى عن ثقات الأصحاب من أهل الصحراء سيدى محمد بن الفضيل بالتصغير وهو من أهل تكرارين من توات الغربية إلى أن قال بعد كلام فى إقامة الشيخ رضى الله عنه بأبى سمغون ما نصه ، وفى هذه المدة التى أقامها بأبى سمغون سافر إلى توات بقصد زيارة أهل الخير بها وملاقاتهم وخصوصا العارف بالله سيدى محمد بن الفضيل المتقدم الذكر المشار إليه فى النظم ؛ ومما سمعته من الثقات الفضلاء من أصحابه الصحراويين وحفظته بالتقييد أن سيدنا رضى الله عنه كان كتب إلى هذا السيد أولا كتابا يطلب منه فيه شيئا من الأسرار فلم يجبه عن ذلك الكتاب رغبة منه فى اللقى والمواجهة بالخطاب ، فعرف سيدنا رضى الله مراده فبادر من حينه إلى إجابته فيما قصده منه وأراده فعمل الرحلة إليه وسار حتى انتهى إلى محله وخيم عليه ، ولما قضى الواجب من زيارته ومواصلته أتحف منه بما كان السبب فى رحلته إليه ووفادته ، واستفاد هو أيضا حسبما فى الجواهر ، من سيدنا رضى الله عنه بعض أسرار الطريق وشيئا من علوم الأذواق والتحقيق .

السيد الطاهر بن عبد القادر القندوسى

ومنهم غائص بحور الأسرار والمقتطف من أفنان فنون اللطائف طرائف الأزهار ، البركة الأجل السيد الطاهر بن عبد القادر القندوسى القاطن فى ناحية توات . هذا السيد من أفاضل المفتوح عليهم فى زمانه أخذ الطريقة عن المقدم البركة السيد العربى بن إدريس التواتى ثم تلاقى بسيدنا رضى الله عنه وذلك بعد سنة عشرين ومائتين وألف ، ووقفت على رسالة طويلة بخط يده بعثها إلى سيدنا رضى الله عنه على يد البركة سيدى عمارة بن صالح قبل الاجتماع به يتشوق فيها للاجتماع بسيدنا رضى الله عنه ويسأله فيها الدعاء له بصلاح أحواله وأن ينقذه من

قيود أوحاله ، ومن هذه الرسالة قوله وأؤكد عليك ياسيدى أن تطرح همتك على قلبي من هناك لكى تحرق هوى جسمى بنور المعرفة والحضور وبسر المحو والتلاشى فى المذكور فى أدق أوقات الإجابة حيث تحتال «١» للوقوف بين يدى الخلق فى الحضرة القدسية ، يقول الشاعر :

لما علمت بأن قلبي فارغ ممـا سواك ملأته بهواك
وملأت قلبي منك حتى لم تدع منى مكانا خاليا لسواك
والقلب فيك هيامه وغرامه والنطق لاينفك عن ذكراك
والطرف حيث أحيله متلفتا فى كل شىء يجتلى معناك
والسمع لايصغى إلى متكلم إلا إذا ماحدثوا بحلاك

وأردت من الله ثم من سيدى تفهمنى إشارة الشاعر الذى قال فى إنشاده :

أحرف أربع بها هام قلبي وتلاشت بها هموم لفكرى
ألف ألف الخـلائق للصنـ ـع ولام على الملامة تجرى
ثم لام زيادة فى المعانى ثم هاء بهـا أهيم لأدرى

فهم لى إشارة الألف الذى ألف الخلائق للصنع ماهو وما معنى اللام التى على الملامة تجرى وما معنى اللام الزائدة فى المعانى والهاء التى يهيم فيها ماهى لأنى فهمت فى ذلك من الله فهما وماسمعته من أحد ولا رأيته فى كتاب وخفت أن أهلك بتلك النية حيث لم يكن عندى فيها شيخ إلى آخرها بتاريخ أواخر شعبان عام ١٢٢٥

المقدم العربى بن إدريس التواتى الشلانى

ومنهم المحب الصادق فى الطريقة المحمدية ورجالها المقدم فى حلبات المكارم لإحراز كمالها البركة الأجل السيد العربى ابن محب سيدنا رضى الله عنه البركة السيد إدريس التواتى الشلانى هذا السيد من جملة أفاضل المقدمين لإعطاء طريقة سيدنا رضى الله عنه فى حياته المغترفين من بحر أمداده وفيوضاته ، وقد وقفت على رسالة بعثها إلى سيدنا رضى الله عنه تدل على علو منصبه مع تواضعه التام ، ويشرح فيها لسيدنا رضى الله عنه جميع أحواله ويشتكى له من أمور تعرف من مقاله ومن خطه نقلته

«١» تحتال بمعنى تجتهد فهو يحاول نفسه الإقبال الكلى على ربه اه المصحح

مباشرة ما نصه : معدن الأنوار وزمزم الأسرار ومنهل الواردين وهادي المريدين عين شمس العارفين المتأنس بالشهادة في كل نفس وحالة ، زاده الله ترقيا وقوة ، الشيخ سيدي أحمد سلالة سيدي محمد التجاني نفعنا الله به آمين مطلق سلام الله على سيدنا ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه من غير عدد ولاحساب وعلى جميع من ينتسب لسيدنا ومن بدائرته ومحبته ، وأخص منهم سيدي محمد بن المشري وبعد : سيدنا فإنا على محبتك ومحبة من يحبك ومن هو في سلسلتك والحمد لله على ذلك ومن ذلك نرجو الخير إن شاء الله ، واعلم سيدنا أعلمك الله بخير وأني أخذت وردك في حياة الحاج أحمد الزاوي رحمه الله وكنت من حياة والدنا محبكم إدريس التواتي الشلاني محبك ومحب من أخذ عنك وجبلت على ذلك ولانرى أحدا من ناحيتكم إلا سألته لعلي أجده منكم وأكرمه من أجلك وبقيت نسأل العرب وكل من ورد من الظهرا وتعرفت بالحاج أحمد في الزمان الذي كان يعتق فيه العبيد بإذن سيدنا ، وعلم بمحبتي في سيدنا وأتاني بكتاب كريم من عند سيدنا يتضمن لي الإذن في ورده العزيز وفي إعطائه لمن طلبه من المسلمين ، وكاتبه سيدي محمد بن المشري وسررت به غاية السرور وقبلته ومسحته على وجهي وفتحته ووجدت فيه ما شد عضدي وجعلته أعز شيء عندي فها هو عندي محترم عزيز ولله الحمد ، وقدمت بعد ذلك لمدينة فاس وصليت خلفك صلاة العصر في الجمعة ومع هذا كله كنت مقطوعا بهواي من ربي مطموس البصيرة وأنا جاهل ما أنا فيه غير أني كنت عالما بالله عز وجل غير عامل واجترأت على ربي غاية الجرأة إلى يوم وأنا نائم إذ رأيت أناساً مجتمعين صالحين وكثير من أعمال الخلق معرم شيء صغير وشيء كثير . وتلك الجماعة على عرمة رطب كبيرة جيدة وأردت القعود معهم فقبضني واحدا منهم بيدي بحسن الخلق ، وقال لي أنت لست منا لأنك لست من المتقين وذهب بي إلى عرمة صغيرة ورأيت فيها جميع عملي واستحقرتها وقال لي عملك كله ، أو اتركه وذهب عني وتركني ، وقبضني خيال أسود كإنسان وصرعني ودخل في جسمي وهذا منذ عامين ، وأنا كل يوم يريني سوء فعلي من جميع ما عملت وبقيت سيدي مقطوعا في بحر الندامة ، إلى أن قال: ونريد من سيدنا أن يزاودنا بصالح الدعاء أن يصرف الله عني ما دهاني وأن يجبر حالي فإني مكسور ومسلوب وأنا منتسب عليكم ومحبكم وابن محبكم وخديمكم اهـ

ومنهم الولى الصالح ذو السمى الراجح البركة الأجل المقدم الأفضل سيدى محمد ابن عثمان الجريد . هذا السيد من أصحاب سيدنا رضى الله عنه المشتهرين عندهم ، وقد وقفت على رسالة بخطه مباشرة بعثها إلى الفقيه سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه وذكر له فيها بعض مرائيه للنبى صلى الله عليه وسلم منها رؤيا رأى فيها النبى ﷺ وسيدنا جعفر وسيدنا عثمان رضى الله عنهما وذلك أنه رأى نفسه ذاهبا فى بعض البلاد فلقيه رجل فقال اعطنى محبوبا ونخبرك عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . فقال له خذه ، قال فجذبنى وقال لى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجدته صلى الله عليه وسلم على هيئة حسنة على زربية جيدة متوجها للقبلة قال فقال لى أنا محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبلت رأسه وركبتيه وأدخلت رأسى تحت ردائه فغشيتنى رائحة أذكى من المسك فقلت له اشفع لى ياسيدى يارسول الله . فقال لى أنا شفيع لك وللمؤمنين قال فقلت له بعد ذلك ياسيدى يارسول الله ماذا تقول فى سيدى أحمد بن سالم قال فرفع يده الشريفتين نحو ذراعين على الأرض وقال لى هكذا أعلى من الناس . فعند ذلك قال للنبى صلى الله عليه وسلم سيدى ابن سالم هل هو قريب الرحول «١» فأجابه بقوله اثنى عشر أو ثلاثة عشر وسكت ثم استيقظ ومنها رآه صلى الله عليه وسلم فى محفل فقيل له هذا المصطفى هنا قال فدخلته ثم قال هذا هو نعرفه فقال له الحاضرون بالله عليك كيف تعرفه المصطفى قال نعرفه بالخاتم الذى بين كتفيه أو بوارد الحديث فرفع صلى الله عليه وسلم يده اليسرى فنسخت ثوبه عن كتفيه فوجدت شيئا من الشعر مجتمعا طويلا فقبلته ومسحت به على وجهى فقلت لهم هذا هو ثم استيقظت . ومنها أنه رآه على حاشية نهر ماء مثل النيل مع رجلين فقال واحد من الرجال هذا المصطفى فهرولت نحوه فلقيته متربعا فقبلت باطن رجله فقلت له ياسيدى يارسول الله بغيت الأمان فقال لى عليك الأمان فقلت له بغيته الأمان من الشيخ فأجابنى بالنشاط من شيخك ؟ فقلت له سيدى أحمد التجانى فقال لى عليك الأمان منه . ثم بعد ذلك قال لى قل له قال لك محمد نهار الخميس نتلاقى بك ثم استيقظت انتهى منها مباشرة

«١» أى الرحيل .

ومنهم المقدم الأجل والولى الأكمل البركة الصالح والقدوة الناصح ذو المراتب السنية والمواهب العرفانية أبو محمد سيدى عبد الله بن حمزة العياشى المعروف بسيدى عياش. هذا السيد من أفاضل المقدمين فى طريقة سيدنا رضى الله عنه الذين أطلق لهم فى التقديم وحصل الانتفاع على يدهم لكثير من خلق الله وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عالية فى المحبة، وقد ذكره الولى الصالح سيدى العربى بن السايح رحمه الله فى تقييد لطيف أجاب به بعض علماء تونس كما تقدم لنا ذكر نبذة منه فى ترجمة عم محمد بن الغازى رحمه الله ونص المقصود منه هنا فى تنبيه ختم به التقييد المذكور بعد أن تكلم على التقديم المطلق وهو قوله: وهنا تنبيه تتم به الفائدة عند كل لبيب نبيه وهو أن يعلم أن هذه الإجازة المطلقة العامة الخالية عن كل قيد وحصر بحيث يجعل المجيز لمن أجازه أن يجيز فى جميع أوراد الطريق اللازمة وغير اللازمة وأن يقدم لذلك من شاء ويجعل له ذلك أيضا وهلم جرا إلى آخر الدهر لم تقع من سيدنا رضى الله عنه إلا لأفراد من خاصة أصحابه ثم ذكر جملة منهم ثم قال: ومنهم الشيخ الولى الصالح العالم الناصح أبو سالم سيدى عبد الله بن حمزة العياشى المعروف بسيدى عياش أحد حفدة الشيخ أبى سالم العياشى صاحب الرحلة رحمه الله تعالى وقد طالعت إجازة الشيخ له ومن جملة ما رأيته فيها من الشروط أن لا يصافح الملقن بيده يد امرأة ليست بذات محرم منه.

واعلم أن هذا الشرط مما ينبغى أن يكون نصب عين الموفق، ويقوم على ساق الجد فى أدائه اتباعا لطريق الحق ويجتنب الازدحام فى الموضع الذى تقف به النساء فإن كثيرا من الناس وفقنا الله وإياهم لعمل صالح قد أهملوه، حتى أداهم الحال إلى اختلاط الرجال بالنساء فى الزوايا وخرجوا بذلك عن حد الشريعة إلى ما لا يرضاه الله ورسوله ولا ناهى ولا منتهى فإنا لله وإنا إليه راجعون مع كونه من أعظم مفاسد الدين، وقد ذكر فى البغية طرفا من المفاسد التى يجب التحرز منها حتى قال ومن ذلك أيضا حضور النساء بالقرب من حلق الذكر بحيث يسمعن نغمة الحادى وينظرن إلى الرجال الذاكرين لما فى ذلك من المفسدة المحققة عند كل لبيب نبيل، ولا سيما فى هذا الزمان الرذيل الذى تراكمت فيه الفتن، وعظمت فيه المحن فلا يقرب

على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله تعالى ، وفى الحديث باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء أوكما قال عليه الصلاة والسلام .

وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من إنسى قط إلا أتاه من قبل النساء . وقال سفيان قال إبليس لعنه الله سهمى الذى إن رميت به لم أخطىء النساء والعجب عن يقرهن على الحضور بالزاوية وجلوسهن بحيث يتوسمن وجوه الداخلين والخارجين منها ، وبحيث يسمعن صوت الحادى وهو يعلم ما فى ذلك من المفسدة المحققة مع مايعلمه من سيرة سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولو لم يكن إلا ماثبت عنه رضى الله عنه من أنه أمر القيم على مشاربه فى الليلة التى توفى رضى الله عنه صبيحتها أن يدعو ثمانية نفر من خاصة أصحابه الأتقياء الأبرار ليبيتوا معه ثم بعد أن خرج فى طلبهم ، دعا بالقيم فقال له إنى فكرت فيما كنت أمرتك به من إعلام أصحابنا المبيت معنا فعلمت أنى لا أستغنى عن الخدم والرجال والنساء لايمكن اجتماعهم بمكان واحد ويغلب من الظن أنه رضى الله عنه قال له وقد قال صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال الحديث السابق لكان كافيا فى هذا مع ماروى عنه من أن يده لم تصافح يد امرأة قط عند التلقين للورد ، وكان يأمر ذوى محارمهن يلقنوهن وربما لقن بعضهن بالكلام فقط ، ومن المتواتر أنه كان لايتركهن أن يواجهنه عند زيارتهن له وطلبهن الدعاء منه ، وإنما كان يأمرهن أن يقمن خلفه من بعد فيعلمه القائم بين يديه من أصحابه الأخيار الأتقياء الأبرار بهن وبمطالبهن فيدعو لهن كل ذلك كان يفعله رضى الله عنه متابعة للسنة وسدا للذريعة فى هذه المفسدة التى هى لامحالة أشد بلية وأعظم فتنة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وماذكرت هذا إلا أداء للنصيحة الواجبة فى الدين وخصوصا إخواننا وأصحابنا وأهل طريقتنا الذين لهم الحق الأكيد علينا ولا أظن أن أحدا ممن يقف عليه يكابر فيه أو تشرئب نفسه إلى البحث فيما تضمنه واشتمل عليه لأنه الصراط المستقيم المأمور باتباعه دون السبل التى تفرق بمتابعتها على سبيل الحق والهوى القويم .

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ولكنما الأهواء عمت فأعمت

انتهى

المقدم سيدى محمد الهاشمي الدرغيني

ومنهم القدوة الفاضل الولى الكامل البركة الناسك السالك فى طريق الحق على أقوم المسالك المقدم الجليل أبوعبد الله سيدى محمد الهاشمى بن محمد الدرغيني كان رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين أخذوا عنه طريقه وشربوا من مدده كأس الحقيقة وقد أجازه بالتقديم المطلق العارف بالله سيدى محمد بن عبد الواجد بنانى المصرى وهو مدفون بزاوية عين ماضى ضجيعا للواسطة المعظم سيدى محمد بن العربى التازى الدمراوى رضى الله عنه .

سيدى الحاج محمد بن موسى التركى

ومنهم المحب فى جناب سيدنا رضى الله عنه والقائم على ساق الجد فى خدمته المتكفل بتبليغ مايريده فى سفره وغيبته الولى الكبير والعارف الشهير سيدى الحاج محمد بن موسى التركى . هذا السيد رحمه الله كان مستغرقا فى محبة سيدنا رضى الله عنه وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضى الله عنه يطلب فيها من النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمن له من بعض الحكام الجائرين وغيرهم سلامة المترجم له مع ما بعثه معه حتى يصل لمكانه بسلامة . وهاك نصها منقولة من خطه رضى الله عنه مباشرة وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن «١» لنا السلامة والأمان لجميع الأبعرة التى أردنا بعثها إلى بنى اصميل وجميع التمر والسمن الذى تذهب به وجميع الزرع الذى تأتى به ومحمد بن موسى التركى وجميع بغاله وكل مايحمل إلى داره من تمر وسمن ونفسه وأمواله وأهله وأولاده وكافة قبيلة بنى اصميل من جميع شرور محمد باى أم عسكر وجميع مخازنيته وملاقاتهم بكل ماذكرنا . ومن جميع شرور سليمان قائد تلمسان وجميع مخازنيته وملاقاتهم بكل ماذكرنا ومن معاقبة الجميع للحاج محمد بن موسى التركى وبنى اصميل بعد هذا لأجل القافلة ومن جميع الظالمين والسراق والغاصبين ومن جميع المصائب والتلف والانفصالات من الآن إلى أن تصلنا القافلة وإلى سنة فى الحاج محمد وبنى اصميل فإننا محتاجون إلى الزرع اه

«١» أى يتوجه إلى الله فى ضمانها فإن دعاءه مرجو القبول اه المصحح

فانظر رحمك الله كيف كان سيدنا رضى الله عنه يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجه من جميع مطالبه الخصوصية والعمومية بحيث لا يفعل شيئا إلا من إذنه وذلك كله لكماله وعلو مرتبته عند سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وكان فى مبادىء أمر سيدنا رضى الله عنه مع أصحابه إذا طلب منه أحد تحصينه يفعل ذلك له حتى صدر له الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يحصن إلا من تحققت محبته كما هو مذكور فى مشاهد الخليفة المعظم سيدى الحاج على حرازم براده رضى الله عنه ونصه : يخاطب سيدنا رضى الله عنه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، اعلم سيدى رضى الله عنك أن الجواب عما سألت عنه من التحصين للإخوان فقد قيل إنك تحصن القرية بما فيها والجماعة أيضا بما فيها والقبيلة كذلك وتعلم أن كل فريق فيهم المحب والمبغض ، فإذا حصنت الجميع كان وبال المبغض راجعا على الذى يحصنه لأنه لم يصادف محلا للقبول والآن لا تحصن إلا من تحقق صدقه التمام وقربه منك ومودته إليك ، ولا تحصن الحلة بما فيها أو القرية بما فيها إلى غير ذلك ، ولا تحصن إلا من له فيك صداقة تامة ومحبة كاملة وبر تام والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته اهـ

فبعد هذا صار سيدنا رضى الله عنه لا يحصن إلا من تحققت محبته . وأما المبغض فى الجناب الأحدى فكان سيدنا رضى الله عنه ينفر منه غاية النفور لسريان إذايته للنبي صلى الله عليه وسلم من أجل بغضه ، وكان يحذر منه أصحابه ويقول الجلوس مع المبغضين سم يسرى فى صاحبه .

واعلم أن سيدنا رضى الله عنه لما تصدر للدلالة على الحق وإعطاء الطريقة المحمدية لمن طلبها من الخلق قامت قيامة الحسدة وتظاهروا بالبغض فى جنابه الرفيع عن كل شنيع فكان رضى الله عنه يدافع بالتى هى أحسن لتحققه بأن ذلك كله من أجل الخلافة المحمدية التى تجلى على منصتها . ولما اشتد أمر المبغضين وتعاظم هوى المنكرين ورأى أن ذلك يؤديهم إلى الهلاك الدنيوى والأخروى لإذايتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بسبب إذايته بذلك أخذته عليهم الشفقة المجبول عليها فصار يعمل جهده واجتهاده فى خلاصهم من بغض النبي صلى الله عليه وسلم من أجله .

وقد وقفت على رسالة بخطه مباشرة ، بعثها على يد الواسطة المكرم سيدى محمد

ابن العربي الدمراوي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وتحتها جواب النبي صلى الله عليه وسلم بخط الواسطة المذكور مباشرة ونص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . سيدي أسألك الأمان الدائم الكامل من الآن إلى الأبد من غضبك على كل من أغضبني أو غضبت أنا عليه ، وعلى كل من غيرني أو تغيرت أنا عليه ، فإنه قد عظم عليّ البلاء في غضبك ياسيدي على الناس .

ونص الجواب الذي خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم الواسطة المكرم رضي الله عنه مجيبا لسيدنا رضي الله عنه هو لا أغضب إلا على من سبك وأراد هلاكك ومن سبك أنت والتجاني أو عاداكم فأنا غاضب عليه يوم القيامة ، ومن أحبكم فهو من الآمنين وهو أول من نشفع فيه يوم القيامة ولايحاسب وأنا صافح عن أفعال من نظر في التجاني يوم الاثنين والجمعة اهـ

سيدي الحاج محمد بن المسقم

ومنهم البركة الجليل ذو الخلق الجميل والأفعال الحميدة والمناقب العديدة أبوعبد الله سيدي الحاج محمد بن المسقم من أولاد العارف الكبير المعروف بسيدي الشيخ ، هذا السيد كان من خاصة أحباب سيدنا رضي الله عنه الذين ظفروا منه بالنظرة الإحسانية والعطفة الامتنانية ، وكان كثيرا مايبعثه سيدنا رضي الله عنه إلى الواسطة المكرم سيدي محمد بن العربي الدمراوي رضي الله عنه لصدقه وأمانته ويأتيه برسائله المتضمنة الأسرار الخصوصية التي لايقدر على حملها إلا الأتقياء الأبرار بين البرية .

وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضي الله عنه مباشرة يطلب من الله تعالى فيها حفظ صاحب الترجمة مع جملة من أصحابه نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد يارب هذه صدقة لوجهك الكريم فداء لسيدي محمد بن العربي وسيدي محمد بن الجلالي وسيدي الحاج ابن المسقم وسيدي إبراهيم بن الشيخ وخيوتهم الأربعة أو الخمسة من ضرب كل طاعون ومن ريح كل طاعون ووباء وكل موت ومرض ومن إقبال الطاعون منهم إلى

الصحراء ، أو بسببهم وهذا فداء لجميعهم من كل ماذكر من الآن إلى رأس ثلاثين عاما انتهى .

سيدى بوحفص بن عبد الرحمن رحمه الله

ومنهم الولى الصالح المرشد الناصح ذو الديانة الوثق ، والنفس السالمة من الدعوى أبو الحسن سيدى بوحفص بن عبد الرحمن من أولاد سيدى الشيخ ، كان رحمه الله من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وهو أحد التسعة الذين كان سيدنا رضى الله عنه يأمرهم بقراءة التحصاصين عند الأمور الملمة ، وقد وقفت فى المشاهد على ماكانوا يذكرونه مع الإشارة إلى ما كان يذكره سيدنا رضى الله عنه معهم فنذكرهم مع ذكرهم هنا تتميا للفائدة فأقول : أولهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى ، كان يذكر الحزب السيفى سبع مرات بين الليل والنهار ، الثانى الفقيه الجليل السيد العباس الشرقاوى . كان يذكر بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم خسمائة مرة صباحا ومثلها فى المساء ، الثالث الشريف الأجل سيدى عمر الدباغ كان يذكر فى كل صباح ومساء عشرة آلاف من قوله حسبنا الله ونعم الوكيل ، الرابع حبيب سيدنا رضى الله عنه الفقيه السيد أبو مسعود كان يذكر لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم خمسمائة مرة صباحا ومثلها فى المساء ومن آية الكرسى مائة صباحا ومثلها فى المساء ، الخامس صاحب الترجمة كان يذكر بسم الله الرحمن الرحيم ياحفيظ يامنيع يالطيف حسبنا الله ونعم الوكيل خمسمائة فى الصباح ومثلها فى المساء ، السادس البركة الجليل السيد أبو سماحة كان يذكر ألفا من قوله يالطيف فى الصباح وألفا فى المساء ، والسابع الشريف الأمجد سيدى عبد الواحد بوغالب كان يذكر كل يوم مائة من جوهرة الكمال ، الثامن البركة الجليل سيدى الحاج على اململاص كان يذكر خمسين من آية الكرسى صباحا ومثلها فى المساء ويذكر بعد الخمسين بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم حسبى الله من كل شىء الله يغلب كل شىء ولايغلب لأمر الله شىء ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل يذكرها سبعا ، التاسع بركة السيد الحاج عبد الرحمن براده كان يذكر فى الصباح ٢١ مرة من قوله احتجبت بنور وجه الله القديم الكامل وتحصنت بحصن الله القوى الشامل ورميت

من بغى عليّ بسهم الله وسيفه القاتل اللهم ياغالبا على أمره ويا قائما فوق خلقه وياحائلا بين المرء وقلبه حل بيني وبين الشيطان ونزغه وبين ما لاطاقة لي به من أحد من خلقك ، كف ألسنتهم واغلل أيديهم وأرجلهم واجعل بيني وبينهم سدا من نور عظمتك وحجابا من قدرتك وجندا من سلطانك إنك حي قادر . اللهم أعش عني أبصار الناظرين حتى أرد الموارد واغش عني أبصار النور والظلمات حتى لا أبالي بأبصارهم يكاد سنى برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ، وبعدها سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ومثل ذلك في المساء ؛ وأما سيدنا رضي الله عنه فإنه كان يذكر معهم في التحصين دائما حزب البحر للإمام الشاذلي رضي الله عنه وهو مشهور ، فلا نطيل بذكره ، ويذكره بعده قصيدة العارف بالله الشيخ البكري رضي الله عنه المشهورة ونصها :

ما أرسل الرحمن أو يرسل — من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه — من كل مايختص أو يشمل
إلا وطــه المصطفى عبده — نبيــه مختــاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها — يعلم هذا كل من يعقل
فعــذ به من كل ماتشتكي — فهو شفيع دائما يقبــل
ولذ به في كل ماترتجي — فإنه المأمن والمعقــل
وحط أحمال الرجا عنده — فإنه المرجــع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت — أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه — وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة — فرجت كربا بعضه يذهل
فبالذي خصك بين الورى — برتبة عنها العــلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي — فإن توقفت فمن أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى — ولست أدرى ما الذي أفعل
ولن ترى أعجز مني فما — لشدة أقوى ولا أحمل
فأنت باب الله أي امرىء — أتاه من غيرك لايدخل
عليك صلاة الله ماصافحت — زهرَ الروابي نسمة شمأل

مسلما مافاح عطر الحمى   وطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ماغردت   ساجمة أملودها مخضل

وقد وقفت على أبيات لصاحب سيدنا رضي الله عنه العلامة الجليل سيدى إبراهيم الرياحى رحمه الله جعلها افتتاحا لهذه القصيدة منها على الدخول عليها وهى موافقة لعدد أبياتها وهاك نصها :

حمدا لربى قبل ما أسأل   وكل عال دونه أسفل
ثم صلاة الله من بعدها   أذكى سلام عاطر يرسل
أهديهما للمصطفى المجتبى   وكل من فى دينه يدخل
هذا وما للعبد لاسيما   من ظهره بذنبه مثقل
إلاحمى طه شفيع الورى   فى موقف أهواله أهول
يوم يقول الرسل أنت لها   وكلهم من هوله يوجل
فعندها ينهض خير الورى   يحمد رب العرش إذ يسئل
إذا النداء من ربه ذى العلا   محمد بلغت ما تأمل
ففرج الله به كربهم   وكم به من كربة تحذل
وعبدك الراجى له كربة   أعيى علاجى داؤها المعضل
إنى أرى الهجران لى واصل   وإن فى الهجران مايقتل
فبالذى حلاك من نعمة   أبهى حلى لم يعطها مرسل
وحلة الرحمن مع رأفة   يتلى علينا نصها المنزل
صلنى لوجه الله حتى ولو   لم أكن أهلا للذى أسأل
لجودك الغيث أما إنه   فى كل أرض مطلقا ينزل
ونورك الشمس وماضوءها   يختص مايختص بل يشمل
هذا وظنى فيك مكتمل   وأنت عند الظن بل أكمل
ورحمة الله على قائل   منه علا فى حقك المقول

ما أرسل الرحمن إلى آخر القصيدة المذكورة وقد جرت على لسانى قبل هذا الوقت أبيات موافقة للقصيدة المذكورة فى وزنها وعددها لابأس بذكرها هنا وهى:

مالى سوى خير الورى موئل   من كل مايذعر أو يذهل

فهو الذى فى الكون مامثله بلى ولا من بعده مرسل
إن كان للإرسال فضل بدا فالمصطفى حقا هو الأفضل
من أجله الأملاك قد طأطأت لآدم مذ قبل أن افعلو
لولاه ماقد كان هذا الورى ولم يكن فى الكون من يعقل
فى كل محمود يرى أولا وللمعالى فى العلا مكمل
مفتاح أقفال الهدى والرضى مارحمة إلا به تنزل
مغلاق أبواب الهوى والردى أعظم به من آخر أول
من وجهه بدر الدجى مشرق والشمس من أنواره تشعل
ماظله فى الأرض حقا يرى ولان فى مشى له الجندل
إن مر بين الناس تعنو له والأسد قد تخشاه والأجدل
والدوح لما أن دعاها أتت تسعى إليه فى الورى ترفل
ماهو إلا البحر لكن حلا فعذبه فعذبه أجمل
ماهو إلا نهج باب الهدى من لم يجىء منه فلايدخل
فلذ به إن رمت نيل المنى ماخاب حقا من به يسأل
صلى عليه الله دون انتها أزكى صلاة نورها أكمل
مع آله أهل العلا والبها وصحبه نهج الهدى الكمل
مسلما مالاح فوق العلا نجم وفاح الند والمندل

وقد بلغنى أن سيدنا رضى الله عنه كان كثيرا مايدعو فى أموره الخصوصية بقصيدة توجد عند بعض الخاصة من أصحابه وقد وقفت عليها إلا أنها كا[illegible] التصحيف مطلعها :

دعوتك يا الله والدمع دافق وحبل رجائى فيك يارب واثق
وحالى لايخفى عليك وليس لى سواك لتفريج الكروب يوافق
وصبرى تقضى والهموم تزاحمت وإن لم تداركنى فإنى وابق
بواتق أزمانى لدى تزاحمت خوانق أزمانى على حوالق
طوارق لوعاتى طرائق عسرتى حوازق أسقامى سهام رواشق
وأنت وعدت السائلين إجابة وحلمك واسع ووعدك صادق

فإنى مضطر وعجزى ظاهر ... وإنى محتاج وجودك سابق

إلى أن قال فيها :

أغثنى أغثنى ياحبيب ومنقذى ... أقلنى أقلنى إننى منك شافق

أجبنى أجبنى يا إلهى وسيدى ... أنلنى الأمانى إننى فيك وامق الخ

ولم يثبت عندى صحة ذلك والله أعلم

السيد على بن الشتيوى

ومنهم العارف الكبير الولى الشهير المجذوب السالك الذاكر الناسك الشريف الأصيل أبوالحسن سيدى على بن الشتيوى من خط الجريد ، كان رحمه الله مشهورا بالولاية مشهودا له بالمعرفة الكبرى الملحوظة بعين العناية وكان كثيرا مايجتمع بروحانية شيخ الشريعة والطريقة ومنبع الأسرار والحقيقة مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه ، واتفق له يوما ماحدثنى به سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أنه كان مولعا بالصيد وفى ذات يوم اصطاد غزالا فبينما هو مشتغل به إذ أتاه الشيخ عبد القادر راكبا على فرسه فاستحيا منه أن يراه على الحالة التى رآه عليها وكان آخذا طريقته . فصار يتكلم معه إلى أن قال صاحب الترجمة للشيخ المذكور ياسيدى سمعنا شيخا ظهر بأبى سمغون فماذا تقول فيه فقال له رضى الله عنه : ياولدى تلك الشجرة التى نستظل تحتها فكان هذا سببا فى أخذه عن سيدنا رضى الله عنه طريقته

السيد زعنون

ومنهم المقدم الأجل القدوة الأفضل الملحوظ بعين العناية المتصدق على منصة الولاية أبوعبد الله السيد زعنون من عمالة الجزائر أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه وقدمه لاعطـــاء طريقته المحمدية ، وكان رحمه الله رجلا ذا قوة موصوفا بالشجاعة الهاشمية واتفق له يوما مع سيدنا رضى الله عنه حين كان رضى الله عنه بالأغواط ماحدثنى به سيدى أحمد العبدلاوى أن سيدنا رضى الله عنه كان الغالب عليه إذا أتى للأغواط أن ينزل خارجها فبينما هو خارج يوما ومعه جماعة من أصحابه من جملتهم صاحب الترجمة إذ وصل إلى الساقية المعروفة هناك بالبذلة فوقفت البغلة التى عليها سيدنا رضى الله عنه راكب وحرنت ولم تستطع المرور بل

صارت تقدم رجلا وتؤخر أخرى حتى كادت أن تسقط على وجهها فأتى صاحب الترجمة إلى سيدنا رضى الله عنه ورفعــه عن سرج بغلته وقطع به الساقية بقفزة فصار سيدنا رضى الله عنه يبتسم من ذلك ودعا له بما عاد عليه نفعه دنيا وأخرى .

وحدثني بعض إخواننا من أهل شنجيط وهو الفقيه الأديب السيد الشيخ ابن محمد بن الشيخ العلوى كما حدثه شيخه العلامة سيدى أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه أن صاحب الترجمة قبل أخذه الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه كان من قطاع الطريق الذين تشكت منهم البرية ولم يقدر أحد على مدافعته إذا برز إليه ولم يعرف بفعل خير قط فاتفق أن مات مقدم من مقدمى بعض زوايا سيدنا رضى الله عنه فاجتمع الفقراء وأخبروا سيدنا رضى الله عنه بوفاة مقدمهم وأنهم يريدون منه أن يقدم عليهم مقدما ، فقال لهم الشيخ رضى الله عنه إنى قدمت عليكم زعنون فخرجوا متعجبين من ذلك وقصدوا الموضع الذى يقطع فيه الطريق ويترصد الرفاق حتى وصلوا إليه ووجدوه مع بعض البغــاة أمثاله فقالوا له إن شيخنا سيدى أحمد التجانى قد جعلك مقدما على زاويتنا ، فبمجرد ماسمع منهم ذلك أخذه حال عظيم وصار يبكى وفتح عليه فى الحين مع أنه لم يقدم خيرا قبل ذلك وماذلك إلا بنظرة سيدنا رضى الله عنه وهمته النافذة ، وإلى هذه القضية يشير حسان الطريقة السيد محمد بن سيدين الشنجيطى العلوى فى قصيدة مدح بها سيدنا رضى الله عنه مطلعها :

حى دارا لدى أبى سعفون ... واسقها من مصون ماء الشئون
واسق دارا تبوأت عين ماضى ... بمعين من الدموع سخــين
شغف القلب حبها لاربوع ... عند أصل القناة من جيرون
قف بتلك الديار وابك وعفر ... بينها الخد قبل ريب المنون

إلى أن قال فى آخرها فى مدح سيدنا رضى الله عنه ووصف همته :

همــة ردت الغواة إلى الرحـ ... ـمن حتى انتهت إلى زعنون

المقدم الحاج عبد الرحمن بن الحاج ناجى

ومنهم المقدم فى صدر المحافل الجامع لشتات الفضــائل أبو البركات السيد عبد الرحمن بن الحـاج ناجى من عمالة الجزائر قدمه سيدنا رضى الله عنه التلقين

طريقته المحمدية والمتحل بها لبر الترك وأعطاها فى أربع بلدان هناك كما وقفت على ذلك فى رسالة بعثها قريب سيدنا السيد المختار بن محمد التجانى إلى سيدنا رضى الله عنه ووصفه فيها بالحزم الشديد والقيام التام فى أداء أمانة الطريقة على أحسن ماينبغى إلى أن توفى رحمه الله .

السيد سليمان بن سعد

ومنهم العلامة الجليل والفهامة المثيل أبو داوود السيد سليمان بن سعد الأغواطى كان من أفاضل الأصحاب الذين تعلقوا بأذيال سيدنا رضى الله عنه وكان على الطريقة الناصرية فى أول أمره ثم تخلى عنها ، وأخذ عن سيدنا رضى الله عنه طريقته المحمدية ولقنه أذكارا خصوصية منها تلاوة الفاتحة بنية الأسم الأعظم كل يوم ستين مرة ، وكان كاتبا بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه عند ولده سيدى محمد الحبيب وخلفه فى الكتابة عنده بعد وفاته سيدى أحمد العبدلاوى وهو مدفون بناحية عين ماضى رحمه الله .

السيد احمد بن عساكر الجزائرى

ومنهم ذو السيادة الكبرى والجادة الغرا والرتبة الرفيعة والمكانة المنيعة أبو العباس سيدى أحمد بن عساكر الجزائرى ، هذا السيد رحمه الله من ذوى البيوت المشيدة فى أفق السيادة ممن لهم السطوة بتلك النواحى وكان مستغرقا فى محبة سيدنا رضى الله عنه وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه لما تحققه فيه من صدق المحبة التامة ، وبلغنى عنه أنه كان يطلب من سيدنا رضى الله عنه أن يضمن له الوصول لمرتبة العارف الكبير الولى الشهير أبى زيد سيدى عبد الرحمن الثعالبي رضى الله عنه وسيدنا رضى الله عنه يحذره من ذلك إلى أن أجابه يوما لمطلوبه وقال له يكون ذلك على شرط قبولك لبلوى مقامه فقال له ياسيدى قد قبلت ذلك ، فكان من قدر الله ماوقع له مع الترك حتى أداهم الحال إلى قتله ، واتفق له فى المدة التى قدم فيها لفاس لزيارة سيدنا رضى الله عنه أن اجتمع بالمجذوبة الشهيرة الشريفة لالة منانة شنيوره رضى الله عنها فكان أول مكاشفاتها له أن سمته باسمه وذكرت له أمورا إلى أن قالت له إن الإذاية تأتيك من بستانك فاتفق له لما وصل للجزائر أن ذهب الترك لبستانه بالجزائر فوجدوا فيه أمورا أغرتهم على قتله رحمه الله .

السيد سحنون بن الحاج

ومنهم علامة عصره ووحيد مصره ذو العلوم الزاخرة والمناقب الفاخرة أبو عبد الله السيد سحنون بن الحاج الاغواطي، كان من علماء الطريقة الفحول المرجوع إليهم في علمي المعقول والمنقول، أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه وورد من كوثره العذب الزلال ما من أجله غبطه أكابر الرجال وقد كان سيدنا رضي الله عنه يكاتبه، وقد أخبرني بعض الثقات أنه رأى في رسالة التحدث بما أنعم الله به على سيدنا رضي الله عنه التي بعثها إلى فقراء الأغواط صاحب الترجمة مصدرا به فيها وهي مذكورة في جواهر المعاني ونصها بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، بحمد الله يصل الكتاب إلى يد أحبابنا وأصفيائنا فلان وفلان وكافة الفقراء الذين معه بالأغواط كل واحد باسمه وعينه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني وبعد: نسأل الله عز وجل أن يتولاكم بعنايته وأن يفيض عليكم بحور فضله وولايته وأن يكفيكم هم الدنيا والآخرة وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة يليه إعلامكم أن فضل الله لاحد له وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لايصله أحد من الأولياء ولايقاربه لامن صغر ولا من كبر وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولايقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه عن أكابر الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي (1) ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم أمر لايحل لي ذكره ولايرى ولايعرف إلا في الآخرة ومع هذا كله فلسنا نستهزىء بحرمة ساداتنا الأولياء ولانتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه ولاتستهينوا بحرمة الأولياء والسلام اهـ

وقد وقفت على رسائل بخط يمينه

(1) ذكر انه سأل الله عز وجل أن يمن عليهم بالتوبة والولاية قبل الموت.

ولداه سيدي محمد والسيد أحمد

ومن أولاده السالكين نهجـــه فى هذه الطريقة المحمدية الكوكبان المنيران الفاضلان الكبيران سيدى محمد والسيد أحمد ، كان سيدنا رضى الله عنه يحبهما ويدعو لهما بالصلاح والفلاح والظفر بالنجـــاح اصدق محبتهما ومحبة والدهما فى الجناب الأحمدى ، واعلم أن أهل الأغواط فى زمن سيدنا رضى الله عنه ينقسمون إلى قسمين الأول يحبهم سيدنا رضى الله عنه ويحبونه وهم أولاد سرغين والقسم الثانى الأحلاف ابتلاهم الله ببغض سيدنا رضى الله عنه وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمشمعين كما رآه بعضهم وقال له ذلك ازدراء بهم كما حدثنى بذلك سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه ، وأما الآن فقد امتزجت دماؤهم بحب الشيخ رضى الله عنه وصاروا يدخلون فى الطريقة المحمدية أفواجا أفواجا . وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه ، ووقفت على كلام فى رسالة بخط العارف بالله سيدى محمود التونسى رضى الله عنه بعثها إلى سيدنا رضى الله عنه يطلب فيها من سيدنا رضى الله عنه الرضى عن أصحابه أينما كانوا خصوصا بعض الإخوان القاطنين بالأغواط وغيرهم عن ذكر . ونص ذلك بعد كلام والمؤكد به أيضا على سيدنا التأكيد الحى أن ترضى على أصحابك وتعفو عنهم حيث ما كانوا وتكاتبهم جميعا أهل تاجموت عموما وخصوصا وبنى الأغواط وأولاد السايح ، وأهل سرف والأرباع كلهم والحجاج صاروا أحبابا ، ولا أعضلهم عن مكاتبتك إلا الخوف منك لما يبلغهم عنك ، وأنك تبرأت منهم وأسلختهم من محبتك وقد أهمنى أمرهم من جانبك كثيرا كثيرا ارحمهم سيدى لله من ذلك الغضب وفرحهم برضاك عظم الله قدرك وإن كان ولابد اجعلنى مكانهم سيدى واغضب على الغضب الكلى دنيا وأخرى وارض عنهم رضاء تاما دنيا وأخرى ، فإنهم أحباب الخ .

فانظر رحمك الله إلى الإخوة الحقيقية كيف أداه الحال حتى طلب الهلاك لنفسه والرضى للإخوان رضى الله عنه وأرضاه .

السيد أحمد بن معمر الأغواطى

ومنهم المتوج بتاج الولاية المحوط بعين الرعاية والفضل العميم والخلق العظيم أبو العباس السيد أحمد بن معمر المعروف بابن سالم الأغواطى ، هذا السيد الجليل

ممن سبقت لهم العناية الربانية والمواهب العرفانية والعطفة التجانية ، وكان من أفاضل الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد بلغنى على لسان الثقات من طرق شتى أن سيدنا رضى الله عنه لما وصل للأغواط واجتمع عليه جماعة من أصحابه القاطنون هناك منهم العارف الكبير السيد أحمد الأخضر بن محمد بن شيبة ، وكان من أعيان تلك البلدة والولى الكامل سيدى عيسى بن خراز وغيرهما . فقال سيدنا رضى الله عنه مخاطبا لتلك الجماعة إنى أتيتكم بلقمة من فاس وأنا أريد أن أدفعها لكم فقال له السيد أحمد الأخضر المذكور ياسيدى اللقمة التى أردت أن تعطينا فأعطها لهذا الولد وأشار لصاحب الترجمة فحينئذ دعاه الشيخ رضى الله عنه وجعله بين جناحيه وانحنى عليه فغاب عن حسه ثم أخرجه الشيخ رضى الله عنه ووضع يده الشريفة على رأسه وقال رضى الله عنه الله يمنعك من الحقر والفقر وعذاب القبر ويطبع على قلبك بالولاية فمن ذلك الوقت حصل لصاحب الترجمة الفتح الكبير والمعرفة الكبرى كما يشهد له بذلك الخاص والعام ممن عرفه وهو الذى قال له الشيخ رضى الله عنه أعطه لله كما فى الإفادة حين سأله عن عادة أسلافه مع بعض الأولياء ، وذلك على مابلغنى أنه قال للشيخ رضى الله عنه ياسيدى إن أسلافنا على ما أدركناهم عليه كانوا يعطون فى كل عام شيئا من الشعير لأولاد سيدى عبد القادر ابن محمد القطب المشهور دفين القرية المسماة بالأبيض ، فماذا تأمرنا به فى عادتهم ، فقال له سيدنا رضى الله عنه أعطوا واتركوا كرهما ثلاثا فأعاد صاحب الترجمة السؤال ثانيا وقال له ياسيدى إن المريد إذا خالف شيخه يحل به الهلاك فأخبرنا بما نفعل فقال رضى الله عنه : من أراد أن يعطى شيئا فلينوه لله .

وبلغنى على لسان الثقة أن صاحب الترجمة قيل له وهو جالس مع جماعة من الإخوان كانوا يسردون جواهر المعانى بداره : إن بعض المبغضين قد نقص الشيخ وأصحابه وهو يحضر لسماع جواهر المعانى معنا . فقال صاحب الترجمة للجماعة الحاضرة اعلموا أنى قد سمعت من سيدنا الشيخ رضى الله عنه يقول للأحباب إذا سبق أحد بين يدى أحدكم وكان قادرا فليقاتله ، وإلا فليقم من ذلك المجلس ويذره وأنا اليوم قد حكمنى الله فيكم فوالله العظيم وحق قدر الشيخ سيدى أحمد إنى إن سمعت أحدا يذكر جانب الشيخ بما ينقصه حتى أذوّب فى فمه الرصاص .

ومن كراماته مع القطب الشهير سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه ماحدثنى به العارف بالله سيدى أحمد العبدلاوى نفعنى الله به أن صاحب الترجمة حدثه أنه رأى فى بعض مرائيه قبل الواقعة التى حصلت بين أولاد الشيخ رضى الله عنه والترك ، كأن للشيخ رضى الله عنه ثلاث خيم والطين متراكم بناحيتها ورأى سيدنا رضى الله عنه يقول له قل لهم خذوا خيمة واجعلوها فى غرب الأغواط وخيمة لشرقها واتركوا الأخرى حتى يذهب الطين قال فاستيقظت ولم أخبر أحدا بما رأيت قال فاتفق أن جاءت فى صباح يوم الرؤيا رسائل من حاكم الترك إلى أولاد الشيخ رضى الله عنه يطلب منهم أن يأتوا إليه ليتبرك بهم ، وقصده شىء آخر فاجتمع الأصحاب الحاضرون فى ذلك الوقت وقدم القطب سيدى الحاج على رضى الله عنه فى ذلك اليوم وصاروا يتكلمون فى هذه الواقعة وماذا يفعلون ؟ هل يتركون أولاد الشيخ رضى الله عنه يذهبون إليه أولا وينظرون فى عاقبة ذلك كله فقال للجماعة الحاضرة صاحب سيدنا رضى الله عنه السيد أحمد الأخضر إن ذهابهم هو الأولى والأسلم من الجهتين فقال له سيدى الحاج على رضى الله عنه : بجلال كيف نترك أولاد الشيخ يذهبون إلى الترك يلعبون بهم هذا لايكون أبدا .

ثم إن سيدى الحاج على رضى الله عنه التفت إلى صاحب الترجمة وقال له : قل لنا ماقال لك الشيخ أن تقوله ، ولم يمكن أخبر أحدا بما رءاه فحدثهم بالرؤيا كما سلفت فتعجب السامعون ، واتفقت كلمتهم على عدم ذهابهم .

ثم إن سيدى الحاج على رضى الله عنه أخذ سيدى محمد الكبير رضى الله عنه وذهب به إلى تماسين ، وبعث سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه إلى أبى سمغون وهما الخيمتان اللتان أمر سيدنا رضى الله عنه نقلهما لغرب الأغواط وشرقها . وترك سيدى الحاج على رضى الله عنه أهل الشيخ رضى الله عنه بعين ماضى وفق الرؤيا . فقال له بعضهم : كيف نترك أهل الشيخ رضى الله عنه بعين ماضى والأعداء سيفتكون بها فقال سيدى الحاج على رضى الله عنه إنى لا أخاف عليهم ، فاتفق أن جاءت الترك إلى عين ماضى للبطش بأهلها فبينما هم فى الطريق إذ حصلت لهم زلزلة دمرت جمعهم ورجعوا منكسرين بعد أن خربت عين ماضى وحفظ الله أهل الشيخ رضى الله عنه وداره المعظمة منهم . ولما انجلى ظلام تلك الفتنة بين أهل عين ماضى

والترك أمر سيدنا الحاج على رضى الله عنه أن يرجع أولاد الشيخ رضى الله عنه إليها فذهبوا إليها فوجدوها منهدمة فأرادوا الرجوع إلى الموضع الذى كانوا فيه لما رأوه من خرابها فأمر القطب سيدى الحاج على رضى الله عنه الفقراء ببنائها وعمارتها فقام صاحب الترجمة على ساق الجد فى ذلك حتى تم أمرها على أحسن مايكون . وقد وقفت على طرف رسالة من سيدنا الحبيب رضى الله عنه بعثها إلى القطب سيدى الحاج على رضى الله عنه يذكر له اجتهاد صاحب الترجمة فى ذلك مع شرح الواقع ونصه كما هو منقول من خط بعض أحفاد صاحب الترجمة رضى الله عنه . وبعد : فالذى أعلم به سيدنا رضى الله عنه وأرضاه أنه لما وصلنا كتابك صحبة الحاملين فلان وفلان وأمرتنا فيه ببناء عين ماضى خرجنا صبيحة اليوم الذى وصلنا فيه كتابك قاصدين عين ماضى وبوصولنا إليها شرعنا فى بنائها بحول الله وقوته ، ولقد وجدناها خربة لافائدة فيها حتى هم كثير من الناس بالرجوع عن بنائها لما رأوه من خرابها ودهشت الناس من ذلك ، فاستعنا بالله ثم بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وبسيدنا رضى الله تعالى عنه وأرضاه وبكتابك وإذنك فى ذلك فلما شرعنا فى البناء رأينا العجب العجاب من خرق العادة فكملناها بأجمعها وأبراجها وأسوارها فى عشرة أيام فقط ، نخدم كل يوم من الصباح إلى القيلوله ونقيل إلى صلاة الظهر ونشرع فى الخدمة حتى تبقى نصف ساعة على الغروب ، نفترق لعشائنا ومع هذا فالراحة التى وجدناها والسرعة فى بناء السور لم نرهما قط والحمد لله ، ولكن ياسيدى الظاهر الذى عندنا لولا الشيخ أحمد بن سالم لم نجد فى كافة الناس من يرفع معنا حتى حجرة واحدة ، ولقد نصح فى هذا الأمر غاية النصح وقدم معنا بأولاده وزاده ومكث معنا حتى كملت بجميع أسوارها ، وقصة الزرع الدار فلم نجده بوجه ولا بمال وعز علينا الكيل من كل جانب . فلما رأيت ذلك بعثت لأحمد بن سالم وقلت له كذا وكذا فقال علىّ مايخصكم وكل ماتطلبونه موجود جزاه الله عنا خيرا إلى قال: وأيضا لم نجد من يسكن معنا فى عين ماضى لابعيدا ولاقريبا لما كملت فقلنا لأحمد بن سالم سيدى الحاج على رضى الله عنه قال لنا كذا وكذا فقال لنا نعم ذلك هو الصواب لجمع بنى الأغواط كلهم بين أيدينا وقال لهم تذهبون لعين ماضى وتعمرونها بعيالكم وها أنا ذاهب إليها بنفسى أسكنها لله ولرسوله فلما رأوا الجد

منه امتثلوا لأمره طوعا وكرها وعينوا أربعة وخمسين عيالا يسكنون فى عين ماضى هاهى وصلتنا والحمد لله وسكن هو بنفسه معنا وأتى بأولاده وعياله لعين ماضى وجميع أثاثه وصل وهو قادم فى هذين اليومين علينا جزاه الله عنا خيرا. والحاصل الأمر الذى ظهر لنا منه هذه المرة لم يظهر لنا فى حبيب قط ولكن كل شىء من سيدنا رضى الله عنه وأرضاه إلا أننا نخبرك بالظاهر وأما الباطن فإننا نعلم لولا سيدنا رضى الله عنه وأرضاه لم يكن شىء من جميع ذلك هو الذى نفخ فيه وتوجه له حتى صار لا ينظر إلا لمصالحنا وخواطرنا فقط الخ

ونص ما يتعلق بصاحب الترجمة من جواب القطب سيدى الحاج على رضى الله عنه لسيدنا الحبيب رضى الله عنه وقولك على محبنا وصديقنا ورفيع المكانة عندنا وفى قلوبنا الشيخ أحمد بن سالم لقد بذل جهده معنا غاية البذل الخ

ذاك قسم إلهى أعطاه الله له كان سابقا فى الأزل وكان سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى حياته يحبه غاية المحبة، ولقد سمعنا منه رضى الله تعالى عنه يقول لم أحب أحدا حتى يظهر لنا أن الله ورسوله يحبانه ولم أصرف عن أحد حتى يظهر لنا أن الله ورسوله صرفا عنه الخ

وبلغنى عنه أنه لما توفى رحمه الله فى رجب الفرد سنة ١٢٦٨ هجرية ودفن جاء سيدنا الحبيب رضى الله عنه فى خامس يوم بعد دفنـــه ووقف على قبره وأمر بانصراف من كان حاضرا هناك وجلس رضى الله عنه عند رأسه مستقبل القبلة ومكث نحو مايقرب من ساعتين والمقدم ابن المشرى ريان رحمه الله جالس وراءه فلما قام رضى الله عنه قال المقدم المذكور إنى فعلت له شيئا لوكان فى النار لخرج منها فسبحان المتفضل بما شاء على من شاء من عباده.

الشريف سيدى عيسى بن خراز الأغواطى

ومنهم الورع الزاهد الذى هو فى مراقى الولاية صاعد ذو القدر العلى والفضل الجلى أبو المكارم الشريف الأصيل سيدى عيسى بن خراز الأغواطى، هذا السيد رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين تصدروا على كراسى السيادة وقاموا على ساق الجد فى بساط العبادة وكان محبوبا عند سيدنا رضى الله عنه محبة خاصة لما أولاه الله من الهمة التى لا ترضى بسفاسف الأمور بين العامة

والخاصة وكان معروفا بالزهد والورع واتفق له مع بعض أكابر الأغواط أن أتاه بدراهم عائلة من الزكاة ودفعها إليه فردها عليه وقال له إن كانت هدية فنعم وإلا فلا وهكذا تكون همة الشرفاء الراقيين فى المجد للذروة العليا لايقبلون إلا ما كان طيبا وأما أوساخ الناس لايرضون بها بل لاتحل لهم .

وقد سئل سيدنا رضى الله عنه هل تحل الصدقة لأهل البيت أولا ؟ فأجاب رضى الله عنه إنها لاتحل لهم إلا فى حالة الاضطرار قال صلى الله عليه وسلم « إن الصدقة لاتحل لمحمد ولا آل محمد » .

وفى البخارى : إن آل محمد لايأكلون صدقة . ولامنازع فى هذا .

ويؤخذ من هذا أن جميع المؤمنين من بنى هاشم داخلون فى التطهير الذى فى الآية لأن الصدقة ماحرمت عليهم إلا لكونها أوساخا وهم مطهرون من الأوساخ والعلة لاتفارق معلولها كما هى قاعدة عند أربابها فإذا فهمت هذا فلا تلتفت لكلام من أباح لهم أخذ الصدقة مستندا لعدم إعطائهم من بيت المال لكثرة فقرهم وغفل عن علة المنع التى هى تطهيرهم وهو باق فيهم إلى قيام الساعة لاينقطع وهو مذهب أهل الحق رضى الله عنهم ، والحديث المتقدم أيضا ثابت فلايعارض بكلام العلماء . فإذا فهمت هذا فاتباع النص القطعى أولى من تأويلات العلماء ، ولأجل محبة القائل فى أهل البيت ومودتهم أباح لهم الصدقة فلو كان حبه صادقا لكان متبعا له صلى الله عليه وسلم فى فعله وقوله وكان ممتثلا لقوله عز وجل (فاتبعونى يحببكم الله) فعند ذلك تصح لهم دعوى المحبة ثم يأمر الناس بالإعطاء لهم من غير الصدقة بل من أموالهم خاصة فهذه علامة محبتهم ، وأما من خالف أمره صلى الله عليه وسلم فلامحبة وإن كان يدعيها فافهم ترشد اهـ

وبلغنى عن صاحب الترجمة أنه كان كثيرا مايرى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وفى اليقظة أيضا وقبره مشهور بالأغواط .

الفقيه السيد أحمد بن إسماعيل الأغواطى

ومنهم الفقيه الأستاذ العلامة النقاد ذو البصيرة المنورة والنفس المطهرة البركة الأمجد أبو العباس الشيخ أحمد بن إسماعيل الأغواطى . كان من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين فازوا بالعطفة الربانية والنظرة الإحسانية ، وقد كان سيدنا

رضى الله عنه يحبه ويثنى عليه ، وقد وقفت على رسالة بخطه يطلب فيها من سيدنا رضي الله عنه الإذن فى صلاة الفاتح لما أغلق وفى الفاتحة وسورة القدر بأن يذكرها عددا مخصوصا دبر الصلوات والإذن فى آية الكرسى للتحصين ولم أقف على الجواب وكان رحمه الله آية من آيات الله فى التجويد وتضرب بحسن صوته الأمثال .

وقد بلغنى على لسان الثقة أنه كان يوما فى المسجد العتيق بالأغواط قبل طلوع الفجر جالسا يتلو القرآن الكريم سرا وكان بالمسجد المذكور صاحب سيدنا رضى الله عنه السيد عيسى بن خراز رحمه الله يذكر فبينما هو كذلك إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له قل لأحمد بن إسماعيل يرفع صوته بالقرآن فقام إليه وأخبره بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فشرع صاحب الترجمة يتلو جهرا بصوت كأنه مزمار من مزامير داوود عليه السلام امتثالا للأمر الشريف «١»

سيدى العربى الأشهب

ومنهم الولى الصالح ذوالسعي الرابح والمحبة الصادقة والكرامات الخارقة والقدر الجلى والفضل العلى أبو السعادة سيدى العربى الأشهب ، هذا السيد رحمه الله من أخص أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا عنده من المقربين الملحوظين بعين المودة عند جميع أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد كان سيدنا رضى الله عنه يبعثه لقضاء مهماته الضرورية وأغراضه الخصوصية حتى أنه لا يبرح من باب دار سيدنا رضى الله عنه إلا بإذن سيدنا رضى الله عنه ، وكان قائما فى النفقة على دار سيدنا رضى الله عنه وبأمره سيدنا رضى الله عنه بأن لا يشترى مما يحتاج إليه فى النفقة إلا الحسن النفيس من كل شيء وكان لا يتهاون بأمر سيدنا رضى الله عنه ولو أداه الحال إلى السفر لقضاء كل وطر .

وقد وقفت على رسالة بخط سيدنا رضى الله عنه مباشرة يخاطب فيها جملة من أحبابه خصوصا صاحب الترجمة نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . بعد

«١» اتفقت كلمة العلماء على تدريس العلم الشرعى فى المساجد والقرآن هو الجامع العلوم وهو أصل العلوم ، وقد ثبت فى الحديث الحض على قراءة القرآن ومدارسته فى بيوت الله ولا يكون ذلك إلا جهرا . والقرآن درس الله عز وجل أولى

حمد الله جل جلاله بعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا ورفعاء المكانة من قلوبنا سيدى الحاج الطيب وسيدى هاشم بن معزوز وأخيه وسيدى الحاج على املاس وسيدى العربى الأشهب وكافة من فى حضرتكم من الأحباب . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله عز وجل أحمد بن محمد التجانى وبعد فالسؤال منا عن أحوالكم أجراها الله على طبق رضاه ، ونسأل الله عز وجل أن يعاملكم مع جميع الأحباب والفقراء خاصة وعامة من كل من ينتسب إلينا بمحبة أو أخذ ورد بمعاملته كأكابر خواص حضرته من الأقطاب والعارفين فى الدنيا والآخرة ، وأن يحملكم على جناح اللطف والعناية فى الدنيا والآخرة وأن يكون لكم فى كل وقت وكل حال وكل حركة وسكون ومعينا ومؤيدا وناصرا ومحبا وناظرا إليكم بعين محبته لكم وعنايته بكم إنه ولى ذلك والقادر عليه آمين . ثم أنت ياحبيبنا العربى الأشهب الدواء الذى أوصيناك عليه اتركه لاتبعثه بل بعه هناك فإن الدواء الذى أتانا من تلمسان مانفع منه شىء فلافائدة لتكويره ، وإذا قضى الله بوصولك إلينا فى أى وقت قصر الوقت أو طال فإن أمكنك أن تأتينا بشىء من الورد اليابس قدر ما أمكن مع ما أمكن من الخل فافعل فإن لنا فيها النفع البالغ وليكن الخل الصنى قاطعا وأما الليم فلا تأتوا منه بشىء لفساده بطول المكث يصير فى غاية المرارة لايستطاع شربه ثم إنه لمراوته ينتقل إلى الحرارة ونحن نريده لتبريد الحرارة فلا فائدة له والسكر الذى يوضع فيه ذهاب فى غير فائدة اللهم إلا إذا أمكن أن تأتونا باللیم المعلوم غير البلدى الصغير بلا عصر ويصلنا صحيحا مع قصر الوقت فنعما هو فإن لنا فيه النفع البالغ والسلام وكتبه أحمد بن محمد التجانى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اهـ

وبلغنى أن صاحب الترجمة كان مارا فى بعض طرق فاس صاعدا إلى دار سيدنا رضى الله عنه ومعه نحو ثمانية أحمال من الفحم اشتراها لأجل طبخ المئونة اليومية لدار سيدنا رضى الله عنه فصار كلما مر بطريق يقول بعض الفضوليين من أهل فاس هذا الفحم به يستعمل سيدى أحمد التجانى الكيمياء والإكسير قاصدين بذلك تنقيص الشيخ رضى الله عنه وصاحب الترجمة لايجيبهم إلى أن وصل لدار

سيدنا رضي الله عنه فوجد الشيخ رضي الله عنه مع جماعة من أصحابه هناك فقال له الشيخ رضي الله عنه ياسيدي العربي ماذا سمعت النـاس يقولون لك فأخبره بقولهم فقال له الشيخ نطلب من الله أن يسامحهم فيما يقولون وأنشد لسان حاله:

علوم الكيمياء لدى أجلى   من الشمس المنيرة للبصير
إذا ماشئت تصعيدا فصعد   إلى مولاك أنفاس الزفير
وقطر دمعك المسجول حتى   يبين لك الصفاء من الضمير
هنـالك جابرا لاشك تلقى   بإكسير لدى القلب الكسير

وهـذه هي الكيمياء الحقيقية وأما علم النـار فحاشا سيدنا رضي الله عنه من تعاطيه إلا أن كثيرا من الناس كانوا ينسبون إليه ذلك لما يرون من إقبال الدنيا عليه مع كثرة ماينفقه ولايعلمون من أين له ذلك مع مايرونه من أمارات ذلك كالقطارات المتنوعة الأنواع والآلات المختلفة الأوضاع التي لازال بعضها إلى الآن بالزاوية المباركة.

تلك آثارنا تدل علينـــا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

وليس ذلك كما يزعمون لأن سيدنا رضي الله عنه كان يقطر بها الأدهان التي تصح بها الأبدان كاستخراج دهن الآجر الذي يستعمل للأدواء المعضلات.

وقد حدثني شيخنا العلامة الحبيب الشريف الأصيل سيدي الحبيب الداودي أن سيدنا رضي الله عنه كان يعطي هذا الدهن الآجوري بخفية لشيخ الركب المغربي التاجر الأبر السيد الحاج الطالب بن جلون ليداوي به المرضى من الحجاج وكان ناس يظنون أن التاجر المذكور يأتيه ذلك الدواء من بلاد الروم ويعطيه لهم من خالص ماله إلى أن صرح لهم بذلك وأنه إنما يأخذه من سيدنا رضي الله عنه.

واعلم أن ما نسبوه إلى سيدنا رضي الله عنه من معرفة هذا الفن فهو في الحقيقة لايبعد عمن دونه من الأولياء رضي الله عنهم لأن الله سبحانه سخر لهم الأشياء فصارت تنفعل لهم بإذنه تعالى، وإذا نسب الشيء إليه سبحانه وتعالى فإنه يرجع محمودا بعد ما كان مذموما بحسب الإلقاء الرباني كما قال ابن عربي قدس سره

إن الحديد إذا ما الصنع يدخله   في غير منزله يرده ذهبا
كذلك الخلق المذموم يرجع محـ   ـمودا إذا هو للرحمن قد نسبا

وقد تكلم العلماء تبعا لسادتنا الأولياء قدس سرهم على هذا الفن الكيماوى فنهم من أثبته ومنهم من نفاه بحسب المشارب ، أما علماء الظاهر فإنهم يجمعون على تحريم الخوض فيه حتى من اشتغل به لاتقبل عندهم شهادته فهو جرحة فى عدالة الخائض فيه لأمور منها غش المسلمين الذى هو أحد الموبقات فى الدين مع تضييع العمر من غير طائل مع الإسراف المنهى عنه فى أمور المباحات فما بالك بغيره عند كل عالم وجاهل ولقد أجاد ابن عبد السلام فى قوله :

قدنكس الراس أهل الكيمياخجلا | وقطروا أدمعا من بعد ماسهروا
إن طالعوا كتبا للدرس بينهم | صاروا ملوكا وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع | وكم فتى منهم قد غره القمر

وأما علماء الباطن فقصد من تكلم فيه فى مبادىء أمره قبل تمكينه فى مقام الفتح الكبير كالحاتمى وغيره هو وصول المريد إلى باب الغنى فيحصل له الزهد الحقيقى لأن الانسان قد جبل على حب الدنيا الدنية إلا من عصمه الله من الأنبياء عليه السلام ومن على قدمهم من الأولياء فأعطاه الله سر هذا الفن الذى فيه فى الدنيا الغنى العام ليكمل لهم الشرف التام فلايتملقون لباب سواه ولا تسقط همة أحدهم فى طلب دنياه .

وقد اختلفت عبارات الأوائل من الحكماء فى الأصل الذى يتكون منه الأكسير واتفقوا كلهم على تسميته بالحجر المكرم ، ثم جاء بعدهم الحكماء الأواخر وأطلقوا عليه أسماء مختلفة برموز كادت أن لاتفهم لاختلاف العبارات فى الصفة ، الخائضون فى لجة هذا الفن بالتصانيف العجيبة من الأواخر كثيرون وممن استغرق عمره فيه خالد بن يزيد وجابر بن حيان وابن أرفع راس صاحب شذور الذهب والجلدكى وغيرهم وقد قالوا إن هذا الحجر لايخلو منه مكان كما فى الشذور فى قافية الراء :

ألا فاعلما أن الأوائل أجمعوا | على حجر ملق على الأرض مزدرى
مهان حقير القدر يمنع رخصه | لكثرته من أن يباع ويشترى

وقال خالد :

حجر القوم لامحالة ممكن | ليس يخفى ولا خلا منه مسكن

إن يكن أنفس الجواهر طرا — فهو أدنى من كل شيء وأهون الخ

ولا يشك في وجود هذا الفن إلا من يشك في شفاء السقيم باستعماله الدواء الموافق للداء. وقد أجاد صاحب الشذور في قوله في قافية المثلثة.

وكم حالف بالله جهد يمينه — على أننا نهذى «١» جميعا وقد حنث

ومن يك ذا فضل فليس بمرتض — لأقواله الدعوى وأفعاله العبث

ألا أن الله وكل أرواحا روحانية وملائكة نورانية تختطف سر الكيمياء والإكسير حين الإلقاء من يد أهل التدبير فلا تحصل لهم نتيجة على مر السنين إلا من أذن له في ذلك ممن لا يبالون به فلا يشتغلون به طول ليلهم ولا نهارهم مثل سفهاء الأحلام الذين لا يدخلون البيوت من أبوابها وينسبون النقص المركب فيهم إلى غيرهم من أربابها نعم إذا حصل الفتح الأكبر لمن تكلم في هذا الفن ترك الخوض فيه وكذلك غالب أكابر الأولياء لا يقول بذلك ولا يسلكون في هذه المسالك مثل شيخنا قدس الله روحه فلا ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يخوض فيه لأنه لا يناله إلا أهل الفتح قطعا.

ولقد أخذت الغيرة طائفة من أكابر الأولياء فقاموا ينكرون وجود هذا الفن من أهله وهذا المذهب هو الذي ينبغي للمريد الصادق أن يعتقد في شيخه لئلا يكون حظه من شيخه الحرمان، وقد وقفت على طرف رسالة لطيفة بخط الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه أخبرني بعض إخواننا الشرفاء أنه أجاب بها البركة الجليل ذو الخلق الجميل القدوة الزكي والمقدم الذكي الشريف الأصيل مولاي الطاهر بن المتوكل المتوفى أواخر رجب عام ١٢٩٩ حين سأله عما أشاعه كثير من الناس من أن سيدنا رضي الله عنه كان يتعاطى هذا الفن قاصدين بذلك تعظيمه حين رأوا أصحاب العقول الناقصة يعظمون من يخوض في هذا الفن ونص ما وقفت عليه منها بعد كلام في أن أهل هذا الزمان صاروا منكبين على الدنيا انكباب الفراش على النار مستفرغين الوجهة في كل ما يوصلهم إليها آناء الليل وأطراف النهار، قال رضي الله عنه عكس ما كان عليه السلف والخلف من أهل نسبة الله تعالى من الفرار من الدنيا وأهلها والأنفة من أربابها والإقبال بكلياتهم على ما يعملون به تنوير بصائرهم وإصلاح طوياتهم فإنهم كانوا يضربون أكباد الإبل ويشدون الرحال

«١» نهذى من الهذيان

ويعملون مايقدرون عليه من الترحال ويقطعون المسافات ويسيحون فى المهامة والفيح ومفاوز المخافات فى طلب ملاقاة أهل الخير وتحصيل نظرة منهم يسعدون بها فى الدنيا والآخرة ومن كان له مال منهم بذله فى طلب ذلك وغير واحد منهم خرج عن جميع مايملك مرارا حتى أن منهم من أتى شيخه بجميع ماله حتى رماد كانونه ومع ذلك لما استأذنوا عليه الشيخ قال لهم خيروه هل نقبله ولانقبل ماله أو نقبل ماله ولانقبله لنختبره هل خرج عن ماله لله أولغرض نفسه فقال يقبل مالى ولايقبلنى فظهر صدقه فى بذل ماله لله تعالى فصار من أعظم المشايخ الهادين المهتدين وهو أحد أشياخ الكامل سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنهم أجمعين .

وأعظم مقاصدهم فى هذا السعى العثور على من يزيل حب الدنيا من قلوبهم ويبرد منها التلهف عليها ويعرفهم خساسة قدرها وأنها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وأن حبها رأس كل خطيئة بحيث يدركون ذلك ذوقا وتحققا لاعلما وتخلقا هذا أقصى مرامهم فى سعيهم وقد صار الأمر بالعكس من ذلك كما قال الشيخ العارف بالله تعالى الغوث سيدى صالح بن الغوث سيدى المعطى الشرقى فى تذكرته الشهيرة :

الله أكبر بساط الفقر طوى علينا ماله من نشر
وصار فقر الوقت بالمقلوب للضعف فى الطالب والمطلوب

وقال فيها بعد ذكر ما آل إليه وصف الطريق باعتبار المنتسبين إليها والمدعين لها من غير حقيقة .

حتى ادعاها اليوم كل مفلس وصار شين الفعل صدر المجلس
والتبس الخلى بالحلى واشتبه الوضيع بالعلى الخ

هذا الذى أعتقده فيما أخبرتم به عن هذا الشيخ العظيم وحال المنتسبين اليوم لهذا الشيخ وغيره عافانا الله تعالى شاهد على ماذكرناه مقبول والحال شاهد رضى .

وأما هذا الشيخ العظيم القدر الجليل الثناء والفخر لجلالة مقامه وعظم شأنه واستغراقه فى أنوار مشاهدته وترقيه فى درجة عرفانه تأبى اشتغاله بما هو بإجماع من العقلاء من قبيل الهذيان وإنما هو شغل أهل البطالة وديدن أهل الخذلان وما رأينا فيمن رأينا ولاسمعنا فيما سمعنا من أخبار السادة الكرام من جعل ذلك

فى حال غيبة ولا فى حال حضور ؛ شغله ولاحرج عليه بحال من الأحوال ولاحام حوله إلا مايذكر عن بعضهم مثل البوصيرى والحاتمى وغيرهما قبل دخولهم طريق القوم ثم تركوه بعد الدخول فيها ترك الظبي ظله .

ومما ذكروه عن الشيخ سيدى محمد الشرقى مع الشيخ أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى من المقاولة المعلومة التى يقول فيها سيدى محمد الشرقى الملك والملكوت وصفهم منعوت الخ وأجابه سيدى يوسف بقوله الملك والملكوت فى طينا منعوت الخ ليس من هذا القبيل ولا فى شيء من هذه السبيل وإنما ذلك من باب تعريفهم بمقاماتهم العرفانية لا من باب تبجحهم وافتخارهم بأوصاف بشريتهم الشهوانية ولذلك تعاطوا ذلك بعبارات لايفقهها غيرهم لأن جلها أوكلها رموز وإشارات اللهم إلا أن يكون ماذكرتم عنه حفظ الله كرامته بخط يده فلا محيد حينئذ عن تأويله والتماس أحسن المخارج له إذ التأويل فيما يصدر عن مثل هذا الإمام من مثل هذا أصل مرجوع إليه ومعول عند العلماء الموفقين عليه .

ومن تأويله عندى أن هذا السيد كما أخبر به الثقة من فضلاء أصحابه سيد كثير الحلم مجبول على الرفق ولين الجانب فإن صح وصفه بهذا فغير بعيد أن يساعد هذا من يطلبه منه ممن له غرض من الأغراض المتقدمة والحكمة فى ذلك شقاوة صاحب ذلك الغرض وحرمانه من خيره وكنى باعتقاده فى شيخه أنه ينال منه غرضا خفيا يبطنه له فى صورة مباحة أومطلوبة بحيث لايتفطن له شقاوة وحرمانا وعقوبة وخسرانا والعياذ بالله تعالى ومادرى الجهول المطبوع على قلبه أن الأشياخ إنما يعاشرون أمثال من هذه صفته من باب المعاشرة بالمعروف وأن معاشرتهم له كمعاشرة عقلاء الرجال لنسائهم ، وإن المحجوب عند أهل الطريق رضوان الله عليهم امرأة وإن كان رجلا كما صرح به أهل الطريق فى أمثاله ، وعلى هذا فلا نقص يلحقه فى مصاحبة أمثال هؤلاء ولا فى الإسعاف لهم فى بعض الأغراض التى يضمرونها فى قوالب الصور المباحة والمساعدة لهم فيها ظاهرا وقلبه غائب فى مشاهدة جلال الحكيم العليم سبحانه وتعالى وتلك المساعدة اقتضتها الحكمة الإلهية على أن من أوصاف المؤمنين التغافل والتجاهل والتغابى ، وفى الحديث المؤمن كيس حذر ثلثاه تغافل أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث أيضا ، المؤمن هين لين تخاله من اللين أحمق ، وقد قيل :

ليس الغبي بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغـــابى

فما يظهر على عامة المؤمنين وأوليـاء الله الصالحين من الغباوة لاوجود له فى نفس الأمر وإنما هو فى نظر الرائى فمن أراد الله شقاوته وخذلانه فيخدعهم بسبب مايؤديه إليه ذلك ومايخـدع فى الحقيقة إلا نفسه ودينه والعياذ بالله تعـالى . هذا بعض التأويلات عندى فى هـذا الذى أخبرتم به وما ذكرت عن بعض الناس ممن ينتسب لهذا الشيخ الجليل من التبجح بهذا وإظهار الفرح والمرح به بكثرة القال والقيل فإنما ذلك لأمرين :

الأول : قصورهم فى علم الطريق بل فى مبادىء العلوم إذ لولا قصورهم لعلموا أن هـذا ممـا يجب تنزيه ساحة عموم أهل الله عنه فضلا عن الشيوخ الكاملين ويكونون أولى من غيرهم بتنزيه شيخهم وتبرية مقامه الأعز .

الثانى : من الأمرين عدم صدقهم فى محبته إذ لوصدقوا فى محبته لانتج لهم ذلك الصدق عظيم حرمته ولوحصل فى قلوبهم عظيم حرمته لمنعهم ذلك وإن كانوا عواما اقحاحا من أن ينسبوا له مثل هذا الهوس وتضييع قدرمعتبرمن العمر فى الاشتغال بعمل يعلم كل عاقل أنه لايشتغل بمثله إلا أقاريد طلبة المدارس من الموسومين منهم بالشيطنة وخبث السرائر والموصوفين بدناءة المغارس وياعجبا لهم كيف اجتمع فى عقولهم وتصور فى أذهانهم الاعتقاد الواجب على المريد فى حق شيخه من الكمال الذى هو الغاية فى بابه مع نسبة مثل هذا إليه فإنها لاتعمى الأبصار ولكن العناد والعياذ بالله تعالى يوجب ذلك وأكثر منه ، وذلك كما حرره الجهابذة أن العناد من الكبر ، ومن الكبر يتولد عدم الإنصاف كما قاله الشيخ زروق رضى الله عنه . قال العلامة ابن ذكرى على قوله عدم الإنصاف أى ترك الرجوع إلى الحق وعدم تسليمه والإذعان له ، فإذا نوظر فى مسألة وظهرالحق مع غيره كابر وعاند وانتصر لنفسه بالباطل ، وذلك لأن الكبر يصد عن العمل بالعلم ويسد مسالك الفهم قال الله تعالى (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغيرالحق)

قال ابن جزى الآيات يراد بها الآيات القرآنية وغيرها من الكتب أوالعلامات والبراهين والصرف عنها يراد به صدهم عن فهمهـا عقوبة لهم على تكبرهم وقيل

الصرف منهم من إبطالهـــا والمعنى أن الله يطبع على قلوب المتكبرين ويخذلهم فلايتفكرون فى الآيات ولا يعتبرون بها ولا يفهمونها وأنه سبحانه وتعالى يصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آيات موسى بأن جمع السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل فجعل الله عقوبة الكبر عمى البصائر والطبع على الأفئدة فلاينتفع أصحابه بالموعظة ولايتذكرون اهـ بنقل العلامة ابن ذكرى، فبسبب هذا العمى اجتمع فى عقول هؤلاء اعتقاد المشيخة فى هذا السيد مع نسبتهم هـذا إليه، أعاذنا الله بمنه وكرمه، وماذكرت عنهم من المقال فى جانب شيخنا رضى الله عنه وقدس سره العزيز فلا يمنك ذلك فمن أين ترى الشمس مقـلة عمياء وما مقام شيخنا رضى الله عنه إلا كما قال القائل :

كالشمس ضوا تغش «١» أبصار الورى نورا وتعمى أعين الخفاش

وأى نقص يلحق مقامه فى ذلك الذى يقولون :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة أن لايرى ضوءها من ليس ذا بصر

بل ذلك مما يدل على الكمال كما قيل :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وكم من تنقيص أظهر الزيادة وكم من راغم معضم أتم السيادة وإن زعموا أنهم نقلوا مايشير إلى تنقيص الشيخ رضى الله عنه عن شيخهم حفظ الله علاه فلاغرابة على زعمهم فى عدم معرفته بمقـام شيخنا أيضا، فهذا الخضر عليه السلام مع جلالة قدره وعلو مقامه الذى لايرام ذكر عنه الشيخ العارف بالله تعالى سيدى أحمد ابن عبد القادر التستاونى أحد أفراد الطريق الناصرية وفحولها فى نزهته مانصه : ويحكى عن الخضر عليه السلام أنه اجتمع ببعض الصالحين فقال له هل تعرف الأولياء جملة فقـال أعرف أهل الدائرة منهم وغيرهم منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه فسأله عن عـدد أهل الدائرة فقال له هم واحد وثلاثة وأربعـة وسبعة وعشرة وأربعون وسبعون وثلثمائة ولو اطلع السبعون على الأربعـين لرأوا سفك دمائهم حلالا كما وقع لى مع موسى فليس الشارب من المـاء كالشارب من العسل المصفى ولا الشارب من العسل كالشارب من الخمر ولا الشـارب من الخمر كالشـارب من اللبن

«١» من حذف الياء من تغشى ضرورة (المؤلف) ويصح تعش بالعين (المصحح)

وهو شراب أهل التمكين ولا الساقى لهم من هذا كالساقى لهم من هذا ولا النشوان من هذا كالنشوان من الآخر ، وقد تدفع هذه الكئوس كلها بيد واحد يسقى كل وارد على حسب ماسبق له يوم ألست بربكم ا ه من النزهة .

ولهذا نقل عن بعضهم أن الأولياء إذا اختلفوا فى المشارب يكفر بعضهم بعضا ، وذكر الشيخ العارف بالله تعالى أعجوبة الزمان وحامل راية المحبة والعرفان سيدى المعطى بن سيدى صالح فى ذخيرته فى سفر العقبات منها مانصه :

واعلم أنه لما كانت هذه الطريق أمرها عجيب وسرها غريب قل ماتجد أهلها متفقين أو يثبت أحدهم للاخر قدما أو يكون لهم معظما بل ترى الغالب أن كل واحد يدعى أنه الواصل وأن غيره ليس عنده طائل حتى قال بعضهم إن للقطب مائة ألف مقام واثنين وأربعين ألف درجة وكل واحد ممن سلك رتبة من هذه أومقاما من هذه المقامات يرى أنه لم يسلك أحد مقامه لقوة أنواره وعظيم أسراره انتهى من الذخيرة بلفظها فى السفر المذكور .

ومن عرف هذا عرف يقينا أنه لاغرابة فى عدم معرفة الأولياء مقامات بعضهم بعضا فيسلم للجميع ويعتقد كمالهم جميعا ولايحمله ماشجر بينهم أن يدخل بينهم فقد يكون ذلك الواقع بينهم من المشاجرة والمناقضة سببا لهلاك من يحمله الفضول على الدخول بينهم وموجبا لطرده عن باب رحمة الله تعالى لخسر الدنيا والآخرة ويشير إلى هذا ماذكره غير واحد عن الشيخ الكبير القطب الشهير سيدى محمد الشرقى وقد كان وقع بينه وبين عصريه الشيخ الشهير ذى القدر الخطير سيدى احمد بلقاسم الصومعى شىء من هذا حتى كان كل منهما يقول فى الآخر العظائم فتلطف بعض المريدين مع سيدى محمد الشرقى فى السؤال عن حقيقة ذلك فقال أنا وهو كحجرى الرحى من دخل بيننا نطحنه غير إنى أقول غفور رحيم وهو يقول : شديد العقاب ا ه فأشار إلى الحكمة الإلهية المبطونة فى ذلك وهى أن ذلك سبب لظهور أثر تعلق قهره سبحانه وتعالى وعدله بمن يدخل بينهما كما أشار إلى أن الأصل فى تلك المناقضة اختلاف المشارب كما قدمناه فى قوله غير أنى أقول غفور رحيم الخ

وعلى هذا الذى تقرر فلا تحتفل يا أخى بشىء مما أشرت إليه من مقاولة من لم يشفق على نفسه فأدخلها فى الفضول الذى مادخله أحد إلا وسقط على أم رأسه ،

ومن قصدك منهم بإذاية أو تشويش فى دينك أو دنياك فإن استطعت أن تكتفى بتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى عن كل شيء من مقابلته حتى عن الدعاء عليه فإن ذلك أولى عند أهل الله تعالى من جهة الأدب وهو أسرع فى الانتقام من الظالم ومعاجلته بالهلاك والعطب وفى ذلك ماذكره العارف بالله تعالى التاج ابن عطاء الله رضى الله عنه من حكاية المرأة التى كانت لها دجاجة تتقوت ببعضها فسرقت منها فاستسلمت ولم تدع على من سرقها ، فلما ذبحها السارق ونتفها نبت الريش فى وجهه ولم يستطع إزالته حتى أتى حبرا من بنى إسرائيل فقال لا أجد لك دواء إلا أن تدعو عليك المرأة صاحبة الدجاجة فأرسل إليها من احتال عليها حتى أغضبها ودعت عليه فتساقط الريش من وجهه ، فسئل الراهب من أين علمت هذا فقال لما لم تنتصر لنفسها انتصر الله لها فنبت الريش فى وجه السارق ، ولما انتصرت لنفسها سقط الريش من وجهه اهـ

وليكن اهتمامك بالاشتغال بما ينفعك فى خاصة نفسك ويؤنسك يوم حلولك برمسك وليس ذلك إلا العمل الصالح وإنما يعينك عليه بل لا تتمكن من السبيل إليه إلا بتركك ما لا يعنيك فاجعل نصب عينيك قوله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

قال بعضهم : ومما لا يعنى العبد تعلمه ما لايهمه من العلوم وتركه الأهم منها كمن ترك العلم الذى فيه صلاح نفسه واشتغل بتعلم مايصلح به غيره كعلم الجدل ويقول فى اعتذاره نيتى نفع الناس ولو كان صادقا لبدأ بما يصلح نفسه وقلبه من إخراج الصفات المذمومة من نحو حسد ورياء وكبر وعجب وترأس على الأقران وتطاول عليهم ونحوها من المهلكات اهـ

وبالجملة فما لايعنى هو مافسر به الحديث شراحه وهو قولهم مالايعنى هو ما لا تدعو الضرورة والحاجة إليه وهو الفضول قالوا ويعم الأقوال والأفعال والعوارض القلبية اهـ هذا والمطلوب الاكيد منك أعزك الله أن لاتنسانى من صوالح أدعيتك الخ ولايخفى أن ذكر هذه الرسالة هنا مما تتروح به روح كل مولق رشيد لاشتمالها على أنماينسبه بعض الاخوان مع أفاريد من المنتسبين إلى سيدنا رضى الله عنه ليس بصحيح ولاسديد فإياك يا أخى من اغترار كل شيطان مريد

يدعي معرفة هذا الفن ليغرك به بنصب شبكة الطمع الذي يصير الأحرار من جملة العبيد ولاينبئك مثل خبير ، وقد بسطت بعض الكلام على هذا المعنى فى كتابنا نيل الأمانى فى الطب الروحانى والجسمانى المروى عن شيخنا التجانى جعله الله من العمل المقبول .

واعلم أن صاحب الترجمة رحمه الله كان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عالية فى المحبة وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم عليه الشيخ رضى الله عنه وكان ملازما الشيخ رضى الله عنه فى الحضر والسفر نحو العشرين سنة . ولما توفى رحمه الله قال فيه سيدنا رضى الله عنه نعم الرفيق نعم الصاحب وحضر سيدنا رضى الله عنه جنازته بنفسه . وبلغنى أنه لما دفن أتى بعض خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنه إلى سيدنا رضى الله عنه لتعزيته فيه وقال له ياسيدى إن مات سيدى العربى فكلنا مثله فقال الشيخ رضى الله عنه ماكان مثله ولا يكون . وكفى بهذا شرفا لهذا السيد رحمه الله وهو مدفون بقباب باب الفتوح .

وبلغنى أن سيدنا رضى الله عنه لما صعد لجنازته جلس وقت الدفن تحت شجرة زيتون هناك وهذه الشجرة مشهورة الآن عند بعض فقراء فاس مقصودة بنية التبرك وقد اشتهر عندهم أن من اشتكى بوجع الظهر واستند إليها يبرأ بأذن الله تعالى .

واتفق لى مع بعض المتفقهين الذين بطروا بتمشدقهم أنى حضرت فى جنازة دفنت بالروضه التى دفن بها صاحب الترجمة وسألت بعض الإخوان عن الشجرة المذكورة لأعرفها فقال لى ذلك المتفقه على طريق الإنكار ونحن جماعة جلسنا تحت ظلها ماحصله كان من حق علماء الطريقة التجانية أن يأمروا بقطع هذه الشجرة كما قطعت شجرة الرضوان لئلا تعبد من دون الله فقلت له دع عنك هذا التفقه . ألم يكن معروفا عند الخواص والعوام من أهل السنة أن التبرك بآثار الصالحين محمود ولايخاف على عوام المسلمين فساد العقيدة بالتبرك بنحو هذا فما بالك بغيرهم وأظن أنك بهذا القول أردت التبجح بعلمك وماذا تقول فى مآثر غير شيخنا رضى الله عنه على أنه موجود ماهو أقرب فى ادعائك للعبادة من هذه الشجرة كغار حراء الذى دخله النبي صلى الله عليه وسلم والحجر الأسود والأماكن المقصودة الزيارة فعلى مقتضى قولك هى أولى ماتسعى فى خرابه واندراسه ، ما أرى منك هذا إلا نزغة

اعتزال وقولة شنيعة تفضى للوبال فقام منكسا رأسه والجماعة تلومه على ماصدر منه وفقنا الله لما فيه رضاه .

ولما توفى صاحب الترجمة رحمه الله أتى أولاده إلى سيدنا رضى الله عنه بأمانة داخلها تسعمائة محبوب ذهبا ودفعوها إليه وقالوا له ياسيدنا إن هذه بقيت من المال الذى تدفعه للمرحوم للصائر على دارك فردها سيدنا رضى الله عنه لهم وقال رجل بقى مع رجل مدة من السنين ويوم توفى بقى عند أولاده شطية أيأخذها منهم ما هى شىء اهـ

ولصاحب الترجمة رحمه الله أربعة أولاد قد سلكوا فى هذه الطريقة مسلكه كانوا ملحوظين بعين التعظيم فى كل سكون وحركة وكلهم محبوبون عند سيدنا رضى الله عنه وقد أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم عليهم كما وقفت على ذلك فى مشاهد الخليفة المكرم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه .

ولده السيد محمد الكبير والسيد محمد الصغير

أولهم البركة الفاضل العارف الواصل أبو عبد الله سيدى محمد الكبير وهو أكبرهم وكان الشيخ رضى الله عنه يقربه منه ويدنيه إليه وقبره بباب الفتوح ، وثانيهم المحب الصادق فى الجناب الأحمدى والملحوظ بعين المودة عند سيدنا رضى الله عنه السيد محمد الصغير الملقب بابن المشرى وسبب لقبه بهذا الاسم ما بلغنى على لسان الثقة أن ابن سيدنا رضى الله عنه كان يتذاكر معه يوما إلى أن قال له يحق عليك البشارة فقال له ياسيدى وماذاك فقال له رضى الله عنه وجدت فى الكناش المكتوم أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى والدك سيدى العربى من سيدنا الشيخ رضى الله عنه فلقب من ذلك الوقت بابن المشرى ، وقد سافر مع أولاد الشيخ رضى الله عنه من فاس إلى عين ماضى وتوفى رحمه الله بناحيتها وقد تقدمت لنا فى ترجمة الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى رسالة أجاب بها القطب الكبير سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه صاحب الترجمة حين سأل منه النصيحة وقد ذكرناها هناك غلطا واعتذرنا عنها هناك فلينظرها من أرادها .

السيد محمد فتحا

ثالثهم ذو الخلق الجميل والقدر الجليل أبو عبد الله السيد الحاج محمد فتحا وقبره

قرب أخيه بقباب باب الفتوح .

السيد احمد

رابعهم أبو العباس السيد احمد هو أصغر إخوته سنا وهو مدفون بباب الحراء من فاس رحمه الله تعالى .

سيدي مسعود السعداني

ومنهم الشريف الأصيل والفاضل الجليل أبو البركات سيدي مسعود السعداني كان عند سيدنا رضي الله عنه ملحوظا بعين المودة ويحبه محبة خاصة وقد حدثني بعض أحفاده وهو من العدول المبرزين أن صاحب الترجمة كان الغالب عليه أن يأتي للاجتماع بالشيخ رضي الله عنه مع محبه الأرضي عم محمد الماروشي وكان الشيخ رضي الله عنه يقول لعم محمد الماروشي إذا اجتمع به وحده أين سيدي السعيد فكان الغالب عليه أن لا يقدم على سيدنا رضي الله عنه إلا إذا ذهب إلى صاحب الترجمة ويأتي به معه لحضرة الشيخ رضي الله عنه وإذا جاء بدونه يسأله عنه ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥١ ودفن بروضة الشرفاء السعدانيين بباب الفتوح .

سيدي العربي العراقي

ومنهم الشريف المنيف العلامة الظريف سلالة الأماجد الكرام وممـــدن الفضل بين الأنام أبو الوليد سيدي العربي العراقي أحد المفتوح عليهم من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه المقربين إليه والملحوظين إليه بعين الإجلال لديه وقد حدثني بعض إخواننا من الشرفاء العراقيين أن صاحب الترجمة كان يجلس مع سيدنا رضي الله عنه في بعض أوقات أكله على المائدة مع أنه لا يجلس معه إلا بعض الخاصة وقد كان جالسا معه يوما على المائدة فأتى ابنه علامة عصره ووحيد مصره شيخ بعض أكابر شيوخنا المحدث الشهير سيدي الوليد العراقي المتوفى في ٧ ربيع الثاني سنة ١٢٦٥ وكان صبيا فأجلسه سيدنا رضي الله عنه بحجره وصار يطعمه بيده المباركة وأعطاه لقيمات من الكسكسون الذي أعده لأكله في ذلك الوقت ودعا له بالفتح فكان من أمر هذا السيد الجليل ما كان من الفتح في العلوم الظاهرة والباطنة إلى أعلى مكان مع الحفظ الباهر ببركة دعاء سيدنا رضي الله عنه اهـ

سيدى عمر العراق

ومنهم ذو الفتح الظاهر والسر الباهر والقدر العلى والفضل الجلى الشريف الأصيل سيدى عمر العراق من أبناء أعمام المترجم له قبله . كان رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وقد حدثنى بعض أقاربه الاخيار أن سيدنا رضى الله عنه شهد لصاحب الترجمة بالفتح وأخبر سيدنا رضى الله عنه بأن النبى صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه من أولاده الحقيقيين وكانت له همة عالية مع انبساط نفس مع الخاصة من الأصحاب ولازال محافظا على ماتلقاه من الأذكار عن سيدنا رضى الله عنه إلى أن توفى رحمه الله ودفن بروضة العراقيين بباب الفتوح .

سيدي التهامى بن رحمون

ومنهم العالم العامل العارف الواصل الماجد الجليل الشريف الأصيل أبو محمد سيدى التهامى بن المكى بن رحمون أحد أكابر خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وكان سيدنا رضى الله عنه كثيرا مايدخل لداره بحومة النجارين بالدرب المعروف بدرب ميتة من فاس وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه محبة خاصة لما فيه من صدق المحبة وصفاء المودة وكان يخصصه من بين الأصحاب ببعض الأسرار الخصوصية ولازال عاضا بنواجذه على عهد هذه الطريقة المحمدية حتى توفى رحمه الله يوم الأربعاء ١٦ ذى القعده الحرام سنة ١٢٦٣ ودفن بزاوية سيدى قاسم بن رحمون وقبره بأعلى درج الباب من الدرب المشار له مكتوب عليه ، وله تقاييد عديدة وتآليف مفيده منها تقييد فى المسبعات العشر أبدى فيه وأعاد وأفاد فيه وأجاد ذكر فيه بعض ماتلقاه عن سيدنا رضى الله عنه فيها كما أخبرنى بعض أحفاده العدول الثقات .

السيد المدنى الشرايبى

ومنهم ذو الفتح المبين والدين المتين والكشف الصريح والفضل الصحيح أبو السعادة السيد المدنى الشرايبى ، هذا السيد من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وكان مفتوحا عليه فى هذه الطريقة وقد حدثنى سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أنه اجتمع به ورأى من كراماته مايبهر العقول وهو الذى قال له فى أول سفره من عين ماضى لابد أن تستوطن فاسا فكان الأمر كما قال له بعد أن كان لاينوى سكناها فى عمره .

وحدثني رضي الله عنه أيضا أنه حدثه بأن الشيخ رضي الله عنه لما أخبره بعض أصحابه بأن بعض أهل فاس الذين نفخ الشيطان في خناجيرهم وكانوا مسموعي الكلمة أرادوا أن يمكروا به ويخرجوه من فاس وشكوا به إلى الحضرة السلطانية وتخوف عليه أصحابه حصل لسيدنا رضي الله عنه غيظ جلالي، وكان جالسا مع جماعة من أصحابه من جملتهم صاحب الترجمة فقام سيدنا رضي الله عنه من بينهم لما سمع ذلك ودخل لداره فلم يلبث إلا قليلا وخرج رضي الله عنه وقال لأصحابه الحاضرين سمعت من الحضرة أني لاتصل إلىّ يد أحد بسوء أبدا.

وسبب أخذه الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه ماحدثني به سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه أنه رأى كأن القيامة قد قامت والناس في هول عظيم وإذا بشيوخ الطوائف يمرون فمنهم من نفى جميع من كان ينتسب إليه وطرده، ومنهم من نفى بعضهم كالشيخ سيدي محمد بنعيسى فإنه طرد أصحاب المزامير وبقيت معه طائفة ثم إن صاحب الترجمة لما رأى ذلك التفت فرأى موضعا كالجبل والناس يجتمعون فيه من كل فج ومن كل جهة حتى سد الأفق ثم طار بالناس المجتمعين عليه حتى مر على الصراط وهو يرى كلمح البصر فسأل عنه فقيل له هذا سيدي أحمد التجاني، فلما سمع ذلك جعل يديه على صدره وقال هذا هو الشيخ الذي نأخذ طريقه فاستيقظ وهو يقول ذلك، فقام وذهب إلى الشيخ رضي الله عنه وحكى له الرؤيا وأخذ عنه طريقته المحمدية وكان الشيخ رضي الله عنه يحبه ويثني عليه، وقد حدثني الفقيه العلامة السيد عبد السلام بناني أن عمه العلامة سيدي احمد كلابناني حدثه أن صاحب الترجمة كان عند سيدنا رضي الله عنه بمكانة عالية في المحبة اه

السيد المكي الشرايبي

وكذلك عمه الفقيه الأستاذ السيد المكي الشرايبي كان يحبه سيدنا رضي الله عنه إلا ان السيد المذكور لم يصح عندي أخذه الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه ثم كانت له محبة صادقة في الجناب الاحمدي وكان أولا ممن كانوا مشتغلين بالكلام في هذه الطريقة من المبغضين، وكان بعض علماء وقته ممن في مرتبته كالشيخ الطيب ابن كيران لايــ[illegible] يجتمع إلا به لموافقته لهم في الطبع، فاتفق أن توفي منهم بعض

المبغضين على حالة سيئة فألهم الله السيد المكي المذكور أن تفطن بأن ما أصاب ذلك الهالك إنما هو من جهة سيدنا رضي الله عنه فبادر إلى التوبة وقصد سيدنا رضي الله عنه وصار يتملق بين يديه ويطلب منه المسامحة عما كان يصدر منه وأنه من الآن تائب لله تعالى من الكلام فيه ومن مخالطة كل مبغض فقبله سيدنا رضي الله عنه وقال له سامحتك مائة مسامحة فتهلل وجه هذا الفقيه وهو يقبل يدي سيدنا رضي الله عنه وقال له اشهد علي ياسيدي أني أحبك لله محبة خالصة لوجهه لا لشيء آخر فقال له سيدنا رضي الله عنه أبشر بمحبتك فينا فإنك لا تموت إلا وليا ، ولازال هذا السيد على عهده في المحبة في الحضرة التجانية ، وبعد وفاة سيدنا رضي الله عنه أحس بمرض لم ير مثله وتحقق أن أجله قد قرب فأرسل إلى ابن أخيه صاحب الترجمة وقال له يا ابن أخي لابد من أن تذهب إلى ضريح الشيخ رضي الله عنه وتبلغه رسالتي وذلك أن تقول له إن فلانا وسمى نفسه يقرئك السلام ويقول ياسيدي إنك بشرته في حياتك بأنه لا يموت حتى يحصل على كذا وذكر له بعض مقامات بعض الأولياء وقد أشرف الآن على الموت وأماراتها توالت عليه وإلى الآن لم يظفر بذلك وها هو ذا رفع الأمر إلى الله ثم إليك قال فذهب وبلغ الرسالة كما أمره وبعد ذلك الوقت دخل عليه يعوده فوجده فرحا مسرورا مع شدة ما فيه من المرض فقال له يا ابن أخي إن النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ رضي الله عنه كانا عندي في هذه الساعة وبشراني بنيل كذا وأخبراني بأني سألتحق بهما في ساعة كذا من يوم كذا فكان الأمر كما قال رحمه الله .

السيد عمر الشرايبي

ومنهم الولي الصالح ذو السمي الرائع البركة العظمى السيد عمر الشرايبي ، هذا السيد رحمه الله مشهود له بالفتح المبين وكان ذا قدم مكين في هذه الطريقة كثير الأذكار وكان محترفا يبيع الحلوى وكل من اشتراها منه يقول له كلها بالفتح ، وكان حسن الصوت في السماع يقوم في وسط حضرة الذكر بحضرة سيدنا رضي الله عنه ينشد بصوت كأنه من مزامير داوود عليه السلام وله في مدح سيدنا رضي الله عنه قصائد عديدة بالوزن المعروف بالملحون .

ومن عجيب كراماته ما حدثني به الفقيه العلامة السيد عبد السلام بناني أن عمه

العلامة سيدى أحمد كلا كان مع جماعة عند صاحب الترجمة بداره فى ليلة وكان الناس فى شدة من حبس المطر يطلبون الغيث أياما فبينما الجماعة يتحدثون مع صاحب الترجمة إذ قال لهم على سبيل المباسطة إن أردتم نزول الغيث فكتفونى قال فلم تكد الجماعة تسمع هذا الكلام منه حتى تسارعوا إليه وكل واحد منهم يكتفه بما وجده ، فمنهم من أخذ عمامته يكتفه بها وبعضهم بكرزيته فصار لما رأى الجد منهم يستغيث فلا يغاث منهم فلما كتفوه جعلوه فى بناء البيت وحلفوا بالإيمان المغلظة أن لا يفكوه إلا بعد نزول المطر فحصل له حال كبير وصار يدعو الله ويبكى فبينما هم كذلك إذ هطلت السماء بمطر غزير بعد أن كانت السماء صاحية فتعجبوا من ذلك ، ولما أطلقوه من قيده سألوه عن سبب قوله ذلك فقال لهم لما تذاكرت معكم فى حبس المطر عرض لى ذلك الخاطر وحسنت ظنى فى الله بجاه سيدنا رضى الله عنه وصممت على أنكم إن فعلتم بى ذلك سقاكم الله بلا شك ، فلم أشعر بنفسى حتى أخبرتكم بذلك فلما فعل بى ذلك ندمت غاية الندم على ما صدر منى حيث لا ينفعنى الندم ولكن الله سلم والحمد لله على عفوه بعد قدرته .

السيد العباس الشرايبى

ومنهم العلامة المتقن الدراكة المتفنن المقتطف من أفنان الفنون أثمار المعارف والمقتبس من أنوار الأسرار طرائف اللطائف أبو أحمد السيد العباس الشرايبى ، أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه وشرب من حوضه المورود ما فاق به أقرانه وسبب أخذه لطريقة سيدنا رضى الله عنه ما حدثنى به العارف بالله سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه أن الأمير مولانا سليمان قدس الله روحه فى الجنان كان يجمع بحضرته العلماء الجلة من فحول عصره للمذاكرة فى العلوم وتدريسها وقراءة التفسير وكان من جملة من يحضر معه لذلك من الشيوخ الكبار الذين أخذ عنهم الأمير المذكور الشيخ الطيب بن كيران المتوفى فى ١٤ فاتح عام ١٢٢٧ سبعة وعشرين ومائتين وألف والشيخ سيدى عبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون المتوفى فى ١١ شعبان عام ١٢١٩ والشيخ سيدى حمدون بن الحاج وغيرهم وكان صاحب الترجمة من جملة الساردين المقرئين فاتفق أن حضر سيدنا رضى الله عنه معهم لما قدم لحضرة فاس وكان فى ذلك اليوم لهم نصاب فى سورة الناس من التفسير فشرع

الشيخ الطيب بن كيران يتكلم على عادته بحضرة الأمير المذكور فى ذلك المجمع الحفيل لمكانته فى العلم الظاهر وعلم المعقول فأبدى وأعاد وظن أن بما أبداه ليس له فى العلم مثيل وأذعن له فى ذلك بعض الحاضرين ثم التفت الأمير إلى الشيخ رضى الله عنه وقال له : ماذا يقول الشيخ فى هذه الآية فشرع سيدنا رضى الله عنه يتكلم فى الآية الشريفة بما أبهر به العقول من منقول ومعقول إلى أن قال سيدنا رضى الله عنه فى مسألة أطنب فيها الشيخ الطيب بن كيران وأرعد فيها وأبرق وظن أن شأوه فيها لايلحق ماحصله ما ذكره هذا المفسر ليس بصواب وليس عليه معول عند ذوى الألباب فقال الشيخ الطيب أتعترض علينا وقائل هذا فلان وفلان من المفسرين وأغلظ فى القول فقال له سيدنا رضى الله عنه بذلك المجلس الحفيل ليس الكلام معك أنت ولا تكن كن يحمل الأثقال ماحلوك تحمله وإنما الكلام مع هؤلاء المفسرين . ثم شرع سيدنا رضى الله عنه يبين وجه الصواب بالأدلة النقلية والعقلية إلى أن ظهر الحق لكل مرتاب وحصحص الحق وزهق الباطل وأقر بالتحقيق له كل مناضل وقال كل من بالمجلس والله إن هذا لهو الحق المبين وذلك كله بمرأى من الأمير ومسمع ، ثم انفض المجلس ولسان الشكر من المنصفين على سيدنا رضى الله عنه لاهج .

ثم تكلم الأمير مع من بقى من الحاضرين وقال أنتم تعلمون مقام سيدى أحمد التجانى وجلالته فى علم الظاهر ، وأما علم الباطن فهو أبوه وأمه وابنهما فماذا تقولون فقالوا والله إن قوله لصواب وقد حصحص الحق بلامين واتضح الصواب لكل ذى عين فأضمرها الشيخ الطيب عفا الله عنا وعنه فى نفسه من تلك الساعة إلى أن وقع منه فى جانب الشيخ رضى الله عنه ماوقع ، وفى الغد أتى صاحب الترجمة إلى الشيخ رضى الله عنه وطلب منه الدعاء وأن يسامحه فيما صدر منه مما يقتضى سوء الأدب لأن نفسه كانت مائلة إلى شيخه الشيخ الطيب بن كيران وأخبره بما وقع له بعد خروجه رضى الله عنه من ذلك المجلس من شكره وشتمه على حسب ما اقتضته أحوال الحاضرين وأنه رأى فى الليلة رؤيا مضمنها أنه رأى نفسه يتكلم مع بعض أهل الله فى أمر سيدنا رضى الله عنه وما وقع من أمر شيخ الجماعة معه فقال له ياأخى ألم تسمع قول الله تعالى (يأيها الذين امنوا لاتكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه

الله بما قالوا وكان عند الله وجيها) فهكذا حال الشيخ سيدي أحمد التجاني مع هؤلاء الناس ثم استيقظ من منامه ثم طلب الإذن من سيدنا رضي الله عنه في الطريقة فأذن له فيها ودعا له بالفتح المبين فهذا مضمن ماجرى له وكان سببا لأخذه الطريقة والله أعلم

السيد الطيب الشرايبي

ومنهم الفاضل الأمجد الكوكب الأسعد طيب المحتد السيد الطيب الشرايبي ، هذا السيد الفاضل من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الأقدمين المتمسكين بحبل الطريقة الشاربين من منهل الشريعة والحقيقة ، وقد كان مقربا عند سيدنا رضي الله عنه معظما محترما لصدق محبته وصفاء طويته وكان كثير المودة لسيدنا رضي الله عنه يسعى بقلبه وقالبه في كل مايرضي سيدنا رضي الله عنه لنيل رضاه رحمه الله .

سيدي حمدون بن الحاج

ومنهم علامة زمانه وفريد عصره وأوانه خاتمة المحققين والمتوج بتاج المعرفة بين العارفين ذو الفتح المبين بقية السلف الصالح العلم الواضح نابغة الشعراء وقس الفصحاء أبو المكارم والمحامد المقصود لكل محتاج سيدي حمدون بن الحاج ، هذا السيد الكبير ذو القدر الشهير من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه الملحوظين بعين التعظيم وهو أحد العلماء الجلة من فحول هذه الملة الذين عاصروا سيدنا رضي الله عنه فألقوا له السلاح حين أراد الله بهم سلوك طريق النجاح والفلاح بعد أن تبين لهم الحق من الباطل الذي لم يبق بعده قول لقائل إلا لمن كابر وعاند من جاهل أو متجاهل غير أن هذا السيد الجليل رحمه الله لم يصح عندي أخذه طريقة سيدنا رضي الله عنه إلا من طرق مختلفة لأنه لم يكن كثير الترداد لزاوية سيدنا رضي الله عنه في وقت قراءة الوظيفة كما هي عادة جل الأصحاب ، وذكر لي بعضهم أنه كان يذكر ذلك في خاصة نفسه ولم يحضر الزاوية غالبا لموانع اقتضاها الوقت ، وقد كان رحمه الله كثير التنويه بجناب سيدنا رضي الله عنه وتعظيمه غاية التعظيم بين الجاحدين وأهل التسليم حتى كان بعضهم عفا الله عنا وعنه يلومه على ذلك ومع ذلك كان رحمه الله لايبالي ولاتأخذه لومة لائم في طلب المعالي فكان يأتي بمرأى من العدو والصديق والصالح والزنديق ويسأل سيدنا رضي الله عنه عن المسائل

العلمية طلبـــا للافادة وللأخذ عنه من المواهب والأسرار والمعـارف والفرائد والطرائف مما يبهر العقول ويفتضح به أهل النواميس ممن يدعي الوصول ، ومن جملة قصائده في مدح سيدنا رضي الله عنه قوله :

إن شئت تصبح في رياض أمان — وأردت تغدو في منى وأماني
وتروح دأبا في حياض مواهب — تسقى بكاسات من العرفان
وتظل في ظل المكارم ساميا — أبدا وتمسي في حلى الإيمان
وتبيت قطب معارف وعوارف — متبخترا بحظـــائر الإيقان
متـــلذذا بإنابة متـــدللا — بصبابة فردا بكل زمان
فعليك بالبدر المنير سنا أبي الـ — عباس أعني أحمد التجاني
شمس السيادة قطب دائرة الهدى — بدر السعادة كوكب الإحسان
بحر الندى فيه لنا حكم سمت — كفرائد في العقد والتيجـــان
حبر إمام قد سما بمعارج — في الصالحات ولم يكن متواني
بحر همام قد طما وله الرسو — ل مبشر باليمن ذا إعلان
حث المطايا نحو ساحته إذا — ماشئت تنشق نفحة الرحمن
تلق الهبات الوافرات وتنمحي — ماقدمته يداك بالغفران
وتكون في أعلى الجنان مهنئا — بالروح من مولاك والريحان
يارب أسعد زائريه بالذي — قصدوا الوصول له بلاحرمان
بالمصطفى ينبوع كل مفاخر — صلى عليه الله كل أوان

وقد ذكر منها طرفا في كتاب الأشراف ولده العـلامة الأجل الفاضل المجل أبو عبد الله السيد الطالب المتوفى في ٩ ذي الحجـة الحرام عام ١٢٧٣ ولصاحب الترجمة تآليف عديدة كلها في موضوعات مفيدة ووشح جملة منها ببعض المعارف التي تلقاها عن سيدنا رضي الله عنه ، ومن أراد الإطلاع على طرف من ذلك فلينظر الجزء الرابع من شرح ميميته المسمى بعقود الفاتحة واعلم أن ترجمة صاحب الترجمة من أوسع تراجم علماء الأمة يحتاج في بسطها إلى مجلدات ومما ذكرناه في هـذه العجـــالة كفاية . توفي رحمه الله عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف ودفن بقباب باب الفتوح .

ومنهم السلطان الهمام حامل ألوية الاسلام عالم السلاطين وكهف الضعفـــاء والمساكين من لبس حلة القبول فى الظاهر وفى الباطن حليـة العرفان أبو الربيع مولانا سليمان قدس الله روحه فى الجنان .

كان رحمه الله إماما عادلا وعالما عاملا وقد أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه بإذن من النبى صلى الله عليه وسلم وشهدله بأنه من أولاده الحقيقيين وقد شهد من كرامات سيدنا رضى الله عنه ماثبت الله به اعتقاده فيه بحيث لم يؤثر فيـه قول المعاندين المنكرين على سيدنا رضى الله عنه ، على كثرتهم فى ذلك الوقت ، وقد بلغنى على لسان الثقـة أنه كان كثيرا مايطلب من الشيخ رضى الله عنه أن يريه النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، وسيدنا رضى الله عنه يقول له أخاف عليك أن لاتقدر على ذلك ، وهو حريص على ذلك ، ومقصود صاحب الترجمة بذلك أمران: أولهما وهو الأهم عنده أن يسمع منه بأنه من أولاده الحقيقيين كما أخبره بذلك سيدنا رضى الله عنه . الثانى: أن يتيقن بأن جميع مايخبر به سيدنا رضى الله عنه حق لاريب فيه ، فتطمئن نفسه بذلك ، فلايلتفت بعد ذلك لقول أعاديه . فلما اشتد طلبه لذلك من سيدنا رضى الله عنـه ، ولم تفـد فى رده عن هـذا المطلب حيلة ، أجابه سيدنا رضى الله عنه لبغيته وأوصاه أن يكتم سره عن كل أحد وليجعل محلا طاهرا طيبا فارغا من جميع الأمور من فرش وغيره يعده مخصوصا لذلك ، وأن يكون وحده فى ذلك الموضع ، فاستعمل ذلك كلـه ، ولما أراد الدخول إلى ذلك المحل حصلت له هيبة عظيمة لم يقـدر على الجلوس به وحده لذكر مالقنـه من الأذكار الخصوصية لذلك فلم يكمل العمل من كثرة ماحصل له من الدهش . وسمعت من بعض الإخوان أنه طلب من سيدنا رضى الله عنـه الحضور معـه بنفسه لذلك ، فأجابه لمرغوبه وحضر معه فى ذلك المحل ، فبينما هما يذكران إذ أشرق المحل الذى هما فيه ، وامتلأ بالأنوار المحمدية صلى الله عليه وسلم . فحصل الدهش لصاحب الترجمة لما رأى ذلك وغاب عن حسه ، وبعد ساعة أفاق من غيبتـه فوجد يد سيدنا رضى الله عنه على صدره ، فلما فتح عينيه قال له سيدنا رضى الله عنه لابأس عليك وأنه صلى الله عليه وسلم ضمن لك كذا وكذا . فقال له صاحب الترجمة جزاك الله عنا خيرا . ولقد

قلت لي لا أقدر على ذلك وأنا أتهم نفسي حتى رأيت ذلك بالعيان .

ولنذكر هنا رسالتين بمنهما سيدنا رضي الله عنه لصاحب الترجمة :

نص الأولى بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حمد الله مثل جميع ما أثنى به على نفسه في حضرة ذاته العلية من حيث لا اطلاع لغيره عليه جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس بمجده وكرمه يصل الكتاب إلى الدرة اليتيمة والنسمة الكريمة ذي الأوصاف الجليلة شرفا والأخلاق البهيـــة ترفا والجوانب الواسعة كنفا الجوهرة التي انطبقت عليها أفراد الأحياء صدفا ، حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل الحائز قصب السبق إلى ملاك كل غال والمرتفع في أوج العز إلى معانقة المعالي رافع راية العلا والكرم ، والسامي بعلو همته عن مواقف الذل والتهم ، من أحدقت به من الله جنود العز والتأييد وأهرعت إلى حماه سوابق الجلالة والتفريد ، من طلعت شمس سعده في سماء المجد والعلا وضياء بدره في غياهب الوقت قد تجلى ، أعني بذلك أمير المؤمنين خليفة رب العالمين ، سيدنا ومولانا سليمان بن مولانا محمد الشريف الأصيل الماجد الأثيل ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني الحسني . هذا ونسأل الله لك جلت عظمته وتقدست أسماؤه وصفاته أن يديم على سيدنا عواصف رياح نصره وتأييده ، وأن يحله في رياض الهدى محل توفيقه وتسديده ، وأن يملا قلبه بالخوف من الله في سره وعلانيته ، فان تلك المرتبة ، ماسعد من سعد في الدارين إلا بها ، ولافاز برضى الله من فاز في الدنيا والآخرة إلا بها ويالها من مرتبة ترقى بالعبد إلى أوج ملاك المعالي وتطهره من رذائل الأخلاق التي تهبط به إلى حضيض الاتصاف بالأوصاف الردية البوالي ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وبعد فالذي أوصيك به كل الوصية ، بل هي واجبة من خالفها هلك ، وهو الكتم على ماذكرناه لك قبل ، ثم الكتم مطلقا من غير استثناء ، فالأسرار قبورها صدور الأحرار والأسرار قبورها صدور الأخيار ، والأسرار قبورها صدور الكبار .

قال بعض الكبار :

السر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتحه والباب مقفول
وليس يكتم سرا غير ذي كرم والسر عند لئام الناس مبذول

والذى تسمع فى الوصية أنه ما استغنى عن الوصية من غيره لا كريم ولا كامل اعلم أن الله عز وجل قد ولاك أمر خلقه وائتمنك على بلاده وعباده فأنت أمين من أمناء الله فى بلاد الله وعباده والله سائلك عن أمانته وعن مافعلت فيها فاحذر من الله أن يجدك فرطت أو اشتغلت عن أمره بلعب ، لكن تكميل الأمر من كل وجه لايستطاع بحكم الوقت والحال ، وعدم المساعف وعدم القابلية فى الخلق ، لكن ليكن سيرك على حد قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وعلى حد قوله صلى الله عليه وسلم (إذا أمرتم بشىء فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتم عن شىء فانتهوا)

وأحذرك بما سمعت من الخصوصية التى أعطيتها من فضل الله تعالى ، فلا تأمن مكر الله فى حال من الأحوال . قال سبحانه وتعالى (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) فإن لله سبحانه وتعالى من وراء خصوصيته مكرا وتدبيرا وغيرة يؤاخذ عبده بها من حيث لايظن ، وإن كان من ذوى الخصوصية ، وأوصيك بالضعفاء من الخلق فإنهم محل نظر الله من خلقه ، فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله . وأوصيك بالمظلومين ، يقول صلى الله عليه وسلم مامعناه ، من ولاه الله ملكا فأتاه ذووالحاجات فاحتجب عنهم احتجب الله عن حاجته ، الحديث ومعناه إن احتاج إلى الله فى أمر نزل به فرفع حاجته إلى الله مستغيثا مما نزل به احتجب الله عن حاجته فلايلتفت إليه ولايعبأ بدعائه ولا استغاثته بالله . دبر كيف ترضى ربك فى حوائج المظلومين ، ولاتتغافل ولاتفرط والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الرسالة الثانية : نصها بعد البسملة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم المقام الذى يجب تعظيمه واحترامه ، والسميدع الذى هو غاية المجد والكرم وتمامه والسيد الذى هو ذروة العز وسنامه سيدنا الشريف الأصيل ذى الشرف الباذخ الثابت الأصل ، حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل بدر التمام حامى حمى الإسلام رافع راية الخلافة الإسلامية الإلهية المتحلى بحلية الملة المحمدية ملاذ الحاضر والبادى أعنى بذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين سيدنا سليمان بن محمد نصره الله نصرا عزيزا . وأعلى فى أوج السعادة الأبدية شمسه ، وأدام فى روض نزهات المواهب

الإلهية أنسه سيدنا نسأل الله عز وجل أن يكتبك فى ديوان أهل السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة وأن يجعل سبحانه نظره فيك بعين عنايته بك ومحبته لك واختصاصه لك بمواهبه ونصرته لك وتأييده لك بعزه وحمايته لك فى الدنيا والآخرة ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يجعل يوم قدومك عليه ولقائك له يوم عيد وفرح وسرور وتكريم وحبور، ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يعاملك بفضله ورضاه عنك فى الدنيا والآخرة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل جنوده نصرة لك حافة بك من كل جهاتك أينما توجهت، وأن يصلح بك العباد والبلاد وأن يشد بك أركان الإيمان والدين وأن يفيض بك الخير والأمان على جماعة المسلمين وأن يكون لك وليا ونصيرا ومعينا وحافظا. ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يقلب قلبك فى مراقبته حتى تصير جوارحك متصرفة فى أغلب أوقاتها فى خدمته وأوصى سيدنا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأعظه بما وعظه الله به قال سبحانه وتعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) إلى قوله الفائزون وقوله تعالى (يأيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) إلى عظيما وقوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) .. إلى قوله يظلمون وقوله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) وقوله تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما) .. إلى قوله الغرور

ولك فى تدبير آيات الله واعظ واعتبار وهداية واستبصار، فأطعم نفسك من أدويته بالثبات والاصطبار، فإنه من الأدوية على من أدمن متابعة هواه بالتوالى والإدبار. وأقول السلام على سيدنا ورحمة الله وعلى من انتظم فى سلك عقده من أهل وخادم ورفيق وصاحب وحميم صديق من كاتبه إليك العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجانى عامله الله بفضله دنيا وأخرى إنه ورد على أمر عازم من سيد الوجود بحر الكرم والجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال لى ماهذا قوله: اكتب كتابا لولدنا سليمان بن محمد أمير المؤمنين وقل له ليس على وجه الأرض أكبر قدرا ولا أعظم خطرا من وردى الذى أمليته عليك فقل له يتلوه، فبذكره إياه يصلح الله له عاقبة أمره فى دنياه وأخراه. وقل له ليس على وجه الأرض أعظم قدرا ولا أعظم خطرا من دعائى الذى أمليته على على بن أبى طالب المسمى بالسيفى، فبقراءته بدفع

الله عنه البلايا الظاهرة والباطنة ، ويجلب له به خير دنياه وأخراه وعلمه الاستخارة التي علمتها لك ، وكذلك قراءة الفاتحة سبعا بنية الاسم دبر الصلوات ولايخل نفسه من الصلاة على بصلاة الفاتح لما أغلق قدرطاقته ، فإن المداوم على هذا يصلح الله له أموره الظاهرة والباطنة وعلمه بعض فضل الفاتح لماأغلق قدر الطاقة إلى هذا انتهى نص قوله صلى الله عليه وسلم الذى أمرت بتبليغه إليك

وليكن فى كريم علمك أن حالى معه صلى الله عليه وسلم بمنزلة خادم الملك الجالس فى حضرته بالصمت والأدب ، ولايطلب أمرا ولا يلم من عندالملك بشيء وإنما هو إذا أمرالملك بأمر بادر وامتثل ، وإلا فهوجالس فى حضرة الملك بالأدب والصمت ، ولا أقدر ان أطلب منه شيئا ولا أن أسأله عن شيء ولا أتوجه إليه فى شيء إلا إذا أمرنى بفعل شيء امتثلت . وقد زجرنى وأدبنى عن الطلب والسؤال منذ سنين .

وأما الورد الذى أملاه على صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن ألقنه الناس فهو أستغفر الله مائة . وصلاة الفاتح لما أغلق مائة . ولا إله إلا الله مائة تذكرها مرة صباحا ومرة مساء . فالصباح من صلاة الصبح إلى الضحى والمساء من صلاة العصر إلى العشاء وأخبرنى سابقا أن من داوم على ورده هذا أدخله الله الجنة وأبويه وأزواجه وأولاده بلاحساب ولاعقاب ولايحل به عذاب من ساعة موته إلى المستقر فى الجنة .

وأما الكلام على الفاتح لما أغلق وعلى الفاتحة بنية الاسم والسيفى والاستخارة فسأجرده لك وحده فى كتاب آخر . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . انتهى

وقد وقفت على رسالة تشابه خط صاحب الترجمة مضمنها يقتضى أنها جواب عن الرسالة المتقدمة نذكرها هنا ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه : عوض والدنا ، سيدنا وشيخنا وقدوتنا المحمدى أبوالعباس سيدى أحمد ، أحمد الله لى له وأصلى وأسلم على نبيه الكريم ، بلغنا مسطوركم الأبرك وحمدنا الله تعالى على ماخصنا به من رضى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله علينا بشفاعته وإذا أحب

الله عبدا استعمله (فأما من أعطى واتقى) والله يوفقنا بجاهكم عند رسول الله وهذا الأمر لا أريد أن أخلي نفسي من مباشرته ولا آمن أن أضيع أو أفرط فعليه أردت أن أعمل أنا ويعمله أيضا نيابة عني صاحبكم أخونا في الله احرازم لما عسى أن يقع منا وتوجه إلى الله سيدي في صلاح قلبي وأن يعصمني من كل مايمنعني من النظر إلى وجهه الكريم ويحطني عن رتبة المقربين بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيضا يجب عليك هذا لأنك تعلم أن بصلاحي صلاح من ولاني الله عليهم وبفسادي فسادهم فالدعاء لي دعاء عام اهـ وكان أول اجتماع سيدنا رضي الله عنه بصاحب الترجمة هو عام قدومه على فاس المشار له بقول المنية :

ثم إلى فاس مدينة الفخر ظعن في عام ثلاثة عشر

وزينت ببهجـــة التجاني في العام سادس ربيع الثاني

وقد ذكر في البغية هنا أنه لما اجتمع به رحب به وسهل ونوه بقدره وبجل وأنفذ له الدار المعروفة بالحضرة الفاسية بدار المراية فامتنع سيدنا رضي الله عنه من قبولها لأمر حاك في صدره ففطن السلطان قدس سره لذلك فكلمه بما أزاح عنه وجه الإشكال في أمره ثم بعد أيام من سكناه أخبر الخاصة من أصحابه بأنه إنما يسكنها بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لهم أنه عليه الصلاة والسلام أمره بشيء يفعله وذكر بعض الخاصة من أصحابه رضي الله عنه وملازميه أن الذي أمره به صلى الله عليه وسلم يفعله هو تصدقه بمقدار كرائها على المساكين وكان يتصدق بذلك خبزا عند انقضاء كل شهر من أشهر المدة التي سكن بها إلى أن توفي رضي الله عنه الخ ماذكره في البغية .

واتفق لصاحب الترجمة قدس سره مع سيدنا رضي الله عنه لما أذن له في بناء الزاوية المباركة بفاس أن بعث له صرتين في كل واحدة ألف ريال وقال له استعن بهما على بنائها فردهما سيدنا رضي الله عنه وقال له أمرها قائم بالله فألح عليه في قبولها فامتنع سيدنا رضي الله عنه من صرفها في شئونها بل أمر بالصدقة بهما على الفقراء والضعفاء ولعل صاحب الترجمة قدس سره أراد بذلك اختبار سيدنا رضي الله عنه هل هو من أهل الدنيا أومن أهل الآخرة فأراه سيدنا رضي الله عنه ماتيقن به أن المقصود منه هو الدار الآخرة وظهرت به من جلالته المنقبـــة الفاخرة

والله أعلم بمقصود سيدنا رضى الله عنه بذلك ، وقد سئل رضى الله عنه عن أخذ جوائز الملوك فأجاب رضى الله عنه بقوله قال على كرم الله وجهه السلطان يجمع حلالا وحراما فما أعطاك فخذه .

وأجمعت العلماء على أن أعطية الخليفة جائزة وأما نوابه الذين تحته فلا لكون الخليفة اجتمعت عليه الناس فله التصرف فى أموالهم وأما غيره فهو ظالم ويؤيد هذا حكاية مالك رضى الله عنه حيث أعطاه السلطان ثلاثة آلاف دينار فأجاب حين سئل عن ذلك إن السلطان لو أنصف وأعطى لذوى المروءة حقهم لكان لى مثل هذا مرتين لأنه من أكبر ذوى المروءة رضى الله عنه وسئل مالك مرة أخرى عن الجوائز فقال لاتجوز قيل له رأيناك تأخذها أنت قال أتريد أن تبوء بإثمى وإثمك وأما قبول أولياء الله للظلمة فإنه أمر متواتر وهو من معاملة خلق الله بالرحمة انتهى من الجامع .

ولهذا يتبين لك أن سيدنا رضى الله عنه لم يقبل ذلك من صاحب الترجمة إلا لنكتة والله أعلم واعلم أن هذا السيد الجليل ذيل ترجمته طويل فلنكتف بهذا النزر هنا والله الموفق .

توفى رحمه الله بمدينة مراكش يوم الخميس ١٣ ربيع الأول عام ١٢٢٨ وقبره هناك مشهور رحمه الله تعالى .

السيد عبد القادر السلاوى

ومنهم الموشح بوشاح الفضل والسيادة والمبرز على منصة المجد بين ذوى السعادة العلامة الجليل أبو محمد السيد عبد القادر بن محمد السلاوى هذا السيد من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كان سيدنا رضى الله عنه يعتنى بهم غاية الاعتناء ويحبهم المحبة الخصوصية من بين الأحباء وهو من أعيان فقهاء سلا الملحوظين بعين الإجلال عند الحضرة السليمانية سقاها المولى بشآبيب المواهب الإحسانية وهو الذى أجابه سيدنا رضى الله عنه بالرسالة المذكورة فى جواهر المعانى ونصها بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد الثناء على الله بما هو أهله قال رضى الله عنه ، وبعد فقد وصلنا كتابكم وقرأناه وفهمنا ما تضمنه خطابكم وسألت فيه عن أحوالنا وأحوال أصحابنا فاعلم وأننا والحمد لله بخير وعلى

خير فلله الحمد وله الشكر حتى يرضى بما يرضى قد عمنا وعم أصحابنا ماعم عامة المسلمين فالحمد لله على كل حال ونسأل الله عز وجل أن يحفنا وإياكم بلطفه فى الدنيا والآخرة وأن يغمرنا وإياكم بسوابغ فضله وكرمه حالا ومآلا أبداً سرمداً وأن يكون لنا ولكم وليا ونصيراً ومعينا ومؤيداً فى جميع أحوال الرخاء والشدة وأن يتحفنا وإياكم كمال العافية ودوام العافية وعز العافية والاستتار من جميع نواحينا بالعافية إنه ولى ذلك والقادر عليه ، والذى أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت ووطن قلبك على الثبوت لمجارى الأقدار الإلهيــة ولاتعود نفسك بالجزع من أمر الله فإن ذلك مهلك للعبد دنيا وأخرى وإن اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك فى باب لطفه واسأله من كمال لطفه تفريج ماضاق وزوال ما اشتد كربه وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى فى ذلك وليكن ذلك منك على حالة ، منفرد القلب بالله متفرداً عن الشواغل مثل حالة المرأة الكبيرة السن التى ليس لها إلا ولد واحد أخذ من بين يديها ليقطع رأسه فهى تتوسل بالله وبالناس فى كشف مانزل بها فإنها فى هذه الحال ليس لها هم غير ولدها ولايلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة فإن من كان على هذه الحالة وفزع إلى الله تعالى فى نزول الكرب والشدائد على هذا الحد وناداه باسمه اللطيف ما استطاع أسرع إليه الفرج فى أقرب وقت وإن لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر وإياك والانهماك فى مطالب دنياك حتى تتعدى حدود الله التى حدها فى شرعه فتهلك نفسك ومالك ملجأ من الله وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح « ألا وإن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولايحملنكم استبطاء شىء أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لاينال ماعنده إلا بطاعته » .

وهذا البحر هو الذى ترى فيه جميع الخلق غرقى وهلكى إلا من عصمه الله بفضله ثم الحذر الحذر من تكرار الفزع إلى الله تعالى فى كل كرب فإنك بذلك يصير لك الجزع من أمر الله عادة ولاتنتفع بحياتك بل يكون الأمر مرة ومرة ، مرة تثبت لأمر الله ولاتجزع ولا تطلب التفريج ومرة تسأل من الله التفريج فمن صار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية وتمكن فى حياته

من الحياة الطيبة الواقعة فى قوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية

وفيما ذكرناه كفاية والسلام عليكم ورحمة الله انتهى

وصاحب الترجمة هو الذى سأل سيدنا رضى الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » قائلا مع أنه عليه الصلاة والسلام حى فى قبره بذاته الشريفة التى كان عليها فى دار الدنيا مع أن روحه الشريفة دائمة فى حضرة القدس أبد الآبدين ، فأجابه سيدنا رضى الله عنه كما فى الجامع ونصه :

معنى حياته فى قبره أن الروح تمد الجسد فى القبر بنورها من الحضرة القدسية فهذا معنى الحياة فى القبر وكذلك حياة العارفين ، وأما قوله عليه الصلاة والسلام إلا رد الله علىّ روحى يعنى روحه التى فى حضرة القدس ترجع إلى جسده الشريف لرد السلام على المسلم عليه وترجع إلى مقرها وهى حضرة القدس والسلام اهـ

وذكره أيضا فى جواهر المعانى إلا أن النسخة المطبوعة نقص منها لفظة وسئل رضى الله عنه كما نقص منها لفظة فأجاب رضى الله عنه الخ وذلك بعد جوابه عن حقيقة الرؤيا فاعرف ذلك والله الموفق .

وقد وقفت على رسالة بخط صاحب الترجمة تتعلق بهذا الموضوع نذكرها هنا منقولة من خطه المرونق مباشرة نصها :

الحمد لله وحده ، المقام الذى سما قدره ومقداره وتضاءلت شموسه وأقماره من سما فى سماء المعالى وغاص فى بحر الفواضل حتى استخرج منه أصل اللآلىء ، من لاحت لنا معالم تقواه وبدت بين سرب الأقطاب جدواه إسيدنا الإمام وملاذنا الهمام صاحب السر الربانى مولانا أحمد التجانى : سيادة مولانا أحيي وأفدى والشهادة بحبها أوفى وأودى ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته وبعد فبما يجب به الإعلام لسيدنا أن مولانا الشريف الهمام المنيف سلالة الأطهار المنتخب من السادة الأبرار سيدنا محمد بن الصادق بن ريسون العلمى أفضى بنا معـــه مذاكرة إلى أن ذكرت له سؤالى لسيادتك عن الحديث الشريف « مامن مسلم يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام »

فاستحسن الجواب وما تضمنه من الصواب وكتبته له بخطى ونبهته عليه ليريه مولانا الإمام فساعفنى لذلك بقلبه وقالبه وذلك من محبته فيك وفيمن يحبك ثم أخذه ودخل به لسيدنا نصره الله فاستحسنه غاية الاستحسان وتذاكر مع الشريف المذكور فى شأنه وكتب بخط يده الشريفة كتابا لك لاعلم لنا بمافيه. هذا والشريف سيدى محمد المذكور يسلم عليك السلام التام المحفوف بالمجد والإعظام مدى الدهور والأعوام والكل يطلب الدعاء من سيدنا متمسكين بك فى الحال وكذلك فى الاستقبال والسلام . تلميذك ومحبك عبد ربه عبد القادر بن محمد السلاوى الله وليه ومولاه انتهى

سيد العباس بن كيران

ومنهم القاضى الأجل الفاضل الأكمل العلامة المبجل السيد العباس بن كيران كان رحمه الله من أجل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين اقتبسوا من أنواره واقتطفوا من أزهاره وأنواره، ومما بلغنى عنه أنه كان يقول سمعت سيدنا رضى الله عنه يقول اللطف لطفان لطف عام ولطف خاص وهذا المراد بقوله تعالى إن ربى لطيف لما يشاء وهذا خص الله به أصحابنا ا ه بهذا اللفظ .

ومن فوائد صاحب الترجمة أن السلطان مولانا عبد الرحمن قدس الله روحه فى الجنان سأله عن سؤال رفع لحضرته وهو إعادة الصلاة جماعة بعد صلاة الإمام الراتب فأجابه بقوله : سئل شيخنا التجانى رضى الله عنه عن ذلك فقال له لابأس بذلك بعد الراتب الذى يأخذ الأجرة عن صلاته فقيل له فى ذلك فقال وأى شىء تنكرون فقالوا خوف الطعن على الإمام فقال لهم الإمام مذبوح بأخذ الأجرة فكيف يؤثر فيه الطعن ثم قال صاحب الترجمة وقد فعل هذا بحضرته رضى الله عنه وهو لايسكت عن منكر أبدا فلوكان هذا منكراً ما أقره ا ه

السيد أحمد بن كيران

ومنهم البركة المكرم الفاضل المنعم الناسك الذاكر الحامد الشاكر أبو العباس سيدى أحمد بن كيران كان عند سيدنا رضى الله عنه محبوبا مقربا وكان من العارفين الذاكرين الله كثيراً وهو أحد المؤذنين بالزاوية المباركة قرب وفاة سيدنا رضى الله عنه وبعدها ، وقد حدثنى بعض بناته الصالحات وكانت تحبنى محبة خاصة رحمها

الله تعالى أن سيدنا رضي الله عنه قال لو الدها تعني صاحب الترجمة كل من رأى وجهه يدخل الجنة ومن رأى من رآك كذلك فكان رحمه الله الغالب عليه الجلوس في باب الزاوية ويقول انظروا وجهي لتفوزوا فقد قال لي سيدي كذا وكذا رحمه الله

سيدي محمد بن أحمد

ومنهم الفاضل الأجل البركة الأمثل ذو النفس المنبسطه التي بحبل الديانة مرتبطة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين تمسكوا بحبه وفازوا بقربه ووصله وهو أول الأصحاب لحوقا من فقراء فاس بسيدنا رضي الله عنه واتفق له أن كان مع جماعة من بعض الطرق جالسا فقاموا لحلقة الذكر فأتاه أحد المعتبرين منهم ليقوم معهم لحلقتهم فامتنع من ذلك فأقسم بالإيمان المغلظة ليقوم معهم فقام جبراً لخاطرهم جبراً عليه فبمجرد مادخل لحلقتهم حصل له تثاؤب فانفلت حنكه وبقي كذلك إلى أن مات وبهذا تحصل التربية للمريد الصادق في سلوك طريقة شيخه فأنت ترى هذا السيد من أفاضل الأصحاب ولم يدخل لحلقة تلك الطائفة إلا بروراً لقسمهم خوف الانقطاع وقد وقع له ماوقع وذلك لطف من الله به والموت أهون من الانقطاع فلذلك لاينبغي للمريدين الاجتماع مع غير إخوانهم لئلا يقعوا في عين القطيعة عياذاً بالله .

السيد حمادي الصفار :

ومنهم الخائض في العلوم العرفانية والمقتطف من أفنـــان المواهب الربانية ذو النفع الطاهر والدر الباهر البركة السيد حمادي الصفار من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين لهم قدم الصدق في الطريقة والمعرفة الكاملة في علوم الحقيقة وكان معروفا بالصلاح مشهوداً له بالفتح الصحيح والنجاح وكان يخبر بأمور فتأتي كفلق الصبح ، وكان شديد البحث عن المعارف واقتناء اللطائف والطرائف وبعض النـاس يتهمه بمعرفة علم السيمياء فيقصدونه لذلك فكان يدافعهم بالتي هي أحسن ولا تستبعد معرفة هذه الأسرار عن أهل الله فإنها أقل رتبة يدركها الأولياء قدس سرهم ، وكان بعض أكابر الأصحاب ممن يحصل انبساطه معهم يلقبونه بالقـار وسبب لقبه بذلك مابلغني عنه أنه أتى يوما إلى زيارة سيدنا رضي الله عنه واستأذن في الدخول عليه كما هي عادته رضي الله عنه في كل من يريد الاجتماع به فقال النبي

استأذن عليه ياسيدي هذا السيد حاده الصغار وكان عند الشيخ رضي الله عنه جماعة من أصحابه فرفع الشيخ رضي الله عنه رأسه إليه وقال له .ادا الفار فقيل للشيخ رضي الله عنه هذا فلان فأذن له في الدخول ثم سار الإخوان يقولون قد لقبه الشيخ بالفار ، وقد بلغني عن الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه أنه كان يقول عند حكايته لهذه القضية حدثني بعض من حضر عند الشيخ رضي الله عنه في ذلك الوقت أن الشيخ رضي الله عنه لم يقل فيه ذلك على جهة ما إلا أنه لم يسمع اسمه أولا وثانيا : قال وعلى كل حال فأفهام العارفين رضي الله عنهم ووقائعهم وما يطرأ من أقوالهم وأفعالهم ولو نسيانا أوغلة سمع مثل هذه القضية فلا تخطىء موقع الإشارة منها فإن هذا السيد رحمه الله يعني صاحب الترجمة كان كثير البحث عن الأسرار والمعارف والله أعلم

سيدي محمد بن فقيره

ومنهم العدل الزكي والعاقل الذكي والفاضل الأجل والبركة المبجل أبو عبد الله السيد محمد بن فقيرة ، كان رحمه الله محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه لصدق محبته وإخلاص نيته . وقد كان رحمه الله فقيها وجيها وعدلا نزيها يتحرى الشبهات في أموره كلها وكان في فن الوثائق لايضاهى . وقد أوصى بعض إخوانه بقوله :

إياك أن تبادر بالشهادة في ثلاثة أشياء : التعريف بخطوط الأيدي ، فإن الخطوط تتشابه ، والمسارعة إلى التعريف بها من علامة المستهزئين بشهاداتهم ، والتزكية والترشيد ، والأول أشدها . وكان يقول : من علامة حذاقة العدل أن يصغر شكله في الرسم وأن يكتب الوثيقة على سنن السلف وأن يراعي محل الإطناب ومحل الإيجاز بأن يعطي لكل موضع حقه .

وبلغني عن صاحب الترجمة أنه كان يحدث عن دفع همة سيدنا رضي الله عنه وكشفه فيقول :

ذهبت أنا وبعض الاكابر إلى زيارة سيدنا رضي الله عنه بتاريخ ١٢١٨ هـ فلما اجتمعنا بالشيخ رضي الله عنه وضعت أنا درهما بين يدي الشيخ رضي الله عنه ووضع صاحبي أمام الشيخ رضي الله عنه أربعين ريالا قال فأخذ الشيخ رضي الله عنه الدرهم بيده وجعل يقلبه في يده ويمعن النظر فيه ثم شد يده عليه حتى دخل به

لداره رضى الله عنه ، وقال لصاحب الأربعين ريالا خذ متاعك فقال له : ياسيدى هى زيارة فكاشفه الشيخ رضى الله عنه وقال احمل متاعك لست أبيع الأولاد . وكان مما أضمره ذلك الرجل أن يرزقه الله الأولاد ببركة الشيخ رضى الله عنه ولم يقبل من دراهمه فلسا واحدا وهكذا دأب سيدنا رضى الله عنه مع كل من يأتيه بزيارة بقصد غرض فإنه لايقبل مايهديه إليه .

وقد بلغنى عنه رضى الله عنه أنه كان إذا دعاه أحد لوليمة لايمتنع من الإجابة حتى قال له يوما بعض خاصته ياسيدنا إن الناس يدعوننا لنكون معهم كالطوائف فقال . وكيف ذلك ؟ فقال إن أصحاب المنزل يقولون إن قضى الله الغرض الفلانى نجعل لكم وليمة وإن يسر الله علينا كذا نفعل لكم نزهة وهكذا فقال له الشيخ رضى الله عنه أنا مانمشى لهذا الشىء ، ثم صار لايذهب إلا لمن علم إخلاص نيته لله تعالى ، وأما لغير ذلك فلايقربه بحال .

فائدة : ذكر فى الإفادة الأحمدية أن سيدنا رضى الله عنه أكل مع بعض أصحابه طعاما فرفع بعضهم شيئا سقط على السفرة ، فقبض على يده آخر وقال : هو على بمثقالين ، فقال رضى الله عنه : اعطوه له الله يربحه . فسئل رضى الله عنه عن ذلك فقال: لابأس بالبيع الذى يقع بين الفقراء إذا كان بإذن شيخ كامل . وقال مرة أخرى لبعض الأصحاب اشترى شيئا من الفقراء مما يبيعونه بينهم بنية قضاء حوائجهم فلما أراد أن يأكله قال له رضى الله عنه لاتتمن على الله شيئا ليكون شراؤه غير معلول والله أعلم

الحاج الكبير لحلو

ومنه البركة المعظم والماجد المكرم الذاكر الخاشع الكبير المتواضع ذو الأخلاق العظيمة والمناقب الجسيمة الفقيه الأجل الفاضل الأكمل أبوعبد الله السيد الحاج الكبير محمد بن عيسى لحلو . هذا السيد الجليل من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، كان رحمه الله من المفتوح عليهم فى هذه الطريقة المحمدية مشهودا له بالفتح الأكبر والولاية العظمى وكان ينوب عن سيدنا رضى الله عنه فى بعض الأذكار الخصوصية مع بعض الخاصة من أصحابه .

وبلغنى عن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه قال دخلت على

صاحب الترجمة أعوده في مرضه الذي توفي فيه قال فتكلمت معه إلى أن قلت له ياسيدي: الأوراد التي كنت تذكرها هل نوبت من يذكرها عنك، فقال رضي الله عنه: لا أنوب أحدا في ذلك، فقد سمعت سيدنا رضي الله عنه يقول: كل من كان من أصحابي يذكر ذكرا وحال بينه وبينه مرض فإن الله يقيض له ملكا يقضيه عنه فلا أترك الملك ينوب عني وأنوب بشريا.

ثم قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه: والنيابة عندنا في طريقتنا المحمدية تجوز في سائر الأذكار ماعدا الأركان الثلاثة: الورد والوظيفة وذكر الجمعة، كما رواه عن صاحب الترجمة قال: وكنت أنوب عنه في جملة من الأذكار منها ذكر « اللطيف ».

وحدثني بعض أولاد صاحب الترجمة أن أجداده في أول الأمر كلهم كانوا ينتسبون إلى العارف بالله سيدي محمد بنعيسى رضي الله عنه وكان صاحب الترجمة على قدم أجداده في الاقتداء بالولي المذكور في أذكاره الخصوصية وكان مصاحبا لبعض الفقهاء ممن يقرأ معه على العلامة الكبير الولي الشهير سيدي إدريس البكراوي رحمه الله، وكان آخذا طريقة سيدنا رضي الله عنه وكان الفقيه المذكور إذا اجتمع مع صاحب الترجمة يذكر له مناقب سيدنا رضي الله عنه فاشتاقت نفسه إلى الدخول في هذه الطريقة، ولما قدم سيدنا رضي الله عنه لفاس خرج مع الفقيه المذكور لملاقاته رضي الله عنه قرب وادي سبو من مدينة فاس. فلما اجتمع بالشيخ رضي الله عنه أخبر الفقيه المذكور سيدنا رضي الله عنه باشتياق صاحب الترجمة للاجتماع به فقال له الشيخ: إنه من أصحابنا، ولما حضرت الصلاة قدمه سيدنا رضي الله عنه للصلاة به، وهي أول صلاة صلاها مع سيدنا رضي الله عنه فلم يرجع لفاس حتى دخل مع الشيخ رضي الله عنه من جملة خدامه ولما دخل الشيخ رضي الله عنه لفاس صار صاحب الترجمة لا يفارقه غالب أوقاته لاستغراقه في المحبة استغراقا كليا فصار أهل الطريقة الأولى التي كان عليها أسلافه يلومونه على تركه لطريقة أجداده فكان لا يلتفت إلى قولهم وكانت والدته تخاف عليه من تركه لطريقة كان عليها أسلافه فاتفق لها معه أنها كانت تشتكي مدة مديدة بعينيها فقالت له ياولدي إن كان هذا الشيخ كما تقول فليدع الله لي ليحصل لي الشفاء فنصدق بولايته وكان الشيخ

رضي الله عنه بدارهم في ذلك اليوم فأخبر صاحب الترجمة بذلك سيدنا رضي الله عنه فقال له الشيخ رضي الله عنه أين هي فقال له ياسيدي هاهي ذي من وراء البيت فقال له الشيخ رضي الله عنه ائتني بتلك الحشيشة وأشار لربيع في قراميد حلقة الدار ثم أمر أن يأتي بها لحضرته فلما جلست بين يديه وهي كالضريرة فقال له الشيخ رضي الله عنه أهذه هي التي تقول كذا وكذا على جهة التوبيخ وتفل في عينيها وقال لها قم فصارت تبكي بين يديه وتقول ياسيدي أنا تائبة إلى الله تعالى فقال لها الشيخ رضي الله عنه لابأس عليك ثم عرك الشيخ رضي الله عنه ببنانه تلك الربيعة وهي المعروفة عند أهل فاس بصحيفة الملوك وقال لولدها صاحب الترجمة اجعله على عينيها وتنام به إلى الغد ففعل ما أمره الشيخ رضي الله عنه وفي الغد أزاله عن عينيها فذهب عنها ما كانت تشتكي كأن لم يكن بعينيها شيء من يومها ببركة سيدنا رضي الله عنه، فمن ذلك الوقت استغرقت هي أيضا في محبة سيدنا رضي الله عنه.

السيدة صفية لبادة

وحدثني ولده أيضا أن الولية الصالحة ذات التجارة الرابحة والكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة المجذوبة الشهيرة السيدة صفية لبادة كانت ساكنة بدار أبيه، وكانت تحبه محبة خاصة مذ كان يافعا وكانت تقول إذا رأت أحدا يلومه على شيء دعه عنك فإن هذا سيدي وسيدكم، ومن عجيب أمر هذه السيدة رضي الله عنها أنها كانت وقت جذبتها تخرج الأسواق بادية وتتكلم بكلام المجاذيب وكانت تأتي إلى الخربة التي جعلت الزاوية مكانها قبل إنشائها وتجعل أذنها إلى ناحيتها وتميل رأسها إليها وتقول للمارين اسمعوا لا إله إلا الله لا إله إلا الله.

ولهذه السيدة الجليلة كرامات كثيرة ومكاشفات بين الناس شهيرة وكان الغالب عليها في حال جذبها المبيت خارج البلد، وقد حدثني سيدنا الوالد أدام الله سعادته أن والده حدثه أن الولي الصالح السيد بن لحبوب حدثه أنه رأى هذه السيدة رحمها الله خارج باب البلد تصيح وتبكي بكاء كثيرا حتى لقيها الولي الصالح سيدي حفيد بن عدو رحمه الله فقال لها مالك قلبت الدنيا في عنقك بهذا البكاء والعويل فقالت وكيف لا أبكي وقد رأيت في هذه الليلة الماضية ثلاثة من الملائكة نزلوا من السماء وبقوا في الأرض إلى وقت الفجر فأخذ أحدهم الحياء وصعد به وأخذ الثاني البركة

وصعد بها وأما الثالث فإنه أراد أن يرفع القرآن فلم يقدر عليه فصعد وتركه ، فقال لها اتركى عنك هذا الأمر فإن الله هو الفاعل المختار وما للعبد فى مراده اختيار

توفيت رحمها الله أول عام ١١٩٩ ودفنت داخل باب الفتوح بالروضة المعروفة بروضة سيدى الجمايدى ، ولصاحب الترجمة رحمه الله من أولاده السالكين نهجه فى هذه الطريقة المحمدية ستة كلهم أخذوا طريقة سيدنا رضى الله عنه بواسطة وبلا واسطة .

الحاج تهامى لحلو

ومنهم الفاضل الأمجد الكوكب الأسعد السيد الحاج التهامى لحلو كان ذا قدم فى الطريقة ثابتة ومحبة صادقة وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه ويدعو له بالفتح ويدنيه منه وهو صبى صغير ، واتفق له يوما أن فقدته أمه من الصباح إلى الضحى وهو صبى لجأ والده إلى الشيخ رضى الله عنه وأخبره بأنه قد فقده فقال له الشيخ رضى الله عنه اذهب لصقلابية داركم فهو فيها يأكل الجوز فلما ذهب وجده هناك ، توفى والده الحاج الكبير رحمه الله فى سابع عشر شعبان ١٢٧٧ هـ ودفن بقباب باب الفتوح رحمه الله .

السيد حمادى لحلو

ومنهم البركة الأجل والفاضل الأكمل الملحوظ بعين العناية بين أهل الولاية أبو عبد الله السيد محمد المعروف بحمادى لحلو ابن أخ السيد الكبير لحلو وهو الذى رباه فى حجره لموت أبيه ، كان رحمه الله ممن يحبهم سيدنا رضى الله عنه وقد امتاز عن كثير من أصحاب سيدنا رضى الله عنه بالذهاب معه لغالب نزهاته بوادى سبو فكان يسبق سيدنا رضى الله عنه لموضع النزهة فلا يصل سيدنا رضى الله عنه حتى يجد جميع أمور النزهة قائمة على أحسن ماينبغى وكان بحضرة سيدنا رضى الله عنه يحمل ولدى سيدنا رضى الله عنه السيدين الكبيرين البدرين المنيرين على كتفه وينزل بهما فى صهريج دارهم بحومة الجياف المقابلة للزاوية المباركة وبوادى سبو أيضا ، وسيدنا رضى الله عنه ينبسط لذلك .

توفى رحمه الله فى فاتح ربيع الثانى عام ١٢٩٧ وهو مدفون بباب الفتوح .

السيد عبد السلام الزموري

ومنهم الفقيه الألمعي والأريب اللوذعي المقتطف من أفنان رياض الأدب أزهارا والمقتبس من مصباح المعارف أنوارا أبو محمد السيد عبد السلام الزموري أخذ طريقة سيدنا رضي الله عنه وانتفع بمحبته ونال منه فوق أمنيته وقد وقفت له على قصيدة يستغيث فيها بسيدنا رضي الله عنه نظمها وهو في السجن بمراكش حين قبض عليه أمير وقته لما وشي به إليه مع جماعة من الفضلاء ففك الله سجنهم في الحين ببركة سيدنا رضي الله عنه وهي هذه :

ياصاح إن عظم البلا فانهض إلى ... باب الإله الواحد المنان
وتشفعن بالمصطفى بحر الوفا ... سر الوجود ومعدن العرفان
وبآله وبصحبه وبمن تلا ... منهاجهم في سائر الأزمان
وبقطب دائرة الولاية كلها ... شيخ المشايخ أحمد التجاني
بدر الهداية والمربي بنظرة ... يحيي بها قلب المريد العاني
سعد الذي قد فاز منه بنظرة ... أمنت جوارحه من النيران
ياصاحبي إن جئت فاسا فانزلن ... بضريحه كالهائم الولهان
مرغ جفونك واتخذها زورة ... تعلو بها شرفا على كيوان
واعلم بأنك لو صدقت وأشرقت ... أنوار قلبك فزت بالرضوان
قف نحو ذاك القبر وقفة ضارع ... متملق قلق بدمع قان
وقل السلام عليك يا بن المصطفى ... ياملجأ المضطر واللهفان
ياكنز أسرار تفتح نورها ... في كل قلب صادق الإيقان
إنا قصدنا بابك المرجى لمن ... وافاه ملتمسا رضى الرحمن
فانهض بهمتك التي كانت لنا ... وقت الحياة دريئة الشيطان
وانظر إلينا بالحنانة إننا ... أسرى بموقف ذلة وهوان
قد أثقلتنا في الحديد أساور ... كدنا نخر بها على الأذقان
ولطالما قلق الفؤاد وقلما اكـ ... تحلت بلذة غمضها أجفاني
والآن وجهنا لقبرك مدحة ... كيما تخلصنا من الأحزان
فبحق من ولاك رتبك التي ... هي تاج أهل الصدق والعرفان

ويحق من ورثوا الجامدعنك في قيد الحياة على صفاء جنان
مثل ابن حرزهم المقدس وابز مه زوز مع المشرى والسفيانى
والحلو جارك فى الضريح قراره وكذاك باقى سائر الإخوان
إلا نهضت بعزمة تفدى بها أسراء ممتهنين فى الأسجان
ثم الصلاة على النبي محمـــد ماحن مشتاق إلى الأوطان

توفى رحمه الله فى أول جمادى الثانية عام ١٢٧٩ ودفن خارج باب عجيسة بجامع ... سيدى محمد بن الحسن رحمه الله .

السيد بوعز البربرى

ومنهم البركة الأجل والصالح المبجل الشريف الجليل السيد بوعز البربرى . ... رحمه الله من ذوى المحبة الصادقة فى الجناب الأحمدى مع التمسك بحبل الطريقة ...انية وهو الشريف الذى قدم على الشيخ رضى الله عنه مختفيا للاجتماع بسيدنا ... جميع القبائل التى جمع الفتان الشهير بامهاوش والقضية مشهورة ، وقد تعرض ... لقضية صاحب الترجمة معـــه إلا أنه لم يسمه ونصها وقد حدثنى بعض ... الأفاضل الأخيار ممن أخذ عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه أنه كان قاطنـا ببلاد البربر بأهله فلمـا كانت السنة التى جمع فيها الفتـان الشهير بامهاوش جميع ... البربر وتحزبوا على أن يتبعوه إلى أن يدخل فاس ويفسد ملكها ويعيث فى ...ضيها فوافقوه على ذلك وساروا بما لايحصى كثرة من الخيل والرجالة قاصدين إلى ... قال المحدث فسرت معهم مختفيا وقصدى الاجتياز إلى فاس فلما نزلوا بأقرب ...بال من فاس تركتهم ومضيت إلى فاس ، وكان من أهم الأمور عندى بفاس الانخراط فى سلك سلسلة أهل الله تعـالى فاتفق أن ذكر لى الشيـخ رضى الله عنه ... وبعض فضائلهـا فسألت عنه ثم قصدت إليه فى الحين فأذن لى فى الدخول ... بباب داره فألفيته مشتغلا بالذكر وهو قائم يذهب ويجىء فأشير على بالجلوس ... يفرغ فجلست حتى إذا فرغ قمت إليه وسلمت عليه فسألنى من أين أقبلت وعن ...سى وأحوالى ومقصدى فأخبرته ، ثم طلبت منه تلقين ورده فلقننى ، ثم استشرته ... الانتقال من بلاد البربر إلى بعض المدن ، فقال لى نسـاؤهم يصلين مستفهما منى عن ذلك ، فقلت له ياسيدى بعضهن يصلى . فأشار على بعدم الانتقال فى ذلك الوقت

وحين أردت توديعه سألني عن الفتان المذكور ومن معه وماذا يريد فأخبرته بما هو عليه ومن معه من القوة والشدة وبما يريدون ، فالتفت رضي الله عنه إلى ناحيتهم ومد كفه وقال فيها أف ، ثم توادعت معه ودعا لي بخير . فتوجهت من حيني وخرجت .

وفي صبيحة الغد وصلت إلى المحل الذي تركت فيه امباوش ومن معه فسألت عنهم فقيل انهزموا بالأمس وقت كذا وصاروا لايلوى أحد منهم على أحد ، ولم يدر أحد ماسبب ذلك . قال فلم أشك في أنهم هزموا في الساعة التي نفخ فيها الشيخ رضي الله عنه نحو ناحيتهم . وأن الله تعالى ألقى في قلوبهم الرعب ببركة همة سيدنا رضي الله عنه اه

السيد محمد المشرف الغربوي

ومنهم البركة الأمجد الكوكب الأسعد ، ذو المحبة الصافية والمودة الوافية في الجناب الأحمدي السيد محمد المشرف الغربوي .

هذا السيد كان محبوبا عند سيدنا رضي الله عنه . وقد كان سيدنا رضي الله عنه رتب له كل سنة ثلاثين ريالا . وذلك أن سيدنا رضي الله عنه لما ارتحل إلى جبل العلم لأخذ القراءة بالتجويد على بعض المتقنين لذلك ، وفي سفرته هذه حبسه المطر بخيمة صاحب الترجمة نحوا من العشرين يوما . فلما استوطن سيدنا رضي الله عنه فاسا بعد ذلك ، سمع به صاحب الترجمة ، فأتى إليه . ولما حضر بين يديه وصله رضي الله عنه بذلك وعهد إليه أن يأتي لأخذ مثلها على رأس كل سنة . فكان يأتي على رأس كل سنة فيجد الصلة مهيأة له دراهم معدودة إلى أن توفي صاحب الترجمة فصار سيدنا رضي الله عنه يدفعها لابن صاحب الترجمة وهو من أصحابه أيضا . وقرب وفاة سيدنا رضي الله عنه بيوم أو يومين أتى ابن صاحب الترجمة إلى سيدنا رضي الله عنه فقال سيدنا رضي الله عنه لولده سيدي محمد الكبير رضي الله عنه قل لأمك تعطيك دراهم ابن المشرف وأدخله باب الدار وأعطها له ولا تنظر إليها ، كما في الإفادة الأحمدية . وأشار لقضيته في البغية والله أعلم

السيد ابراهيم السباعي

ومنهم العلامة الأجل والدراكة الأفضل الفقيه الأمجد الشريف السيد ابراهيم

ابن أحمد السباعي . كان من فقهاء الطريقة الراوين من حوض الشريعة والحقيقة وهو أحد الطلبة النجباء الذين كانوا يحضرون مجلس العلامة سيدي عبد الرحمن الشنقيطي . وقد أخذ الطريقة ، وهو شاب تقي ناسك نقي عند سيدنا رضي الله عنه وهو السبب في دخول العلامة سيدي الحفيان العمري لطريقة سيدنا رضي الله عنه كما تقدمت لنا الإشارة إلى الكرامة الواقعة له معه في ترجمته رحم الله الجميع .

السيد علال بن جلون

ومنهم الفقيه الوجيه الأديب النزيه المحتسب الأرضى العدل المرتضى السيد علال ابن جلون الكوفي لقبا الفاسي دارا ، كان من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه ومن خيار أهل وقته عالما عاملا ، سيدا فاضلا . وقد كان يقول فيه ولده العلامة الجليل الدراكة النبيل أبو محمد سيدي المدني بن جلون المتوفى ليلة ١٤ ربيع الأول عام ١٢٩٨ ماحفظت عن والدي رحمه الله أنه اغتاب أحدا أو أخرج الصلاة عن وقتها أومدح الدنيا وقد ولي خطة الحسبة بفاس فقام بها أحسن قيام وأجمل الناس الثناء عليه بين الأنام .

ومما حدثني به والدي من مكارم أخلاق صاحب الترجمة أنه كان مارا لموضع الحكومة بسوق القفازين يوما من الأيام وقد جعل بعض الخضارين قعـــدة من الزيتون في المحجة بحيث ضيق به الطريق فلما وصل لباب حانوت صاحب القعدة سقط صاحب الترجمة من كثرة ازدحام المارين في وسط القعدة فتلطخت ثيابه من درد الزيتون فقام وذهب لموضع حكومته ولم يتكلم مع صاحب الحانوت بكلمة أصلا ، وغاية ماقال لأهل السوق على لسان بعض أعوانه إنكم تضيقون الطريق بنحو ذلك ، والآن لاتعودوا لفعل ذلك ومن فعله فالكلام حينئذ يكون معه .

ومن فوائد صاحب الترجمة مانقلته بواسطة ثقة من خطه ونصه : أخبرنا بعض الأفاضل الثقات من أصحاب سيدنا رضي الله عنه عن شيخنا القطب الجامع سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه أنه كان لايعجبه التداوي بالعشبة المعروفة لما يحتاج إليه معها من تنقية الفم بما يخالف طبعها وعدم أمن العاقبة ، ويأمر أن يتداوى عوضها بترهلا بأن تطبخ ويشرب ماؤها أربعين يوما ولايحتاج معها إلى تنقيـــة الفم ، وجربت فظهر خيرها والحمد لله رب العالمين

وأخبرني بعض أولاده أنه أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه بباب داره التي بزقاق الرواح .

توفي رحمه الله صبيحة يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى عام ١٢٧٢ هجرية ودفن بالروضة المجاورة لزاوية سيدي الخياطي التي بدرب الحرة من طالعة فاس .

السيد محمد بن جلون

ومنهم مهفهف الأطراف المتحلي بحسن الخلق بين العامة والأشراف السيد محمد ابن جلون أحد المنشدين بحضرة سيدنا رضي الله عنه قيد حياته وكان ذا صوت رخيم تكاد الطير أن تتساقط لسماعه مع الديانة التامة والقيام على ساق الجد في سلوك الطريقة الأحمدية أحسن قيام ، ومما بلغني عنه مما رآه من كرامات سيدنا رضي الله عنه في إغاثة الله لمن استغاث به رضي الله عنه ، أنه سافر للحج مع الركب المغربي فبينما هو في الطريق إذ نزل للاستراحة فغلبته عيناه فنام فما استيقظ حتى ذهب الركب ولم يجد له خبراً فبقي جالسا في موضعه طول ليلته ثم استغاث بالشيخ رضي الله عنه في تخليصه من هذه الورطة ورفع صوته بالاستغاثة فما أتم نداءه حتى وقف بجنبه شخص وقال له إن كنت تطلب الركب فقم معي ، فخطا به خطوات فوجد الركب مقيما وكانت بينه وبين المحل الذي وجد فيه الركب مسافة بعيدة ، فلما وصل إليهم لم يجد أثرا لذلك الشخص ، وماذاك إلا ببركة سيدنا رضي الله عنه .

الحاج احمد بن عبد الله

ومنهم المحب الصادق المتوج بتاج القبول بين الخلائق الفاضل الأمجد البركة الأنجد أبو العباس السيد الحاج أحمد بن عبد الله ، هذا السيد رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، كان كثير المحبة في جناب سيدنا رضي الله عنه ، وكان سيدنا رضي الله يحبه محبة خاصة ولا يناديه إلا بلفظ السيادة . وكان رحمه الله محترفا بحرفة الحرير وطرزه معلما زكيا عارفا تقيا ذا يد سخية وهمة علية مع كونه كان في مبادىء أمره فقيرا .

وقد بلغني عنه أن سيدنا رضي الله عنه لما أراد أن يجعل العرس لسادتنا أولاده رضي الله عنهم احتاج إلى حوائج الحرير فأمر سيدنا رضي الله عنه صاحبه الذي كان يقضي له المآرب بالحضور بين يديه وجعل يقيد مايذكره له سيدنا رضي الله عنه

من الحوائج التي يريد شراءها حتى قيد حوائج كثيرة لها بال من الثمن ، وكانت عادة سيدنا رضى الله عنه أن يجعل أموره كلها من الأشياء الفاخرة الغالية الأثمان وكان صاحب الترجمة معهما فى ذلك الوقت حاضرا فطلب من سيدنا رضى الله عنه أن يمكنه من التقييدة المذكورة ليقضى له مافيها لكونه عارفا بتلك الصنعة فساعده سيدنا رضى الله عنه على ذلك فما مضت مدة يسيرة حتى أتى بالحوائج المطلوبة ووضعها بين يدى سيدنا رضى الله عنه فوجدها فى غاية الحسن ثم قال له سيدنا رضى الله عنه ياسيدى أحمد كم ثمن هذه الحوائج فقال له ياسيدى إنى سألتك بالله وجدك رسول الله ﷺ إلا ماقبلت هذه الحوائج منى هدية إليك فقبلها سيدنا رضى الله عنه منه ودعا له بالفتح والغنى فى الدارين ، فمن ذلك الوقت حصل الغنى لصاحب الترجمة بعد أن كان فقيرا لا يظن أن رأس ماله يساوى ثمن تلك الحوائج وصار يضرب به المثل فى الغنى وهو الذى وهب على الزاوية المباركة الماء فى أول الأمر وأجراه إليها من داره .

توفى رحمه الله سنة ١٢٦٣ هجرية ودفن بباب الفتوح .

السيد المكى بن عبد الله

ومنهم المحب الأرضى الفاضل المرتضى السيد الحاج المكى بن عبد الله ، كان من أفاضل الأصحاب المحبين لجناب سيدنا رضى الله عنه ولكافة أصحابه . ومما بلغنى عنه أنه لما أراد ابن عمه السيد الحاج أحمد المذكور إجراء الماء الذى بداره المجاورة للقرويين آخر سماط العدول للزاوية المباركة منعه من ذلك بعض المبغضين الذين جرت قواديس مياههم بالطريق فشد الرحلة صاحب الترجمة معه إلى مكناسة الزيتون بعد أن شهد لها أرباب البصر بأنه لاضرر فيه على أحد ورفعا الأمر إلى ملك وقتهم فأمر بإجرائه على رغم أنوف المبغضين ، ولما وصلا لفاس دفعا مالا كثيرا للعملين ليوصلوه من دارهم إلى الزاوية المباركة فى ليلة واحدة ففعلوا ذلك من غير علم الإخوان بذلك فلما جاء الإخوان فى الصباح وجدوا الماء يجرى ففرحوا بذلك وحصل لهم النشاط التام طبق ماقصده صاحب الترجمة وابن عمه المذكور من إدخال السرور عليهم بذلك رحم الله الجميع .

وكان صاحب الترجمة مع ابن عمه المذكور من الملازمين فى الذهاب مع سيدنا

رضى الله عنه غالبا لوادى سبو وكان الشيخ رضى الله عنه يحبهما ويحب كل من ينتمى إليهما .

ومما بلغنى أنهما خرجا مع الشيخ رضى الله عنه يوما للنزهة بالوادى المذكور مع جملة من الإخوان على عادة سيدنا رضى الله عنه فسمع بذلك البركة الفاضل المعلم السيد العربى أخو السيد أحمد المذكور وكان محترفا بحرفة أخيه المذكور فأقام مايحتاجه للغذاء وذهب مع صناعه ليطوى هنالك شغله بقرب المحل الذى تنزه فيه سيدنا رضى الله عنه ليتبرك به ، وكان كثير الحب فى جناب سيدنا رضى الله عنه إلا أنه لم يصح عندى أخذه للورد الشريف . ولما اجتمع فى ذلك المحل بسيدنا رضى الله عنه رفع سيدنا رضى الله عنه يديه للفاتحة ورفع الإخوان الحاضرون يديهم معه ثم قال الشيخ رضى الله عنه يا أصحابنا يعم السيد العربى مايعمكم وإن لم يأخذ الطريقة لمحبته ومحبة أخيه السيد أحمد وابن عمه فينا والله الموفق .

سيدى محمد الدلائى

ومنهم الولى الصالح ذو السعى الرابح المشهود له بالفتح الصحيح والكشف الصريح أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله الدلائى ، هذا السيد من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين أخذوا عنه طريقته المحمدية وكان رجلا مسنا قيد حياة سيدنا رضى الله عنه حتى أقعده الهرم فى بيته لايخرج ولا يدخل ، وقد شهد له سيدنا رضى الله عنه بالفتح المبين ، وقد بلغنى على لسان الثقة أن بعض أصحاب سيدنا رضى الله عنه رأى فى رؤيا أن صاحب الترجمة مات فلما أصبح جاء إلى سيدنا رضى الله عنه وأراد أن يقص عليه الرؤيا ، ولما أراد أن يتكلم التفت إليه سيدنا رضى الله عنه وأسكته وقال له ذاك رجل فتح الله عليه الليلة مكاشفا له ومعبرا لما رآه وهى من كرامات سيدنا رضى الله عنه وكرامات صاحب الترجمة وهو مدفون بباب الحمراء من هذه الحضرة الإدريسية .

عم أحمد بنونه

ومنهم السيد الأجل والخير الأكمل ذو الهمة العالية والشيم الغالية البركة عم أحمد بنونه الملقب بالنية ، كان رحمه الله ذا دنيا واسعة جدا وكان شديد البحث عن الأولياء والتبرك بالصالحين منهم والمجاذيب على اختلاف طبقاتهم ويصاحبهم وقد

تلق عنهم أذكارا كبيرة وأورادا كثيرة ، ولما تلاقى مع سيدنا رضى الله عنه ورآه أخذ بقلبه وقالبه وصار يتحبب إلى سيدنا رضى الله عنه بالمودات ولا يفارقه غالب الأوقات ، وطلب المرة بعد المرة من سيدنا رضى الله عنه أن يلقنه ورده الشريف وسيدنا رضى الله عنه يقول له بشرط أن تترك جميع ماعندك من الأذكار اللازمة من المشايخ الذين أخذت عنهم فلم تسمح نفسه بذلك إلى أن رأى مارأى مما كان سببا فى أخذه لطريقة سيدنا رضى الله عنه وذلك ماحدثنى به الفقيه العلامة السيد عبد السلام بنانى عن عمه الفقيه سيدى أحمد كلا حدثه أن صاحب الترجمة لما امتنع سيدنا رضى الله عنه من تلقينه ورده إلا عن قبوله لشرطه قام فى ليلة مباركة وذكر فيها جميع أذكاره وطلب من الله تعالى أن يريه مرتبة سيدنا رضى الله عنه فرأى فى رؤيا ذات سيدنا رضى الله عنه تكبر إلى أن بلغت الغاية فى العظم وسدت الأفق فصار يتملق بين يدى سيدنا رضى الله عنه فى تلك الرؤيا لما حصل له من الدهش المفرط إلى أن استيقظ من منامه فقام من حينه وذهب إلى الزاوية المباركة وسأل عن سيدنا رضى الله عنه فقيل له أنه فى النزهة بالمحل الفلانى فذهب إلى داره وهيأ مايصلح للغذاء وخرج فى طلبه أين هو ثم إن سيدنا رضى الله عنه قال لأصحابه الحاضرين معه ليقم أحدكم لملاقات أحد أصحابنا فإنه فى وسط الطريق لم يدر أين محلنا فقام أحدهم إليه فأتى به ، ولما اطمأن به المجلس أراد أن يقص الرؤيا على سيدنا رضى الله عنه بذلك المجمع المبارك ، فما استتم هذا الخاطر حتى التفت إليه سيدنا رضى الله عنه وقال حاكيا لأصحابه ومراده صاحب الترجمة حيث لم يرد سيدنا رضى الله عنه إفشاءا لما رآه للحاضرين مامضمنه أن بعض الناس كان مصاحبا لبعض المشايخ وله أذكار كثيرة تلقاها عنهم ، وكان يطلب منه أن يأذن له فى طريقه فامتنع من ذلك إلا على شرط ترك جميع أوراد غيره فلم تسمح نفسه بذلك ، ولم يأذن ذلك الشيخ إلا عن قبول ذلك الشرط ، فطلب ذلك المريد من الله تعالى أن يريه مقام ذلك الشيخ فرأى ذلك المريد ذات ذلك الشيخ سدت الأفق ثم استيقظ من منامه وذهب إلى ذلك الشيخ ليأخذ عنه مع الوفاء بشرطه فوجده جالسا مع بعض أصحابه فأذن له قبل أن يعلمه بالرؤيا ونهاه عن إفشائها لأحد من خلق الله وإنه إن أفشاها يموت ، ثم التفت الشيخ رضى الله عنه إلى صاحب الترجمة ولقنه الطريقة

وتفطن لما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه وأسر الرؤيا في نفسه إلى أن توفي سيدنا رضي الله عنه ومرض صاحب الترجمة مرض موته ورأى أن الحياة له من المحال فأخبر بذلك الحاضرين عنده ومن جملتهم المحدث ثم توفاه الله تعالى .

سيدي عبد الله القهوجي

ومنهم الولي الصالح ذوالفضل الواضح والسعي الرابح أبو محمد سيدي عبد الله القهوجي المعروف عند أهل مراكش ببباعبّو ، أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه وظافر منه بالنظرة النافذة ، وكان مشهودا له بالفتح الكبير عند الإخوان وغيرهم متبركا به عند العامة والخاصة ، وكان الفقيه العلامة سيدي محمد إكنسوس يعظمه غاية التعظيم ، وكذلك الولي الصالح سيدي العربي بن السائح وأنه كان يلحظه بعين الإجلال والتبجيل وكذلك غيرهما من أهل عصره ومصره وكان محترفا يبيع القهوة وكان يجعل فيها بعد طبخها الربيمة المعروفة بشيبة العجوز أعني المعروفة عند أهل فاس بالشيبة ، وكان عنده بخط سيدنا رضي الله عنه الحزب السيفي وعند وفاته دفعه لبعض خاصة أصحابه . وبلغني عنه أنه هو الصاحب الذي ذكر خارج الحضرة يوم الجمعة فقال سيدنا رضي الله عنه أما فاتك من خير كما في الإفادة . توفي بمراكش رحمه الله .

سيدي محمد بن سلامة المضاوي

ومنهم الفاضل الكامل العارف الواصل ذو الصدر السليم والفضل العميم أبوعبد الله سيدي محمد بن سلامة المضاوي أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه وكانت محبته في سيدنا رضي الله عنه يضرب بها الأمثال وقد خرج عن جميع مايملكه من الأصول وغيرها مع كثرتها ودفعها ليد سيدنا رضي الله عنه وهو مدفون قرب مدفن الفقيه سيدي محمد بن المشري بعين ماضي وقد تأخرت وفاته قرب أوائل القرن الرابع عشر .

السيد بوسماحة

ومنهم ذوالبر الباهر والفضل الظاهر محب سيدنا وحبيبه السيد أبوسماحة أحد الملازمين لسيدنا رضي الله عنه في حضره وسفره والمسارعين إلى قضاء وطره وكان يقوم مقام الشيخ رضي الله عنه في ذكر بعض الأذكار الخصوصية ، وقد تقدم لنا

أنه كان يذكر للتحصين ألفا من يا لطيف فى الصباح وألفا فى المساء . وقد حدثنى بعضهم أنه رأى رسالة من سيدنا رضى الله عنه إلى صاحب الترجمة وذكر له فيها بعض الأسرار الرفيعة المقدار وهى بخط الفقيه سيدى محمد المشرى وقد اشتملت على أسرار مرموزة إلا أنى لم أقف عليها وكان الواسطة المعظم سيدى محمد بن العربى الدمراوى رضى الله عنه يحب صاحب الترجمة محبة خاصة لمحبة الشيخ رضى الله عنه فيه

العلامة سيدى محمد بن عاشور

ومنهم العلامة الجليل ذو الخلق الجميل والقدر العلى والفضل الجلى أبو عبد الله سيدى محمد بن عاشور أحد خاصة الشيخ رضى الله عنه الأكابر السن والمقدار وقد توفى قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وترك ولده العلامة الشهير سيدى أحمد بن عاشور المتقدم الذكر صبيا صغيرا وقد ترجمنا له سابقا فلينظره من أراده .

وقد وقفت فى رسالة دور الأنوار التى بعثها الواسطة المكرم للشيخ رضى الله عنه على سلامه عليه وذكر له كلاما على وجه النصيحة ونصه : وتسلم منى على سيدى محمد بن عاشور العالم العلامة وتقول له الله يلطف بنا وبك وبأحوالنا وأحوالكم وتقول له العين هى عين الرأس وعين الرأس لاشية فيها ، والذى هو عارف يرى بعين العين والرابح للبكاء يربح بعين العين ويبكى بعين العين بالدوام ، وأما عين الرأس أى عين الماء فلاشية فيها ، ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعلمه والسر يخرق العلم ، والعلم لايخرق السر ، والأمر لله ثلاثا ، والاشتغال بالمذرة الدنية لايكون فى الأولياء ، وقل له يحفظ لجامه ثلاثا ، وإياك والاشتغال بالرجال ثلاثا اهـ .

الشيخ النجار السمغونى

ومنهم ذو الأسرار الباهرة والمناقب الفاخرة الولى الكبير والعارف الشهير أبو عبد الله الشيخ النجار السمغونى كان من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وكان له تصرف تام بالأسماء مع معرفة كاملة بسر الحروف والأوفاق ، وكان قبل معرفته بسيدنا رضى الله عنه المعرفة الخصوصية متوجها لجهة سيدنا رضى الله عنه فى اختبار أحواله بالتوجه إلى سد أبواب الإجابة عنه بالأذكار الخصوصية حتى تبين له علو مرتبة سيدنا رضى الله عنه فى الولاية الملحوظة بعين الرعاية ، فحينئذ سلب له الإرادة وجعل فى يديه انقياده .

وقد وقفت على كلام يتعلق بعد السلام عليه فى رسالة درر الأنوار ونصه :
وتسلم منى على أحبابك كبيرا وصغيرا وعلى سيدى الشيخ بن زيان وعلى سيدى الشيخ النجار وتقول له إياك ثم إياك أن تفارق الأسماء السبعة وإنى من غيرها مارأيت لك إجابة فى الخواص وما رأيت لك أفضل منها فى الخواص ونحن على محبة الله وإياك والغيبة فى عباد الله وجميع من يشتغل بأحوال الناس بالغيبة فإنه لايبلغ شيئا من الخيرات ويبلغ إلى المهالك اهـ

سيدى محمد الزين الصحراوى

ومنهم ذو الجناب الفسيح والفضل الصحيح البركة الأجل الشريف المبجل سيدى محمد الزين الصحراوى ، وكان من أكابر المفتوح عليهم فى الطريق وقد شهد له بالتقدم فى حلبات السبق للفضائل العدو والصديق ، ومما كان يحدث به من كرامات سيدنا رضى الله عنه أنه كان مسافرا للصحراء بعد أن اشترى حملا من الحوائج التى تصلح لأقاربه وحمل ذلك على بغلة لبعض أقاربه وسافر مع رفقة ، فبينما هو فى الطريق وكانت الرفقة سبقته إذ سقط الحمل وفرت الدابة فبقى حائرا فى أمره ، إن تبع الدابة خاف من ضيـــاع الحمل وإن بقى مع الحمل ذهبت الدابة مع كونه لايقدر على حمل الحمل كله ، فصار يستغيث بالشيخ رضى الله عنه وليس بالطريق غاد ولارائح ، فبينما هو كذلك يستغيث إذ رأى شخصا معه دابة مقبلا عليه حتى وقف عنده وسأله عن أمره فأخبره أن دابته ذهبت فقال له ماجئت إليك إلا لأحمل حملك ، وحمله وذهب به حتى أوصله إلى الرفقة ، ولازال معه حتى وصل إلى محله فلما وصل وأخذ حوائجه لم يجد أثرا لذلك الرجل الحامل له ، ثم تذكر دابته وماجرى له من أمرها وسأل من الله أن يردها عليه ببركة سيدنا رضى الله عنه فبينما هو فى الليل فى بيته إذ سمع الحافر فى المراح فخرج لينظر ما الخبر فوجد دابته قد جاءت وليس معها أحد فحمد الله تعالى وتحقق أن ذلك كله ببركة سيدنا رضى الله عنه .

سيدى محمـــد بن العربى المدغرى

ومنهم الولى الكامل والعارف الواصل البركة العظمى أبو عبد الله سيدى محمد ابن العربى المدغرى أحد خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وقد كان سيدنا

رضى الله عنه يصفه بالولاية ، وقد بلغنى أن الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه كان ينوه بذكره ويصفه بالرسوخ فى مقام المعرفة بالله تعالى وأنه بلغ فى الولاية القطبانية . وبلغنى عن صاحب الترجمة أنه سئل بالله العظيم هل رأى النبى ﷺ يقظة وكان فى مجمع حفيل بالإخوان فقال نعم ولولا الخشية من الله تعالى ما أخبرتكم ، قال وأول رؤية رأيته فيها أنى كنت مرة فى بستان بالمحل الفلانى من الصحراء وأنا أناول شيئا فيه بالفاس فإذا برجل ضمنى إلى صدره من ورائى فالتفت فوجدته صلى الله عليه وسلم مبتسما فلم أر أحسن من تلك الساعة ولا أفضل منها وهى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها .

وبلغنى على لسان الثقات أن صاحب الترجمة عزم على الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يهيء مؤونة السفر إذ رأى النبى ﷺ فقال له إنا نائب عنك فى هذا الحج والآن لا تسافر من هذه البلدة فاستيقظ وقلبه يكاد أن يذوب شوقا إلى تلك البقاع المباركة فعزم على السفر ، فلما ركب على دابته وخرج يقصده من البلد إذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم ورفعه عن دابته وأنزله عنها وقال له ألم أقل لك أنا نائب عنك فى ذلك ورده إلى موضعه ولم يسافر من موضعه حتى توفى رحمه الله تعالى

عم محمد بن عيسى الريفى

ومنهم ذو الديانة المربوطة بالحبل المتين ، والنفس الزكية الموصوفة بالفتح المبين السيد البركة الملحوظ بعين العناية فى السكون والحركة عم الحاج محمد بن عيسى الريفى ، كان من خيار الأصحاب الذين تعلقت هممهم بنيل المراتب العالية فى الولاية فتعلقوا بحبل الطريقة لبلوغ مقصدهم بمتابعة سيدنا رضى الله عنه فى الدلالة على الله بين أهل العناية ، وقد اختاره سيدنا رضى الله عنه من جملة من جعلهم بباب داره المكلفين بقضاء مآربه لصدق نيته وأمانته ، وكان أولا معلما بفرن حومة الجياف المقابلة لزاوية سيدنا رضى الله عنه ثم تجرد لخدمة سيدنا رضى الله عنه ولازال مشمرا على ساق الجد فى خدمة الشيخ رضى الله عنه إلى أن توفى بناحية عين ماضى بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه حين سافر مع أولاد الشيخ رضى الله عنهم .

الحاج عبد المجيد بوهلال وأخوه الحاج المعطى

ومنهم المحبان الفاضلان العارفان الواصلان القمران المنيران والوليان الشهيران السيد الحاج عبد المجيد بوهلال وأخوه السيد الحاج المعطى ، كان سيدنا رضى الله عنه يحبهما محبة خاصة ويحب جميع أقاربهم كما حدثنى بذلك بعض أحفادهم ، وبلغنى على لسان الثقة أن سيدنا رضى الله عنه قال أولاد بوهلال أحبابى فى الدنيا والآخرة وقال فى صاحبى الترجمة أنتم من أصحابى ذكرتم الورد أو لم تذكروه وهذه المنقبة من خصوصياتهما الدالة على رفع مكانتهما عند سيدنا رضى الله عنه وهما مدفونان بروضتهم المجاورة لزاوية الولى الشهير العارف الكبير سيدى أحمد بناصر الدرعى بعد روضة الشريف الأمرانى رحمه الله بفاس .

المحب بن قدور الزرهونى

ومنهم الفقيه الناسك السالك فى طريق الحق على أقوم المسالك المتفنن فى علوم الشريعة والحقيقة الموصوف بالقدم الثابتة فى هذه الطريقة أبو محمد السيد عبد القادر الزرهونى المعروف بالمحب ابن قدور وهو أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، ووقعت له كرامات مع سيدنا رضى الله عنه ، وقد بلغنى على لسان الثقة وهو أحد مقدمى زاوية زرهون أن الرسالة الزرهونية المذكورة فى جواهر المعانى هو المخاطب بها وقد وقف عليها بخط سيدنا رضى الله عنه ونصها : بعد البسملة بعد الافتتاح قال رضى الله عنه : وبعد نسأل الله جلت عظمته وتقدست أسماؤه أن يسلك بك حالا ومآلا مسالك أوليائه المتقين وأن يوقفك بين يديه موقف أحبابه العارفين فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك والقادر عليه ، ثم إنك طلبت منى أن آذن لك فى زيادة الأذكار على الورد ، فاعلم أنى أجزتك فى كل ما أردت من الأذكار والأسماء والآيات والأدعيه حيثما أردت وكيفما أردت إلا ما كان من أوراد الشيوخ التى هى لازمة للدخول فى طرقهم فلا يأذن لك فيها .

واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك فإنها كنز الله الله الأعظم لمن ذكرها وكل ماتريده من الأذكار فوق الورد فزده منها زائدا على الورد فقد نصحتك لله ، وأما ما ذكرت من صعوبة انقياد نفسك عليك لأمر الله ودوامها على التخبط فيما لايرضى فتلك عادة جارية أقامها الله فى الوجود لكل من أهمل نفسه وتركها جارية فى هواها أن لايسهل عليه سبيلا إلى القيام بأمر الله بل لايرى من نفسه إلا الخبث والمعاصى والخروج عن أمر الله ، ومن أراد تقويم اعوجاج نفسه فيشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله بالتدريج وحضور القلب مع الذكر وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض فى أمور الدنيا وتمنيها وحبها وحصر القلب عن جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات وعن أخبار الخلق وزم القلب عن الجزع من أمر الله ، فبدوام هذه الأمور تزكى النفس وتخرج من خبثها إلى مطابقة أمر الله وإلا فلا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، والشيخ فى هذه الأمور دال ومعين لاخالق وفاعل إذ الخلق والفعل لله والدلالة للشيوخ والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما وكتبه العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى عامله الله بلطفه اهـ

السيد أحمد بن عامر الزرهونى

ومنهم الفقيه الأجل العلامة المبجل ذوالقدم الراسخة فى الطريق أبوالعباس السيد أحمد بن عامر الزرهونى ، هذا السيد من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وقد أذن له سيدنا رضى الله عنه فى الأذكار الخصوصية وقد أخبرنى بعضهم أن الرسالة المتقدمة فى الترجمة قبله هو المجاب بها والله أعلم ، وقد وقفت على رسالة بخطه كتبها إلى سيدنا رضى الله عنه وكان الجواب المتقدم عن بعض مضمنها ونصها :

من عبد ربه تعالى أحمد بن عامر ، الله وليه ومولاه إلى سيدنا ومولانا الشيخ الأكبر العلامة القطب الأشهر ذى المفاخر السنية والمعارف الزكية ، البحر الزاخر أبى العباس سيدى وسندى ، ومن على الله ثم عليه اعتمادى ، شيخ [illegible] وإمام الحقيقة ذلك سيدى أحمد الحسنى التجانى ، السلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد فإن اشتياقى إلى سيدنا لايخفى عليه ، ومرادى مقصور عليه ، هذا

ولا زائد سوى ما نريد أن نخبر مولانا وسيدنا مما صعب عليه تناوله من قطع كل عائق وصاد عن وجهتنا إلى خالقنا المولى الكريم ، فمهما أردت النهوض إلى خدمته إلا وأقعدني أو رمت قطع الشهوات إلا وعجزت عن ذلك العجز الكلى لا الجزئى فكيف ياسيدى فإن ما أشار به على سيدى به فلم يتيسر لى ولا وجدت إليه سبيلا ، ولم يبق لى إلا التعلق بسيدى فهذا حالى ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ونظر سيدنا أوسع وأتم وأكمل . وأخونا حامله إليك الطالب سيدى إدريس جاء إلى سيدنا يشاور فى السفر إلى الحج مع والدنا فإن رأى سيدنا ما أراد فذلك هو المطلوب والسلام ، ٨ القعدة عام ١٢١٦ هجرية .

السيد محمد الزهنى الزرهونى

ومنهم ذو الفتح المشهور والفعل المحمود الفقيه الأجل السيد محمد الزهنى الزرهونى ، كان رحمه الله ذو تعلق خاص بجناب سيدنا رضى الله عنه ، وكان سيدنا رضى الله عنه يحبه وأذن له فى أذكار خصوصية وأناله منها غاية المنى والسؤل رحمه الله .

السيد عبد الرحيم حميش

ومنهم البركة الجليل ذو الخلق الجميل الفاضل الأمجد الفقيه السيد عبد الرحيم حميش المكناسى ، كان من أفاضل الإخوان وبلغنى عنه أنه كان كثيرا ما يأتى إلى زيارة سيدنا رضى الله عنه والله أعلم . وقبره بمكناسة الزيتون ، وبلغنى عنه أنه هو الذى خاطبه سيدنا رضى الله عنه بهذه الأبيات على لسان الحضرة

توجه نحونا نعط الأمانا ... وغمض عين قلبك عن سوانا
وسلم كل أمركم إلينا ... وجد بالنفس أن تحبب لقانا
ولازم عهدنا مادمت حيا ... وغض الطرف عن غير ترانا
ولازم باب حضرتنا فقيرا ... تكون إذا مصونا فى حمانا
فإن صددت بالإعراض عنا ... فهانيك الجحيم لمن عصانا

الفقيه ابن حمدوش

ومنهم البركة الفاضل العارف الواصل الفقيه الجليل السيد محمد بن حمدوش المكناسى أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه مباشرة وكان يحبه محبة خاصة بعد

أن حصل له امتحان فى هذه الطريقة المحمدية بسبب زيارته لبعض الأولياء فأراد أن يجدد الأذن عن سيدنا رضى الله عنه فقال له على طريق التربية لاسبيل إلى الرجوع ، وقد ذكر فى الإفادة الأحمدية سبب هذه المقالة ونصها فى حرف اللام: لاسبيل إلى الرجوع سببه أن رجلا أخذ ورده رضى الله عنه وبقى يزور الأولياء فقيل له ليس عندك ورد لأن عدم الزيارة شرط فى الطريق فقال وماينفعنى الآن فقيل له تجديد الإذن عن الشيخ فركب من مكناسة وأتى إليه فاستأذن له بعض الأصحاب الشيخ فذكره ، فقيل له بعد أيام إن الرجل ترك أولادا وبنات ضعافا وقال له إن أذنت له فذاك وإلا هذا قبره ببابك فرق له رضى الله عنه وقال كان بعض الدهاقين يعرف بعض المشايخ وطلب منه أن يلقنه الورد فأمره بطلاق النساء وإعطاء مابيده من المال لله تعالى وتركه لأبواب المخزن ولبسه ماخشن من الثياب ففعل وأتاه فقال له الشيخ ليس لك عندنا شيء امض لشأنك فبقى الرجل متحيرا فى أمره وساح فى البرية على وجهه لأنه لم يبق له أهل ولامال فلقى فى سياحته بعض الرجال كان يعرفه فقال فلان هذا يستفهمه لما رأى عليه من الشعث والغبار فأخبره أنه هو فقال له وما الذى فعل بك هذا فأخبره أن الشيخ الفلانى طلبته فى الأخذ عنه فأمرنى بما ترى فلما فعلت وأتيته قال ليس لك على يدنا شيء امض لشأنك فهمت على وجهى كما ترى فقال له الرجل إياك أن تعتقد أن ينفعك أحد غيره ارجع له على قدم الصدق وقل له ليس لى عن بابك محيد ففعل فقبله الشيخ من حينه فقال له ياسيدى الخير مع يدك وأنت تفعل فى هذا فقال له الشيخ قطعناك عن العلائق الدنيوية فانقطعت عنها وبقى فيك علقة التعلق بغيرنا فلما أتيتنا متجردا من ذلك مننا عليك وأذن له سيدنا رضى الله عنه .

فانظر رحمك الله ما ألطفه ورحمه بهذا الأدب الذى أدب به هذا الرجل من غير مشقة ولاضرر رضى الله عنه .

السيد بلقاسم العنابى

ومنهم الولى الكامل العارف الواصل ذو المقام العالى فى أوج المعالى أبو المحامد السيد بلقاسم العنابى ، هذا السيد الجليل من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه المشهود لهم بالفتح المبين والقدم الراسخة فى الولاية والدين المتين وكان كثيرا

مايرى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين والجمعه . وقد بلغني على لسان الثقة أن الواسطة المكرم سيدى محمد بن العربى الدمراوى رضى الله عنه لما توفى أراد سيدنا رضى الله عنه أن يجعل صاحب الترجمة فى موضعه إلا أن الإذن من النبي ﷺ لم يكن للشيخ رضى الله عنه إلا على الخليفة المعظم سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه وبلغنى أيضا أنه قيل لسيدنا رضى الله عنه إن صاحب الترجمة إذا أهدى إليه أحد شيئا يقبله فقال رضى الله عنه لا بأس اهـ

الشيخ المناعى التونسى

ومنهم العلامة المتفنن فى علمى الظاهر والباطن الجامع لشتات الفضائل والمحاسن أبو المواهب اللدنية والمناقب السنية الشيخ سيدى محمد بن سليمان المناعى التونسى ، اجتمع بسيدنا رضى الله عنه بمدينة فاس وأخذ عنه طريقته المحمدية وظفر منه بالنظرة المنوطة بالسعادة الأبدية ، وقد أخبرنى بعض الإخوان أنه رأى إجازة سيدنا رضى الله عنه له عند بعض أفاضل الإخوان بتونس .

وحدثنى بعضهم أن الرسالة المذكورة فى جواهر المعانى قد أجاب بها سيدنا رضى الله عنه صاحب الترجمة ونصها :

وبعد نسأل الله عز وجل أن ينزل عليك اللطف والراحة مما تشتكى منه ونسأله سبحانه وتعالى أن ينظر فيك بعين اللطف والرحمة والمعافاة من كل بلية وأن يبلغك جميع الآمال وأن يتكفل بقضاء جميع حوائجك فى الدنيا والآخرة ، ونسأل منه سبحانه وتعالى أن يفيض عليك بحور الخيرات والبركات فى الدنيا والآخرة وأن يفيض عليك بحور رضاه وفضله فى الدنيا والآخرة آمين .

وأما ما كتبته لى وأخبرتنى به من تصرفات الأولياء السابقين طالبا منى أن أفعل فى ضررك مثل ذلك كى تستريح فالجواب :

إن أحوال الأولياء لاتجرى على قانون واحد ، ولا فى سبيل واحد ولا حيث كل ما أرادوا ، بل الأمر فى ذلك موكول إلى الله جار على قانون مشيئته فما قام ولى فى أمر باختياره ، ولا تصرف ولى فى شىء بأمره وإرادته بل ذلك كله جار على حكم مشيئة الله تعالى فإنه هو الفاعل لما يريد ، فكم من ولى يجرى فى إظهار الكرامات على القانون الذى تعلمه العامة حيث شاء وكيف شاء ، وكم من ولى

عظيم القدر عالى المقام قد أدبر عن الكون بالله بحيث أن لاعلم له بكل ماسوى الله فإذا أراد التصرف وإظهار الكرامة على حد ماهو معروف للأولياء منع من ذلك بحكم مشيئة الله لأمر يعلمه الله لايعلمه غيره .

قال الجنيد رضى الله عنه لقد مشى باليقين رجال على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم . ثم إن الأمر الذى طلبته منى فى التصرف فى زوال ضررك لم أجد إليه سبيلا ولاحيلة ولا تعويلا ، وكل بقضاء الله وقدره ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، والخواص على الجملة والتفصيل لاتدخل تحت القياس والحكم لله بمشيئته فى جميع أحوال الناس وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اه

وقد وقفت على جواب لطيف لصاحب الترجمة رحمه الله بعثه إلى جماعة من أفاضل الإخوان نذكره هنا لمناسبة المقام ، ولما اشتمل عليه من الفوائد الشريفة بين ذوى الأفهام ونصه :

الحمد لله من أفقر العبيد إلى ربه محمد بن سليمان المناعى إلى إخواننا فى الله السادات الفضلاء والكرماء النبلاء أعنى سيدى أحمد المثلوثى ومن معه من إخواننا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه يعمكم ونفحاته ، أما بعد فقد بلغنا كتابكم الأعز وفهمنا مافيه على التفصيل ثم اعلموا إخواننا أن أوراد الشيخ الأكبر الكبريت الأحمر سيدى أحمد بن سالم التجانى رضى الله عنه وأرضاه لها شروط ينكرها من لامعرفة له بكتب القوم لاسيما من عنده نبذة من كتب الفقه فإنه ينكرها أشد الإنكار وربما تجاسر باللسان وبفاحش القول ولم يدر المغرور أن العروس لايعرفها إلا أهلها .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقيل فى مثل هذا :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ... إن لايرى ضوءها من ليس ذا بصر

الحاصل يا إخوانى من التزم منكم الشروط فقد أذنت له فى ورد الشيخ ووظيفته ومن لم يلتزم الشروط فلا إذن له والشروط المذكورة .

الأول منها أن لايتركها اختيارا فإن اضطر لتركه ومنعه من الذكر مانع شرعى قضاه بعد ذلك وجوبا ولابد من القضاء .

والثانى من الشروط أن يترك زيارة الأولياء الأحياء والأموات كبيرهم وصغيرهم من غير استثناء فرد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم . وأقول ربما ينكر هذا الشرط من لامعرفة له بكتب القوم فقد صرحوا به فى أى كتاب من كتبهم لكن هى طريقة لبعضهم لا لكلهم وها أنا أبين لكم ذلك بضرب مثال وذلك أنهم صرحوا بأن التلميذ لا يصل إلى الله إلا إذا قطع الالتفات عن غير شيخه ، بحيث لا يعتقد النفع إلا من شيخه وكل شىء وصل له من الخير فيجزم بأنه على يد شيخه لا على يد غيره وحيث اعتقد وصول الخير إليه على يد غير شيخه حصلت القطيعة بينهما وتأمل الحكاية المعروفة بينهم عن خديم الشيخ الجيلانى رضى الله عنه أنه كان يوما يصلح فى أمور الزاوية فدخل عليه الخضر عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يرفع رأسه إليه ولا رمقه بعينه ، فقال له الخضر عليه السلام ياهذا ألم تعرفنى فإن لم تعرفنى فأنا الخضر فقال له خديم الشيخ قد عرفتك ولكن محبة عبد القادر لم تترك فى قلبى محلا لغيره ، والزائر للأولياء لا يخلو حاله إما أن أن يعتقد النفع من الولى المزار أم لا فإن اعتقد النفع منه كان إعراضا عن شيخه وإن اعتقد النفع من شيخه لا من الولى كانت زيارته عبثا وسوء أدب مع الولى المزار ونحن لا ننكر زيارة الأولياء ولا ننكر فضلها ، وإنما كلامنا إذا نبه الشيخ التلميذ على تركها وجب امتثال أمره وإلا كان معاندا للشيخ ومتى عاند لا يصل إليه نفع أبدا (١) . قيل فى معنى ذلك إذا قال لشيخه لِمَ فعلت ذا لم يفلح أبدا . الحاصل أن كتب القوم مصرحة بذلك فلا اعتراض على الشيخ لأنه تابع لبعض الأولياء لا أنه اخترع هذا الأمر ، فهو رضى الله عنه مقتف لآثار بعض الصالحين ، وفى هذا المعنى قيل :

وكم عاتب ليلى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حسبك يافتى

فالموفق الكامل يلتمس الأعذار لرعاع الناس فضلا عن إمام مثل هذا فإنه بحر فى علوم الشرع الظاهر لامثيل له فيما رأت عينى يحفظ من كتب الفقه مختصر ابن الحاجب ومختصر الشيخ خليل وتهذيب البراذعى على ظهر قلبه ، وحكى لى أنه يحفظ جميع ماسمع من سماع واحد ، على مثل هذا يعترض من لا خبرة له بفرائض الوضوء

(١) هذا كإرشاد الطبيب ليس تحريما وبعد الفتح تعم الزيارة لله المصحح

وأما كتب الحديث فيحفظ صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ على ظهر قلبه ، وأما كتب التوحيد فهو نظير الغزالى فى هذا الوقت والقلوب بيد الله يصرفها كيف شاء . والشرط الثالث : أن لايجمع بين ورد هذا الشيخ وورد آخر وإن كان آخذا لورد شيخ آخر فليتركه وسواء كان ورد الشيخ الجيلانى أوالشاذلى أوالحفناوى أوسيدى أحمد بن ناصر أوسيدى محمد بنعيسى أوغيرهم من المشايخ رضى الله عنهم فلابد من ترك كل ورد منسوب لسادتنا الأولياء كالجيلانى والحاتمى والشاذلى وغيرهم من الأكابر والأصاغر .

الحاصل أن لايجمع بينه وبين ورد آخر أصلا أبدا فمن التزم هذه الشروط فقدأذنت له إذنا عاما تاما على سبيل النيابة عن الشيخ رضى الله عنه . ومن لم يلتزم فلا إذن له منى وأقول ربما ينكر هذا من لامعرفة له بكتب القوم ويستدل على ذلك بقولهم التلميذ كالنحل يرعى على جميع الأشجار ليلتقط العسل إلى غير ذلك من الأدلة المذكورة فى كتب الفقه والقوم ، قلت هذا حق لاشك فيه ولايمكن إنكاره ولكن إذا نبه شيخ التلميذ عليه بأن يترك الزيارة فلابد من الامتثال وإلا كان معاندا فلاشيخوخة حينئذ وحصلت القطيعة بينهما والشيخ فى هذه الحالة له اقتداء ببعض سادتنا الأولياء منها ماحكى عن صاحب الإبريز عن شيخه سيدى عبدالعزيز رضى الله عنهما أنه قال : التلميذ كالورد المشموم إذا كثر شمه قلت رائحته وفائدته

وانظر كلام الحاتمى حيث قال : التلميذ كالمريض مهما اجتمع عليه طبيبان هلك لأن الأنظار مختلفة فى العلاج .

وانظر كلام البكرى رضى الله عنه أنه قال التلميذ كحافر بئر إن أدام الحفر فى موضع أخرج الماء وإلا كان طول عمره يحفر بلا فائدة لأنه متى لم يدم الحفر فى موضع واحد لايمكن إخراج الماء إلى غير ذلك مما هو فى كتبهم .

الحاصل أننا لاننكر فضل الأوراد ولافضل سادتنا الأولياء نعوذ بالله من ذلك ومن الاعتراض على أولياء الله ولكن نقول كلهم رضى الله عنهم على صواب ولكل وجهة هو موليها وكلهم يشربون من بحر واحد يعنى بحرالنبوءة وإن كان الشراب مختلفا كل واحد على قدر ماقسم الله له رزقه .

الحاصل يا إخوانى أن الاعتراض على أولياء الله داء [redacted]ال ، ورد فى الحديث

من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ومن هو يقدر على حرب الله . أيمكن أن يقود الأعمى البصير أو يعترض الجاهل على العالم أو يدل من لامعرفة له بالطريق عليها كلا والله لايمكن هذا وفيما ذكرناه كفاية وإن كان هذا المحل يقبل أكثر من هذا الكلام والله أعلم انتهى وهو مدفون بتونس .

السيد يوسف بن ذنون

ومنهم الأديب الأوحد والشاعر الأمجد رفيق الحواشى والطباع المتفنن فى الفنون الأدبية المختلفة الأنواع العلامة السيد يوسف بن ذنون كان رحمه الله مستغرقا فى محبة سيدنا رضى الله عنه بعد أن أخذ عنه طريقته المحمدية ، وبلغنى أن له قصائد كثيرة فى مدح سيدنا رضى الله عنه إلا أنى لم أقف الآن على شىء منها ولنذكر هنا قصيدة فى مدح سيدنا رضى الله عنه لوحيد عصره وأديب مصره الشاعر المفلق والعالم الذى على فضله جميع أهل المغرب وأهل المشرق السيد محمود قابادو الشريف التونسى المتوفى صبيحة يوم الأربعاء ثالث رجب الفرد عام ١٢٨٨ وهى :

أحد سراك بليل شك عسعسا ... أوماترى صبح اليقين تنفسا
هذى المعالم من حمى فاس بدت ... كادت تطير من الجسوم الأنفسا
أفديك يا حادى الركائب نحوها ... إما دنوت إلى حماها عرسا
خل المطايا ودس حماها راجلا ... وارتع بواد لايزال مقدسا
أوماعلمت بأنه قد حلها ... ختم الولاية وابتغاها مرمسا
قد حلها نجل الرسول ومن شدت ... أنواره شمسا تجلى الحندسا
أكرم بها من مشرق فى مغرب ... أنحى على ليل الظلام فأشمسا
لله أى مثابة من حلها ... خلعت عليه حلى السعادة ملبسا
أو ماترى أنوارها قد طبقت ... سبع الطباق وقد بلغن الأطلسا
لاغرو قد شمخت ديار الغرب فى ... يوم الفخار على سواها معطسا
نور الهداية قد بدا من طيبة ... لكنه فى الغرب صادف مقبسا
فاليوم شمس الحق قد طلعت لنا ... من مغرب إثر الظلام معسعسا
فاتبع لها سببا تجد أنوارها ... فى عين ماض منهلا متبجسا
واكرع بها ماء الحياة تعش إذا ... خضر الزمان تصرفا وتفرسا

إن الذى يمتــه برحابهـا بحر ملا الكونين فيضا أقدسا
قرم سمت تيجان تجّـان به وحوت أكفهم الفخار الأقعسا

السيد عبد القادر الجرندى

ومنهم الولى الصالح ذوالفضل الراجح الذاكر الناسك السالك فى الطريقة على أقوم المسالك أبو محمد السيد عبد القادر الجرندى أحد أصحاب سيدنا رضى الله عنه ذوى الفتح المبين والدين المتين ، ومن عجيب ما وقع لى من كرامات هذا السيد أننى بحثت عن بعض أحفاده لأسأله هل عندهم شىء من مآثره فلم يتيسر لى ذلك فبينما أنا كذلك إذ رأيت فى رؤيا أحد أحفاده وسألته عنه فقال لى لم يثبت عندنا شىء من مناقبه غير أننا نسمع من والدينا أن الشيخ رضى الله عنه شهد له بالفتح الكبير وضمن له أن تكون الولاية فى كل عصر لولد من أولاده إلى يوم القيامة هذا الذى ثبت عندهم ثم سألته عن تاريخ وفاته وعن مدفنه فأخبرنى أنه بباب الفتوح مدفون . وأما تاريخ الوفاة فذكره لى إلا أنى نسيته بعد ما استيقظت وكأن هذه الرؤيا وقعت لى فى اليقظة من شدة التثبت الذى حصل لى فيها والله الموفق .

السيد عبد الخالق بوزوبع

ومنهم البركة الأجل والفاضل المبجل المحب الصادق فى الجناب الأحدى الفقيه الجليل السيد عبد الخالق بوزوبع . هذا السيد من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه المعتبرين فى هذه الطريقة المحمدية عند سيدنا رضى الله عنه فى خطابهم بمكاتباته هـذا غاية ما بلغنى عن صاحب الترجمة وقد بحثت غاية البحث عنه من أى فرقة هو من الفرق الثلاث من أولاد بوزوبع القاطنين بفاس فلم أجد مخبرا منهم يخبرنى به ولعـله لم يترك ولدا رحمه الله والظاهر أنه ليس منهم وقد أخبرنى بعضهم أنهم لم يعرفوا من اسمه كاسم صاحب الترجمة من أجدادهم إلا تلميذ العارف بالله الولى الصالح النور الواضح أبوالعباس سيدى أحمد بن يحيى وهو مدفون بعتبة ضريحه رضى الله عنه ، وأما صاحب الترجمة فلم أعرف فى أى موضع دفن رحمه الله تعالى .

سيدى محمد بن زاكور والسيد قاسم بن زاكور

ومنهم الفاضلان الجليلان المحبان الكبيران سيدى محمد بن زاكور والسيد قاسم

ابن زاكور كانا رحمهما الله من أفاضل الإخوان لهما شدة الاعتناء بقضاء مآرب سيدنا رضى الله عنه الخصوصية وهما مذكوران فى بعض رسائل سيدنا رضى الله عنه مع جملة من أفاضل خاصة أصحابه رضى الله عنه نذكر منها هذه الرسالة المنقولة بخط العلامة سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، من أفقر الورى إلى الله عبيده محمد بن المشرى إلى كافة أحبابنا الداخلين فى زمرة سيدنا ومنتظمين فى عقده ، سيدى ومولاى معزوز بن هاشم وسيدى الحاج الطيب القباب وأولاده وأهل بيته وسيدى الحاج على أملاس وأولاده وسيدى بوطالب وسيدى بوعزه وسيدى الحاج أحمد السقاط والسيد الحاج محمد الحباب والمكرم أحمد القنارى وسيدى الطيب الشرابى وسيدى محمد بوخريص وسيدى عبد الخالق بوزوبع ومولاى موسى وسيدى الحاج عبد الرحمن براده والمكرم الحاج مسعود براده والسيد محمد الفاسى والسيد الحاج عمر وسى محمد زاكور وقاسم بن زاكور والمكرم عبد القادر الجرندى ومحمد الأشهب وجملة أحبابنا المحسنين كبيرا وصغيرا ذكورا وإناثا . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإكرامه وإنعامه وبعد فجزاكم الله عنا خيرا ووقاكم شرا على ماصنعتم مع سيدنا فى هذه الساعة من قضاء ما أراده من الحوائج من متاعكم وترككم مابعثه من متاعه لقضائها فقد أسره ذلك وشكره لكم لكون هذا دليل على رسوخ محبتكم وصميم اعتقادكم . وبلغه الله له على ماتريدون وعلى ما أراد هو وأحب ودفعناه له حاجة بعد حاجة فى ساعة سعيدة وزممنا له ذلك كله فى زمام وذكرنا فيه منكم كل من أحسن بشىء باسمه وحاجته وقال سيدنا أنا بعثت دراهمى لقضاء حوائجى فإنى لا أحب أنقل على أحد من الأحباب اللهم إلا من أراد إعطاء شىء بطيب نفسه فله الخير والجزاء من الله الجزيل وهذه عادة سيدنا كما ذكرنا لكم مرارا وقال لى اكتب لجملة أحبابنا كتابا اذكر فيه كذا وكذا من دعاء الخير والضمان قلت فهذا مايعجب إن أطلقه الله فهو أحسن لهم من كل مراد أعنى براءة فقط لاغيرها من الكتب وإلى الآن لم يكتبه ، ونسأل الله أن يعاملنا وإياكم معاملة الأحباب وأن يرزقنا وإياكم رضى الله دنيا وأخرى وأن يوفقنا وإياكم فى جميع أحوالنا إلى الصواب آمين .

والمؤكد به عليكم أن تدوموا على جمعكم وذكر الله فى زاويتكم ولا تتأسفوا على من ذهب من عندكم لعل الله أراد أن يريح قلوبكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم إلى أن قال فيها بعد محو فلا تلتفتوا لتقعقع الشنآن ولا لسماع هذيان والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وقال فى طرتها وأما أمر الزيارة للأولياء أما الأموات فالقدوم إليهم أى إلى ضريح الولى فهو المطلوب وأما الأحياء فبحسب أحوالهم وأحوال الزائرين إليهم فمنهم من القدوم إلى محله أولى ومنهم بعض الأكابر لاينبغى كثرة التردد إليهم ولا الجلوس معهم إلا لمن كان واقفا مع الأدب وإلا يخاف فى مجالستهم ، وقدوتنا من هذا القسم لاينبغى كثرة التردد إليه إلا من ترك مراداته وفنى عنها ولاعنده مراد إلا ما أراده الشيخ فمن وفق لهذا فله الربح الكبير والخير الأثير والغنيمة العظمى فى كثرة تردده وكثرة مجالسته لقدوته ، ومن لم يحكم الأدب فله الخير أيضا فى زيارته ولكن بشرطين أن يصحب هدية معه للشيخ وأن لايطيل الإقامة عنده أزيد من العشرة الأيام أونحوها وإن لم يكن بهذين الشرطين فيبعث الزيارة إن وجدها ويجلس مكانه أحسن له من إتيانه وكل ماذكرنا هنا فالإنسان فيه بالاختيار إن شاء جلس مكانه ولاحرج عليه وإن شاء يقدم ولكن إن كان فيه الشروط التى ذكرناها وهذه الأمور ذكرتها من اختبار أحوال سيدنا وكثرة مجالستى له حتى صارت عندى كأنها ضرورية والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم اهـ

ولعل هذه الرسالة وقعت قبل أمر النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا رضى الله عنه بمنع أصحابه من الزيارة والله أعلم

السيد محمد بن الحاج الشراط

ومنهم البركة الجليل ذو الخلق الجميل أبو عبد الله السيد محمد بن الحاج الشراط كان من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين تمسكوا بحبل طريقته المحمدية وتعلقوا بأذياله وتقربوا إليه بكل مايعطف قلبه عليهم وهو من جملة الذين يذكرهم سيدنا رضى الله عنه فى رسائله .

وقد وقفت على رسالة مذكور فيها بخط الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى ونصهـــا :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، الحمد لله جلت قدرته وعزت عظمته ، يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا فقراء فاس سيدى الحاج الطيب القباب وولده السيد محمد وسيدى محمد بن معزوز وسيدى أبى طالب وأخيه سيدى مولاى الطيب وسيدى الحاج على أملاس وسيدى مولاى موسى وسيدى محمد بن الحاج الشراط وسيدى الحاج محمد الحبابى وسيدى عبد القادر الجرندى وسيدى أحمد الفنارى وسيدى حمدون وسيدى الطيب الشرايبى وسيدى المكى العجيمى وسيدى ادريس بن عبد الرحمن والسيد محمد الأشهب وجملة الأحباب كبيرا وصغيرا ذكورا وإناثا من غير تخصيص كل واحد باسمه وعينه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد وصل ما أهديتم لقدوتنا صحبة أخينا العربى الأشهب سالما صحيحا فى عافية والحمد لله جزاكم الله عنا خيرا ووقاكم وكفاكم ضيرا وقبله سيدنا بفرح وسرور وصنع له العربى ماء الورد من الزهر الذى حمله معه حتى رضى سيدنا لكثرته ونسأل الله أن يفيض عليكم بحور الأرزاق والخيرات فى جميع الأوقات وأن يكفيكم شرور الدنيا والآخرة وأن يكتبكم جميعا فى دائرة الصديقين المحبوبين دنيا وأخرى آمين والسلام على جميعكم من كاتب الحروف محمد ابن المشرى عن اذن سيدنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اهـ

السيد أحمد المغبر

ومنهم البركة الجليل السيد أحمد بن الحاج العربى المغبر . كان الغالب عليه الجلوس بالزاوية المباركة قيد حياة سيدنا رضى الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة وكان والده آخذا لطريقة بعض العارفين رضى الله عنهم إلا أنه كان له اعتقاد كبير فى جناب سيدنا رضى الله عنه ومحبة خاصة وكان إذا نزلت به نازلة يأتى إلى سيدنا رضى الله عنه ويطلب منه كشفها فيساعده لمطلوبه .

وقد تلقى صاحب الترجمة الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه بواسطة الولى الكبير مولاى محمد بن أبى النصر العلوى وكان ملازما له ، ومما حدثنى به بعض أولاد صاحب الترجمة وهو ممن كان ملازما مع والده الشريف مولاى محمد بن أبى النصر المذكور . قال حدثنى الشريف المذكور أن سيدنا رضى الله عنه كان كثيرا ما يصلى

الجمعة بجامع القرويين وكان أهل فاس وقت بناء الزاوية مع سيدنا رضى الله عنه فى أشد مايكون من اطلاق ألسنتهم فيه وكان بعض من يشار له فى زعمهم بالخير من المتصنفين بالجذب إذا رأى سيدنا رضى الله عنه يطلق فيه لسانه بالكلام القبيح بإغراء بعض مبغضيه ولسان حال سيدنا رضى الله عنه يقول :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فأمر ثم أقول لايعنينى

وكان سيدنا رضى الله عنه ينهى أصحابه عن مجاوبة من يطلق لسانه فيه فى ذلك الوقت فبينما سيدنا رضى الله عنه خارج يوما بعد الصلاة إذ رفع صوته هذا الرجل والناس يسمعون وقال مستهزئا بسيدنا رضى الله عنه كل من أتى من الصحراء ابن عمك بازهرا . أرادوا بناء الزاوية ستضر بهم داهية فقال لسيدنا رضى الله عنه بعض أصحابه أوماتسمع مايقوله ياسيدى فحصل لسيدنا رضى الله عنه حال بعد أن ركب على فرسه فسارت الفرس تقوم به وتنزل حتى قال والله حتى أعفس فى مصارين اليهودى ابن اليهودى فاتفق أنه لما وصل ذلك الرجل بداره أن أصابه طاعون وصار يستغيث فلايغاث وحين أراد الله به الخير تفطن بأنه أصيب من جهة سيدنا رضى الله عنه فصار يستجير به ويناديه للمسامحة ويطلب من الذين تعودوا الذهاب إلى سيدنا رضى الله عنه ليستشفعوا فيه عنده وحساد سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا يغرونه على إطلاق لسانه فيه يسمعون .

وقد بلغنى أن بعضهم ذهب إلى سيدنا رضى الله عنه وصار يستعطفه فى كشف مانزل بهذا المصاب ويستشفع له بحرمة جده النبى صلى الله عليه وسلم فى مسامحته فقال له سيدنا رضى الله عنه قد وقع مارقع ولكن لا بأس عليه فى الاعتقاد ثم صار بعد ذلك ينطق بالشهادة إلى أن توفى رزقنا الله الأدب اللائق بسادتنا الأولياء آمين .

توفى صاحب الترجمة فى ذى الحجة الحرام عام ١٢٦٨ ودفن بباب الفتوح .

سيدى محمد جسوس

ومنهم الناسك الذاكر والحامد الشاكر الخبير الفاضل والولى الواصل أبوعبد الله سيدى محمد بن عبد اللطيف جسوس . كان رحمه الله محبا للفقراء والمساكين سالكا سنن الهادين والمهتدين كلفا بالبحث عن العارفين والمذاكرة

معهم إلى أن ظفر بسيدنا رضى الله عنه فاقتبس من مشكاة أنواره وجنى من أفنان فنونه ثمارا وأزهارا وأخذ عنه طريقته المحمدية على سبيل التبرك ولازال محبا نا رضى الله عنه ولأصحابه ملازما لأذكاره فى حضرته وغيابه إلى ان توفى رجب الفرد عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف ودفن خارج باب

ولمناسبة الترجمة فى النسب أردت ذكر قصيدتين فى مدح سيدنا رضى الله عنه مناسبتين لبعض الفقهاء من أولاد جسوس حفظه الله ونص الأولى :

خليلى هذا الشوق عز انحصاره وأربت على كل الطوال قصاره
ألم تريا دمعى إذا هبت الصبا تسيل بأخدود الخدود غزاره
وإن كفكفت أيدى الترحم ودقه دهى القلب داء لايطاق أواره
لك الله من قلب يقلبه الهوى على الجمر لاتخبو مدى الدهر ناره
ولاتطربه الغانيات وحسنها ولا الروض غنى طيره وهزاره
ألا فى سبيل الحب مافعل الجوى بذا الصب حتى بان عنه اصطباره
أسائل عن قلبي فؤادى لعله يخبرنى بالحب كيف اقتداره
نأى فؤادى بالهوى ورجاله وبالحب فواحا لدينا عراره
لقلبك قلب يحمل العبء ماخلا يذوب إذا المحبوب هاج ادكاره
خليلى خليا النصيحة إننى أبحت الهوى ماشاء فىّ دماره
فمن لم يمت بالحب لاشك ضالع وإن كان فى برد الجنان قراره
حنانيكما إن التجانى أحمد إمامى على هام الثريا مناره
له المدد الفياض فى الكون قدبدا فيالك فيض لاتغيض بحاره
هو الختم والكتم الذى سبق الورى وبرّز فردا لايشق غباره
يمد جميع الدائرات وقطبها ويسمو بها المختار قدما نجاره
نمته إلى خير الخلائق أحمد إلى الشرف الأعلى الزكى خياره
يربى بورد محكم النظم فاخر بكف رسول الله ضم نثاره
فكم من فتى يغدو إليه وقد بدا عليه من الموب الجلىّ قتاره
فما هو إلا أن يمتثل عهده فيمسى جليلا قد تبدا وقاره

ألا إنما الإكسير هذا فهج به ... يرقك النضار التبر ثم عقاره
أمولاي يا قطب الوجود وغوثه ... وحامى الحمى أن يضيع جاره
أمولاي يا كنز الوجود ورمزه ... ومركزه البادى عليه مداره
أمولاي يا غوث البرايا جميعها ... إذا الخطب يوما لاالحات
أمولاى مغنى القوم من كل قاصد ... من السر سر الله
أمولاى سر الله أنت فكم بدا ... عليك حلاه تاجه وسواره
أمولاى جد لى بالدواء معجلا ... لعلى أرى دائى استحال عقاره
أما إن هذا العبد أقصر رقه ... عليك وما ينفك عنه ضراره
وتلعب أيدى النائبات بجسمه ... فيغـدو ويمسى لا يقر قراره
وأنت وأيم الله أى وسيلة ... إلى الله قرما لا يضام جواره
فداو فإن الداء عز دواؤه ... وأنحل جسمى فاستبان عواره
وكيف وحاشا أن يفوّق سهمه ... إلىّ زمان عاليات شراره
وأسجح إذا ما العبد يهفو فإنه ... لديه صغار الذنب ثم كباره
ولكنه فى الحب صادق مهذب ... تخلص مسبوكا لديك نضاره
عليك سلام الله ماذر شارق ... وماحن مشتاق عليك اقتصاره

والثانية هى هذه

ذكر البقاع الطاهرات بفاس ... صب يعانى بالهوى ويقاسى
صب له فى كل جارحة هوى ... زفراته تتلى مع الأنفاس
يخفى الغرام ودمعه فضاحه ... والدمع ويحك فاضح الأكياس
هذا لعمرك حال من ركب الهوى ... حتى ينيخ به لدى الأرماس
ياصاح دعنى فالغرام سجيتى ... والدمع دمعى والأناس أناسى
ما بغيتى غيد الحسان ولا مها ... ة الخدر كلا أو ظباء كناس
بل شاقنى مغنى الحبيب وربعه ... ومواطن الأفراح والأعراس
بلد حوت ختم الولاية منبع الـ ... أسرار نفحة سائر الأجناس
بحر المعارف لا تحد جهاته ... بحر العوارف جل عن مقياس
إكسير سر القلوب علاجها ... نعم الحكيم بها الطبيب الآسى

دارت كؤوس مدامه فى قومه | كرموا بها وتقدموا فى الناس
سكروا وصاروا فى الرسوخ ثوابتا | فالكل طود لايزعزع راسى
وتصرفوا فى الكون بالهمم التى | مثل السيوف قواصما للفاسى
عزوا به فهم الأولى أقدامهم | من فوق هامة كل شهم راس
ظفروا بكنز ماتقـــدم مثله | فى عصبة الأقطاب والأجراس
تلك المواهب لاتنـال بحيلة | فارج الكريم ولاتكن ذا ياس
مولاى أحمد ها محبك ضارعا | يرجو رضاك وطهرة الأنفاس
مولاى أحمد أرتجى منك الندا | فامنن وأكرم محتذيك وواس
يا ابن العواتك والفواطم والعلا | والمجد والفخر الصميم الراسى
أنت الكريم ابن الكريم محمد | خير الكرام الغر من إلياس
صلى عليه الله مازار الحيـا | روضا فعــانق زهره للآس
والآل والأصحاب سادات الورى | والختم مولانا أبى العبـــاس

سيدى محمد بن عبد الله البوكيلى

ومنهم البركة الصالح النور الواضح ذو المناقب العديدة والأفعال الحميدة الشريف الجليل سيدى محمد بن عبد الله البوكيلى الحسنى أحد أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه الملازمين لزاويته المباركة ، وقد كان سيدنا رضى الله عنه يثنى عليه ويحبه محبة خاصة ، ولازال على عهد سيدنا رضى الله عنه إلى أن توفى رحمه الله بالصحراء بزيز ، ومن أولاده المقدم البركة الفاضل الجليل سيدى محمد ، وقد وقفت على إجازة الولى الصالح سيدى العربى بن السائح رحمه الله له وإجازة الفقيه الأجل سيدى علال الفاسى رحمه الله وتركت ذكرهما هنا اختصارا والله الموفق .

أخوه سيدى الحسن بن عبد الله البوكيلى

ومنهم أخوه الولى الكامل العارف الواصل المقدم فى صدر المحافل الشريف الفاضل مولاى الحسن بن عبد الله البوكيلى قدمه سيدنا رضى الله عنه لتلقين الورد الشريف وأخبرنى بعضهم أنه كان عنده التقديم المقيد والمطلق ، وقد تقدم لنا بعض الكلام فى التقديم المقيد والمطلق إلا أنه لابأس بزيادة إيضاح فأقول باختصار اعلم أن التقديم المطلق ينقسم إلى قسمين الاول هو أن الشيخ رضى الله عنه قد أطلق

فى الإجازة للمقدم فى تقديم من أراد بلاحصر لكن هـذا التقديم إنما هو فى تلقين الأوراد اللازمة فقط وهكذا الثانى يفعل ثم الثالث كذلك إلى يوم القيامة .

القسم الثـانى أن الشيخ يطلق للمقـدم أيضا فى الإجازة مثل الأول إلا أنه يزيد عليه فى الإطلاق فى تلقين الأذكار الخصوصية المكتومة وغيرها وهذا القسم أعلى درجة فى هذه الطريقة وأما المقيد فهو على قسمين أيضا الأول: أن يجيز الشيخ رضى الله عنه المقدم فى تلقين أوراده فقط أو مع بعض الأذكار الخصوصية من غير إذن له فى تقديم أحد وهذا القسم إنما هو مقصور على صاحبه فلايقوم مقـامه غيره إذا مات الثانى أن يأذن له فى إعطاء الورد فقط أو مع الأذكار الخصوصية أيضا كالأول منهما لكنه يزيد عليه بجواز تقـديم عدد مخصوص إن احتاج إليه هذا المقدم من غير زيادة على العدد المقيد له فيه ، فإذا نفد العدد لم يجز له ولا للمأذون له فيه أن يقدم إلا بإذن خاص أيضا .

ومنهم من عنده التقـديم المطلق والمقيـد بحسب الوراثة التجـانية والموهبـة الربانية وقد تقدم لنـا فى هذا التأليف بحمد الله ذكر جملة من المقدمين على حسب ماذكرناه وقد فاتنا فى ترجمة العـلامة سيدى محمد الشنجيطى رضى الله عنه ذكر تقديم الشيخ رضى الله عنه له مع أنى وقفت عليه بخط الفقيـــه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله وبعده خط سيدنا رضى الله عنه إلا أن الجهة الأولى من الورقة المكتوب فيها فهى بخط ولد صاحب الترجمة العـلامة سيدى أحمـد رحمـه الله فلنذكره هنا منقولا من خطهم مباشرة تتميما لما فاتنا وعلى الله قصد السبيل ونصه :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فإن سيدنا رضى الله عنه ووسيلتنا إلى الله مولانا قطب الأقطاب أبا العباس أحمـد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه ومتعنا بحبه وبقائه دنيا وأخرى آمين أذن لتلميذه الفقيه الأريب الأنجب الأديب محبنا سيدى الحافظ بن المختار بن احبيب الشنقيطى فى إعطاء أوراده لكل من طلبها من المسلمين بشرط المحافظة على الصلوات الخمسـة بشروطها المعلومة وبشرط إفرادها أعنى أن لايعطى لمن عنده ورد من أوراد الأشياخ هذا شرط فائدتها وتحصيل فضلها مع ملازمة الوظيفة مرة بين الليل والنهار لكل من أخذ هذا الورد وكذلك الهيللة بعد عصر يوم الجمعة لمن لم تكن له حاجة تشغله فى وقت الوظيفـــة ووقت عصر يوم الجمعـة ، وأما الورد فإنه يقضى

لازما إلا فى حالة المرض لمن لم يقدر عليه ، وأما من تركه لعذر أو نسيان فإنه يقضيه دائما . وأما من فرط فيه تهاونا فإنه لاينفعه إذا رجع إليه إلا إذا تاب وجدد الإذن عن الشيخ أو عن المقدم وأذن سيدنا أيضا لحبيبه المذكور أن يقدم عشرة تحته لا أزيد إن احتاج لهم لبعد مسافة أو عذر آخر فمن أذن له منهم كأنه أذن له سيدنا رضى الله عنه وأذن له أيضا فى كل ما يريد ذكره على الإطلاق من كل ذكر من غير تحجير وكل من أخذ الورد على محبنا هذا فله ما لمن أخذ عن سيدنا رضى الله عنه من الفضل والمزية سواء بسواء والورد المذكور سابقا هو أستغفر الله مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق الخ مائة مرة لمن يحفظها والهيللة مائة مرة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ومن اشتغل فى الوقتين فالوقت راسع ، وأما الوظيفة فالاستغفار أيضا وصلاة الفاتح الخ خمسين مرة والهيللة مائة مرة وجوهرة الكمال إحدى عشرة مرة أو أكثر وكتبه عبيد ربه الفقير إلى ربه خديم الحضرة التجانية محمد بن المشرى عن إذن سيدنا رضى الله عنه ونفعنا به آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وتحته بخط سيدنا رضى الله عنه ما كتبه أعلاه صحيح وأنا أذنته فيه أذنا عاما وكتب آذنا ومجيزا أحمد بن محمد التجانى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورأيت هذه الأبيات الأربعـة بخط حسان الطريقة مطوقة بركن هذه الإجازة الأسفل الأيمن ونصها محاذية لخط سيدنا رضى الله عنه .

هاج شجوى ولوعتى لحروف كتبتها أنامل التجـانى
ففداء لصاحب الخط نفسى وبنانا له بكل بنـانى
وجزى الله آذنا ومجـيزا ومجازا بأكبر الرضوان
رضى الله عنهم وجـزاهم عدد النجم والحصى والزمان

وتذكرت هذه الأبيات أربعة أبيات لبعض المحبين فى مدح سيدنا رضى الله عنه نصها :

إن حب التجانى خالط قلبى كاختلاط الضيا بنور العيون
وسرى فى أعضاء جسمى كروحى فاعذرونى فى حبه فاعذرونى
أنا والله مغـرم بهواه قد خلعت فيه عذار شجونى
يا أناسى أنا عليـل هواه عللونى بذكره عللونى

ولنرجع للكلام على صاحب الترجمة فأقول كان رحمه الله معظما عند سيدنا رضي الله عنه لجمعه بين الشرفين الطيني والنسبي مع ما فيه من المحبة الصادقة في الجناب الأحمدي والديانة التامة وبلغني عنه أنه قدم مرة من الصحراء إلى فاس ودخل إلى زاوية سيدنا رضي الله عنه فسلم عليه وكان الوقت وقت صلاة فلما أقيمت الصلاة قدمه سيدنا رضي الله عنه للصلاة فصلى بسيدنا رضي الله عنه وبمن حضر من الإخوان فلما سلم من الصلاة التفت سيدنا رضي الله عنه إلى من معه وقال لهم أعيدوا صلاتكم إلا سيدي الحاج الكبير حلو فإنه قد صلى وأنتم لم تصلوا وسبب ذلك أنهم لما رأوا صاحب الترجمة قدمه سيدنا رضي الله عنه للصلاة ولم يكونوا يعرفونه قالوا في نفوسهم كيف يتقدم للصلاة بنا هذا الرجل وهو بدوي وصارت نفوسهم مشغولة بهذا الخاطر حتى تمت الصلاة إلا سيدي الحاج الكبير المذكور لم تشتغل نفسه بذلك فأمرهم سيدنا رضي الله عنه بهذه الصلاة التي اشتغل فيها فكرهم وبلغني أن هذه القضية وقعت للقطب سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه لما قدمه سيدنا رضي الله عنه للصلاة به في بعض المرات التي قدم فيها من الصحراء والله أعلم

ولصاحب الترجمة رحمه الله التقديم من سيدنا رضي الله عنه في إعطاء أوراده وطريقته ووقع التقديم أيضا من سيدنا رضي الله عنه لولده البركة الجليل المقدم سيدي أحمد وهو في بطن أمه وبشره سيدنا رضي الله عنه بأنه يكون من أمره ما يكون من الفتح المبين قبل أن تضعه أمه فكان من أمر هذا الولد ما كان من المعرفة بالله الكبرى والولاية العظمى ببركة نظرة سيدنا رضي الله عنه إلى أن توفي رحمه الله .

مولاي أحمد البوكيلي

ومنهم العارف بالله البركة الجليل الشريف الأصيل مولاي أحمد البوكيلي المعروف بالسبطري وهو أحد خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين ظفروا بمقصودهم منه وطرحوا نفوسهم بين يديه في مغيبهم وحضورهم لصلاح نيتهم وتطهير أنفسهم من الأغراض التي بسببها يحصل للمريد من الشيوخ الانقطاع المؤدي إلى الاعتراض والإعراض ، أخذ عن سيدنا رضي الله عنه طريقته المحمدية واقتبس من أنوار علومه الأحمدية إلى أن حصل له الفتح الذي لا يفي به الشرح

ومع ذلك فإنه كان رحمه الله مستترا بظل الخمول مشتغلا بصنعة الخرازة كمطلق الناس إلى أن توفى رحمه الله ودفن فى الموضع المعروف فى البادية بكرمة ابن سالم فى صحن مسجد الخطبة قرب الزاوية المباركة هناك .

حدثنى بعض مقدميها أنه لما توفى صاحب الترجمة رحمه الله جاء أولاده إلى هذا المقدم وطلبوا منه أن يدفنوا والدهم بالزاوية المباركة قال فمنعتهم وذلك لمقالة سيدنا رضى الله عنه من يدفن فى الزاوية يعنى للنار ، وأخبرتهم بكلام الشيخ رضى الله عنه ، قال وكنا مع جماعة من الإخوان بالزاوية المباركة وأنا أتكلم مع أولاده قال فالتفت إلىّ بعض الإخوان وقال لى أيها المقدم أنظر إلى هذا الطائر كيف يدخل للزاوية ويخرج وينزل منها فى ذلك الموضع وأشار إلى الموضع الذى دفن فيه صاحب الترجمة قال فنظرناه كلنا يدخل ويخرج حتى كأنه يشير لنا بدفن صاحب الترجمة هناك وأولاده ينظرون إلى هذا الطائر ويتعجبون من خلقته وصورته وهيئته ، فاتفق رأى الجميع على دفنه هناك فدفناه فيه رحمه الله ، قال وقد رأيت بعينى هاتين والله شهيد على ما أقول الأنوار تخرج من قبره اهـ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خاتمة

فى ذكر بعض من ظفرت باسمه من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ولم أقف له على ترجمة

اعلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه ، أنه لما حركتنى الأقدار الإلهية للخوض فى هذا البحر الذى اقتحمت العبور فيه على سفينة العجز المنوط بالقصور عن الوفاء بجمع رجال هذه الطريقة لمشيئة القصور لولا العناية الربانية والعطفة الامتنانية واللطيفة الإحسانية والنظرة التجانية ماهبت رياح المساعدة حتى برزت هذه العجالة بحمد الله من غير مكابدة . وقد امتن الله علىّ والشكر له على نعمه التى لا تحصى فى الخوص فى هذا البحر الزخار بأن استوت سفينتى على جودى الأسرار فوقفت على فوائد ولطائف وطرائف ومعارف مما ذكرت بعضه ومما لم أذكره وذلك كله بخط سيدنا رضى الله عنه رضا به وبخط غالب أكابر أصحابه كالخليفة المعظم سيدى

الحاج علي حرازم والواسطة المكرم سيدي محمد بن العربي الدمراوي رضي الله عنهم حتى أتني والحمد لله وقفت على ماينوف على المائة رسالة بخطهم مباشرة أو بواسطة كما أشرت في ذلك إلى غالب تراجم هذا الكتاب .

لولا العناية كان الأمر فيه على حد السواء فذو نطق كذى بكم

وما ذاك إلا ببركة سيدنا رضي الله عنه وصدق المحبة في هذا الجناب الأحمدي يورث أكثر من هذا لاحرمنا الله من الدخول في زمرته تحت لوائه دنيا وأخرى وقد رأيت أثناء جمعي له وقبله من المبشرات ماتقر به أعين الأحبة به ، ويصلي الحسود نار حسده المرقدة ، اقول ذلك تحدثا بنعم الله تعالى تعرضا للزيد

وما عليّ في الذي فيه حسد أو انطوى خلده على حرد

إن صلحت بين العبـاد نيتي وربما قد حفهـا بنظرة

وقد رأيت سيدنا رضى الله عنه مرارا وأمرني بأمور ونهاني عن أشياء كثيرة في مرائي عديدة تعد من كراماته الجيدة اعتناء بمريده رضي الله عنه مما يحصل به اليقين للموفق الرشيد في حصول التربية التامة والمنفعـة العامة بالمشايخ الكمل رضى الله عنهم ولو بعد انتقالهم من هـذه الدار ولله در ابن باديس حيث يقول في سينيتـه :

ولا تسمعن من قاصر النفع منهم على من يكن حيا فذاك من الطامس

فإن شهود النفع يقضى بضده ولاسيما والقوم نصوا على العكس

وإذا أنصف المعاند فيما يتقوله من أن النفع لايحصل بالشيوخ الكمل قدس سرهم بعد الوفاة علم أن قوله هذا نزعة اعتزال تفضى للوبال موروثة من اعتقادات جاهلية وتخيلات واهية كقول طرفة بن العبد في معلقتـه في وصف ابن عمه الذى استعان به على بغيته :

وءايسني من كل خير طلبته كأنا وضعناه إلى رمس ملحد

وغير ذلك مما يدل على هـذه النية الفاسدة ، واعلم أنني كنت عزمت على ذكر جميع ماوقفت عليه من الفوائد العالية والدرر الغالية فرأيت سيدنا رضى الله عنه في رؤيا وهو يقول لي مالي أراك تذهب في السوق رافعـا الحجاب عن وجهك فقلت له ياسيدي ليس عندي إلا وجه واحد فكيف أستره فقال لي رضي الله عنه

لابد لك أن تستره في الجملة ، فعرفت مقصوده رضي الله عنه وأنه كنّى عن السر بالوجه لأن الوجه من أشرف الأعضاء ، كما أن السر من أشرف العلوم ، فتركت ذكر ذلك هنا حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده . واعلم أنه قد توفر عندي جملة من أسماء أصحاب سيدنا رضي الله عنهم الذين أخذوا عنه طريقته ولم يثبت عندي شيء في تراجمهم ، فأردت سرد بعض أسمائهم تبركا بهم قدس الله سرهم .

أسرد أحاديث الحبيب وسمه ... فسماع أخبار الحبيب شفاني

واذكر أسامي من إليه قد انتمى ... فإذا ذكرتهم يزول عنـــائي

وجميع ما ذكرته من أصحاب سيدنا رضي الله عنه بالنسبة لما لم أذكره إنما هو كقطرة من بحر ، وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه أن بعض الخلوتيين تلاقى مع بعض التجانيين وتذاكر في الفتح وأهله ، ثم قال ذلك الخلوتي لذلك التجـــاني : ألا تنظر إلى القطب الجامع سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري الخلوتي كم تخرج على يديه من الفحول كسيدي الجرندي وسيدي علي بن عمر وسيدي محمد بن عزوز وغيرهم . ثم قال له فمن تخرج على يد شيخكم التجاني ، فلم يجد مايجاوبه به لكونه لم يكن له إلمام تام برجال الطريق ، ثم انفض جمعهما وفي قلب ذلك التجاني شيء ، فتلاقى بعد ذلك بالقطب العارف بالله سيدي الحاج علي التماسيني فقص عليه القضية ، فقال له بماذا أجبته فقال له ياسيدي لم أدر ماأقوله له ، فقال له لابد أن ترجع إليه ، وكان بينه وبين ذلك المحل الذي فيه ذلك الخلوتي مسافة نحو ثلاثة أيام ، وأمره أن يذكر له أنه لا يوجد إنسان يستطيع حصر من فتح عليه على يد الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه (١)

(١) ونبئت هذه الرواية عن سيدي الحاج علي التماسيني بسياق آخر : أن ذلك الأخ الخلوتي قال للحبيب التجاني : سلمنا لكم في الشيخ الأكبر سيدي أحمد التجاني أنه فحل يلقّح ، أي وصل إلى مقام الفتح والتربية والإمداد . ولكن أتباعه ما فيهم من استقل عنه بالتربية فما فيهم فحل يلقح .

وأما غيره من أهل الطرق الأخرى فالشيخ يربي التلميذ حتى يكمل فيصبح هو صاحب طريق يربي كيف شاء . كالشيخ فلان والشيخ فلان وذكر له عدة مشايخ فكل من دقوا الطبل على رأسه فهو فحل يلقح . فعرض ذلك الحبيب التجاني ــ

فمن أصحاب سيدنا رضى الله عنهم الذين لم يثبت عندى شىء فى تراجمهم :
١ ـ الحاج أحمد أخو سيدى العربى الأشهب ٢ ـ سيدى على بن الغزال ٣ ـ أخوه سيدى محمد ٤ ـ سيدى عبد الله اليمنى ٥ ـ الحاج المكى النفطى ٦ ـ سيدى محمد بن أبى شعيب ٧ ـ المقدم السيد محمد بن القاسم الجرارى ٨ ـ السيد المصطفى بن محمد بن يحيى الأجرارى السفلى ٩ ـ سيدى محمد بن محمد بن ... بن أخو السيد أحمد الأخضر الاغواطى ١٠ ـ أخوه سيدى شيبة ١١ ـ السيد ... على ١٢ ـ أخوه سيدى أحمد ١٣ ـ السيد المختار السقال ١٤ ـ السيد والى التلسانى ١٥ ـ السيد محمد بن قارضاعلى ١٦ ـ السيد محمد الوجدى ١٧ ـ السيد محمد بن كمكم ١٨ ـ سيدى محمد الحاسن بن يعيش التواتى المطرفى ١٩ ـ السيد خليفة بن كربوب ٢٠ ـ السيد محمد فتحا الزروالى ٢١ ـ سيدى الطيب بن عاشر ٢٢ ـ سيدى محمد البيدورى الفخار ٢٣ ـ السيد عبد الجليل ٢٤ ـ سيدى محمد بن الحاج عزوز المرزوقى ٢٥ ـ سيدى محمد بن عبد الله بن عريف ٢٦ سيدى محمد ابن بلقاسم من أولاد سيدى أبى موسى ٢٧ ـ المقدم السيد عبد الكريم بن عبدالله ٢٨ ـ السيد العباس بن الطاهر ٢٩ ـ السيد المسعود بن الزين السوفى ٣٠ ـ سيدى محمد بن دحو ٣١ ـ السيد المختار الولهام ٣٢ ـ الحاج أحمد بن الهادى الكلمى ٣٣ ـ الحاج أحمد الحلفاوى ٣٤ ـ الشريف سيدى على المراج ٣٥ ـ الحاج محمد

ـــ على سيدى الحاج على مقالة الأخ الخلوتى فقال له : كون قلت له ـ أى كان حقك أن قلت له ـ كل رجل فى طريقة الشيخ سيدى أحمد التجانى فحل يلقح ، وكل امرأة فى طريقة الشيخ سيدى أحمد التجانى فحل يلقح ـ ثلاثا ه لأن الفتح الأكبر ضمنه النبى صلى الله عليه وسلم لكل من صح إذنه وثبت فى طريقته رضى الله عنه حيث قد تمسكوا بالطريق على شروطها التى هى صميم الشريعة المطهرة . فلا يموت أحدهم إلا مفتوحا عليه الفتح الأكبر فهو روح فى مرتبة التربية والإمداد بفضل الله عز وجل ، وحديث « أنت مع من أحببت » صحيح

وفى الطرق الأخرى يمكن أن يساوى التلميذ شيخه أو يفوقه ، ومرتبة الشيخ رضى الله عنه مرتبة فريدة لا يبلغها أحد من أهل الطرق لا طريقته ولا غير طريقته وهى مرتبة الختمية المعروفة عند أهل هذا الشأن . ا ه المصحح

الصابرى الجزائرى ٣٦ ـ سيدى محمـــد الذهب من نسل أولاد سيدى الشيخ ٣٧ ـ السيد الطيب بن قدور بن ابراهيم حفيد سيدى الشيخ ٣٨ ـ السيد عبدالرحمن ابن رايس قربيل ٣٩ ـ السيد محمد فتحا بن القائد سليمان ٤٠ ـ السيد أحمد الزاوى المقدم ٤١ ـ السيد داود من عين ماضى ٤٢ ـ سيدى محمد بن رمضان المعمرى ٤٣ ـ السيد منصور بن أحمد بن البكرى ٤٤ ـ أخوه سيدى عامر ٤٥ ـ السيد عبد السلام الخمار ٤٦ ـ الشريف سيدى علال الودرايى القاضى ٤٧ ـ سيدى عبد الرحمن البرنوصى ٤٨ ـ السيد عيسى بن عزوز ٤٩ ـ سيدى محمـد الفروج ٥٠ ـ سيدى محمد بن عمران ٥١ ـ سيدى محمد الحنش ٥٢ ـ السيد محمد بن قويسم

فهذا الذى ذكرته هنا مع ماتقدم لنـا هو ما وقفت عليه من أصحاب سيدنا رضى الله عنه وعن جميعهم ممن اجتمع به وأخذ عنـه مباشرة أو بواسطة ثم اجتمع به أو بعد الاجتماع به قيد حياته رضى الله عنه وبعدها . ولم أذكر من لم يجتمع به إلا استطرادا ، ولم أسلك فى تراجم هؤلاء السادة قدس سرهم مسلكا مؤسسا على الترتيب حتى أنى لم أراع غالبا فيهم مناسبة ولو بحسب البلدان ، بل ربما شرقت وغربت بين ترجمتين ثم أرجع لمن حل بالموضع الأول حتى كأنى صاحب خطوة أطوى الأرض فى خطوتين . وماذاك إلا بحسب ماتوفرت مبيضته عندى فى الكتابة والعذر لى فى ذلك أنى ما فرغت من تبييض مسودة إلا وجاء كاتب المطبعة يطلبها من غير تراخ إلى الآن ، وحتى الآن ، وربما كتبها من غير مقابلتى لها فلذلك ربما يجد المتتبع للعورات مجالا وإنى لأعلم علمـا يقينا أن كثيرا ممن طويت أضلاعهم على خبث السرائر ويظنون بأولياء الله الظنون التى هى من أقبح الضمائر .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق مايعتـــاده من توهم

يقوم بخيله ورجله على ساق الجد فى الطعن فيما أبديناه ، ويرمى بشهب الانكار جميع ماجمعناه ، ظلما وعدوانا ، وجحودا وبهتانا ، على أنى إنما جمعت بعض مابلغنى من كرامات هؤلاء السادة ، قصدا لنفع من وفقه الله تعالى للتسليم للأولياء من ذوى السعادة ، ومعلوم أن التآليف الموضوعة فى مناقب العارفين رضى الله

عنهم كلها مبنية على حسن الظن بين العالمين . وإذا كانت كتب السيرة النبوية كما قال العراق فى ألفيته رحمه الله .

وليعلم الطالب أن السيرا ... تجمع ماصح وما قد أنكرا «١»

ارتفع عنا الملام من ذوى الجدل والخصام ، عند كل عاقل بين الأواخر والأوائل . وأستغفر الله مما صدر منى فى الخوض فى هذا البحر الذى وقفت بساحله أكابر الرجال من علماء هذه الطريقة ذوى الجمال والجلال ، وإننى لأعلم من نفسى أنى قد تعديت طورى فى اقتحامى لججه وإلى الله أمد يد الضراعة والابتهال أن يتجاوز عما وقع منى من الخطأ والزلل فى الأقوال والأفعال ، وأسأله سبحانه وتعالى بجاه هؤلاء السادة من أولى السعادة عنده سبحانه وتعالى وجاه إمامهم سيدنا رضى الله عنه وأرضاه وعنا به عنده وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يتوجنا بتاج القبول فى الدنيا والأخرى ، وأن يجزل لنا مثوبة وأجرا وأن يغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين مغفرة ملحوظة بعين الرضى على الدوام ، وأن يختم لنا بالسعادة المربوطة بالحسنى والزيادة فى هذه الدار وفى دار السلام ، وأن يصلح أحوالنا ويخلص أعمالنا ، ويغفر لنا ما اقترفناه من الذنوب ، وأن يستر ما لدينا من العيوب إنه رب ذلك والقادر عليه وصل اللهم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

يقول كاتبه سامحه الله قد تم طبع هذا الكتاب بحمد الملك الوهاب فى أواسط جمادى الثانية عام ١٣٢٥ وقد قرظه جمع من علماء الطريقة وفرائد جمعهم فمن ذلك ماقال سيدنا الشريف الأصيل والفاضل الجليل أديب العصر ووحيد المصر الشاعر المفلق الذى لانظير له فى المغرب ولا فى المشرق ، مداح الحضرة المحمدية

«١» ذكر العلامة سيدى عبد الكريم بنيس مصحح الطبعة الثانية من كشف الحجاب بعد هذا البيت هذين البيتين .

والقصد ذكر ما أتى أهل السير ... به وإن اسناده لم يعتبر
فان يكن قد صح غير ماذكر ... ذكرت ما قد صح منه واستطر

وفتاح أقفال كنوز الأسرار الصمدية ، نقيب الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون ، مولانا عبد الرحمن بن محمد بن زيدان حفظه الله ورعاه ، ومن كل سوء في الدارين وقاه وذلك قوله :

أروض أريض زاهر طيب النشر — على غصنه المياس قد غرد القمرى
وهل هذه سلمى أماطت خمارها — وراحت تجر الذيل فى حلل الفخر
معدلة الأعطـــاف تقصر دونها — أشعة أنوار الغزالة والبـدر
مهفهفة جلت وتعلو عن الذى — تخيـل أمثالا لمنظرها الغـــر
لها صبت الأقمار وجدا بحسنها — وكل الظبا أضنت بمبسمها الغر
أدارت على الأكوان راحا براحة — فأضحت نشاوى الحب فى حانة السكر
وتاهت بها وجدا على كل حالة — ومن ذا الذى يصحو عن الحب بالخمر
وشبت بذاك الطرف نارا تأججت — لجادت سيول الطرف بالنظم والنثر
بلى إن ذا كشف الحجاب بدا لنا — وأبدى ذوى العرفان والفضل والخير
كتاب عديم المثل وتر بيبابه — غدا غرة والله فى جبهة الدهر
كتاب بديع الشكل عز نظيره — أعز من العقيان عند ذوى الذخر
كتاب حوى والله كل يتيمة — فدونكه فهو الحلال من السحر
كتاب نظيم من لآل نفيسة — بسلك نضار قد ترصع بالدر
كتاب على نهج قويم نقوله — محررة تنبيك عن صحة الأمر
به جاء ذو الأفضال والفضل والتقى — وتاج ذوى الإتقان فى أيما قطر
كريم الخصال من أقر بفضـــله — حميد السجايا أحمد الناس فى المصر
سكيرج ذاك الأريحى الذى عنت — لسطوته الأقلام فى النثر والشعر
وحيد الزمان من يحاول شأوه — يروم محالا فضله جل عن حصر
أديب لبيب بحر علم وحكمة — وطود فخار لايوازيه ذو فخر
تقرب إلى المولى بمدح جنابه — وقل ماتشا فيه ولاتخش من وزر
إليه مآل الأمر أكـرم به فتى — له ينسب التحقيق فى البر والبحر
هو الجهبذ النقاد والبطل الذى — يؤم لحل المعضلات بلا نكر
هو العلم الفرد الذى شاع صيتـه — وعم بقاع الأرض فى السهل والوعر

هو السيد الشهم المعظم جاهـــه … هو العالم المعلوم فى السر والجهر
فلازال فى عز ومجـــد ورفعة … يزيل ظلام الجهل فى الطى والنشر
ولازال محفوظا محوطا جنابه … من الضير والإضرار والسوء والمكر
ودام مدى الأزمان يهدى إلى الهدى … منوطا بيسر فى هنـــاء وفى بشر
بجاه رسول الله صلى إلــهنـــا … عليه وآل مع صحابتـه الغر
وبالشيخ أحمـــد التجانى إمامنا … وأستاذ أهل الفتح فى البدو والحضر
عليه رضى الرحمن ماقال منشـــد … أروض أريض زاهر طيب النشر

وإلى هنا انتهت الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هجرية

ثم طبع سنة ١٣٤٠ هجرية وقام بتصحيحه سيدنا العلامة سيدى عبد الكريم بنيس ثم قرظ الكتاب فقال قدس الله سره العزيز :

الحمد لله قال مصحح هذا الطبع الثانى بعد تعوذه بالمثانى عبد الكريم بن العربى بنيس التجانى سقاه الله من فيض فضله الحقانى : لما تم هذا الطبع الفائق لهاتيك الحدائق هزتنى أريحية الأدب لمدحه وتاريخه فقلت :

أماطت خمار الكتم عن دارة البدر … وكفت عن الإعراض والتيه والهجر
ونار بها دهر عهـــدناه عابسا … فساعد مفترا على درر الثغر
وحيت كئيبا طالما ضم طيفها … إذا مافهـــا عما يكابد للفجر
وبثت أحاديث الأحبة جمـــة … وفى طى ذاك النشر ماطاب من نشر
وزاد بذكراهم هيام صبابتى … على أننى فى حضرة الوصل والبشر
لما كت به كشف الحجاب لمغرم … بطالعـة العرفان من منبع السر
كتاب حوى علما عزيزا كلجة … تفيض وسمط لليواقيت والدر
كتاب به التعريف والمدح والثنا … لأصحاب غوث جاء بالفتح والنصر
سليل رسول الله شمس هـدايتى … وإنسان عين الأولياء مدى الدهر
مشافه طه صاحيا متيقظـــا … وعنه روى من غير زيد ولاعمرو
وذاك أبو العباس أحمد من غدا … بفيض معارف الديانة كالبحر
فرد كل صاف من زلال معينه … إذا هيأتك المسعدات إلى الخير
وشنف بذكرى من رآه مدانيا … يدين به الآذان منك بلا نكر

وكرر عليها ماتشا من حديثهم دواما ففى إيرادها راحة الصدر
فهم خصصوا منه رؤيتها التى تعز عن الإدراك بالسعى والحصر
وكن رائيا بالسمع منهم محاسنا إذا فاتك الإبصار فى ذلك العصر
وكاف امرءا أولاك جمع حلاهم وقربها بالطبع وامنحه بالشكر
وذاك وحيد العصر أحمد نجلنا سكيرج بدر ضاء فى غرة الدهر
ولما تغالت فى نفاسته الألى دروا نهجه واستوعبوه من القطر
أعادت يد الطبع النفيس نظيره فزاد بذا التصحيح فخرا على فخر
فقل الذى يرمى بجحود طلوعه بعيد المدى هنئت بالجحد والمكر
أللشمس فى وقت البزوغ ضحية تغطى بآراء الجهـــالة والخسر
فما أنت فيه غير ناطح صخرة بقرن فرهى القرن أو نازح البحر
ورامى فتى يبدى مناقب أحمد التـــجانى حرىّ بالملامة والهجـــر
فإن زعموا تأخيره عن عدادهم لبعد زمان القوم أو رفعة القدر
فتاريخه إن ينف عن عده بها (١٣٤٠) سكيرج منهم جاء فى أول السطر
وإنى لمملوك لكل متـــيم بحب بنى المختـــار للطى والنشر
عليه صلاة الله ما انتشرت له أيادى على الأكوان فى السر والجهر
وءال وأصحاب كرام وتابع وأزكى سلام مستطاب بلاحصر

انتهت بحمد الله وحسن عونه

عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا آويت إلى فراشك فقل اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولامنجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ، فإنك إن مت فى ليلك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيرا »

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: اللهم رب السموات والأرض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننا من الفقر .

تقريظ الطبعة الثالثة

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وحزبه . وقد تفضل العلامة الأديب حامل علم الطريق المتمكن فى مقامات التحقيق سيدنا الحاج محمد سكيرج وهو أخو سيدنا المؤلف وأسن منه وقد نيف على التسعين حفظه الله ورعاه وبارك فى حياته بركة على بركة ، تفضل بنظم قصيدة أرخ فيها ميلاد الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وقرظ بها هذه الطبعة من كشف الحجاب ، وقد أرسلها إلينا الحبيب بن الحبيب الأديب الأريب واسع الاطلاع المحقق سيدى عبد الكريم سكيرج الإبن الأكبر المؤلف قدس سره فكانت مسك الختام . قال حفظه الله :

أثير سلالى مجــدا وفضلا   وبدر ضيائها فى الماجدينــا
حبيت مكارما من معجزات   دهت ألباب سر السالكينا
مددت لها بكشفك عن حجاب   ورفع نقابه الواصلينــا
دها الألباب ما أبديت فيه   وأتحفت الدهاة العالمينــا
سرى سر البيان بعين ماض   وفاض لديك بحر الشاربينــا
كفى بالطبع ما أبداه عمــا   توارثه فحول الكاملينــا
يقول لسانه بالحال إنى   أتيتكم بسر الناجحينــا
رداع ضوع الأرجاء منه   وضمخ عطره الوارثينــا
جناه ثمار غرس (الختم) عمن   تأثل مجــدهم فى السالفينا
مقــام للغنى (الله أبداه)   يذكر أصل مد الناجحينا
نرى كشف الحجاب يعاد طبعا   لشدة حاجة الراغبينــا
إليه تشوق قد طال عهــدا   فنلت طبعــه للهاتفينــا
فلا تيأس أخا الأسرار عما   توارى واختفى فى الغابرينا
رجاء إن تستر تجتنيــه   ولو طالت عهود الذاهبينا
إلينا الله بافردا تســامى   أخوك محمــد فى أمن يقينا
أرى كشف الحجاب يعاد طبعا   كرامتكم وحق الشاهدينا
متى تمت مآثره بطبــع   فإنى حامد فى الشاكرينا

وقصد بقوله الختم ١٠٧١ الله ٦٦ ابداه ١٣ ـ ميلاد الشيخ التجانى رضى الله عنه سنة ١١٥٠ . وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه ومن آمن به

صواب الخطأ المطبعي

الرجاء تصحيح الكتاب قبل القراءة فيه

الغرض المقصود من بيان صواب ماسها عنه مصححوا الكتاب هو أن يصحح كل إنسان النسخة التى بيده أولا قبل أن يشرع فى قراءتها حتى إذا قرأها لم يقرأ خطأ وكذلك من ينقل شيئا عن الكتاب ينقل ماهو صحيح .

وقد مر بنا بعض الكلمات سهونا عن تصحيحها فاستدركناها هنا فنرجو البدء بتصحيحها وربما فاتنا القليل مما يظهر للقارىء وجه الصواب فيه . كما نرجو أن ينبهنا أصدقاؤنا لما عسى أن نكون قد سهونا عنه مشكورين .

صحيفة	سطر	صواب
٢٥		اللبان صحتها اللبار
٣٠	٧	يفتر
٤٨	٢	مشوب
٥٤	١٧	فلذلك لم نري
٧٤	١٨	فتى
٨٩	٧	عليك
٩١	١٩	ضرعت
١٠١	٢٤	وزوال
١٠٣	٢١	حصول
١١٠	٧	ابتداء
١١٢	١٩	وسلم على سيدنا
١١٦	٥	وعلى آل سيدنا
١٢٥	١٢	حال لكل
١٢٥	٢٠	القوا
١٢٦	٢٢	بن الحاج عيتى
١٣٦	٥	أوتوا
١٣٩	٦	لهادى صحتها لهاد
١٣٦	١٥	والسلام

صحيفة	سطر	صواب
١٤٠	٦	ينذرى
١٤٠	١٨	الحساس
١٦٧	٥	من الدنيا
١٨٤	١٩	يلعنهم صحتها لعنهم
١٨٦	١٤	حدثنى ولده
١٨٦	١٧	برتبته
١٩٩	٢٦	فى مكانه لم ينتقل منه
٢٠٤	١٨	فى من به
٢٠٤	١٨	تزيل
٢٠٥	٨	الغرام
٢٠٥	١٥	رشح
٢٣٤	٥	١٢١٨
٢٤٦	٨	أن يبادر
٢٤٨	٢٢	والواقع
٢٥٤	٢٣	وأخرى بحيث
٢٨٤	٧	بقى متشوفا
٢٨٧	١١	نعرض علىّ

صواب الخطأ المطبعى

صحيفة	سطر	صواب
٢٨٩	١٠	كإنكار بعض
٢٩١	١٥	وإليه يشير
٢٩٣	٢١	العيانية
٢٩٤	١	وإما سلوكا
٢٩٦	١٠	بالشوق
٢٩٨	١٤	المستترين
٣١٢	٥	سيدى محمد الشرق العصرى (تحذف)
٣١٥	٢١	يارب بالذات
٣٢٠	٢٣	العربى بردلة
٣٢٩	٢١	ويكفيه
٣٤١	٦	سدى (تحذف)
٣٥٨	١	الجيش
٣٦٠	٢٤	لأهل
٣٦٥	٢٠	ولم تزل
٣٦٩	١و٢	الإكنارى
٣٨٤	٩	وجد
٣٩٢	٢١	يعمكم
٤٠٢	٢٥	بعض أغراض
٤١٦	١٥	أحببت
٤١٦	١٨	تقدس عن غير

صحيفة	سطر	صواب
٤١٩	٥	للقلوب
٤٣٢	١٧	من يطع الرسول
٤٣٧	٨و١٠	بوبله
٤٤٩	١٨	المقربابك (تحذف)
٤٥٠	١٨	سيدنا محمد وآله
٤٥١	١	وأخذ عنه
٤٥٤	١٣	فرفع يديه
٤٥٦	١٢	هل الظن
٤٥٧	٦	عبد الواحد
٤٦٤	١٩	المتصدر
٤٨٢	١٤	صرفا عنه
٤٧٥	١٣	لتكريره
٤٧٥	٢٠	لنا فيه النفع
٤٨٠	٢٥	التغافل والتجاهل
٤٩٧	٧	إذا أمرتكم
٥١١	٢٦	رتبتك
٥١٤	٨	القوى لقبا
٥٣١	٦	رفيق
٥٣١	١١	علا فضله
٥٣٨	١٤	صاف

بسم الله الرحمن الرحيم

بيـــان محتويات كشف الحجـــاب

بيان محتويات كشف الحجاب

بيان محتويات كشف الحجاب

بيان محتويات كشف الحجاب

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم